PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

mazlum

* كتاب *

* كنز العباد الثمين في اخبار القديسين *
وهو ثلثة مجلدات

* تاليف *
السعيد الذكر السيد مكسيموس مظلوم بطريرك طايفة
الروم الملكيين الكاثوليكيين

* المجلد الثاني *

يشتمل على اخبار القديسين المدونة اسماوهم وخدمهم في الميناون اليوناني والعربي
في ايام الاربعة الاشهر الثانية من السنه وهي شهر كانون الثاني وشهر شباط وشهر ادار
* وشهر نيسان *

طبع ثانية
باذن ونفقة قدس السيد الجليل والراعي النبيل كيريوس اغابيوس
مطران بيروت وجبيل وما يليها الكلي الشرف والقداسة

* في مطبعة حنا النجار سنة ١٨٦٨ *

ان هذا المجلد يتضمن سير حيوة خلان الله واصفياه القديسين الذين يُحفتل باعيادهم وتصنع تذكاراتهم المجيدة بموجب طقس الكنيسة اليونانيه في ايام الاربعة الاشهر الثانيه من السنه حسب سنى خلقة العالم اي من اليوم الاول من شهر كانون الثاني الى اليوم الاخير من شهر نيسان

(Arabic)
2272
(RECAP)628
.352
1868

تنبيه

اعلم ايها القاري اللبيب انك كل مرة لاتجد في خبرية القديس الذي انت
نقرأ سيرة حياته في هذا المجلد تعيين اليوم الذي فيه تصنع الكنيسة
اللاتينيه المقدسه تذكاره فهذه هي علامه لك في ان الكنيسة
الجامعه شرقا وغربا اي الكنيستين اللاتينيه واليونانية
تصنعان تذكاره معا في ذاك اليوم عينه المحررة فيه
سيرته ضمن هذا المجلد لا في يوم
اخر غيره

* بسم الاب والابن والروح القدس *
الاله الواحد امين

* شهر كانون الثاني *

اليوم الاول منه

وفيهِ نعيد لتذكار ختانة ربنا والهنا يسوع المسيح بالجسد *
ثم لتذكار ابينا الجليل في القديسين
٥ باسيليوس الكبير رئيس اساقفة الكبادوك ٥

اولاً ان الله قد كان رسم على ابراهيم اب الاباء شريعة الختانة كانها علامةٌ وختمٌ لاختصاص شعبه تعالى . مأمرًا بان كل الذكور المتسلسلين من نسل ابراهيم يُختنون في اليوم الثامن من مولدهم . كما قد تموا ذلك كرسم هذه الوصية الالهية * ثم انه عزَّ وجلَّ قد جدد هذه الشريعة بواسطة موسى على كل الشعب الاسرائيلي تحت قصاص استيصال كل نفس لاتحفظ هذا العهد فمن ثم اذ كان سيدنا يسوع المسيح مولوداً بالجسد من نسل ابراهيم قد اراد هو ايضاً في اليوم الثامن من مولده ان يختتن . وبواسطة اهراق جزءٍ من دمه الكريم في هذا اليوم اعطى كنيسته عربوناً عن الدم الزكي الذي كان عتيداً ان يسفكه من اجلنا الى اخر نقطة في الامهِ وموتهِ على عود الصليب . مخضعاً ذاتهُ بنوع عجيب لشريعةٍ قد وُضعت منه تعالى على عبيده الخطاة وبالتالي لم يكن مخلصنا بوجهٍ من الوجوه اصلاً ملتزماً بحفظها . اذ انه هو المشترع الشرايع وهو ابن الله بالذات وهو القداسة المحضة والمقدس كل الاشيا

ثانياً فالختانة الجسدية المامور فعلها على العبرانيين هي رسم ختانة القلب الروحية حسما يُعلِّم الرسول بولس * فلهذا اذ كان سيدنا يسوع المسيح بواسطة ختانته الجسدية وباستحقاقاته قد اعتقنا من ثقل هذه الوصية ومن نير الوصايا الموسوية الطقسية كافةً . فيريد منا ان نحفظ الختانة الروحية اي ان نحسم من قلوبنا كما يقول الرسول المذكور عينه اميال اللحم الغير

المرتبة وان نميت الامنا الشهوانية . وان لا نعيش بحسب روح العالم الفاسد . ولا بموجب الانعطافات الدنسة بل بحسب الروح وبموجب تعليم الانجيل فهذه هي ختانة المسيحيين الحقيقية . وهذه هي العلامة الموضحة بني ابراهيم الاخصا . اي الذين يقتفون اثر ايمان ابراهيم ويرثون المواعيد التي وعده الله بها فمن دون هذه الختانة الروحية لا يصير لنا حق على تلك المواعيد اى على حق البنوة لله بالذخيرة وعلى حق الميراث السماوي * وهذه الختانة الروحية انما هي فعل الروح القدس باضافة الاعمال البشرية اليها حيث ان نعمة هذا الروح الالهي تساعد ضعفنا وتشفي امراضنا الروحية . لكي يمكنا ان نباشر هذه الختانة التي لا تنتهي في يوم واحد نظير الختانة الجسدية بل تصاحبنا ما دمنا احيا بالجسد . بنوع انه يمكن القول ان حيوة المسيحي على الارض هي ختانة روحية متصلة باستعماله الاماتات وقهر الالام بمنزلة سكين بها يقطع جرثومة الاميال والانعطافات الشهوانية والانفعالات الدنسة *

ثالثًا ثم انه في اليوم الذي فيهِ اقتبل مخلصنا الختانة بالجسد وبفعل الختانة عينه قد وُضع له اسم وهو يسوع الذي يعني المخلص . كما قد اوضح ذلك من قبل الله الملاك بخطابهِ مع الكلية القداسة مريم البتول ومع القديس يوسف الخطيب . مفسرًا لهما مفعول هذا الاسم اى لانه كان مزمعًا ان يخلص شعبه من خطاياهم ۞ فنحن اذًا قد خلصنا من اسر الخطيئة والشيطان القاسي بقوة هذا الاسم الذي يجثو لهُ كل ما في السماوات والارض وما في الجحيم ايضًا . كما اننا بقوة هذا الاسم الكلي القداسة نرجو ان ننال خلاص انفسنا الابدي لان القديس بطرس هامة الرسل يقول في سفر الابركسيس ان الله لم يمنح البشر اسمًا اخر غير هذا الاسم به يمكنهم ان يخلصوا * فاسم يسوع هو رجاونا جميعه وهو مجدنا كله . ولهذا يجب علينا الا نلفظه بافواهنا الا بالاحترام والعبادة المحقين لهُ وبروح الخضوع ومعرفة الجميل فيقول القديس برنردوس . ان اسم يسوع هو احلى من العسل والشهد على اللسان واشهى ما يوجد من عذوبة النغمات كلها على السماع وابهج من جميع المفرحات على القلب . اذ يملاه من التعزيات والتهليل والسرور حتى فيما بين المصايب والنكبات عينها * وهذا الاسم هو مخيف مريع للشياطين الذين يُغلبون ويُقهرون ويُطردون بقوته . واخيرًا هذا الاسم الكلي القداسة يجلب الخلاص لكل اوليك الذين يستغيثون بهِ بايمان حي ويتكلون عليه ويحبونه مرتسما في قلوبهم بواسطة الحب الحقيقي *

رابعًا ومن حيث انه في هذا اليوم تبتدي السنة الجديدة نظرًا الى التاريخ المسيحي وهو راس السنة الذي كان الوثنيون يدنسونه بكل نوع من العبادات الباطلة والاحتفالات الوثنية * فالكنيسة الجامعة التي فيهِ تعيد لختانه سيدنا يسوع المسيح بالجسد ولتكريم تسميته تعالى باسم يسوع . تريد ان تذكّر بنيها بالالتزام في انهم يبتديون بالسنة الجديدة بتقدمة ذواتهم واعمالهم وتصرفاتهم لله . وتخصيصها لعبادتهِ * فيقول الرسول الالهي . ان اكلتم او شربتم او مهما عملتم فاصنعوا ذلك كله باسم يسوع المسيح لتكريمه ومجده (قرنتية اولى ١٠ . ٣١) * فاذًا يجب علينا ان نتمم هذا الالتزام الذي من اوجه عديدة يوجب فينا الانعطاف نحو مخلصنا المحبوب في الغاية . ولنقصد في هذا اليوم ان نبتدي بسيرةٍ مسيحية حقيقية . ونثبت فيها مع نعمة الله في السنة الداخلة وفي جميع الايام الباقية من حياتنا * وبواسطة معونات مخلصنا يسوع المسيح نضاعف فينا يومًا فيومًا خوف الله والنمو في الفضيلة والحب نحوه تعالى . حتى بعد نهاية ايام حياتنا هذه الوجيزة ننتقل الى اليوم الابدي المغبوط في السعادة السماوية . حيث نتمتع بحقايق القواعد التي عرفناها من قبل الايمان . وما صبونا نحوه وانتظرناه من قبل الرجا . وما اسسنا عليه اعمالنا الصالحة من قبل المحبة * ويمكننا ان نقول مع المرتل . كما سمعنا كذلك راينا فى مدينة رب القوات وفي بيت الهنا * وحينيذٍ نتحقق فعلاً ما اخبرنا به الرسول المصطفى . بانه لم ترهُ عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشرى ما اعده الله للذين يحبونه *

* سيرة القديس باسيليوس الكبير *

اولاً ان العناية الالهية المدبرة الكاينات بالحكمة الغير المتناهية (يقول القديس غريغوريوس نيصص) قد اوجدت دايمًا في كل . من الدهور رجالاً مملوين من الروح القدس ومتصفين بتلك الاختصاصات الضرورية والمواهب السامية التي يمكنهم بها ان يعالجوا الامراض الروحية والافعال الفاقدة الترتيب التي تصدر زمنًا بعد زمنٍ فيما بين المومنين في كنيسة يسوع المسيح بواسطة خباثة الشيطان وهواجسهِ المضرة . ومن ثم حينما كانت الارتقة الاريوسيه تسبب في كل مكان من العالم في الجيل الرابع هلاكًا للانفس * وكانها كانت منتصرة لاجل تاييدها من قبل بعض الملوك * فالباري تعالى بعد ان اوجد في الاقاليم المصرية القديس اثناسيوس الكبير ضد هذه الارتقة . قد اوجد ايضاً في بلاد

الكبادوك القديس باسيليوس العظيم الذي ظهر نظير المصباح المتقد في ظلام الضلالات ليقود بضيايه التائهين الى المحجة المستقيمة *

ثانيًا فكان مولد هذا القديس في سنة ٣٢٩ في مدينة قيسارية الكبادوك من عيلة جليلة ومعتبرة فيما بين متقدمي الاقليم المذكور ليس نظرًا الى تلك الصفات فقط التي تجعل عيلةً هذه حالتها محترمةً ومكرمةً وجليلةً لدى اعين البشر . بل ايضًا وبنوعٍ اخص نظرًا الى الفضايل وعمل البر . الامر الذي يبان انه كان نظير الميراث المخلف من الاباء الى البنين في هذه العيلة المباركة * فالقديس فاسيليوس والقديسة اميليا كانا والدى القديس باسيليوس نفسه . واما القديسة ماكارينا جدته امر ابيه فهذه قد اتخذت على ذاتها عنايةً خصوصية في ان تربيه بالتقوى والفضايل وبموجب تعليم الكنيسة الكاثوليكية * واما والده القديس فاسيليوس فقد درسه العلوم الفلسفية باتقانٍ . وتلك وهذه قد شاهدا في زمنٍ وجيز ان اثمار تعاليمهما قد ظهرت في ابنهما باسيليوس بنوعٍ سامٍ في القداسة والعلوم . حتى انه كما يقول القديس غريغوريوس نيصص قد فاق بذلك على اشخاص العيلة كلها *

ثالثًا فبعد ان تعمق هذا القديس في المبادي الفلسفية والعلوم الطبيعية التي اخذها من والده قد ذهب الى مدينة قيسارية فلسطين ليكمل هناك الدرس * فعن كيفية سلوكه في تلك المدينة بالتقدم يومًا فيومًا في القداسة والعلوم يكفينا ان نسمع ما كتبه القديس غريغوريوس النزينزي في الخطبة الجليلة التي القاها في مدح هذا القديس اذ يقول هكذا . انه يجب على اوليك الذين كانوا يعلمون هذا القديس ويرشدونه بل كانوا هم انفسهم يستفيدون منه ان يكتبوا عن مقدار عظم الاستحقاق الذي كان له عندهم وعما اكتسبه من المحب والاعتبار لدى معلميه وعند شركاه في الدرس * فقد كان يظهر عظم حذاقة فهمٍ كانت تفوق سنه جدًا . ولكن الامر الاعجب من زيادة جودة عقله وعلمه الفريد قد كان ثباته في المناقب المفضلة وحسن الاداب والخصال الحميدة . بنوع ان صفاته الفاضلة والتقوية لم تكن الواحدة انقص من الاخرى في الكمال * فالخطبا المعتبرون كانوا يحسبونه الاول فيما بينهم . وذلك قبل ان يكون درس تحت ايديهم ما يخص هذا النوع من الفلسفة * واما الشي الذي يجديه اوفر مجدًا هو انه قد كان يعتبر من الجميع كحبر عظيم . وذلك قبل ان يكون ارتسم بالدرجات المقدسة * فدرس الفصاحة لم يكن لديه سوى فضيلةٍ وزيادة

البراعه. من حيث ان درسه الاول والاساسى كان ان يرشد ذاته في واجبات الفلسفة الحقيقية وان يتعلم ان يكره العالم لكي يتحد مع الله ويكتسب الخيرات الراهنة الابدية بواسطة الخيرات الزايلة الباطلة. وان يربح السما بواسطة الارض *

رابعا ثم بعد ذلك قد مضى القديس باسيليوس من قيسارية فلسطين الى القسطنطينية التي اذ كانت راس مدن المملكة. فمن دون ريب كان يوجد فيها اخص فلاسفة الاقاليم والمدن واشهرهم * فالقديس في مدة ليست بمستطيلة قد اكتسب من اوليك الفلاسفة هناك اجود ما كانوا يعرفونه من العلوم في الوقت الذي فيه عينه ربح الحب والاعتبار نحوة من الجميع. حتي من الوثنيين انفسهم كما يبان مما كتبه له فيما بعد ليبانيوس الفيلسوف الوثنى الذايع الصيت قايلاً. «انى كنت اعتبرك واحترمك جداً منذ سن صبوتك لسبب «اني كنت اجد فيك من ذلك الوقت تهذيباً جليلاً ورصانة وعوايد صالحة كاملة التي «انما توجد فى الانام الشيوخ المتقدمين جداً في العمر. والذي كان يملاني منك انذهالاً «اعظم هو مشاهدتي اياك متصفاً بالقناعة وقهر الالام والانتصار على الاميال الطبيعية في «مدينة متملكة مملوة من اجناس الملذات وانواع التنعمات» * وبعد ذلك قد ذهب هذا القديس من القسطنطينية الى مدينة اثينا التي كانت وقتيذ تُعد من الجميع بمنزلة كرسى لجميع العلوم * فالقديس بعد ان اعتبر في المبادي حال تلك المدينة لاسيما تصرفات اكثر الشبان الدارسين التى لم تكن توافق فضايله قد كره الاقامة هناك واعتمد على السفر * غير ان القديس غريغوريوس النزينزي الذي كان هو احد الدارسين في اثينا. وقد كان ابتدا ان يوسس مع القديس باسيليوس تلك الصداقة واتحاد القلب الشديد قد اقنعه بعدم السفر. وهكذا تلك المودة التى لم يكن موضوعها فيما بينهما الا الله والفضيلة قد كانت يوماً فيوماً تزداد اتحاداً من دون نقصان او تغيير في كل ازمنة حياتهما. وكانت افادة هذه الصداقة لهما ولغيرهما عظيمة *

خامسا وهوذا اخص ما حرره عن هذه الصداقه الثابتة والمتبادلة من الجهتين القديس غريغوريوس النزينزي عينه اذ يقول: «ان الاشيا جميعها قد كانت فيما بيننا مشاعة غير «متميزة. وقد كنا ساكنين في منزل واحد ومغتذين على مايدة واحدة. من حيث ان «ارادتنا كانت واحدة. وشدة حبنا نحو الله متساوية * فالعلوم التي هي الموضوع الاخص في

«العالم للغيرة والحسد لم يمكنها ان تسبب شيا من ذلك فيما بيننا وان كانت هي الغاية التي
«كلٌ منا وجد هناك من اجلها . ومن حيث ان كل واحدٍ منا كان يحتسب مجد رفيقه كانه
«مجده الخاص فلهذا كان كلٌ منا يجاهد لا لكي ياخذ الغلبة على الاخر بل ليطرح اسلحته
«امامه * * فنفسٌ واحدة كانت تدرب جسدين . وعملنا الوحيد وغاية اجتهادنا القصوى
«كانا اكتساب الفضيلة ومن ثم كنا نبذل العناية في ان نعيش بسيرةٍ تجعلنا مستحقين سعادة
«الدهر العتيد الذى اذ كان هو موضوع اعمالنا فهكذا كنا نوجه نحوه تصرفاتنا جميعها . فقايدنا
«ومدبرنا في هذه الطريق لم يكن الا شريعة الله . وكان احدنا يحرض الاخر على اتقان
«الفضايل . وبالاحرى لولا خوفي من ان ازل بحركة المجد الباطل لكنت اقول ان كلاً
«منا كان لرفيقه قانونا وفريضة لكي يعرف ان يعتمد على صنيع ما هو مستقيم وصالح وان
«يبتعد متجنبا عما ليس هو كذلك . ثم لم نكن نتداخل بمعاطاةٍ ما مع احدٍ من ارفاقنا
«الدارسين الذين لم يكونوا مهذبي السيرة ولا ذوي خصالٍ حميدة . من حيث اننا كنا
«نعلم جيداً عظم سهولة العدوة من رزيلة الغير والاقتداء بها . وبالخلاف توجد الصعوبة
«في اقتنا الفضيلة اكتسابا من الغير . فسلوكنا لم يكن يميل عن احدى هاتين المحجتين
«فالطريق الاولى منهما والاهمّ لدينا كانت تلك التى تقودنا الى الكنيسة والى المعلمين الذين
«وجدوا فيها . واما السبيل الثانية فكانت تلك التي بها نقيد ذواتنا نحو معلمينا الفلاسفة .
«ولم نكن نسير في الطريق الثالثة التى تبلغ المفترجات المشاعة والمتنزهات والاجتماعات في
«الاعياد النفاقية وما اشبه ذلك . بل كنا نترك هذه الطريق للدارسين الاخرين الذين
«بذواتهم كانوا يسيرون فيها . اذ اننا كنا مقتنعين بانه لايجب ان نباشر شيا ما على
«الاطلاق اذا وجد خاليا من الافادة التى تجدينا تهذيباً واتقاناً لحسن سلوكنا . وقد كان
«مجدنا الاخص وافتخارنا الاعظم واهتمامنا الاوحد في ان نُدعى مسيحيين لا بالاسم فقط بل
«بالفعل والحقيقة ايضاً » *

سادسا فمدة اقامة القديس باسيليوس في مدينة اتينا ونجاحه الفريد في الفضايل والعلوم قد صير اسمه كريماً ونابعاً ليس في بلاد اليونانيين جميعها فقط بل في الاقاليم الخارجة عنها ايضاً . كما يشهد بذلك القديس غريغوريوس المار ذكره * لانه حيثما كان يوتي بذكر اتينا فهناك كان يوتي بذكر باسيليوس ايضاً بالمديح * واما الامر الاعجب من ذلك يقول القديس

غريغوريوس نيصص فهو ان باسيليوس ولين كان بلغ الى قمة العلوم المدنية الفلسفية حتى انه لم يكن يجهل منها شيئاً بل فاق بجميعها على الاخرين * فمع ذلك قد كان رفيقه السري الذي اتحد بهِ منذ الاقماط ولم يفارقه اصلاً حتي الممات درس الكتب الالهية والهذيذ المتصل بها والتعمق في معانيها والانعكاف الدايم على مراجعتها * وهذا الامر هو الذى ساعده وقواه على ان يكون بعيداً من النفخة العالمية والمجد الباطل . وعلى ان يهرب من الرغبة الغير المرتبة في ان يكون من عظما هذا الدهر بل بالحرى قد صيره ان يرفض هو وصديقه النزينزي كل رفعةٍ عالمية مع الاشيا الزمنية كافةً وان يكرسا علومها وانعابها ونجاحاتها الروحية والعلمية لخدمة سيدنا يسوع المسيح فقط . متفقين معاً على ان يعيشا جملةً في مكانٍ ما بالوحدة والانفراد لعبادة الله وحده * ولكي يتما ذلك قد اعتمدا بعد مدةٍ من الزمان على ترك مدينة اثينا راجعين كل منهما الى وطنهِ لتدبير هذه القضية * فالقديس باسيليوس قد سافر قبل القديس غريغوريوس من اثينا في اخر سنة ٣٥٥ ورجع الى قيسارية الكبادوك . حيث راى ذاته ملتزماً بان يقبل ما التمسه منه اهل وطنه في ان يدرس الى مدة من الزمان علم الفلسفة . ففي بحر هذه المدة قد ارسل اليه شعب مدينة قيسارية الجديدة قصاداً من اخص اشراف المدينة يتوسلون اليه في ان يحضر الى مدينتهم ويتخذ على ذاته تدبير حسن تربية الشبان * غير ان القديس لم يقبل ان يباشر عملاً هذه صفته لاسيما لان شقيقته القديسة ماكرينا قد ابذلت جهدها في عدم قبول ذلك خوفا على نفس اخيها * لانها كانت تشاهد ان المدايح والتقريظات والنعوت السامية التى كانت الناس تصفه بها قد حركت فيه نوعا ما يقال في الكتاب المقدس . ان العلم ينفخ . ولهذا قد اقنعته في ان لاعاد يتعاطى العلوم البشرية الا باضافتها الي تلك الحكمة التي هي بكليتها الهية . كما كانت هي اي القديسة ماكرينا تهتم باتقانها دون غيرها *

سابعا وقد كتب القديس باسيليوس عن نفسه هكذا قايلا . « انى حينيذٍ قد استيقظت « كانه من نوم عميق . وتاملت جيداً في نور الانجيل العجيب وعرفت كم هى باطلة حكمة « روسا هذا الدهر واضاليله التي تنتهى سريعاً . واذ ندبت حياتى الشقية فكنت اتوق الى « ان اجد لي دليلاً ومرشداً يقودني الى الطريق المستقيمة والي العبادة الحقيقية . وقد كان « افتكارى قبل كل شى في ان اضع ترتيباً لعوايدى وتهذيباً لاعمالي التي قد انحرفت عن المحجة

« الامينة من قبل مخاطباتي ومعاطاتي مع المعوجين . ومن حيث اني قرات مايذكره الانجيل « بان الواسطة المبلغة الى الكمال هي ان يبيع الانسان كل شي يملكه ويوزعه على الفقرا « والمحتاجين . وان يجرد ذاته عن الاشيا المختصه بهذا الدهر ولا يترك قلبه ان يتعلق بشي « من التعليمات . فقد كنت من ثم ابتغي ان اجد انسانًا ما سالكًا في هذا السبيل او يريد « ان يعتنق سيرة هذه صفتها لكي يمكني ان اتحد معه مجتازًا بحر هذا العالم المختبط والممتلى « من العواصف » * فلاجل ذلك خرج القديس من قيسارية الكبادوك وذهب الى بر مصر والى بلاد فلسطين ثم الى بلاد بين النهرين . وقد حصل على التعزية في ان يشاهد كثيرين في قفار هذه البلدان من السواح والمنوحدين الذين هم نموذج القداسة الحي * حسبما كان هو يرغب * فهناك قد اختبر ليس من دون انذهال عيشة اوليك النساك القشفة فى الغاية القصوى ومباشرتهم عمل اليد من دون ملل ومثابرتهم على الصلوات من غير فتور . وهناك قد شاهد رجالاً ابطالاً متسامين على احتياجات الطبيعة كافة ومنتصرين على ذواتهم وحاوين الروح متراسًا على كل الانعطافات الحسية وعلى الامال نحو اشيا هذا الدهر * وكانوا يحتملون الجوع والعطش والعري وشدة البرد والاسهار المتصلة من دون ان يهتموا باجسادهم ادنى اهتمام . وبهذا كانوا يعلّمون كلاً من المسيحيين ما هي حقيقة الانسان المتغرب في هذه الارض . وكيف يجب عليهِ ان يتامل حال كونه مدنيًا في الملك السماوي وطنه الحقيقي * فهذا المشهد قد جرح قلب باسيليوس بسهم الحب نحو اعتناق هذه السيرة الفاضلة مقتفيًا اثر نموذجات تلك الفضايل المسيحية اللامعة *

ثامنًا غير ان العذوبة الاحلى من الشهد التي شعر بها باسيليوس في مفاوضته مع اوليك النساك الابرار قد امتزجت بمرارة الغم . عند تحقيقه ما آلت اليهِ حال كنايس البر المصري مع سيريا من التغييرات والانقسامات والدثار الروحي المسبب من الارائة الاريوسيين * فالاساقفة والاكليروس الجليلون والسامون في الفضايل والغيرة على حفظ وديعة الايمان غير منثلمة قد تُهموا تهمات باطلة وقُبض عليهم وطُرحوا في الحبوس وأُطهدوا بقساوة * فحينئذٍ القديس خوفًا من انه يشترك بخطايا اجنبية اذا لم يقاوم ويمانع جرى تلك الشرور بمقدار ما كان ممكنا لديه قد الف الكتاب المدعو الادابيات وفيهِ اوضح سندًا على اقوال كثيرة مقتطفة من الكتاب الالهي ما هي الاشيا التي يلزمه ان يصنعها ذاك الذي يريد ان

يسير في الطريق المودية الى الحيوة الابدية . وما هي الاشيا التي يلتزم بان يحيد عنها . ثم شرح ايضا بهذا التاليف ما هي التزامات كل من الدعوات والمهن والوظايف وما هي صفات المسيحي الحقيقي لاسيما الاساقفة . ومن حيث ان هذا القديس كان مقتنعاً بان الشرور جميعها انما تصدر من قبل تجاسر البشر واعتدادهم بذواتهم في ان يبعدوا انفسهم عن الرسوم والفرايض الموضوعة من الله في كتبه الالهية * فلهذا قد جمع في تاليفه المذكور تلك النصوص المقدسة الملاحظة هذه الموضوعات حتى يمكن لكل احد ان يجدها بسهولة ويتاملها ويسلك بموجبها وبذلك يخصم اصل الشرور *

تاسعاً ولان القديس باسيليوس في اسفاره التي بها جال تلك الاقاليم لم تكن نيته ان يشاهد اوليك النساك المتوحدين ويتحقق فضايلهم فقط . بل ان يضعها بالعمل ايضاً * لهذا عند ما رجع الى وطنه قد اعتمد على ان يجد له مكانا منفرداً يتوحد فيه هو ايضاً . فبعد الفحص عن ذلك قد اختار لذاته محلاً بعيداً عن كل احد في حرش غير مسلوك عند ذيل احد الجبال محاطاً بوديان عميقة جداً * واما العيشة المقدسة التي باشرها في تلك السياحة فهذه يمكننا ان نفهمها مما حرره هذا القديس عينه لصديقه القديس غريغوريوس عن التزام من يكون منفرداً عن العالم عايشاً في الوحدة اذ يقول له هكذا : « ان الخروج من العالم « الي الانفراد ليس قايماً بان يكون الانسان بعيداً جسدياً عن كل احد بل انما هو فتوح « ميدان متاجرة النفس مع الجسد من دون ان يكون له فكر او اهتمام لا في مدينة ولا في « اهل واقربا ولا في امتعة وموجودات ولا في اشتغالات واعمال مدنية اصلاً . ثم ان « المرء يلزمه ان يتناسى جميع ما كان تعلمه من البشر ليكون بذلك مستعداً ومتاهباً لان يقتبل « من الله الارشادات الروحية الالهية . فاهتمام الراهب والسايح انما هو ان يجتهد في ان يماثل « الملايكة مبتدياً يومياً بتلاوة التسابيح والمدايح لله الخالق منذ الصباح ومثابراً على الصلوات « من دون ملل » * فكان هذا القديس هو اول من سلك بموجب ما حرره . لانه كان عايشاً في حال فقر شديد ملزماً ذاته بالاكتفا من الكسوة بثوب واحد وعبا ومن القوت بالخبز والماء والملح وبعض حشايش . لابساً على عراه المسح الخشن ليلاً كيلا يعلم بذلك احد ممن كان يزوره . واما مفرشه فلم يكن سوى الارض على الحضيض من دون ان يستم او يستدفي على الاطلاق *

عاشرًا فالقديس غريغوريوس النزينزي قد ذهب عند صديقه القديس باسيليوس في مكان انفراده المذكور واقام عنده يعيش واياه بذاك النوع مدة ليست بوجيزة منعكفين على تلاوة الكتاب المقدس وعلى التامل في تفاسير فحواه ومعانيه . ليس على مجرد رايهما . بل بحسب ما كان فسره قبلهما الابا القديسون . سندًا على التقليدات الرسولية . مباشرين عمل اليد معًا كنقل الصخور وكسح بعض اشجار الحرش ونصب غرساتٍ جديدة وفلاحة بعض قطع من الارض * ومكان سكناهما كان حسبما يذكر القديس غريغوريوس عينه بيتًا نظير الاسطبل الضيق الحقير من دون اغلاق لنوافذه وبابه بل مخضع لحرارة الشمس ولدخول الامطار اليه ولاخطباطات الاهوية والطقوس السنوية * وما عدا القديس غريغوريوس قد ذهب الى تلك النواحي عددٌ ليس بقليل من الرجال وانفردوا يعيشون بالوحده بالقرب من القديس باسيليوس ليستفيدوا من نموذجاته الفاضلة ويتبعوا ارشاداته الخلاصية بنوع انه اي القديس قد اضطر الى ان يعمر ديرًا به يقبل من كان ياتي اليه ويعيش واياه تحت تدبيره بعيشةٍ مشاعة وباتحادٍ كامل ۞ وهكذا كانوا ساهرين ومجتهدين في اكتساب الكمال المسيحي متغايرين ومحترصين ومعتنين الواحد نحو الاخر في ان يقتفوا الفضايل السامية ويتاصلوا بها * وقد الف القديس باسيليوس لهولا الرهبان تاليفات مختلفة الانحا حاوية تلك الارشادات والرسوم والفرايض الملايمة لحسن السلوك الرهباني ولبلوغ الغاية التي من اجلها تركوا العالم ليتمسكوا بطريق الكمال * وهكذا صار هو الموسس الاول للمعيشة الرهبانية المشتركة ليس فقط في اقليم البنطس والكبادوك . بل ايضًا في اقاليم اخر كثيرة * لان قانونه وفرايضه قد أُتبعت رويدًا رويدًا من جميع الرهبان الشرقيين وسلكوا بموجبها في كل اوانٍ واينٍ . وقد امتدت الى بلاد الغرب ايضا واعتنقها كثيرون من الرهبان *

حادي عشر ثم بعد مدةٍ من الزمان اي سنة ٣٦٢ قد التزم القديس باسيليوس بان يترك مكان انفراده ويحضر الى مدينة قيسارية الكبادوك عند اسقف تلك المدينة ديانا وس الذي قد كان مرض المرض الاخير وطلب من القديس المذكور (الذي كان منفصلاً من شركته . لسبب انه كان بجهلٍ ومن قبل الخوف احرى مما بضلالٍ ضد الايمان ختم على صورة امانة مجمع دميني الاريوسية) . ليرشده فيما كان يجب عليه ان يصلح به غلطه قبل ان يموت * حيث دبره هذا القديس بكل ما لزم . وهكذا قد توفى وأُنتخب خليفة له

اوسابيوس الذي كان رجلاً عالميا متقدما في الوظايف المدنية * غير انه كان متصفا بمناقب حميدة ومستقيم الايمان . فهذا لكي يحصل على من يساعده في حمل اثقال سياسة تلك الابرشية قد رسم القديس باسيليوس كاهنا . من دون التفات الى جميع النوسلات الحارة والممانعات القوية التي استعملها القديس ليرفض قبول هذه الدرجة * فيقول القديس غريغوريوس النزينزي : « ان باسيليوس قد ارتسم في درجة الكهنوت ليس نظير اوليك « الذين اذ لم يكونوا بعد درسوا العلوم اصلاً ولا اقتنوا الفضيلة نراهم في يوم واحد قد « استحالوا كانهم قديسون وعلما ونشاهدهم مرتقين الى الكراسي الاولى في الكنيسة من دون ان « يكون لهم استحقاق اخر سوى الفخفخة والمجد العالمي * الذين فيما بعد يحتقرون الاخرين الاحكم « والانجب والاعلم والافضل منهم . كان علو مقامهم على الاخرين وسمو شرف وظيفتهم « يهبهم علما وقداسةً وحكمةً * فلم يكن باسيليوس بهذا الروح . على انه قد كان قبلاً روّض « ذاته في كل نوعٍ من الفضايل التي تاءملت فيه . وكان اضمر جميع اهوايه وامات الامه « وشهواته وكان اكتسب علوما عميقة وجليلة سامية في ان الاشيا . من دون ان يحتسب « ذاته مستحقا ان يُقتبل في الوظايف والدرجات الكنايسية حتى ولا بدرجة قاري » * فبعد ان اقتبل القديس باسيليوس درجة الكهنوت قد حرر من دون تاخير رسالةً الى صديقه القديس غريغوريوس . (الذي كان هو ايضا قبل بمدةٍ أُلزم بقبول هذه الدرجة) . بها اخبره بذلك حيث اتاه منه الجواب حاويا من الجملة هذه الالفاظ اذ يقول له : « اهكذا « اذا انت ايضا قد أُخذت وأُلزمت كما جرى بي . فهوذا اثنانا قد ارتقينا الي درجةٍ لم « تكن بالحقيقة لدينا موضوع الافتخار . وكلٌ منا يمكنه ان يشهد للاخر بانه لم يكن لدينا شي « احب واشهى من ان نباشر ما يخص فلسفتنا في حالٍ متضعة ومخفية ومهملة ومنساة من « البشر . ولكن من حيث انه جرى بنا ما جرى فيلزمنا ان نطيع خاضعين » *

ثاني عشر فالشيطان عدو السلام من حيث انه استحوذ عليه الحسد من الخير الذي كان يصنعه في ابرشية قيسارية الكبادوك هذا الكاهن الجديد اي القديس باسيليوس * فقد استعمل حيله الخبيثة حتي اوقع الانقسام فيما بينه وبين اسقفه اوسابيوس * الذي حسب شهادة القديس غريغوريوس النزينزي قد ترك ذاته في هذا الحادث ان يغلب من الالام البشرية فلا يعلم احدٌ ما هي العلة في الانقسام المومى اليه . ولكن يمكن ان يُظن ان ذلك

صدر من روح الغيرة لاجل ما كان يُعطى للقديس من الخضوع والاحترام نظرًا الى فصاحته وعلمه . لاسيما لاجل فضايله * فالرهبان جميعًا الذين كانوا يعتبرون القديس باسيليوس نظير ابيهم ورييسهم . ومثلهم كثيرون من اساقفة الاقاليم الذين كانوا يحترمونه جدًا قد وجدوا محامين عنه . وهكذا قد سحبوا لرايهم جميع الشعب * غير ان القديس باسيليوس خوفا من حدوث الانشقاق قد ترك قيسارية وذهب صحبة القديس غريغوريوس الى البنطس . واخذ يدبر الرهبان الموجودين هناك في ديورة كانت أُقيمت حديثًا . حيث استمر في ذلك الانفراد مدة من السنين * ولكن حينما حضر الى قيسارية الكبادوك الملك فالنته الضال وبرفقته عدد من الاساقفة الاريوسيين الذين لم يكونوا يفارقونه قط . وبالتالي كان الامر محوجا لخير الكنيسة ان يوجد هناك القديس باسيليوس فاوسابيوس قد غير من قلبه تلك المرارة ضد القديس وحرر له رسالة بها يطلب رجوعه اليه . وهذا لم يتاخر حالاً عن الذهاب الى هناك كي يحامي عن الايمان المستقيم ويعضده * فالملك فالنته قد ابذل كل جهده في ان يجذب القديس الى حزب الاريوسيين مستعملاً نحوه تارة التوعدات والتهديدات وتارة المواعيد في ان يكون حايزًا نعمته وانه يقدمه الى اعلى مرتبة في الكنيسة غير ان القديس الذي كان بعيدًا عن ان يصير ذاته ان يُطغى او يخاف . فقد اظهر للملك ضلاله علانية وانه كان يلزمه صنيع التوبة والرجوع الى الطريق المستقيمة . وانه عنيد ان يتكبد نتايج مظالمه ضد الكاثوليكيين ان لبث مصرًا على غلطه * فعلى هذه الصورة لما غُلب الملك والاساقفة الاريوسيون من براهين القديس وعذوبة الفاظه وحسن ثباته قد خرجوا من قيسارية . من دون ان يسببوا ادنى اهانة لاحد *

ثالث عشر فبعد ذلك قد استمر القديس باسيليوس في قيسارية مقدمًا لاسقفه تلك الخدمة النصوحة في جميع ما كان يقدر عليه من المشورات الصالحة والاعانة الكلية في سياسة تلك الابرشية . التي تحت صفة كونها اكسارخية قد كانت جميع مدن الكبادوك والبنطس مخضعة لها من دون واسطة * فهذا القديس هو الذي كان يتكلم مع الولاة بحرية انجيلية . ومثلهم مع كل المتقدمين في الوظايف * وهو الذي كان يصلح امور المتخاصمين . ويبدد كل علة للانقسام . وهو الذي كان يعتني بالفقرا والمساكين في احتياجاتهم الروحية والزمنية * وهو الذي كان يهتم في قبول الزوار والغربا ويرتب لهم الامكنة اللازمة . ثم

يلاحظ ما يخص الرهبان والبتولات ويدبرهم ويرشدهم * ولكن الحب الشديد والشفقة قد تلالبا فيه بنوع خاص سنة ٢٧٠ في حدوث الجوع والغلا في قيسارية الكبادوك وفي كل المدن والبلاد التي تليها * فاولاً لاجل غيرته وتوسلاته وتحريضاته قد صيّر الاغنيا ان يفتحوا خزاينهم واهراهم لاسعاف الاخرين . ثانياً كان يجمع كل اوليك الذين كان صيّرهم الجوع كالمنازعين المدنفين على الموت * وكان بذاته يوزع عليهم الحبوب المطبوخة مع اللحوم مقيتاً بها اجسادهم . ولم يكن يدعهم ان ينصرفوا خلواً من ان يقيت انفسهم بارشادات روحية *

رابع عشر ثم انه في السنة المذكورة عينها اي سنة ٢٧٠ قد انتقل من هذه الحيوة اوسابيوس اسقف قيسارية . ومن ثم اكليروس الكاتدرا حسب العادة قد انفذوا رسايل الى اساقفة الاقليم جميعهم يدعونهم بها لحضور الي قيسارية لاجل انتخاب الاكسارخوس اي الاسقف الجديد * فالقديس غريغوريوس اسقف نزينزوس والد القديس غريغوريوس النزينزي اذ لم يمكنه الحضور لهذا الاجتماع من قبل تقدمه في الشيخوخة قد حرر رسالة لاكليروس قيسارية بها يورد لهم فيما بين الاقوال الاخر هذه الكلمات قايلاً . «انا لارتاب اصلاً في «انه يوجد في مدينة قيسارية العظيمة التي حصلت دايما على رعاة معتبرين اجلا . اوليك «الاشخاص الكثيرون المستحقون ان يرتقوا الى هذا الكرسي الرياسي ◎ ولكن مع ذلك «لايمكني ان افضّل احداً منهم على ولدنا العزيز الكاهن باسيليوس . لان المذكور (كما انني «اقول امام الله) هو رجلٌ طاهر السيرة والسريرة ومستقيم الاراء . وهو الوحيد او قل ما «يكون الاعظم من الاخرين في محاماته عن الايمان . والذي يمكنه ان يضادّ الارتقات» *

ثم لما عرف القديس غريغوريوس المذكور ان انتخاب القديس باسيليوس لكرسي قيسارية الرياسي كان متوقفاً على وجود صوت اخر في ذلك لمعاضدة الحسنى الراي وتاييدهم . قد حضر الى هناك مغتصباً ذاته في حال شيخوخته والامراض التي كانت معتريته . محتسباً ان خير الكنيسة هو افضل من حياته عينها . وهكذا قد تم الانتخاب قانونياً وارتسم القديس باسيليوس اسقفاً لكنيسة قيسارية الكبادوك وكل اقليمها . بفرح جميع المستقيمي الايمان وبغم جميع الارانقة *

خامس عشر فرجا كل المنتخبين مع الرعية الراسخ عندهم في هذا القديس قد كمل فعلاً

لانه قد زين بالحقيقة تلك الكاتدرا بقداسة سيرته وبسمو فضايله وعلمه . لان تواضعه العميق كان يصيّره ان يحتسب ذاته احقر الجميع . ومحبته المتقدة كانت تجعله ان يجتهد بكل قوته في اسعاف المحتاجين من رعيته بالروحيات والجسديات . وسهره ضد الضلالات لم يتركه ان يمل اصلاً من مقاومة الارتقات وملاشاة الاراسيس من بين خرافه ليُحفظ من الجميع الايمان الكاثوليكي غير منثلم * ثم ان هذا القديس لم يتغير اصلاً عما كان عليه قبلاً نظرًا الى شخصه اي انه لبث عايشًا بذلك الفقر عينه وبتلك الاصوام والتقشفات ذاتها وبالصرامة النسكيَّة نفسها التى كان استسار بموجبها لحد ارتقايه الي سمو رياسة الكهنوت * على ان عدد الخدام في داره الاسقفية قد كان قليلاً حتي انه مراتٍ كثيرة لم يكن يوجد عنده ناسخ لتحرير ما كان يلزم نسخه . كما انه كان ينقص من عنده ذاك الذي كان يخصه ان يوزع اوراق التنبيهات على الغير * ومع ان مداخيل كرسيه كانت غنيةً فمع ذلك كان يعيش بحال الفقر الكلي حتى يوزع المداخيل جميعها على الارامل والايتام والمعوزين والمساكين ثم يمكننا من قبل ناليفه المختص بتفسير ستة ايام تكوين الخليقة ان نفهم بسهولةٍ عظم مواظبته على توزيع كلام الله على رعيته بالمواعظ مرتين في كل يومٍ . احداها غلسًا عميقًا لاجل الشعب الواطي قبل ان يذهبوا الى صنايعهم التي منها يكسبون قوتهم اليومي وثانيتهما في النهار * ثم انه يبان من احدى رسالاته كيفية العادة الحميدة التي ادخلها في رعيته وكنيسته اذ يقول هكذا . « ان الشعب ينهض ليلاً ويحضر الى بيت الصلوة قبل الفجر . وهناك كلٌ من الرعية « يصنع امام الله اعترافه بندامةٍ وتوجع حقيقي وباحتشامٍ وعبادةٍ واحترامٍ وبتيارات من « الدموع . وبعد الصلوات يبتديون بترتيل المزامير منقسمين الى خورصين كي يرتل « الواحد ويجاوبه الاخر * ولما يشرق الصبح فحينئذٍ جميعهم كانهم من فمٍ واحدٍ وقلبٍ واحدٍ « يرتلون مزمور التوبة نحو الله . وكل واحدٍ منهم يعلن عظم التوجع والتاسف على كونه « اغاظه تعالي » . ثم يوضح هذا القديس في رسالةٍ اخرى (بعد ان يصف العوايد والاعمال التقوية السالكة في كنايس مختلفة فيما يخص تناول سر الافخاريستيا) كيفية العادة الجارية في كنيسته بتناول السر الالهي في اربعة ايام في كل سبةٍ وهي الاحد والاربعا والجمعة والسبت * واما في ايام الاثنين والثلثا والخميس فكان يصير تناول هذا السر الاقدس اذا اتفق في احدها تذكار شهيدٍ ما من القديسين الشهدا *

سادس عشر فالخيرات الروحية والبركات السماوية التي بواسطة اهتمام هذا القديس وحسن سياسته الرسولية كان يهبها الله لكنيسة قيسارية . قد كان يشترك بها كلٌ من كنايس الابرشية في الكبادوك جميعه . من حيث ان هذا القديس مع ضعف جسمه كان يفتقدها ويزورها بذاته مرات كثيرة * ولم يكن يكتفي بان يرشد شعبه ويدبره بواسطة الصوت الحي بالخطب والمواعظ فقط . بل كان يتم ذلك بواسطة المناشير الرعائية ايضاً * من حيث ان اهتمامه الاخص وعنايته الفائقة الملل صودفت على الدوام متجهةً نحو خلاص انفس رعيته . حتى انه لكان قدم حياته ذاتها فدية عن كلٍ من تلك الانفس كي ينقذها من الهلاك لوراي ذلك ضرورياً * وقد وجد لهذا القديس ميل خصوصي نحو الرهبان لانهم كانوا مثابرين على حفظ قانونه بكل تدقيق * ومن حيث ان كثيرين منهم قد اضحوا ليس فقط ذوي سيرة مقدسة بل ايضاً بارعين في العلوم . فمن ثم كان هو يعد المصاف الرهباني كانه الجزء الاشرف فيما بين رعيته * وقد كان يحوى عنده في قيسارية على الدوام البعض منهم متذكراً بمشاهدته اياهم عظم التعزية واللذة التي كان يشعر بها حينما اصرف ايامه الاولى في الوحدة والانفراد . متشوقاً دائماً للرجوع اليها * وقد شفي غليل اشواقه نوعاً سنة ٢٧٥ بذهابه الى الدير الذي كان شيده في البنطس . حيث مكث فيه مع الرهبان مدةً من الزمان *

سابع عشر غير ان اهتمامات وظيفته الرعائية قد الزمته بالرجوع الى قيسارية . لاجل انه كان انفتح له ميدان جديد للمحاربة عن الايمان الكاثوليكي * على ان الملك فالانته المجذوب على الدوام نحو حذب الاريوسيين قد اراد ان يلزم الاساقفة الكاثوليكيين بقبول اساقفة حزبه في شركتهم * فالقديس باسيليوس بواسطة عظاته ورسالاته وتحريضاته ومثله الحي قد صيّر اعتماد الملك المذكور واجتهاده في هذا الشان ان يذهب سدىً * ولذلك اراد هذا الملك ان يذهب بذاته الى قيسارية كي يبذل كل ما عنده من العناية في ان يجتذب القديس المذكور للرضا بهذه القضية . لعلمه انه اذا ملك اربه في استمالته اياه لهذا الراي . فاكثر الاساقفة الكاثوليكيين كانوا يجازون اليه * غير ان الملك قبل ان يصل الى قيسارية قد سبق وارسل امامه موداستوس ريس البريطوريين الرجل النبيه والماهر في التدابير * فهذا بلغ الى قيسارية وطلب ان يحضر القديس باسيليوس لمواجهته ◎ واذ اتى اليه قد

قبله بكل كرامة واحترام . وبعد ذلك لما انفتح الخطاب عن سبب حضوره الى قيسارية *
قال القديس هكذا ، ماذا تظن انك تصنع . والى متى انت عايش هكذا في ابرشيتك نظير
المنفى . فانت حاوٍ من العلوم اجودها ومن حسن التدابير افضلها . ولهذا انت محترم
مكرم من الناس . فالملك يتكلم مراتٍ كثيرة في صالحك . ولين كان يوجد له سبب عادل
بالا يكون منشرحًا من تصرفاتك . فترى ماذا لكان يتم لو انك تستعمل قليلاً من التساهل
والعذوبة نحوه . مع ان هذا التنازل يتكلف عليك شيئًا زهيدًا . لان الاساقفة الاوفر
حكمة قد امضوا اسماهم فيما به تكمل ارادة سيدهم وسيدك المطلق . فلماذا تبقى انت وحدك
غير مطيع ، * فالقديس اجاب عن ذلك قايلاً : ان ملكي ينهيني عن ذلك اذ انني قد
خُلقت من الله ودُعيت منه الى ان اصير على نوعٍ ما كاني الهٌ . فلا يمكني ان اسجد لشيء
مخلوق ، * قال له موداستوس . فاذًا ماذا تحتسبنا انت ، * فاجابه القديس . انني
احتسبكم كلا شي حينما تامروني باوامر هذه صفتها ، * فالوالي اعطف كلامه مع القديس
قايلاً . انك اذا وافقت ارادة فالنته فلا تنقصك الوظايف العلياء لافي ديوان المملكة
ولا في الكنيسة . أما تحتسب شرفًا لك ان ترتقي الى مقام وظيفة نظير وظيفتي ، * فاجابه
القديس . انني احتسب شرفًا حال كوني نظيرك من حيث انك انت وانا خليقة الله . غير
ان هذا الشرف اعنده مساويًا في الرتبة لحال كوني نظير اخر واحد من الشعب وادناه .
على ان سمو مقام الوظيفة ليس هو الذي يشرف الامانة المسيحية الحقيقية بل ايمان الانسان
المستقيم هو الذي يشرفه . فانت ربما تتصور بانه في جبل مفسود كمثل هذا الجبل لايلتزم
رجل وزير اعظم نظيرك بان يتعب ذاته ليكتسب رجلاً لاتوجد عنده اسلحة يحامي بها
عن نفسه الا رسوم الالتزامات التي تعتدها وهمية فاعلم اذًا ان هذه الالتزامات هي حقيقية
ولا يمكن لاسقفٍ ما ان يعفي ذاته منها اذا اراد ان يخلص نفسه . اما نظرًا اليَّ فانني
اوضح واعلن باني لااريد ان اهلك نفسي لكي ارضى خاطر الملك . وابلغ من ذلك
كثيرًا لايمكن ان افعله لكي احصل على وظيفة ما كنايسية علياء . لان استقفيتي هذه هي
زايدة عليَّ . ولو كان جايزًا لي ان اتنزل عنها لكنت فعلت ذلك في هذه الدقيقة .
واما نظرًا الى العلوم والنباهة التي مدحتني عنها او بالحري هزات بي من اجلها . فان كنت
اقتبلت منها شيئًا من الله لاينبغي ان اتصرف به الا فيما يجديني خلاصًا ويفيد ابرشيتي نجاحًا

« فانا اعترف عن نفسي باني جاهل جداً في التصرفات المملقة والمزخرفة السالكة في العالم
« الدني . من حيث اني لا افتخر في اني مدبر مملكة . لان الله لم يفوضني باهتمام اخر سوى في
« ان ادبر الانفس التي استودعنيها وبان احفظ الانجيل جيداً واكرز به بتدقيق وهذا انما
« هو حال كوني اسقفاً *

ثامن عشر فهنا موداستوس قد احتمى غيظاً ومعاً انذهل من ثبات القديس الفاقد التزعزع وقال له هكذا : « ان الملك قد صنع لك شرفاً ليس بقليل . ولكن من حيث ان حلمه « الملوكي ما امكنه ان يستفيد منك شيئاً فيلزمك الان ان ترهب من حكومته ومن غيظه « منك » * فاجابه القديس : « لماذا يلزمني ان ارهب وما هو الشي الذي يخيفني » * فقال له الوزير : « يمكنك ان تخاف من ان توخذ عنك الموجودات والحرية وتُسلب منك الحيوة « عينها » * فاجابه عن ذلك القديس قايلاً : « ان هذه التهديدات توثر فيَّ قليلاً واعتدها « كلا شي . فمن ليس عنده شي لايمكن ان يخاف من اخذ الموجودات . ونظراً الى المنفى « فلا اعلم اين يكون غير اني لست متعلقا بالحب نحو مكان دون اخر * لان الامكنة التي « في المسكونة كلها بالنسبة اليَّ هي منافي . وان كنت تغلق عليَّ في سجنٍ ما فانا اقطن هناك « باوفر الرضا بنوع اعظم من رضا اكابر المملكة حينما يوجدون مرافقين الملك وقاطنين « معه . واما نظراً الى العذابات الاخر التي تتهددني بها فاين تريد ان تباشرها بالعمل . « فانا حاصلٌ على جسدٍ ضعيف لايمكنه ان يحتمل شيئاً من هذه العذابات . ولذلك « لا تبلغ بي سلطتك مفعولها سوى بالضربة الاولى . وهي كافية لموتي الذي اعتبره نعمةً لي « وسعادةً من حيث انه يرسلني سريعاً الى تملك المشاهدة الطوباوية بالنظر الى وجه الهي . « الامر الذي هو الموضوع الوحيد لاشواقي ومرغوباتي . وهو الغاية القصوى لجميع اعمالي « وحياتي عينها ۞ فالوزير عند سماعه هذه الاجوبة بهت متحيراً وهتف صارخاً : « اني ما سمعت « قط انساناً يتجاسر على ان يجاوبني بحرية هذه صفتها » * فهنا القديس اعطاه جواباً عن ذلك قايلاً : « انه ربما لم يتفق لك حتى الان الالتزام بان تتكلم في قضية كذا مع اسقفٍ ما « فلو انه صادفك هذا الظرف لكنت سمعت من اي اسقفٍ كان الشي نفسه الذي سمعته « مني اذا اضطر الى ان يحامي هو عما انا احامي عنه » * فحينئذٍ الوزير قال له : « هوذا انا « اعطيك مهلةً هذه الليلة كلها كي تتامل الحقايق وتعتمد على نوعٍ من الاثنين » * فاجابه

القديس : « انني نهار غدا ساكون نظير ما انا اليوم كاينٌ من دون تغيير *

تاسع عشر فاذاً مودستوس علي هذه الصورة قد فارق القديس وسافر حالاً راجعاً عند الملك واخبره قايلاً : « ياسيدي اننا غُلبنا . لان باسيليوس هو فايق على المواعيد وعلى « التوعدات . ولا يمكن ان يومل منه تغيير الا بالاغتصاب » * غير ان الملك ما سمح اصلاً بان تُستعمل ضد القديس اهانة او اغتصاب ما . بل بالحري قد حصل عنده اعتبار كلي لثبات باسيليوس واحترام عظيم لفضايله * ومع انه لم يعتمد على رذل ضلاله . فلم يتاخر بعد ان دخل الى قيسارية عن ان يذهب الى كنيسة القديس في عيد الغطاس لكي يحضر طقس الفروض الالهية * فدخل الكنيسة محاطاً من القواد ومن حفظة جسمه . وشاهد هناك الشعب الكاثوليكي مجتمعاً * وعندما سمع اصوات تراتيل المزامير المتفقة النغمات الشجيَّة ولاحظ حسن عبادة الشعب الغفير وكيفية وجوده في المعبد الالهي بذاك الاحترام والخشوع والهدو . وتامل حسن النظام والترتيب الكاين محفوظاً بالتدقيق من كل في وظيفته . واعتبر حال وجود الكهنة في الخورصين والهيكل كانهم مليكةٌ لا بشرٌ . وشاهد القديس باسيليوس لدى الهيكل الملوكي بجسمٍ غير متحرك وبنظرٍ محدقٍ بالمايدة الالهية على الدوام وبروحٍ مرتفع عن الارض ومتحد مع الله . ونظر باقي الخدام الانجيليين محيطين بالقديس بذاك الورع وتلك الاهابة والعبادة . فهذا المشهد الجديد بالنسبة الى الملك قد املاه من الاندهال والابتهاج معاً وابهر حدقتيه وخطف منه التعقل حتي كانه عاد خارجاً عن ذاته * ففي البداية لم يشعر احد بما حصل للملك من المفاعيل الباطنة والخارجة . ولكن حينما بلغ الوقت الذي فيه حسب العادة يذهب الملك نحو المذبح ليقدم قربان الذكرانية . وهو مضى الى هناك ولم يرَ احداً من الكهنة مرتضياً بان يتسلم من يده التقدمة . فما عاد يعلم ان كان حينما يبلغ الى المذبح ويقدمها للقديس هل انه يقبلها ام لا * فمن ثم استحوذت عليه طياشة الراس وابتداء ان يعثر بمشيه . ولكان انطرح في الارض ساقطاً سقطةً عظيمةً لولا ان يسرع احد الكهنة ويضبطه بيديه ضبطاً قوياً *

العشرون فهذه الظروف كلها كانت تعطي الجميع املاً وافراً في ان الملك يستمر محترماً القديس باسيليوس ومكرماً اياه . او قل ما يكون لا يضطهده * غير ان الاريوسيين الذين كانوا محيطينه قد رجعوا وامتلكوا روحه بسهولة . واقنعوه بان يرسل باسيليوس الى المنفى

ولكن في تلك الليلة عينها التي فيها كان تهيأ كل شيء للقبض على القديس ولاخذه الى المنفى قد مرض ابن الملك الوحيد الذي كان له من العمر ست سنوات بحمى قتالة انذرت بقرب موته . والملكة شاهدت في الحلم اشيا مخيفة مريعة قد ازعجتها جدًا * فالملك عندما ظن بالصواب ان هذه الحوادث انما كانت صادرة من قبل الاهانة المباشر فعلها ضد هذا الراعي الجليل . فحالاً ارسل اليه مقدمي المملكة يتوسلون لديه في ان ياتي ليزور ابنه المريض * فالقديس لم يتاخر اصلاً عن اجابة مطلوبهم . وحالما دخل عند الطفل قد حصل فيه فرق كلي وانتعش * ولكن حينما سمح الملك للاريوسيين بان يعمدوا الطفل . قد مات حالا * فالملك عندما شعر بهذه الضربة من يد الله قد تصلب قلبه قاسيًا . واهمل ذاته ان يخدع جديداً من الاريوسيين وان يعتمد على ارسال القديس الى المنفى * وهكذا قد احضر الوزير للملك صك الحكومة بنفي باسيليوس ليمضيه بخط يده * الا ان القلم قد انكسر حالاً في يدهِ قبل ان يحرر به اسمه . واذ اخذ قلما ثانيًا فهذا ايضًا انكسر ومثله القلم الثالث . واضيف الى ذلك ان يد الملك اخذها الرجفان والرعشة * فحينئذٍ انتبه لذاته ومسك الصك فخزقه ونقض امره السابق . وهكذا ترك القديس في كرسيه بسلامٍ *

الحادي والعشرون فعلى هذه الصورة قد اتخذ القديس من حصوله من الملك على الحرية والسلام الفرصة في ان يحارب بابلغ نوع ليس الارائقة الاريوسيين فقط بل اوليك الذين كانوا تمسكوا بضلال مكدونيوس ايضًا . مقاومًا اياهم بشجاعةٍ غير منغلبة ومناضلاً ضد بقية الاراسيس الاخر المناقضة حقايق الايمان التي كانت تُزرع من المضلين في زمانهِ * وكان يرشد ويوطد في الاراء المستقيمة ليس رعيته فقط بل الكنيسة كلها في كل مكان بواسطة تاليفاته الجليلة . في الوقت عينه الذي فيه لم تترك الارائقة من جهدها جهداً في مقاومة القديس بانواع عديدة . وفي انهم بحيلةٍ ما او بخداعٍ او بصنفٍ من الاصناف يمكنهم توقيف مناضلاته ضدهم * غير انهم لم ينالوا من ذلك شيئًا . لان ثبات هذا الغيور على الايمان قد كان فايقا على كل خباثة ووعدٍ ووعيدٍ * ثم ان الباري تعالى لكي يمتحن صبر عبده البار قد ارتضى بان يُضاف الى اتعابه وجهاداته الرسولية حصوله معتريًا من امراض جسدية ثقيلة ومختلفة الانواع . حتى انها بلغت به الى ضعفٍ كلي * فحينما بعد ذلك قد تحقق بالهامٍ الهي ان نهاية حياته قد دنت . فوقتيذٍ قد اجتهد برسامة البعض من تلاميذه اساقفة على

تلك الكراسي المخصصة له ليلا تجد الارائقة بعد وفاته سبيلا لادخال احد منهم في تلك الكراسي * وهكذا بعد ان اعطى الارشادات اللازمة لكل اوليك الذين كانوا في خدمته والمختصين به قد رقد بالرب بسلام وهو قايل هذه الكلمات : « يارب في يديك استودع روحي » . وكان ذلك في مثل هذا اليوم اي في ١ كانون ٢ سنة ٣٧٩ * فتقاطر الشعوب من كل ناحية الى احتفال دفن جسد القديس قد كان بهذا المقدار عظيما . حتى ان اشخاصا كثيرين قد غشوا من شدة الازدحام الذي به كل انسان يرغب ان يتبارك بمسه طرف اثوابه او المرتبة التي كان مصمودا عليها جسمه * واما الندب والبكا والنحيب الذي كان يسمع في الكنيسة من الشعب على فقد راعيهم فقد كان يغلب على اصوات المرتلين . حتى ان اناسا كثيرين من الامم ومن اليهود ايضا قد ندبوا وفاته بدموع . بل ان اقطار الارض قد انتحبت لفقدها هذا المحامي الفريد عن الحق والمعلم الجليل للكنيسة الجامعة والركن المتين للوحدة والسلام *

فهذا القديس قد دعي بكل صواب باسيليوس الكبير . اذ انه هو احد عواميد الكنيسة ونموذج القداسة الحي واحدى المنارات المضية التي اقامها الله في كنيسته الجامعة لكي ينير بها المومنين ويرشدهم في كل نوع من الفضيلة * لان تاليفاته قد وجدت في الكنيسة الكاثوليكية كلها نظير معدن المعادن الثمينة الحاوية الارشادات والتعاليم والحقايق والبراهين والتفاسير والنموذجات المقتدرة ان تفقه كل احد ونقوده الى الخلاص من كل جنس وسن وقامة ووظيفة ودعوة * اما سيرة حياته فهي مثال الكمال لكل فرد من المسيحيين * على ان الشبان يمكنهم ان يجدوا في تصرفات هذا القديس حينما كان في سن الصبوة والشبوبية ما يدربهم ويعلمهم كيف يجب عليهم ان يسلكوا ليحفظوا ذواتهم غير منفسدين من خداعات هذا الدهر الدنسة . ويصونوا نعمة الله التي هي الكنز الذي لا ثمن يوازيه . واوليك الذين هم في سن الرجولية يستطيعون ان يكتسبوا من كيفية حيوة هذا القديس لحد ارتسامه بدرجة الكهنوت ما يصيرهم ان يعيشوا كمسيحيين حقيقيين * اما الخدام الانجيليون ومصاف الرهبان فيقدرون ان يجعلوا نوع العيشة التي تصرف بها هذا البار في مدة حياته الرهبانية وفي درجة الكهنوت ايضا مراءة صقيلة بها يشاهدون حقايق التزاماتهم لتكميل واجبات دعوة كل منهم ان كانت الكهنوتية او الرهبانية * واما روسا

البيعة بطاركة او اكسرخيين او روسا اساقفة او مطارنة او اساقفة . فانهم يجدون في نوع تصرفات هذا الراعي النبيل الانوار الساطعة التي يمكنها ان ترشدهم الى اتمام ما تطلبه منهم اثقال خدمتهم الرسولية . بنوع يفيد نجاحًا وخلاصًا للانفس المسلمة لرعايتهم ثم الى ما به يقدسون ذواتهم هم انفسهم * فلنغتنم اذًا جميعنا الافادة لانفسنا من نموذجات القديس معلم الكنيسة باسيليوس العظيم . ولنواظب المطالعة في تاليفاته الجليلة لاسيما في تلك المدعوة الادابيات الحاوية التعاليم الكلية النقاوة الغير المخترعة من هوى النفس بل المقتطفة من الكتاب الالهي والمرتبة بروح الله الذى كان هذا القديس العظيم مملوًا منه *

* اليوم الثاني *

* وفيه تذكار القديس سلفستروس بابا رومية *

اولاً ان القديس سلفستروس هو مولود في مدينة رومية من والد يُدعى روفينوس ومن والدة تسمى جيوستا . التى هي ذايعة الصيت نظرًا الي فضايلها السامية * فهذه اذ ترملت حينما كان ابنها سلفستروس حدثًا قد اهتمت في حسن تربيته . وصيرته ان يدرس العلوم الفلسفية والحقايق الدينية بواسطة اهتمام كاهن تقي يُدعى كاربنوس . الذى كانت اقامته على ملاحظته * وقد حصل سلفستروس منذ صبوته متقدمًا بنجاح هكذا سامٍ في العلم والفضيلة حتي انه أُختير في ذلك السن اكليريكيًا في الكنيسة الرومانية . وبعد مدة قد رسمه الحبر الاعظم القديس مارجيالينوس كاهنًا * ثم لما اضطرمت نار الاضطهاد ضد المسيحيين سنة ٣٠٣ من الملكين دبوكلاتسيانوس ومكسيميانوس . وبهذا الاضطهاد نال اكليل الشهادة البابا القديس مارجيالينوس . فسلفستروس ايضًا تكبد به منعول القساوة البربرية . واظهر عظم شجاعته الغير المنغلبة بالمحاماة عن الايمان . من حيث ان المغتصبين كانوا يضطهدون بالوجه الاول خدام الانجيل * فاي نعم ان الدوناتيستيين الاشقيا قد تجاسروا على ان يهينوا اسم سلفستروس مع اسما كثيرين من كهنة الكنيسة الرومانية . مخترعين ضدهم هذه التهمة الكاذبة بانهم سلموا المغتصبين الكتب المقدسة . ولذلك كانوا يدعونهم بهذا الاسم المكروه اي خاينين الامانة * ولكن القديس اغوسطينوس يوضح تامله في ان اوليك المشاقين اي الدوناتيستيين كانوا من عادتهم ان يعطوا هذا الاسم الممقوت ويخترعوا هذه التهمة الباطلة ضد كل من لم يكن يوافقهم في ضلالهم من الكاثوليكيين .

وبالتالي كانت ناتجة من مجرد خباثتهم وروحهم المحرك من ابليس الذي كان مستوليًا عليهم وهكذا كانوا يثلبون خدام البيعة الكاثوليكية لكي يابدوا بقدر مكنتهم ضلال انشقاقهم *

ثانيًا فالفضايل التي كانت تتلالا في شخص القديس سلفستروس في خدمته الكهنوتية قد صيرته مستحقًا الارتقا الى السدة البطرسية * لانه حينما توفى الحبر الاعظم القديس ملكياده فالاكليروس مع الشعب الروماني بصوتٍ واحد واتفاق تام قد انتخبوه حبرًا اعظم خليفةً للراقد . قد ارتسم اسقفًا رومانيًا في ٣١ ك ٢ سنة ٣١٤ * فالاهتمام الاول الذي باشره بعد ارتقايه الى الكرسي البطرسي كان في ان يضم المشاقين المار ذكرهم الى وحدة الكنيسة * فهولا المشاقون قد كانوا قبل بمدة نحو ثمان سنين سببوا في بلاد افريقية ذاك الانشقاق المحزن . وقد كانوا رُذلوا في مجمعٍ منعقد في رومية من الحبر الاعظم القديس مكياده * غير انهم اذ كانوا يدعون في ان المجمع المذكور كان قليل العدد من الاساقفة وان براهينهم لم تُفحص فيه بتدقيق . فالقديس سلفستروس لكي يرفع من الوسط كل علةٍ يمكنها ان تسبب دوام انشقاق المذكورين قد ارتضى بان ينعقد مجمع في مدينة ارلس من مملكة فرنسا تحضر فيه جميع اساقفة بلاد الغرب ليفحصوا من جديد دعوى الدوناتيستيين ويحكموا عليها الحكم الاخير * وهكذا قد ارسل هو من قبله اربعة قصاد قد حضروا في هذا المجمع متراسين عليه نيابةً عنه * فهولاء القصاد كانوا من الاكليروس الروماني . وهم كلاوديانوس وفيتوس الكاهنان وايجانيوس وكيرياكوس الشماسان * وكان التيام المجمع المذكور في شهر اب سنة ٣١٤ عينها في مدينة ارلس حيث فُحصت دعوى الدوناتيستيين وأُعطي ضدهم من جديد حكم الرذل كمشاقين . ولين كانت أُعطيت التدابير الحاسمة لقبول من يرجع منهم الى الوحدة الكاثوليكية . كما قد تم الامر بكثيرين منهم الذين رفضوا الانشقاق * وقد ابرز هذا المجمع قوانين ملاية لحفظ نقاوة التهذيب الكنايسي ولحسن العوايد الصالحة *

ثالثًا ثم ان القديس سلفستروس في مدة جلوسه على الكرسي البطرسي التي هي احدى وعشرون سنةً واحد عشر شهرا قد حصل على التعزية العظيمة في ان يشاهد في زمن حبرويته استيصال عبادة الاوثان من الملك الروماني واخماد نيران الاضطهادات ضد الكنيسة وتاييد الايمان بالمسيح وانتصاره في كل العالم . بعد ان اعتنق الايمان الملك قسطنطين العظيم ورد السلام والهدو للكنيسة الجامعة * على ان اضطهاد ديوكلاتسيانوس ومكسيميانوس

المبتدي سنة ٣٠٢ حسب الراي الاثبت الذي استمر نحو مدة عشر سنوات . وكان هو الاضطهاد العاشر بالعدد الذي كان الاعظم ما سبقه * فهذا انتهى لما ارتضت العناية الالهية بايهابها نعمة الايمان للملك قسطنطين على هذه الصورة . وهي انه حينما ماكسانسيوس اختلس التخت الملوكي في مدينة رومية واستولى على اقاليم ايطاليا وغيرها . فقسطنطين ذهب بعساكره لمحاربته . واذ قرب من مدينة رومية قد ظهر له ولجميع عساكره في السما صليب ملتحف بالاشراق والاشعة المضية افضل من الشمس وبازايه محررة هذه الكلمات . «انك بهذه العلامة تغلب» . الامر الذي املا الجميع انذهالاً وخيفة * ثم في الليلة المقبلة قد ظهر في الحلم لقسطنطين يسوع المسيح نفسه بالنوع الذي شاهده في الرويا . مامراً اياه بان يضع هذه العلامة على سناجق عساكره وبيارقهم . وبذلك يحصل على الانتصار من دون ريب * فقسطنطين قد تمم ما أُومر به مبطلاً من رايات عساكره علامات الاوثان المستعملة قبلاً منه ومن سلفايه الملوك الكفرة . وراسماً عوضها علامة الصليب المقدس واسم يسوع الغالب الذي به قد انتصر على ماكسانسيوس وعلى جميع اعدايه الاخرين الانتصارات العظيمة * وهكذا قد اعتنق الايمان بالمسيح وانعم على خدام الانجيل بانعامات واختصاصات ملوكية . وحرض جميع رعاياه والمخضعين للملك الروماني على اقتفا نموذجه برذل الضلالات الوثنية وبالدخول في امانة المسيح الحقيقية * وقد منع وابطل بقدر ما كان ممكناً لديه جميع احتفالات العبادة الوثنية وذبايحها وهدم معابد الاصنام . وامر بقيام الكنايس المشاعة للمسيحيين في كل مكان لاسيما في مدينة رومية راس مدن المملكة . التي قد شيّد فيها فوق قبري القديسين بطرس وبولس هامتي الرسل كنيستين وهما كنيسة القديس بطرس الفاتيكانية وكنيسة القديس بولس في طريق اوستيانه * ثم كنيسة القديس يوحنا اللاترانية المدعوة ايضاً الكنيسة الملوكية القسطنطينية . وغير هذه ايضاً * فامر واوضح هو ان القديس سلفستروس لم ينقصه في ظروف هذه صفتها ان يوطد قسطنطين في واجبات الايمان الذي اقتبله وان ياصل فيه حقايقه . مرشداً اياه الى حفظ الناموس الانجيلي والكنايسي فقط * بل انه ايضاً قد حرضه على ملاحظة احوال الكنيسة والديانة في كل مكان . مصدراً للاوامر الملوكية الملايمة لهذه الغاية كما قد اكمل ذلك قسطنطين فعلاً في ازمنة وامكنة مختلفة *

رابعًا غير ان تعزية القديس سلفستروس وسروره وابتهاجه بانتصار الديانة وبابادة عبادة الاوثان وباخماد الاضطهادات التي اقلقت الكنيسة مدة ثلثة اجيال . قد امتزج بحزن ليس بقليل لاجل الارتقة الاريوسية التي زرعها الشيطان في حقل الكنيسة الجامعة وحرك بسببها حربًا جنسية فيما بين المسيحيين انفسهم باتعاب كلية واضرار باهظة للانفس . على ان اريوس الكاهن الشقي الاسكندري قد ابتداء ان يقذف من احشايه الدنسة سنة ٣١٩ السم القاتل ضد الوهية الكلمة الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس . باذرًا زوان هذه الارتقة بحيل وخداعات شيطانية . ليس في الاسكندرية والاقليم المصري فقط . بل في اقاليم الشرق الاخر ايضًا . بنوع انه في زمن وجيز قد امتد هذا الطاعون واتصلت عدوته الى البعض من الاساقفة ايضًا . الذين كان الاول والمتقدم فيهم اوسابيوس النيكوميدي * فهذه الارتقة ولئن كانت منذ بداية اشتهارها قد حُرمت من القديس الكسندروس البطريرك الاسكندري وبعده من مجمع مولف من ماية اسقف من الاقليم المصري ومعًا قد حُرم مبدعها اريوس مع كل من تبعها . فمع ذلك كانت تمتد ويزداد المحامون عنها في امكنة عديدة * فمن ثم لكي يوضع عنان على امتداد هذا الشر ويتدبر الدواء القاطع لهذا الداء . قد نودي بالقيام بمجمع مسكوني عام سنة ٣٢٥ في مدينة نيقية من اعمال البتنية . حيث التيمت فيه اساقفة الكنيسة الجامعة شرقًا وغربًا * ومن حيث ان القديس سلفستروس راس الكنيسة الجامعة المنظور لم يمكنه ان يحضر بذاته في هذا السينودس العام من قبل شيخوخته فقد ارسل نيابةً عنه اوسيوس العظيم اسقف كوردبا وفيتوس وفنجينوس الكاهنين الرومانيين الذين باسمه قد تراءسوا على المجمع المسكوني المذكور . الذي حضر اليه ثلثماية وثمانية عشر اسقفًا مشهورون بالقداسة والفضايل والعلوم . وكثيرون منهم كانوا معترفين اى قد تكبدوا العذابات القاسية في ازمنة الاضطهادات السابقة من اجل الايمان بالمسيح * ففي هذا المجمع قد حُرمت تجاديف اريوس وتباعه . وتحددت قاعدة الايمان المستقيم نظرًا الى الوهية يسوع المسيح المساوى للاب في الجوهر . وتوالف قانون الايمان المدعو النيقاوى * وبعد ذلك قد حدد هذا السينودس التزام صنيع عيد الفصح السنوى في كل العالم وترتب عشرون قانونًا فيما يخص التهذيب الكنايسى *

خامسًا فالقديس سلفستروس قد عاش بعد المجمع النيقاوى مدة عشر سنوات أُخر

فيها قد سامس من دون ريب الكنيسة بتلك الغيرة الرسولية والاهتمام الرعايي والسهر والتيقظ . ولين كانت اعماله الخصوصية في هذه المدة لم توجد مسطرة في التاريخ الكنايسي بل اننا نعلم بتاكيد انه يورد عن هذا القديس انـه ابرز اوامر مختلفة فيما يخص التهذيب الكنايسي . وهي ان يحفظ من المرتسمين بالدرجات المقدسة الزمان الذي عينه لكل منها الواجب ان يمر من اقتبال درجة الي اخرى . وان الذبيحة الالهية لاتتقدم على الهيكل ان لم يوجد فوق المايدة المقدسة الغطا الكتان الابيض الذي هو رسم للسباني النقية التي بها دُرج جسد مخلصنا ووُضع في القبر . وان ايام السبة الكنايسية لاتُعد او تُعين باسما الاوثان كما كانت سالكة العادة لحد ذلك الاوان . بل ان تُسمى باسما العدد ما عدا نهار الاحد فيسمى يوم الرب . ونهار السبت يبقى باسمه الذى هو لفظة عبرانية تعني الراحة . وان الكهنة البسيطين حينما يمخون سر المعمودية لايدهنون المعمَّد منهم في جبهته بالميرون المقدس بل يكون ذلك خاصة الاساقفة الذين يستعملون دهن الجبهة بالميرون حينما يمخون سر التثبيت المقدس * فهذه الفرايض وما شابهها مما يلاحظ الطقوس والخدم توجد منسوبة للقديس سلفستروس . الذي بعد ان امتلا من الايام والاستحقاقات قد رقد بالرب بوفاة مقدسة حسب حيانه المملوة من الفضايل . وذلك سنة ٣٣٥ في اليوم الحادي والثلثين من شهر كانون الاول الذي فيه تصنع تذكاره الكنيسة اللاتينية *

فالملوك القياصرة ديوكلاتسيانوس ومكسيميانوس ثم غالاريوس ومكسيمينوس قد كانوا يظنون انهم يقدرون ان يبيدوا الاسم المسيحي من على وجه الارض بواسطة اضطهادهم الاخير البربري في مدة عشر سنوات . بها قد نال اكليل الاستشهاد عدد غير محصى من المومنين بالمسيح ضمن الملك الروماني جميعه الكلي الاتساع * غير ان ظنهم قد خاب بالكلية من حيث ان الديانة المسيحية قد نمت بالاكثر في هذا الاضطهاد احرى من ان تضعف * وقد تاَيدت وانتصرت في زمن حبرية القديس سلفستروس وتملك قسطنطين الكبير على الضلال الوثني الذى قد باد واضمحل شرقًا وغربًا . وفوق امكنة معابد الاصنام التي هُدمت قد تشيدت الكنايس لعبادة الاله الواحد الحقيقي ضمن امانة المسيح * وهذا جميعهُ هو مفعول صدق مواعيد مخلصنا يسوع المسيح بان ابواب الجحيم لايمكنها ان تقوى على الكنيسة . لان هذا الوعد الالهي العديم ان يكون كاذبًا . فكما انه قد تحقق في الاجيال السابقة بانواع كثيرة

ظاهرة محسوسة ووُجد موضوع التعزية للمسيحيين ووطدهم بابلغ نوع في حقايق الايمان فهكذا حسبما يقول القديس اغوسطينوس ان ذلك جميعه سيدوم الى انقضا الدهر . طالما الكنيسة لمحاربة على الارض توجد دايمًا مضطهدة تارةً من الغير المومنين وتارةً من الارائقة والمشاقين واحيانًا من الاخوة الكذبة انفسهم ففيما بين هذه المحاربات قد ارتضى الرب بان يقود مختاريه الى الملك السماوى * على ان الكتاب المقدس يعلمنا (يهوديت ص ٨ ع ٢٢) ان الذين قد اتحدوا بالرب واقتبلهم عنده فجميعهم قد اجتازوا فيما بين البلايا واُمتحنوا بالمصايب وثبتوا امنين نحوه تعالى : ثم اننا باحزان وشدايد كثيرة ينبغي لنا ان ندخل الى ملك الله ، (ابركسيس ص ١٤ ع ٢١) ۞ فاذًا لايجب ان يضعف رجانا حينما تنهض زوابع الاضطهادات وتزداد الشكوك وينمو الشر وتتضاعف البلبلات وعدم النظام . ان كان نحو الاشيا العمومية او فيما يلاحظ الحوادث الخصوصية * بل ينبغي لنا حينئذٍ ان نعش فينا حرارة الايمان . ونوطد الرجا . ونثبت متحدين مع يسوع المسيح . غير مرتابين فى حقايق انجيله المقدس * لانه تعالى بواسطة نعمته كما يقول القديس بطرس الرسول يقوينا ويجعلنا كاملين ويبلغنا الى مينا الخلاص الابدى *

* اليوم الثالث *

* وفيه تذكار النبي ملاخيا والقديس غوردیوس الشاهد *

اولاً ان القديس ملاخيا النبي وهو احد الانبيا الاثنى عشر الصغار بل اخرهم رتبةً . اذ لايوجد بعده احد من الانبيا قد حرر نبوة ما في كتاب العهد القديم المقدس . واما قبائله وسبطه ومكان مولده ونياحه وزمنها فهذه كلها هي غير معروفة بتاكيد ۞ فالكنيسة اللاتينية تكمل تذكاره في ١٤ ك ٢ * ومن حيث ان لفظة ملاخيا العبرانية تفسر ملاك الرب . فالبعض من الابا القديسين سموا هذا النبي ملاكًا . والمعلم اوريجانوس ارتاى انه كان حقًا ملاكًا متشحًا بصورة انسان * الا ان القديس ايرونيموس وغيره من القديسين قد رذلوا هذا الراي واثبتوا الخلاف . فمن ثم ان الاعتقاد العام هو انه كان انسانًا حقيقيًا وتنبا بعد مجي وزخريا النبيين عقيب نهاية عمار هيكل سليمان ثانيةً غب سبي بابل *

ثانيًا فاخص الاشيا المتضمنتها نبوة القديس ملاخيا المحتوية في اربع اصحاحات هي اولاً توبيخه الشعب اليهودي على خيانته ونكرانه الجميل والاحسان الذي به خصصه الله باتخابه

اياه بواسطة محبته ليعقوب ابى الاسباط ورذله العيس مع انهما كانا اخوين . ثانيًا تعنيفه الاغنيا على احتقارهم الفقرا . ثالثًا تقريعه المزوجين على طلاقهم نساهم بسهولة . رابعًا اظهاره شقاوة المجدفين على عناية الله وتعاستهم وشناعة اثمهم . خامسًا توبيخه اوليك الذين لايودون العشور الموجبة عليهم لله ولهيكله . سادسًا تعنيفه الشديد الكهنة على عدم حفظهم رسوم الشريعة الآمرة بتقدمة القرابين الكاملة . وانه تعالى يرذل ذبايحهم ومحرقاتهم المعيوبة . متنبيًا هذا القديس عن ذبيحة الافخاريستيا العتيدة ان تتقدم لله من مشرق الشمس الى مغربها الحسنة القبول لديه عزّ وجلّ . وبالاجمال ان نبوة رجل الله ملاخيا ووعظه وتنبيهاته وتوبيخاته المنافقين وتعاليمه المناقب الحميدة هي كلية الافادة لمن يتلوها بتان .

ثالثًا ثم انه قد تنبا بايضاح عن سر تجسد مخلصنا يسوع المسيح وعن اتيانه الاول الى العالم وعن العلامات التي تتقدمه وعن سابقه يوحنا . واخيرًا عن اتيانه تعالى الثاني في اليوم الاخير ليدين الاحيا والاموات مختتمًا اقواله بهذه الالفاظ وهي: هنذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل ان يجي يوم الرب العظيم والمخوف ويرد قلوب الاباعلى البنين . وقلوب الابنا على اباهم ليلا اني انا واضرب الارض بالحرم *

* سيرة القديس غورديوس *

اولاً ان القديس الشاهد غورديوس قد ولد في مدينة قيسارية الكبادوك قبل اواخر دهر الكنيسة الثالث . ومن حيث انه كان اعتنق الخدمة العسكرية فلاجل شجاعته وقوة جسمه ونجاحه في الحروب قد اكتسب اسمًا شايعًا * ولذلك قد ارتقى الى وظيفة قايد مية من العساكر الرومانية الامر الذي كان يُعتبر جدًا * فالقديس باسيلوس الكبير في ميمره الذي نلاه في مديح هذا الشاهد يشير الى انه في زمن الاضطهاد البربري العاشر قد اقيم في مدينة قيسارية المذكورة عدة من الاصنام الحجرية والخشبية وغيرها في ساحة المدينة . وكل من لم يكن يقدم لها العبادة الوثنية من المسيحيين . فكان بموجب الامر الملوكي يمات بعذابات قادحة * ومن ثم لم يعد يعلم الشعب المسيحي بماذا ينجي ذاته . فبحسب هذه القساوة الشديدة كانت توجد ايضًا اجساد المومنين مطروحةً في الارض كانها ضحية مشاعة . وبيوتهم منهوبةً وموجوداتهم مختلسةً . من دون ان يوجد من يشفق على الشبان . او يحترم الشيوخ او يغار على الارامل الذين كانوا يُعاملون كالاشرار * ثم ان الحبوس كانت مملوةً والمساكن الاعتيادية

فارغة . واما القفار والحراش فاصحت مسكنًا اعتياديًا لعددٍ عظيم من المسيحيين الهاربين اليها لجاية لحفظ ايمانهم . ليلا احدٌ منهم يفشل تحت العذابات . لان الاباكانوا يخاصمون على الابنا مقدمين عليهم الشكاية بانهم مسيحيون . ومثله الابنا ضد الاباء والاقربا ضد الاقربا . بنوع انه كان يبان ان الشيطان بهذا المقدار قد استولى على روح عبدة الاوثان وعلى بعض المسيحيين الساقطين . حتى انه فصل رباطات اللحم والدم وقلب انعطافات الطبيعة الاهلية الى البغضة *

ثانيًا فعندما شاهد هذه الحوادث القديس غوردبوس الذي كان مرتشدًا جيدًا في ديانة المسيح . قد اراد ان يبعد عن الخطر خوفًا من ان يحدث له ربما ضعف في الايمان اذا وجد فيما بين العذابات * ولهذا قد اهمل وظيفته وهجر علامات الشرف وتنعم العيشة والمجد العالمي . وانفرد باثواب رثة في القفار محتسبًا ان السكنى مع الوحوش افضل من مشاهدة تلك المظالم ومن المخاطبة مع الوثنيين * فبهذا الانفراد قد اقتفى اثر ايليا النبي الذي لما نظر نفاقات ازبال الملكة في عبادة الاصنام التي كان الكثيرون يوهطون ذواتهم بها . قد اهمل كل شي وانفرد في جبل خوريب في مغارة . وبذلك قد استحق ان يشاهد الله بقدر ما هو ممكن لانسانٍ ان يدركه * فالقديس غوردبوس بابتعاده عن ضوضا العالم وعن مخالطة المفسودين المنهمكين بالشهوات الاهلية . وبوجوده في الوحدة مواظبًا على الصلوات والتاملات الروحية قد نقّى عقله وطهّر لبّهُ واعد ذاته الى مشاهدة الله الحقيقية . متعمقًا ومتاصلاً في الايمان والرجا والمحبة * وقد حصل هناك على اعلانات الهية منها تعلم ماذا كان عتيدًا ان يصنعه *

ثالثًا لان هذا القديس قد شعر في تصرفه المذكور بكرهٍ كلي من الاشيا الزمنية وباشواقٍ مضطرمة نحو الحبوة الابدية * فبعد ان واظب في الوحدة بمدةٍ من الزمان رياضات الاصوام والتضرعات وقهر الذات وارتفاع العقل في الثواريا الالهية معدًا نفسه الى الجهاد من اجل المسيح بحسبما كان يرشده الروح القدس . اخذ ينتظر حضور ذلك اليوم الذي فيه كان عتيدًا ان يصير عيدٌ مشاعٌ في مدينة قيسارية للصنم مارثه او بالحري للشيطان اله الحرب حيث كان مزمعًا التيام شعوب عظيمة هناك من كل ناحية لاحتفال هذا العيد الاثيم الذى كانت تحضره الولاة والقضاة والمتقدمون في الوظايف مع جموعٍ غفيرة . التي كان يوجد

فيما بينهم اناس من المسيحيين ايضاً المتراخين في سيرتهم . الذين ما كانوا يخجلون من وجودهم في اجتماعات قايينية نفاقية رجسة مثل هذه * فاذاً بموجب الالهام الالهي الذي درب القديس غوردیوس . قد حضر هذا البطل الى مدينة قيسارية في اليوم المومى اليه وظهر امام تلك الشعوب الغير المحصاة . لا لكي يشترك معهم بذلك العيد بل ليوبخ نفاقاتهم ويمجد الامانة المسيحية باعتراف جليل . وهكذا نظير البار الشجاع المذكور في سفر الامثال . وكالاسد الضرغام هتف نحو ذلك المحفل صارخاً هكذا : « هوذا اني وجدت لدى من لم يفحص عني « وحضرت عند من لم يدعني » * وبهذا قد اقتفى القديس نموذج سيدنا يسوع المسيح الذي حينما لم يمكن لليهود ان يجدوه بسهولة من قبل ظلام الليل في بستان الزيتون . قد تقدم اليهم من تلقا ذاته واسلم نفسه بايديهم مختاراً * فالشعوب قد اخذهم العجب وانذهلوا جداً حينما شاهدوا غوردیوس الذي ولين كانت الاصوام والتقشفات الصارمة التي مارسها في مدة انفراده قد هذلت جسمه . فمع ذلك كانت نعمة الله وحرارة الايمان تصير وجهه مشرقاً مبتهجاً * فالاكثرون من الشعب قد صرخوا : « فليُمت غوردیوس » * ومن ثم قد أُحضر هو امام الوالي . الذي اخذ يفحصه عن اشيا كثيرة ويستمع اجوبته * وحينما ساله الوالي عن قضية تركه وظيفته وهربه ثم عن رجوعه بهذا النوع . اجاب غوردیوس قايلاً : « انني « قد رجعت الان الى ههنا كي اوضح علانية ان اوامرك ضد المسيحيين لا تهمني ولا ابالي بها « كوني اعترف بيسوع المسيح الذي هو قوتي ورجاي . ومن حيث اني سمعت عنك انك « الانسان الاكثر قساوة من كل البشر . فقد اعتقدت بالصواب بان هذا هو الوقت « الذي فيه انال مرغوبي » * فالوالي عند سماعه هذه الكلمات قد اشتعل غضباً . وامر بان تحضر حالاً مع الجلادين الات التعاذيب . وبان يُخن غوردیوس بعذاب الزيار . ويجلد بشدة من دون شفقة وبان يوتي بصليب وسيف . وبان تنهبا النار والوحوش * غير ان الشهيد لم يخشَ من هذه التهويلات بل كان يوضح انهم اذا انقصوا عنه شيأ من العذابات فيسببون له ضرراً في نقص الاجور السماوية . كونه يرغب ان يموت من اجل محبة المسيح . فيما بين اصعب انواع التعذيبات * فقد أُمتحن اذاً باشكال متعددة مخترعة من الوالي بقساوة كلية * واما الشاهد ففيما بين تلك العذابات رفع عينيه الى السما وهتف مترنماً « الرب عوني فلا اخاف مما يصنعه بي الانسان . فانا لا اخشى من هذه الشرور الزمنية .

«لانك انت يارب معيني» * واذ تقوى بهذا المقدار من نعمة الله . فليس فقط لم يمل او يتراخى عن ثباته بل بابلغ من ذلك قد تشددت قواه . واخذ يقول نحو الجلادين: «ما «بالكم متهاملين بوظيفتكم . ولماذا انتم هكذا ضعفا . مزقوا جسدي . فككوا اعضاي من «مفاصلها . عذبوني بمقدار ما تشاؤون . ولا تحسدوا عظم رجاي . على انكم بمقدار ما تزيدون «في الاوجاع والالام فباكثر من ذلك تسببون لى اضعاف المكافاة . لان هذه المفايضة «والتبادل الشرطي انما هو مصنوع من الله ۞ فالجراحات والتهشيمات والتمزيقات التي الان «تظهر في جسمي ستكون يوم القيامة العامة مكتسية بالضيا الساطع البها . وعوضًا عن «الاهانات والافترا والامتحانات سنظهر باكلة المجد وتيجان الانتصار . وبدلاً من الحبوس «والقيود سناخذ الفردوس موطنًا . ولاجل كوننا ندان مع الاثمة وتحصي مع الاشرار من «اجل الايمان سنحيي في الميراث الطوباوى برفقة المليكة . وهكذا مجموع ما تعذبوني به «سيكون لدىَّ نظير الزرع الجيد الذى ساحصد اثماره عدم الموت والتمتع بالملذات الروحية «الابدية» *

رابعًا فالمغتصب حينما راي ذاته لاينتفع شيأً من هذا جميعه . قد فكر في انه يخدع الشاهد بواسطة الكلام العذب * ولهذا اخذ يحقق له بانه سيهبه شرفًا ساميًا ويقدمه في الوظايف العلياء وينعم عليه بعطايا غنية ان كان يرفض يسوع المسيح * غير ان القديس كان يستهزي بذلك ويضحك منهُ . موضحًا للوالى خسافة عقله في انهُ يظن ان غوردیوس يمكن ان يفضّل هذه الاشيا الزمنية الباطلة على السعادة الفايقة الوصف التي اعدها له يسوع المسيح في السما فاذ انتهى خطاب الوالي مع القديس في ابراز حكومة الموت ضده فسماع هذا الحادث الغير الاعتيادي . اي قتل رجل شايع الصيت متقدم في الوظايف قد جذبت الشعوب كلها نحو المشهد العام . وكثيرون من اصدقايه اخذوا يقبلونه ويودعونه . والبعض منهم كانوا يترجونه في ان يتراخى قليلاً مع الوالي ليهدي غضبه . واخرون كانوا يقولون له هكذا: «ان «كنت لا تريد ان ترفض الديانة المسيحية فاحفظها في قلبك . واعتنق يسوع المسيح ضمن «لبك وانكره في فمك فقط . لان يسوع ينظر الى قلبك . وهكذا يمكن ان الوالي يروق «خاطره عليك» * ولكن القديس الشاهد قد كان نظيرا الصخرة العظيمة الغير المتحركة التي تلطمها امواج البحر من دون ان تزعزعها . وبالتالي لم يمكن ان ترخي ثباته هذه التمليقات

واذ كان ممتلئاً من النعم الالهية اخذ يقول لمن كانوا يرجونه الا يفرّط في شهوبيته ويبكون على فقده هاتفاً: «لاتبكوا عليَّ. بل ابكوا على اعدا الله الذين يزدادون يوماً فيوماً قساوةً «ضد المسيحيين. واندبوا اوليك الذين اذ يعدون النار لاجل حريقنا فيخزنون لانفسهم «الغضب والرجز ليوم الانتقام مع النار الموبدة. فلا تبكوا ايضاً ولا تحزنوا قلبي لاني انا «مستعد ليس لان اموت مرة واحدة فقط من اجل اسم يسوع بل الف مرة ايضاً. لو كان «ذلك ممكناً لديَّ» * وقد اجاب اوليك الذين كانوا يقولون له ان ينكر يسوع بفمه فقط قايلاً «: معاذ الله من اني انكر المسيح بهذا اللسان المخلوق منه. والذي انا امتلكته من قبل «جوده تعالى وخيريته. لاننا نحن نومن به بقلوبنا لاجل البر ونعترف به بافواهنا للخلاص. «اتراكم تظنون ان وظيفتنا الجندية هي خارجة عن رجا الخلاص. او هل انه ما وجد احد «فيما بين قواد المية دينا نقياً عابداً لله. فانا اتذكر جيداً في قايد المية الاول الذي كان «حاضراً تحت صليب مخلصنا. واذ اعترف بالوهيته من قبل العجايب التي شاهد حدوثها «وقتيذٍ قد اشهر اعترافه بها بازاء اليهود الممتلين غضباً وبغضاً قتالاً. وكانت ايديهم «بعد مخضبة بدمه» *

خامساً قال هذا جندي المسيح الشجاع غوردیوس. ورسم ذاته باشارة الصليب المقدس وتوجه نحو الموت بوجهٍ باش غير متلون * بل كان من دون خشية يسرع بمشيه حيث نال اكليل الشهادة وأُخذ من المليكة القديسين نظير ما اخذوا نفس لعازر المسكين الى حضن ابراهيم * وقد تم جهاد هذا الشاهد المجيد حريقاً بالنار كما يبان من ميمر القديس باسيليوس الكبير المختص بمديحه. الذي منه اخذنا جميع ما اوردناه انفاً * وكان نواله اكليل الشهادة في مثل هذا اليوم عينه اي في ٢٤ ك ٢ سنة ٣٢١. كما هو الراي الاثبت اي تحت ولاية ليكينوس قيصر *

فلنجتهدنَّ اذاً في ان نقتفي اثر هذا الجندي البطل ليسوع المسيح باستعدادات ثابتة على ان نظهر ايماننا بواسطة اعمالنا الصالحة نظيره. ثم بواسطة الصلوات والتاملات في كلام الله * فنعم نحن الان لا نوجد فيما بين عبدة الاوثان. ولكن مرات كثيرة نوجد فيما بين المسيحيين الاشقيا الائمة الذين يدرسون في ان يصيرونا ان نرفض لا اسم يسوع ولا الايمان بالمسيح. بل الاعمال الصالحة المسيحية والفضايل التي علمناها الانجيل الطاهر * وهي التي

توضح ايماننا وتعلنه فتلزمنا نعمة عظيمة لكي ننتصر على اعتبار البشر وعلى الاخذ بالوجوه. ولكيلا ننعدى من النموذجات الردية التي توجد فيما بين ارفاقنا واصدقاينا واهل العالم ثم لا ينقص ايضاً وجود اوليك الاشخاص الذين تحت حجج مبرقعة خبيثة يحرضونا على هجر شريعة الله. وعلى اتباع تعاليم روح العالم بدلاً من تعاليم يسوع المسيح * فهنا يلزمنا ان نقتدي بمثل القديس الشهيد غوردیوس اي بان نسلح ذواتنا ونقويها ضد هذه الفخاخ بواسطة الصلوات والابتعاد بقدر امكاننا عن معاشرة الاكثرين. وان نباشر الامانة وقهر الارادة * وهكذا يمكننا ان ننجو في حوادث تفاجينا بغتةً من ان نتهور في الضلال والعوايد السئية المفيدة الى الهلاك. ونفوز اخيراً بالنهاية الصالحة المبلغة ايانا الي حيوة الابد *

* اليوم الرابع *

* وفيه تذكارٌ جامعٌ للسبعين رسولاً والبار ثاوكتسيطوس *

اولاً ان القديس لوقا الانجيلي في الاصحاح العاشر من بشارته يخبرنا قايلاً هكذا: «في «ذلك الزمان اختار الرب سبعين تلميذاً اخرين وارسلهم اثنين اثنين قدام وجهه الى كل «مدينة وموضع. حيث كان عتيداً ان ياتي. وقال لهم الحصاد كثير واما الفعلة فقليلون «اطلبوا الى رب الحصاد كي يرسل فعلة لحصاده. اذهبوا ها انا مرسلكم كالخراف بين الذياب «من سمع منكم فقد سمع مني ومن اهانكم فقد اهانني» * ثم في العدد ١٧ من الاصحاح المذكور يقول: «فرجع السبعون بفرح قايلين له يارب والشياطين ايضا تخضع لنا باسمك» *

ثانياً فهولا السبعين تلميذاً المختارون من الرب للكرازة بالانجيل قد رافقوا مخلصنا في كل مكان نظير رسله الاثني عشر وشاهدوا الايات والعجايب التي صنعها. وسمعوا من فمه تعالى كلام الحيوة والتعاليم السماوية ووجدوا شهوداً عيانيين على جميع اعماله وعلى الامه وموته وقيامته وظهوره لهم في مدة اربعين يوماً. وصعوده الي السموات * ثم انهم التيموا في مجمع الرسل الاول الذي فيه أُنتخب القديس متياس رسولاً ثاني عشر بدلاً من يهوذا الدافع * اذ ان سفر الابركسيس بعد تعديده اسما الاحد عشر رسولاً الذين كانوا مجتمعين في تلك الغرفة في مدينة اورشليم مع مريم والدة الاله الكلية القداسة وغيرها يقول: «ان القديس «بطرس قام في وسط التلاميذ وكان هناك جمعٌ عزايهم متفقة على هذا المعتقد نفسه نحو «مايةٍ وعشرين نفراً فقال ايها الرجال الاخوة الخ. (ابركسيس ص ١ ع ١٥) «فمن المعلوم

اذاً ان مصاف التلاميذ السبعين قد كان حاضراً هناك مع الرسل وان القديس متياس المنتخب هو احد هذا المصاف * وهكذا حينما تمت ايام الخمسين وكان الرسل والتلاميذ مجتمعين باسرهم في العلية الصهيونية . وانحدر عليهم الروح القدس بصورة السنة مقسومة كالنار . واستقرت على كل واحدٍ . فهذا المصاف السبعيني ليس باقل من الرسل الاثنى عشر قد امتلأوا كلهم من الروح القدس وطفقوا يتكلمون بلغاتٍ اخر . وبعد ذلك جملةً مع الرسل القديسين ونظيرهم اكرزوا وعلموا وانذروا بالانجيل المقدس في العالم اجمع *

ثالثاً فاما اسما تلاميذ الرب هولا السبعين فهي مجهولة الا البعض منهم كما يعترف بذلك الكردينال بارونيوس . اذ ان اسماهم لم تتصل الينا لا من الكتاب المقدس ولا من التقليد الرسولي او الكنايسي بل ولا مما هو متفق عليه من اكثر الكتبة الكنايسيين * فاي نعم انه قد وجد البعض الذين حرروا في تاليفاتهم اسامي خصوصية لكلٍ من هولا السبعين بمفردهِ مستندين بذلك على ما جاء مدوناً عند القديسين ايبوليطوس ودوروثاوس . ثم عند اوسابيوس وبابيا . ولكن هذا لايقيم برهاناً يقينياً لكنه يُعد بمنزلة اراء خصوصية يحتمل قبولها وتركها على حدٍ سوى *

رابعاً ثم انه يوجد اختلاف فيما بين اللاتينيين وبين اليونانيين نظراً الى عدد تلاميذ الرب هولا . لان الاولين يعتبرون عددهم اثنين وسبعين تلميذاً سنداً على نسخة العهد الجديد اللاتينية العامة . اذ يقال فيها ان الرب رسم اثنين وسبعين أُخر ايضاً وارسلهم اثنين اثنين قدام وجهه (لوقا ص ١٠ ع ١) * الا ان الثانين اى اليونانيين فتوجد عندهم في جميع نسخ بشارة القديس لوقا الاصلية في لغتها اليونانية . التي بها حررها هذا البشير الالفاظ المدونة منا في العدد الاول : « اي ان الرب اختار سبعين تلميذاً اخرين وارسلهم اثنين اثنين قدام وجهه » * فاذاً اذ نترك السندات التي لكلٍ من الجهتين بخصوص هذا الاختلاف العددي . نقول انه لاجل العلة نفسها التي مرعاة عادلةً لها لايلومنا اللاتينيون في تكريمنا هولا التلاميذ القديسين تحت العدد السبعيني وحده * فمن اجل العلة عينها ومراعاةً عادلة لها يلزمنا ان لانلوم اللاتينيين اصلاً على تكريمهم هذا المصاف المجيد تحت العدد الاثنين والسبعين *

خامساً واما الاعمال الخصوصية التي لكلٍ من هولا السبعين تلميذاً نظراً الى ظروف

الازمنة والامكنة التى فيها مارسوا واجبات رسالتهم وجهاداتهم * ثم نظراً الى النوع الذي به كلٌ منهم انهي اعماله الرسولية وفارق الحيوة الحاضرة منتقلاً الى السعادة الابدية . فهذه كلها لم يحفظ لنا عنها التاريخ الكنايسي ايراداً مدققًا ومفصلاً عن كلٍ منهم . ما عدا تلك الحوادث المختصة بالبعض منهم فقط . وهي التي شرحناها سبقًا في امكنتها عند تكلمنا عن سير اوليك الاشخاص الخصوصيين المعروفين انهم من هذا المصاف السبعيني . الذين شرحنا ما يخصهم في ايام تذكاراتهم الخصوصية * ولكن مما عرفناه عن الاعمال التي مارسها الرسل القديسون الاثنا عشر يمكننا ان نتصور في عقولنا ماذا كانت اعمال شركايهم هولا السبعين في خدمة الكرازة بالانجيل نظيرهم في المسكونة كلها . وكم عانوا من الاتعاب الرسولية . وكم احتملوا من الاضطهادات البربرية ليس فقط من الشعوب الوثنيـة بل ايضًا من الاخوة الكذبة ومن ذوي الاراسيس الاولين . وكيف ان اكثرهم حتى لانقول جميعهم قد اثبتوا حقايق الديانة المسيحية بسفك دمايهم من اجلها . بعد ان اسسوها وانذروا بها في كل العالم ثم ان هذه وتلك عتيدة ان تُعرف من الجميع علانيةً في يوم الدين حينما يحضر هذا المصاف الجليل صحبة معلمهم الالهي ليدينوا معه عز وجل الاحيا والاموات ويشتركوا بمجده العظيم الى ابد الابدين *

فالكنيسة الجامعة كلها قد كرمت على الدوام بعد زمرة الاثنى عشر رسولاً مصاف السبعين تلميذًا باحترام وعبادة تقوية بحسب كونهم اعمدة الايمان واركان التعليم الانجيلي الذي سلموها اياه بريًا من الزلل . حسبما كانوا تسلموه من معلمهم الالهي * ومن ثم فما عدا تكريمها البعض منهم بتذكارات سنوية خصوصية معينة لهم . قد ارادت ان تكرم مصافهم السبعيني جميعه معًا في يوم خاص كما تصنع كنيستنا اليونانية في اليوم الحاضر * واما الكنيسة اللاتينية فتصنع ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر تموز . كما يوضح العلامة بارجيار * فلنحسنن اذًا تعبدنا وتوقيرنا هذا المصاف المقدس مستغيثين بشفاعـاتهم الحسنة القبول امام الله . وحافظين الوصايا الانجيلية المتصلة الينا بواسطتهم . ومقتفين اثر فضايلهم ونموذجاتهم . لكي يمكننا يومًا ما ان نصير شركا سعادتهم في الغبطة السرمدية التي خُلقنا لاجلها *

* اما الذي نقوله عن القديس ثاوكتيسطوس *

فهو ان التاريخ الكنايسي لم يحفظ لنا عن سيرة حياته شيًا مدققًا نظرًا الى مكان مولده

وسنته ونظرًا الى اعماله الخصوصية وكيفية حوادثها وزمن انتقاله الى الحيوة الابدية الا ما يوجد مدونًا عند الكاتب الكنايسي الجليل اوطافيوس غايطانوس في كتاب قديسي جزيرة سقليا اي سيشيليا عينها اذ يقول هكذا : « ان القديس ثاوكتيسطوس قد كان ريسًا عامًا « لرهبان دير كوكومي في جزيرة سيشيليا عينها » * وكذلك المعلم فاراريوس يقول معينًا الزمان الذي كان عايشًا فيه هذا القديس اي في جيل الكنيسة الثامن . ومثلها يوضح العلامة ازوادورس قايلاً : « انه في اليوم الرابع من شهر كانون الثاني يُكرم تذكار القديس ثاوكتيسطوس الريس العام العظيم لرهبان دير كوكومي * فاذًا اذ لم يمكننا ان نجد ما نورده عن هذا البارسوى ما تقدم ذكره . بل ولا الابا مولغو للمجموع البولانديستي العظيم قد روا قبلنا بعد عناية كلية ان يجدوا عنه اكثر من ذلك . فلنكرمه مع البيعة الجامعة التي دونت اسمه في مدرج القديسين . لما عرفته عنه وقتيذٍ مستحقًا لهذي التكرمة القانونية *

* اليوم الخامس *

* وفيه تذكار القديسين الشهيدين ثاوبمبطوس وثاونا *

* ثم البارة سينكليتيكي *

اولاً ان اخص اعمال جهاد القديسين الشهيدين ثاوبمبطوس وثاونا هو انه حينما اضطرمت نار الاضطهاد العام الوحشي ضد المسيحيين من الملك ديوكلاتسيانوس قيصر في مبادي جيل الكنيسة الرابع . ففيما بين المومنين بالمسيح الذين قبض عليهم وقتيذٍ والى اقليم كيليكيا ووضعهم تحت العذابات القاسية من اجل كونهم مسيحيين قد كان القديس ثاوبمبطوس الذي من دون خشية بتةً قد اعترف في ديوانه اعترافًا جليلاً بالمسيح ۞

ثانيًا فالوالي بعد ان امتحن هذا الشاهد امتحانات كثيرة . واذاقه خبرة العذابات المختلفة الانواع . ورآه ثابتًا على ايمانه قد حكم عليه بالموت محروقًا في اتون نار متوقدة * غير ان خدام الشريعة عندما اكملوا امر الحكومة وطرحوا القديس في اتون النار . فليس من دون اندهال قد شاهدوا كيف ان اللهيب قد احتشمه . ولبث الشهيد فيما بين المواقيد المضطرمة سالمًا من كل مضرة * فقد كان موجودًا هناك رجل ساحر اسمه ثاونا وثنى المذهب فهذا أُحضر بامر الوالي ليميت الشاهد بواسطة افعاله السحرية *

ثالثًا اما هو اي ثاونا فقد جاء بكاس مملوة من المواد السيالة السمية وناولها للشهيد

ثاوبمبطوس . الذى اخذها وشرب السم كله من دون ان تحصل له منه ادنى اذية ۞ فعند ما شاهد ثاونا الساحر هذه الاعجوبة الثانية امن بالمسيح * واما ديوان الحكم فحينئذٍ ابرز ضد الشاهد امره بان يمات بقطع هامته * كما تم . لان الجلاد اخذه الى المقتل . وهناك ضرب عنقه بالسيف فقطع راسه . وبذلك انهى جهاده المجيد فايزًا باكليل الشهادة *

رابعًا ثم بعد ذلك اقيم الفحص على الساحر ثاونا لاجل انه اشهر ذاته مومنًا بالمسيح . واذ أُمتحن واستمر يعترف بهِ تعالى امينًا مع النعمة المفاضة عليه من السما مكررًا اقراره بانه مسيحي هو . فلهذا قد حكم عليه بان يُطرح في بير عميقة . وبان تُردم تلك البير بالحجارة الى فوق * فهذه الحكومة قد وُضعت بالعمل . اذ ان خدام الشريعة زجوا الشهيد ثاونا في البير فاختنق * وردموه بالحجارة . وهكذا لحق الشاهد ثاوبمبطوس الى السما مشتركًا معه بتاج الشهادة * والكنيسة اللاتينية تصنع تذكارهما اول امس اي في اليوم الثالث من شهر كانون الثاني *

* سيرة حيوة البارة سينكليتيكي *

اولاً ان المعظمة فى البتولات سينكليتيكي هي من قديسات جيل الكنيسة الرابع . واما كاتب سيرة حياتها فهو القديس اثاناسيوس الكبير راعيها المعاصر لها . الذي كما انه دوّن سيرة حيوة القديس انطونيوس الكبير لتكون نموذجًا لجنس الرجال كذلك حرر سيرة حيوة القديسة سينكليتيكي لتكون تمثالاً حيا للعبادة والفضايل لجنس النسا لاسيما البتولات فهذه البارة سينكليتيكي هي مولودة في مدينة الاسكندرية من والدين شريفين غنيين مملوين من الفضايل المسيحية اللذين ربيا ابنتهما هذه (التى مجهولة سنة ميلادها من حيث ان القديس اثاناسيوس لم يعينها فيما كتبه عنها) واعتنيا في انهما غرسا في قلبها منذ نعومة اظفارها خوف الله ومحبته والانعطاف نحو الفضايل والاعمال الصالحة * فلما بلغت الى سن الزواج قد طلبت من كثيرين للاقتران بها . وكان هولا من اخص اشراف الاسكندرية الذين لاجل صفاتها الجليلة وجمال خلقتها قد رغبوا الزيجة معها . لاسيما لانها بعد وفاة الاخوين اللذين كانا لها قد بقيت الوريثة الوحيدة لاتساع غنى والديها العظيم * غير انها قد رفضت قبول الزواج موضحةً ان ختن نفسها انما هو ملك السماوات يسوع المسيح الذي لا تريد هي عروسًا اخر سواه . وقد كانت نذرت له بتوليتها مكرسةً ذاتها لعبادته اقتداءً بالقديسة

نقلا اول الشهيدات تلميذة الرسول الالهي * ثم لكي يمكنها ان تحفظ طهارتها بافضل نوع غير مثلومة قد كانت مستسيرة في بيت والديها سيرةً محتجبةً عن الناس ولم تكن تخرج الى خارج الا لاجل الذهاب الى الكنيسة او في وقت الاحتياج الكلي . محترسةً على ضبط حواسها خاصةً النظر . مبتعدة عن استعمال كل نوع من الزينة . متجنبةً ليس عن مخاطبة الرجال فقط بل عن الحديث مع النسا ايضًا . لاسيما السالكات حسب روح العالم واباطيله . مواظبةً على عمل اليد المختص اعتياديًا بمن هنّ مثلها وعلى الصلوات والتاملات في الكتاب المقدس مواصلةً ترددها مع ختن نفسها الالهي قايلة نحوه مراتٍ كثيرة كلمات عروسة النشيد : « حبيبي لي وانا له » ثم كانت محبةً للصمت والاصوام المتواصلة . وحينما كان البعض يحرضونها على ان تلاحظ حال صحتها ونحافة جسمها كانت تجيبهم بكلمات الرسول الالهي قايلة : « انه بمقدار ما يضعف الانسان الخارج ويذبل فباكثر من ذلك يعود الانسان الباطن قويًا » غير انها كانت تبذل جهدها في ان لايعلم احد اعمال تقشفاتها واماناتها . اذ انها لم تكن تهتم الاّ في ان ترضى عروسها السماوي فقط . ولهذا كانت تخاف من ان تمدحها الناس على فضايلها *

ثانيًا فلما توفى والداها وورثت عنهما مع شقيقةٍ كفيفة كانت لها كل ذاك الغنى . فباتفاقٍ مع شقيقتها قد باعت جميع الاملاك الثابتة والارزاق الثمينة ووزعت قيمتها على الفقرا والمحتاجين كي تتفرغ بافضل اسلوب لخدمة الله وعبادته . صانعة لها بذلك خزينة مكنوزة في السما * وبعد هذا خرجت من الاسكندرية وانفردت بالقرب منها . متوحدة ضمن احد القبور المصرية التي هي ذات بناية واسعة داخل حدود ارضٍ كانت ملكًا لها . لان قبورا هذه صفتها هي قابلة ان تُسكن . وحينئذ قصت شعرها وكرست ذاتها بالتمام للعبادة الالهية . مثابرة ضمن ذلك القبر على الصلوات وافعال النسك . مقتاتة بخبز النخالة وشرب الماء الذي لابد منه لحفظ حياتها . ولم يكن فراشها شيًا اخر سوى حضيض الارض . بل انها كانت اياما بجملتها تصوم عن الخبز المذكور ايضًا * وسهرها كان متداومًا غير مهملة عمل اليد في الاوقات الاعتيادية . وهكذا بابتعادها عن كل احدٍ كانت متفرغة للابتهالات الحارة والتاملات في الاشيا الالهية السماوية * فابليس الحسود عند مشاهدته فتاةً هذه صفة فضايلها في سن الصبوة قد اخذ يثب عليها بتجارب دنسة قوية في الغاية حسبما سمح له الله

بذلك لامتحان امنه هذه ولزيادة اجرها * ولكنها قد كانت تسلح ذاتها بخوذة الايمان وبترس الرجا وبسهام المحبة . ملتجيةً الى الرب بحرارةٍ وبانضاعٍ . وبهذا كانت تفوز بالانتصار . ولاجل هذه الغاية كانت تضاعف الاماتات وصرامة النسك بغطنةٍ . بنوع انها تذبل الجسد وتذله وتجعله خاضعا للروح . لكن لاتعدمه بالكلية قوته ليمكنها ان تحفظ الصحة الواجبة لخدمة الله ولدوام سيرة النسك . التي تمسكت بها ليس من دون الهامٍ الهي خصوصي *

ثالثًا فقد استبرت هذه البتول البارة على العيشة المذكورة مدةً من السنين بحال مليكة احرى من انها كانت بشرية . والغاية بذلك انما كانت ان تضحى مهملةً منساة بالكلية من العالم . حتى ياتي اليوم الذى فيه تطير مترافية نحو الله وتتحد بهِ موبدًا . الامر الذي كان موضوع اشواقها الوحيد * غير ان الباري تعالى قد اراد ان خبر قداسة عبدته يشيع في تلك النواحي وفي الاسكندرية . ولذلك كثيرات من النسا والبتولات من كل سنٍ ومقام كنَّ يذهبنَ لزيارتها * وقد صار معلومًا عندهنَّ كم كان شرف مولد هذه القديسة وعظم الغنى الذي كان لها مع لطافة جسمها وبهايه * وكيف انها احتقرت ذلك جميعه رافضةً . وبالتالى عند مشاهدتهنَّ اياها في حال ذلك الفقر الكلي والمسكنة القصوى والنسك الشديد في الوقت عينه الذي فيهِ كانت هي بوجهٍ باش فرحةً متهللةً * فكان يعتريهنَّ الانذهال والتعجب الكلى من هذا جميعه * وهكذا كنَّ يلتمسنَ منها ان ترشدهنَّ في الطريق الملايمة للخلاص * فالقديسة في المبادي كانت ترفض مطلوبهنَّ . معترفةً بانها خاطية شقية جاهلة وليست كفوا لذلك . ولكن حينما غلبت فيها فضيلة المحبة على التواضع لاسيما لاجل التضرعات الحارة التى كنَّ يتوسلنَ بها لديها في هذا الشان . فاخيرًا قد اخذت تقدم لهنَّ ارشادًا جليلاً مفيدًا جدًا يوجد مسطرًا في فصولٍ عديدة في سيرة حياتها . الامر الذي لكان يقتضى منا الاسهاب لو اننا اردنا ان نشرحه مفصلاً *

رابعًا فاخص الارشادات المقدمة من هذه البارة لجنس النسا هو هذا اي وجوب صنيع اماتة الحواس وقهر الذات في اية دعوةٍ كنَّ . ثم الابتعاد عن العيشة الرخية وعن التنعمات الجسدية . والاحتراس من المحادثات الباطلة مع الرجال . ومحبة الصمت والهدو والانفراد ومواظبة الصيامات والصلوات . والحرص الكلي على حفظ القلب من الافكار الدنسة

ومن محبة الاباطيل الدنيوية لاسيما الفخفخة والكبريا . والالتجاء بحرارة لطلب الاغاثة من يسوع المسيح في وقت حدوث التجارب خاصةً مع توطيد الرجا في نعمته تعالى وفي مراحمه الغير المتناهية . والاعتنا في تكميل واجبات دعوة كل واحدة منهنَّ . والفرار من رغبة الفحص عن كل قضية لاتخصهنَّ والتحفظ من رذيلة البخل ومن التعلق في الاشيا الزمنية ومن محبة الخيرات الارضية . والاهتمام في ان يعرفن حقيقة ذواتهنَّ ودناأتهنَّ وشقاوتهنَّ لكي يتاصلنَ في فضيلة التواضع الحقيقي الذي هو اساس السيرة المسيحية ووجوب صنيع الاعمال الصالحة خفيةً عن اعين الناس بقدر الامكان كي لايحدث خطر ضيعان اجرها من قبل المجد الباطل * واذا اقتضى عمل البر مشتهرًا العار القريب فيكون بنية متجهة نحو الله فقط الذي منه وحده ترجى المكافاة ثم فيما يخص التزامهنَّ بمحبة الله والقريب قد اوردت لهنَّ هذه القديسة ما من شانه ان يوطدهنَّ في هذه الفضيلة اشد توطيدًا قايلةً لهنَّ : « انه يلزمكنَّ ان تحببنَ الله من كل « قلوبكنَّ . وان تحببنَ قريبكنَّ نظير انفسكنَّ . على ان مبادي شريعة الله وملءَ نعمته « تعالى وكمالها يتوقف على هذه الوصية . فلا يوجد شي اكثر اختصارًا من هاتين الكلمتين « ولكنهما نحويان معاني عظيمة وجليلة بنوع فايق الحد . ولهذا تتعلق بهما الاشيا كلها « المختصة بخلاصنا » * فاحد مفاعيل محبتنا للقريب هو ان نشفق على ضعفهِ ونغفر له سيئته في حقنا من كل قلوبنا وان نسعفه في احتياجاته * ثم يجب توزيع الاحسان بسخاء على قدر استطاعة كل احدٍ . وكانت تقول لهنَّ : « ان الاشخاص الذين يكونون خصصوا ذواتهم « لخدمة الله يلزمهم ان لايتراخوا اصلاً ولا يفتروا ابدًا من الاهتمام بخلاصهم الابدى . على « انهم متى تراخوا قليلاً في حفظ ذواتهم . فالشيطان الذي قبلاً كان اضطر لان يفارقهم « ويطلقهم من حوزته لم يزل يجول حولهم كالاسد اذا زأر ليخطف . ويرى ان اجتهاده « ضدهم بقدر قوته يذهب سدىً . فهذا يثب عليهم حينما لايفكرون بهِ في الوقت الذى فيه « ينتصر عليهم بسهولةٍ عند ظنهم بذواتهم انهم صاروا امينين منه * واخيرًا كانت توضح لهنَّ ان الصبر على المحن الزمنية وعلى الامراض والفقر والمصايب هو تاج الفضايل وكمالها . وانه لكي يكنَّ ثابتات في الصبر على الدوام يجب عليهنَّ ان يتذكرنَ بغير اهمالٍ كلمات الرسول الالهي . الذي يعلمنا ان امتحانات هذا الدهر وبلاياه مهما كانت هي خفيفة ووقتية بالنسبة الى المجد العتيد ان يظهر فينا . الذي هو غير متناهٍ وابدى مجازاةً عن صبرنا *

خامساً ثم اذ بلغت القديسة سينكليتيكي الى سن الثمانين سنةً وكانت حاويةً عندها كثرةً من العذارى لترشدهنَّ في طريق الكمال المسيحي . قد اراد الباري تعالى ان يمتحنها نظير الذهب في الكور * فاعتراها مرض حمى السل التي في مدة ثلث سنوات كانت تعذبها بشدةٍ وبحرارة قوية تذيب احشاها ولا تدعها ان تجد الراحة اصلاً لا نهاراً ولا ليلاً ٥ اما القديسة فقد احتملت ذلك ليس بصبرٍ تام فقط بل بسرور الروح ايضاً . شاكرةً ومباركةً للرب دائماً على كونهِ أهَّلها للاشتراك في شرب كاس الامهِ . وهي نفسها كانت تعزي اوليك الاشخاص الذين كانوا ياتون لزيارتها * ثم اضيف الى ذلك انهُ ظهر لها مرض آلاكلة في وجهها وابتداء ان يفني لحمانها ممتداً الى باقي جسدها بنتانةٍ شديدة كانت تضطرُّ من كان يخدمها الى حريق اشيا ذات روايح ذكية . ليمكنهم ان يدنوا منها ويتمموا الخدمة الواجبة * فهذا المرض الردي قد اذاقها في مدة ثلثة اشهر عذابات استشهادٍ متصل اعدمها بالكلية الاستطاعة على اخذ القوت والراحة . ولكن القديسة لم تزل على صبرها الفاقد الانغلاب وعلى تقدمة الشكر لله . الذي قد عاملها نظير ما كان عامل ايوب البار والشهدا القديسين وسايرعبيدهِ الصديقين وعبداتهِ البارات الذين قد وجدوا محبوبين منه * وكانت تجيب اوليك الذين كانوا يعتنون في ان يجدوا لها دواء ما او اسعافاً يخفف اوجاعها قايلةً : « لماذا تريدون ان تمنعوا عني راية الغلبة وعلامة الظفر التي اكتسبها في هذه المعركة الكلية الافادة لي . لماذا تلاحظون القشور الخارجة ولا تتاملون في اللب الباطن . لماذا تراقبون الحال التي انا موجودة فيها . ولا تفكرون في اليد القادرة على كل شيء التي ارتضى تعالى بان يثقلها عليَّ حتي وصلت الى هذه الحال لاجل نفعي وربحي ومكسبي العظيم » *

سادساً فلما قربت القديسة من الموت قد اراد الله ان يهبها تعزية وافرة بها يسبق ويجعلها ان تذوق على الارض جزاء من السعادة التي كان اعدَّها لها في السما * على انهُ قبل نياحها بثلثة ايام قد شوهدت مخطوفة بالروح وجسمها كان ملتحفاً بضياء فايق الادراك فيما بين طغمات من الملايكة ومصاف من القديسات البتولات ومن الارواح الطوباوية . الذين كانوا يدعونها اليهم في السعادة السماوية * وبعد ذلك قد رجعت الى ذاتها واخذت تحرِّض تلميذاتها على الثبات بامانةٍ في خدمة الله وعبادتهِ . وان يحاربنَ بشجاعةٍ رجولية جميع التجارب غير متراخيات اصلاً في طريق الكمال * وقد اخبرتهنَّ بالساعة التي بها كانت

مزمعة ان تفارق هذه الحبوة وحينما بلغت تلك الساعة عينها قد رقدت بالرب متراقية نفسها الى السما كي تاخذ مكافاة اعمالها الفاضلة ونسكها الصارم وصبرها الجليل * فلا نعلم بتاكيد السنة التى فيها انتقلت هذه القديسة الى الحبوة الابدية . ولكن يبان ان نياحها حدث في مبادي الجيل الخامس *

فالكردينال بارونيوس المكرم كان يندب فقد كتاب سيرة حبوة هذه البارة سينكليتيكي المستطيل الحاوي اعمالها كلها مفصلاً . ويتاسف من كون جنس النسا بفقد هذا الكتاب قد خسرنَ مثالاً هكذا جليلا ومفيداً لهنَّ في الغاية لاقتنا الفضايل * ولكن العناية الالهية قد ارتضت بان توجد في الازمنة المتاخرة هذه السيرة مختصرةً محررة في بعض كتب خطيد قديمة جداً * فلترتضِ اذاً العزة الضابطة الكل بان تحصل الافادة ايضاً لهذا الجنس من وقوفهنَّ على اخص اعمال هذه القديسة . سواءٌ كنَّ مزوجاتٍ ام بتولاتٍ عايشاتٍ في العالم . او عذارى مكرساتٍ لله في العيشة المشتركة ضمن الاديرة * فالآيي هنَّ في العالم يستطعنَ ان يتعلمنَ من ارشادات هذه القديسة ومن نموذجاتها كيف يجب عليهنَّ ان يكرهنَ اباطيل المجد الفارغ وان يهربنَ من البطالة ومن العيشة الرخية ومن التنعمات التى تجتذبهنَّ اليها الطبيعة الضعيفة * واما العذارى المكرسات لله فيمكنهنَّ ان يستفدنَ من ذلك ما هي غاية العبادة والسيرة الفاضلة وحقيقة الخدمة لله التي لا تقوم بالاشيا الظاهرة القليلة الاعتبار التي لا تضاد محبة الذات . ولا بالمناظر والظهورات الروحية التى يتقنَ اليها وما اشبه ذلك . بل بقهر الارادة وباماتة الالام الباطنة وبابادة الاميال الخصوصية على الدوام . وبالاتضاع العميق . وبمحبة الصمت والسكون . وبالنسك والتقشف لامانة الحواس . وبالايمان الحي وبالرجا الوطيد وبالمحبة المضطرمة وبالصبر التام مع باقي الفضايل . التى هي علامات العبادة الحقيقية المسيحية التى علمناها مخلصنا يسوع المسيح في انجيلهِ المقدس .. والتى سلكت بموجبها القديسة البتول البارة سينكليتيكي بغاية الكمال *

* اليوم السادس *

* وفيه عيد الظهور الالهي او عيد الغطاس *

اولاً ان الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً قد احتفلت بهذا العيد السيدي اى عيد الظهور

الالهي احتفالاً عظيمًا بكل عبادةٍ واحترام واعتبرتهُ من اخص الاعياد السيدية المقدسة . وذلك بكل صواب وتقوى لانه من اخص الاعياد الاحتفالية الحاوي تذكرة الاسرار العظيمة التي تنازلت العزة الالهية لان تظهرها للبشر بمجرد الرحمة الغير المتناهية لاسيما سر الثالوث الاقدس ❋

ثانيًا على ان مخلصنا يسوع المسيح بعد رجوعه مع والدته البتول الكلية الطوبى والقديس يوسف خطيبها من مصر حيث جعلوا سكناهم الاعتيادي في مدينة ناصرة الجليل . وهناك قد اصرف فادينا الالهي مدة حياته الخفيَّة اي الغير المعروفة من البشر عايشًا بالمسكنة والطاعة لامه وللقديس يوسف * فحينما بلغ الى السنة الثلاثين من عمره تقريبًا واراد ان يبتدي وقتيذٍ بمباشرة العمل العظيم الذي من اجله اتي الى العالم . قد ذهب من الناصرة الي نهر الاردن لكي يقتبل من يد القديس يوحنا سابقه معمودية التوبة التي كان يعمد بها اوليك اليهود الذين كانوا ياتون اليهِ معترفين بخطاياهم . فياله من سر تواضع لايوصف ويالها من روية مستغربة ان الطهارة والقداسة بالذات وينبوع البرّ المقدّس الاشيا والمطهّر الاناس والغافر التايبين يحضر طالبًا الصبغة من عبده نظير احد الخطاة ❋

ثالثًا فالقديس يوحنا الصابغ الذي من حينما كان في مستودع والدته قد أُعطي علامات اعترافهِ بيسوع المسيح . فهذا لما راه تعالى مقبلاً اليه وملتمسًا منه المعمودية بنوع هذا التواضع العميق قد انذهل وهتف صارخًا نحوه : «ياسيدي انا هو المحتاج ان اعتمد منك وانت ‹ تاتي اليَّ › * واما يسوع فاجابهُ قايلاً : «دع الان فهكذا يجب لنا ان نكمل كل عدلٍ» اي ان نعطي الجميع مثال هذا التواضع ونموذج هذه المسكنة الاكثر كمالاً . كما يفسر ذلك القديس اغوسطينوس ۞ فحينئذٍ قد خضع القديس يوحنا المعمدان لامرهِ تعالى . وعمده في نهر الاردن * ولما صعد مخلصنا من الماء قد انفتحت السماوات وشوهد الروح القدس بشبهٍ جسميٍّ كحمامة واستقر على يسوع . وفي الوقت عينه سمع صوتٌ من السما قايلاً : «هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت › * فبهذه الاعجوبة العظيمة قد أُعلنت للعالم الوهية يسوع المسيح . ومن ثم القديس يوحنا الصابغ عينهُ قرر للشعوب الذين كانوا ياتون اليه ليعتمدوا منه . انه حينما ارسله الله ليعمد قد أُعلن له ان ذاك الذي يرى الروح القدس ياتي عليه ويثبت فوقهُ فهو ابن الله الذي يرتب معمودية ذات مفعولٍ اعظم لمغفرة الخطايا * اذ ان

معموديته تكون بروح القدس والنار . وهي التي تصيّر الانسان ان يولد جديدًا بالماء والروح ويحيي حيوة بحملتها روحية . لان الله يهبه بها نعمة الروح القدس *

رابعًا فقد سُمّي اذًا هذا العيد السيدي الذي به يُكرَّم تذكار اصطباغ فادينا يسوع المسيح في نهر الاردن من يد القديس يوحنا السابق : عيد الظهور الالهي : وذلك بكل صواب على ان الله اظهر به للبشر سر الثالوث الاقدس بنوع كلي الوضوح . من حيث ان الاب الازلي قد ابدا صوتًا هكذا مسموعًا ومشتهرًا بان يسوع المسيح هو ابن الله الحبيب . والروح القدس ظهر بشبه حمامةٍ مستقرًا عليهِ ۞ فالاب يتكلم بالابوة عن ابنهِ . والابن يُشهد لهُ من قبل الآب بالبنوّة وهو في الاردن . والروح القدس شوهد بظهورهِ بنوع حسي * فياله من سرٍ خفي قد ظهر في مثل هذا اليوم لنا نحن البشر . السر الذي لما سبق النبي والملك داود وعرفهُ بروح النبوة هتف صارخًا : « صوت الرب على المياه » وبذلك اعني اقنوم الاب الذي سُمع صوته على المياه قايلاً : « هذا هو ابني الحبيب (اله المجد ارعد) ». وبذلك اعني اقنوم الابن الذي اقبل نحو يوحنا وقال له : « تعال فاعمدني » * واذ تمنّع يوحنا فاردف كلامهُ قايلاً : « دع الان . (الرب على المياه الكثيرة) » * وبذلك اعني اقنوم الروح القدس الذي ظهر كحمامةٍ مرفرفًا على المياه ومستقرًا على فادينا المصطبغ * فاذًا لهذا الظهور الالهي نعيد اليوم . مقدمين الشكر للاله الموحد بالجوهر والمثلث بالاقانيم . الذي تنازل لان يظهر لنا ثالوثيتهُ باوضح البيان في مثل هذا اليوم * ثم انه لاجل سببٍ اخر قد دُعي هذا اليوم : عيد الظهور الالهي : وهو لان سيدنا يسوع المسيح في مثل هذا اليوم قد ابتداء ان يظهر ذاتهُ للعالم مباشرًا عمل خلاصنا ومهتمًا باتمام ارادة ابيهِ السماوي الذي ارسلهُ الى الارض لافتداء الطبيعة الانسانية * ويُدعى ايضًا هذا اليوم عيد الانوار . لان اقطار الارض قد استنارت بظهور الثالوث الاقدس . ولان السماوات به انفتحت واشرقت النور الفايق الوصف باتيان الروح القدس * ثم لان مخلصنا فيه رسم سر المعمودية المنير والمطهّر والمقدّس والملاشي ظلام الموت والمفيد الى نور الحيوة الابدية * واما الكنيسة اللاتينية فتسمّي هذا العيد الفصح الاول ايضًا اي العيد العظيم الاول السابق للفصح الثاني الذي به فادينا رسم سر القربان الاقدس واحتمل الالام والموت وقام من بين الاموات *

فاذ كان مخلصنا في مثل هذا اليوم بواسطة اصطباغهِ من السابق قدّس طبيعة المياه

وجعلها مادةً لسر المعمودية الذي رسمهُ تعالى كي تُحيى به الخطية الاصلية والفعلية بنوال نعمة التقديس . فمن ثم يجب علينا ان نتذكر في هذا اليوم النعمة الخصوصية التي اقتبلناها حينما قدُمنا ونحن اطفال الى حوض المعمودية . وهناك اصطبغنا وبواسطة استحقاقات مخلصنا يسوع المسيح قد انتقلنا من حال كوننا اولاد الغضب والرجز مستعبدين للشيطان الى حال التبني لله ولوراثة الملكوت السماوي * ولنجدد المواعيد التي قدمها على اسمنا ونيابةً عنا اشابيننا . اي بان نرفض الشيطان وجميع مليكتهِ وكل اعمالهِ وساير ضلالتهِ . وبان نرذل الخطية مع اباطيل العالم وشهوات اللحم وتنعمات الجسد . وبان نحفظ شريعة الله بامانةٍ ونتمم وصاياه بالتدقيق لكي يمكننا ان نبلغ الى الحيوة الابدية *

❋ اليوم السابع ❋

❋ وفيه ذكرٌ جامعٌ للقديس المجيد النبي ❋

❋ السابق يوحنا المعمدان ❋

ان الكنيسة المقدسة تكرم في اليوم الحاضر القديس يوحنا المعمدان لاجل انه أُختير من الله ليكون ليس سابقًا فقط للمسيح بل صابغه ايضًا فالقاري الحسن العبادة نحو هذا القديس المجيد يمكنه في هذا اليوم ان يقرا ما هو مدون عنهُ تحت اليوم الرابع والعشرين من شهر حزيران واليوم التاسع والعشرين من شهر اب *

❋ اليوم الثامن ❋

❋ وفيه تذكار امنا البارة دومنيكة وابوينا البارين جرجس ❋

❋ الخوزيبي واميليانوس المعترف ❋

اولاً ان الذى يمكننا ان نورده عن القديسة البارة دومنيكة انما هو ان هذه القديسة هي مولودة في مدينة كارطاجنة في زمن الملك ثاوضوسيوس الكبير الذي رقد بالرب سنة ٣٩٥ وقد عاشت هي لحد ازمنة الملك زينون الذي توفى سنة ٤٩١ * فبعد ان كانت حصلت على تربية مسيحية قد حضرت الى القسطنطينية . وهناك قد اقتبلها باعتبارٍ ليس من دون وحي الهي القديس نكتاريوس رئيس اساقفة القسطنطينية ووضعها في دير الراهبات الذي كان هو قبلاً شيده على اسم النبي زخريا *

ثانيًا فدومينكة هذه البارة اذ قد روَّضت ذاتها في كل نوع من الفضايل السامية قد

أُهلت ليس فقط لان تُعتبر بزيادةٍ من الراعي القديس المذكور الذي كرسها شماسةً . بل لان تنال من الله نفسهِ موهبة صنيع العجايب والروح النبوي ايضًا . وبهذه وتلك كانت تفيد المومنين لاسيما ذوات جنسها النسايى * وقد سبقت واخبرت عن حوادث كثيرة عتيدة خاصةً عن اسما بعض الملوك والبطاركة من الذين كانوا عتيدين ان يضبطوا صولجان الملك ومن المزمعين ان يجلسوا في الكرسى البطريركي *

ثالثًا وبعد ان استسارت في العيشة المليكية بهذه الصفات الجليلة والتقدم الدايم في في طريق الكمال الانجيلي حتى اضحت تمثالاً حيًا لجميع الفضايل وكان كل الروسا المدنيين والكنايسيين يعتبرونها باحترام ووقار لاسيما لاجل كثرة العجايب التي صنعها الله بواسطتها فاخيرًا اذ كانت ممتلية من السنين والاستحقاقات قد رقدت بالرب بسلام . مفارقةً هذه الحيوة ومنتقلةً الى السعادة الابدية لتفوز بمكافاة سيرة حيانها الفاضلة مخافةً للمومنين ذكرها المجيد قدوةً للاقتدا بفضايلها المسيحية خاصة لجنس النسا المتعبدات لله بالروح والحق *

* فيما يختص بالقديسين جرجس الخوزيبى واميليانوس *

* المعترف * .

اولا ان الاورولوجيون اليوناني فقط دون غيره يشير الى ان القديسين البارين جرجس الخوزيبى واميليانوس المعترف او قلما يكون ثانيهما قد انهي حياته معترفًا من اجل الايمان الكاثوليكي في مبادي الجيل التاسع في زمن ولاية الملك نيكيفوروس . بعد ان تكبد في ذانه مفاعيل اضطهاد الاراثقة محاربي الايقونات المقدسة الذين كانوا اعدا لكل من كان متمسكًا بتكريمها وبالمحاماة عن هذه القضية الدينية *

ثانيًا فنحن قد فحصنا باجتهادٍ كلي ليس المينولوجيونات القديمة فقط . بل كتب المورخين ايضًا وتحققنا كيف هو مكرمٌ ومعتبرٌ ذكر هذين البارين بوجه العموم . ولكن من دون ان نجد ايرادا تاريخيًا عن الظروف الزمانية والمكانية المختصة بسيرة حياتهما . ولاعما يلاحظ اعمالها الخصوصية . التى لاشك بانها كانت مملوة قداسة وصلاحًا حتى انهما من اجلها استحقا ان يُدوّن اسماهما في مدرج القديسين ويُكرم من الكنيسة تذكرهما الطوباوي *

ثالثًا فالامر الذي يحقق عدم وجود تاريخٍ يختص بسيرة حياتهما هو ماراياه موردا في مجموع البولانديستي تحت اليوم الحاضر اي ان هولا الابا البولانديستيين الذين باتعابٍ

كلية قد جمعوا في تاليفهم العظيم سير جميع القديسين لم يمكنهم ان يجدوا شيًا تاريخيًا يوردونه عن هذين البارين . وانه قد حدث لهما ما اتفق حدوثه لبعض القديسين الاخرين . وهو ان تُفقد خبرية حياتهم ❋

فنحن يكفينا في تكريم القديسين صدق شهادة الكنيسة الجامعة عنهم وتحريرها اسماهم في مدرج قديسيها . ولين لم تكن تتضح لدينا بتدقيق اعمال حياتهم مفصلاً . بل ان القديسين انفسهم الذين حينما كانوا في العالم قد احبوا الانضاع بهذا المقدار وجعلوه الحجر الاول الذي وضعوه في اساس بنا اعمالهم الصالحة . وهربوا دائمًا من المجد الزمني واجتهدوا في ان يخفوا اعمالهم البارة عن اعين البشر . فهولا لايهمهم ان بقيت في العالم اخبار فضايلهم وافعالهم المجيدة او لم تبقَ بل هم مكتفون بالمجد السماوي الذى تمتعوا ويتمتعون به الي ابد الابدين ❋

❋ اليوم التاسع ❋

❋ وفيه تذكار القديس الشاهد بوليفكطوس ❋

اولاً ان القديس بوليفكطوس او بالاحرى بوليافكتوس كما يلايم حقيقة اسمه اليوناني قد ولد في مدينة ميليتيني من اقليم ارمينية . وذلك في اوايل الجيل الثالث ❋ وحينما كان في سن الشبوبية قد دخل في الخدمة الجندية فيما بين العساكر الرومانيين . الا انه في الوقت عينه كان منجندًا للمسيح ملك الملوك ❋ فلما تولى على التخت الافغوسطي ملكًا داكيوس قيصر سنة ٢٤٩ واوقد لهيب نيران الاضطهاد القاسي ضد المسيحيين . فوالي مدينة ميليتيني تبعًا للاوامر القيصرية النفاقية شرع يقبض على المومنين الموجودين هناك ويعذبهم بفنون التعاذيب القادحة لينكروا المسيح ويتمسكوا بعبادة الاوثان ❋

ثانيًا فالقديس بوليفكطوس (الذي لاجل نجاحاته وحسن صفاته قد كان تزوج بابنة الوالي المومى اليه واكتسبها الى الايمان بالمسيح) فهذا حينما شاهد يومًا ما المسيحيين يُعذبون بانواع تلك العذابات البربريـة . قد اتقد بالغيرة الشديدة على مجد الله وشرف الديانة . واعترف بالمسيح علانيةً امام الجميع . ودخل الى معبد الاوثان واسقط كل الاصنام الموجودة فيهِ وكسرها ساحقًا ❋ فالكفرة اعرضوا الامر للوالي ابى زوجته وبموجب مرسومه قبضوا عليه وضربوه بصرامةٍ امامه ❋ فهذا الوالي بشفقةٍ سئية على صهره الشاهد اخذ ينصحه ويحثـه

محرضاً اياه على نكران المسيح لكي ينجو من العذابات والموت . اما القديس فلبث ثابتاً على اعترافه ورافضاً مشورات حميه الردية . واخبر صديقه نيارخون قايلاً : « انني قد رايت في « الحلم المسيح الذي اعبده اتيا الىَّ وواهبا اياي حلةً ثمينة جداً فصلِ لاجلي لكي انالها ❋

ثالثاً واما زوجة هذا الشاهد فاذ بلغها ما تقدم ذكره قد حضرت الي المشهد حيث كان رجلها يضرب ويُعذب . وشرعت تشجعه كثيراً على ثباته في الايمان . ومن ثم لبثت تحتمل اصناف العذابات بجلادةٍ وبشجاعةٍ عديمة الانغلاب * فلما راى الوالى انه لافايدة له من انه يضاعف التعاذيب علي القديس باكثر مما اذاقه . اذ ان عزمه كان ثابتاً بهذا المقدار في الايمان . فحينئذٍ حكم عليهِ بالموت بقطع راسه * ولهذا ضربه الجلاد بالسيف باترا هامته . وبذلك فاز باكليل الشهادة * اما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكاره المجيد فى اليوم الثالث عشر من شهر اشباط ❋

فان كان القديس بوليفكطوس حصل على شجاعة هكذا عظيمة وعلى صبرٍ عديم ان يغلب فيما بين اشد الامتحانات . وذلك لاجل انه شاهد في الحلم . مخلصنا يسوع المسيح اتيا اليه بثوبٍ ثمين . موعداً اياه بايهابه له ان ثبت مجاهداً عن الايمان . فلماذا لا توجب فينا نحن ايضاً مواعيد الله الصادقة هذا الثبات على عمل البر . والصبر على المحن والتجارب والمصايب التي يفتقدنا الله بها لاجل خيرنا الروحي ولازدياد اجرنا في ملكوتِ السماوات * اترى ان ظهور تلك الرويا في الحلم للقديس الشاهد المذكور تستحق اكثر اعتباراً من المواعيد الالهية المدونة في سجل الكتاب المقدس * والحال ان ما يظهر في الحلم فمرات كثيرة بل اعتيادياً لايثبت لدينا حقيقةً ما دينيةً * واما اقوال الله المكتوبة في سفره الالهي فهي الاساس الوحيد لايماننا . اذ ان السما والارض تزولان واما كلام الله فلن يزول ابداً * فلنعتصم اذاً بمواعيده تعالى الامينة . ونغار على مجده القدوس . ونحرص على حفظ ناموسه بالتمام . ولانمل من صنيع الخير . حتي اذا ما عشنا بسيرةٍ مسيحية حسنة وبلغنا الي منتهى حياتنا بقداسةٍ . فيمكن لكلٍ منا ان يقول مع الرسول القديس بولس برجاءٍ وطيد هاتفاً : « قد جاهدت الجهاد « الحسن . قد تممت السعي . قد حفظت الامانة . فمنذ الان اكليل العدل معدٌ لي الذي « سيقضيهِ في ذلك اليوم الرب القاضي العادل (تيموناوس ثانية ص ٤ ع ٧) ❋

* اليوم العاشر *

* وفيه تذكار القديس غريغوريوس اسقف نيصص والبار *

* دوماثيانوس اسقف ملطية والبار مركيانوس القس اقنوم *

* الكنيسة العظمى *

اولاً فالقديس غريغوريوس اسقف نيصص المذى هو احد ابا الكنيسة الجامعة قد ولد في سنة ٣٣١ في اقليم الكبادوك من القديس فاسيليوس والقديسة اميليا * فبيت ابيه المذكور قد وجد له نظير مدرسة الفضايل . من حيث ان العيلة كلها كانت مولفة من قديسين وقديسات * على انه ما عدا نموذجات الفضيلة والتقوى التي كان يشاهدها في شخصي والدية المذكورين قد كان يوجد له تمثال اخر لذلك في شخصي اخيه القديس باسيليوس الكبير . وفي اخته القديسة ماكرينا . واثناهما كانا اكبر منه سناً وهو كان يكرمهما ويعتبرهما جداً جداً * ولكنه لم يتبع اثر تصرفاتهما بالتمام * على انه عوضاً عن ان ينفرد عن العالم بالوحدة كما فعل القديس باسيليوس اخوه . قد اخذ يسلك طريق اهل العالم واقترن بالزواج مع ابنة مملوة من الفضايل والاستحقاقات مدعوة ثاوسابيا حسبما يمدح ذكرها وفضيلتها القديس غريغوريوس النزينزي . ومع ان دعوة الزواج المقدس التي اعتنقها القديس غريغوريوس نيصص هي محمودة وجيدة . . وهي سر عظيم كما يدعوها الرسول الالهي . فمع هذا قد حصل على ندم ليس بقليل لسبب انه كان يتامل مرات كثيرة في انه قد خسر كنز حفظ البتولية الذي لاثمن يوازيه * ومن ثم يقول في تاليفه المختص بحفظ البتولية انه يعترف بغم في ان جميع ما اورده في ذلك التاليف لم يكن لديه منه افادة خصوصية . من حيث ان دعوة الزواج كانت له نظير الحايط الذي كان يصده عن التقدم الى ما قدام ويجعله متاخراً الى الوراء * ولهذا كان يشبه ذاته بطباخ يهيي للغير اطعمة زكية لطيفة شهية من دون ان يكون مسموحاً له باكل شيء منها * ولهذا كان يقول عن ذاته هكذا : « فماذا « ينفعني اذاً ان اضع لدى اعين الجميع عظم استحقاقات حفظ البتولية سوى ان يجعلني ان اندب « بالاكثر شقاوة عيشتي التي اخترتها لذاتي . وبها خسرت كنزاً لم اعرف قيمته الا متاخراً « جداً . وعلى هذه الصورة اكون كرجل فقير مسكين يشاهد بعينيه اتساع ثروة غيره . الامر « الذي لاينتفع منه الاّ ازدياد الغم على حال شقاوته ومسكنته وفقره الشديد » *

ثانيًا فقد كان هذا القديس مشتبكًا في امور العالم ايضًا حينما حدث منه ذلك النقص الذي هو اشهره عن ذاته لدى العالم اجمع بتواضعٍ ذي نموذج سامٍ . وهو ان والدته القديسة اميليا كانت رتبت اعضا القديسين الاربعين شاهدًا ووضعتها في كنيسةٍ قريبة من قريةٍ كانت هي منفردة فيها بالوحدة وبالتالي قد رغبت ان يوجد ابنها غريغوريوس ايضًا حاضرًا في احتفال وضع هذه الذخاير المقدسة هناك * ومن حيث انه في تلك الازمنة كان هو بعيدًا عن والدته فلهذا قد ارسلت اليه كتابةً في هذا الشان مظهرةً له بها ارادتها في الحضور لهذا الاحتفال المقدس * اما هو فقد انغمّ نوعًا من رسوم والدته المذكورة . مريدًا بالاحرى لو كان ممكنًا انها توخر هذا الاحتفال الى مدةٍ اخرى لكي ينهى على راحته بعض اشغالٍ زمنية كانت وقتيذٍ متراكمة عليه * فلهذا اعاق هو ذهابه بقدر ما امكنه . فما وصل الى مكان الاحتفال الا ليلة العيد * وفيما كان الشعب مجتمعًا داخل البستان الذي كانت فيهِ اعضا الشهدا القديسين مرتلين المزامير والتسابيح طول تلك الليلة . فهو ذهب الى بيتٍ قريب ونام هناك * ثم انه راى ذاته في الحلم ذاهبًا ليدخل الى البستان الموما اليه ليصلي مع الشعب ولكن شاهد على الباب جوقًا كبيرًا من الجنود حراسا على المدخل . الذين لما راوه مقبلاً قد وثبوا جميعًا ضده وبايديهم العصي ليردوه الى الورا ما نعين اياه عن الدخول ومهتمين في ان يضربوه بقساوةٍ لولا يتوسل اليهم احدهم الاكثر شفقةً في ان يغفروا له * وفي هذه الحال قد استيقظ من النوم . واذ افتكر في فتور عبادته ورخاوته التي بها حضر ليشترك في احتفال عيد القديسين الشهدا . قد عرف حالاً ما هو المقصود بذلك الحلم الذي راَه . الامر الذي من اجلهِ اخذ يبكي بحرارةٍ على فتوره ونهض مسرعًا نحو البستان ودخل راكعًا بحذا الصندوق الحاوي ذخاير الشهدا . مغرقًا اياه بدموعه المرة وطالبًا من المراحم الالهية باتضاعٍ وتذللٍ بشفاعات اوليك الشهدا الابطال غفران ذنبه * وهذا الحادث قد اشهره هو لكل الشعب كي يوضح كيف ان جنود المسيح الشجعان الذين سفكوا دماهم من اجله يوجدون احيا امام السدة الالهية ملاحظين ومهتمين في افادة من يلتجي اليهم ❋

ثالثًا فلا نعلم بتاكيدٍ ان كانت هذه الرويا صارت علةً للقديس غريغوريوس لان يرفض العالم مع سعادته ونجاحاته المومله ممن يخدمه . بل الشي الحقيقي هو ان المذكور قد دخل في خدمة الكنيسة واقتبل الدرجات الصغار . غير انه بتجربةٍ خبيثة من الشيطان قد اهمل

بعد مدة مطالعة الكتب الالهية المملوة من العذوبة والافادة ومن نعم الروح القدس وتعلق بقراة الكتب العالمية من كل جنس وبمراجعة كتب الفلاسفة والمنطيقيين وكان يعلم ذلك لبعض شبان مملوين من روح الدهر. منهمكًا بمطالعة الكتب الردية ايضاً فهذا النوع من السلوك قد صير الشعب ان يتلاوم عليه وينغم من تصرف قد كان خطرًا جدًا لغريغوريوس نفسه ومشككًا للضعفا ومهينًا لاسم الاكليروس ومضادًا لقوانين التهذيب الكنايسي ومعيبًا لاسم الديانة المسيحية * فالقديس غريغوريوس النزينزي صديقه الخاص الذى صعب عليه اكثر من الجميع تصرف هذه صفته. قد راى ذاته ملتزمًا قلما يكون من قبل الصداقة بان يبذل كل جهده في ان يجتذب غريغوريوس الى الاستقامة. مظهرًا له نقصه * ولذلك حرر له رسالة في هذا الشان مملوة من الغيرة الحقيقية على خير صديقه ومن الاستقامة الانجيلية التى لا تاخذ بالوجوه ولا تفضل على الحق صداقة بشرية. ومن البراهين اليقينية لاظهار غلطه ونقايصه. في الوقت عينه الذي فيه لم يوفر عن ذاته لاكتساب صديقه للصواب ان يخاطبه بعذوبة تحلي مرارة التوبيخ وبتواضع ودعة واشفاق * فلا ريب اصلاً في ان هذه الرسالة قد بلغت مفعولها. بتنازل المراحم الالهية لاجابة طلبات محررها من اجل صديقه * على ان التغيرات الكلية التى حصلت في القديس غريغوريوس نيصص والنجاحات الروحية التى تقوم فيها من ذلك الوقت فصاعدًا. وارتقاه الى درجة الكهنوت ثم الى اسقفية مدينة نيصص. والمدايح التى كتبها عنه صديقه المذكور النزينزي نفسه من بعد تلك الرسالة. والاعتبار والوقار اللذين قدمتها له الكنيسة الجامعة. والتقريظات التى مدحه بها الجميع في كل ان واين. فهذه جميعها هي براهين اكيدة وشهادات صادقة وسندات وطيدة على انتباه القديس لذاته. واغتنامه فرصة نصيحة الصديق الحقيقي واكتسابه التقدم يومًا فيومًا بالفضايل حتي بلغ الى اسماها * ثم اننا من قراتنا تاليفات هذا القديس نفهم بسهولة كيف انه اهمل مطالعة كتب الفلاسفة الوثنيين وانكب على الهذيذ في تلاوة الكتاب الالهي وفي مولفات الابا القديسين وفي التواريخ الكنايسية بكل جد وبعناية فاقدة الملل * ويظن بالصواب ان القديس المذكور بعد نصيحة النزينزي اياه. قد انفرد متوحدًا في ارض فلاحة كانت لشقيقته القديسة ماكرينا. حيث مكث ناسكًا مدة ليست بوجيزة * والذى يوكد ذلك هو سمو الفضيلة والروح الانجيلى والبراعة في التاليفات

الروحية واللاهوتية التى صنعها بعد ذلك . لاسيما بعد ارتقايه الى علو الدرجة الاسقفية * فهذا جميعه يوكد قضية انفراده في الوحدة واكتسابه هناك هذه الاشيا الجليلة . لاسيما لانه كان من ذي قبل رجلاً منهمكًا في الاشغال العالمية والارباح الزمنية *

رابعًا فكرسي مدينة نيصص في بلاد الكبادوك قد فرغ بعد سنةٍ تقريبًا من ارتقا القديس باسيليوس الكبير الى كاندرا مدينة قيسارية الاكسرخية * ومن حيث قد أُنتخب القديس غريغوريوس سنة ٢٧٢ اسقفًا على مدينة نيصص هذه البعيدة من قيسارية نحو ماية ميل فاساقفة الاقاليم الذين اشتركوا مع ريسهم القديس باسيليوس في رسامة اخيه القديس غريغوريوس المذكور يشهدون في الخطبة التي تلوها في مديحه بكم قد مانع هو قبول هذه الدرجة معترفًا بعدم استحقاقه لها . وانه اخيرًا قد أُغتصب من قبل اتفاق اصوات المنتخبين بالارتضاء الخضوعي * ثم ان السيرة الفاضلة والغيرة الرسولية والقداسة السامية التى تصرف بها وبموجبها واظهرها بعد ارتقايه الى هذه الدرجة قد اوضحت وحققت ان الله قد دعاه اليها بارادةٍ خصوصيةٍ . حيث املاه من مواهب روحه القدوس بنوع انه قد شرف هذا المقام الجليل . فضلاً عن انه تمم واجباته بكل تدقيق * على انه قبل كل شى قد باع جميع املاكه التي كان ورثها عن والديه وانفق اثمانها مع الغنى الواسع الذي كان يمتلكه واصرفه موزعا على الفقرا والمساكين . حتي حصل فقيرًا من كل مقتنى زمني . ثم بعد ذلك نظير خازن امين لوديعة الايمان الكاثوليكي قد اخذ يسهج عليه ويسهر على حفظه من طروق الارائقة الاريوسيين الذين وقتيذٍ كانوا يحاربون كنيسة المسيح الكاثوليكية . موصدًا بازايهم كل مدخل ومقاومًا ضلالاتهم بكل غيرة . ومحاميًا غير مغلوب عن الراي القويم بثباتٍ وبقوة شديدة * بنوع ان اعدا الوهية المسيح المنافقين اذ كلوا عن ان يقدروا بحيلةٍ ما من حيلهم الخبيثة ان ينالوا مرغوبهم منه فاخذوا يضطهدونه بقساوةٍ منذ السنين الاولي من اسقفيته . موجهين ضده كل رجزهم حتى انه التزم خوفًا من ان يقع في ايديهم بان يهرب مختفيًا في اماكن سرية * ولذلك قد اقاموا دخيلاً على كرسى مدينة نيصص واحدًا من احزابهم الارائقة رجلاً حقيرًا اثيمًا لايستحق تسمية عبدٍ اسير فضلاً عن اسقفٍ . وقد اجتهدوا ونالوا من الملك فالانته معضدهم ارسال القديس غريغوريوس الي المنفى . الذي استمر فيه باضامةٍ ليست بقليلة الى سنة ٣٧٨ * التي فيها بعد موت فالانته قد جلس في تخت الملك غراسيانوس

قيصر ورد من المنا في جميع الاساقفة الكاثوليكيين الى كراسيهم . وهكذا رجع القديس المذكور الى مدينة نيصص * ولكن تعزية هذا القديس العظيمة عند مشاهدته حصول السلام والهدو للكنيسة الجامعة قد سُلبت منه في السنة التالية لاجل انتقال اخيه القديس باسيليوس الكبير من هذه الحبوة * على ان خسارته هذا الشقيق الذي كان يكرمه ويحبه ويحترمه كربس ومعلمٍ وابٍ له قد بلغت به مفعولها من الغم والحزن والتوجع بهذا المقدار حتى ان اقوال الاصدقا واقناعات المحبين لم يمكنها ان تعزيه او تصده عن مداومة سكب الدموع كل مرة كان يتكلم عنه او يتذكر بفضايله *

خامسًا فبعد وفاة القديس باسيليوس بمدةٍ قد انعقد في مدينة انطاكية مجمع عام من كل الاساقفة الشرقيين * واذ حضر اليهِ القديس غريغوريوس فقد أُختير من الجميع قاصدًا ومفتقدًا عامًا بملء التفويض لكنايس ابرشيات بلاد العربية وبلاد فلسطين جميعها لكي يستاصل منها كل العوايد الردية والضلالات التي ادخلتها الارانقة . ويوطد فيها الايمان الكاثوليكي والعوايد الصالحة والتهذيبات المقدسة . ويعتنى بترجيع السلام والراحة لكنيسة اورشليم * فالقديس لم يمكنه ان يرفض هذه الوكالة والتفويض الراجعين لخير الكنيسة . الذي درجته ووظيفته كانتا تلزمانه في السعي بهِ * غير انه التمس من ابا هذا المجمع الاذن في ان يوخر التزامه بالسفر الى البلدان المذكورة الى السنة التالية . حيث انه اضطر لاجل خير رعيته بان يرجع الى نيصص ويقضي هناك مدة فصل الشتا والصيام الكبير * وقد شاءت العناية الالهية بان هذا القديس في بحر هذه المدة يحصل على تعزية وافرة بمشاهدته شقيقته القديسة ماكرينا المرة الاخيرة ○ حيث انهُ بعد خروجه من المجمع واخذه بالرجوع الى ابرشيته قد مرَّ على مكان سكنى اخته المذكورة . كي يجد على ظنه برو ياها تعزيةً ما عن فقد اخيه . الذي لم يكن حزن القديسة على وفاته اقل من حزنه * ولكن من يريد ان يجد تعزيةً ما يتفق لـه مرات كثيرة ان يصادف غمًا على غمٍ . لان القديس غريغوريوس حينما بلغ الي الدير الذي كانت فيهِ القديسة ماكرينا قد وجدها في حال نهاية حياتها . بنوع انه في اثناء وصوله الي هناك قد رقدت بالرب فيما بين يديه . وهكذا هو نفسه قد اكمل احتفالات دفنها صحبة الاساقفة الاخرين والاكليروس والشعب الذين تحاضروا لتكريم نياح هذه القديسة الجليلة والسامية فيما بين القديسات والبارات

والبتولات الكلية طهارتهن ❋

سادساً ثم انه بعد ان رجع القديس غريغوريوس الى ابرشيته قد سافر منها عند نهاية فصل الشتا الى بلاد العربية لتكميل الاعمال التي فوضت اليهِ من المجمع الانطاكي ولكن التاريخ الكنايسى لايخبرنا عن شي من اعمال افتقاده واسفاره المذكورة . بل الذي نعلمه بتاكيد هو ان هذا القديس بعد نهاية افتقاده تلك البلاد قد ذهب الى مدينة اورشليم لتكميل وظيفته ولاشفا غليل اشواقه . التى كانت مضطرمة فيهِ منذ سنين كثيرة في ان يزور الاماكن المقدسة . التي فيها قد باشر مخلصنا يسوع المسيح عمل افتدا الجنس البشري وقد حصل من ذلك على تعزية عظيمة كما يقرر هو نفسه . متذكراً عند زيارته بيت لحم وجبل الجلجلة وجبل الزيتون والقبر المقدس عظم المراحم الالهية الغير المتناهية التى أستعملها فادينا نحو خلاصنا الابدي ❋ غير انه في الوقت نفسه يوضح انه لم يجد عند سكان تلك الاماكن المقدسة حسن التقوى والفضيلة الواجبة . ومن ثم يعلن بانه لم يتعلم من سفره الى هناك شيئاً اخر سوى ان يتاكد في انه كان يوجد في بلاد الكبادوك حسن السلوك والعبادة والاداب والفضايل بافضل جداً مما وجد في مدينة اورشليم ❋ ولهذا حينما طلب منه احد اصدقايه بأن يقدم له رايه في شان بعض الرهبان الذين كانوا يرغبون ان يسافروا من بلاد الكبادوك الي مدينة اورشليم لاجل زيارة الاماكن المقدسة . قد اجابه هو عن ذلك بانه بحرص اوليك الرهبان مقدما لهم مشورته الصالحة بان يفضلوا خروج انفسهم من اجسادهم كي تذهب الي اورشليم السماوية وتتحد مع يسوع المسيح في ملكه على خروجهم من الكبادوك وذهابهم الى اورشليم الارضية ❋ ويسند القديس رايه بذلك على براهين عديدة منها ما يلاحظ بوجه العموم كل الذين يعانون هذه الاسفار . التى ولين كانت في ذاتها صالحة اذ تحوى عبادةً نحو الله بالذهاب لاجل زيارة الاماكن التى قدسها مخلصنا يسوع المسيح بحضوره بالجسد هناك وبتتميمه اسرار افتدا الجنس البشري . فمع ذلك توجد مخاطر روحية كثيرة الى اشخاص كثيرين من هولا الزوار ❋ ومنها ما يلاحظ الرهبان بوجه الخصوص . الذين لايلايم دعوتهم المقتضية البعد عن العالم والاختلا في الانفراد ان يمارسوا سفراً مستطيلاً مثل هذا بالمداخلة ضرورةً مع اهل العالم المختلفي الجنس والسن والدعوات ❋ فالقديس هنا لايريد ان يشجب مطلقاً زيارة الاماكن المقدسة التى يمكن ان

تكون مفيدةً للبعض . ولكنه يتكلم بوجه العموم بان ذلك لايوافق الجميع من كل جنسٍ ودعوةٍ . لاسيما لانه في تلك الازمنة كان الجميع يعتبرون هذه الزيارة كانها اعظم افعال العبادة لله * وكانَّ الذي لايمارسها ليس هو بمسيحي حسن الديانة اذ يخالونها ملزمةً وضروريةً *

سابعًا واما نظرًا الى ما صنعه القديس غريغوريوس نحو كنيسة اورشليم فهو انه قد وجدها بانشقاق عظيم من قبل الاريوسيين الذين صيروها ايلةً الى الدثار * وكان مضي على اسقفها الشرعي القديس كيرللس نحو سنتين من دون ان يُقبل من كثيرين كراعٍ قانوني لها * وهذا وذاك قد صيَّرا سلطانه غير مطاع بشكوك فظيعة * فالقديس غريغوريوس بعد ان استعمل ما كان ممكنًا لديه بجهدٍ وعنايةٍ نحو سلام تلك الابرشية وايقاع الصلح والاتفاق ولم يحصل على ثمرة ما قد التزم بالخروج من بلاد فلسطين . حيث فيما بعد ذهب الى المدينة المتملكة التي فيها التيم سنة ٣٨١ المجمع المسكوني الثاني القسطنطيني الاول * ففي هذا السينودوس العام قد كان هذا القديس كاحد ابايه المعظمين جدًا . وقد تلا فيه تلك الخطبة الجليلة في شان مدح القديس ملاتيوس البطريرك الانطاكي الذي رقد بالرب قبل اختلال المجمع المذكور * وقد أُعتبر من جميع ابا السينودس بهذا المقدار . حتى انهم اختاروه مع بعض الاساقفة الاخرين كانه ركن الاتحاد الكاثوليكي . بنوع ان كل اسقفٍ او شخص لايكون متحدًا معه او مع احد الاساقفة المختارين صحبته في الشركة فلا يكون كاثوليكيًا * واخيرًا بعد ان انهى اعماله الصالحة التي افادبها الكنيسة . وحارب الارائقة والاراسيس بشجاعةٍ غير مغلوبة . وارشد المومنين بصونه الحي وتاليفاته الجليلة . لاسيما اوليك الذين كانوا مسلمين لامانة سياسته * وكان قد امتلا من السنين والاستحقاقات معًا فقد ترك هذا العالم راقدًا بالرب نحو نهاية الجيل الرابع . حيث ارتقى الى تلك الغبطة الابدية ليتمتع بمكافاة اعماله المقدسة * اما الكنيسة اللاتينية فتحتفل بتذكاره المقدس في ٩ ادار *

فمصنفات القديس غريغوريوس نيصص قد وجدت وستوجد كلية الافادة لكل من طالع بها ومن رسالته المشار اليها انفًا المتضمنة جوابه ورايه بخصوص زيارة الاماكن المقدسة يظهر واضحًا انه هو لم يكن يعتبر كثيرًا مجرد العبادة الخارجة التي توجد مشتركة مع الامر

الرذايل . او قلمًا يكون توجد بها اخطار كثيرة * حيث ان عبادةً خارجية هذه صفتها يتفق مراتٍ كثيرة ان تباشر من الاشرار ايضًا * بل كان يحرّض على ارتقا القلب نحو الله . بالانقلاع عن انعطافات اللحم وعن محبة الاشيا الزمنية . وعلى التردد في السماوات اي تلاعج الاشواق القلبية نحو الخيرات الابدية . التي يجب ان تكون موضوع انعطافاتنا واشواقنا ومرغوباتنا الوحيد . وعلى ان نصلب جسدنا مع الامه الردية . واخيرًا على ان نخضع ارادتنا في كل الاشيا لارادة الله وفي هذه هي قاية العبادة المسيحية الحقيقية . لان مخلصنا يسوع المسيح يعلمنا قايلاً (متى ص ٧ ع ٢١) : « ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السماوات لكن من يعمل ارادة ابي السماوي فذاك يدخلها » *

* سيرة البار دوماتيانوس اسقف ملطية *

اولاً ان القديس دوماتيانوس قد ولد في مدينة ملطية نفسها في زمن الملك يوستينوس الصغير الذي تملك سنة ٥٦٥ وتوفى سنة ٥٧٨ * ومن حيث ان عيلة والدى هذا البار المسيحية كانت غنيةً جداً فامكنه ان يحصل ليس على تربية حسنة فقط بل علي ان يدرس العلوم البشرية والفلسفية والديانة ايضًا بنوع كلي النجاح . وقد تروّض حسنًا في الاداب وحصل عاشقًا للفضيلة . وقد اقترن بسر الزواج الناموسى مع ابنة من قراين جنسه مملوةً من التقوى * الا ان مدة اتحاده بها بهذا السر كانت وجيزة . من حيث انها قد رقدت بالرب في سن صبايها *

ثانيًا فهذا البار بعد وفاة قرينته قد تفرغ باكثر اهتمام الى خدمة الله وعبادته . مجتهدًا في ان ينمو يومًا فيومًا في السيرة الروحية وفي اقتنا الفضايل السامية التى بلغ فيها الى درجات عالية من الكمال الانجيلي . الامر الذي جعله معتبرًا امام الجميع ومستحقاً للتقدم في الدرجات الكنايسية المقدسة . الى ان أُنتخب من الاكليروس والشعب راعيًا لابرشية ملطية عينها . التي ارتسم عليها اسقفًا وتسلم زمام تدبيرها * وحينئذٍ اذ وُضع السراج على المنارة قد اشرقت انوار فضايله وعلومه ليس لجميع من هم في بيت الرب فقط بل لدى الخارجين عن الديانة ايضًا . الذين اكتسب اعتبارهم اياه وحصل على اسم شايع وصيت ذايع في المملكتين الرومية والفارسية . ومن ثم امكنه ان يزيل سبب الحرب من بين هاتين المملكتين ويوطد الصلح التام فيما بينهما *

ثالثًا على ان سلطان العجم قد كتب الى الملك ماوريسيوس في انه اذا حضر اليه الاسقف دومانيانوس من قبله اى من قبل ماوريسيوس وامكنه ان يقنعه بالحقايق فيصير لبس صاحبًا ومحبًا فقط لماوريسيوس بل خادمًا له ايضا . ولهذا اذ مضى اليه هذا الراعى القديس وتعاطى معه شروط الصلح فتمماها بفرح عام وكرامة سامية نتج عنها حدوث التهليل والسرور في المدينة المتملكة القسطنطينية وفي جميع مدن المملكتين . وهكذا اذ رجع هذا البار من بلاد العجم الى القسطنطينية قد اشترك بتعزية الفرح * الا انه قد فارق هذه الحيوة منتقلاً الى الفرح الابدي . وقد نقل جسمه باحترام وكرامة من المدينة المذكورة الى ملطية ودُفن في كنيسة الكاتدرا حيث شرفه الله باصطناع عجايب كثيرة توضح عظم المرتبة التى حصلت عليها نفسهُ البارة في السعادة الابدية *

* سيرة القديس مركيانوس *

اولاً ان القديس مركيانوس اقنوم كنيسة القسطنطينية العظمى (الذي هو مختلف عن البار مركيانوس السايح الذي هو من مدينة كورش) قد ولد في القسطنطينية عينها نحو سنة ٤٣٠ من والدين شريفين وغنيين جدًا . اللذين قد ربياه بخوف الله الذي هما كانا ممتلين منه * وحينما بلغ السن الكافي من العمر قد دخل في طغمة اكليروس الكنيسة العظمى . حيث تلالات فيه فضايل الطهارة والتقوى والعبادة والعوايد الصالحة وعلم الكتاب الالهي لاسيما فضيلة السخا نحو الفقرا والمساكين الذين كان يسعي بانعطاف قلبي وشفقة كلية في اسعافهم بكل نوع مستطاع لديه * فيُظن من البعض انه اي مركيانوس قد كان انخدع في المبادي من اناس من شيعة النوفاتسيانيين . غير انه حينما انكشف ضلالهم وعرف . فهذا البار قد رفضهم وعلى الدوام تمسك بالايمان الكاثوليكي . ولاجل فضايله السامية قد رسمه القديس جناديوس البطريرك القسطنطيني كاهنًا وبعده اقامه بوظيفة اقنوم السدة البطريركية في كنيسة الكاتدرا * وهذه اللفظة اي اقنوم هي لفظة يونانية معربة لان اصلها ايكونوموس لفظة مركبة من ايكوس اي بيت ومن نوموس اي شريعة . ومعًا تعنى مدبر البيت او المشترع ترتيبه . ولكن كنايسيًا يفهم بها المتقدم او الوكيل العام ام الخازن الاكبر * على انه في الاجيال المتقدمة كان لهذه الوظيفة في الكنايس البطريركية اعتبار عظيم جدًا حيث ان الايكونوموس كان له التقدم على جميع طغمة الاكليروس بعد شخص البطريرك

وكان يخصه تدبير المداخيل الكنايسية والاملاك الزمنية كلها نظرًا الي جميع كنايس المدينة البطريركية من استيلا وتوزيع بمنزلة خازن عام يفي العلايف لجميع الاكليروس ولاصحاب الوظايف . وكان يخصه ان يعطي الاوامر في كيفية توزيع جميع تقدمات المومنين وقرابينهم ونذورهم وزكاتهم وعشورهم بالنوع الذى يحكم انه ملايم حسبما يشا . مقسمًا هذا المجموع على الارامل والايتام والمرضى والفقرا والمحتاجين ثم على البيمارستانات . ولسد عوز الكنايس التي في تلك المدينة والتى في البلاد والقرى الخاضعة لها كما انه كان يتعلق بوظيفته هذه ان يعتنى بعمار تلك الكنايس او بتصليح ما يهدم او يتعطل منها * فالقديس مركيانوس قد تمم هذه الواجبات كلها بتدقيق كوكيل امين وكتهرمان جزيل الحكمة وكموزع عادل وكمدبر فطن . وقد اظهر في جميع تصرفاته التواضع وعدم قيام الراي الذاتى حتى انه قد فوض كلاً من الخوارنة المتقدمين بانه يقدر ان يستولي حسنات المومنين الذين في خورنتهم مع تقدماتهم وقرابينهم وبان يوزعها حسبما يرى ملايمًا امام الله ❋

ثانيًا ثم انه في غضون ذلك قد رقد ابواه بالرب ۞ واذ بقي هو وريثًا وحيدًا لجميع الغني الواسع الذي تركاه له . فهو قد وزعه جميعه على الفقرا والمعوزين وفى عمل البر . من دون ان يبقي لذاته شيًا ما منه بالكلية * فقد شيد بيمارستانًا عظيمًا لاجل المرضي المساكين . واعتنى بمرمة كنايس كثيرة وبتصليحها ۞ اذ انها كانت لاجل تهاون سلفايهِ بهذه الوظيفة ايلةً الى الدثار * كما انه قد عمّر بعض كنايس جديدة . وقد كان يعول عددًا ليس بقليل من العايلات المحتاجات * ونقول بالاجمال انه انفق كل ما كان يملكه على عمل البر واسعاف الفقرا . حتى انه مرات كثيرة كان يوزع حوايج ملبوسه نفسها على المساكين . وكاد يعود عريانا * وقد كانت عنده عناية خصوصية واجتهاد بليغ فى ان يجذب الى التوبة النسا اللواتي من قبل فقرهنّ كنّ يبعنَ ذواتهنّ متاجرات التجر الدنس القبيح * وكان ينتشلهنّ من هذه المهنة الفاقدة الصيت والمغرقة في بحر الاثام . غير مستانف من التكلم معهنّ ومن اقناعهنّ بعمل التوبة بعد اسعافهِ اياهنّ بما كنّ يحتجنه * وبذلك كان يقتفي اثر مخلصنا يسوع المسيح الذي لم يانف من ان يخاطب العشارين والخطاة ويتردد معهم ويواكلهم ويقبل النسا الزانيات اللواتي كنّ يلتجينَ اليهِ بالتوبة * وقد ايد الله مساعي هذا القديس بايهاب نعمهِ لكثيرات من اوليك الخاطيات . اللاي اذ استفدنَ من وعظه وارشاده واسعافاته

الزمنية ايضاً . قد تركن سيرتهن الردية وتمسكن بسيرة مسيحية وبتوبة حقيقة * والبعض منهن قد دخلن في الديورة وعشن مع الراهبات عيشة مقدسة معمرة القريب . وغيرهن قد ذهبن الى مدينة اورشليم وسلكن سبلاً غريبة عن التصديق بصرامة النسك والتوبة حتى استحقين من الله نعمة ان يشفين المرضى ويخرجن الشياطين الذين فيما مضى كن اسيرات لهم *

ثالثاً فاعمال محبة نحو القريب هكذا سامية مقترنة مع فضايل اخر في القديس مركيانوس قد صيرت الشعب القسطنطيني ان يعتبره ويكرمه ويحبه ويحترمه جداً . لا سيما الملك والقديس جناديوس البطريرك * وبابلغ من ذلك قد تضاعف نحوه التوقير والتبجيل من الجميع . حينما شرف الله فضايله بموهبة صنيع العجايب التي مورخ حياته يورد منها كثيرة باثباتات * اما نحن فنكتفي بايراد واحدة فقط منها التي قد أوردت من مورخين اخرين ايضاً معتبرين ومستحقين التصديق الفاقد الريب * وهي انه قد حدث في سنة ٤٦٥ في القسطنطينية حريق مهول قد افنى لهيبه جانباً عظيماً من هذه المدينة . وقد امتد بقوته الى الكنيسة الجليلة الذايعة الصيت المدعوة انسطاسيا اي قيامة . وانما دُعيت بهذا الاسم لاجل انه بغيرة القديس غريغوريوس النزينزي وجهاده وكرزه وتعليمه واعراقه الرسولية التي بواسطتها قبل بخو مايتي سنة كان قد انبعث الايمان الكاثوليكي وكانه قد قام من الموت في هذه المدينة المتملكة التي فيها بنوع خاص قد أضطهدت الامانة المستقيمة باشد قساوة . ليس فقط من اوليك الاساقفة الاريوسيين بل ايضاً من الملوك الذين كانوا يحامون عن هذه الارتقة . وكان تابيد الايمان القويم اخذ بدايته من كنيسة الانسطاسيا هذه . التي فيها كان القديس غريغوريوس المذكور يكرز ويعلم ويحامي عن الايمان المستقيم * وقد كانت في زمانه صغيرة غير انها فيما بعد قد تشيدت وتوسعت وتجملت من الملوك الكاثوليكيين بنوع جليل وفريد وهكذا القديس مركيانوس عينه كان ضاعف زينتها وغناها ووسعها . فاذاً حينما راى هو اي القديس مركيانوس ان لهيب نيران الحريق العظيم قد دنا من اربع جهات هذه الكنيسة قد اخذ بيده كتاب الانجيل المقدس وصعد على سطح الكنيسة عينها وجثا على ركبتيه متوسلاً لله بدموع حارة بان يحفظ هذه الكنيسة غير منثلمة من الحريق كما حفظ الثلثة الفتية في اتون بابل لكيلا يشمت الاريوسيون اعداء الايمان ويفرحوا عند مشاهدتهم ابادة هذا المعبد

الالهي بالنار . المعبد الذي صار علامةً لحزي ارتقتهم ولابادتها . كما انه اضحى كبيرق انتصار الايمان الكاثوليكي وقيامته بعد ان ضعف وكاد يموت في تلك المدينة المتملكة * فيا للعجب انه ما فرغ القديس مركيانوس من صلاته هذه والاَّ بلهيب النيران ابتدا ان ينكفَّ من كل ناحية عن الكنيسة الانسطاسيا راجعًا الى الورا بقوة غير منظورة وفاقدة ان تغلب . وهكذا باغتصاب مضاد لهذا العنصر القوي قد أُخمدت قوته وتبدد اجيجه وأُطفى لهيبه . وعلى هذه الصورة سلمت تلك الكنيسة غير مثلومة بفرحٍ عام لجميع المومنين وباشتهار عظيم لقداسة هذا البار الذي لم يتغافل الله عن اجابة طلبته من دون ابطاء . هذا ما عدا المجد السامي الذي نتج من هذه الاعجوبة للايمان الكاثوليكي فلا يُعرف بتاكيد كم من الزمن قد عاش القديس مركيانوس بعد هذه الاعجوبة . بل يتجح واضحًا ان انتقاله من هذه الحيوة الى السعادة الابدية . قد كان بعد سنة ٤٧١ وقبل سنة ٤٨٠ *

فلربما يوجد البعض الذين يتذهلون عند قراتهم في سير القديسين ما صنعه القديس مركيانوس ومثله كثيرون بايهابهم للفقرا والمساكين جميع غناهم وثمن املاكهم وموجوداتهم حتى اثوابهم انفسها * ولكن هذا الاندهال يزول متى تاملوا فيما يعلمناه الحق بالذات في انجيله المقدس بانه يحتسب تعالى مفعولاً مع شخصه الالهي عينه جميع ما يُفعل مع الفقرا والمساكين والمرضى والمحبوسين والجياع والعطاش والعراة والغربا . وانه يعطي المحسنين عوضًا عن ذلك الملك السماوي المعد لهم مكافاةً عنه من قبل انشا العالم * ففعلٌ حسنٌ اذًا هو ان المسيحي يعزي ذاته ما يملكه . واذ يهبه للبايسين والمحتاجين فيهبه لله عينه . الذي من اجل خلاصه لم يتوقف عن ان يسفك بالجسد دمه الى اخر نقطة * فلو نكون نحن متصفين بالايمان الحي الذي اتصف به القديسون والذي نحن نعتقده بدون ارتياب لكان امرًا سهلاً لدينا هو ان نعطي الفقرا والمساكين بطلاقةٍ وبشاشةٍ . لاسيما حينما ننقذ بواسطة حسنتنا نفسًا ما من خطر السقوط في الاثام . اولمَّا نجذب بواسطة صدقتنا الى التوبة اوليك الاشخاص الذين لسبب فقرهم يتورطون متكردسين في حمات الرذايل * على ان فعل محبة القريب بتخليص اناسٍ هذه صفتهم بواسطة الصدقة من هونة الخطايا هو امرٌ مقبولٌ جدًا عند الله * ولذلك قد باشره بعنايةٍ خصوصية القديس مركيانوس كما تقدم عنه الايراد . وبهذا وذاك قد خزن له الكنز العظيم في السماوات *

* اليوم الحادى عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار ثاوضوسيوس ريس الديارة *

اولاً ان القديس ثاوضوسيوس ريس الديارة قد ولد في بلدةٍ من اقليم الكبادوك نحو سنة ٤٣٢ من والدين متاصلين في التقوى والفضيلة . اللذين قد احسنا تربيته موطدين في قلبه حسن العبادة ونقاوة الديانة * وبذلك قد نما بالفضايل ناجحًا واستحق ان ينتخب لوظيفة اناغنوسط الكنيسة التي هي احدى الدرجات الصغار المختص بها تلاوة الكتب الالهية على الشعب * وقد مارس ذلك مدةً من الزمان . وهذا كان له بمنزلة رياضةٍ حسنة روحية تضرم فى قلبه الاشتياق لان يضع بالعمل ما كان يتلوه على الشعب من ارشادات الكتاب المقدس * ولهذا حينما كان يقرا يومًا ما خبرية امر الله لابراهيم اب الاباء ان يترك بلاده ووطنه ويحضر الى الارض التى ارشده اليها تعالى . وتذكر ما وعد بهِ مخلصنا يسوع المسيح اوليك الذين من اجل محبته يتركون كل شى ويتبعونه . قد اعتمد هواي ثاوضوسيوس على ان يضع هذه المشورة الانجيلية بالعمل بذهابه اولاً لزيارة الاماكن المقدسة وبتوجهه اخيراً الي احد القفار ليمارس النسك بالوحدة والانفراد عن العالم *

ثانيًا ففيما كان مسافراً بالقرب من مدينة انطاكية قد ذهب لزيارة القديس سمعان العمودي . الذي كان وقتيذٍ حيًا . وكان صيت قداسته شايعًا وكيفية حياته على العمود مذهلة العقول * فهذا القديس حالما شاهد ثاوضوسيوس قد دعاه باسمه قايلاً : « باعبد الله ثاوضوسيوس فليكن حضورك سعيداً » * ثم طلب ان يصعد اليه فوق العمود . حيث عانقه باحترامٍ . وبروح النبوة قد اخبره عن اشيا كثيرة مما كان عتيدًا ان يعرض له * فثاوضوسيوس قد اقتبل باتضاعٍ كرامة القديس اياه . وباضطرابٍ ما نبهه عنه نبويًا . واتبع تمام مسيره الى اورشليم * وبعد نهاية زيارته بعبادة الاماكن المقدسة . اخذ يفكر في نوع العيشة التي كان يلزم ان يباشرها * ومن حيث انه من جهةٍ اولى كان يتامل ضعف جسمه وعدم مقدرته على اعتناق سيرة السواح في الوحدة . ومن جهة ثانية لم يكن هو بعد ارتشد بها من احد . فمن ثم عزم على ان يتبع في الاول سيرة الرهبان العايشين معًا عيشةً مشتركة * فقد تتلمذ لرجل راهب فاضل مشهود له بانه معلم جليل بالسيرة الروحية كان يدعي لونجينوس وكان قاطنًا في المكان المدعو برج داود ممارسًا انواع النسك والامانة *

فلوخينوس اتخذ على ذاته العناية بارشاد ثاوضوسيوش وليس من دون سرورٍ وتعجب كان يشاهد فيه قابليةً واستعداداتٍ ونجاحاتٍ عظيمة في سيرة الكمال وفي التاصل في الفضايل * غير انه وجد بعد ذلك بمدةٍ مضطرمًا لمفارقة هذا التلميذ المحبوب منه لاجل انه لم يجد احدًا يستامنه على حراسة كنيسة والدة الاله الكلية القداسة المشيدة خارج مدينة اورشليم في طريق بيت لحم من امراةٍ عابدة لله تدعي ايكاليا . التي توسلت بذلك كثيرًا الى لوخينوس * ولهذا وضع بتلك الكنيسة ثاوضوسيوس ليعتني بها ويحافظها ويهتم بتدبيرها ثالثًا غير ان ثاوضوسيوس ليس بعد مدةٍ مستطيلة رفض هذه الوظيفة التي كان مقترنًا بها بالضرورة تراسه علي الغير . الامر الذي لم يكن يوافق تواضعه ورغبته في ان يكون مروسًا وادني من خادمٍ حقير * ولهذا ذهب الى قمة جبلٍ بعيدٍ مقفرٍ وقطن في كهفٍ ضمن مغارةٍ . يعتقد بالتقليد انها كانت مدةً ما ماوى لملوك الفرس في رجوعهم من بيت لحم الي بلادهم بعد سجودهم للطفل يسوع * فهناك لبث القديس ثاوضوسيوس عدةً من السنين بعيدًا عن كل احدٍ . متحدًا بالله وحده . مباشرًا سيرة النسك والامانة بصرامة . مستحرًا في الصلوات والابتهالات والتراتيل . مثابرًا على قهر الذات واذبال الحواس واخضاع الجسد للروح وامانة الاميال البشرية كافةً . مجتهدًا في اقتنا الفضايل وترتيب نوع السلوك المطابق غاية الكمال . معتنيًا بان يكون منسيًا من البشر وبعيدًا عن معرفتهم به وبكيفية سيرة نسكهِ الشاقة * ولكن الباري تعالى قد اراد كشف فضيلة عبده لافادة القريب . ولهذا قد ذهب اليه ستة او سبعة اشخاص لم يمكنه ان يرفض توسلاتهم في ان يرتشدوا منه في طريق الكمال المسيحي . بل قد اقتبلهم تحت تدبيره الروحي * فالقضية الاولي التي ارشدهم الي التمسك بها قد كانت تذكرة الموت على الدوام . الامر الذي اعتبر في كل وقتٍ ومن الجميع انه الواسطة الفعالة للصد عن الخطية * ثم لكي يصيّر هذا القديس تلاميذه الموى اليهم حسنى المواظبة على التامل في هذه القضية . قد امرهم بان يحفروا قبرًا بمساعدة احدهم الاخر ويعمروه حسب العادة * واذ تمموا ذلك قال لهم القديس بوجهٍ باش وبرصانةٍ (لانه كان من عادته ان يمزج السطوة والرصانة بعذوبة الالفاظ والبشاشة) متكلمًا هكذا : « هوذا القبر قد تهيا وانتهي عمله . فترى من هو فيما بينكم يكون الاول بالسكني فيه مايتا * فاحدهم الذي كان يدعي باسيليوس وكان كاهنًا

قد تحرك من الشوق الى الذهاب نحو الرب . فجثا عند قدمي القديس ثاوضوسيوس طالبًا منه البركة واجابه قايلاً : «اني انا هو اول من يغتنم الفرصة بان يدفن في هذا القبر ان كنت تريد يا ابتِ» * فالقديس الذي وهبهُ الله نعمة معرفة المستقبل قد جاوب باسيليوس بان الله قد قبل قربانه هذا . ومن ثم قد سمح القديس لباسيليوس بان يدخل الي القبر ويتكي بهِ كمايتٍ . وامر بان يبتدي الحاضرون بترتيل الجناز حسب العادة الكنايسية * فاما باسيليوس الصحيح الجسم والخالي من المرض فقد اغرب عينيه ورقد بكل هدوٍ وسلامٍ كانه نايم . وفي الحال قد فارقت نفسه جسده متراقيةً نحو من اشتاقت الي مشاهدته في مجده الالهي مشتركةً في سعادته الابدية في السماوات *

رابعًا فهذه الشهادة الاولى التي بها اراد الباري تعالى ان يثبت فضيلة عبدهِ ثاوضوسيوس قد زكاها عزَّ وجلَّ بمعجزات أُخر كثيرة * وهذه وتلك قد صيرتا اسمهُ شايعًا وصيته زايعًا . وجذبتا شعوبًا مختلفي الطوايف والبلاد والسن والمقام الى التتلمذ له والعيشة تحت ارشاده وتدبيره الروحي * ولذلك قد اضطر القديس لان يوسع زمنًا بعد زمنٍ عمارات الدير الذي كان قاطنًا فيهِ . حتي انه صار كبيرًا بهذا المقدار كانه مدينة مشيدة في وسط القفر . ولكن مدينة مقدسة متمالك فيها التهذيب والترتيب والهدو والنظام والسلام والصمت والمحبة * فهناك كانت توجد اربع كنايس . فاحداهنَّ كانت منفصلة عن الثلث الاخريات ومختصة بقبول اوليك الذين كانوا لاجل خطية الكبريا او لاجل بعض الرذايل الخفية يُعترون من الارواح النجسة . حيث كان يوتي بهم الي هذه الكنيسة التى فيها كان القديس ثاوضوسيوس يبذل عنايةً خصوصية نحو شفايهم ونجاتهم من تلك الارواح الشريرة * واما الثلث الكنايس الاخريات فكانت خاصة الثلث الطوايف التى منها كانت مولفةً جمعية اوليك الرهبان الجزيل عددهم . فالواحدة كانت لاجل تلاوة الفروض وقيام الطقوس باللسان الارمني من الرهبان الارمن . والثانية لاجل ذوي اللسان السكيافوني . والثالثة وهي الكبرى ولم الاربع كنايس قد كانت لقيام الطقوس والخُدم الالهية باللسان اليوناني وفيها فقط كان يصير تناول القربان الاقدس من الجميع *

خامسًا ثم ان القديس ثاوضوسيوس لكي يبيد من رهبانهِ رذيلة البطالة التى هي جرثومة الشرور . اعتاد ان يلزمهم جميعًا بعمل اليد لاسيما في الخدم الضرورية لقيام جميعتهم . كيلا

يحتاج الامر الى دخول احد غريب فيما بينهم بسبب الخدمة * وقد كانت محبة القديس نحو القريب حارة في كل نوع . حتى انه اقام امكنةً واسعةً ومرتبةً بنظامٍ بالقرب من الدير الكبير . وجعل بعضها خاصة للزوار الاصحا و بعضها للمرضى . حيث كل احدٍ من كل سنٍ ودعوة كان يجد احتياجاته ليس الجسدية فقط بل الروحية ايضًا * وكان من عادة هذا القديس ان لايهتم في المستقبل اصلاً بل فى الحاضر فقط متكلاً على العناية الالهية برجا وطيد في ان الاحتياجات العامة والخاصة العتيد حدوثها يدبرها الله * فرجاوه هذا لم يكن خايبًا على ان الحسنات والاسعافات التى كانت تاتيه لم تكن تجعله فارغًا من المكنة لان يصرف على معاش عددٍ هكذا عظيم من الرهبان ومن الغربا والزوار اصحا ومرضي متممًا احتياجاتهم كافةً وكان يفضل عنه دايمًا ما يلزمه لسد عوز من ياتيه على غفلةٍ . مع انه كان يثنق له مرات كثيرة ان يعول عددًا وافرًا جدًا من الغربا بنحو مايةٍ مايدة تتقدم لهم في كل يومٍ كما يشهد مورخون كثيرون مستحقون كل تصديق *

سادسًا بين اهتماماتٍ عظيمة هذا مقدارها كان القديس ثاوضوسيوس سالكًا بهدوٍ وسلام خاليين من كل قلقٍ او بلبلة في الوقت عينه الذي فيه لم يكن يتغافل اصلاً عن تدبير رهبانه وارشادهم وتثقيفهم بحكمةٍ وفطنةٍ ساميتين تصيران الجميع راضين مادحين حامدين تصرفاته معهم . ومن ثم قد اقامه سالوتسيوس بطريرك اورشليم ابًا ورييسًا عامًا على جميع اديرة الرهبان الموجودة في بلاد فلسطين نظير ما كان في الوقت عينه القديس سابا ابًا ورييسًا عامًا على جميع السواح في تلك البلاد . فهذان القديسان الجليلان كانا مرتبطين احدهما مع الاخر بوثاق الحب والصداقة ومتحدين معًا على المحاماة عن الايمان الكاثوليكي وعن سلطان المجمع الخلكيدوني ضد الملك انسطاسيوس الذي كان يعضد ارتقة الاوطيخيين الذين كانوا يوجبون اختلاط الطبيعتين وامتزاجهما في اقنوم سيدنا يسوع المسيح الالهي * فالملك المذكور لمعرفته كم كانت تنجح مقاصده وكم كان يقوم عدد الارتقة في بلاد فلسطين اذا جذب الي رايه القديس ثاوضوسيوس . بذل جهدًا لامزيد عليه بانواعٍ كثيرة لاجل هذه الغاية * ثم ارسل اليه مبلغًا وافرًا من المال تحت اسم اسعافٍ للفقرا والمرضي * فالقديس ولبن كان عرف الغاية والخداع . فليس لاجل ذلك رفض قبول هذه التقدمة بل انه اقتبلها واصرفها بالنوع المامور بهِ من الملك * غير انه حينما في اثنا ذلك ارسل اليه الملك صورة امانة

الارثقة الاوطيخية . طالبًا منه ان يحرر بها امضاه * فالقديس قد جمع عنده الرهبان كافةً ونبههم على مداهمة الخطر المبين ضد الايمان الكاثوليكي . محرضًا اياهم على الثبات بهِ والمحاماة عنه حتى الدم * وبعد ذلك حرر للملك رسالةً مملوة من الروح الرسولي . حيث انه بعد ان فند بها ضلال ارثقة اوطيخا وهدم اركانها . اختتم الرسالة بهذه الالفاظ قايلاً « انه من حيث اننا نلتزم بان نختار احد هذين الامرين . وهما اما ان نحفظ حياتنا الزمنية « بنفاق وضلال تابعين الارثقة . واما ان نموت بكرامة حافظين الامانة المستقيمة التي « اتخذناها عن ابائنا . فانا اعلم عظمتك الملوكية باننا جميعًا نفضّل الموت على الحيوة » * فالملك عند وقوفه على هذه الرسالة وتعجبه من روح حرية هكذا عديمة الانغلاب . لم يكن يظن البار يجاوبه بها * فعوضا عن ان يدع ذاته ان يُغلب من حركة الغيظ حرر للقديس الجواب المملو من الكرامة والاحترام . موضحًا انه لم يكن له قصد اخر سوى حفظ السلام والوحدة فيما بين الجميع . متظاهرًا بانه يهتم في تاييد الديانة المسيحية وفي حراسة تعليمها غير مثلوم * ولكن اذ انه فيما بعد ندم على تنازله مع الكاثوليكيين . اشهر اوامر قوية ضد الكنيسة وارسل عساكرهُ لكل ناحية كي يساعدوا على وضعها بالعمل * فالقديس ثاوضوسيوس حينما بلغه اشتهار هذه الاوامر الملوكية . ذهب سرعةً الى مدينة اورشليم كي يباشر ما يمكنه بهِ ان يوقف مفعول تلك الاوامر . وان يشدد في الايمان اوليك الذين اضحوا فاترين متقلقلين من رصانة عزمهم * حيث مضي الى الكنيسة التي اجتمعت فيها الشعوب . وصعد الى الانبلن كانه اسقف الابرشية . وبعد ان امر الجميع بالصمت وبالاصغا ابرز هذه الكلمات هاتفًا : « ان كل من لايكرم الاربعة المجامع المسكونية التي هي « النيقاوي والقسطنطيني والافسسي والخلكيدوني ويحترمها نظير الاربعة اناجيل المقدسة « فليكن محرومًا » * فنوع هذه الغيرة الصادرة من رجل شيخ في سن الاربع والتسعين سنة قد شجع الجميع على المحاماة عن الايمان الكاثوليكي * وقد اثبت الله غيرة عبدهِ الامين هذه باعجوبة صنعها مع امراةٍ قد كانت مبتلية بداء الاكلة . فهذه حينما كان القديس ثاوضوسيوس خارجًا من الكنيسة لمستهُ بامانة حارة من غير ان يعلم هو . وللوقت برات من علتها * ثم ان هذا القديس جال بلدانًا كثيرة من اقليم فلسطين لاجل الغاية المذكورة وبنوع هذه الغيرة المضطرمة قد عطل مفعول الاوامر الملوكية * اذ ان الجميع تشددوا بالايمان

وفضّلوا اقوال القديس وبراهينه على اي امرٍ ملوكي كان مضادًا صحة الايمان ✻

سابعًا فالملك حينما بلغه ذلك غضب جدًا . ولم يعد يعلم كيف يمكنه ان يقنع ذاته في ان راهبًا بسيطًا يتجاسر على مناقضة اوامره الملوكية . وعلى اجتذاب الشعوب الى عدم طاعتها ✻ فلهذا امر بالقبض على البار ثاوضوسيوس وبارساله الى المنفى . والحكم المذكور قد وُضع بالعمل حسب ظلمه ۞ لكن القديس اقتبله بفرح وابتهاج عظيمين . لحصوله على الحظ السعيد في ان يكون هو من عدد المعترفين ✻ غير ان زمن منفى البار كان وجيزًا . لان الملك انسطاسيوس مات من دون تاخير . وهكذا استطاع القديس ان يرجع الى ديره . وفيه عاش بعد تلك الحوادث مدة احدى عشرة سنة أُخر بسلام وهدو . خلوًا من ان ينقص شيًا من عنايته واهتماماته الراجعة لخير القريب ولتوطيد رهبانه ولممارسة افعال الحب والرافة نحو الفقرا . غير متراخٍ عن صنيع التقشفات والامانات نظير السابق . مع انه كان يمارس الاشيا المومي اليها كافةً في سن ينيف عن المية سنة ✻ وحينئذٍ اي في بدء السنة المية والخمس من عمره اعتراه مرض ثقيل موجع قد اذاقه الامًا شديدة المراس . استدامت تعذبه مدة سنة كاملة ✻ الا انه احتمل هذه الاوجاع القاسية . التي كانت كاستشهاد متصل ومتكرر بصبر عجيب وبمطابقة تامة للمشية الالهية ✻ ففي نهاية السنة الخامسة بعد المية من حياته وهي سنة ٥٢٩ رقد هو بالرب ✻ واذ انطرح فوق جسده رجل معترىً من الشيطان منذ سنين عديدة . ولم يكن القديس وهو حي ينال المقدرة على برءه . فهذا حين ملامسته جسم البار المايت نجا من الشيطان وبرأ بالكلية ثم ان البطريرك بطرس الاورشليمي الذايع الصيت بالفضايل حضر وقتيذٍ من مدينة اورشليم الى دير القديس ثاوضوسيوس . مرافقًا من جمٍ غفير من الاساقفة والاكليريكيين والشعوب المتقاطرة من كل ناحية . وهناك احتفل بدفن جسد القديس في المغارة المدعوة مغارة ملوك الفرس . التي كان هو في حياته سكنها مدة سنين كثيرة ✻ وقد كرمته الشعوب بحسن عبادة وتقوى . والذي منهم كان يحصل على شي ما من اثره او من اثوابه كان بحسب ذاته سعيدًا . حافظًا عنده ذاك الشي كذخيرةً كلية الاعتبار . بل ان الكنيسة الجامعة شرقًا وغربًا كرمت هذا البار في عدد قديسيها المعظمين ✻

فلنتمسكن اذًا بروح امنا البيعة المقدسة التي تقدم لنا كل يوم تذكارات القديسين بمنزلة

محجة وطريق امينة لنسلك فيها . تابعين اثر خطواتهم . مقتدين بنموذجات اعمالهم وبنوع تصرفاتهم * فاحدى الوسايط الاكثر فاعلية التى استخدمها القديس ثاوضوسيوس في تقديس سيرته وسيرة تلاميذه . كانت هي التذكر في الموت على الدوام والتفكر في القبر المهيب لكل من البشر ليقطن فيه بعد وفاته * فلنتخذ عمليًا نحن ايضًا هذه الواسطة . متاملين خلوًا من اهمال في حقيقة الموت . واضعين ذكره بازاء اعيننا * لان التذكر باحدى اربع عواقب الانسان هذه يصدنا عن فعل الخطية . كما يحقق لنا ذلك الروح القدس نفسه بقوله : « يابنى تذكر عواقبك فلن تخطي ابدًا (ابن سيراخ ص ٧ ع ٤٠) » * وهكذا فلنتشجع على ان نمحو خطايانا التى صدرت من كل منا الي الان محوًا تامًا بواسطة افعال التوبة الصادقة . مميتين الامنا وشهواتنا واهواءنا * على ان من يتامل مرات كثيرة في عاقبة الموت الذي هو حقيقى . وفي ان ساعة مجيه هي مجهولة مطلقًا * ثم في قصر مدى هذى الحيوة فبلا ريب يحصل في قلبه تكره اكيد واحتقار شديد ضد الاشيا الزمنية الزايلة والخيرات الارضية الفاسدة وحينئذٍ لا يعود يبالى لا بشدايد هذا الدهر ولا باحزانه ومرايره ومصايبه لانها تزول سريعًا * بل ان التفكر المترادف في الموت هو لنا مشير صالح امين ينبهنا باتصال على وجوب حفظ شريعة الله ووصايا كنيسته وفرايض الناموس الانجيلي وواجبات الدعوة المسيحية * واما البشر اللحميون العايشون حسب روح العالم فلا يحتملون التفكر في الموت . بل يطردون ذكره من عقولهم كشي يقلقهم ويضاعف فيهم الانخرة السوداوية * وانما يفعلون ذلك لانهم عميان القلوب والعقول . والحال ان الابرار المستنيرة قلوبهم بروح الله يغفلون عن استحضار الموت امام اعينهم . وبذلك يجيزون ايامهم بحيوة هادية سلامية بارة . واخيرًا يفوزون بميتة صالحة كريمة لدى الرب بها يبلغون الى ميراثهم في الملك السماوي *

* اليوم الثاني عشر *

* وفيه تذكار القديسة الشاهدة طاتياني *

اولاً ان جهاد القديسة الجليلة في الشاهدات طاتياني حدث في مدينة رومية العظمى نحو سنة مايتين وست وعشرين للمسيح في زمن الملك الكسندروس قيصر بنوع استشهاد مجيد قد رافقته عجايب مختلفة * على انه قبض على هذى القديسة بامر المتقدم في ديوان

الولاية بحسب كونها مسيحية وقيدت امام القضاة الفاحصين . الذين اذ سالوها كجاري رسوم الفحص عن اسمها ومولدها وديانتها . وهي اجابتهم علانيةً بانها مومنة بالمسيح . احتالوا تارةً بالتوعدات وتارةً بالمواعيد في ان يجذبوها الى انكار هذا المذهب واتباع ديانة المملكة * الا انهم عند ما راوا اثبات عزمها وسمعوا تكرار اعترافها بالاعتقاد المسيحي . وضعوها تحت العذابات القاسية *

ثانيًا صبروا خدام الشريعة ان يعرُّون القديسة مطلقًا . ويمزقون جلد جسدها بامشاط من حديد ذات اظفار حادة . حتي انها انصبغت بالدما واضحى جسمها كانه جرح واحد * ولان هذا العذاب البربري لم يصنع في قلبها تغييرًا ما . لكنها لبثت تعترف بالمسيح صابرة بعزم رجولي على الام هكذا قاسية . ايس القضاة من املهم . ولذلك حكموا عليها بالموت مفترسةً من الوحوش * فمن ثم قيدت الشهيدة الى المشهد المشاع . وهناك طُرحت امام تلك الوحوش الشرسة الكاسرة لتكون لها ماكلاً *

ثالثًا غير ان العزة الالهية ارادت ان لاينتهى جهاد هذه القديسة بالنوع المذكور بل لجُمت في الوحوش القوة الغضبية والجوع معًا . ولذلك لم تدنُ من القديسة بتةً محترمة جسدها الطاهر * فالقضاة اذ لم ينسبوا ذلك لاعجوبةٍ فايقة الطبيعة لكن لعللٍ اخر قد غيروا الحكومة بحريق الشاهدة في اتون النار * فخدام الشريعة رفعوا القديسة من المشهد المشاع واخذوها فطرحوها ضمن اتون نارٍ متوقدة * الا ان البارى تعالى جدد مع امتهذه البارة ما كان فعله مع الثلثة الفتية القديسين في اتون بابل . لان النار حفظتها ضمنها كانها في روضة خلوًا من ان تشملها بلهيبها * اما القضاة فعوضًا عن ان يرفعوا من عقولهم برقع الغباوة قست قلوبهم كفرعون ثانٍ ونقلوا الحكومة الى قطع الراس . الامر الذي كمل فعلاً * لان خدام الشريعة اخرجوا الشهيدة من الاتون وضربوا عنقها بالسيف . وبهذا انتهى جهادها فايزةً باكليل الشهادة *

فكلمات الرسول الالهي القابل بها : « انه كما لم يختبر المنافقون ان يكون الله لهم في معرفتهم « دفعهم الله الى عقلٍ غير مختبر ليعملوا ما لا يجب مملوين من كل ظلمٍ (رومية ص ١ « ع ٢٨) » * فهذه الشهادة الصادقة على مثل هولا القضاة تصدق ايضًا على كثيرين من المسيحيين المنافقين الذين : « اذ لم يجعلوا الله امامهم تتدنس سبلهم في كل حين » . ومن

« حيث انهم يتهاونون في الهاماته جلت مراحمه وفي تنبيهاته . غير مريدين ان يكون هواهم في معرفتهم . فهو بعدله الالهي : « يدفعهم الى عقلٍ غير مختبر . وهكذا يفعلون ما لا يجب « مملوين من كل ظلمٍ . وتكون نهايتهم النهلكة بعدم التوبة « * فاذًا يلزمنا ان نخاف من الوقوع في يد الله الحي . صاغين الى انواره والهاماته وتنبيهاته . قايلاً كلٌ منا : تكلم يارب فان عبدك يسمع * واذا ما سلكنا بنوع هذا الاستعداد الحسن . ننال من الجود الالهي بسخاء تلك النعم المساعدة ايانا على اكتساب الغاية التي خلقنا لاجلها . وهي ان نحبه تعالى ونعبده ونخدمه بامانةٍ في هذه الحيوه ونفوز بنعيمهِ الابدي في الحيوة الاتية *

* اليوم الثالث عشر *

* وفيه تذكار القديسين الشهيدين ارميلس وسطراطونيكوس *

اولاً ان استشهاد القديسين ارميلس وسطراطونيكوس قد كمل في مدينة سينجيدونة او سينغيدونة من اقليم ميسيا العليا . بتغريقهما بامر الملك ليكينيوس قيصر في النهر المسمى ايستروس او بالحري دانوبيوس . واما اخص اعمال استشهادهما بوجه الاختصار فهي الاتي شرحها *

ثانيًا فالقديس ارميلس كان شماسًا انجيليًا شايع الصيت بالفضايل والغيرة على نمو الايمان المسيحي * فلما اشهر الاضطهاد ضد المتمسكين بهذه الديانة المقدسة الملك ليكينيوس قيصر نحو سنة ٣١٩ فحينما كان هو بالقرب من نهر دانوبيوس أُخبر الوثنيون باعمال هذا الشماس الشهيرة * ومن ثم ارسل فقبض عليه واحضره الى ديوانه * واذ امتحنه وراه ثابتًا في الايمان . صير خدام الشريعة تجلده بقضبان من حديد . حتي انهم مزقوا لحمانه وعاد مستحمًا بدمه * وبعد ذلك سلمه هذا الملك الى سطراطونيكوس الجندي ليحفظه في السجن باحتراس *

ثالثًا فاذ وضع سطراطونيكوس القديس ارميلوس في الحبس وجلس يحرسه . راى ملاكًا اخضر من السما ودخل من نافذة السجن عند الشاهد وطفق يعزيه ويشجعه * فحينئذٍ امن سطراطونيكيوس بالمسيح . متحدًا برباط حب شديد مع القديس ارميلس * فلما أُخرج هذا الشهيد ثانيةً من الحبس ووُضع من جديد تحت العذابات لاسيما بضرب القضبان الحديد وبسلخ جلدهِ وتمزيق لحمانه بالمخاليب حتي ظهرت احشاوه لعله ينكر المسيح ويسجد

للالهة الكاذبة . وهو احتمل هذه جميعها بصبر تام ثابتاً في الايمان . فسطراطونيكوس الذي كان يشاهد القديس فيما بين تلك العذابات ما استطاع ان يمسك ذاته عن البكا ومن ثم عرف من الحاضرين انه كان مسيحياً فقبض عليه وعذب شديداً * الا انه اذ شرع هو يعترف بالمسيح بمجاهرة ولبث على اعترافه من دون ان تضعف فيه قوة التعاذيب رسوخه في الايمان . فحينئذ حكم عليه وعلى القديس ارميلس بالموت خنقاً في مياه نهر دانوبيوس . وهكذا لما طرحا معاً في هذا النهر واختنقا قد فازا باكليل الشهادة *

ففضيلة الحنو والشفقة في القديس سطراطونيكوس قد اهلته لان ينال من الله موهبة الاستشهاد . لانه ولين كان اعتناقه الايمان بالمسيح قد تم بواسطة مشاهدته ملاك الرب داخلاً عند القديس ارميلس . فمع ذلك كان يمكنه ان يستمر في الامانة من دون ان يصير شهيداً * الا ان الحنو الذي اظهره نحو الشهيد قد صار علة للقبض عليه ولسفك دمه من اجل الامانة التي اعتنقها * فلنباشر نحن ايضاً بالعمل هذه الفضيلة . التي لا تستلزم منا خسارة البتتة ولا تعباً جزيلاً . لاسيما لان الطبيعة عينها تميل بنا الى الشفقة والرافة اكثر مما تميل بنا الى القساوة * ولكن مع هذا نكتسب من استعمالنا اياها الاجر السماوي ونكون اتممنا وصية مخلصنا بقوله نحونا : « كونوا راوفين فان اباكم السماوي راوف هو » ونكون اتبعنا تعليم الرسول الالهي القايل لنا : « ارتضوا بان تفرحوا مع الفرحين وبان تبكوا مع الباكين » * فاذا ما تاصلت فينا هذه الفضيلة تعود تصرفاتنا مع القريب ممتزجة دايماً بالرحمة والحنو وبالحب الحقيقي الموسس على حب الله الذي من دونه لا خلاص لنا *

* اليوم الرابع عشر *

* وفيه تذكار ابائنا الابرار المقتولين في طور سينا ورايثوا *

اولاً ان الكنيسة الجامعة في هذا اليوم تصنع تذكار اوليك الابرار السواح الذين قتلوا لاجل الايمان بالمسيح من العساكر السراكسة في طور سينا في زمن الملك ثاوضوسيوس الصغير * فالقديس الجليل في الابرار نيلس الذي حررنا سيرته تحت اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الثاني قد كتب بفصاحة مفصلاً كيفية عيشة هولاء الابرار ثم نوع استشهادهم وعنه نحن الان نورد مختصر ذلك * ومن ثم نقول انه في قمة جبل سينا الشايع الذكر من قبيل ان الله هناك كان اعطى البشر شريعته المكتتبة فيما بين البروق والصواعق والرعود

مسلمًا اياها للشعب الاسرايلي . قد كان يعيش عددٌ وافرٌ من الابرار السواح في قلالى صغيرة منفصلة الواحدة عن الاخرى او في كهف الجبل المذكور ايضًا ضمن المغاير * وكانوا جميعًا ممارسين هناك افعال التوبة الشاقة والنسك الصارم في السياحة والوحدة والصمت * فيقول القديس نيلس ان هولا الابرار قد كانوا خرجوا من العالم مبتعدين عن ضوضايهِ لكي يهتموا في امر خلاصهم الابدي الوحيد . مصرفين الزمان بتسابيح الله وبتراتيل الزبور الالهي وبالتامل في الاشيا السماوية . وباضمار لحمانهم وباماتة اهوايهم والامهم بواسطة الاصوام المتصلة * لان منهم من كان يغتذي كل ثلثة ايام مرةً ومنهم كل سبعة ايام مرةً . وغيرهم بانواع اخر على قدر استطاعتهم * فقليلون منهم كانوا يقتاتون بالخبز فقط المصنوع من القمح الضعيف الذي كانوا يستغلونه باتعابهم في فلاحة اراضى تلك القفار المحلة العقيمة * واما الاخرون الذين هم الاكثرون فلم يكونوا يقيتون ذواتهم بشي اخر الا بالحشايش الغير المطبوخة وبثمر النخل وبغيره من اثمار اشجار الاحراش البرية * وقد كان هولا المصاف الملايكة الارضيون والبشر السماويون يتلالاون في الفضايل كافةً لاسيما في الاتضاع ومحبة القريب في مساعدة احدهم الاخر في احتياجاتهم . اذ ان امكنة سياحتهم لم يكن بعيدًا جدًا بعضها عن بعضٍ . والشي القليل الذي كان يوجد عند كلٍ منهم لم يكن يحتسبه خاصته بل خاصة قريبه * واما اتضاعهم العميق فكان يظهر لكلٍ منهم انه ادنى الجميع ومهما كانوا يفعلون من الصلاح كانوا ينسبونه لمجرد مفعول نعمة الله فقط الذي له وحده تعالي يحق التعظيم * وكانوا يلتيمون جميعًا في كل يوم احدٍ ضمن الكنيسة المشيدة عند قمة طورسينا . وهناك يحتفلون بالخدمة الرهيبة ويتناولون القربان الاقدس . الذي به كانوا يقوّون انفسهم ضد محاربة الشياطين وخداعاتهم المهلكة * ثم بعد ذلك كانوا قبل انحلال اجتماعاتهم يتفاوضون عن الاشيا الروحية وعمًا يكون عرض للبعض منهم في تلك السبّة بنوع غير اعتيادي . ثم ياخذون في تدبير احدهم الاخر وتشجيعه في المحاربة وتحريضه على التعميق بالفضايل وعلى الثبات فى الطريق التي ابتدوا السلوك فيها الى حينما يبلغون بواسطتها الى الحيوة الابدية *

ثانيًا ففي يوم ما كان هولا الابرار ملتيمين حسب عادتهم في الكنيسة المشار اليها وكانوا قد رتلوا التسابيح الالهية . واذا بجيشٍ عظيم غفير من العساكر السراكسة عبدة الاوثان

والاعدا الالدا للاسم المسيحي قد وثبوا غفلةً على تلك الكنيسة بصراخات مريعة وهجموا نظير كلاب كلبة على هذا المصاف المقدس . وعروا جميعهم واخذوا يضربون اعناقهم بالسيوف حتى طرحوا منهم على الارض موتى عددًا وافرًا . وقيدوا جانبًا منهم واخذوهم اسرى . وكان فيما بينهم ثوضولوس ابن القديس نيلس * واخيرًا اذ كلوا من سفك الدما قد اهملوا البقية عراة ورجعوا . وكان فيما بين هولا الاخرين القديس نيلس عينه * فكان اول من طُعن بالسيف بضربتين كاهن الكنيسة ثاوضولوس . الذي حالما سقط في الارض رسم ذاته باشارة الصليب المقدس قايلا هذه الكلمة : « فليكن اسم الرب مباركًا » * واما السواح الذين أهملوا ان يهربوا فقد صعدوا الى قمة طورسينا الذي لايبلغ اليه السراكسة انفسهم لصعوبة مجاله . لا سيما لاجل انه كان مهابًا لتذكرة اعطا الله فيه الشريعة لموسى . وبنوع خاص لان السراكسة كانوا قبل بمدة قصدوا الصعود اليه * واذ شاهدوه مدخنًا مرعبًا قد رجعوا مسرعين الى الوطا ممتليين خوفًا * فاذًا بعد ان صنع هولاى الكفرة المقتلة المذكورة عند الكنيسة واخذوا الاسارى وذهبوا الى محلات اخر ليتمموا قساوتهم كما نحن مزمعون ان نذكر ذلك . فالابا السواح نزلوا حينئذٍ من قمة طورسينا ليصنعوا فضيلة الرحمة بدفن اجساد اخوتهم الابرار المطروحة في الارض * حيث شاهدوا ان الكاهن ثاوضولوس كان لم يزل بعد متنفسًا . الذي حينما استفاق من قبل بكاهم عليه وعلى اخوتهم قد اخذ يعذيهم قايلاً : « لا تقلقوا يا اخوتي ولا تنغموا من هذا الحادث الذي به سمح الله بتسليمنا لسلطة « الشيطان وجنوده . كما كان سمح له وقتًا ما بما صنعه ضد ايوب البار في الوقت ذاته الذي « فيه تعالى قد اعد مكافاةً عظيمةً لمن يحتمل بصبر هذه المعاملة القاسية الظالمة * على « ان الله قد رد الى ايوب اضعاف ما كان الشيطان سلبه منه وبذلك قد جازى فضيلة صبره « واما لنا نحن فقد هيا عزَّ وجلَّ مكافاة اعظم بما لا يحد اي سعادة لم تراها عين ولم تسمع « بها اذن ولم تخطر علي قلب بشر مجازاةً عن احتمالنا بصبر الاتعاب والالام . فهذه المكافاة « العظيمة والمجازاة الوسيمة المعدة لنا فلتكن لكم موضوع الشجاعة والمجاهدة الرجولية لمحاربة « اعدايانا ولاحتمال الاضامات والمصايب بصبر لحد منتهي هذه الحيوة « * فقد استمر هذا الكاهن البار يعزى اخوته ويفيدهم بهذه الخطوب الى ان لم تعد فيه قوة على التكلم . وحينئذٍ قد عانق كل واحدٍ منهم مقبلاً اياه بقبلة السلام القديسة . وهكذا قد رقد بالرب

مسلمًا نفسه في يديه تعالى ❋

ثالثًا فالسراكسة اللغوبون عطشًا لسفك الدما قد جالوا في تلك الاقفار المجاورة طورسينا وقتلوا عددًا وافرًا من الرهبان والنساك ضمن قلالیهم ومغاير سكناهم من دون شفقة بل بقساوة بربرية ❋ ففيما بين هولا الشهدا يوجد واحد شاب اسمه اسحاق تستاهل ذكرًا خصوصيًا شجاعته وامانته نحو محبة القريب ❋ على ان الجنود المذكورين حينما كانوا يفتشون على قلالى السواح قد وجدوا قلاية صغيرة . واذ دخلوها قد وجدوا ضمنها اسحاق المذكور ❋ فطلبوا منه ان يدلهم على امكنة الرهبان والسواح الاخرين . موعدين اياه بحفظ حياته ان تم ذلك ❋ اما هو فانكر قضا مرغوبهم . موضحًا لهم انه يقبل بالاحرى اشد العذابات والموت من انه يخامر على حيوة اخوته ❋ فحينئذٍ قد اشتد رجزهم ضده واماتوه مقطعًا بسيوفهم . كما قد فعلوا ذلك بارفاقه السبعة الذين هذه هي اسماوهم : بروكلس وايباتسيوس ومكاريوس ومرقص وبنيامين واوسابيوس وايليا ❋ فقد استمرت اجساد هولا الابرار مطروحة على الارض مدة خمسة ايام . الى ان اتى القديس نيلس مع البعض من السواح ليتمموا واجبات دفنهم . ولكن ليس من دون انذهالٍ وتعجبٍ قد شاهدوا تلك الاجساد الطاهرة فاقدة الفساد . خالية من رايحةٍ كريهة . صحيحة سالمة الاعضا . بنوع انه لم يدنُ منها لا وحش كاسر ولا طير خاطف في مدة تلك الخمسة الايام ❋ فهذا وذاك لايتفقان من دون اعجوبةٍ فايقة الطبيعة . ومن ثم القديس نيلس مع الاخرين قدموا لله الشكر على ذلك ودفنوا تلك الاجساد بكل احترامٍ ❋

رابعا فالمقتلة التي صنعتها الكفرة السراكسة من الرهبان والسواح قد اعطت سببًا لايضاح شهامة النفس والشجاعة الرجولية التى بها ظهرت فضيلة والدة القديس اسحاق المتقدم ذكره وايمانها الحي . على ان هذه الامراة الفاضلة حينما بلغها خبر قتل ابنها بالنوع المتقدم ذكره . فليس انها لم تنغم ولم تبكِ فقط . بل انها قد ابتهجت وسرت ايضًا رافعةً يديها نحو السما وقايلة : « اننى قد كنت استودعتك ابنى يا الهى وسلمتك اياه من دون ان « اندم على ذلك . لانك قد حفظت بامانةٍ ما اودعتكه . وهكذا رجاي لم يذهب خايبًا « فانا انما استامنتك عليهِ لكي تخلصه . وهوذا انت قد خلصته . ولهذا انا اعتد كلاشي موت « ابنى وانحلاله من رباطات هذه الحيوة الشقية . وذلك حينما اتامل في ان نفسه قد بلغت

« الى مينا السلام . حيث اضحت برارته فاقدة كل خطرٍ . ثم ولا يغمني او يحزنني اصلاً حال « كون ولدي قد أُميت مقطعاً بسيوف السراكسة . لما افتكر بان نفسه قد صعدت متراقية « لتملك تلك السعادة الابدية . اذ انه بموته قد سلم روحه البرية من العيب في يديك . « ولهذا انني احتسب جراحات جسده كانها اكاليل وتيجان موهوبة له من جودك وخيريتك « التي قد تنازلت لان توهله اليها » * فبمثل هذه الخطوب قد اظهرت هذه الام البارة فرح قلبها بما اكدته لها فضيلة ايمانها الحي عن السعادة الابدية التي حصل عليها ولدها الشهيد . حتى ان القديس نيلس الذي مع الابا السواح الاخرين قد كان حاضراً وشاهداً على الفاظ هذه الامراة . قد اعترف بانه خجل وتونب من قلة فضيلته بالنسبة لفضيلتها * لانه هو اي القديس نيلس قد كان في تلك الايام مغموماً جداً على قتل اوليك الابرار . وعلى فقد ولده الذي أُخذ اسيراً * ولهذا قد عرف ضعفه وتيقن رجولية تلك الامراة البارة . وتعلم منها ان يستخف بثقل غمه وينبذه عنه . مطابقاً بكل تسليم ورضا ارادته مع ارادة الله * اما قتل هولا الابرار الشهدا فقد تم في مثل هذا اليوم نحو سنة ٤٣٠ في ١٤ ك ٢ . واما عددهم فهو بموجب ما يعينه السنكسار الروماني في مثل هذا اليوم ثمانية وثلثون باراً شهيداً قُتلوا في طورسينا . ثم ثلثة واربعون باراً قتلوا لاجل الايمان بالمسيح في رايثوا في الاقليم المصري من الكفرة البلاميين بانواع تشابه ما تقدم ذكره *

فاقوال القديس الكاهن ثاوضولوس مع الفاظ هذه الامراة الفاضلة تفيدنا جداً لتعزينا وتشجعنا وتقوينا حينما يعرض لنا او لمن هو عزيز لدينا من قبل القرابة او الصداقة مصايب وتجارب زمنية . ونجعلنا ان نتامل في حوادث هذه صفتها اي يد الله العلية التي منها يقتبل السلطان كل من يضر او يهين او يسلب او يعذب او يضطهد . لانه خارجاً عن ارادة الله او سماحه لايمكن ذلك * وانا الباري تعالى يشا هذا لما يعلمه هو وحده ونجهلهُ نحن نظراً الى كيفية احكامه تعالى * ولكن من دون ريب انه يقصد بهِ عزَّ وجلَّ افادة مختاريهِ ليستثمروا منه بصبرهم زيادة الاجر * فهكذا ايوب البار حينما احاقت به تلك النوايب لم يفتكر باعدايه المنظورين الذين هم السابون والغير المنظورين اي الشيطان وجنوده الذين كانوا الة لاتمام ما سمح الله بحدوثه له بل انه رفع افكاره نحو العلا قايلاً : « الرب اعطى والرب اخذ . هكذا تقرر الراي لدى الرب فليكن اسمه مباركاً من الان والى الدهر » * ثم يجب علينا ان

نلاحظ هذه القضية ايضاً وهي اننا لم نقتبل المصيبة بالرضا بل نصنع نظير الكلاب التي تعض الحجارة التي يرميها بها احدٌ غير مفتكرة في اليد التي رشقت الحجارة . فحينئذٍ تصير المصيبة لدينا اشد ثقلاً واصعب احتمالاً . وفي الوقت نفسه نخسر الثواب المعد في السما للصبورين الذين منهم القديسون الابرار المقتولون ظلماً لاجل كونهم مسيحيين والان هم متملكون مع الله في السما موبدًا ❋

❋ اليوم الخامس عشر ❋

❋ وفيه تذكار ابينا البار بولس التيبابي ويوحنا الكوخي ❋

اولاً ان القديس بولس التيبابي هو اول السواح . اذ ان التاريخ الكنايسي يحقق لنا ان هذا البار كان اول من هجر البلدان وانفرد في القفار ❋ فقد كان مولد هذا القديس في مدينة تبايس سنة ٢٢٨ من والدين غنيين جدًا جدًا ❋ فالوزنات الطبيعية من جودة العقل وغيرها التي كان بولس متصفاً بها ومن قبلها حصل على نجاحات كلية في درس اللغة اليونانية والمصرية لم تكن شيأً بالنسبة الى ما اغنى به الله روحه من المواهب الروحية . لاسيما تعلق قلبه بالمحبة نحوه تعالي وبرفض الاشيا الزمنية ❋ فحينما كان له من العمر خمس عشرة سنة بقي بعد وفاة والديه وريثاً سعة الغنى جميعه المخلف له عنهما . اذ لم يكن له سوى شقيقة واحدة اكبر منه قد كانت تزوجت وهي قاطنة في بيت ابيها ❋

ثانياً فبعد مدة سنوات ليست بكثيرة قد حدث ان داكيوس قيصر حرك ضد الكنيسة الجامعة اضطهاداً كلي القساوة قد سبب دثار ابرشيات بجملتها . لاسيما في الاقاليم المصرية وفي اقليم تيبايس وكان المغتصبون يخترعون في هذا الاضطهاد على الدوام انواعاً جديدة متفننة من العذابات القادحة ليمكنهم بواسطتها ان يقتلوا انفس المسيحيين احرى من اجسادهم ان قدروا علي ذلك ❋ وكما يشهد القديس كبريانوس ان الولاة لم تكن تحكم بالموت على اوليك المسيحيين الذين يظهرون رغبة في نواله لاجل مجد الله . بل كانوا يمارسون نحوهم التعذيبات المستديمة ❋ فمن ثم لكيلا يطوح ذاته بولس المذكور في هذه الاخطار قد مضى الى بستان بعيد امين الغابلة . واختفى هناك ❋ ولكن تبًا لعطش استسقا محبة الفضة . التي اذ استولت على قلب صهره زوج اخته ورغب ان يرث جميع المخلفات من والدى زوجته بعد قتل بولس الوريث . فقد كشف للوالى مكان اختفا بولس غير ملتفتٍ لا الي دموع امراته ولا الى

وثاق القرابة بل ولا الى الخوف من الله المنتقم عن الظلم ❋

ثالثًا فبولس البار حينما عرف ذلك قد هرب من المكان الاول الذي كان مستامنًا فيه الى احد الجبال المقفرة بقصد ان يثبت هناك الي حين زوال الاضطهاد وبعده يرجع الي وطنهِ . ولكن هربه على هذا النوع من العالم واقامته ضرورةً في الانفراد قد ابتديا قليلاً فقليلاً ان يكونا لديه محبوبين بعيشةٍ متوحدة ❋ ولهذا اذ كان يجول في القفار من مكان الى اخر بلغ الى جبلٍ خالٍ من الاشجار وعند كهفهِ قد وجد محلاً نظير مغارةٍ واسعة مُغلق بابها بحجرٍ كبير . فقد اعتنى في تدحرجه ودخل اليها فراي هناك روضةً مملوة من اغصان النخل وفيما بينها شجرة نخل عظيمة جدًا وفي وسط المغارة نبع ماءٍ رايق يطفح . ثم تغور الامواه في جانبٍ منه بدون ان يظهر لها مجرى ❋ وقد شاهد في نواحي تلك المغارة بعض بيوت صغيرة مهدومة ❋ ومن نوع تكوينها ومن مواقد النار وبعض مطرقات حديد . قد عرف ليس من دون اساس ان المكان المومي اليه هو ملجا لاناس كانوا يضربون فيه المعاملة المزورة في زمن الملك مرقس انطونيوس والملكة كلاوبطرا كما يورد ذلك القديس ايرونيموس كاتب سيرة حيوة هذا البار ❋

رابعًا فقد ابتهج بولس عندما راى هذا المكان كانَّ الله اعدَّهُ له فقطن فيه بوحدة كاملة مدة حياته كلها . مثابرًا على الصلوات والتراتيل والتاملات الروحية . مغتذيًا من اثمار تلك النخلة قوتًا اعتياديًا له . ومستعملاً اوراقها الرفيعة منسوجة بيديه نظير ثوبٍ يستر به عراه ❋ فالقديس ايرونيموس يوضح انه لايجب ان يظهر امر عيشة القديس بولس على هذا النوع كانه غير مستطاع . اذ انه اي القديس ايرونيموس قد عرف بذاته وشاهد بعينه فيما بين الرهبان والسواح الاخر في زمانه اثنين من النساك قد اصرف احدهما مدة ثلثين سنة حابسًا ذاته في مغارةٍ مقتاتًا من الخبز الشعير فقط وشاربًا من الماء العكر الذي هناك . وثانيهما كان قاطنًا في جبٍ قديمٍ ناشفٍ مقتاتًا على الدوام بخمس تينات فقط في كل يوم ❋ فلما بلغ القديس بولس على هذا السلوك الى السنة الثالثة والخمسين من عمره قد ارتضي الباري تعالى بان يصنع مع عبده هذا البار اعجوبة متصلة بارساله اليه لاجل غذايه كل يوم نصف رغيف من الخبز بواسطة احد الغربان كما كان عزوجلَّ صنع مع نبيه ايليا ❋

خامسًا فلقد كان بقي نوع عيشةٍ غريبة وغير اعتيادية هذه صفتها مجهولاً بالكلية من

البشر المغرمين بمحبة العالم وبالفخفخة الباطلة وبان يكونوا معظمين في اعين الغير وكانه امرٌ غير مستطاع لديه مطلقاً ان يعيش الانسان في الانفراد والوحدة نظير ما صنع القديس بولس. لولا ان الله اراد لاجل افادة عبيده وتخجيل البشر اللحميين ان يظهر سيرة صفيه هذا بواسطة الهاماته الي القديس انطونيوس في ان يجول في تلك القفار حتي بلغ الي المغارة المذكورة وشاهد القديس بولس * وهذا تم على الصورة الاتي شرحها وهي ان القديس انطونيوس الذى كان يظن بنفسه انه اول من نسك في البرية منفرداً عن العالم. وكان بلغ الى السنة التسعين من عمره مجيزاً حيوة سماوية على الارض بنوع امانات وتقشفات واصوام وقهر ذات صارم كما كانت مدة حيوة هذا القديس. فقد جاءهُ فكر في انه لم يسبقه احد في ذلك من ذي قبل ولا كان يوجد وقتيذٍ من تلاميذه من بلغ الى هذا السن والسيرة الكاملة * ففى الليلة عينها اذ كان راقداً هذا القديس قد اظهر الله له في الحلم انه يوجد في القفر الداخلي البعيد منه رجل اكمل منه * وقد كان ابتدأ بنوع هذه العيشة قبله. (لان القديس بولس كان له حينئذٍ من العمر مايةوثلث عشرة سنة) وانه يلزمه ان يذهب يزوره * فالقديس انطونيوس حالما استيقظ من النوم قد اخذ بيده عصاه وطفق يمشي في القفر. غير مبالٍ في سن شيخوخته من شدة حرارة الشمس ومن دون ان يعلم احد الى اين كان متجهاً. وكان يقول هكذا: «انني ارجو بثباتٍ من الهي ان يظهر لى «عبده بموجب ماوعدني» * ففيما كان جايلاً في تلك القفار واذا بحيوانٍ مخيفٍ قد ظهر امامه واخافه منظره. فرسم القديس ذاته باشارة الصليب وهتف بذلك الوحش قايلاً: «اني اطلب اليك مهما كنت ان تدلني علي مكان سكني عبد الله البار» * فذاك الحيوان بمقدار ما هو ممكنٌ اشار للقديس عن الطريق وهرب من امامه وشكّا

سادساً فبعد ذلك قد ظهر للقديس مناظر وحوشٍ اخر مريعةٍ كانت تحاول ان تخيفه وتصده عن المجال * غير ان البار بحسن اتكالٍ على العون الالهي لبث سايراً في سبيله من دون مانعٍ. فقد استمر على هذه الحال مدة يومين جايلاً في ذلك القفر الغير المسلوك. من دون ان يعلم اين كان ذاهباً * فلهذا جثا على الارض متوسلاً لله مدة الليل جميعه. الذي في صباحه قد نهض ماشياً فوجد عن بعدٍ نمرة كانت لغوبة من العطش واخذة بالصعود الى كهف جبلٍ * فقد اتبعها سايراً الى ان غابت عن منظره ووجد ذاته امام مغارة

فدنا منها متفرساً من غير ان يمكنه ان يجد ضمنها احداً من قبيل ظلمتها * الا انه قد شجع ذاته واخذ بالدخول الي تلك المغارة بخطوات هادية حابساً نفسه كي لا يُسمع له نوع تنفس. فكان يمشي بعض خطوات ثم يقف صاغياً لعله يسمع حركة ما . الى ان شاهد عن بعد قليلاً من النور * وحينيذٍ اسرع في مشيه نحوه . ولكن اذ عثر برجليه في حجرٍ من الصخور. وبذلك سمعت عنه حركة عثرته * فالقديس بولس الذي كان داخلاً ومن عادته ان يهرب من ان يشاهده احدٌ مطلقاً فعند سماعه هذه الحركة اغلق عليه باب الكهف * اما القديس انطونيوس فقد انطرح عند باب الكهف متوسلاً الى القديس بولس ومستحلفاً اياه بدموعٍ بان يفتح له * وقد استمر على هذه الحال لحد نصف النهار متضرعاً وقايلاً للبار: «انك انت تعلم من انا ومن اين آت ولاية غايةٍ حضرت .فاني نعم انني غير مستحق «ان اشاهدك الاانى لن امضى من هنا مطلقاً من دون ان اراك .وان كنت لاانال منك «هذه النعمة فانا اموت ههنا * وهكذا قلما يكون تدفن انت جسدي « * فحينيذٍ القديس «بولس قد فتح باب الكهف وانكب على القديس انطونيوس معانقاً ومقبلاً داعياً اياه باسمه. كما ان القديس انطونيوس ايضاً سلم عليه باسمه مقبلاً اياه . واثناها قدما الشكر لله على هذه التعزية التي منحهما تعالى اياها بان يعرف احدهما الاخر بهذا النوع *

سابعاً وبعد هذه القبلة القديسة فالبار بولس الذي كان مضي له تسعون سنة من دون ان يكلم احداً اخذ يخاطب البار انطونيوس قايلاً: «هوذا الرجل الذي انت طلبته «مفتشاً عليهِ باتعاب هكذا عظيمة . فانت تشاهد فيَّ جسماً قد افنته الشيخوخة مملوءاً من «الشعر الابيض وعماً قليل يعود الي تراب ورماد . فالان من حيث انك اتيت اليَّ فقل «لي كيف حال العالم هل انه يوجد من يهتم بعمارات جديدة عظيمة شامخة في المدن «القديمة . ومن هو الان الجالس في تخت الملك . اترى توجد بعد اناس عميان يعبدون الاوثان « * ففيما كان هذان القديسان يتفاوضان في هذه الاشيا . وغيرها واذا بالغراب يخفق باجنحتهِ ودنا منهما وفي فمه رغيف خبز تام قد وضعه امامهما وطار . فحينيذٍ قال القديس بولس للقديس انطونيوس: «انظر كيف ان العناية الالهية قد ارسلت الينا القوت. فقد مضى لي ستون سنةً وانا اقتات بهذا الزاد الذى ياتيني بهِ الغراب نصف رغيف في «كل يوم . ولكن لاجل مجيك اليَّ قد ضاعف يسوع المسيح عنايته بي وبك مرسلاً لنا الرغيف

كاملاً » * فمن ثم قدما الشكر لله . وبعد ان صليا قد جلسا لجذا نبع الماء واغتذيا . وقد اصرفا باقي ذلك اليوم والليلة المقبلة في الصلوات وتراتيل الزبور الالهي *

ثامناً ثم لما لاح الفجر قال القديس بولس للقديس انطونيوس : « ان الرب قد ارسلك « الي يا اخي وصيرك ان تجدني قبل وفاتي لكي تدفن جسدي . لانه قد دنا زمن ارتحالي من هذه « الحيوة » * فاجابه البار انطونيوس : اواه لي من ذلك . فاذاً خذني معك ولا تهملني يابت » * فقال له البار بولس « : لا يمكن هذا لانه يلزمك ان تفضل خير رهبانك « وتلاميذك المحتاجين الى ارشادك ونموذجاتك امامهم على خيرك الذاتي . ولهذا اريد منك « ان تذهب الى محلك وتاتيني بالردا الذى وهبكه اثناسيوس بطريرك الاسكندرية كي « تغطي به جسمي بعد موتي » : فيقول القديس ايرونيموس انه لم يكن قصد البار بولس بهذا الطلب ان يعتني بجسده بعد وفاته . اذ انه قد كان امات جسمه بكفاية في مدة حياته كلها بنوع عيشة نسكية صارمة بهذا المقدار . وانما اراد بذلك اولاً ان يوفر على القديس انطونيوس الحزن الذى لكان يعتريه بمرارة لو كان يشاهد وفاته . ثانياً لكى يعطي شهادة هكذا سامية عن اعتباره القديس اثناسيوس الذى كان احد عواميد الكنيسة الجامعة والمحامي الغير المغلوب عن الوهية يسوع المسيح ضد الاريوسيين الذين كانوا ينكرونها فالقديس انطونيوس عند سماعه كلمات القديس بولس بهذا الطلب قد انذهل . وكانه عاد ينظر في شخص البار بولس شخص يسوع المسيح عينه * فجثا امامه كانه يسجد للروح القدس الملهم البار من مواهبه . ونهض مقبلاً وجنتيه ويديه وفارقه مذرفاً تيارات من الدموع واخذ بالرجوع الى ديره كي يعود اليه برداء القديس اثناسيوس *

تاسعاً فلما بلغ الى محله وسئل من تلاميذه عن سبب غيابه عنهم . فاجابهم قايلاً : « الويل « لي انا الخاطي الحامل على ذاتي اسم راهب من دون استحقاق فقد نظرت ايليا ووجدت « يوحنا المعمدان في القفر بل بالحري قد شاهدت بولس في السما الثالثة » * قال هذا وصمت . ثم تناول بيديه ردا القديس اثناسيوس . واخذ بالرجوع في طريقه التي اتى منها وشيكاً * واذ كان تلاميذه يسالونه عماً نظره فاجابهم وهو ماش : « انه يوجد للسكوت « وقت وللتكلم وقت » * ولما كان في اليوم الثاني مسرعاً في مسيره . واذا برويا سماوية انكشفت له وشاهد القديس البار بولس مرتقياً الى السما . ملتحفاً بالانوار المشرقة ومحاطاً

بطغماتٍ من المليكة ومن الانبيا ومن الرسل القديسين * فانطرح القديس انطونيوس على الارض وهتف صارخًا بدموع وشهيق : « لماذا اهملتني يا بولس . اترى كان يلزمني ان اتعرف بك متاخرًا هكذا وان اخسرك عاجلاً بهذا النوع » * ثم نهض وطفق يسير باسراعٍ غير مصدق حتى بلغ الى المغارة فوجد جسد القديس بولس راكعًا على ركبتيهِ ورافعًا راسهُ ويديهِ الى السما . ففي الاول قد ظنه بعد حيًا . ولهذا ركع يصلي معهُ * ولكن لما لم يشعر بعد هنيئةٍ بحركة ما ولا بتنفس الصعدا . الذي كان من عادته ان يصنعه وقت صلاته . فحينيذٍ نهض وعانقه مقبلاً وعرف انه بالحقيقة كان الجسم خاليًا من الروح ولكن مع ذلك كان راكعًا امام الله الذي كل الاشيا به احيا *

عاشرًا فاذًا قد درَّج القديس انطونيوس جسم البار بولس برداء القديس اثناسيوس وحمله الى خارج المغارة . مرتلاً صلوات الجناز حسب عادة الكنيسة الجامعة ۞ ولكن ابث حايرًا بامر حفر القبر . لانه لم يكن هناك الةٌ ما يمكنه ان يحفر الارض بها * ففيما هو بهذه الحيرة واذا باسدين قد اقبلا اليه متهلمين على قدميه ثم ابتعدا عنهُ قليلاً واخذا يحفران الارض بمخاليبهما الى ان صنعا حفرةً كافيةً لدفن جسم القديس . واخيراً رجعا نحو البار انطونيوس بانسٍ يلطعان يديه . وكانهما بلسان حالٍ يطلبان منه البركة * فالقديس رفع عينيه الي السما مسبحًا ومباركًا لله على عنايته الالهية . التي يستخدم بها الحيوانات الفاقدة النطق ايضًا بنوع هذا حده . ثم بارك على الاسدين اللذين حالاً ذهبا عنه * وحينيذٍ قد وضع جسم البار في تلك الحفرة ورد عليه التراب . وبعد ذلك قد رجع الى المغارة وبات فيها تلك الليلة . وفي الصباح التالى قد اخذ جميع تركة القديس بولس من المخلفات . وهي سترة جسمه المنسوجة من ورق النخل . ورجع بها الي ديره * وكان يتردى بها في ايام عيد الفصح وعيد العنصرة كانها الثوب الثمين جدًا * وقد كانت وفاة القديس بولس الكريمة بين يدي الرب سنة ٣٤١ او سنة ٣٤٢ * اما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكاره المقدس في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني *

فالقديس ايرونيموس يختتم سيرة القديس بولس بمقابلة حياته مع حيوة مقتدري العالم واغنياه قايلاً نحوهم هكذا : « فانتم تشربون الخمر الغالى الاثمان في الانية الذهبيه وبولس كان يغرف الماء من النبع في حفنة كفيه ويروي به عطشه ۞ انتم تتردون بالحلل المنسوجة

« بالذهب والمكللة بالجواهر . واما بولس فلم يكن يحوى ثوبًا ما حتى ولا الثوب الذى لا « يرتضي ان يتردى بـه احقر خدامكم * انتم تقطنون في الدور العظيمة والقصور العالية « والقاعات المرخّمة . وبولس كانت سكناه في مغارة حقيرة معتمة كائبة * انتم اخيرًا « تملكون من الغنى اوفره ومن الاملاك اوسعها . واما هو فلم يملك ولا شبرًا ارضًا كانه له * « ولكن لبولس الفقير باب الفردوس السماوي مفتوح . واما انتم يا اغنيا الدهر المتعلقة « قلوبكم بمحبة الاموال التي انتم تتكلون عليها فتتكردسون في الجحيم * جسد بولس بقي « مدفونًا في رديم قليل من التراب ليحفظ الى يوم القيامة العامة التى فيها ينهض ليكون « مع المسيح الى الابد . واما اجسادكم التي تُدفن في قبور الرخام المزينة بالذهب فتحفظ لتكون « مادة لحريق النيران الابدية * بولس في حياته على الارض عريانا قد حفظ ثوب البر « الذي به لبس المسيح في المعمودية . وانتم قد خسرتم المسيح باثوابكم المزخرفة الثمينة التي « بها تمجدتم وتبجحتم * فواحسرتاه عليكم . اشفقوا على ذواتكم . وتعلموا ان تقلعوا من قلوبكم « محبة الاموال والارتياح الى المجد العالمى . واعرفوا ان تفضلوا مجد السعادة الحقيقية الاكيدة « الثابتة الابدية التي يتمتع بها البار بولس صحبة جميع القديسين في السماوات على مجد هذا « العالم الخداع الباطل الفانى *

* سيرة القديس يوحنا الكوخي *

اولاً ان القديس يوحنا الكوخي قد ولد من ابيهِ اوطروبيوس البطريق ومن امهِ ثاودورة في مدينة القسطنطينية المتملكة . وعاش في اواسط الجيل الخامس . وقد حصل على تربية حسنة لايقة بمقام عيلة والديه . المتقدمة جدًا فى الشرف والغني فيما بين اكابر تلك المدينة الجليلة * فحينما كان يوحنا في صغر سنه يتردد الى المدرسة الملوكية . ويشاهد كثيرين من تلاميذها حاصلاً كلٌ منهم على كتاب الانجيل المقدس صغير الحجم مزخرفًا حسبما كانت عادة الابنا الاكابر . قد توسل الى والديه بان يهباه هذه المنحة نظير ارفاقهِ الدارسين . الامر الذي قد اجاباه اليه واشتريا له هذا الكتاب المقدس بخمسماية قطعة من المعاملة الذهب لان هذا الانجيل كان مزخرفًا جدًا ومصفحًا بالذهب وبالجواهر الثمينة *

ثانيًا ومن حيث ان يوحنا بمقدار ما كان ينمو في العمر كانت اشواقه تزداد اضطرامًا نحو العيشة الرهبانية بالابتعاد عن العالم واحتقار اباطيله والتعبد لله فقط بالروح والحق

وهذا الامر من المعلوم انه كان يصعب على والديه ان يسمحا له به بالابتعاد عنهما . فلذلك حينما بلغ هو الى السن الكافي لاعتناق هذه السيرة الملايكية قد اهمل كل شي وهرب صحبة احد الرهبان الذي كان من ذي قبل يودّهُ بمحبة . ودخل الي دير احد الرهبان المدعوين اكيميطون . اي الذين لاينامون . كما شرحنا عنهم في سيرة القديس مركلس تحت اليوم التاسع والعشرين من شهر كانون الاول * وهناك لبس الاسكيم الرهباني وكان ذلك في مبادي زمن الملك لاون الكبير الذي تملك سنة ٤٥٧ وتوفي سنة ٤٧٤ * ثم اخذ يباشر بكل عنايةٍ ونشاطٍ واهتمامٍ واجتهادٍ ليس فقط حفظ القانون المختص بتلك الجمعية بكل تدقيق وصرامة بل ايضاً كان يستعمل من تلقا ذاته كل الامانات الشاقة التي بها كان يقهر اميال الطبيعية ويميت ارادته ويخضع الجسم بجملته للروح ❋

ثالثاً فالعدو الجهنمي اذ لم يحتمل ان يشاهد في شاب هذه صفته نجاحاً روحياً وفضايل راهنة خاصة بالكاملين . وشرع يحاربه بتجارب قوية مختلفة الانواع . ولكن من حيث انه لم يظفر منه بشي . لان هذا البار كان ينتصر بواسطة المعونة الالهية على جميع تلك التجارب فاحتال اخيراً ابليس في ان يعرقله بشركٍ خفي بهِ يجتذبه من باطن ذلك الدير ويرده الى العالم * ومن ثم بدا ينعش في قلب يوحنا انعطافاً شديداً ورغبة قويةً في ان يشاهد والديه غير انه ولا بهذه الحيلة فاز منه بمارب . بل انها آلت الى ازدياد خزيه وخجله ❋

رابعاً على ان الباريوحنا بعد ان كشف لريسهِ القانوني شدة اشواقه الي مشاهدة والديه واخبره بما كان اعتمد عليه من النوع الجديد من سيرة الكمال . فباذنه قد اهمل الدير ورجع الى القسطنطينية وجاء الى جانب باب دار والديه . وهناك نصب له كوخاً حقيراً وقطن فيه وكان يتوسل ويعيش من الصدقة . ممارساً بنشاطٍ كل نوع من الامانة وضبط الحواس * واستمر على هذه الحال مخفياً عن معرفة والديه وعن الجميع مدة من السنين ثم ان السنكسار الروماني يوضح انه انتقل من هناك الى جزيرةٍ تُدعى طيباريانا . حيث نسك مدة اخرى من الزمان . واخيراً رجع الى كوخهِ السابق ورقد بالرب مملوءاً من الاستحقاقات العظيمة * وحينيذٍ قد عُرف عند والديه من قبل الانجيل الذهبي المار ذكره الذي كان حافظاً اياه * وقد شرفه الله باصطناع عجايب عظيمة ومختلفة الانواع قد فعلها تعالى بواسطة اعضا جسمه الطاهرة ❋

فالشبان لاسيما الذين هم من عايلات غنية وشريفة ربما يلاحظون سيرة هذا البار كانها فايقة بجملتها على الطبيعة الانسانية اذا تاملوها بحسب الجسد * ولكن متى تذكروا القول الرسولي بان الانسان يستطيع بنعمة الله على كل شيء وينتصر على كل صعوبات الضعف البشري ويقهر الامه مهما كانت جامحة . فيفهمون جيداً انهم ولين لم يكونوا ملتزمين بان يماثلوا هذا القديس بجميع ظروف حياته . فانه يمكنهم بكل سهولة ان يميتوا حواسهم ويلجموا طموح الشهوة . بقهر الذات بالرياضات الروحية وبالمداومة على تناول الاسرار المقدسة عالمين ان ملكوت الله يُغصب والغاصبون يخطفونه *

* اليوم السادس عشر *

* وفيه تكريم سلسلة القديس بطرس الرسول الكريمة *

اولاً ان الكنيسة المقدسة تكرم في هذا اليوم سلسلة القديس بطرس هامة الرسل التي قُيد بها في مدينة اورشليم في ولاية الملك هيرودوس اغريبا ثم في مدينة رومية على عهد نيرون الملك وتقدم ايضاً الشكر لله على الاعجوبة التي صنعها تعالى في نوع انقاذه هذا الرسول من ايدي هيرودوس نحو السنة الرابعة والاربعين للمسيح اي بعد صعود مخلصنا الى السما بنحو احدى عشرة سنة . حسبما يخبر القديس لوقا الانجيلي في الاصحاح الثاني عشر من سفر الابركسيس *

ثانياً فيقول القديس لوقا : « ان هيرودوس اغريبا بعد ان قتل القديس يعقوب الرسول « اخا يوحنا بالسيف (كما توجد مسطرة سيرة حياته في ٢٠ نيسان) . وتامل انه كان مرضياً « لليهود اعدا سيدنا يسوع المسيح ان يقبض على القديس بطرس ايضاً . فمن ثم قد طرحه « في السجن لكي يسلمه الي الموت بعد عيد الفصح . وعيّن لحراسته البعض من الجند الذين قيدوه بسلسلتين . ففي هذه البرهة كانت الكنيسة اي جماعة المومنين يقدمون لله « صلوات حارة في ان ينقذ القديس بطرس من خطر فقد الحيوة الذى كان حاصلاً فيه * « ومن حيث ان الباري تعالى قد استجاب تلك الطلبات : « ففي تلك الليلة التي في « صباحها كان هيرودوس معتزماً ان يبرز الحكومة ضد القديس بطرس . قد حضر ملاك « الرب الي الحبس . فاشرق نورٌ في المسكن وضرب الملاك جنب بطرس وانهضه قايلاً : « قم مسرعاً فسقطت السلسلتان من يديه . وقال له الملاك : تزنر والبس نعليك . فعمل

« هكذا . فقال له البس ثوبك والحقني وخرج يتبعه ولم يعلم ان الصابر بالملاك حق هو « بل كان يظن انه يبصر منامًا * فاذ عبر المحرس الاول والثاني اقبلا الى الباب الحديد « المودي الى المدينة . فانفتح من ذاته لهما وخرجا فعبرا في شارعٍ واحدٍ والحين ابتعد عنه « الملاك . فعاد القديس بطرس الى ذاته وقال : الان علمت بتحقيقٍ ان الرب ارسل ملاكه « وانقذني من يد هيرودوس ومن كل شعب اليهود . ثم جاء الى منزل مريم ام يوحنا الملقب « بمرقص . وكان هناك قوم كثيرون مجتمعين ومصلين من اجل خلاص هذا القديس « واذ دخل اليهم وانذهلوا عند مشاهدتهم اياه فهز نحوهم يده ليسكتوا . وحدثهم كيف « اخرجه الرب من الحبس « * فكل انسان يمكنه ان يتصور في عقله كم من الفرح حصل « عند تلك الجمعية وكم انهم شكروا الله على استجابته توسلاتهم *

ثالثًا فالسلسلتان المذكورتان مع السلسلة الاخرى التي قيد بها هذا الرسول في مدينة رومية في زمن نيرون الملك قبل استشهاده . المكرسات جميعًا من قبل لمسها جسده . قد انحفظت فيما بعد في كنيسة القديس بطرس المدعوة فينكولي المشيدة بامر الملكة افدوكسيا في الجبل الخامس في مدينة رومية فوق جبل اسكويلينوس * والكنيسة الرومانية تصنع تذكار تكريس هذه الكنيسة مع السجود للسلاسل المذكورة في اول يوم من شهر اب * فهذه السلاسل المكرمة الاكثر قيمة من الذهب والجواهر الثمينة قد أُحترمت دائمًا وكُرمت من المومنين بعبادة خصوصية * وقد صنع الله بواسطتها عجايب كثيرة . كما يشرح ذلك مفصلاً القديس غريغوريوس الكبير . الذي قد دبر الكنيسة الجامعة في اواخر الدهر السادس وفي مبادي الجيل السابع * ثم انه قد اعتاد الاحبار الرومانيون ان يرسلوا للملوك المسيحيين وللامرا اجزا حديد ناعمة مبرودة من هذه السلاسل المكرمة ضمن مفاتيح صغيره من ذهب ومن فضة ملحومة البرادة داخلها . وذلك كان عربون تاكيد حماية القديس بطرس هامة الرسل لاشخاصهم ومملكاتهم . وكان هولا الاشخاص المعظمون يعلقونها في اعناقهم بحسن تدين *

فالقديس غريغوريوس الكبير عينه قد ارسل هذه المفاتيح الى كيلدابارتوس سلطان فرنسا صحبة رسالة منه بها يقول لهذا السلطان الكلمات الاتي ذكرها . وهي : « اننا « مرسلون اليك مفاتيح القديس بطرس الحاوية ضمنها الاجزا المبرودة من سلاسله . حتى

« اذا ما حملتها معلقةً في عنقك فتحميك وتحفظك من الشرور كافةً * فلنكرمنَّ نحن ايضًا سلاسل هذا القديس المجيد . الذي حسبما يقول القديس يوحنا فم الذهب كان هو يتعزى بها مفتخرًا ويسر بتقبيده بها مجدًا بنوع اعظم مما كان يصنع الله الجرايح والايات بواسطة شخصه نفسه حتي بقوة ظله * وذلك حينما كانوا يضعون المرضي والسقما في الاسرة حيثما كان يمر القديس بطرس . حتى اذا لم يمكنهم لمس جسمه او اثوابه فقلما يكون يفيء ظلهُ علي احدهم . وكانوا يبراؤن * وانما كان افتخاره بهذه السلاسل اعظم لاجل انها كانت تظهر عظم حبه لمعلمه الالهي الذي من اجله قيد بها وتوضح الشهادة الصادقة بحقيقة ايمانه به تعالي وبتاكيد صدق التعليم الانجيلي الذى كان يكرز هو بـه . فهذا هو مجدنا (يقول القديس بطرس عينه في رسالته الاولى الجامعة (* وهذه هي علامة دعوة تابعي المخلص . وهي حال كونهم مضطهدين مظلومين مفترى عليهم مضنوكين معذبين محكومًا عليهم بالموت جورًا ولاجل ذلك راس خلاصنا تالم لكي يترك لنا تمثالاً به نقتفي اثره. وهكذا بعد حيوة وجيزة هذه صفتها يمكننا ان نبلغ الي السعادة الابدية التي وعدنا بها الله * فاى نعم انه عزَّ وجلَّ في هذا العالم ايضًا ينقذ بعض مرات اصفياه من المظالم والتعدى كما صنع بانقاذهِ القديس بطرس من الحبس ومن ايدي هيرودوس ومن كل شعب اليهود . وبذلك يظهر ملءَ سلطانه المخضعة له الاشيا باسرها ويوضح انه لا يمكن ان يحدث لعبيده ضرر ما زمنى مهما كان الا بارادته * ولكن مرات كثيرة يسمح بان يحدث للمختارين الظلم والضنك والافترا والتعدي كما حدث للقديس بطرس عينه في مدينة رومية بعد مدة نحو عشرين سنة في زمن ولاية نيرون الملك . وحينئذٍ يتمجد اسمه بايهابه ابراره نعمة الصبر الذي به يسافرون اليه تعالي من هذه الحيوة متمتعين بملكه السماوي السرمدي * فاذًا ان حسن في عيني الله ان يستعمل نحونا النوع الاول او النوع الثاني فلنكن على الدوام مطابقين ارادتنا مع ارادته القدوسة . متاكدين ان ذلك جميعه لا يقصد به الله الا خيرنا وافادتنا الروحية حسبما يوكد لنا هذا الامر الحق نفسه على فم رسوله بولس (رومية ص ٨ ع ٢٨) بقوله : « ونحن نعلم ان الذين يحبون الله تساعدهم الاشيا كلها على الخير *

* اليوم السابع عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار المتوشح بالله انطونيوس الكبير *

اولاً ان القديس انطونيوس الكبير قد ولد سنة ٢٥١ للمسيح في بلدة تسمى كوموس بالقرب من مدينة اراكليا من الاقليم المصري من والدين غنيين ومتقدمين في رتبة الشرف المدني . والاعظم من ذلك جميعه هو انهما كانا مملوين من خوف الله * ولهذا قد اعتنيا في تربية ابنهما انطونيوس تربيةً صالحة مسيحية . ولكي يبعدا عنه خطر فساد الدهر فلم يسمحا له بمعاشرة احد دون عيلتهما . بل كانا يحفظانه على الدوام تحت اعينهما * ومن ثم قد اعتاد هو منذ نعومة اظفاره على الانفراد * وخوفاً من انه اذا درس العلوم المدنية يصير ملتزماً بان يتداخل مع الشبان قرناسنه وبهذا ربما كان يحدث له ضرر ما روحي . فاهمل مطلقاً تلك العلوم وانكب بشوقٍ وارتياحٍ على المطالعة المستطيلة والهذيذ الدايم في الكتب الالهية . مقتطفاً لذاته منها الاثمار الخلاصية * واذ بلغ من العمر نحو عشرين سنة وفقد والديه قد التزم بالاعتناء في احوال شقيقته الحدثة مع ما كان يلزم لقيام نظام العيلة * فلما مضى عليه مدة نحو ستة اشهر بعد ان بقي وريثاً حراً . اخذ يفتكر يوماً ما حينما كان ذاهباً الى الكنيسة في كيفية حال الرسل القديسين الذين تركوا كل شيء واتبعوا يسوع . كما ان كثيرين من المسيحيين الاولين كانوا يبيعون املاكهم ومقتنياتهم ويأتون باثمانها ويضعونها عند اقدام الرسل لتتوزع على الفقرا والارامل والمحتاجين * ثم صُدف انه حال دخوله الكنيسة سمع الانجيل مقروءاً بتلك الالفاظ التي قالها مخلصنا يسوع المسيح لذلك الشاب الغني وهي * « ان كنت تريد ان تكون كاملاً فامضِ وبع كل مالك واعطه للمساكين . واجعل لك كنزاً في السما وتعال اتبعني » * فانطونيوس اتخذ هذه الكلمات كانها مقولة من فادينا له هو نفسه . ولهذا حالما خرج من الكنيسة شرع يوزع الاموال التي كانت عنده (مع ثمن جانبٍ كبير من الارزاق والامتعة التي باعها) على البايسين والايتام والفقرا والمعوزين . تاركاً من املاكه بعضها بنوع يكفي لقيام حياته وحياة شقيقته بالباقي * ثم بعد مدة من الزمان عرض له انه سمع في الكنيسة مرة اخرى قوله تعالى في الانجيل : « لا تهتموا في الغد فان الغد يهتم بشانه » * فلما خرج من الكنيسة قد وضع شقيقته في المكان الذي فيه كان يعيش عدد من البتولات عيشة مقدسة مشاعة . وهكذا قد باع ما كان يملكه وفرّق قيمته على المساكين *

وخرج الى البر حيث وجد منزلاً حقيرًا منفردًا ليس بعيدًا جدًا من كوما . فقطن هناك مبتديًا بعيشة نسكية مواظبًا بها على عمل اليد ايضًا ليعيش من اجرته *

ثانيًا ومن حيث انه كان بالقرب من ذلك المحل يوجد رجل شيخ قد كان اجتاز مدة حياته بنوع هذه العيشة . فالقديس انطونيوس كان يجتهد في ان يقتفي ليس اثر هذا فقط . بل بالاكثر في ان يماثل جميع من كان يسمع عنهم صفة ما فاضلة * وبهذا كان يومًا فيومًا يتعمق في الفضايل . ولاجل هذه الغاية كان يجول في تلك النواحي على المحلات التى فيها كان يوجد اوليك الانام الذين كانوا ابتدأوا بان يعيشوا في قلالى خصوصية بالابتعاد قليلاً عن العالم ممارسين عيشة نسكية ضيقة . ولكن من دون ان يكونوا مختفين عن الغير * اذ ان سيرة السياحة والهرب المطلق فى القفار عن مواجهة كل احدٍ لم يكن بعد معروفًا انه أستعمل قبلاً من انسان ما حتى ذاك الوقت * فكان هو يتعلم من البعض نوع التواضع وقهر الذات . ومن غيرهم حسن المثابرة على الصلوات * ومن اخرين افعال المحبة نحو الله والقريب . ومن البعض انواع اماتة الحواس . وهكذا كان عند رجوعه الى قلايته ياخذ بان يرسم في ذاتهِ بالفعل جميع ما يكون شاهده من الفضايل في الاخرين * غير متغافل في الوقت عينه عن ان يتعب ذاته بعمل اليد الذي منه كان يكتسب ما يقتات بهِ . كما يورد ذلك القديس اثناسيوس الكبير كاتب سيرة حياته . متذكرًا قول الرسول الالهى : « ان من لا يوثر ان يعمل بيديه فلا ياكل » * غير ان هذا البار لم يكن يصرف على ذاته من ربح كده الا ما كان ضروريًا لقوته . موزعًا على المحتاجين ما كان يفيض عن ذلك . مواظبًا على الاصوام والصلوات . تابعًا قول مخلصنا : « صلوا ولا تملوا » * مثابرًا « على قراة الكتاب المقدس وعلى استماعه باصغاء هذا حده حتى انه كان يحفظه في قوته الذاكرة ليستخدمه نظير كتابٍ يتلوه باطنًا من غير انقطاع *

ثالثًا اما الشيطان فاذ لم يكن يطيق ان يشاهد في شابٍ حدث السن اضطرام شوقٍ هذه صفته نحو البلوغ الى الكمال المسيحي . طفق يحاربه بتجارب مختلفة الانواع * فتارةً كان يستحضر بازا تصورات هذا البار سعة الغنى الذي بدده من دون ان يترك لذاته شيًا منه . وحينًا العناية التي وجد هو ملتزمًا بمباشرتها نحو شقيقته التى اهملها . ووقتًا صعوبة العيشة التى اعتمد على ان يحيز بها حياته * واما انطونيوس فلم يكن يغفل عن ان يحمي ذاته من

سهام الخبيث هذه بواسطة ترس الايمان وقوة الصلوة والاصوام * فالعدو الجهنمي حينما غُلب منه بهذا النوع اخذ يحاربه بتجارب ضد الطهارة نهارًا وليلاً بشدةٍ قوية تحت اشباحٍ وتصوراتٍ عديدة * غير ان البار كان يضاعف التوسلات والاستغاثات بيسوع المسيح بحرارةٍ * ولكي ينتصر بابلغ اسلوب على هذه المكايد الخبيثة قد كان من جهةٍ يتامل شرف مرتبة النفس المسيحية وكم يجب من الاحتراس على عدم خسارتها . ومن جهةٍ اخرى كم هي مهيلة ومخيفة العذابات الابدية المعدة للزناة والفاسقين في جهنم وعلى هذه الصورة قد اضحت حيل ابليس عديمة الثمر ضده * على ان فادينا يسوع المسيح (كما يقول القديس اثناسيوس) الذي من اجل حبهِ ايانا قد لبس عجزنا. لم يغفل عن ان يعضد صفيه البار ويهبه الغلبة على ساطانايل . لكي يستطيع كل من يحارب بشجاعةٍ تحت رايته تعالى ان يهتف مع رسول الامم قايلاً : «لست انا لكن نعمة الله المويدة اياي» * فهذه الحقيقة قد ارتسمت بهذا المقدار في قلب القديس انطونيوس . حتى انه حينما كان يملك النصرة على عدوه الالد ما كان قط يتاخر عن ان يرد الشكر لله الذي منحه اياها . وكان بالاكثر يتضع في ذاته معترفًا بضعفه * ثم انه لمعرفته ان انتصاراتٍ هذه صفتها لم تكن كافية للنجاة من وثباتٍ جديدة يهجم بها عليهِ عدوه غفلةً فلم تكن اهتماماته تنقص عن استعداداتٍ واستحضارت لمعركاتٍ أُخر مارسًا ضنك جسمه واماتة حواسه بتقشفاتٍ صارمة * لانه كان ياكل مرة واحدة فقط ضمن الاربع والعشرين ساعة بعد غياب الشمس ومرات كثيرة كان يستمر يومين وثلاثة ايام ايضًا من دون اكلٍ مطلقًا * وقوته الاعتيادي كان الخبز مع قليل من الملح ومشروبه الماء لاغير . ومرقده على حصيرةٍ ومرات عديدة على الحضيض *

رابعًا ثم بعد مدةٍ من الزمن قد اراد القديس انطونيوس ان يبتعد مختفيًا عن العالم ليمكنه بافضل نوع ان يخاطب الله بروحه . ولهذا قد ترك قلايته ومضى الى احد القبور البعيدة جدًا عن الامكنة المسكونة وقطن في ذلك القبر المصنوع على عادة قبور المصريين القديمة التي يمكن السكنى فيها * هذا بعد ان كان توسل الى احد اصدقايه في ان ياتيه مرة او اكثر في كل سبتةٍ بشيء ما من القوت * فابليس المحال قد شرع هناك يحاربه بجنس حرب جديدة حسبما سمح له الله لاجل امتحان صفيه . لانه ليلةً ما قد وثب عليهِ وجلده بقساوة وبنوع حسي حتى انه القاه على الارض نظير الميت فاقد الحركة وعادم الاستطاعة

على التفوه بكلمةٍ * وكما اخبر القديس فيما بعد ان تلك الضربات كانت موجعة مولمة معذبة . بنوع انه لا يوجد شي في العالم امرُّ منها * فقد شاء الرب ان صديق البار حضر في صباح تلك الليلة الى القبر مصحبًا معه حسب عادته المآكل . فوجد البار مطروحًا في الارض بتلك الحال غايبًا عن حواسهِ فحملهُ على عاتقه واتى بهِ الى كنيسة البلدة القريبة حيث وضعه هناك وجلس بجنبهِ * اما شعب تلك البلدة فتحاضروا لينظروا انسانًا كميتٍ ليس فيه سوى قليل من حركة النفس . ولهذا جلس بالقرب منه اناسٌ ليروا عاقبة امره * فبقي القديس هكذا الحد الليلة الثانية التي فيها قد استفاق ورجع الى ذاتهِ * واذ فتح عينيهِ وراى حوله جملةً من الناس قد كان استحوذَ عليهم النوم فغفلوا دون صديقه المستيقظ على حراسته * فحينئذٍ توسل هذا الى صديقه في ان يحمله بلطافةٍ من غير ان يستفيق عليه اوليك . ويرجعه الى محله الذي اخذه منه * فالرجل قد اطاع مرغوبه . فحملهُ ورجع به الى القبر وتركه هناك متكيًا على الارض لانه لم تكن له قوة على الوقوف * فاخذ البار يصلي وهو متكئٌ * واذ فرغ من صلاته طفق يصرخ باعلى صوته قايلاً : « هوذا انا ههنا . لان انطونيوس لا يخاف من الشر الذى صنعته بهِ يا ابليس . فانت تقدر ان تصنع معي ما هو اشد شناعةً مما صنعت اضعافًا . لكن يلزمك ان تعلم انه لا شي يمكنه ان يفصلني عن محبة يسوع المسيح » * واخذ يرتل كلمات داود النبي من مزموره ٢٧ قايلاً : « ان اصطف عليَّ عسكر فلا يخاف قلبي . وان قام عليَّ قتال فانا بهِ واثقٌ » *

خامسًا فالشيطان شرع يحارب شجاعة جندي المسيح انطونيوس بنوعٍ اخر . وهو انه قد جاءت كثرةٌ من الابالسة الى محل سكنى القديس وبعد ان صنعوا حركاتٍ مخيفة واضطرابًا وضوضاء وزلزلة قد دخلوا الى القبر بصور وحوش ضارية كالاسود والنمورة والضباع والحيات والعقارب . وكان كلٌ منهم يزأر ويصرخ بخاصة الحيوان المتشكل هو بهِ وبهم ليهجم عليهِ ويمزقه * واما القديس فلمعرفته انه لم يكن يمكنهم ان يصنعوا بهِ شيًا ما لم يسمح لهم بهِ الله فلم يرهب فيما بين تلك المخاوف بتةً . بل كانه يضحك بهم اخذ يقول نحوهم هكذا « انه لو كان يوجد فيكم اقتدار ما فواحد منكم لكان يكفي لمحاربتي . ولكن من حيث ان « الله قد سلب منكم كل استطاعةٍ فلهذا تحتالون ان تخيفوني بكثرتكم . والذي يوضح كيف « انكم جميعًا عديموا القوة ضعيفون بهذا المقدار هو انكم قد وصلتم الى حد ان تتخذوا صور

« الحيوانات العديمة النطق . فان كان لكم مقدرة وحصلتم من قبل الله على السماح
« في ان تضربوني . فلماذا تتاخرون عن ذلك وتظهرون رجزكم وغضبكم سدى . واما ان
« كنتم لا تقدرون ان تفعلوا شيًا فلماذا تتعبون باطلاً . أما تعلمون جيدًا ان علامة الصليب
« والامانة التي انا متمسك بها نحو سيدي يسوع المسيح هما لي بمنزلة سور منيع ضد اغتصاباتكم
جميعها » * فالارواح النجسة بصورة تلك الوحوش كانت تصرُّ باسنانها وتزأر حنقًا وكيدًا
لانغلابها من القديس وتحاول ان تثب عليه *

سادسًا فالرب الاله لم يتغافل عن ان يحضر بنوع حسّي لمساعدة عبده الامين لينقذه من
الحال التي كان حاصلاً بها . لان القديس قد رفع عينيهِ الى فوق . فنظر واذا بنافذة قد
انفتحت في سقف المسكن واشرق منها شعاع كلي الضيا قد بدد ظلام المحل واملاه من الانوار
الساطعه . وفي لحظةٍ قد غابت تلك الوحوش والحيوانات كلها وشفى البار من اوجاعه
كافةً وهدأ مسكنه من الزلزلة * فحينئذٍ عرف القديس ان يسوع المسيح نفسه قد اتى لمعونته
واشفاه . فاخذ يخاطبه هكذا : « اين كنت ياسيدي ومعلمي ومرشدي حينما قد احاقت بي
« هذه الشدة العظيمة ولماذا لم تاتِ اليَّ منذ البداية لتشفي اوجاعي القادحة » * فمعما
كان البار يقول هذه الكلمات قد سمع صوتًا يجاوبه قايلاً : « اني انا قد كنت هاهنا حاضرًا
« يا انطونيوس غير اني كنت راغبًا في ان اشاهد معركتك . ومن حيث اني وجدتك محاربًا
« بطلاً وجنديًا عديم الانهزام مصادمًا وثبات العدو القوية بهذا المقدار فانا ساكون معك
« على الدوام مقويًا اياك ومعضدًا . وساجعل اسمك ذايعًا وذكرك شايعًا في الارض
كلها » * فعندما تفهم انطونيوس هذه الكلمات قد نهض ليقدم الشكر لله . وشعر في ذاته
ليس فقط انه رجع الى حال الصحة الاولي بل ايضًا انه قد اكتسب قوة جديدة *

سابعًا فقد كان للبار انطونيوس خمس وثلاثون سنة من عمره حينما حدث له ما تقدم
شرحه . ومن حيث انه كانت يومًا فيومًا تنمو فيه حرارة الحب والعبادة نحو الله . قد اعتمد
على الذهاب الى القفر الغير المسلوك بالكلية ليعيش سايحًا . بالانفراد والوحدة التامة *
فبينما كان سايرًا في ذلك القفر . قد وجد على الارض صينية مملوة فضة * واذ انتبه انها
كانت حيلة من المحال . قال له هكذا : « ان هذه هي احدى صنايعك الخبيثة ايها الشيطان
« ولكن اعلم ان هذه الحيلة لا تصدني عن ان اتبع ما قد اعتمدت عليه بثبات عزم وبفرح

« قلب . فخذ اذًا فضتك هذه ولتذهب معك الى الهلاك » * قال هذا واذا بالصينية قد استحالت الي دخان وتبددت فى الهوا * فلم يمضِ هو مسافةً بعيدة الا وشاهد في طريقه الذهب في الارض كالبيادر * اما البار فاسرع في مشيهِ فوقه كمن يمشي على جمر نار راكضًا ليشير بكفايةٍ الى كم كان يكره الغنى ويهرب منه . وكم كان يحب الفقر الذي يجعله شبيهًا بيسوع المسيح * فاخيرًا بعد ان اجتاز نهر النيل ودخل الى القفر الشاسع قد وجد هناك برجًا قديمًا رديمًا مهجورًا تسكنهُ الحيّات والافاعي والحيوانات المسمة التي (حالما دخل القديس الي تلك الخربة) قد هربت جميعها كانها مطاردة . وهكذا قد مكث البار هناك ساكنًا * واذ كان اخذ صحبته خبزًا يابسًا يكفيه مدة ستة اشهر (بالنوع الذى كان يُعمل به الخبز في تيبايس حتي انه يستمر مدة سنة من دون ان يفسد) فقطن في تلك الخربة من دون ان يخرج منها مطلقًا ومن غير ان يدخل عندهُ احدٌ بالكلية * لاسيما لانه كان اغلق عليهِ مدخل ذلك البرج * وحينما فني الخبز من عنده . قد كان ياتيهِ انسان مرة في كل مدة ستة اشهر ويرمي له من على سطح البرج الخبز الذي يكفيه في المدة المذكورة * فابليس المحال قد جرب به في هذه الوحدة تجارب متفننة الانواع . ولكن بواسطة التجاء القديس الي الله والاستغاثة باسمه . كان ينتصر على هذا العدو الجهنمي مستعملاً مراتٍ كثيرة ترتيل هذه الاستيخونات هاتفًا : « يقوم الله وتتبدد جميع اعدايه ويهرب مبغضوه من امام وجههِ . « وكما يباد الدخان يبادون وكما يذوب الشمع من قدام وجه النار كذلك تهلك الخطاة « من امام وجه الله * احاطت بي اعداي احتياطًا وباسم الرب قهرتهم » * فهذه التراتيل بالاستيخونات المذكورة وبما يماثلها قد اتفق لبعض الناس ان يسمعها من خارج . ولما أُخبر بها الغير فكانوا يحضرون الى نواحي البرج ويسمعون ترتيلها من غير ان تمكنهم مشاهدة البار والدخول اليه *

ثامنًا فبعد ان استمر القديس انطونيوس على هذه الحال مدة عشرين سنة التى في نهايتها قد كانت تقاطرت شعوب كثيرة من كل ناحية والتيمت حول ذلك البرج . حيث كانت نية البعض منهم ان يتلمذوا له والبعض ليستمدوا منه شفا امراضهم . واخرين ليخرج الارواح النجسة من الذين احضروهم صحبتهم . وغيرهم كي يرتشدوا منه في واجبات الخلاص * ولما لم ينالوا خروجه اليهم قد هدموا مدخل البرج ليجتازوا اليه . ومن

ثم خرج اليهم القديس من ذلك الحبس كمن يخرج من معبدٍ قد كان بـه كرس ذاته لله بجملتها * وقـد صنع الله في خروج صفيه هذا عجايب عديدة من شفا الامراض واخراج الشياطين وغير ذلك من الجرايح * وحصلت افـادة عظيمة للمومنين من نموذجه وارشاداته وعظاته عن احتقار الاشيا الزمنية. وعن محبة الاشيا الابدية . وعن معرفة الجميل نحو المراحم الالهية في افتدايها الجنس البشرى وكيف انه تعالى يرغب رجوع الخطاة اليه بالتوبة. وكيف انه يجب على كل مسيحي احتمال الشدايد والمصايب التي يفتقده الله بها . وما اشبه ذلك مما به عزّى الحزانا وشجع التايبين . وحرّض على عمل الخير واقتنا الفضايل * فهذه وتلك قد صيرت كثيرين ان يرفضوا العالم ويعتنقوا سيرة النسك تحت ارشاد هذا القديس . الذي قد اضطر حينئذٍ الى اقامة محلاتٍ كثيرة نظير قلالى متفرقة واديرة متباعدة احدها عن الاخر . حيث صار عدد سكانها غزيرًا جدًا . وكلهم كانوا يعرفون القديس ابًا عامًا لهم ورييسًا ومعلمًا ومرشدًا لحياتهم * على انه هو كان الذي يحرضهم على الهرب من الشر . وعلى عمل الخير . وعلى اقتنا الفضايل . وعلى السلوك في طريق الكمال . وذلك بنموذجات اعماله امامهم ثم بالارشادات الكلية . التي يورد منها القديس اثناسيوس جانبًا كبيرًا ونحن نذكر ههنا جزًا منها *

تاسعًا فكان يقول القديس انطونيوس لرهبانه هكذا : « انه ولين كان الكتاب الالهي ايها الابنا الاحبا يحوى بكفايةٍ ما يلزم لارشادنا . فمع ذلك امرٌ مفيدٌ هو وممدوحٌ جدًا « ان يحرض احدنا الاخر ويشجعه بواسطة المحادثة الروحية * فليكن اذًا درسنا الوحيد « واهتمامنا الاخص في ان نسير بثبات عزمٍ وبفقد الملل من الاتعاب في طريق الفضايل « التي ابتدانا ها . وعلى السلوك في طريق الكمال * فلا يجب ان نضجر من طول مدة « اتعابنا . بل فلنحتسب بالاكثر يومًا بعد يومٍ كاننا في كل صباحٍ نبتدي من جديد في « طريق الكمال * على انه ماذا يمكن ان تُعد مدة حياتنا الزمنية بالنسبة الى الابدية . وما هو « الفرق الكاين فيما بين الدهر الحاضر وبين العتيد * فبموجب النوع البشري نجد اثمار « الاتعاب موازية للعمل . اي ان الاجرة على قدر التعب . ولكن بموجب نوع سلوك « الله برحمته الغير المتناهية فانه يهبنا السعادة الابدية عوضًا عن تعبٍ يمكن ان يعتبر « كالعدم لدناءته * اذ اننا لاجل اتعاب بعضٍ من السنين على الارض يكافينا عزّ وجلّ

« بمجدٍ لا نهاية له في السما * فلهذا ينبغي لنا ان لا نتصوَّر في عقولنا اننا نفعل شيًا كبيرًا
« من اجل الله . من حيث اننا مهما احتملنا في هذه الحيوة لا يمكن ان يوازى
« مجد السعادة التى ننالها عوضه * ولا يجب ان نفتكر باننا اهملنا شيًا وافرًا
« حين رفضنا مقتنانا وما كنا نملكه . لان الارض جميعها بالمقابلة الي السما فهى كالعدم *
« فاذًا كم يكون احقر من ذلك ترك بيتٍ ما . او قليلٍ من الدراهم . او وراثة ما * فهذه
« الاشيا الجزئية ان لم نتركها باختيارنا فالموت يعدمنا اياها قهرًا عن ارادتنا * ولهذا لا يجب
« ان يستولى علينا حب الاموال التى لا نقدر ان ناخذها صحبتنا حينما نموت * بل فلنجهد
« ذوانتنا في اكتساب الفضيلة التي ناخذها معنا اينما ذهبنا . ولنقتنِ الفطنة والعدل
« والقناعة والشجاعة وتامل الحقايق السماوية والامانة بيسوع المسيح . والمحبة والاتضاع
« والدعة والشفقة نحو البايسين والتفكر على الدوام بقول الرسول الالهى : اننى اموت في
« كل يوم * علي اننا اذ عشنا في كل يوم كانه الاخير من حياتنا . بنوع اننا حينما ننهض
« صباحًا من رقادنا في كل يوم نفتكر بانه يمكن ان لا نعيش الي المسا . وحينما نضجع مساء
« نفكر باننا لا نرى الصباح المقبل * فعلي هذه الصورة لا نخطي اصلاً . واذ ننتظر هكذا
« الموت من يومٍ الي يوم وبعده الدينونة الاخيرة فلا تتعلق قلوبنا بهذه الموجودات
« العابرة . وبسهولةٍ نكبح امياتنا وشهواتنا ونهرب من اللهو والتنعمات الدنيوية * ثم اننى
« اتوسل اليكم يا اولادي بان تسهروا بنوع خاص على حفظ قلوبكم . لاجل ان اعدا خلاصنا
« الشياطين هم خبثا ساهرون محتالون جدًا فى امر هلاكنا . ولهذا حينما يشاهدون المسيحيين
« لاسيما السواح منتبهين على ذواتهم وساعين في نجاحهم الروحي يثبون عليهم بالتجارب
« باشد عزم بواسطة هجس الافكار الردية في قلوبهم . لكي يمكنهم بذلك ان يسقطوهم في
« الاثم * ولكن المثابرة على الصلوات والسهرانات والاصوام والتشكل برسم علامة الصليب
« والاستجار في الايمان وانتعاش الرجا بالله واقتنا التواضع والحب العظيم نحو يسوع
المسيح تبيد تلك الهواجس الدنسة بالكلية *

عاشرًا فهذه الكلمات المحركة من الروح القدس قد كانت تنفذ في قلوب سامعيها
مضرمة فيهم حرارة حبٍ مقدس نحو البلوغ الي الكمال في الفضايل . وقد كان اهتمام هولا
السواح الابرار الاعتيادي ترتيل الزبور الالهي . والتاملات في الكتب المقدسة والاصوام

والابتهالات ثم عمل اليد عايشين بفرحٍ وابتهاج فى رجاء نوال الخلاص والخيرات الابدية. متحدين برباط الحب والسلام * وبالاجمال انه كان يمكن القول عن ذلك القفر انه اضحى بلدًا متميزًا عن العالم * حيث يسكن البر والعدل فقط * فالقديس انطونيوس لم يكن يغفل عن ان يفتقد زمنًا بعد زمن محلات الرهبان وامكنة السياحة كلها . مرشدًا تلاميذه ومشجعًا اياهم على الثبات في عمل البر * وخارجًا عن ازمنة الافتقاد كان ينسك اعتياديًا في ديره الخصوصي . متشوقًا على الدوام نحو الوطن الطوباوي . ومتمما الخدم الضرورية لذاته وللغير حتي ادنى ما يوجد منها * وغالبًا كان يغتذى وحده . وحينما كان ياكل مع الرهبان في بعض الايام فمراتٍ كثيرة كان يتوقف عن الاكل مرشدًا وواعظًا اياهم ليقرن مع القوت الجسدي القوت الروحى . ويشير الي تلاميذه بكفايةٍ الي عدم الاهتمام بالغذا الجسدي . والى تفضيل كلام الله الذى هو قوت النفس على ما سواه *

الحادي عشر ثم اذ كان الملك مكسيمينوس قيصر قد جدد في سنة ٣١١ الاضطهاد ضد المسيحيين . فالقديس انطونيوس الذي كان مضطرمًا فيهِ الحب الشديد والشوق الوكيد نحو الاستشهاد بتقدمة حياته من اجل يسوع المسيح . قد خرج من امكنة السياحة وحضر الى الاسكندرية صحبة البعض من رهبانه . كى يشجع اوليك المسيحيين الذين كانوا بامر الوالى مطروحين في الحبوس او محكومًا عليهم بحفر امكنة المعادن ويوطدهم ويعزيهم * وكان يقدم لهم الخُدَم اللازمة . كما انه لم يكن يتهامل عن تحريض اوليك الذين كان يوتي بهم امام المغتصب في ان يثبتوا الى النهاية بالاعتراف الشهير بالمسيح * فالوالي حينما عرف ما كان يصنعه انطونيوس مع رفقايهِ بشهامةٍ وجراةٍ وشجاعةٍ . امر بانهم جميعًا يسافرون من الاسكندرية * فتبعًا لهذا الحتم سافر اوليك الرهبان . واما القديس انطونيوس فبقي في المدينة * والابلغ من ذلك هو انه ذهب الى احد الامكنة التي كان الوالى مزمعًا ان يمر بها . ووقف مستعليًا كي يراه المغتصب . لانهُ بشوق عظيم وحرارةٍ فايقة الوصف وامانةٍ عجيبة كان يرغب سفك دمه من اجل المسيح * غير ان الباري تعالى اراد ان يحفظه في الحيوة لاجل افادة عدد هكذا عظيم من النساك الذين كانوا محتاجين الي نموذجاته الحية وارشاداته الخلاصية * فاذًا قد لبث يخدم المعترفين جميع مدة الاضطهاد . الذي حينما انتهى قد رجع هذا البار الى ديره الصغير . حيث اكتسب لنفسه بصرامة عيشة النسك التي

هي استشهاد متصل الاستحقاق الذى ما كان يمكنه ان يناله بواسطة سفك الدم *

الثاني عشر وقد ارتضي عزّ وجلّ بان يصيّر اسم عبده هذا الامين شايعا في كل مكان من قبل موهبة صنيع العجايب التي منحه اياها . ومن ثم كان ياتي اليه اناس من كل جنس وسن ودعوة وامكنة ليستشفوا من امراضهم وينجوا من الارواح النجسة المعترية البعض منهم * الذين حالما كان يستغيث عليهم باسم يسوع المسيح كانوا يبراوءن . وحينما كانت تاتيه المرضي ونقف بعض الاحيان منتظرة اياه عند باب الدير ولم يكن يخرج اليهم . فكانوا يجثون عند الباب مصلين و بذلك كانوا ينالون الشفا * غير ان القديس لما لاحظ من جهة اولي ان كثرة توارد الناس اليه من كل ناحية لم تكن تدعه ان يحفظ بالتمام واجبات الوحدة والانفراد . ومن جهة اخرى قد كان مختشيا على ذاته من ان يتداخله فكر المجد الباطل لاجل كثرة العجايب التي ارتضي الله بان يصنعها بواسطته . فلهذا قد خرج سرًا من ديره وذهب داخلاً في القفر الغير المسلوك ماشيًا مسافة شاسعة في مدة ثلثة ايام . حتي بلغ الي ذيل جبل عالٍ حيث وجد نبع ماء تحوطه اشجار النخل فمكث هناك ○ الا انه بعد عدة من الايام قد استدلت تلاميذه على ذلك المكان . وحضروا اليه مصحبين له معهم كمية من الخبز * ولما فهموا منه عدم ارادته بالرجوع الى الدير طفقوا يفتقدونه زمنًا بعد زمن بالخبز الضروري لقوته * ولكن قد اراد البار بان يانوه بالحري بقليل من الشعير كي يزرعه في نواحي مقر سكناه . وبهذا النوع يستغل ما يلزمه لعمل الخبز * ثم انه ولين كان القديس انفرد بهذه الصورة عن معاطاة كل احدٍ . الا انه ما امكنه ان يتغافل عن زيارة الديورة الموسسة منه . مفتقدًا اياها حينًا بعد حين . كما انه لم يكن يرفض من كان ياتي اليه من الرهبان ليطلبوا مشوراته وارشاداته . ليستشفوا من مرضٍ او وجعٍ ما . بل بكل حبٍ ابوي كان يقبلهم ويقضى اعوازهم * ففي يوم ما التزم هذا القديس بان يظهر ذاته لبعض اشخاص من اكابر البلاد كانوا حضروا ليزوروه . وبعد ان صنع لهم خطبةً روحيةً وجيزة انصرف راجعًا عنهم * اما هم فاخذوا يترجونه بان يستمر معهم مدة من الزمن . واما هو فاجابهم عن ذلك بعذوبة قايلاً * انه كما ان السمك يموت حينما يبقى خارج الماء مدة مستطيلة من الزمان . فهكذا الرهبان حينما يخرجون من اديرتهم ويستمرون وقتًا طويلا متحادثين مع اهل العالم تضعف فيهم حرارة العبادة ويطرحون ذواتهم في خطر موتٍ

« روحي . فلهذا يلزمنا نحن الرهبان ان نكون راغبين بشوقٍ مضطرم الرجوع الى امكنة « انفرادنا متى خرجنا منها لغرضٍ ما . ليس باقل من الرغبة والشوق الموجودين في « السمك نحو رجوعه الى الماء » *

ثالث عشر ففيما بين صفات هذا القديس الاخر الفاضلة كانت تتلالا فيهِ فضيلة التواضع . من دون ان يرتفع بنفسه لاجل المواهب الجليلة التي حازها من قبل الله في كل نوعٍ * وكان يحترم الرسوم الكنايسية ويوقر جدًا مصاف الاكليروس العلماني . مخنيًا بكل انخفاض لايٍ كان من الاساقفة والكهنة . ملتمسًا منهم البركة . ومقدما لاصغر ما يوجد في هذا المصاف الخدم بكل حبٍ حتى ادناها ۞ واذا اتفق ان يزوره احد من الشمامسة الانجيليين لطلب ارشادٍ او مشورةٍ ما ويكون دنا وقت الصلوة فلم يكن يبتدي بالصلوة بل كان يلزم الشماس بالابتدا بها * ولاجل نقاوة الايمان الكاثوليكي الذي كان يحبوبه في قلبه ويغار بالمحامات عنه . كان يرفض الاراتقة والمشاقين لاسيما الاريوسيين . محرضًا المومنين على الابتعاد عن مكالمتهم نفسها بقوله لهم : « ان السن هولا الاراتقة مملوة سمًا نظير الحيات والافاعي ولذلك يجب تجنب مخاطبتهم » * فاعتبار هذا القديس كان ساميًا والجميع حتى الاراتقة انفسهم كانوا يهابونه ويرغبوا ان يسندوا ضلالهم على عظم احترامه * ولذلك قد اشاع الاريوسيون ان اعتقادهم بما تمسكوا به لم يناقضه البار انطونيوس * فلكي يظهر هذا القديس كذب تلك الاشاعة ويرفع عنه الشك . قد قبل راي القديس اثناسيوس وغيره من الاساقفة بانه اهمل السياحة وحضر الي مدينة الاسكندرية . واخذ يكرز علانيةً بالوهية يسوع المسيح ومساواته للاب في الجوهر . رازلاً كل راي مضاد لذلك مع كل متمسك به * ففي هذه الفرصة كان الشعب يتقاطر من كل ناحية ليشاهدوا القديس انطونيوس الرجل العجيب . حتى ان الامميين انفسهم عند نظرهم الايات التي كان يصنعها طفقوا يتزاحمون على لمس اثوابه . وكثيرون من مرضاهم نالوا الشفا وامنوا بالمسيح . وقد بلغت اخبار قداسة هذا البار الى اكابر ديوان الملك قسطنطين العظيم . بنوع ان هذا الملك الحسن العبادة والديانة ومثله اولاده قد كتبوا للقديس رسالاتٍ بها كانوا يخاطبونه كابٍ . مظهرين شوقهم العظيم لمشاهدته وللتعرف بهِ . او قلما يكون الى نوال جوابٍ منه لهم خطًا * فجميع الرهبان عندما راوا الملك يكاتب البار بهذا التنازل والتواضع . قد

تحيروا من ذلك وانسروا من قبل شرف الاسم الذي حصل عليه معلمهم * اما هو فلم يكن يعتبر هذا اصلاً . بل قال للرهبان ، : لاتنذهلوا من ان الملك يحرر لي رسالة . اذ ليس هو ، سوى انسان قابل الموت . بل انذهلوا من ان الله حرر للبشر شريعته . وباكثر من ذلك ، انه تعالى خاطبهم بواسطة ابنه الوحيد عينه ، * وقد رد للملك الجواب . وبه ارشده الارشادات الخلاصية وحرضه على ما به يقوم خير مملكتهِ العام *

رابع عشر ثم ان كثيرين من الفلاسفة الوثنيين قد ذهبوا لزيارة القديس انطونيوس . وكانوا ينذهلون منه جداً عند اعتبارهم حذاقته وزكاوة عقله الفريدة مع الاجوبة القوية التي كانوا يسمعونها منه عما كانوا يسالونه عنه مع انه لم يكن درس العلوم الفلسفيه . الامر الذي من اجله بعض اوليك الفلاسفة كانوا يحتقرونه * غير ان القديس كان يقول لهم هكذا : ، اخبروني هل ان جودة العقل وجُدت قبل العلوم ام ان العلوم وجُدت ، قبل جودة العقل . وهل ان التفهم وحسن المعرفة يتلدان من العلوم او ان هذه تتلد ، من ذينك * فاجابه الفلاسفة : ، ان العلوم تتلد من المعرفة الحسنة ومن جودة العقل ، فهنا قال لهم القديس ، : فاذاً من يكون ذا معرفة حسنة وجودة عقل ليست العلوم ، الطبيعية بضرورية له . وهكذا قد خجلهم بهذا الجواب * وقد وجد البعض من هولاء الفلاسفة الذين بخادعة القياس السفسطي وبرفاعة ايراداتهم كانوا يعترضون ضد الديانة المسيحية * اما القديس فقد اخزى كبرياهم وافحمهم بالبراهين اليقينية وبالاثباتات الراهنة موضحاً سمو قداسة هذه الديانة وكمالها وحقيقتها . ثم فساد العبادة الوثنية ومباديها المضحكة ولكي يوكد لديهم ثبات هذه الديانة المسيحية . قد اخرج الشياطين امام اعينهم من رجلين كانا معترين منهم . وذلك بمجرد استغاثته باسم يسوع المسيح وبرسم اشارة الصليب * وقد اقترح عليهم بعد هذا ان يفعلوا ايضاً نظيره باستدعا اسما الهتهم . وهكذا املاهم من الخزي *

خامس عشر فاخيراً لما تقدم القديس جداً في العمر . واتى الزمان الذي فيه اراد الباري تعالى ان يكلل اعمال صفيه المقدسة بالمجازاة الخالدة في السما . وقد عرف القديس دنو ايامه الاخيرة اخذ يدور على محلات الرهبان كافةً . مفتقداً اياها ومنبهاً على جميع تلاميذه بان ذلك الافتقاد قد كان هو الاخير * فهذه الخبرية املاءت قلوبهم غما وكثيرون

شرعوا يبكون وينوحون * اما القديس فكان يتكلم عن موته كعن نهاية نفيه عن وطنه الحقيقي الذي بكل سرور كان مسافراً اليه * ففيما بين الارشادات الاخيرة التي قدمها لتلاميذه توجد هذه الكلمات: «ياولادي الاعزا احرصوا من انكم تفترون او تتراخون في الاعمال الصالحة. احيوا كانكم مايتون في كل يوم. وابذلوا غاية جهدكم في ان تحفظوا انفسكم نقيةً من كل فكرٍ دنس خبيث. اغتصبوا ذواتكم في اقتفا اثر سيرة القديسين ونموذجاتهم. واهربوا من كل مداخلة او معاطاة مع الارائقة. احفظوا بتدقيق صارم تقليدات الاباء. ووطدوا ذواتكم على الدوام راسخين ثابتين متاصلين في الايمان بيسوع المسيح. حسبما تعلمتم من الكتاب الالهي وبموجب ما ارشدتكم انا بذلك مرات كثيرة» * فالرهبان قد توسلوا اليه بحرارةٍ في ان يمكث فيما بينهم تلك الايام الباقية من حياته من غير ان يرجع الى مكان انفراده * ولكن القديس لم يرتضِ بمطلوبهم بل رجع الى مكانه. حيث بعد اشهر قليلة قد مرض وابتدا ان يفنى رويداً رويداً بكل هدوٍ وبسلامٍ وتعزيةٍ وبوجهٍ باش مضى الى ان رقد بالرب على هذا الحال سنة ٣٥٦ التي هي المائة والخمس من عمره. وتراقت نفسه الطاهرة الى الاخدار السماوية لتتمتع بتلك السعادة الفائقة الادراك

فالقديس يوحنا فم الذهب يحرّض المومنين على التامل في حياة القديس انطونيوس التي لم تكن شيًا اخر سوى وضع الشريعة الانجيلية وتعاليمها ومشوراتها بالعمل * فلنتعلم اذاً من هذا البار ان نضع بمقدار مكنتنا وبحسب دعوتنا بالعمل ما علمناه يسوع المسيح في انجيله الطاهر. كما قد شاهدنا نموذجات القديس المذكور وسمعنا كلماته وارشاداته وعرفنا فضايله. لاسيما الدعة والتواضع واحتقار العالم واستعمال اماتة الحواس وقهر الذات * على ان مخلصنا لم يقل: «طوبى لمن يسمع كلمة الله. بل قال: «انما الطوبى للذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» * فاذاً يجب ان نقرن العمل مع السماع. فهكذا صنع ذانك الرجلان الجليلان اللذان كانا متقدمين في الوظايف العلياء في الديوان القيصري عند الملك فالينتينيانوس. كما يخبر عنهما القديس اغوسطينوس في كتاب اعترافاته بانهما حينما قرآ سيرة القديس انطونيوس الكبير هذا. قد احتقرا المجد العالمي ورفضا الكرامات والغنى الفاسد وكرسا ذاتيهما لخدمة الله وحده * والقديس ايرونيموس يوكد لنا انه حينما اشتهر في مدينة رومية كتاب سيرة حيوة القديس انطونيوس المذكور المحررة من القديس اثناسيوس

فكثيرون من الرجال العظما ومن النسا الشريفات مع اناسٍ اخرين من كل سنٍ ودعوةٍ قد اضطرموا بنار الحب في ان يغايروا هذا القديس في السلوك بسيرةٍ مسيحية مملوة من الفضايل والاماتات والتقشفات وقهر الذات واحتقار اباطيل العالم وخداعاته الكاذبة * وبذلك استثمروا لذواتهم البلوغ الى الكمال بهذه الواسطة وحصلوا امينين على امر خلاصهم الابدي *

* اليوم الثامن عشر *

* وفيه تذكار ابوينا الجليلين في القديسين اثناسيوس *

* وكيرللس بطريركي الاسكندرية *

اولاً ان القديس اثناسيوس الكبير الذي تكرمه الكنيسة الجامعة شرقًا وغربًا بمنزلة النير الاعظم وكسند الايمان وعموده الاكبر والمحامي الامجد والاخص عن الوهية مخلصنا يسوع المسيح . قد ولد في مدينة الاسكندرية نحو نهاية الجيل الثالث * واذ كان بعد طفلاً يتعلم في المدرسة مبادي العلوم التي اعتياديًا يتفقه بها الاحداث فحينئذٍ احبه جدًا القديس الكسندروس بطريرك الاسكندرية واتخذه بمنزلة ابنٍ له واحضره الى الدار البطريركية ليتعلم هناك ما كان يلزمه للدخول في طغمة الاكليروس مغتذيًا على مايدة القديس عينها وقد نجح جدًا في درس العلوم الكنايسية تابعًا بكل تدقيق ارشادات البطريرك المذكور . مثابرًا مطالعة الكتاب الالهي متاملاً بتدقيق معانيه الاكثر تعمقًا . في الوقت نفسه الذي فيه لم يهمل درس العلوم الفلسفية بواسطة من عيّنه لتعليمه هذا الراعي نفسه حيث برع في هذه العلوم ايضًا جدًا جدًا كما يظهر من روح تاليفاته التي حررها فيما بعد * ولكن حبه الشديد نحو مطالعة الكتاب المقدس قد اهلهُ لان يفيض في لبّه الباري تعالى الانوار الباطنة العظيمة التي بواسطتها امكنه ان يدرك من الاسرار اسماها ومن المعاني الالهية ارفعها ولان يستسير مدة حياته سيرةً مطابقة روح الانجيل بكل اجزايها *

ثانيًا فالقديس الكسندروس بعد ان اختبر في اثناسيوس تلك النجاحات الروحية والعلمية . ادخله في مصاف اكليروسهِ . مرقيًا اياه بالتتابع في الدرجات الصغار . ثم رسمه شماسًا انجيليًا وجعله ريس شمامسة كرسيه البطريركي * فاثناسيوس ابتداء منذ ذلك الوقت ولو انه كان حدث السن ان يتعاطى المواد المعتبرة بنجاح وافادة الكنيسة البطريركية . وظهر

محاميًا غير مغلوب عن الايمان الكاثوليكي ضد الارتقة الاريوسية . التي كانت حينئذٍ انتشات بنكران الوهية الكلمة الازلي * فهو الذي في المجمع الاسكندري الملتئم سنة ٣١٩ قد امضى كريس شمامسة في ذلك المجمع رسالة بطريركهِ القديس ضد اريوس مبتدع الارتقة المذكورة . كما انه وجد اسمه محررًا في اكثر الرسالات البطريركية الاخر الملاحظة هذه المادة * وهو الذي ابذل كل جهده في مقاومة العناية التي كان اشخاص معتبرون يبذلونها في اقناع القديس الكسندروس بان يقبل في الشركة الكنايسية اريوس بعد ان كان حرمه * وليس من دون اساس يُنسب للقديس اثناسيوس هذا جميعه . من حيث ان بطريركهُ الجليل كان متخذه كمشيرٍ . وكان دائمًا برفقته غير مفارق له . ولاجل اعتباره كانت حكمة ريس شمامسته هذا سامية وفطنتهِ عميقة ووزناته جليلة وكان يعتمد على رايه * والذي يحقق ذلك هو انه اذ التزم هذا البطريرك القديس بالذهاب الى المجمع المسكوني النيقاوي الاول سنة ٣٢٥ . قد اخذ صحبته اثناسيوس نظير لاهوتيهِ واول مشيريهِ * ففي هذا المجمع العام ولين وجد القديس اثناسيوس بالدرجة الديا كونسية فقط وبسن الشبوبيه الغض . فمع ذلك يمكن القول انه كان من ارهاط هذا السينودس المسكوني المنظور اليه والمصغي الى ارايه من الجميع . لاجل حذاقة عقلهِ وسمو معرفتهِ وفصاحتهِ ونجابتهِ وفقههِ في الامور الكنايسية وسعيهِ الفعال نحو ملاحظة اعمال المجمع ونباهتهِ في كشف خداعات الاريوسيين * ثم انه لم يكن يهاب مقاومة اوليك الاساقفة رووس حزب اريوس . مبكمًا اقوالهم . مفندًا ايراداتهم . ملاشيًا براهينهم السفسطية مبيحا ذاته لاى خطرٍ كان بحمامات غير مغلوبة عن قواعد الايمان الكاثوليكي * وبالاجمال انه اظهر غيرةً ومناضلةً وحبًا هكذا شديدًا نحو استقامة الايمان حتى استحق المديح والثنا والبركات من جميع ابا ذلك المجمع المحامين عن الحق *

ثالثًا فالاريوسيون قد تاكدوا من ثم كم كان اثناسيوس عدوالهم ومقاومًا لارايهم . ولهذا قد حبلوا ضده وجعًا وكراهيةً وبغضةً غير قابلة الصلح . وولدوا انمًا باضطهاداتهم اياه بانواع قوية ومشكلة في مدة جميع حياته . حيث تكبد منهم اضاماتٍ كلية كاستشهادٍ متصل * وقد ازدادت بغضتهم ضده بالاكثر حينما شاهدوه ضابطًا زمام السدة البطريركية الاسكندرية . على ان القديس الكسندروس بعد رجوعه من المجمع النيقاوي بخمسة اشهر

قد مرض المرض الاخير . وقبل وفاته قد تكلم مع اكليروسه بحضور كثيرين من الشعب في انهم ينتخبون خليفةً له اثناسيوس رئيس الشمامسة . لان هذه هي ارادة الله * فلما رقد بالرب القديس الكسندروس في ١٧ او في ١٨ نيسان سنة ٣٢٦ . فالاكليروس كافةً والشعب جميعًا كمن فم واحدٍ وبصوت واحد وبراى متفق طلبوا راغبًا لهم اثناسيوس . الذى اذ عرف ذلك قد هرب مختفيًا محتسبًا ذاته غير اهلٍ لهذه الرفعة * فالاساقفة الذين حضروا من الاقاليم الخاضعة لهذا الكرسي البطريركي لاجل الانتخاب . قد طابقوا موافقين ارادة الاكليروس والشعب * وبعد ان أُقيم الفحص على القديس اثناسيوس ووجد في مكان اختفايه . قد اوتى به بزفةٍ حافلة وأُلزم بقبول الارتسام الاسقفي بموجب القوانين الكنايسية . وارتقي الي هذا الكرسى الموسس من القديس مرقص الانجيلى . والذي كان اكبر كراسى المسكونة كلها بالرتبة والشرف بعد الكرسي الروماني * فالاريوسيون اجتهدوا بقوة التهم الباطلة والدعاوى المزورة المتواترة في ان يثلموا قانونية انتخاب هذا القديس . الذي كان في الوقت ذاته قد اثبته الله عينه بطرايق غير اعتيادية . لانه عز وجل قد خاطب القديس بوخوميوس حالما أُنتخب القديس اثناسيوس بهذه الالفاظ برويا سماوية قايلاً له : « انى قد اخترت اثناسيوس وانتخبته ليكون عمودًا ومنارةً لكنيستى . فهو عتيد ان يحتمل من البشر « مرايز كثيرة وتهمًا وتزويرات لاجل محاماته عن الايمان والديانة . ولكن اذ يقويه يسوع « المسيح فهو ينتصر على جميع التجارب . ويكرز بصدق بشارة الانجيل في الكنايس كلها * رابعًا فالقديس اثناسيوس بعد جلوسه في هذه السدة بطريركًا اسكندريًا . ليس فقط قد تمم فعلاً كل ما كان يومل منه جميع الصلحاء . بل انه ايضًا قد فاق على ذلك في كل نوعٍ . مثبتًا انه بالحقيقة كان خليفة الرسل الاطهار . متلاليًا بكل صنف من الفضايل * فيقول عنه القديس غريغوريوس النزينزي في خطبةٍ تلاها فى مديحه . انه كان رييسًا على الجميع نظرًا الي السدة التى كان جالسًا عليها . ثم نظرًا الي اعماله السامية وافعاله الفايقة * ولكنه في الوقت نفسه كان يظهر ذاته احقر من الجميع لاجل فضيلة تواضعه العميق . مبيحًا لكل احدٍ ان يتقدم اليه بسهولةٍ كلية ليعرض لديه احواله واحتياجاته . مشرقًا بالحلم والوداعة . بعيدًا عن الغيظ والرجز . مترئيًا شفوقًا عذبًا في خطاباته محبوبًا جدًا في عوايده واطباعه . بهيًا بالنفس والجسد نظير ملاكٍ . مونبًا وموبخًا بلطافةٍ وحلاوةٍ .

ومادحًا بترتيبٍ وفطنةٍ بنوع ان مديحه كان يُستخدم بمنزلة ارشادٍ مفيد من ذاك الذى يُمدح منه . حافظًا على الدوام حدود الفطنة وروح القداسة سواء مدح او ونّب * وقد كان يرشد ويعلم بواسطة مثله ونموذجاته افضل مما بكلماته التي كانت تقبل من الجميع بكل حبٍ ورضى . حتى انه لم يكن محتاجًا الي ابراز قصاصٍ ما لعدم وجود من يخالفه . ساهرًا على حفظ التراتيب والطقوس والاحتفالات الكنايسية التى كان يباشرها بذاته بنوع فاقد التعب والملل . مثابرًا على الاصوام والتقشفات كمن لا جسم له * وكان محاميًا عن المظلومين سندًا للضعفا . معلما للشبان . قايدًا اياهم في طريق الكمال . معزيًا للحزانى . ابًا للمساكين وللارامل اللواتي كانت لهُ نحوهنَّ عنايةٌ خصوصية * ولم تكن اهتماماته هذه الرعائية الرسولية نحو كنايس الاسكندرية فقط . بل كانت تمتد بغيرةٍ سامية نحو الابرشيات الاخر ايضًا الخاضعة لبطريركيته التى كان مراتٍ كثيرةً يفتقدها بذاته *

خامسًا ثم ان القديس غريغوريوس عينه يضيف الي كلامه السابق هذه العبارة ايضًا وهى ان جميع هذه الفضايل والصفات الفريدة التي كان مزينًا بها القديس اثناسيوس لم تكن شيًا بالنسبة الي الشجاعة والغيرة اللتين كان قلبه مضطرمًا بهما فى المناضلة والمحاماة عن حقايق الايمان الكاثوليكي * علي انه لم يكن مضى على هذا القديس منذ ارتقايه الى السدة الاسكندرية نحو خمس سنوات او ست . الا وقد نهضت ضده الاساقفة الاريوسيون كافةً مع مقدامهم اوسابيوس النيكوميدى الرجل الماهر في الحيل والخداعات والمستند على حماية الديوان الملوكي . واخذوا يضطهدونه بقساوةٍ ويتهمونه زورًا باشيا كثيرة . باذلين جهدهم في عزله عن كرسيه ولكن من دون ان ينالوا مرغوباتهم * فالملك قسطنطين الكبير اذ انخدع من حيل هولا الاساقفة الاراقة ومن البعض من اكابر دولته المحامين عنهم . قد سمح برجوع اريوس المُبعد الشقي من المنفي . بعد ان اقنعوه في انه رفض ارتقته واعتنق الايمان الكاثوليكي * ولهذا قد حرر اوسابيوس النيكوميدي للقديس اثناسيوس رسالةً بها يطلب منه ان يقبل اريوس في الشركة الكنايسية . مضيفًا لتوسلاته في هذه الرسالة التهديدات ايضًا ان لم يوافقها * فالقديس قد اجابه عن ذلك بانه لايمكنهُ ان يقبل في كنيسته روس الاراقة المحرومين من المجمع النيقاوي المسكوني * وحينئذٍ اوسابيوس قد التجا الى الملك المذكور . موضحًا لديه ومقنعًا اياه بحيله وغشوشه في ان اثناسيوس هو علة

البلبلات في الكنيسة . وعدو . الصلح والسلام وما اشبه ذلك * وبهذه المخادعات امكنه ان ينال منه رسالةً باسم هذا القديس ذات تهديد بعزلهِ عن كرسيهِ ان كان لا يقبل في كنيسته وشركته اريوس وتلاميذه * فهذا الراعي الجليل من دون ان يخشى اصلاً من هذه التهديدات قد رد الجواب للملك في انه لا يمكن للكنيسة الكاثوليكية مطلقًا ان تقبل في شركتها اناسًا يحاربون الوهية يسوع المسيح . او ان تثبت بنوعٍ من الانواع ارتقةً هذه صفتها . وانه لهذا السبب لا يجب ان يسمح للاريوسيين بالشركة في الكنيسة الجامعة * فهذا الجواب بمقدار ما ارضى قسطنطين الملك واقنعه . فبا كثر من ذلك قد حرك فى قلب اوسابيوس واحزابه الرجز والبغضة * ولهذا اخذوا في تدبير حيلة جديدة وهي ان يقدموا عليه الشكاوة للديوان الملوكي في انه سلبًا للحقوق القيصرية وضدًا للاوامر الملوكية قد اغتصب المصريين بان يفوا لكنيسته خراجًا وغرمًا سنويًا اقمشةً من كتان ذات كميةٍ باهظة * فهذه الشكاوة او بالحري التهمة الباطلة تقدمت لقسطنطين الملك في مدينة نيكوميدية (حيث هو كان وقتيذٍ موجودًا) من ثلثة اساقفة من الحزب الاريوسى . محققين لهذا الملك انهم هم انفسهم كانوا اول اوليك الاساقفة المصريين الذين الزمهم اثناسيوس بايفا هذا الخراج الغرمي * غير ان العناية الالهية قد دبرت بانه كان في مدينة نيكوميدية حينئذٍ كاهنان معتبران من الاقليم المصرى اسم احدهما ابيس وثانيهما مكاريوس . وكان لهما وقوفٌ على الحقايق . فلهذا اخذا يبرهنان للملك بسنداتٍ واضحة كذب هذه التهمة المخترعة من اعدا القديس راعيهما * فقسطنطين قد اقتنع ببراءته ورذل هذه التهمة ومقدميها وحرر له رسالةً ذات كرامة بها اظهر له شوقه لمشاهدته في نيكوميدية * فالقديس تمم مرغوب الملك بالذهاب اليه وقبل منه باحترامٍ كلي وبحبٍ شديد وبكل علامات الود والاكرام *

سادسًا فاوسابيوس حينما عرف ان الملك طلب اثناسيوس ليواجهه في نيكوميدية ابقي عنده الثلثة الاساقفة المشتكين . وهكذا بعد وصول القديس الي هناك قد حركوا تقدمة شكايتين جديدتين احداهما ضده شخصيا وثانيهما ضد كاهنه مكاريوس المار ذكره فشكواهم ضد القديس كانت بانه ارسل الى الرجل المتمرد فيلومانا الذى كان يحاول ان يختلس كرسى الملك . وزناتٍ عديدة جدًا من الذهب ليقويه في العصاوة مشاركًا اياه

بها ضد الملك . واما شكواهم علي مكاريوس فكانت بانه كسر كاس التقديس للقس ايسكيرا وهدم هيكله * فالملك بعد ان فحص هاتين الشكايتين جيداً قد وجدها باطلتين وتهمتين محركتين من البغضة . ومن ثم قد اعلن براءة القديس ورده الى ابرشيته . مصحباً اياه برسالة خطاباً لسكان الاسكندرية بها يعلن لهم ان مزوري الدعاوى على بطريركهم لم ينالوا سوى الخزي * اذ ان الامهم الردية لم تكن تهجع عن بلبلة سلام الكنيسة وهكذا يحرضهم على الطاعة لراعيهم بوحدة الروح . وبالأ يصغوا الي المسجسين . كما انه يوضح لهم براءة الكاهن مكاريوس من التهمة المحضة التى تهم بها بكسر الكاس و بهدم المذبح * لانه بالحقيقة ان تلك التهمة كانت فاقدة كل اساس . لاسيما ان ايسكيرا لم يكن قط كاهناً اذ انه لم يرتسم من احد الاساقفة على الاطلاق . بل ان الكاهن البسيط كولوترس كان وضع يده عليه متوهماً انه اعطاه سلطان الكهنوت . ولهذا ايسكيرا قد هم ان يبتدي بان يباشر الخدمة الكهنوتية * فلما كان القديس اثناسيوس دايراً بالافتقاد في الاقليم المصري وفهم هذه القضية ارسل الى اسكيرا كاهنه مكاريوس صحبة خورى المكان منبهاً اياه بالا يتجاسر على مباشرة خدمة ما من الخدم الكهنوتية * فالاريوسيون قد شرعوا يذيعون الخبر في كل مكان بان مكاريوس حينما دخل عند ايسكيرا وراه قد اكمل الاسرار الالهية على المذبح . اخذ الكاس فكسرها وهدم الهيكل . وايسكيرا الشقي كان يصادق على هذه التهمة النفاقية * غير انه فيما بعد قد ندم على خطيته ومضى الى القديس اثناسيوس مقدماً اعترافه خطاً بان ما اشاعه هو عن الكاهن مكاريوس قد كان مخترعاً افكاً واتهاماً محضاً . فبعد اعترافٍ هكذا شهير عُرف من الجميع لم يخجل الاريوسيون (كما هو دايماً روح الضالين) من ان يقدموا للملك من جديد هذه التهمة الباطلة ضد القديس اثناسيوس ذاته مجتهدين في ان ينكسوا اعلامه ويخربوا صيته *

سابقاً غير ان الاريوسيين حينما قدموا لقسطنطين الملك جديداً هذه التهمة على القديس قد اضافوا اليها تهمة كاذبة اعظم شناعةً منها . وهى ان اثناسيوس قد قتل ارسانيوس اسقف ايبسالا من الاقليم المصري (وهذا الاسقف كان من حزبهم الضال) علي ان هولا الاشقيا قد كانوا اتفقوا مع ارسانيوس المذكور في ان يسافر سراً الي امكنة بعيدة ويختفي هناك من دون ان يعلم به احدٌ بالكلية * ولما تمم ذلك بكل تدقيق قد تظاهر

الاريوسيون بانهم يفتشون عليه . واذ لم يجدوه اخذوا يندبونه بدموع . واشاعوا في كل مكان ان اثناسيوس قتله . وقطع ذراعه اليمنى لكي يستخدمها في اعمال سحرية . وهكذا قد زوروا علبةً حاويةً ذراع رجلٍ محققين للناس انها كانت ذراع ارسانيوس عينه ويده * ثم قدموها على هذه الصورة الملك الذي نظرًا الى قضية الكاس والمذبح لم يعطِ سماعًا من حيث انه قد حكم قبلاً بانها كانت تهمةً باطلةً . واما نظرًا الى قضية قتل ارسانيوس فقد فوض هذا الملك اخاه دالماسيوس الذي كان وقتئذٍ مقيمًا في مدينة انطاكية بان يفحصها محضرًا امامه المدّعين ومقاصًا من يثبت عليه الذنب * فدالماسيوس تبعًا لهذا الامر الملوكي حرر للقديس اثناسيوس رسالةً . مخبرًا اياه بذلك ومنبهًا عليهِ في ان يستحضر مايلزمه للمحاماة عن نفسه * فالقديس الذي في الاول لم يكن يعبا بهذه التهمة الكاذبة بكل اجزايها . لاسيما لانه كان مضي له من الزمن ما ينيف عن خمس سنوات من دون ان يرى ارسانيوس اصلاً . قد اعتمد بعد هذا التنبيه على الفحص عنه اى عن ارسانيوس لاجل تبرير ذاته * ولذلك ارسل احد شمامسته ليفتش عليه محررًا الى جميع اساقفة البرّ المصري كتاباتٍ في ان يجتهدوا بالفحص عنه مدققًا * فاخبرًا بعد العناية الكلية قد وجد ارسانيوس . وهكذا أُرسلت الشهود الي انطاكية مقرّرين بانهم شاهدوه وتكلموا معه . بل ان ارسانيوس عينه التزم بان يشهد على ذاته بضد ما كان يقال عنه * فالقديس اثناسيوس كتب للملك رسالةً بها يذكّره في بطلان التهم الاولى التى كانت تقدمت عليه لديوانه الملوكى . وكيف انه هو عينه قد فحصها وحكم بانها كاذبة . ثم يخبره عن كشف تزوير هذه التهمة ايضًا بوجود ارسانيوس في قيد هذه الحيوة * فهذا الملك قد ردَّ له الجواب بشجب دعاوي اعدابهِ الاثيمة ضده وبرذل روحهم الالى الذي كان بصيرهم ان يتورطوا في ذنوبٍ هكذا شنيعة . مبررًا القديس من قضيتي ايسكيرا وارسانيوس تبريرًا شهيرًا . حاتمًا بان جوابه هذا الملوكي يقرا مشاعًا مراتٍ كثيرةً . ليعرف الجميع كم كانت شريرةً رداوة اعدا القديس واثيمة نواياهم ضده * ثم يختتم هذه الرسالة قايلاً نحو هذا الراعي انه اذا لم تهجع اخصامه في المستقبل عن ابتداع اباطيل هذه صفتها . فهو نفسه اي اثناسيوس يستعمل ضدهم سيف القصاصات . لابحسب الشريعة الكنايسية الحليمة بل بموجب الشرايع المدنية الصارمة * فهذه الكتابة الملوكية وجُدت بمنزلة اكليل انتصارٍ

لبراءة القديس . وقد تم الابتهاج العام برجوع ارسانيوس عينه الى الايمان الكاثوليكي . معترفًا بائتلافاته الشريرة مع الاريوسيين . رافضًا ارتقتهم . طالبًا من القديس الغفران والقبول في الشركة . الامر الذي وهبه اياه هذا الراعي الحنون بكل تنازل واشفاق *

ثامنًا فالخزى الذي التحف بـهِ الاريوسيون مع مقدامهم اوسابيوس من قبل فضح هذه الدعاوى الزور ضد القديس اثناسيوس لم يقطع رجاهم من نوال مأثوراتهم الاثمة . بل احتالوا في ان يحكموا عليه في مجمع مولف من اساقفة كثيرين من حزبهم * لانهم اظهروا لدى الملك انه كان امرًا ضروريًا ان ينعقد مجمع من اساقفة المشرق لاجل البلبلات التي كانت حاءلة . حتي لا يعود سبيل لاحد لان يسجس الرعايا * فظاهر طلبهم هذا قد ارضي الملك . ومن ثم نودي بعمل المجمع في مدينة قيسارية فلسطين * ولكن اذ لم يرتض القديس اثناسيوس بالذهاب الى هناك . قد تغير الامر الملوكي بالتيامه في مدينة صور سنة ٣٣٥ . حيث حضر اليهِ كل اوليك الاساقفة الذين بسعى احزابهم المتقدمين في باب الدولة صيروا قسطنطين ان يدعوهم لذلك الاجتماع . كما انهم سعوا ونالوا من الملك ان يحضر من قبله في هذا السينودس الرجل الشريف ديونيجي . الذي كان اوسابيوس وحزبه اكتسبوا روحه وصيروه عدوًا محضًا للقديس اثناسيوس الذي اضطر بان يحضر في المجمع المذكور من قبل كتابة قوية حضرت له من الملك في هذا الشان وقد اتى برفقته تسعة واربعون اسقفًا من المخضعين لبطريركيتهِ . وجميعًا كانوا امبنين نحوه * ولكنهم لم يقدروا ان يمنعوا عنه الظلم والتعدي . من كون ديونيجي الذي كان في ذلك المجمع ممثلاً شخص قسطنطين لم يكن يفعل شيًا اخر الا ما كان يدربه اليه حزب اوسابيوس ۞ فلقد كان امرًا عديم التصديق بالكلية ما قدمه اعدا هذا القديس من الدعاوى الباطلة والتزويرات والاكاذيب في المجمع المذكور . لولا انه يكتب من شهودٍ عيانيين لا يمكن انكار شهاداتهم * واخص هذه الدعاوى ثلث . وهي اولا ان اثناسيوس قد اغتصب ابنةً بتولةً وافتض بكوريتها بالزنا . ثانيًا انه قتل ارسانيوس اسقف ايبسالا وقطع ذراعه اليمين . ثالثًا انه كسر كاس الكاهن ايسكيرا وهدم مذبحه * فلكي يمكنهم ان يبرقعوا بشكل الحق الدعوي الاولي . قد اغروا بقوة الرشوة احدى النسا الشقيات المفسودات السيرة بالدنس واحضروها الي المجمع . حيث اخذت تقرر امام السينودوس جميعه بنوع

فاقد الحيا بانها كانت هي ابنة بتولاً مكرسة عذريتها لله . وان البطريرك اثناسيوس كان في حين اجتيازه مسافراً قد نزل في بيتها وانه قد اغتصبها وافتض بكوريتها بفعل الزنا * فتيموتاوس احد كهنة القديس اثناسيوس قد نهض في المحفل مخاطباً هذه الامراة كانه هو اثناسيوس قايلاً لها : « كيف يمكنكِ ان تجاسري على ان تقولي اني نزلت في بيتكِ واني قهرت ارادتكِ بفعل الدنس » * فالامراة التعيسة لعدم معرفتها شخص القديس اثناسيوس قد ظنت تيموتاوس انه حقيقةً كان اثناسيوس . فاجابته بجراءةٍ مشيرة نحوه هاتفةً : « اي نعم اي نعم انت نفسك قد اغتصبتني ودنست بتوليتي في المكان والزمان الفلانيين * فهذا الامر وجد كافياً ليعلن لدى الجميع تزوير هذه التهمة . ولذلك اعدا القديس قد طردوا تلك الامراة حالاً مع ان البار المتهوم كان يطلب ابقاها في ذلك الديوان لتشهر من هم الذين اغروها على هذه التهمة الكلية الشناعة *

تاسعاً فالاريوسيون قد استوعبوا خزياً من كشف هذه الحيلة . ولكن من يظن ان قضية ارسانيوس الاسقف بعد ان اتضح تزويرها بكتابة ملوكية كما سبق الشرح يمكن ان يُدَّعى بها من جديد في هذا المجمع * فالعناية الالهية دبرت بان ارسانيوس الاسقف المذكور قد حضر في تلك الليلة الى مدينة صور ليواجه القديس اثناسيوس . الذي قد طلب اليه ان يمكث مختفياً عنده * وفي اليوم الثاني لما ذهب هذا القديس الى المجمع فاخصامه ضربوا صمتاً عن قضية الامراة وشرعوا يقولون بغوضا انه توجد ضد اثناسيوس ذنوب اخر لايقدر ان يبرر ذاته منها . لانه يكفي للقضاة ان تكون لهم اعين ليشاهدوا الحقيقة . وهنا قد احضروا العلبة التي فيها اليد مع الذراع الانساني المقطوع وفتحوها واخذوا يدوّروها على واحدٍ بعد الاخر من ابا المجمع قايلين نحو القديس : « ان هذا الذراع المقطوع هو المشتكي ضدك يا اثناسيوس . وهذه هي يد الاسقف ارسانيوس . فيلزمك ان تقول لنا كيف ولاية علةٍ قطعتها » * فلما هدات الغوضا على نوعٍ ما قد سال القديس اثناسيوس ابا المجمع ان كان يوجد فيما بينهم احدٌ يعرف شخصياً ارسانيوس اسقف ايبسالا . الذي كان يُدَّعي بان تلك الذراع المقطوعة هي ذراعه * فكثيرون قد اجابوه بانهم قد عرفوه ويعرفونه جيداً جداً * فحينيذٍ القديس ارسل واحداً من اتباعه فاحضر ارسانيوس الى ديوان المجمع مستور الذراعين بردايه . ثم سال اولاً اوليك الذين كانوا اعلنوا بانهم يعرفونه . هل ان هذا هو

ارسانيوس بعينه الذى يقال انه قتل منه ام لا * فالتزم جميعهم بان يشهدوا بالحق انه هذا هو ارسانيوس نفسه * ثم بعد ذلك قد رفع القديس الرداء عن كتفي ارسانيوس واظهر ذراعيه اليمين والشمال واحدًا بعد الاخر قايلاً : « هوذا ارسانيوس بذراعيه ويديه . فالبارى تعالى لم يخلق للانسان اكثر من ذراعين . وبالتالي انا اظن انه لايمكن ان يوجد من يدعي بان ارسانيوس كان له ثلث ايدى » * فكل احدٍ يستطيع بسهولةٍ ان يتصور في ذاته كم كان خزى اعدا القديس اثناسيوس وخجلهم وعارهم . عند ما انفضحت حيلهم وظهرت تزويرات دعاويهم الباطلة * ولكن هذا جميعه عوضًا عن ان يبكم افواههم . طفقوا يصرخون بصوضاء ورهج ان اثناسيوس هو سحّار يظهر خيالات الاشخاص بفعل السحر كما يريد . وهجموا عليه بغضبٍ وحشي . ولولا ياخذه من ايديهم اوليك المتقدمون في الوظايف المدنية المعينون من الملك لحماية المجمع من كل سجسٍ لكانوا فسخوه بشدة رجزهم *

عاشرًا فبقي اذًا الادعاء الثالث المختص بقضية ايسكيرا التى قد كانت شفاهًا ثم خطًا بحكومةٍ خصوصية رُذلت كباطلة مزورة كما سبق الايراد عنها انفًا * فاعدا القديس قد فتحوا هذه الدعوى كانه لم يصر عنها فحص قبلاً . ودبروا الامر بان ترسل على اسم المجمع وكلا الى مار اوتيدة القرية التي كن يدّعي بان فيها حدث امر كسر الكاس وهدم المذبح لايسكيرا * فتعين لهذا الفحص اوليك الاشد عداوة للقديس الذي هو وكل الاساقفة المصريين كانوا يوضحون عدم استقامة توكيلهم . (لقد اسمعت لو كلّمت حيًا . ولكن لا حيوة لمن تنادى) * فمن دون مبالاة اذًا ببراهين القديس والمحامين عنه سافرت الوكلا المومي اليهم الى مار اوتيدة حيث اباحوا تدنيس كل شريعة الهية وبشرية ليمكنهم ان يثبتوا هناك حقيقة هذه الدعوى الباطلة * فما امكنهم ذلك بنوع قانوني . لان جميع الذين طلبت شهادتهم اعطوا اقرارهم خطًا بنوع يوضح جوهريًا تبرير القديس اثناسيوس مما تهم به في هذا الشان * غير ان الشهادات لم تكن توافق احداها الاخرى . والبعض منها كانت كاذبة حسبما امكن للوكلا ان ينا لوها وعلى هذه الصورة رجع هولاء الوكلا الى مدينة صور * ولكن القديس اثناسيوس حينما راى حال هذا المجمع الذي لم يكن فيه شى من حفظ القوانين او قيام الحق بل روح الالم والتعدي . ولذلك قبل رجوع الوكلا كان سافر الى القسطنطينية فاعداوه اغتنموا فرصة عدم حضوره في المجمع عندما قدمت الوكلا تلك الشهادات الزور

ومن دون توقف قد حكموا عليهِ بالعزل عن كرسيه البطريركي وبانه لايستطيع ان يقطن في مدينة الاسكندرية . زعماً منهم ليلا يسبب بحضوره الشخصي هناك الانقسام والتحزبات * ثم اعرضوا لدي الملك هذه الحكومة وصنعوا رسالة عامة خطاباً لجميع الاساقفة بها يقولون انه لاينبغي لاحد منهم ان يقبل اثناسيوس في شركته . لانه عزل من المجمع لسبب انه كسر كاساً وقتل انساناً * فتباً لالم البغضة الى اية حالة توصل الانسان . وترحاً لروح الضلال الفاقد نور الحق والعدل *

حادي عشر فلما وصل القديس اثناسيوس الى القسطنطينية قد تشكى للملك من التعدي والظلم اللذين حدثا لهُ في مجمع مدينة صور . غير ان قسطنطين اذ كان يظن ان الحكومة المبرزة ضده كانت عادلةً . فلم يقبل ان يعطيه جواباً ما عن الرسالات التي حررها له في هذا الشان . ولكن لما طلب منه القديس اخيراً انه لايريد منه نعمة اخرى سوى ان يستمع ايرادتهِ بحضور الاشخاص انفسهم الذين حكموا عليه كي يعلن كذب تهمهم وفساد حكمهم * فالملك لم ينكر عليه هذه الطلبة . ولذلك حرر رسالة الي جميع الاساقفة الذين وجدوا في مجمع مدينة صور بانهم متى كرسوا الكنيسة الملوكية التي كان هو اى قسطنطين شيدها في مدينة اورشليم . فحالاً يحضرون الى ديوانه الملوكي ليعطوا جواباً عن الحكومة التي ابرزوها ضد اثناسيوس * فاوليك الاساقفة عوضاً عن ان يتمموا امر الملك قد رجع كل منهم من اورشليم الى ابرشيته ولم يحضر الي القسطنطينية سوى روس التحزب وهم اوسابيوس النيكوميدي وسميه اوسابيوس القيصري واوساكيوس وفالانته مع بعضٍ منهم اخرين * فلما بلغ هولا الي المدينة المتملكة لم يعودوا يتكلموا لاعن كسر كاس ولاعن هدم مذبح ولا عن قتل ارسانيوس . التهم التي بنوا عليها حكومة عزل القديس . بل اخترعوا ضده تهمة جديدة وهي انه قد توعد بمنع ارسال القمح والشعير وغيره من الحبوب من الاسكندرية الي القسطنطينية . مبطلاً العادة السنوية الدائمة بهذا الارسال * فالقديس افتكر بان فساد هذه التهمة الشنيعة كان سهلاً . ولذلك اورد للملك انه لم يكن ممكناً لرجلٍ خصوصي مسكين نظيره ان يفعل ما تقتضيهِ قوةٌ وسطوةٌ وجنودٌ ليست بقليلة لصد ارسال تلك الكمية الوافرة من الغلال * ولكن الباري عزَّ وجلَّ الذي مراتٍ كثيرة ينقذ عبيده من اعظم المخاطر في حال عجز الوسايط كلها . فبعد مراتٍ يسمح بان شيئاً دنياً يصير علةً

لسقوطهم بايدي اعدايهم كي يمتحن بذلك امانتهم وصبرهم * فهكذا في هذا الحادث قد سمح تعالى بان الملك يصدق بسهولةٍ هذه التهمة . ومن دون الفحص الواجب يبرز الامر بنفي القديس اثناسيوس الى مدينة تريفيري في مملكة فرنسا * حيث أُخذ الى هناك بكل طاعةٍ منه وبتسليم لارادة الله * وعند وصوله الى هذه المدينة قد قبل بكل اعتبار واحترام وكرامة من القديس مكسيمينوس اسقفها . ومن الملك قسطنطين الشاب الذي كان بامر والده قسطنطين والياً على بلاد فرنسا *

ثاني عشر فنفي هذا القديس كان انتصاراً للاريوسيين واشتفاء لغليل الامهم . ولم يكن ينقص تمام مأثوراتهم الا ان ينالوا الاذن من الملك في انتخاب بطريرك جديد للكرسي الاسكندري * غير ان اجتهادهم في هذا الامر ذهب سدىً . من حيث ان قسطنطين لم يسمح بذلك على الاطلاق * ثم وجد هذا الحادث اي نفي القديس اثناسيوس بضد ذلك علة لغم جميع المستقيمي الراي . من حيث انهم كانوا يشاهدون في شخص القديس اثناسيوس المنفى على هذه الصورة ظلم الحق واضطهاد القداسة * فرعية الكرسي الاسكندري كافةً بدموع حارة كانوا يتوسلون لله وللملك في شان رجوع راعيهم اليهم . والقديس انطونيوس الكبير قد حرر اكثر من رسالة واحدة للملك في صالح القديس اثناسيوس ومحامةً عنه * ولكن قسطنطين قد كان انخدع بكفايةٍ ولم يعد يصغي لهذه الاقوال . بل انه في جوابه للقديس انطونيوس يورد هذه الكلمات عن القديس اثناسيوس بانه كان رجلاً جسوراً متكبراً قلقاً مبلبلاً غشاشاً * فملك مثل قسطنطين حرر عن قديسٍ عظيم مثل اثناسيوس الفاظا هذه صفتها تبعاً لحركات حزب اوسابيوس الذين كانوا موجودين فيما بين اكابر دولتهِ . وكان يسهل عليهم جداً ان يملوه الى غلطٍ كبير نظير هذا * ولكن الشي الذى لم تستطع ان تحوزه من هذا الملك تضرعاتٌ عديدةٌ حارة . قد الزمه للتنازل اليه دنو زمن وفاتهِ * على انه حينما مرض مرضه الاخير . ففيما بين الاستعدادات الصالحة الاخر التى بها هياء ذاته للانتقال من هذه الحيوة قد كان ابرازه الامر في ان القديس اثناسيوس يرجع الى كرسيه الاسكندرى . وبعض المورخين يوردون انه حرر ذلك في صك وصيته الاخيرة ايضاً * ثم رقد بالرب فى ٢١ ايار سنة ٣٢٧ * فهذا الحتم الملوكي لم يبلغ مفعوله سرعةً . ويبان انه صدر من قبل تماهل قسطانسوس احد ابناء قسطنطين

الذي بموجب تقسيم الميراث كان يخصه ملك المشرق * وقد كان هو انجذب لحزب الاريوسيين * فكيفما كان الامر ان القديس اثناسيوس بعد وفاة قسطنطين بنحو سنة رجع الى كرسيه بفرح عديم ان يوصف بكفاية لجميع المستقيمي الايمان والمحبي الحق . لاسيما لشعوب ابرشيته التي كان غاب عنها في المنفي مدة سنتين واربعة اشهر . ثم لجميع اساقفة كرسيه البطريركي الذين اعتدوا رجعته بهذا النوع تاكيدًا لبرارته من التهم التى قصد اعداوه ان يكمدوا بها اشراقات صيت قداسته *

ثالث عشر اما الاريوسيون فقد امتلاوا حنقًا وازدادوا بغضةً ضد هذا القديس . ولم يهجعوا عن ان يخترعوا لثلبهِ تهماتٍ باطلة جديدة اكثر رداوةً واوفر شناعةً من الاولى . ليمكنهم من اجلها ان ينالوا نفيه ثانيةً من كرسيهِ * ومن ثم قد صوروه في عين الملك قسطانسوس كانه علة سجس السلام العام . وانه رجل مملو من الذنوب والاثام . لاسيما ادعاهم عليه بانه قد باع تلك الكمية الوافرة جدًا من الحبوب والغلال . وخصص اثمانها لذاته ضد نية الملك الحسن الديانة قسطنطين الذي كان انما تبرع بها يوزعها اثناسيوس على الارامل والايتام ولسد عوز البتولات الناذرات عذريتهن لله . ثم ليرسل جانبًا منها قمحًا لبلاد ليبيا لاجل تقدمة القربان الالهي من كون القمح في بلادهم ليس جيدًا . وكذلك ليسعف بجزء منها للاكليروس المحتاج * فقدموا هذه الدعاوي الكاذبة ضده بين ايدي الثلثة الملوك بنى قسطنطين ووراثيهِ الذين هم قسطنطين وقسطانس وقسطانسوس * غير انهم لم يجدوا من الاثنين الاولين اصغاء لتزويراتهم . بل اذ كان قسطانسوس وحده انجذب لحزب الاوسابيين فهو فقط صدق ان اثناسيوس وجد مذنبًا بالاختلاس المذكور * ثم انهم اشتكوا على هذا البار للحبر الاعظم القديس يوليوس ليس بهذه التهم فقط . بل ايضًا بالدعاوي النفاقية الفاسدة التى تقدمت عليه في مجمع مدينة صور لاسيما قضية ايسكيرا وارسلوا للبابا المذكور نسخة من اعمال هذا المجمع حاوية الشهادة الكاذبة التى نالوها من البعض في قرية ماراوتيدة التي لاجلها عزل من المجمع المذكور * فاساقفة البطريركية الاسكندرية حينما عرفوا ذلك ارسلوا للبابا جميع السندات والبيانات الموضحة فساد ما أُدّعي به ضد راعيهم مفندين في رسالتهم لقداسته الممضية من ثمانين اسقفًا منهم كل التزويرات التي تجاسر على ابداعها اعدا بطريركهم البار * فالقديس يوليوس عند وقوفه

على هذه الرسالات . كتب للقديس اثناسيوس بان يحضر الى رومية . كي يختار المدينة التي يريدها لالتيام جمعية اساقفة عديدة لاجل نهاية ما يخص هذه القضايا * فلم يتاخر هذا البار عن ان يتمم ارادة البابا بحضوره الى رومية حيث قبل من جميع محبي الحق باعتبارات وتكريمات لايقة بمقامه وبسمو فضايله * وفي هذه الفرصة قد اذاع القديس اثناسيوس في رومية راس مدن العالم الكاثوليكي اخبار سيرة القديس انطونيوس الكبير الذي كان بعده حيًا . و كيفية اقامة عدة من الديارة في بلاد تيبايس من القديس بوخوميوس . ونوع العيشة الملايكية المحفوظ من العذاري والارامل الناذرات عفتهن لله * وعلى هذه الصورة اشهر هذا القديس في بلاد المغرب حال السيرة الرهبانية النسكية السالكة وقتيذ في بلاد المشرق . مقدمًا المراة لمشاهدة الحقيقة نموذجات بعض الرهبان الذين كان اخذهم برفقته الي رومية . الذين اضحوا موضوعًا للتعجب من قبل كمالاتهم وقداسة سيرتهم . ومثالاً حيًا للعمار الروحي عند كل من شاهدهم او عاشرهم او سمع بهم * وكان اول من اقتفي اثر العذارى الناذرات المشار اليهن القديسة مارجيلا في رومية بتمسكها بسيرتهن *

رابع عشر فبينما كان القديس اثناسيوس منتظرًا في مدينة رومية حضور اخصامه لفحص الدعاوي المقدمة منهم ضده فهم عوضًا عن ذهابهم الى هناك طاعة لسلطان راس الكنيسة المنظور الذي هم انفسهم كانوا التجاوا اليه بالشكايات على القديس اثناسيوس ولذلك دُعوا منه بالحضور الى رومية . وبالتالى كانوا ملتزمين بالموافقة مع خصمهم في المجمع الذي يامر بصيرورته الحبر الاعظم * فقد عقدوا مجمعًا في مدينة انطاكية ومن دون مبالاة بسمو سلطان الحبر الاعظم قد حكموا بان اثناسيوس هو ساقط عن درجته . وهكذا انتخبوا دخيلا علي الكرسي الاسكندري غريغوريوس الكبادوكي الاريوسى الشرير السيرة فالقديس اثناسيوس اذ كان قبلا انتظر اخصامه في رومية تلك المدة كلها ولم يات احد منهم الى هناك . فباذن البابا رجع الي كرسيه حيث وجد فيما بعد شاهدًا عيانيًا للخراب والاضرار الروحية والزمنية التى فعلها ذاك الدخيل غريغوريوس الذيب الخاطف * الذي حضر من انطاكية الى الاسكندرية مرافقًا من الوالى فيلاغريوس الرجل الاكثر منه شرا والعدو الالد للكاثوليكيين . مصحوبًا من طغمات عديدة من العساكر * وعند وصولها الي هذه المدينة . صنعا اغتصابات وفواحش ودثارا وبلبلات كلية * على ان

فيلاغريوس حينما شاهد الشعب الاسكندري ينظر شذرا الى البطريرك الدخيل ويظهر الكره منه مع عدم قبولهِ . جمع من عبدة الاوثان الاشد قساوة ومن اليهود الاوفر رداوة ومن الشعب الواطى الاعظم شقاوة ومن ذى السيرة الردية الاشد شناعة وارسلهم الى كنايس الكاثوليكيين في اجتماع ابنا الايمان هناك . حيث نافقوا بالمقادس ودنسوا البتولات المكرسات لله باعظم النجاسات . وفضحوا غيرهنّ بالمآثم الاشد قباحة والاوفر دنسًا . وقتلوا عددا ليس بقليل من الشعب . ونهبوا الامتعة المقدسة مع كل ما وجدوا في تلك الكنايس * وكان اخص مرغوبات الدخيل والوالى المنافقين ان يُقتَل فيما بين الاخرين القديس اثناسيوس * غير ان هذا الراعي اذ استدرك الامر وتحقق عدم قدرتهِ على صدّ الشرور . راي الانسب هربه * ولذلك كما مر القول * فالقديس البابا يوليوس عقد في مدينة رومية مجمعًا مولفًا من خمسين اسقفًا . واذ اقيم الفحص المدقق وجد القديس اثناسيوس مبررا من كل الوجوه . وبالتالي قد أُعطى الحكم على صالحهِ ۞ فاما الاوسابيون اعدا القديس الذين لعلمهم بفساد دعاويهم لم يشاءوا ان يحضروا في هذا المجمع . فقد حرروا رسالة للحبر الاعظم المذكور بها يتشكون منهُ كانهُ ظهر مغرمًا مع خصمهم اثناسيوس . لاجل انه اشهر رسالة عامة بها كان يحامي عنهُ ويبرره بنوعٍ واضح كان اثناسيوس نفسهُ كان مولفها *

خامس عشر فحينما كان مضي لهذا البار مدة ثلث سنوات مقيما في مدينة رومية . منتظرا من الجود الالهى نهاية الخراب العظيم الذى كان حادثًا في ابرشيتهِ الاسكندرية للخراف الناطقة المسلمة لرعايته . وصلته سنة ٣٤٥ رسالة من الملك قسطانس بها يدعوه لمواجهتهِ في مدينة ميلان التي فيها كان مقيما مع اكابر ديوانهِ الملوكى * فذهب اثناسيوس اذا الى هناك وبدموعٍ غزيرة اوضح لهذا الملك الحسن الديانة الاضطهادات القاسية والاضرار الباهظة التي اعداوهُ سببوها ليس لرعيتهِ الاسكندرية فقط بل للايمان الكاثوليكي خاصةً . مذكرًا اياه باعمال والدهِ قسطنطين المجيدة . لاسيما غيرته واهتماماته بالتيام المجمع النيقاوى مصدرًا تلك الاوامر الملوكية الجليلة في المحاماة عن تحديداته السينودسية وعن تائد السلام للكنيسة الجامعة ثم بملاشاة الاراسيس * فبهذه الخطوب وامثالها اقتنع قسطانس وتحرك بالغيرة على الحق . وكتب لاخيهِ الملك قسطانسوس رسالة بها يحرّضهُ على صنع مجمع عام

فيه تتلاشى تلك البلبلات . ويعني برجوع الهدو والامن للكنايس * فقسطانسوس لم يمكنه ان ينكر على اخيهِ هذا الطلب العادل . ولذلك باشر باتمامهِ لكن ليس من دون تماهل * ولهذا اذ تعينت لعمل المجمع العام مدينة سرديكا في اقليم اللبريكو . فلم يصر فتوح هذا المجمع الا بعد سنتين اي في سنة ٣٤٧ * حيث حضر اليه اساقفة المغرب جميعاً مع قصاد البابا القديس يوليوس . وبعدهم حضر اليهِ من اساقفة المشرق نحو ثمانين اسقفاً كلهم من حزب اوسابيوس اعدا القديس اثناسيوس . متفقين على استعمال الاغتصابات والاعمال الاثيمة عينها التي كانوا باشروها قبلاً في المجامع الشرقية اللصوصية * غير انهم حينما لحظوا بكفايةٍ ان هذا السينودس لم يكن حسب روحهم . وكانت عتيدة ان تتلالا فيه الاستقامة بموجب القوانين المقدسة . وتكشف فيه الخداعات والتزويرات ويظهر الحق ويتلاشى البطل ويقاص المذنبون فحينئذٍ تحت حججٍ مبرقعة وادعا خداع وتشكلات مختلفة رفضوا التيامهم مع الاساقفة الغربيين وسافروا من سرديكا الى مدينة فيليبولى * ولكن انفصالهم هذا عن المجمع السرديكى لم يعدمه الحق على فحص الشكايات المقدمة بكتابات الاخصام السابقة ضد القديس اثناسيوس . وهي قتل ارسانيوس اسقف ايبسالا وكسر الكاس وهدم المذبح * ومن ثم بعد الفحص القانوني ظهرت اكاذيب هـذه التهم وبراءة القديس اثناسيوس . ولهذا أُعطي الحكم السينودسى باثبات ما كان حكم بهِ البابا القديس يوليوس * وأُعلن القديس اثناسيوس بريئاً ومضطهداً ظلماً . حيث توطدت معهُ ابا ذلك المجمع بابلغ نوع بالوحدة وبالاشتراك الكنايسى وبالمحاماة عن براءتهِ * وليس هذا فقط بل ان المجمع المذكور قد حكم بالشجب على الاساقفة روس حزب اوسابيوس لاجل تعديهم وتزويراتهم وذنوبهم الاخر . كما انه رشق بالحرم غريغوريوس الكبادوكي الدخيل فى الكرسى الاسكندري . واصدر رسايل مختلفة للملوك ولبعض الكنايس بهذه الايضاحات مع رسالة عامة خطابًا لجميع اساقفة المسكونة معلنة بها هذه الاحكام القانونية * ثم انفذ المجمع عينهُ الى الملك قسطانسوس كتابةً جليلةً عن هذا جميعهِ صحبة بعض قصادٍ لكي يوقفوهُ على الحقايق ليلا يخدع من قبل غشوش الاساقفة الاوسابيين *

سادس عشر فبعد هذه الحكومة السينودسية الاحتفالية لم ينقص شي عن اتمامها سوى رجوع القديس اثناسيوس الى كرسيهِ ليسوس رعيته . ولكن اذ كان هذا الامر مكروهًا

بوجهٍ اخص من الاوسابيين فقد سبقوا ودبروا ضدهُ حسب ماثوراتهم * على انهم حينما انفصلوا من مجمع سرديكا والتيموا في مدينة فيليبولى انفدوا الى الملك قسطانسوس رسالةً مملوة من الكذب والافترا على القديس اثناسيوس وعلى المجمع السرديكي . وبواسطة اعوانهم المتقدمين في ديوان قسطانسوس نالوا منه امرًا ملوكيًا الي والى الاسكندرية في انه يسهر جيدًا علي حفظ ابواب هذه المدينة ليلا يأتي اليها اثناسيوس او احد كهنتهِ . وانه اذا اتفق ان يدخل خفيةً ضد هذا المنع الي الاسكندرية اثناسيوس او غيره ممن كانوا صحبتهُ في مدينة سرديكا . فالوالى من دون توقف او مراجعةٍ او فحصٍ يقطع راسه حالاً * فهذا القديس حينما راى ان رجز اعدايهِ لم يزل ضده مستندًا علي الذراع المدني . قد سلم الارادة لله وانفرد بالوحدة في احدى مدن اقليم واكيا . ولكن بعد مدةٍ دُعي من الملك قسطانس الي مدينة اكويليا . حيث اتخذ على ذاتهِ هذا الملك المحاماة بغيرةٍ عن براءتهِ . وارسل الي اخيهِ قسطانسوس كتابةً قوية بها تهدده باشهار الحرب ضده ان كان لا يسمح للبار اثناسيوس بالرجوع الى كرسيهِ * فالملك قسطانسوس اذ اهابه توعد اخيهِ وصادف الفرصة الملايمة بموت غريغوريوس الكبادوكي الاثيم الدخيل . حرر للقديس اثناسيوس ثلث رسالاتٍ الواحدة بعد الاخرى بالفاظ احترامٍ وتكريمٍ كلي في شان رجوعه الى الاسكندرية بكل امانٍ * فعلى هذه الصورة سافر القديس المذكور من اكويليا سنة ٣٤٩ راجعًا الي كرسيهِ * غير انه قبل ان يدخل الاسكندرية راي ملايمًا ان يذهب لمواجهة الملك قسطانسوس في مدينة انطاكية . حيث اقتبله هذا الافغسطوس بعلاماتٍ انسانية وبدلايل الحب والاحترام بنوعٍ لا يمكن ان يرجي اعظم منه مطلقًا * ثم اصدر امرًا ملوكيًا بهِ لاشى جميع المراسيم السابقة التى كان ابرزها ضده وحتم بصرامةٍ على جميع القضاة والحكام بان يمحوا من سجلات دواوينهم كل ما كان تسطر فى انثلام شان هذا البطريرك البار ۞ وانفذ رسايل الي الولاة في الاقليم المصري والي اساقفة البطريركية الاسكندرية بها يمدح هذا الراعي ويكرر ايضاح براءتهِ ويحرض الجميع على اعتبارهِ واحترامهِ . كما انه اصدر اعلامًا باسم شعب المدينة المذكورة بهِ يهنيهم على رجوع راعيهم البار الذي لم يعدمهم اياه الباري تعالى بل رده اليهم لتعزيتهم وافادتهم * فالقديس اثناسيوس ولين كان شاهد من هذا الملك تغيراتٍ هكذا عجيبة واحترامًا فايقًا نحوه فمع ذلك لم يغتنم الفرصة في ان

يطلب منه اجراء القصاصات الواجبة ضد ناهميه والمفترين عليهِ والمسببين لهُ وارعبته اضرارًا هكذا باهظة * بل قد توسل اليهِ بان يحضر امامهُ كل من يريد ان يخاصمه او من لهُ عليهِ دعوى ما . حتى لا يقبل لاحد في المستقبل عذرٌ او ادعاء يورده ضده فالملك حالف لهُ بقسم انه ما عاد يقبل شكايات جديدة عليهِ لانه تاكد برارتهُ وهكذا طمنهُ غاية الطمانية

سابع عشر فقد ودّع اذًا القديس الملك وسافر من انطاكية متجهًا نحو الاسكندرية . وفي جميع الامكنة التي كان يجتازها فكما ان الابتهاج والفرح عند جميع الكاثوليكيين كانا عظيمين جدًا جدًا انتصارًا للايمان القويم . فهكذا كان الغم مع الحزي والخجل ملتحفًا بالارانقة الاريوسيين تنكيسًا لضلالهم * واما كم كان عظم التهليل والبهجة والسرور والتعزية عند الرعية الاسكندرية بدخول هذا القديس اليها وبصعودهِ على سدتهِ البطريركية . فهذا لايستطيع احد ان يصفهُ بكفاية * غير ان هذه الافراح والاعياد والسرور العام لم تكن مقترنة بشيء زمني ولا باجتماعات مدنية . بل جميعهُ كان روحيًا انجيليًا كنايسيًا بتقدمة الشكر لله وبالرياضات المفيدة للانفس . حيث نتج عنها ثمر خلاصي لكثيرين كما يذكر ذلك القديس اثناسيوس عينهُ قايلاً : «ان في هذا الرجوع البهج كم وكم من البتولات قد كرسن «عذريتهن ليسوع المسيح . وكم من الشبان قد هجروا العالم وتمسكوا بسيرة السياحة والنسك «في الانفراد . كم من الاباء قد حرضوا اولادهم على الرياضات الروحية وعلى اعتناق طريق «الكمال المسيحي واقتنا الفضايل الاكثر سموا . وكم من الابنا قد التمسوا من والديهم «الاذن بالتمسك بالوحدة النسكية او بالعيشة الرهبانية . كم من المزوجين والمزوجات «قد اتفقوا برضا متبادل على الامتناع الاختياري لمدة من الزمان حسب مشورة الرسول «الالهي ليتفرغوا لتقديس انفسهم بالصلوات والعبادة . وكم من الارامل والايتام كانوا «قبلاً عراةً متكبدين شدة الجوع معوزين فوجدوا من سخا الاغنيا مكتفين قوتًا وكسوةً «فاقدي الاضامة . وبالاجمال انه كان يشاهد في المدينة كلها حسن الديانة ونمو العبادة «وعمل الصلاح . حتى ان كلاً من البيوت والعيلات كان يظهر كانه كنيسةٌ . فبهذا «المقدار كان عظم الغيرة وافعال البر والتقوى التي وجدت حينئذٍ مع الصلوات والتضرعات «الحارة المباشرة من دون انقطاع من الجميع » * فكثيرون كانوا لحد ذلك الوقت اعداء لهذا الراعي القديس فندموا على ماثمهم وقدموا التوبة الواجبة عمًا اضطهدوهُ بهِ . واخرون

قد نقضوا الشهادات الزور التي كانوا اعطوها ضدّهُ واشهروا ذواتهم كاذبين فيما كانوا اشاعوهُ عنهُ افكًا واتهامًا باطلاً * وكان فيما بين هولا ارساكيوس وفالانته الاسقفان الذان كانا من عدد اعدايهِ الالداوبنوع ابلغ من سواهما كانا حركا ضدهُ الاضطهادات . فهذان اعطيا اعلامًا احتفاليًا بخط ايديهما بان اثناسيوس البار هو خالٍ من كل ما أُشيع ضدهُ كذبا وانهُ بريٌ من التهم الباطلة التي تهم بها * (هذا ولين كانت العملية فيما بعد اظهرت ان تقريرهما المذكور كان لاجل غاياتٍ اخرى مما انه صدر عن توبةٍ قلبية) *

ثامن عشر ففي سنة ٣٥٠ اي بعد سنةٍ واحدة من رجوع القديس اثناسيوس الى كرسيهِ قد توفي الملك قسطانس المحامي العظيم عن براريهِ وهكذا الاريوسيون اغتنموا الفرصة في ان يبتديوا يقدموا عليه من جديد للملك قسطانسوس شكايات بذنوبٍ مدنية ليحركوا غضبهُ ضده * لاسيما هذه التهمة الشنيعة . وهي ان اثناسيوس قد كتب الى ماغناتيوس العاصي في ان يجتهد بنزع قضيب الملك من يد قسطانسوس نفسه * ولكنهم لم يستفيدوا من ذلك شيًا . بل بالحري ان الملك المذكور عينه قد طمّن اثناسيوس من جديد في انه كان ثابتًا على صداقتهِ له ولئن لم تدم هذه التاكيدات زمنًا مديدًا * على ان قسطانسوس بعد مدةٍ ليست بمستطيلة قد انجذب من خداعات الاريوسيين الذين كانوا على الدوام محيطين به . فشرع يغتصب الاساقفة الكاثوليكيين كلاً بمفردهِ على ان يفصل ذاته من شركة اثناسيوس * ثم ابرز امرًا ملوكيًا بسعي الضالين موجهًا خطابه نحو والي الاقليم المصرى في ان يجز عن هذا البطريرك الاسكندري تلك العلايف التي كان والده قسطنطين عينها للسدة الاسكندرية وان يبتدي بدفعها لتابعي اريوس . وان بيج لاي كان الحرية في اضطهاد المشتركين مع اثناسيوس في الوحدة الكنايسية * غير ان القديس اثناسوس لم يبالِ بهذا جميعه بل كان يرعى خرافهُ الناطقة بكلام الله بشجاعةٍ وغيرةٍ رسوليتين محاربًا بصوتهِ الحي وبتاليفاته برجوليةٍ غير مغلوبة اعدا الوهية يسوع المسيح * فالاريوسيون الذين لم يعودوا يحتملوا مشاهدته راغبين سفره من كرسيه درسوا عليه الفخ في ان يضعوا في قلبه الخوف الشديد الذى يصيره ان يهرب من تلقا ذاته * على انه حينما حضر الى الاسكندرية سيريانوس قايد قواد العساكر . اشاعوا الاخبار فيما بين الناس ان حضوره كان من قبل الملك ليطرد اثناسيوس من هناك . كما ان سيريانوس عينه حاول ان يجعل هذه

الاشاعة كانها حقيقية * ولكن حينما طلب منه ان يظهر الاوامر التي كانت معه من الملك في هذا الشان فلم يمكنه ذلك . اذ لا وجود لها . فهكذا استمر القديس في محلهِ متمماً واجبات رياسته *

تاسع عشر فلما راي الضالون ذواتهم فارغين من ثمرة هذه الحيلة فحينئذٍ تجاسروا على استعمال الاغتصابات لانهم في اليوم الثامن من شهر اشباط ليلة اليوم التاسع اذ كان القديس اثناسيوس مع جانبٍ عظيم من الشعب في كنيسة القديسة تيونا متممًا احتفال صلوات الاغربنيا والسهرانة ليلاً . لاجل انه في اليوم التالي كان عتيدًا ان يحتفل بعيدٍ شهير هناك قد ذهب سيريانوس صحبة ما ينيف عن خمسة الاف نفر متسلحة الي الكنيسة المذكورة باعتمادٍ على قتل القديس . لان كثيرين من الاريوسيين كانوا مضوا صحبة هولا الجنود لكي يدلوهم على شخص هذا الراعي البار * فدخلوا اذًا الي المعبد الالهي مجردين السيوف بايديهم وقتلوا عددًا ليس بيسير من الشعب الذين تصنع لهم الكنيسة تذكارًا سنويًا بمنزلة شهدا كما انهم صنعوا نفاقاتٍ شنيعة مختلفة الانواع * فالقديس كان واقفًا في كرسيه في الخورص يتوسل للشعب بان ياخذوا بالذهاب الي بيوتهم من دون ان يطوح احدٌ منهم ذاته في الخطر من اجله * غير ان البعض من الاكليروس اخذوا يتضرعون لراعيهم في ان يهرب محافظًا على نفسه * اما هو فكان يقول انه لا يمكن ان ينزل من كرسيه الم يشاهد الشعب كله خرج من الكنيسة * فاخيرًا الرهبان والكهنة الزموه ضد ارادته بالنزول من الكرسي حيث مر فيما بين العساكر خارجًا الى الشوارع باعجوبةٍ الهية من غير ان يشاهده احد من الجنود وهكذا اختفى في امكنة سرية من دون ان يعلم به احد * اما شعب الاسكندرية فارسلوا للملك بطريق الشكاية على ما فعله سيريانوس القايد العام من الاغتصابات والفتك . واما هو اي الملك فليس انه فقط لم ينتقم للظلم والتعدي بل بالاكثر انفذ رسالةً ملوكية باسم ديوان مشيخة الحكم في الاسكندرية مثبتًا بها ما فعله سيريانوس وموضحًا ارادته في ان الجميع يضطدون اثناسيوس . معلنًا انه يحتسب عدوًا له كل من لا يطيع هذا الامر * ثم بعد مدةٍ ارسل قسطانسوس نفسه دخيلاً على الكرسي الاسكندري جاورجيوس الكبادوكي الرجل الدني المولد الرجس الصفات المملو من الرذايل والقساوة البربرية الخالي من كل ديانةٍ * فهذا الذيب الخاطف حضر الى

الاسكندرية في عيد الفصح سنة ٣٥٦ مصحوبًا من اشخاصٍ متقدمين في الوظايف ومن طغماتٍ من الجنود * وقد كانت المظالم والنفاقات والتعدي والدنسات والاغتصابات التي فعلها هذا الدخيل الاثيم جاورجيوس هو واحزابه الاريوسيون بهذا المقدار فاحشةً وشنيعةً · حتي انه لا يمكن تصورها بالعقل فضلاً عن ايرادها مفصلاً * وبالاجمال نقول ان هذا الذيب الخاطف تم صفات مضطهدى الايمان المغتصبين باشد قساوةٍ · حيث تضاعف عدد الشهدا الذين من اجل حفظ وديعة الايمان الكاثوليكى والثبات في شركة راعيهم أُمتحنوا بانواع العذابات المختلفة واخيرًا أُميتوا شهدا الحق *

العشرون فالقديس اثناسيوس بعد ان نجا من الموت بفعلٍ فايق الطبيعة كما تقدم القول · قد هرب الى قفار طابانا حيث عاش سابحًا ناسكًا بسيرةٍ ملبكية · واضحي النموذج الحي للكمال الرهباني لدى جميع السواح · الذين في تلك القفار حصلوا علي الحظ السعيد بمشاهدتهم اياه وبمعاطاتهم معه * وكان يكابد الشقا زيادةً على النسك بالتزامه بالهرب الدايم من قفرٍ الى قفر لكي يحفظ حياتـه من اعدايه · الذين لم يتركوا من جهدهم جهدًا بالفحص عنه ليجدوه ويقتلوه * غير ان الشى الذى كان يضاعف غموم هذا البار ويعلن عظم فضيلة صبرهِ هو مشاهدته ذاته مهملاً على هذه الصورة من جميع اساقفة المشرق ومن عدد وافر من اساقفة المغرب ايضًا · ولكنه فيما بين هذه الشدايد القاسية الف جملـة مصنفات لاجل ارشادات رعيته ولاجل فضح ضلال الارثقة الاريوسية ولاجل تبرير نفسه من المثالب * وكانت تاليفاته هذه جليلةً وساميةً كانها خزنة جواهر الاراء المستقيمة الكريمة بهذا المقدار حتي ان جميع ابا الكنيسة الذين وجدوا بعده اخذوا منها الاسلحة لمحاربة الارائقة ولتوضيح العقايد الكاثوليكية في الوهية الكلمة الازلي * فزمن نفي هذا القديس على هذه الصورة المذكورة استمر نحو خمس سنوات لحين موت قسطانسوس الملك سنة ٣٦١ * حيث خلفه في تخت الملك يوليانوس العاصي الذي اذ لم تكن له غاية اخرى سوى ان يبيد من الوجود الديانة المسيحية فقد فكر بان يطلق من المنافي الاساقفة كافةً الذين بموجب اوامر سالفه كانوا منفيين وبان يعطي الحرية المطلقة لكل احدٍ باتباع المذهب الذى يريده · قاصدًا بهذا النوع ان الشيع الاراتيكية بمضادة احداها الاخرى يمكن ان يلاشي بعضهم بعضًا · وهكذا يبادون * فتبعًا لهذا الاذن الملوكي العام برجوع كلٍ

من الاساقفة الى كرسيهِ المرافق من موت جاورجيوس الكبادوكي الدخيل قتلاً شنيعاً بقصاصٍ الهي من الوثنيين الموجودين في الاسكندرية . قد حضر القديس اثناسيوس الى ابرشيتهِ * فيقول القديس غريغوريوس النزينزي انه لايمكن لاحدٍ من الملوك بعد انتصاره على اعدا مملكته ورجوعه الى كرسيه بكل علامات الانتصار ان يحصل شعبه على فرحٍ وسرورٍ وتهليلٍ بمقدار ما حصل عند رعايا ابرشية الاسكندرية حين رجوع راعيها اليها بملاقاة احتفالية شهيرة . فدخل بها هذا القديس راكبًا على حمارٍ نظير دخول مخلصنا الي مدينة اورشليم * وقد تصرف مع الجميع كابٍ من دون ان ينتقم من احدٍ عمَّا صنعه ضده . بل غفر وصفح وسلك مع اعدايه انفسهم بنوع انه صير رجوعه خفيفاً عليهم حتى لا نقول محبوبًا منهم *

الحادى والعشرون ثم حالما ابتدا القديس بسياسة رعيته كما يقول القديس غريغوريوس النزينزي . قد وجه عنايته في تطهير المعابد الالهية من اوليك الاشخاص الذين كانوا جعلوا الاشيا المقدسة متجرًا نفاقيًا . واجتهد في مصالحة المتخاصمين سواء كان احدهم مع الاخر او معه هو نفسه من غير احتياج الي دخول وسايط فيما بينهم * واهتم في انقاذ اوليك الذين كانوا مظلومين بالحبوس وغيرها . من دون ملاحظة ان وجدوا من اخصامه او من احبابه * واعتنى في تائد الحق وانتصارهِ . بعد ان كان مداسًا تحت الارجل وشرع بحرية رسولية ينذر ويعظ فيما يلاحظ الثالثة الاقانيم الالهية . وكان يظهر ان هذا القديس وجد وقتيذٍ معتبرًا من الجميع كانه واضع الشرايع والسنن لكل العالم * اذ ان قلوب الناس كلها كانت منجذبة بالحب نحوه . مرشدًا ومدبرًا كل احدٍ بالرسايل ويطلب كثيرين لمواجهتهِ ويقبوله كل من كان ياتيه لهذه الغاية من تلقاء ذاته * فقد كان نظير حجر الالماس صلبًا في احتمال المقاومات المضادة الفضيلة . وكمثل حجر المغناطيس جاذبًا قلوب المتعادين الي وحدة الصلح والسلام . لاجل انه كان يمدح الجهة الواحدة ويونب الاخري بروح الدعة والعذوبة . معتنيًا في رد الضالين . منهضًا العاجزين والكسالي الى نشاط العمل . كاتبًا فكوك الجسورين في الكلام . موطدًا للضعفا ومقدمًا لهم الادوية الملايمة لحفظهم من السقوط . مساعدًا للساقطين على النهوض . وراسمًا لهم العلاجات الضرورية لحياتهم الروحية * وقد اظهر هذا الراعى الجليل عنايةً رسولية تويد ما تقدم

ذكره . وذلك في المجمع الذي عقده في الاسكندرية في اثنا رجوعه اليها * حيث انه باتفاق مع ابا قديسين من اساقفته بحكمة سامية حدد ثم رتب الرسوم والادوية الواجب استعمالها نحو اوليك الاساقفة الذين كانوا سقطوا في الارتقة الاريوسية . متى رجعوا الى وحدة الايمان الكاثوليكي في قبولهم بالشركة الكنايسية * واجتهد باهتمام عظيم في ان يلاشي ضمن المجمع المذكور ذلك الانشقاق الذى كان منذ سنين كثيرة يمزق جسم الكنيسة الانطاكية . وفي ان ينهي الجدال الذى كان دخل في الكنيسة على لفظة ايبوسطاسي . وهناك بافضل بيان وبلوضح برهان ازاد اشراقاً لحقيقة الايمان في الوهية يسوع المسيح وفي الوهية الروح القدس *

الثاني والعشرون فهكذا (يتبع القديس غريغوريوس النزينزى الى جميع ما ذكرناه في العدد السابق ما ياتي شرحه بقوله) انه لم يكن ممكناً لسطانائيل ان يحتمل مشاهدة خيرات روحية كذا عظيمة مصنوعة من القديس اثناسيوس من دون ان يلتحف ضده بالرجز . ولا ان يرى رجوع القداسة السابقه الى الكنيسة وتموها بالفضايل من غير ان ينهض لمحاربتها * ولذلك حرك شريكه في العصاوة الملك يوليانوس العاصى وتلميذه الامين فى الشر والرداوة . وهيجه ضد القديس اثناسيوس . مقنعاً اياه بان اجتهاداته في ابادة ديانة المسيح تذهب كلها سدى ان كان لا يمكنه قبل كل شى ان ينتصر على اثناسيوس الذي بواسطة وعظه وتعاليمه وغيرته كان يكتسب الى الايمان بالمسيح من عبدة الاوثان عدداً موازياً (حتى لانقول اعظم) من عدد اوليك المسيحيين الضعفا . الذين بشقاوة كانوا يسقطون في نكران هذه الديانة من قبل الاضطهادات التي كان يباشرها الملك المذكور * فهذا الملك من ثم اصدر امراً ملوكياً وارسله الى الاسكندرية . متضمناً ان اثناسيوس يلزمه حال وقوفه على هذا المرسوم ان يخرج من المدينة دون تاخير على الاطلاق بل ان البعض يحققون بان هذا الملك كتب سراً الى اكدتيسيوس حاكم الاقليم في ان يقتل اثناسيوس . ولهذا التزم القديس بان يسافر من جديد مبتعداً عن رعيته * غير انه قبل ان يبارح كرسيه . اوضح بروح نبوي لاوليك الذين كانوا يندبون تغربهُ عنهم ان الحادث المذكور كان نظير الزوبعة العابرة الطريق التي تباد بزمن وجيز * وهكذا حينما لحظ ان الجنود كانت مزمعة ان تاتي لتقبض عليه بعد هنية لتهيئه كامر الملك

يوليانوس . نزل سرعة في المركب الذي كان تهيا له في نهر النيل آخذا بالهرب الي نواحي تيبايس * اما الوالى الذي كان مفوضاً بان يقبض عليه . فحالما بلغه نزوله في المركب مسافراً اسرع مع جنوده جرياً فى اثره بمركب اخر . وكان قريبا من ان يدركه * فالقديس بموجب الهام الهى امر مدبر المركب بان يدوّره نحو الاسكندرية راجعاً . لكي يتجه بالمسير لمصادفة الوالي الساعي وراه ليمسكه * فلم يكن مشي مسافة مستطيلة . واذا بالمركب الذي كان فيه الوالى قد تقابل مع مركبه * واذ صرخ الوالي على الذين في مركب القديس مسايلاً ان كانوا وجدوا اثناسيوس في مسيرهم الراجعين به فأُجيب عن ذلك اي نعم ان اثناسيوس لم يكن بعيداً منه سوى مسافة وجيزة . لانه قبل ببرهة كان مرَّ في مركبه من هناك سايراً نحو تيبايس * فهذا الجواب الخالى من الكذب اعطي سبباً للوالى لان يغتصب بالاكثر ملاحى مركبه على الضرب بالمقاذيف بشدة . ظناً منه بانه كان يمكنه ان يدرك بسرعة مركب القديس . الذي بضد ذلك كان يسير نحو الاسكندرية * حيث انه عند وصوله اليها خرج هو خفية من المركب . ودخل في احد البيوت ولبث هناك مختفياً بالسر طول المدة التى بقى فيها يوليانوس العاصي حياً الى ان اوضح الله لهذا القديس بوحي خصوصي ان الملك المذكور قُتل في حرب الفرس سنة ٣٦٣ *

الثالث والعشرون فموت هذا الشقى المحارب لله وللكنيسة اعطي القديس اثناسيوس الحرية في ان يظهر من خباه ويباشر واجبات سلطانه * فقد خلف يوليانوس العاصي فى تخت الملك القيصرى جيوفيانوس الحسن الديانة الذى ابرز امراً ملوكياً بصيغة رسالة باسم القديس المذكور بها لاشى الامر السابق المعطى من سالفه في نفيه . وفي الوقت نفسه كان يمدح بتلك الرسالة فضايل هذا البار وقداسة سيرته وشجاعته الغير المقهورة التى اظهرها دايماً بالمحاماة عن الايمان فيما بين اشد الاضطهادات والمظالم * ثم بعد مدة من الزمن حرر لهذا القديس رسالة اخرى بها طلب منه بتوسلات ان يرسل اليه تاليفاً يحوى تعليم الكنيسة الحقيقي ضد التعاليم الاراتيكية التي كانت وقتيذ الكنايس مملوة منها . وهكذا تضرع اليه بان يعرفه رايه السديد على الطريقة التى بها يمكنه ان يجمع الي وحدة الكنيسة الجامعة تلك الاحزاب والشيع والجمعيات العديدة المتفرقة * فالقديس بعد ان تداول في هذا الشان مع اخص اساقفة كرسيه الشهيرين بالعلم والقداسة . رد لهذا الملك

التقى الجواب على اسمهِ واسم اساقفته برسالة جليلة محفوظة الى الان صحبة تاليفانه . وبها فيما بين الاشيا الاخر المعتبرة لم يقدم للملك موضوعًا اخر فيما يخص الايمان سوى قانون ايمان المجمع النيقاوي * فالملك بعد وقوفهِ على هذه الرسالة اضطرم الشوق فيه من قبلها ومن قبل اذاعة صيت هذا البطريرك في جميع الاقطار لان يشاهده . ولذلك طلب حضوره اليه في مدينة انطاكية * حيث ذهب القديس لمواجهتهِ وقُبل منه بعلامات اعتبارٍ وشرف واحترام وكرامةٍ لايقة من جهةٍ بتقوى هذا الملك البهى الديانة ومن جهةٍ اخرى باستحقاقات هذا الراعى السامية وبقداستهِ وفضايلهِ وصفاتهِ الفريدة * فمن يصدق انه بعد ان اشهر الملك المذكور تعلقًا قلبيًا واحترامًا تقويًا بهذا المقدار نحو القديس يكن ان الاريوسيين يتجاسرون على تقدمة شكايات مختلفة الانحا لديوانهِ القيصري ضدَّهُ طالبين منهُ ان يقيم على الكرسى الاسكندري بطريركا غيره * فاي نعم ان جسارتهم لم تخُزَ من ان تفعل ذلك . مضيفين الى شكاياتهم هذه الكلمات ايضًا . وهي ان اثناسيوس ولو انه كان يظهر في احاديثهِ وخطبه ومواعظه اقوالاً صالحة . الا انه مع ذلك كان ضامرًا في قلبه الرداوة والخبث * الا ان الملك اجابهم عن الفاظهم المذكورة قايلاً : « فمن حيث انكم انتم « انفسكم تشهدون معترفين بان اثناسيوس يعلم اشيا جيدة باقوالهِ الصالحة . فيلزمكم ان « تكتفوا بذلك * على انه ان كان هو حاويًا في قلبه ارآ خبيثةً رديةً فهذا لايكون عليه به « قاضيًا الا الله وحده . فنحن البشر لايمكنا ان نعرف او نسمع سوى الالفاظ الخارجة . والله « وحده هو الذي يشاهد ما في القلب » * فبهذا الجواب ابكم افواههم مظهرًا لهم ارادته في انه لايرغب ان يسمع شيًا ضد هذا البطريرك الجليل *

الرابع والعشرون ولكن زمن تملك هذا الافغوسطوس المحامي الشديد عن الايمان الكاثوليكي وعن برارة القديس اثناسيوس كان وجيزًا . لانه رقد بالرب في ١٧ شباط سنة ٣٦٤ * وتسلم بعده صولجان الملك فالينتينيانوس الذي اكتفى بان يخصص ذاته بالتملك على بلاد المغرب فقط . متنزلاً عن ولاية بلاد المشرق لاخيه فالانته * الذي اهمل نفسه ان يخدع بسهولةٍ من خبائة الاريوسيين ومن حيلهم الرفيعة . وهكذا سنة ٣٦٧ اخذ يضطهد الكاثوليكيين * غير ان القديس اثناسيوس في بحر تلك الثلث سنوات التي بها كانت الكنيسة الجامعة متمتعة بالهدو والسلام قد افتقد ابرشيات بطريركيتهِ جميعها حيث

نتجت عن هذا الافتقاد الرعائي اثمارٌ خلاصية عظيمة للمومنين من قبل مواعظهِ وارشاداتهِ وتعاليمهِ ونصايحهِ . حسب النعم السماوية والبركات العلوية التي كان الله يرافق بها غيرتهُ واعمالهُ السامية في كل مكان . فالملك فالانته بعد ان اقتبل سر المعمودية من يد ايفدوسيوس راس الحزب الاريوسي . اصدر اعلاماً ملوكيًا باسم جميع ولاة المقاطعات بـه يامرهم بان يطردوا من الكراسي والابرشيات جميع اوليك الاساقفة الذين كانوا نفوا باوامر قسطانسوس عن رعاياهم وبعده رجعوا اليها بسماح يوليانوس العاصي . فاذًا بقوة هذا الختم اراد والى الاقليم المصري ان يطرد القديس اثناسيوس من الاسكندرية . غير ان متقدمي الرعية حضروا لديوان هذا الوالى موضحين له ان راعيهم لايجب ان يكون من عدد الاساقفة الذين يشير اليهم الختم الملوكي . من حيث انه اي بطريركهم قد دُعيَ من المنفى ليس بامر يوليانوس العاصي بل بقوة اعلام الملك جيوفيانوس . فالوالى اذ لم يقتنع من هذا البرهان فالمتقدمون اخذوا يقاومونه بجدةٍ موضحين انه يلزم ان يترك راعيهم في حريته ضمن ابرشيته . قالوا هذا واذا بجميع شعوب المدينة وجدت بحركةٍ قوية قد لحظ منها الحاكم بكفايةٍ انه اذا اغتصب اثناسيوس على السفر . فالشعب كان مستعدًا لاستعمال الاسلحة عينها * فمن ثم عدل عن رايه وكتب للملك مخبرًا اياه بهذا جميعهِ . كما ان الرعية ايضًا ارسلت لديهِ قصادًا خصوصيين في هذا الشان ليتوسلوا اليهِ في ابقا بطريركهم في كرسيهِ . فالقديس من قبل هيجان الشعب قد اختفى ثم هرب خارج المدينة سرًا واختباء في قبر والدهِ (الذي كان حسب عادة بناية قبور المصريين القدما بعماراتٍ على وجه الارض تمكن فيها السكني) * ويبان واضحًا ان هرب القديس المذكور كان بالهام الهي خصوصي . على انه اذ كان في مساء ذلك اليوم راق الشعب من القلق والاضطراب . فالوالي اخذ صحبتهُ قايد العساكر العام وذهب ليلاً الى كنيسة الكاتدرا ليقبض على هذا الراعي ويرسلهُ الى المنفى . ولكن عنايته اضحت باطلة لعدم وجود القديس هناك * فالرعية حينما عرفت هرب القديس قد سببت تموجًا وانزعاجًا كانا ينذران بغوايل ردية جدًا بنوع ان الملك حينما فهم هذه الاستعدادات وحال حدة الارواح التزم بان يرسل حالاً اعلامًا ملوكيًا بان اثناسيوس يبقى في كرسيهِ بسلام من دون معارضة على الاطلاق . وعلى هذه الصورة هداء روع الشعب وسكنت الاضطرابات *

الخامس والعشرون فبعد اشتهار الاذن الملوكي الاحتفالي خرج القديس اثناسيوس من القبر الذي استمر مختفيًا فيه مدة اربعة اشهر ورجع الى الاسكندرية فتمتعت ابرشيتهُ مع كل الكراسي التي كانت خاضعت لها بسلام تام وبسكينة كلية وبحرية مشتهرة . في الوقت الذي كانت فيه كنايس المشرق كافة متكبدة الاضطهادات والبلبلات والاغتصابات بنوع اكثر ضررًا واشد قساوةً من اضطهادات الملوك الوثنيين السابقة * فالبار اثناسيوس العظيم لم يغفل في حال هدوهِ هذا عن ان يقاوم الاراسيس بصوتهِ الحي وبالتاليفات الجليلة وبنوع خاص كان يحارب الضلال الاريوسي المتملك وقتيذٍ من دون ان يتساهل او يتنازل في شي يمكنهُ ان يضر الايمان او الاداب * حيث انهُ في كل ان وابن كان الكلي الغيرة على حفظ التقليدات والتهذيبات والقوانين الكنايسية والعوايد الحميدة وصنف تاليفات عديدة في موضوعات مختلفة مملوة من الانوار السماوية والتعاليم القديمة والارشادات الخلاصية لافادة المومنين وفيما بين هذه المصنفات كان كتاب سيرة القديس انطونيوس الكبير وقد ارتبط بوثاقات الود والصداقة مع اعظم رجال العالم وافضلهم المعاصرين لهُ والمزهرين بكل نوع من القداسة والفضايل والعلوم . واخصهم كان القديس باسيليوس الكبير ريس اساقفة الكبادوك * واخيرًا اكمل حياتهُ المقدسة المتصلة الاتعاب والمملوة من الاضطهادات والاسفار والمحاربات والاضامات والاخطار والشدايد القاسية في مدة سبع واربعين سنة بطريركًا . حتى انهُ بالصواب كانت تدعى حياتهُ استشهادًا متصلا * وقد رقد بالرب بكل هدوٍ وسلام فيما بين ايدي متقدمي رعيتهِ نظير يوحنا الرسول الحبيب . وكان ذلك سنة ٣٧٣ التي فيها كان اعدا هذا القديس مباشرين ضد الكنايس الشرقية كافة الاضطهاد الدموي الكلي القساوة باحكام الله الغامضة . اما الكنيسة اللاتينية فتحتفل بتذكار نياحه المجيد في اليوم الثاني من شهر ايار *

فمما تقدم ايراده في سيرة هذا القديس معلم الكنيسة اثناسيوس العظيم يمكننا ان نفهم من جهةٍ اولى كم ينبغي ان تكون حقايق ايماننا كريمة وثمينة وجليلة حتى ان الاساقفة القديسين ومعلمي الكنيسة الجامعة تكبدوا من اجل حفظها وحمايتها وتوطيدها مقدارا هكذا عظيما من الاضطهادات والشدايد والاخطار الجسدية من قبل رجز الارائقة اعدا الايمان . ومن جهةٍ ثانية ان نعرف كم هو مقدار التزامنا نحو تكريم هولا الرجال المنتخبين من

الله والمملوين من مواهب روحه القدوس ومن العلوم والغيرة والشجاعة على مقاومة ملوك العالم انفسهم * فلنتخذ لانفسنا من نموذج هذا العظيم فيما بين القديسين معلمي المسكونة الافادة اولاً في ان نشجع ذوانا على احتمال الاضطهادات الظالمة والتهم الكاذبة والافترا والاهانة التي تاتينا من قبل الناس الاردياء الاشرار . ثانياً بالا ننذهل متعجبين اذا راينا بعض الاحيان الانام الافاضل الصلحا الابرار مظلومين مثقلين بالاضرار والشدايد من قبل جسارة اعدايهم وتزويراتهم وتهمهم الكاذبة ضدهم . ولا اذا شاهدنا اناساً اثمة هذه صفتهم مقبولين من عظما هذا الدهر ومحامى عنهم من اكابر العالم كما حصل للاوسابيين من القبول والتاييد عند الملك قسطانسوس . ولا اذا نظرنا ان الخداعات والغش والحيل تدخل بعض الاوقات من هولا المنافقين على اناسٍ فضلا نظير ما حدث للملك الحسن الديانة قسطنطين العظيم نفسهِ في قضية القديس اثناسيوس . حتي كتب عنه للقديس انطونيوس الكبير الالفاظ التي حررناها في محلها * لان الروح القدس يعلن في سفر الجامعة (ص ٤ ع ١) انه يحدث مراتٍ كثيرة في هذا العالم ان تستعمل التهم الباطلة ضد الابرار الذين لا يقدرون ان يقاوموا تاهمهم ومضطهديهم . بل يلتزمون بان يحتملوا ذلك من دون ان يجدوا من يعزيهم ويعودون مهملين من كل احدٍ كما حدث لهذا القديس البار * ولكن اذا أُهملوا من البشر فلا يمكن ان يهملوا من الله القادر على كل شي الذي اذا لم يظهر براءتهم في هذا العالم فامرٌ حقيقي في الغاية انه يشهر ذلك في اليوم العام الرهيب امام العالم اجمع في مجلس الدينونة الاخيرة . ويجازي صبرهم بمجدٍ ابدي . في الوقت عينهِ الذي فيه يعاقب التاهمين الظالمين المفترين على ابراره بالعقوبات الابدية في الدركات الجهنمية حيث يتمجد تعالي بعدله بالانتقام من اعدايه المصرّين على اثامهم ❋

واما سيرة ابينا الجليل في القديسين كيرللس البطريرك الاسكندري الذي يكرم تذكارهُ في هذا اليوم جملةً مع تذكار القديس اثناسيوس احد سلفايوفهى موردة منا تحت اليوم التاسع من شهر حزيران . الذي فيه الكنيسة المقدسة تصنع تذكاره المجيد بنوع خصوصي . فاذاً على القاري اللبيب ان يجدها هناك محررةً ❋

* اليوم التاسع عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار مكاريوس المصري *

اولاً ان القديس البار مكاريوس المصري (المدعو مكاريوس الكبير ايضاً ليتميز عن القديس مكاريوس الاسكندري) قد ولد في مصر في مبادى الجيل الرابع من عيلة فقيرة ومسكينة بهذا المقدار. حتى ان مكاريوس وجد في سن صبوته بوظيفة راعي البقر * فقد اتفق يوماً ما انه برفقة بعض احداث اخرين سرقوا جانباً من ثمر التين الذي لم يأكل هو منه سوي تينة واحدة. فمع ذلك حينما انتبه على زلته وعرف انه اغاظ الله واين كان بمادة جزئية ضد العدل. اخذ يندم ويبكي على الزلة المذكورة بنوع انه في مدة حياته كلها كان يتذكر بمرارة نفس * ثم بعد ذلك بمدة من الزمن اهمل صنعته المار ذكرها. وانفرد في كوخ مباشراً افعال النسك نظير السواح * ومن حيث انه اجتهد جداً في اقتنا فضايل الكمال المسيحي وعرف ذلك من الريس الكنايسي الذي في تلك الناحية. قد اختاره لخدمة كنيسته مدرجاً اياه بالدرجات الصغار * غير انه اذ لم يرَ مكاريوس موافقاً لراحة نفسه ولروح النسك استمراره في تلك الوظيفة. هرب الي مكان بعيد متمسكاً بسيرته الاولى بالسياحة. مهتماً بخدمة الله بالصلوات والتاملات والامانات وشغل السلال. التي كان يعطيها لرجل صالح يبيعها له ويأتيه بثمنها بما يقتات به * وكان وديعاً متواضعاً بهذا المقدار حتي انه اذ تهم باطلاً بصنيع فعل الدنس مع امراة من تلك النواحي. ومن جرى هذه التهمة ضرب بقساوة وأهين جداً. لم يفتح فاه ليبرر ذاته من هذا الذنب المخترع ضده افكاً * كي يتشبه بيسوع المسيح. الذي حينما أدين وحكم عليه كفاعل شر لم يحام عن نفسه بل احتمل ذلك صامتاً * والابلغ من هذا هو ان البار مكاريوس لم يرفض ايضاً ما ألزم به. وهو ان يعول تلك الامراة مقدما لها بواسطة من يخصه الدراهم اللازمة لمعاشها طول مدة حبلها * ولذلك كان يجهد نفسه بالتعب نهاراً وليلاً ليمكنه ان يجتنى ما يكفي لمعاشه ومعاشها * فلما داهم الطلق تلك الامراة التاهمة لتلد قد تعذبت جداً واضطرت بان تعترف ببرارة مكاريوس مما تجنت به عليه كذباً * فحينئذ اوليك الذين كانوا ضربوه واهانوه ذهبوا اليه طالبين منه المغفرة. ليس من دون تعجب من فضيلته السامية. الامر الذى خوفاً من انه يسبب له كرامةً واعتباراً في تلك الجهة هرب مبتعداً جداً واختفي في

قفار برمصر في محلٍ غير مسلوك . وكان له حينئذٍ من العمر ثلثون سنة وقد شرع بابلغ نوع في صرامة النسك وبالتقدم بالفضايل * غير انه لم يمرَّ زمنٌ مستطيل الا وقد شاع صيت قداسته . ولهذا اقتفي اثره كثيرون بالعيشة تحت تدبيره . وكانوا يزدادون عددًا يومًا فيومًا حتي انه لما بلغ الى سن الاربعين سنة . أُلزم من قبل الروسا الكنايسين بالرسامة بدرجة الكهنوت كي يمكنه ان يوزع الاسرار الالهية ويتمم الخدمة الرهبية ويكمل الاحتفالات الكهنوتية لجميع اوليك السواح الجزيل عددهم الذين كانوا عايشين في القفر تحت تدبيره *

ثانيا فقد خدم القديس مكاريوس بهذه الدرجة المقدسة بطهارةٍ هكذا سامية كانه ملاك وليس بانسانٍ * ومراتٍ كثيرةً كان يوجد مخطوفًا بالروح وقت صلواته . مخاطبًا الله بالثواريا * ولهذا كان يحب الصمت جدًا . وحالما يكون تم ما تلزمه بهِ وظيفته ومحبته القريب . كان يختلي في الوحدة متفاوضًا مع الله متحدًا بهِ اشد اتحادًا * وكان مواظبًا على حفظ سيرة نسكية صارمة جدا مرتبة بفطنة سامية . محرضًا جميع رهبانه على اتباعها بكل تدقيق * فيومًا ما كان احد تلاميذه في ساعة نصف النهار متكلمًا معه وقد شعر بعطشٍ شديد . فطلب منه الاذن بان يتناول قليلاً من الماء * اما القديس مكاريوس فاجابه قايلا : « اكتفِ الان بان تستريح تحت هذه الشجرة في ظلها . متذكرا بانه يوجد « كثيرون من البشر في هذه الساعة سايرين برًا وغيرهم مسافرين بحرًا من دون ان « يحصلوا على هذا الفي الذي أُعطى لك ان تستظل فيه » * واذ اتبع القديس كلامه « مرشدًا تلميذه عمَّا يخص الامانة وقهر الذات . قال له فيما بين الاشيا الاخر هذه الكلمات : « تشجع ياولدي . فانا قد اجزت مدة عشرين سنة كاملة من غير ان اصنع ما كانت تطلبه « مني اميالي الطبيعية لا في المأكولات ولا في المشروبات ولا في النوم * لاني لم اكن اكل سوي « كمية جزئية من الخبز . الذى قبل ان اكله كنت اوزنه كيلا اتجاوز الكمية المعتادة . « ولم اكن اشرب الا عيارًا صغيرًا من الماء . واما نومي فكان برهاتٍ وجيزة متباعدة غير « متصلة . وذلك باسناد راسي على الحايط حينما لم يعد فيَّ جلد على فتح عينيَّ *

ثالثًا ثم بموجب ما يورده المورخ المدقق كاسيانوس كان القديس مكاريوس يستعمل طريقة اخرى لتشجيع تلاميذه ورهبانه على صنيع الامانة والتقشف . وهذه الطريقة يمكن لكل مسيحي ان يتدرب بموجبها * فكان يقول لهم هكذا : « انه يلزم السايح ان يعوّد ذاته على

«الاصوام كانه يجب ان يعيش ماية سنة . وان يضاد ميله ويقهر الامه النفسانية . وان «يتناسى الاهانات التي تصنع في حقه . وان يتجلد فى احتمال المكاره . وان يصبر علي «الاوجاع ويتكبد المصايب كانه فى يومه مزمع ان يفارق هذه الحيوة » * علي ان التفكر «في النوع الاول وهو استطالة الحيوة يحجز عن الراهب والسايح كل نوع من الاهمال والتراخي فى الخدمة الالهية المسبب من الخوف ومن الامراض الجسدية . واما التفكر في النوع الثاني وهو ان كل يوم يمكن ان يكون هو الاخير من الحيوة . فهذا يصيره ان يحتقر الخيرات الارضية . ويتهاون بالاتعاب والامراض والشدايد . متاملا في الوطن الذي كل يوم يمكن ان يدعي من الله للانتقال اليه في الحيوة الابدية * ولما سبل هذا القديس عن النوع الملايم لحسن الصلوة . اجاب قايلاً . «انه ليس بضروري ان تكون الصلوة «مستطيلة . بل يكفي ان الانسان يرفع الايدي نحو السما قايلاً : يارب اصنع معي الرحمة «بالنوع الذي يرضيك . واما حينما تحاربنا تجربة ما فيلزمنا ان نقول : يالهي اغني . على ان الله يعلم جيداً ما هو الموافق لنا فلا يتغافل عن معونتنا *

رابعاً وقد اتفق لهذا القديس حينما كان يوماً ما مثابراً على الصلوة ان يسمع صوتاً يقول له : «انك لم تبلغ بعد يامكاريوس الى الكمال الذي بلغت اليه امرانان عايشتان معاً في بيت واحد في المدينة . كما انك تتحقق ذلك عياناً » * فهذا القديس الشيخ قد اخذ حالاً بالمسير لكي يجد نموذج الكمال الموحى اليه عنه . واذ بلغ الي البيت الذي كان يسكنه تانك الامراتان قد قرع الباب * ولما فتحت له احداهما سالها عن الثانية العايشة معها . وحينما حضرت اليه هذه وتلك وقبلتاه بكل علامات الكرامة جلس وطفق يخاطبهما قايلاً * «انتي بسببكما قد عانيت هذا السفر البعيد من داخل القفر الى هذه المدينة ثايقاً ان اعلم «ماذا تصنعان وما هو نوع عيشتكما » * فالامراتان قد اجابتاه قايلتين : «ماذا يمكنك ان تجد من الصلاح يا ابانا القديس عند امراتين مقترنتين بسر الزواج عايشتين مع رجلين اخوين » * ولكن حين الزمهما بان تخبراه صدقاً عن كيفية سيرتهما وان ذلك كان ضروريا لخير القريب فوقتيذ اخذتا تقولان له : «اننا قد اقترنا بسر الزواج مع رجلين اخوين ولنا لحد «الان خمس عشرة سنة ونحن نعيش جملةً من دون ان يخرج من فم احدانا في جميع هذه «المدة كلمة ردية ومن غير ان تحدث فيما بيننا مناقضة او مضادة علي الاطلاق . بل بنعمة

« الله قد حفظنا على الدوام وحدة الراي واتحاد القلوب بسلام تام وقد رغبنا جدًا في ان « نقنع رجلينا فى ان يمنحانا رضاهما الطوعي بان ننفرد فى احد اديرة الراهبات ونعيش فيما « بين البتولات المسيحيات . ولكن اذ لم نقدر ان ننال منهما هذه النعمة قد اتفقنا معا اثنتانا « امام الله موعدتين بالاتخرج من فم واحدة منا كلمة ما عالمية . وبان نتمم فى كل شي ارادة « الرب الى حين مماتنا » * فحينما سمع القديس ايراد هذه الاشيا هتف قايلا : « انه حق هو ان الله يوزع مواهبه على المقترنات بالزواج ليس باقل من توزيعه اياها على البتولات . ويعطي العلماني ليس باقل مما يعطى الراهب * لانه تعالى لايتامل شيًا اخر سوى التاهب والاستعدادات الصادرة من القلب . ويمنح روحه القدوس لجميع الذين يريدون ان يخدموه من اية دعوة كانوا *

خامسًا ثم ان هذا القديس مع كثيرين من رهبانه قد حصلوا علي الحظ السعيد بان يحتملوا اضطهادات قاسية ومستطيلة ومختلفة الانواع من الارانقة الاريوسيين من اجل الحماية عن الوهية يسوع المسيح * فلوكيوس الذيب الخاطف الدخيل في الكرسى البطريركي الاسكندري بعد طرد الراعي الشرعى قد حرك الملك فالانته على اضطهاد اعظم رهبان الاقليم المصرى الشهيرين . الذين فيما بينهم كان القديس مكاريوس المذكور وسميه القديس مكاريوس الاسكندري اللذان قد عوملا باهانة وجفاوة وقساوة بربرية . واخيرًا نفيا الى جزيرة خاصة بالاقليم المصري لم يكن فيها ولا انسان مسيحي * فهناك قد تراءفت المراحم الالهية على شعب تلك الجزيرة بايهابها اياهم نعمة الايمان بالمسيح بواسطة هذين القديسين . اللذين حال بلوغهما اليها قد انتذا ابنة كاهن الاصنام من الشياطين التى كانت اعترتها معذبة اياها عذابات مهيلة . فهذه الاعجوبة قد صارة علة لدخول جميع سكان الجزيرة في ديانة المسيح رافضين عبادة الاوثان * واما الشعب الاسكندري فعند سماعه ذلك نهض ضد لوكيوس البطريرك الدخيل بجدة روح . موضحين له كيف انه يضطهد قديسين هكذا عظيمين في بيعة الله * فقد استحوذ الخوف علي لوكيوس من هذه الحركه القوية واضطر بان يخرج امرًا برجوع هذين البارين الى امكنتهما * فالقديس مكاريوس الكبير بعد وصوله الى مقر سياحته . عاش سنين عديدة متممًا بالعمل والارشاد واجبات دعوته * واخيرًا قد رقد بالرب في السنة التسعين من عمره والستين من مكثه في

ذلك القفر . اما السنكسار الرومانى فيعين تذكاره المقدس في اليوم الخامس عشر من شهر كانون الثانى ❋

فلنستفد من تنبيهات هذا القديس بان الانسان في اية دعوة وجد يمكنه مع العون الالهى ان يكون قديسًا بواسطة حفظ وصايا الله بتدقيق وبالسلوك في الحب والاتفاق مع القريب لاسيما مع من يعيش معهم جملةً . وبالخضوع التام لارادة الله في كل شى من الحوادث مطلقًا اي في السرّاء والضرّاء . واخيرًا بواسطة تتميم واجبات دعوة كلٍ منا الخصوصية * لان القداسة الحقيقية تتوقف على هذه الاشيا * فمن يكن امينًا نحو الله بحفظ هذه الرسوم فذاك يبلغ الى رتبة الكمال المسيحى نظير الامراتين المشار اليهما انفًا ليس باقل مما بلغ اليه اعظم الرهبان والسواح ❋

❋ اليوم العشرون ❋

❋ وفيه تذكار ابينا البار المتوشح بالله افتيميوس الكبير ❋

اولاً ان القديس افتيميوس الكبير قد ولد سنة ٣٧٧ من والدين مدعوين بولس وديونيسيا غنيين جدًا بالمال والفضيلة . متقدمين فيما بين سكان مدينة ماليتانا في اقليم ارمينية * ومن حيث ان والديهِ كانا عاقرين فنالا هذا المولود هبةً الهيةً ممنوحةً لهما بفعل اعجوبةٍ بواسطة شفاعة القديس بوليافطوس الشهيد * ولما انه يتم من والدهِ في سن ثلث سنوات فقط . فديونيسيا والدته قد سلمته لعناية الطوباوي اوتريوس اسقف ماليتانا الذي اهتم بهِ عوضًا عن ابيه بتربية صالحة بالعلم والعمل واقتنا الفضايل والاداب * واذ راهُ ناجحًا بنوع يعجب منه ادخله في رتبة اكليروسهِ بدرجة اناغنوسط الكنيسة في بداية صبوتهِ . وصيره ان يدرس العلوم الفلسفية ثم اللاهوت النظري والعملي عند رجلين من طغمة الاكليروس شريفي النسب جليلي الاسم ساميين في الفضايل . وهما اكاكيوس ومينوديوس اللذان قد ارتقيا فيما بعد الواحد في اثنا الاخر الى درجة الاسقفية راعيين للمدينة المذكورة ❋

ثانيًا فافتيميوس قد اكتسب من هذين المعلمين الفاضلين نجاحًا ساميًا في العلم والفضيلة من قبل ارشادهما وتعليمهما ليس باقل من نموذجاتهما . وكان يضيف الى درسهِ مطالعة الكتاب المقدس والتاملات في معانيهِ التي كان يجد فيها لذته الوحيدة . في الوقت نفسهِ

الذي فيهِ كان يجتهد في ان يتاءمل في كل فضيلةٍ مضادة لاية رذيلةٍ كان يمكنها ان تدنس نفسهُ بخطية ما * فهذه وتلك قد اهلته لان يلزم باقتبال درجة الكهنوت التى بروح تواضعٍ حقيقى كان يمانع ارتقاه اليها * ولولا خوفهُ من مخالفة الطاعة لارادة الله المعروفة من ارادة الروسا لما كان قبلها * فبعد رسامتهِ كاهنًا قد فوض له السهر والمناظرة على تدبير ادبرة الرهبان التى كانت موجودة في المدينة المار ذكرها وفى جميع الابرشية فهذه الوظايف اقلقت ضمير افتيميوس . ولذلك اعتمد على الهرب الى بلاد فلسطين كى يزور الاماكن المقدسة . ويستفيد من مشاهدة نموذجات رهبان هذا الاقليم وسواحه . متخذًا مشوراتهم وارشاداتهم فيما يجمله ان يخصص ذاته لله وحده * وحينما تمم اعتمادهُ فعلاً وتامل في نوع سلوك رهبان بلاد فلسطين شعر بارادةٍ باطنة منعطفة للتمسك بها * ومن ثم لبث هناك في قلايةٍ منفردةٍ ليست بعيدةً من اورشليم مثابرا على الاصوام والصلوات وحفظ الصمت وعمل اليد في شغل اوعيةٍ من خوص كان من ثمنها يصرف ما لابد منه لقيام حياته ويوزع الباقي على الفقرا * ومن حيث انه بالقرب من قلايتهِ كان يوجد رجلٌ فاضل يدعى ثاوكتيستوس الذي هو ايضًا كان من ذى قبل تمسك بسيرة النسك في الوحدة . فقد ارتبط احدهما مع الاخر بوثاق حب وودٍ مقدسين لم يكن موضوعهما الا تحريض احدهما الاخر وتحريكه الى التقدم يومًا فيومًا بالكمال في الفضايل . مع ان القديس افتيميوس لما ابتدا في نوع هذه العيشة لم يكن له من العمر الا تسع وعشرون سنة * ثم كان هذا البار جملةً مع القديس ثاوكتيستوس يصنعان في كل سنة السياحة المدعوة : كوتيلى : التي بموجبها كانا يخرجان من قلايتيهما نهار الاحد الذي ياتى بعد وداع عيد الظهور الالهي . ويذهبان الى القفار بانفرادٍ كامل عن جميع بني البشر . ممارسين الامانات والصلوات والتاملات بالصمت ولا يرجعان الى قلايتيهما الا نهار احد الشعانين * وهذه الرياضة كانت تستعمل من السواح المتقدمين في كمال سيرة النسك استعدادا لاحتفال عيد الفصح المجيد

ثالثًا فبعد ان مضى لهما خمس سنوات على هذا النوع . قد صادفا حين جولانهما في القفر الغير مسلوك مغارةً جديدةً بالقرب من نهر عظيم * فاعتمدا على ان يعيشا هناك كان العناية الالهية كانت اعدتها لهما * فقد قطنا فيها منسيين من كل احد بعيدين على الاطلاق عن مواجهة البشر مقتاتين من الحشايش التي كانت توجد في

تلك النواحي * غير انه بعد ان استمرا على هذه الحال مدة ليست بوجيزة من الزمان . وجدها البعض من الرعيان فاخبروا عنها الناس * ولهذا كان يحضر اليهما حينًا بعد حين كثيرون من الرجال الذين اقتدوا بمثلهما . عايشين تحت ارشادهما بنوع انهما اضطرا اخيرًا لعمارات ديورة يقطن فيها المبتديون وامكنه سياحة بقلالى متباعدة احداها عن الاخرى لاجل سكنى النساك المنفردين بالوحدة والسياحة لاسيما بصنيع الكوتيلى المتقدم شرحها * فقد اضحي اسم القديس افتيميوس شايعًا في كل مكان بالقداسة والفضايل حتي ان عددًا غير محصى من الشعوب كانوا يتقاطرون لزيارته كاشفًا له كلٌ منهم امراضه الروحية ومقتبلاً منه العلاجات المفيدة لشفا نفسه منها * فقد كانت ارشاداته ونصايحه وتعاليمه لكل من يأتي اليه صادرة بالحقيقة عن قلب مضطرم بحب ابوي نحو خلاصهم . مقنعًا اياهم ومسمرًا في قلوبهم عشق الفضايل والسعى الفعال نحو التاصل فيها . لاسيما الانضاع والكفر بالذات وقهر الارادة . والهذيذ المتصل في فكر الموت . والانكباب على عمل اليد بنشاط خاصةً من الشبان الذين به يتبعون اجسادهم ويجعلونها خاضعةً للروح *

رابعًا فالمراحم الالهية الغير المتناهية قد استخدمت مواعظ القديس افتيميوس ونصايحه وارشاداته واسطةً لارتداد اناسٍ كلى عددهم من الخطاة الاشد صلابة في الاثم والرذايل الى طريق التوبة الحقيقية ومن الوثنيين الى التمسك بالايمان بالمسيح * ففيما بين هولا كان حضر الى هذا القديس مرسلا اليه بنوع اعجوبةٍ خصوصية شاب امير ابن اميرٍ من امرآ السراكسة . الذي كان مفوضًا من قبل الديوان القيصرى الملوكي لان يتولى على مقاطعة واسعة جدًا من بلاد العربية * وهذا الشاب كان مخلعًا او بالحرى مقعدًا وبنوع ان نصف جسمه كان ميتًا عادم الحركة * فالقديس افتيميوس قد اشفاه بقوة الله من هذا المرض . الامر الذى صير الشاب ووالده مع جميع الذين كانوا برفقتهما من اصحاب الوظايف والجنود ان يومنوا بالمسيح . وبالا يبرحوا من هناك الا بعد ان ارشدهم القديس افتيميوس كافة الارشاد الكافي بواجبات الديانة المسيحية . وعمدهم * فاحد هولا المدعو ماريوس الذى كان خال الامير الشاب فبعد اقتباله سر المعمودية اراد ان يخدم الله بافضل نوعٍ * فالتمس من القديس افتيميوس الاذن بان يقبله فيما بين تلاميذه . وهكذا بقي في القفر سايحًا * اما القديس افتيميوس فحينما راى ان اعجوبة شفا هذا المقعد جعلت تولد

الناس اليه بزيادة صحبة المرضى والسقما . الذين لم يكن يمكنه ان ينكر عليهم اعطا البركة وبها كان الله يمنحهم الشفا . فقد هرب سرًا واختفى في قفر روبان الغير المسلوك في نواحي البحر الميت بنوع انه لم يكن يستطيع احدٌ ان يذهب اليه غير ان الله الذي جعله واسطةً لافادة كثيرين . قد كشفه للناس . اذ ان احد المعترين من الشياطين قد شفي بواسطة استدعا اسم البار افتيميوس . واخبر عنه محرضًا الانام على الذهاب اليهِ . وهكذا وجدوه * وكثيرون تلمذوا له هناك . حيث التزم بعمار دير في المحل ذاته لسكني عددٍ ليس بوجيز من هولا النساك * وهناك اتصل اليه تقاطر الناس من كل ناحية . لاجل ان الله وطد سلطانهُ بافضل نوع . ليس على شفا كل صنفٍ من الامراض فقط بل على لجم الوحوش الضارية وصدّ الحيوانات المسمة ايضًا . الامر الذي اذ كان يسبب له المديح والاحترام والتوقير من الجميع . فلتواضعهِ اخذ بالهرب الى مكان اخر بالقرب من مكان سياحتهِ الاول * حيث اتاه امير السراكسة بعددٍ غفير من الوثنيين . كي يرتشدوا منه بقواعد الديانة المسيحية ويعتمدوا من يدهِ * فلما فهم هذه الحقايق جيوفانا له اسقف اورشليم وان الامير المذكور (الذي كان القديس افتيميوس دعاه بطرس حينما عمده) قد كان هو علة اجتذاب هذه الجموع الغفيرة الى الايمان بالمسيح . قد وجد نظير رسول بلاد العربية فقد اختاره راعيًا عليهم ورسمهُ اسقفًا لسياستهم الروحية *

خامسًا فغيرة القديس افتيميوس ومحبته لم تتوقفان على اجتذاب الوثنيين الى الايمان بالمسيح بل امتدت نحو خلاص انفس الارانقه المانيين الذين قد رد منهم كثيرين الى وحدة الايمان . كما وقد تدرّب بحكمةٍ سامية في صدّ امتداد ارنقة نسطوريوس * وحينما التيم المجمع المسكوني الثالث في مدينة افسس . فهذا القديس حامى بغيرةٍ وشجاعةٍ عن تحديده المضاد الارنقة المذكورة وعن وحدة القنوم الالهي في سيدنا يسوع المسيح . بالنوع الذي حامى بهِ بعد مدة عشرين سنة ضد الارنقة الاوطيخية الموجبة الامتزاج والاختلاط فيما بين الطبيعتين الالهية والانسانية في شخص سيدنا يسوع المسيح * فقد ناضل بجراءةٍ وغيرةٍ رسولية عن تحديد المجمع المسكوني الرابع الخلكيدوني في تحريم هذه الارنقة . وقد انكشف الضلال الذي به انخدع من حيل الاوطيخيين انامٌ فضلا من الرهبان والسواح لانه قد برهن لهم الحقايق الكاثوليكية ضد هذه الارنقة . وهكذا وطدهم في الايمان القويم بثباتٍ *

سادساً فحينما كان هذا القديس يجاهد عن استقامة الايمان فكان الله جلت مراحمه يؤيد اقوالهُ وبراهينهُ بموهبة صنيع الايات والجرايح بزيادة وكان من عليه بنعمة النبوة ايضاً . حتي انه في اوقاتٍ كثيرة وفي مواد معتبرة كان يسبق ويخبر عن العتيدات التى كانت تحدث فيما بعد مصادقةً علي تخبيره السابق عنها . الامر الذى استخدمهُ لاجل اثبات الايمان الكاثوليكي * فهذه الاشيا قد صيرته ان يعتبر كانه عماد الكنيسة الشرقية وبرجها المتين ۞ فالملكة افدوكسيا التي كانت سقطت في ارتقة اوطيخا . فقبل رجوعها الى الايمان الكاثوليكي ارسلت تسال القديس سمعان العمودي عما كان يجب عليها ان تصنعه فالقديس المذكور اجابها متعجباً من انها في وجود افتيميوس العظيم لا تلتجي اليه مرتشفةً من ينبوع تعاليمهِ الصافية نقاوة الاراء المستقيمة * فالملكة اغتنمت الفرصة بالتماسها التدابير والارشادات من القديس افتيميوس . الذي حصل على التعزية العظيمة في ان يدربها ويوطدها في الايمان الكاثوليكى بنوعٍ امينٍ . كما انه سبق واخبرها عن يوم وفاتها العتيد * ثم ان هذا القديس اخبرًا اوضح لتلاميذه الوحي الذى اقتبلهُ من الله عن قرب انتقاله من هذه الحيوة وبان دوميتسيانوس احد تلاميذهِ يخلفه بالرياسة . وهكذا رقد بسلامٍ بالرب سنة ٤٧٣ . وهي الخامسة والتسعون من حياتهِ * والكنيسة الجامعة بعد نياحهِ حالاً حررت اسمه في مدرج القديسين وكرّمت تذكاره بعبادةٍ . كما يشهد لنا كاتب سيرة حياتهِ الراهب كيرللوس المورخ الامين والمدقق جداً *

فلنتامل في موهبة صنع العجايب والتكلم بالنبوة التى منحها الله للقديس افتيميوس مع باقي العطايا الروحية . ولنتبع اثر فضايلهِ السامية لاسيما سعيه بشوقٍ مضطرم نحو البلوغ الي الكمال المسيحي . وهربه من قبول الكرامة والمديح . وحرارته في الصلوات . وشدة حبهِ نحو القريب * فترى ماذا كان يرغب هذا القديس ان ينال فيما بين فضايل ومواهب هذه صفتها سوى خلاص النفس . الامر الذى يلزم ان يكون لدينا الموضوع الاخص بل الوحيد الذي نصبوا اليه مرتاحين * غير اننا لكي نحصل على هذه الغاية السعيدة يلزمنا ان نتبع نحن ايضاً ما ينبهنا عنه رسول الامم القديس بولس في شخص التسالونيكيين بقوله : « فنسالكم ايها الاخوة ان تتزايدوا اكثر في المحبة . وان تجتهدوا في ان تعملوا اعمالكم بسكونٍ . وتشتغلوا بايديكم كما وصيناكم . وتستسيروا لدى البرانيين بزيٍ ممدوحٍ ليلا تحتاجوا الى

واحد (ص ٤ ع ١١) * وعلى هذه الصورة ننمو متزايدين الى ان نبلغ النهاية المقدسة التي بها نباين هذه الحيوة فنبزين بخلاص نفوسنا *

* اليوم الحادي والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار مكسيموس المعترف والقديس *

* الشهيد ناوفيطوس *

اولاً ان الكوكب العظيم الذي ظهر في الجيل السابع لينير كنيسة المسيح قد كان من دون ريب القديس مكسيموس المعترف الذايع الصيت . الذي قد اجتمعت فيه المناقب والصفات والفضايل الاعظم سموًا . نظرًا الى قداسة السيرة . والى العلوم الجليلة والاراء القويمة . ثم نظرًا الى حرارة المحاماة عن الحقايق الكاثوليكية . والشجاعة والثبات والصبر على احتمال اشد العذابات من اجل مناضلته عن الديانة المستقيمة * فهذا القديس العظيم ولد في مدينة القسطنطينية نحو سنة ٥٨٠ من عيلة متقدمة بالشرف والغنى والوظايف . ومعتبرة في كل نوع . وقد تربى تربية لايقة بسمو مقام عيلته . وقد نجح في العلوم كافةً لاسيما الفلسفية والمختصة بالمنطق والفصاحة . حتى انه في سن صبوته كان يقارع اعظم علما دهره ويعلو عليهم * ولهذا وجد مستحقًا ان يختاره الملك هرقل خاصة له . وان يرقيه الى وظيفة اول وزرايهِ وكاتمي اسراره * ولكن شرف هذه الوظيفة وسمو تقدمه فيها بين اكابر البلاط الملوكي والتعظيم والمدح والاهابة والوقار المتقدمة له وقتيذٍ من الجميع . نظرًا الي علو مقامه وسعادة اعمالهِ وبراعته في اعظم الامور بافادة كلية للجميع سنين عديدة . فهذه كلها لم تكن تؤثر في قلبه التعلق نحو خيرات هذا العالم ومجده الباطل * بل اذ افاض الله في لبهِ نعمه الالهية . فكان يكره عظمة الدهر وتنعمات العيشة وبهرجة الرفعة الزمنية . ومن ثم عشق الاشيا السموية واعتمد على ان يسعى نحوها دون غيرها بكلية اهتمامه *

ثانيًا فلاجل ذلك قد رفض العالم واعطى ظهرًا للشرف والغنى ولساير الموجودات . وانفرد في دير رهبان يدعي خريسوبولي لم يكن بعيدًا جدًا عن المدينة المتملكة * فهناك لبس ثوبًا خشنًا جدًا واخذ يباشر انواع صيامات وتقشفات شاقة غير مهتم بشي اخر سوى بالمفاوضة مع الله بواسطة الصلوات التي كان يجتاز بها اكثر لياليهِ . متمنعًا بتعزية باطنة كلية وبافادة روحية وافرة . متناسيًا مطلقًا الكيفية التي كان فيها قبلاً . ومهملاً التفكر

في الفرق الكاين فيما بين حالٍ وحال * بل مع انه كان في سنٍ متقدم في العمر يخال به انه لم يكن يمكنه ان يحفظ بالتدقيق جميع الفرايض الرهبانية . فكان مع ذلك مدققاً في تكميل كل شي كانت تطلبه منه تلك الرسوم . حافظاً اياها باعظم صرامة * ومن حيث انه بهذا النوع وبباقي الفضايل والصفات التي كان مزيناً بها قد اضحي كمرآةٍ نقية تشاهد بها الرهبان جميعاً النموذجات السامية الموبخة بعض نقايص كانت توجد فيهم . فقد انتخبوه ريساً عاماً عليهم . حتى اذ تقترن امثال نموذجاته الفاضلة مع السلطان الرياسي . فيمكنه باكمل نوع ان يرشدهم ويقودهم الي الكمال الرهباني * فالقديس مكسيموس اذ انه كان يعتبر ذاته بعد ارتقايه الي هذه الوظيفة انه احقر خدام الرهبنة . فهكذا تواضعه المتحد مع نصايحه وارشاداته السرية والجهرية كانت تفيد رهبانه افادة كلية *

ثالثاً غير ان تقدم العساكر الفارسية بانتصارات عديدة . حتي انهم استولوا على المدينة المتملكة عينها قد ألزم القديس مكسيموس بان يهرب من ديره خريسوبولى ويلتجي الي بلاد افريقية . حيث ان العناية الالهية دبرت بذهابه الي هناك كي يمارس المعركة الاولى فى محاربته الاراسيس المنتشية في ذاك الاقليم * على انه كان ظهر في بلاد المشرق ضلال الارثقة المونوتاليتيين اى تباع الارادة الواحدة فقط في مخلصنا يسوع المسيح ضد اعتقاد الكنيسة الجامعة . الذى من قبل الايمان يوضح انه في اقنوم يسوع المسيح الالهى توجد الطبيعة الالهية كاملة بارادة الهية . ثم الطبيعة الانسانية كاملة بارادة انسانية . وهكذا توجد في المسيح ارادتان او مشيتان متميزاتان ومطابقتان وملايمتان لاعماله تعالى الالهية والانسانية الصادرة عن طبيعتيه الالهية والانسانية المتحدتين والقايمتين باقنومه الواحد الالهي الذي هو اقنوم الكلمة الثانى من الثالوث الاقدس * على ان البطريرك القسطنطيني بيروس الذي كان من روءس الارثقة المونوتاليتية . فهذا من حيث انه أُحتسب من قسطنطين الملك ابن هرقل الذي خلفه في تخت الملك انه كان خاينا مطابقاً على ما حدث في القسطنطينية من قبل الفرس . وهكذا حصل تحت غضب هذا الملك . قد كان هو ايضاً هرب الى بلاد افريقية وهناك شرع يبث سم هذه الارثقة * فالقديس مكسيموس قد نهض حالا لمصادمتها ولمقاومة اشاعتها بكل غيرة . ولهذا اراد غريغوريوس البطريق حاكم بلاد افريقية ان يصير جدالٌ مشتهرٌ فيما بين البطريرك المذكور وبين البار مكسيموس

بحضور جمعية اساقفة على احدى قضايا الايمان هذه . اي على وجود ارادتين الهية وانسانية في شخص يسوع المسيح * فقد انعقدت اذاً هذه الجمعية سنة ٦٤٥ وفيها اظهر القديس مكسيموس سمو التعليم الارثودكسي ببراهين قاطعة وبفصاحة جليلة . واثبت بنوع فاقد الريب وعديم الانغلاب هذه الحقيقة الدينية بوجود ارادتين كاملتين في طبيعتي المسيح الالهية والانسانية . في الوقت نفسه الذي فيه حل جميع الاعتراضات والصعوبات التي اوردها بيروس البطريرك ضد هذه القاعدة المختصة بالايمان . ولا شيء من الوسط كل اشتباه وريب حتى ان البطريرك المذكور نفسه قد غلب من الحق وعرف ضلاله . فنبذه عنه باعتراف شهير وتمسك بتعليم القديس مكسيموس في هذا الشان الذي هو تعليم الكنيسة الجامعة * وصنع تاليفاً وجيزاً يتضمن اعتقاده بهذه الحقيقة . وحضر الى مدينة رومية ليعرضه على الحبر الاعظم ثاودوروس الذي قبله بكل حب وبكرامة تليق بمقامه ووظيفته البطريركية . ولكن هذا التعيس اي بيروس بعد مدة حينما كان في مدينه رافينا قد رجع الى ضلاله نظير الكلب الى قيئه *

رابعاً فمجاهدة القديس مكسيموس ومحاماته عن استقامة الايمان بشجاعة فبمقدار ما اكبسته مجداً وشرفاً عند محبي الحق . فباكثر من ذلك قد اضرمت نيران البغضه ضده في قلوب كل الارثقة المونوتاليتيين في الوقت الذي فيه جعلت روح الحسد ان ينتعش ضده في قلوب البعض من الكاثوليكيين انفسهم . كما هي عادة البشر الفاقدي الاستقامة * ومن ثم قد اشاع اوليك وهولاء عنه تهماً باطلة . لان بعضهم كان ينسب له الضلال مع المونوتاليتيين اعينهم . وبعضهم كان يصوره مبتدع الاراء الجديدة في انه توجد في المسيح ثلث ارادات متميزة ومختلفة * فالقديس حامي عن نفسه بتاليفات عديدة منها ما كان به يبرر ذاته من تلك التهم الكاذبة . ومنها ما كان به يويد هذه القاعدة الدينية اي وجود ارادتين في المسيح الهية وانسانية * ولكن في هذه التاليفات المشار اليها لم يكن يعبا بما يخص شخصه الخصوصي . بمقدار ما كان يهمه امرٌ باهظ يخص الايمان والكنيسة الجامعة والحق عينه * ثم كي يتلاشى ضلال الارثقة المونوتاليتية بابلغ نوع قد أُلتيمت في بلاد افريقية عدة مجامع حضرها القديس مكسيموس الذي بواسطة جهاداته القوية فيها قد تحرمت هذه الارثقة وتحددت القضية الدينية عن الارادتين في المسيح اي بحسبما هو الهٌ وبحسبما هو انسانٌ

وبعد ذلك ذهب القديس المذكور الي مدينة رومية كي يسعى عند السدة الرسولية في استعمال سلطانها الاعلى بحرم هذه الارتقة مع تابعيها محددةً نهاية هذه القاعدة الحقيقية * فالحبر الاعظم القديس مرتينوس الاول قد عقد جمعيةً من اساقفة جزيلي العدد سنة ٦٤٩ في كنيسة القديس يوحنا اللاترانية في مدينة رومية وبعد الفحص الكافي قد حُرمت الارتقة المونوتاليتية تحريمًا احتفاليًا سينودوسيًا * وقد زيَّف هذا المجمع الاعلامين الملوكيين اللذين كانا يعضدان هذه الارتقة ووضعهما تحت الملام الثقيل * فاحدهما كان مصدرًا سنة ٦٣٨ من الملك هرقل تحت تسمية اشهار الايمان . وثانيهما كان مبرزًا سنة ٦٤٨ من الملك قسطانته المتملك وقتئذٍ في القسطنطينية تحت تسمية تيبون او صورة الامانة . واخيرًا هذا المجمع رشق بالحرم الكبير الاناثيما جميع تابعي الارتقة المذكورة لاسيما سارجيوس وبيروس وبولس البطاركة القسطنطينيين وكيروس البطريرك الاسكندري المحسوبين روس هذه الارتقة *

خامسًا فلما بلغت اخبار ما صنعه هذا المجمع الروماني الي الملك قسطانته قد احتمى غضبًا وكتب حالاً الى ازاركا الوكيل الملوكي المقيم في مدينة رافينا مامرًا اياه بان يقيد مكسيموس ويرسله الى القسطنطينية لانه كان هو علة جميع ما كمل في المجمع المتقدم ذكره * فهذا الحتم الملوكي قد بلغ مفعوله . وهكذا قيد القديس مكسيموس بالسلاسل اذ كان في سن سبعين سنة ليرسل من رومية الى القسطنطينية صحبة اثنين من تلاميذه مقيدين نظيره وهما انسطاسيوس الاوكريساريوس وانسطاسيوس البسيط * فأُرسلوا اذًا جميعًا في مركب بحرًا . وكان وصولهم الي المدينة المتملكة سنة ٦٥٣ * فحالما بلغ مركبهم الي هناك قبض على القديس مكسيموس من اوليك الجنود الذين بامر الملك كانوا ينتظرونه . وهولاء عروه حالاً من ملبوسه وسحبوه في الشوارع بعذابٍ واهانةٍ وطرحوه وحده في سجنٍ خصوصي مانعين عنه مواجهة كل احدٍ * ثم بعد ايام ما احضروه الى الديوان القيصري حيث كانت مجتمعة المشيخة . وكان المتقدم فيهم خازن الملك الذي تهدد هذا القديس تهديدات ثقيلة وافتراء عليه بشتايم مهينة جدًا . موردًا ضده تهمات كاذبة مختلفة الانواع لاسيما بانه كان هو احد المخامرين على الاضرار التي حدثت للمملكة . وانه كان عدوًا محضا للملك * غير ان القديس بكل هدوٍ كان يبرر ذاته من تلك التهم الباطلة ببراهين قاطعة . حتى ان

اوليك القضاة اضحوا مبلبلين غير قادرين ان يثبتوا عليه شيا منها ومع ذلك فقد عاملوه ظالمًا كانهُ اثيم وارسلوهُ الى السجن العام بمنزلة فاقد الصيت وطرحوه فيه مع المذنبين المشتهرين بالماثم المدنية ❋

سادسًا ثم ان القضاة بعد مدة من الزمان قد اجتهدوا بواسطة شهاداتٍ زور في ان يثبتوا على القديس مكسيموس تلك الذنوب المدنية التي تهم بها حتى يمكنهم ان يبرزوا ضده حكمًا احتفاليًا به يظهرون لدى الشعوب ان مكسيموس لم يكن عوقل بهذه المعاملات المهينة لاجل الايمان الكاثوليكي بل لاجل ذنوبه . وهكذا بقوة العذابات تحت هذه الحجة يسهل لديهم ان يجذبوه لوضع اسمه في تيبون قسطانته: وان يشترك مع بولس البطريرك القسطنطيني المحروم من المجمع الروماني كاحد رؤس الارتقة المونوتاليتية ❋ ولكن اذ انهم ما قدروا ان يحصلوا على شهاداتٍ كذا . فقد ذهب اليه في السجن رجلان من اصحاب الوظايف الملوكية . واخذا يوردان له الحجج التي كانا يظنانها مقنعة اياه للارتضا بما اشرنا اليه ❋ غير انهما عوضًا عن ان يقنعاه قد غلبا من براهينه وسنداته واقتنعا ببراراته . ولكنهما قالا له اخيرًا ان ثباته على رايهِ انما يغيظ الملك ❋ فحينيذٍ القديس ركع على الارض باكيًا واجابهما قايلاً : « ان الملك لايجب ان يغتاظ مني اذا لم يمكني ان اجذب ذاتي الى « ان اغيظ الله بصمتي عن الحقايق التي امر تعالى بان يعلم بموجبها » ❋ وعلى هذه الصورة « خرج من عنده الرجلان المومي اليهما من دون ان يحصلا منه على مرغوب الملك ❋ فبعد مدة من الزمن قد أُحضر من جديد القديس مكسيموس امام الديوان القيصري . حيث لم يعد احد القضاة ياتيه بذكر التهم الباطلة المدعى بها عليه قبلاً . بل انهم شرعوا يوبخونه علانيةً على مقاومته بالبراهين ضد تيبون قسطانته وعلى مساعيه الفعالة بما صنعه المجمع الروماني ❋ فالقديس عند ذلك لم يخجل اصلاً بل بشجاعةٍ وباعترافٍ مجيد قد اثبت حقيقة تصرفاته . من غير ان ينكر مجاهدته عن حقايق الايمان . مبرهنًا بايضاح وباجوبة شديدة على كل ما سيل عنه فاخيرًا اذ تهددته القضاة بموت شنيع . فبكل دعةٍ واتضاع اجابهم قايلاً : « فليصنع بي جميع ما يشاء الله اذ اني لا افتش على شي اصلاً الا عما به يمكني ان امجده تعالى » ❋ فلهذا بعد ان تداول الملك مع متقدمي الاكليروس القسطنطيني . قد عول الراى على ارسال القديس مكسيموس مع تلميذيهِ الى المنفى كل منهم في مكانٍ منفصل عن

الاخر * وعلى هذا النوع قد أُرسل القديس مقيدًا بالسلاسل الى مدينة بيتسيا . ومثله انسطاسيوس ابو كريساريوس الي ماذانبريا . وكذلك انسطاسيوس البسيط الي بيربارا . وهذه الامكنة هي فى اواخر حدود المملكة . وقد تم ذلك سنة ٦٥٦ *

سابعًا فالاضامات والعذابات والضنك والاهانات التى تكبدها هولا الثلثة المعترفون ليس فقط فى مدة سفرهم الشاسع . خالين من ضروريات المعيشة ومعدومين كل معونة . بل ايضًا بوجودهم فيما بعد في بلادٍ كان يسكنها البرابرة الوثنيون الخالون من الروح الانساني نفسه ولكن من حيث ان هذه الاشيا باسرها لم يمكنها ان تنتصر على صبر جنود المسيح الشجعان وعلى ثباتهم في حومة ميدان المناضلة عن الايمان . فقد افتكر الملك قسطانته في ان يستعمل لجذبهم ان امكنه الي قبول التيبون والى الاشتراك مع المونوتاليتيين وسايط اخر * وهي انه قد ارسل من قبله الى القديس مكسيموس في مدينة بيتسيا اناسًا معتبرين وهم ثاوضوسيوس مطران قيسارية المعدود من اعظم رجال الشيعة المونوتاليتية . ثم بولس وثاوضوسيوس القنصلين لكي يبذلوا كل ما عندهم من الجهد في اجتذابه الى رايهم . من حيث انهم كانوا مقتنعين بانه متى امكنهم ان ينالوا منه هذا المرغوب فلا يعود يوجد احد يضاد ضلالهم . بل الجميع تبعًا للقديس مكسيموس ينقادون الي معتقدهم * فهولا القصاد قد وصلوا الي مدينة بيتسيا في ٢٤ اب سنة ٦٥٧ . ولما اجتمعوا بالقديس وشرعوا يحتالون في اقناعهِ . فقد اضحوا بهذا المقدار منذهلين من براهينه وما كان يستشهده من الكتب الالهية ومن اقوال الابا القديسين عن صحة المعتقد الكاثوليكي بوجود ارادتين في المسيح . حتي انهم اقتنعوا منه مسلمين لرايه . واوعدوه بانهم يبذلون جهدهم مع الملك في ان يرفض ضلاله المتعتق فيه وبان يتمسك بمعتقد القديس مكسيموس الذى هو معتقد الكنيسة الجامعة القويم *

ثامنًا غير ان مواعيد هولا القصاد لم تبلغ مفعولها عند الملك بعد رجوعهم اليهِ واعراضهم لديه كل ما حدث . بل انه قد رجع القنصل بولس الى بيتسيا بموجب مرسوم بهِ امر باحضار البار مكسيموس الى دير القديس ثاودوروس في راكا بالقرب من القسطنطينية . كما انه رسم برجوع تلميذي القديس من مازامبريا وبيرارا الى الدير المذكور * فهناك حضر عند القديس من قبل الملك الرجلان المتقدمان في الشرف ابيفانيوس

وترويلوس. البطريقان. صحبة ثاوضوسيوس مطران قيسارية عينه * ولما اجتمعوا معاً بالقديس في كنيسة الدير المذكور قد اوضح له الرجلان المذكوران اوامر الملك التي بها كان يطلب منه ان يضع امضاه في التيبون بنوعٍ ظاهر. ولو انه في الباطن استمر على اعتقاده الخصوصي. وان يشارك المونوتاليتيين. موعدين اياه من قبل الملك بكل الكرامات وبعلامات الشرف. وانه ان لم يتم ذلك سيُعاقب باشد العقوبات * فالقديس مكسيموس عند سماعه هذه الاقوال اجاب على الفور بعدم قبولها. وانهُ لا يمكنه لا ظاهراً ولا باطناً ان يخون ذمتهُ ويغيظ الله خاصةً في قضيةٍ تلاحظ الايمان. وانهُ لا يستطيع احد ان يجتذبه الى هذه الخيانة ولو كان مزيناً باية سلطةٍ كانت عالمية * فلما سمع منه الحاضرون هذه الاجوبة استشاطوا عليه غيظاً. وامتلاوا منه رجزاً. ووثبوا عليهِ نظير كلابٍ. معاملينه باهانةٍ وضربٍ ونفلٍ في وجههِ بنوعٍ يرثي له. واخيراً سلموه مع تلميذيه المذكورين الى الجنود. وطرحوهم في حبسٍ كايب. واعرضوا واقعة الحال على الملك ليعلموا اردته باوامر جديدة في هذا الشان *

تاسعاً فبعد مدةٍ زمنيةٍ قد أُحضر القديس مكسيموس مع تلميذيهِ من السجن الى القسطنطينية. وأُدخلوا الى المجمع اللصوصي الذي كان التيم هناك من اساقفة مونوتاليتيين. الذين اباحوا كل ما عندهم من الحيل ليمكنهم ان يجتذبوا القديس او تلميذيهِ الى الاشتراك معهم والي قبول معتقدهم والي رفض القديس مرتينوس البابا والقديس صفرونيوس بطريرك اورشليم مع كل المحامين معهما عن الارادتين في المسيح * غير ان القديس مكسيموس مع تلميذيهِ قد ابوا عن قبول ذلك راذلين هذه المطالب النفاقية الاراتيكية بشجاعةٍ * ولهذا قد حكم عليهم المجمع الخبيث المذكور بالحرم الكبير. وبان يقطع لكلٍ منهم لسانه ويده اليمنى وبان يتيدوا ويرسلوا الى المنفي مؤبداً في حبسٍ ضنكٍ * فهذه الحكومة الظالمة وضعت حالاً بالعمل بقساوةٍ بربرية. وبعد ان قطعوا لسان القديس مكسيموس ويده اليمنى في ٢١ كانون الثاني اي في مثل هذا اليوم وكذلك صنعوا مع تلميذيهِ البارين قد نفوهم جميعاً الي بلاد لاتسيا * ولكن من حيث ان القديس لم يمكنه المشي ولا الركوب. فحملوه مربوطاً واخذوه الي المنفي المذكور فسجنوه في قلعة سكاماري. وحبسوا تلميذه انسطاسيوس ابو كريساريوس في حصن بوكولوس الذي في مازميانا عند حدود الاني.

وسجنوا تلميذه الثاني انسطاسيوس الراهب فى قلعة ابسيليا * فمن دون ادني ريب يجب ان يعتقد بان الباري تعالى كي يظهر قدرته الضابطة الكل . ويحفظ الكنيسة وللعالم اجمع تذكارًا غير مايت لعجايبه ويكسب هولاء الثلثة المعترفين مجدًا ساميًا واكاليل غير فاسدة في السما . قد حفظهم بنوع فايق الطبيعة فى الحيوة زمنًا مديدًا * بعد هذه المعاملات القاسية واهبًا اياهم الاستطاعة علي النطق والتكلم كما يخبر كاتب سيرة حياتهم الصادق مع ان السنتهم كانت قطعت من قرمها *

عاشرًا فالقديس مكسيموس قد فارق هذه الحيوة . بعد ان امتلاء من السنين الاستحقاقات التي اكتسبها لذاته بجهاداتهِ عن الايمان الكاثوليكى باقوالهِ وبتاليفاته الجليلة السامية . التي انحفظت الى الان نظير كنزٍ فايق الثمن . وبعذاباته الشديدة التي احتملها في مدة سنين عديدة حتي استحق بكل عدلٍ لبس تسمية معترف فقط بل تسمية شهيد ايضا * ثم انه انتقل الي الحيوة الابدية لياخذ مجازاة اعماله المجيدة متملكًا مع المسيح في سعادته المغبوطة الي دهر الداهرين . وكان ذلك فى اليوم الثالث عشر من شهر اب الذى فيه تحتفل الكنيسة اللاتينية نظير اليونانية بتذكار نياحه المجيد . هذا ما عدا اليوم الحاضر الذي تكرم فيه الكنيسة اليونانية تذكار قطع يده ولسانه *

فنحن يلزمنا ان نتخذ من نموذج شجاعة القديس مكسيموس ان نغار على الحق ونثبت مجاهدين عنه حسب التزام كلٍ منا بمقتضى دعوته ووظيفته . سواء كانت الحقايق ملاحظة الايمان والديانة او مختصة بالاداب والعدل والفوايد الصالحة . فاي نعم انه بهذا الشان يصادف كلٌ منا صعوباتٍ ليست بقليلة من حيث انه كما يقول القديس اغوسطينوس : « يوجد كثيرون لاسيما فيما بين عظما العالم الذين لايحبون الحق الا بشرط « ان يكون مقترنًا مع تلك الاشيا التى هم يميلون اليها ويرغبونها ولذلك يضادون كل « من يورد لهم الحقايق التى توبخ رذايلهم واميالهم المخرفة ويقاومونه بقوة « ولاجل هذا يوجد « ايضًا كثيرون الذين يفشلون من قبل الهوان والخوف من الاضامة فيهملون بدناءة المحاماة عن الحق ويضلون مع الضالين كما تم الامر في المشرق في زمن حيوة القديس مكسيموس ولكن يجب لن لايخفينا شي من ذلك جميعه . من حيث ان الله الذي هو الحق بالذات وهو المسلط على العالم وعلي ملوكهِ وعظمايهِ فهو نفسهُ . (كما يضيف القديس اغوسطينوس قولهُ

هذا الى كلماته السابقة). يقوينا على المجاهدة عن الحق . وينجينا من سلطان العالم والجسم ايضًا . حسبما صنع مع القديس مكسيموس ومع تلميذيه المعترفين * اذ انه تعالى بعد ان اعضدهم وايدهم جميعًا على احتمال مشقات هكذا عظيمة قد كللهم اخيرًا في السما بالاكلة الجيدة الغير الفاسدة * غير اننا لكي ننال من الله هذه المواهب . فيلزمنا ان نكون نظير القديس مكسيموس رافضين محبة الخيرات الزمنية ومحتقرين الشرف والغنى والجاه والكرامات العالمية بجملتها . ليستطيع ان يقول كلٌ منا ما قالهُ عاشق الثالوث مكسيموس هذا العظيم وهو : « فليصنع بي جميع ما يشا الله . اذ اني لا افتش على شي اصلاً الا عما به يمكنني ان امجدهُ تعالى » *

* سيرة القديس الشهيد ناوفيطوس *

اولاً ان القديس الشاهد ناوفيطوس قد ولد في اواخر الجيل الثالث في مدينة نيقية من اقليم البثنية من ابيهِ ناودورس وامهِ فلورنسيا الحسني العبادة في الديانة المسيحية . وقد املا الله عبدهُ هذا الفتي من نعم غير اعتيادية حتى انه وُجد مزينًا بالصفات الحميدة وبالفضايل المسيحية منذ حداثتهِ . كما وقد خُصص منه تعالى بموهبة صنع بعض عجايب * وكان اهتمامهُ الاخص بالمواظبة على الصلوات والاعتنا بالاشيا الروحية . وحينما كان يذهب الى المدرسة وغيرها فمرات كثيرة كانت تظهر عليه حمامة مرفرفة حول وجههِ ملقنةً اياه كلماتٍ سماوية *

ثانيًا فيومًا ما اذ كانت والدتهُ فلورنسيا حاضرة . جاءت اليه الحمامة المومي اليها وبدأت تخاطبهُ . ومن شدة الخوف والتحير اللذين اعترياها سقطت على الارض عادمة النسمة ومن ثم ركع القديس ناوفيطوس على الارض متوسلاً لله بحرارةٍ من اجلها . وهكذا مسك بيدها واقامها حيةثم بعد ذلك شرع ينفرد اوقاتًا دون اوقاتٍ في جبل اولمبوس مواظبًا على التضرعات لله والمخاطبة معه تعالى بالصلوات العقلية واللفظية وكان له وقتئذٍ من العمر نحو خمس عشرة سنة فقط ومع ذلك فكان يعتبر كانه شيخٌ في تلك السيرة *

ثالثًا فلما انقدت نار الاضطهاد الوثني العاشر بالعدد المصنوع من الملك دبوكلاتسيانوس ضد المسيحيين قد شكي لدى داكيوس والي مدينة نيقية على هذا الشاب القديس الذي كان ذايع الصيت في حسن السيرة المسيحية * ولذلك ارسل فقبض عليهِ

واحضرهُ اليهِ واذ سمع منهُ اعترافهُ الشهير بالمسيح وضعهُ تحت العذابات الكلية القساوة التي احتملها الفتى الشهيد بصبرٍ عجيب اذهل كل من راه فحينما نظر داكيوس ثبات عزمهِ العديم الانغلاب . حكم عليهِ بالموت حريقًا في اتون النار * فلما اخذه الجلادون وزجوه في المواقد المضطرمة في شدتها . قد منحه الله ما كان وهبهُ لاقرانهِ بالسن الثلثة الفتيان في اتون بابل لانه خرج من الاتون حيًا من دون ان يناله ادنى مصابٍ ردي *

رابعًا فالوالي الغليظ العنق والكثيف العقل بالعمى الروحي عوضًا عن ان ينتبه لذاتهِ من حدوث العجوبة هكذا عظيمة ازداد قساوةً وحكم على الشهيد بان يطرح للوحوش لتفترسهُ * فلهذا قد اقيد القديس الى المشهد العام ووُضع في الميدان وأُطلقت ضده الوحوش الكواسر * الا ان القدرة الالهية التي اخمدت عنهُ مفعول النار المتاججة فهي عينها نزعت عن هذه الحيوانات الضاربة القوة الغضبية . اذ استحالت الى وداعة الحملان * غير انه ولا بهذه الاعجوبة ايضا هداء غضب المغتصب . بل كفرعون اخر تصلَّب قلبهُ قساوةً وامر بان يقطع راس الشاهد * ولما تم الجلاد هذه الحكومة انتهى بها جهاد القديس في السنة الخامسة عشرة من عمره * اما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكارهُ الشريف نهار امس اي في اليوم العشرين من شهر كانون الثاني *

فاعمال سيرة هذا الفتى الجليل في القديسين الشهدا يجب ان تكون نموزجًا وقدوةً للشبان المسيحيين في ان يروضوا ذواتهم منذ نعومة اظفارهم في الفضيلة والعبادة الحارة لله وفي المواظبة على الصلوات وامانة الحواس . وبالا يقتدوا باولئك الشبان الذين يربون في قلوبهم في زمن صبوتهم محبة اباطيل العالم والاعتنا بالملابس والانعكاف على الملذات والتنعمات التي تقد فيهم نيران الشهوات الدنسة التي مرات كثيرة يبيحون لها ذواتهم . وهكذا بمقدار ما يتقدمون في العمر فباكثر من ذلك تناصل فيهم الرذايل وترافقهم الى الشيخوخة . كما يقول الروح القدس على فم الحكيم : « ان الشاب حسب طريقهِ وان شاخ لايحيد عنها » * بل فليحرصوا على ان يميتوا الامهم منذ حداثتهم . مبجنين في عقولهم ذكر النيران الجهنمية المعدة للزناة والمفسودين * واما اذا ما اتقنوا الفضايل في سن صباهم . فتعود سيرة حياتهم مقدسة يستحقون من اجلها زيادة النعم الالهية . ويبلغون بواسطتها الى السعادة السماوية التي سبقهم اليها القديس ناوفيطوس *

* اليوم الثاني والعشرون *

* وفيه تذكار القديس تيموتاوس الرسول والشهيد في * * الابرار انسطاسيوس الفارسي *

اولاً ان احد الرجال الرسوليين الذين في جيل الكنيسة الاول قد مدوا الانذار بالديانة المسيحية الى جميع اقاصي الارض. قد كان القديس تيموتاوس تلميذ القديس بولس الرسول ورفيقه في الانذار بالانجيل المقدس * فهذا القديس اي تيموتاوس كان مولوداً في مدينة ليسترا من اقليم ليكاونيا في اسيا الصغرى * فوالده كان وثنياً . واما والدته المدعوة افنيكي فكانت من العبرانيين نظير امها جدته المسماة لويدي * فالقديس بولس الرسول يشهد عن هاتين الامراتين القديستين انهما قد ربيتا الرسول تيموتاوس تربيةً قديسةً . اذ كانتا مملوئين من التقوى والعبادة لله . اي انهما كانتا علمتاه حقايق معرفة الاله الواحد . وصيرتاه ان يتعمق في قراءة التوراة منذ حداثتهِ * وبعد ذلك اعتنقتا مع تيموتاوس نفسهِ الايمان المسيحي . ولما مضي القديس بولس الرسول الى مدينة ليسترا وشاهد ان المومنين هناك كانوا يحترمون تيموتاوس جداً لاجل فضايلهِ وحسن صفاتهِ . قد اختاره له تلميذاً خاصاً وذلك نحو سنة ٥٢ للمسيح * ولكي يكون هذا التلميذ مفيداً ليس لاجتذاب الوثنيين فقط الى امانة المسيح بل اليهود ايضاً . فلاجل هذه الغاية ولان والدته كانت عبرانية قد الزمه الانا المصطفى معلمه القديس بولس بان يختتن * فالقديس يوحنا فم الذهب مدح جداً حكمة هذا الرسول في تنازلهِ مع الضعف البشري بالزامهِ تلميذه بقبول الختانة مع معرفتهِ انها لم تكن ضرورية له على الاطلاق . بل لكي يكتسب العبرانيين الى الايمان . كما انه يمدح طاعة القديس تيموتاوس وغيرته ومحبته لخير القريب في احتمالهِ عذاباً ليس بوجيز وباخضاعهِ ذاتهُ الى ما لم يكن ملتزماً بهِ . لا من قبل مولده لانه كان ابناً لاب وثني ولا من قبل ديانة المسيح . بل لاجل الغاية المتقدم ذكرها كي يمكنهُ باكثر سهولةٍ ان يتداخل مع العبرانيين ويقنعهم بالايمان بيسوع المسيح *

ثانياً فالقديس تيموتاوس اذاً منذ تتلمذه لهذا الرسول العظيم بولس اهمل وطنهُ واقرباهُ وموجوداتهِ وتبعه في اسفارهِ من مدينةٍ الى اخرى ومن اقليم الى اخر مبشراً معه بالانجيل . ومشتركاً بالاضطهادات وبالاحزان والمشقات وبكل اهانة قد حدثت لهُ وما

كان يفارقه الا باذنهِ * ولذلك استحق المديح السامى الحقيقى من هذا الرسول لاجل هذه الاشيا ولاجل فضايله والمواهب التي املاه منها الروح القدس * فالاناء المصطفي في رسالتهِ الي الرومانيين يسمى تلميذه تيموتاوس مساعدهُ وشريكهُ في بشارة الانجيل * وفي رسالتهِ الى القرنتيين ينبههم علي ان يقبلوا تيموتاوس الذي ارسلهُ اليهم بكل ذلك الاحترام والكرامة المحققة له كخادم ليسوع المسيح وكمساعدٍ له في كرازة الانجيل وانهم يعتبرونه كولدهِ الحبيب . وفي رسالتهِ الى الفيليبوسيين يوعدهم بارسال تيموتاوس اليهم سريعًا لانه لم يكن لديه اخر يساويه غيرةً ويتشبه به في كل شي سواه . لاسيما نظرًا الي طاعتهِ له مثل ما يطيع الولد اباه ونظرًا الي خدمته اياه بمحبة وامانةٍ في بشارة الانجيل * واخيرًا في رسايل عديدة كان هذا الرسول الالهي يضيف اسم تيموتاوس الي اسمه . لكي يوضح لكل الكنايس التي كان يحرر لها تلك الرسالات كم كان يعتبر تلميذه هذا الحبيب . ثم ليعرفهم كيف يجب ان يحترموه كمنتخب من الله للوظيفة الرسولية ليساعده في الانذار بالشريعة الانجيلية في كل العالم *

ثالثًا غير انه من الرسالتين اللتين كتبهما القديس بولس الى تلميذهِ هذا يفهم بابلغ نوع كم كان استحقاق فضايله ساميًا فقد كان معلمه المصطفي من ذى قبل رسمه بالدرجة الاسقفية . وهو نفسه يشهد عن عظم النعمة التى نالها بوضع يديهِ عليه بهذه الرسامة من قبل الروح القدس حتى حصل على روح النبوة ايضًا . وكان خصصه لسياسة كنيسة مدينة افسس المتقدمة فيما بين مدن بلاد اسيا الصغرى مسلمًا اياه العناية بكنايس ذلك الاقليم الاخر ايضًا * ففي الرسالة الاولي التى حررها له من مكدونيا نحو سنة ٦٤ الي افسس حيث كان مقيمًا يعطيهِ تسمية ولده الحبيب . ويحرضه على الثبات في الايمان الذي قرره امام شهودٍ كثيرين ۞ وبهذا يشير الرسول الالهي الي اعترافٍ بالمسيح مشتهرٍ كان صنعه القديس تيموتاوس . حينما قُيد لاجل الايمان مقررًا امام الولاة والقضاة الغير المومنين * ثم يوصيه بهذه الرسالة عينها بان يضاعف اثمار النعمة التي كان اقتبلها من الروح القدس حين ارتسامه بالدرجة الاسقفية . وبان يحرس جدًا في انتخابه الي الدرجات المقدسة اوليك الخدام المفيدين الكنيسة الذين يعين له الصفات الواجبة ان تتلالا فيهم . وبان يحفظ وديعة التعليم النفيس الذى كان تعلمه منه . مسلمًا اياه بالتقليد الي اخرين يكونون

كافين ان يعلموه لغيرهم ليتصل بالتسلسل الى الاحقاب المقبلة . وبان يتجنب الاحاديث الباطلة والاقاويل الغير المفيدة ليس فيما يخص حقايق الايمان فقط . بل تلك المختصة بالاقوال البشرية ايضاً . وبان يثابر على مطالعة الكتب المدسة لكي يمكنهُ بموجبها ان يحرض الاخرين على عمل البر ويتاصل هو فيه بابلغ نوع . وبان يكون هو نفسه نموذجها حيًا للطهارة والعفة والصبر والاتضاع والمحبة مع سائر الفضايل الاخر الواجب ان يتزين بها الرعاة الصالحون الذين ايتمنوا على الخراف الناطقة ❋

رابعًا ثم اننا من هذه الرسالة نفسها نفهم جيدًا ان القديس تيموتاوس لم يكن يستعمل شرب الخمر . وانه كانت مستولية عليه امراض جسدية مختلفة غير معروفة منا كيفيتها . كما انها ليست معروفة التقشفات الاخر التى كان يصنعها بصرامة . حتي انه احتاج الامر الي ان يكتب له معلمه الرسول الالهى بان يستعمل قليلاً من الخمر لاجل تقوية معدته ومنع الامراض التى كانت تضيمه ❋ فحيوة القديس تيموتاوس كانت مفيدة لخير الكنيسة الجامعة حتى انها كانت مستحقة ان تحفظ بانواع غير اعتيادية ❋ الا انه ولين كانت موهبة صنيع العجايب في تلك الازمنة معطاة ليس للرسل القديسين فقط بل لكثيرين من المومنين البسيطين ايضًا . فمع ذلك لم يرد القديس بولس ان يستخدمها في شفا تلميذه هذا الحبيب من امراضهِ . وذلك كي يجعله بافضل نوع ان يتقدم في الكمال وان يتشبه بمعلمه الالهي بالالام ❋

خامسًا وقد حرر هذا الرسول المصطفى الى تلميذه تيموتاوس الرسالة الثانية قبل استشهاده باشهر قليلة حينما كان مقيدًا بالسلاسل مسجونًا في مدينة رومية ❋ ولذلك أُعتبرت رسالته هذه كانها وصيته الاخيرة . لانها كانت متضمنة التوصية والتذكرة التى يصنعها ابٌ صالحٌ لابنه الحبيب قرب وفاته . حسبما يسميهِ بها ولده الحبيب . موضحًا له فيها ارادته الاخيرة التي انما كانت حسب ارادة يسوع المسيح في ان يقدم دمه من اجل حبهِ تعالى ❋ ثم يكرر له البراهين التي ذكرها له في رسالتهِ الاولى . مشددًا عليه التوصية بالسلوك بموجبها . ومنبهًا ايـاه بان يستعد متاهبًا الى احتمال الالام من اجل محبته ليسوع المسيح مضيفًا الي ذلك بان جميع الذين يعيشون بتدين حسن يضطهدون بهذا النوع وهكذا يتوسل اليه بان يحضر بواجهه قبل فصل الشتا ليشاهده . كون اشواقه اليه كانت وافرة

وبان يحضر له صحبته الفلونية او الرداء مع بعض كتب رق كان تركها في تروادا واخيراً يوضح له انه فيما بين السلاسل التي كان مقيداً بها قد أُهمل من الجميع على نوع ما . وانه ليس لاجل ذلك قد انغم من كونه وضع كل رجاه في يسوع المسيح . الذي بعد قليل كان مزمعاً ان يهبه اكليل العدل الذي وعده به معدّاً له اياه في مجده ✻

سادساً فاما كيف كانت افعال القديس تيموتاوس بعد ان وصلته هذه الرسالة من معلمه الانا المصطفى فهذه هي مجهولة منا * فالبعض يخصصونه بتلك الالفاظ التي امر الله للقديس يوحنا الانجيلي بان يكتبها الى ملاك كنيسة افسس قايلاً : « اكتب الى ملاك كنيسة افسس « هكذا يقول الضابط السبعة الكواكب ببده اليمنى السالك في وسط السبع المنابر الذهب « اني عارفٌ باعمالك وتعبك وصبرك وانك لاتقدر ان تحتمل الاشرار . وقد جربت « القايلين انهم رسلٌ وليس هم كذلك ووجدتهم كذبة . وانت قد صبرت واحتملت لاجل « اسمي ولم تضجر . لكني واجدٌ عليك انك تركت محبتك القديمة . فاذكر الان من اين سقطت « وتب واعمل الاعمال القديمة . والا فانا آتي اليك وازعزع منارتك من موضعها اذا لم « تتب . لكن هذا الشيء عندك لانك ابغضت اعمال النيقولاويين التي انا ايضاً ابغضها (رويا ص ٢ ع ١ وما يتلوه) * فاذا فرضنا ان هذا التنبيه قد حرر من قبل الله للقديس تيموتاوس كما يبان ان ذلك هو حقيقي . فهذا لاينقص اعتبار القديس المذكور المعتبر بهذا المقدار من القديس بولس معلمه على ان ذلك لايوضح ان القديس تيموتاوس كان سقط في زلةٍ ما ثقيلة . بل انه كان يلزمه ان يجدد فيهِ حرارة الغيرة والخدمة . وانه ينهض من جديد مفعول تلك النعمة التي كان اقتبلها بواسطة وضع اليد حين ارتسامه اسقفاً . حسبما كان القديس بولس عينه قبلاً نبهه على ذلك ✻

سابعاً ثم ان الكنيسة الجامعة تكرم القديس تيموتاوس الرسول بصفة شهيدٍ ليسوع المسيح على انه يوجد تقليد قديم جداً يوضح انه حينما كان يوماً ما الوثنيون في مدينة افسس يحتفلون بعيدٍ شهير للصنم ديانا . وفيه كانوا يغيرون كيفية ملبوسهم . ويغطون وجوههم باوجه من كتان مشمع . ويحملون بايديهم عصياً ضخمة . ويجولون في الشوارع . وان القديس تيموتاوس اذ احتمى بالغيرة من هذا النوع الذي كان يجلب معه اشياء مختلفة من الاثام واخذ يوبخهم عليهِ بزيادةٍ مبرهناً لهم نفاقه ومجتهداً في اقناعهم بتركهِ . وبان ينتبهوا

لانفسهم رافضين ضلالهم. فاوليك قد امتلوا ضده رجزًا واخذوا يضربونه بتلك العصى ويرجمونه بالحجارة التي بها قد فارق هذه الحيوة * وكان ذلك في مثل هذا اليوم اي في ٢٢ كانون الثاني سنة ٩٧ للمسيح. ولين كان السنكسار الروماني يعين تذكاره المجيد في اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر *

فيجب علينا ان نتامل حسنًا في انه ان كان رسول فاضل نظير القديس تيموتاوس قد احتاج الى ان ينبهه الروح القدس على ان يصنع تجديد حرارة العبادة والامانة. فكم يلزمنا نحن بابلغ من ذلك ان نتجدد بروح صنيع التوبة. وبان ننعش فينا حرارة العبادة وروح الامانة من اجل خطايانا التي يمكن ان لا تكون هكذا قليلة وخفيفة. وكم ينبغي لنا ان نثابر على افعال البر والاعمال الصالحة وبان نضرم فينا نار المحبة التي هي اساس كل فضيلة مسيحية. في الوقت الذي فيهِ نحن نوجد فاترين متراخين * فلنتذكر اذًا التنبيه الذي قدمه الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى القديس تيموتاوس بقولهِ: «ان نهاية الوصية هي المحبة من قلبٍ نقي وبصيرةٍ صالحة وامانة لا مرايا فيها» *

* سيرة حيوة الشهيد في الابرار انسطاسيوس الفارسي *

اولاً ان القديس انسطاسيوس الشهيد في الابرار هو احد اوليك الذين اعتنقوا الايمان بالمسيح في بلاد فارس. حينما أُخذ الى هناك عود الصليب الكريم من مدينة اورشليم سنة ٦١٠ من قبل الفرس * (الذين بسماحٍ من الله قصاصًا عن خطايا المسيحيين قد استولوا على بلاد المشرق. وادثروها بالسيف والنار واخذوا صحبة عود الصليب ليس جميع اواني الكنايس وزينتها الثمينة فقط. بل عددًا من المومنين وافرًا ايضًا. الذين فيما بينهم كان البطريرك زخريا الاورشليمي) *

ثانيًا فهذا القديس اي انسطاسيوس كان ابنًا لرجلٍ ساحر من متقدمي مملكة الفرس. ولذلك حينما كان انسطاسيوس متمسكًا بالديانة الوثنية كان يدعى الساحر * فهذا قد كان والده رباه في اعتقادات الضلال الوثني وعلمه باجتهادٍ صنعة السحر الشيطانية الاثيمة. وبعد ذلك ادخله في طغمة العساكر الفارسية التي كان له بها ابنٌ اخر متقدمًا في الوظايف الجندية عند الملك كوزروا * فانسطاسيوس اذًا كان حاضرًا امام هذا الملك حينما رجعت عساكره من اورشليم. مقدمةً لديهِ فيما بين الاشيا الاخر التي نهبوها

عود الصليب الكريم ضمن صندوق من فضة * فانسطاسيوس قد اجتهد في ان يعلم ماذا كان ذلك الصليب ولاي سبب كان المسيحيون يكرمونه بهذا المقدار . ومن ثم دنا من البعض من المسيحيين الذين أُخذوا الى هناك اسرى وبداء يسالهم عن ذلك وهم قد شرحوا له بكفاية ما يحويه سر التجسد الالهي . وان ابن الله قد تنازل لان يموت باختياره بالجسد مسمراً على هذا العود لكي يفي لعدل الله ابيه عن خطايا البشر ويخلصهم من اسر الشيطان ويكتسب لهم الحيوة الابدية * فهذا الشرح قد اقتبله انسطاسيوس بعذوبة ومن كون نعمة الله حركته باطناً . فصمم ارادته على ان يصير هو ايضاً تلميذاً لمن علق على الصليب متمسكاً بالايمان به * ولهذا بعد مدة من الزمن تنزل باختياره عن وظيفته الجنديه وسافر الى مدينة حلب الشهبا . والتصق برجل مسيحي فارسي الاصل كان هناك صايغاً في مكان ضرب المعاملة حيث كانت وقتيذ المدينة المذكورة تحت ولاية الفرس * فاخذ يتعلم عنده صنعة الصياغة . وفي الوقت عينه اشهر له ذاته انه مومن بالمسيح . ولذلك كان يرغب ان يقتبل سر المعمودية * اما الصايغ المومى اليه فلخوفه من ان تلتحق به مصيبة ما من هذا القبيل . لاجل ان الفرس ما كانوا يطيقون ان يشاهدوا احداً من قبيلتهم متمسكاً بالديانة المسيحية . فكان يعد انسطاسيوس من حين الى حين في قضية المعمودية . ولكنه لم يتاخر عن ان ياخذه صحبته مرات كثيرة الى الكنيسة * ولما كان انسطاسيوس يشاهد فيها صور استشهادات القديسين ويستفهم عنها . وتشرح له سيرهم وانهم قدموا دماهم من اجل الايمان بالمسيح . فكان يزداد فيه يوماً فيوماً الشوق نحو اقتبال المعمودية ليصير تلميذاً ليسوع المسيح *

ثالثاً فلاجل هذه الغاية قد سافر هو سنة ٦٣٠ الى اورشليم حيث التجاء الى رجل مسيحي صايغ واخبره عن رغبته نوال سر الصبغة الالهية فهذا قد اخذه الى رجل كاهن قديس يدعى ايليا الذي بعد ان علمه جيداً قواعد الايمان وارشده حسناً في واجبات الديانة قدمه اخيراً الى موداستيوس وكيل البطريرك زخريا (الذي كان وقتيذ اسيراً في بلاد العجم) . ومنه بتعزية كلية اقتبل سر المعمودية . الذي فيه وُضع له اسم انسطاسيوس عوضاً عن اسمه السابق : الساحر : او بالحري : ماغوناد فلما ذاق انسطاسيوس لذة موهبة الله قد اضطرم فيه الحب بالاكثر نحوه تعالى . ومن ثم قصد ان يتبع سيرة الكمال المسيحي * فبعد

ثمانية ايام من معموديته خلع عنه الثوب الابيض الذى كانت تلبسه مدة ثمانية ايام الاشخاص المعمدون . وبواسطة مرشده الكاهن ايليا ذهب الي دير بعيد من اورشليم مسافة اربعة اميال . مخضعاً ذاته لرئيس ذلك الدير المدعو يوستينوس الذي البسه الثوب الرهبانى بفرح عظيم ومن ثم قد شعر انسطاسيوس بانه دخل الي جمعية ملكية في فردوس ارضي * فاستمر هناك سبع سنوات ساعياً باشد عزم فى تقديس نفسه بواسطة الرياضات الروحية . وبكل نوع من الاماتة بحسب سلوك جميع رهبان الدير . وكان مواظباً تلاوة الكتاب المقدس وسير الابا القديسين والشهدا الذين لم يكن يشبع من مراجعة اعمال استشهادهم . متاملاً في عظم صبرهم واضطرام حبهم نحو يسوع المسيح * حيث انه مرات كثيرة كان يغرق كتاب سيرهم بدموعه . مشتملاً بنيران الشوق نحو الله بالحب الشديد وبالشوق والرغبة في ان يحصل على الحظ السعيد بسفك دمه نظيرهم من اجله تعالي الذي لاجل حبه ايانا قد سفك دمه على خشبة الصليب *

رابعاً فالجود الالهي الذي اضرم في قلب انسطاسيوس هذا الشوق المقدس . قد سهل له من دون اعاقة الفرصة الملايمة للبلوغ الى مفعوله * على انه حينما توجه القديس المذكور الي مدينة قيسارية فلسطين التى وقتيذٍ كانت تحت ولاية الفرس . فهناك عرفه البعض من الطايفة الفارسية . وبامر والى المدينة بارزابانوس او مارزابانوس قد قُبض عليه وأُحضر امامه * فالوالى وبخه بجفاوة على الاهانة التي زعم انه سببها للفرس بتركه ديانته وبتمسكه بايمان المسيحيين وبلبسه الثوب الرهبانى وهكذا امره بان يغير رايه ويرجع الى اعتقاده السابق حالاً * غير انه لما شاهده ثابت العزم في الايمان بالمسيح حكم عليه بان يوضع القيد الحديد في رجليه وبان ينقل الحجارة نظير الاسرى الادنيا فالقديس انسطاسيوس قد قبل هذه الحكومة الجايرة ليس بصبر فقط بل بفرح وتهليل ايضاً . مباشراً في النهار نقل الحجارة الثقيلة وفي الليل الصلوات وترتيل المزامير في الحبس فيما بين السلاسل المقيد بها * فبعد مدة من الزمان قد ظن بارزابانوس ان اتعاب انسطاسيوس وضنك السجن ونقل الحجارة امكنها ان تلين صلابة عزمه . ولذلك امر باحضاره من جديد امامه . وجعل يتهدده بالعذابات الاعظم شناعة والاشد قساوة ان لم يطع امره برفض الديانة المسيحية * ثم سأله قايلاً : « اتراك لاترتعد خيفة من غضب الملك : » فاجابه انسطاسيوس : « انا لا

اخاف غضبه . لانه ما الذي يصيّرني ان اخاف انسانًا قابل الموت والفساد نظيرك . فانا
« اخاف بالحري من سيدي يسوع المسيح الذي هو الاله العديم الموت والفاقد الفساد .
« الذي صنع السماوات والارض والبحار وساير الاشيا الكاينة ضمنها » *

خامسًا فحينئذٍ الوالي امر بان يشجبوا انسطاسيوس على الارض . ويداوموا ضربه
بقساوةٍ بالعصي الي ان يغير رايه * فالجلادون ارادوا ان يربطوا القديس قبل ان يبتديوا
في ضربه . ما غير ان الشهيد قال لهم انهم باطلاً يتعبون ذواتهم في تربيطه لانه هو من ذاته
يقدم نفسه لاحتمال هذا العذاب لاجل محبة الله . الذي منه يومل القوة والمعونة لان
يتكبد الضرب من دون ان يتحرك * فقد ضُرب اذًا بشدةٍ وبقساوةٍ زمنًا مستطيلاً .
حتى ان المعذبين كلوا من التعب في جلده . بنوع انه عاد مهشمًا مرضضًا مكسرًا في جميع
اعضايهِ . وهكذا امر الوالي بحمله وبطرحه في السجن . حيث زاره اثنان من الرهبان
مرسلين اليهِ من قبل ريسه يوستينوس لكي يعزياه ويشجعاه * فبارزابانوس الوالي اخبر
الملك كوزروا بواقعة الحال في شان انسطاسيوس . واتاه منه الجواب بان يرسله الي بلاد
العجم لمواجهته ان كان يستمر ثابتًا في الديانة المسيحية * فالوالي اذًا ابذل كل جهده
ودرايته في ان يقنع القديس بنوعٍ من الانواع في موافقته امر الملك . ولكن اذ راى تعبه
ذهب باطلاً . قال له اخيرًا انه كان هو يكتفي منه بان يقرر امامه بحضور شاهدين فقط
سرًا انه ليس هو بمسيحي وبعد ذلك يتركه ان يذهب حيثما يشا حتى الي ديره ايضًا بحرية *
اما القديس فاضطرب من هذه الحيلة وصرخ قايلاً : « لايكن هذا اصلاً . اى اننى لاظاهرًا
« ولا خفيًا لارتضي على الاطلاق بان اغيظ سيدي يسوع المسيح » * ثم ان الوالي وعده
« على اسم الملك بعلامات الشرف وبالارتقا الى الوظايف العلياء وبالغنى الواسع * واما
« الشهيد فكان يعلي الصراخ هاتفًا : « انا لارفض بوجهٍ من الوجوه اصلاً مخلصي الذي
« اسجد له واعبده بكل قواى . ونظرًا الي مواهب الملك فانا ارفضها واحتقرها نظير الزبل
والقصرين » * فبارزابانوس عند ما شاهد ثبات انسطاسيوس العديم الانغلاب امر بعد
خمسة ايام بارساله مقيدًا الي بلاد العجم لمقابلة الملك كوزروا . برفق رجلين اخرين
مسيحيين مقيدين معه * ويبان انهما كانا من طايفة الفرس . لانه اعتياديًا ما كان يُرسل
من الشرق الى العجم بهذا النوع الا اوليك العجام انفسهم الذين كانوا يدخلون في ديانة

المسيح وينكشف امرهم ❋

سادساً فقد بلغ القديس انسطاسيوس الى المدينة التي ملك الفرس كان يجعل فيها اقامته . وهناك وضع في الحبس حيث حضر اليه رجل من اصحاب الوظايف مرسل من قبل الملك ليوعده عن لسانه بمواهب وكرامات ووظايف ان كان يوافق ارادته برفض ديانته المسيحية . وبالعكس قد تهدده عن لسان الملك بعذابات عظيمة وبموت بربري ان ثبت على عزمه ❋ فالشهيد اجابه عن ذلك جميعه قايلاً له : « لا تتعب ذاتك باطلاً . ولا عدت تكلف نفسك لان تكلمني باكثر مما اوردته . لاني بمعونة يسوع المسيح انا لن ارفض ابداً هذه الديانة التي انا اعترف بها . فاذاً اصنع بي الاشيا التي انت مامورٌ بصنيعها » ❋ فالمرسل من قبل الملك والمفوض منه التفويض اللازم قد صير حينيذٍ المعذبين ان يبطحوا القديس على وجهه . وبان يضعوا فوق قصبتي رجليه عوداً ضخماً طويلاً . وبان يصعد فوق طرفي هذه الخشبة رجلان من هنا وهناك ❋ فهذا العذاب القاسي احتمله هذا القديس بكل صبرٍ . وبعد ذلك وُضع في السجن ❋ واذ مرّت ايامٌ ما رجع الرجل المفوض من الملك عينه ليمتحن الامر من جديد لعله يملك اربه من انسطاسيوس . ولكن لما وجده على حال ثباته الاول صير الجنود ان تضربه بالعصى بشدةٍ . وبعد ذلك قد امر بتعليقهِ من يده الواحده في الهوا . وبان يربط في رجليه حجر كبير ❋ فتمموا هذا العذاب مدة ساعتين . من دون ان يقلق الشهيد او تضطرب روحه ❋

سابعاً فاخيراً حينما مرت خمسة عشر يوماً اخرى وشاهد الملك ثبات عزم انسطاسيوس امر بان يوخذ هذا الشهيد مع الاثنين اللذين أُرسلا من قيسارية فلسطين برفقته ثم سبعين مسيحياً اخرين كانوا محبوسين لاجل قضية الايمان . وبان يماتوا جميعاً خنقاً في النهر ❋ فالجلادون اخذوهم كافةً وخرجوا بهم الى حافة نهرٍ عميق . وشرعوا يربطونهم بحبالٍ في رقابهم . ويطرحونهم في النهر واحداً بعد الاخر فيختنقون ❋ اما القديس انسطاسيوس فقد بقي اخر الكل مشاهداً بعينيهِ هذه الحال ❋ ولذلك كان اصحاب الوظايف يقولون له ان يوفر عن ذاته هذه الميتة ويطيع الملك ويعيش سعيداً ❋ اما القديس فاذ رفع عينيهِ الى السما بجبٍ متقدٍ متاملاً قرب ساعة استشهاده المشتهى منه بهذا المقدار . اخذ يسبح الله ويباركه ويشكره قايلاً : « انني لقد كنت ارغب ان يصادفني نوع اخر من الموت اشد

« عذابًا واعظم الاما من هذا . وان اعضا جسدي تتقطع واحدًا بعد واحدٍ من اجل « حبي لسيدي يسوع المسيح . ولكن من حيث انه تعالى ارتضي بان اصادف نوع هذه الميتة « العدبة بالاكثر . فانا اشكره متوسلاً اليه بان يقبلها منى وبواسطتها ينتقلني الي ملكهِ « السماوي » * قال هذا والجنود مسكوه وطرحوه في النهر فاختنق . وبعده قطعوا هامته . وكان ذلك في مثل اليوم الحاضر اى فى ٢٢ كانون الثاني سنة ٦٢٨ * وقد شرف الله عبده هذا الامين بصنيع عجايب كثيرة بواسطة اعضايهِ المقدسة . كما يوكد ذلك الشهود العيانيون فيما تركوه لنا محررًا في تاليفاتهم الصادقة *

فنموذج هذا القديس الذي انتخبه الله من شعب امي بربري الى هذه السعادة يعلمنا ما هي العبادة الحقيقية لعود الصليب الكريم الذي بواسطتهِ افتدينا وما هي الثمرة التى يجب ان نجتنيها من قراتنا اعمال الشهدا القديسين . الذين كلهم كانوا تلاميذ حقيقيين الصليب الكريم المقدس * فعبادتنا لصليب يسوع المسيح لاتتوقف على كوننا نسجد له ونكرمه كانه علامة الانتصار بخلاص جنسنا البشري ونظير الةٍ قد ارتضى الجلال الالهي بان يستخدمها لضبط قوة الشيطان ولهدم مملكة الخطية . بل مع ذلك تتوقف حقيقة عبادتنا له علي ان نقتفي اثر يسوع المسيح المصلوب عليه . اي اننا نحمل صليب التجارب والمصايب والضنك والاهانات ونتبعه عز وجل بالنوع الذي يريد ان يفتقدنا بهِ في هذه الحيوة الوجيزة . لكي نصل فيما بعد الى الاشتراك بمجدهِ تعالى * فيقول القديس بطرس الرسول (ص ٢ ع ٢١ جامعة) : ان المسيح ألم عنا مخلفًا لنا بذلك مثالاً لكي نتبع اثره * ويضيف الى ذلك الانا المصطفى بقوله (رومانيين ص ٨ ع ١٧) : اننا اذ تالمنا معه ومن اجله فسنكون مشتركين في مجده ۞ فمن هنا ينتج ان اولئك الذين يرفضون التالم ويسعون وراء التنعمات العالمية . بالصواب يسميهم الرسول الالهى اعدا صليب المسيح (فيليبوسيوس ص ٣ ع ١٨) * ثم نظرًا الى سير الشهدا لا يستفيد شيأً (يقول القديس يوحنا فم الذهب) ذاك الذى يقرا اعمالهم ويتامل افعالهم السامية ويمدحها . ان كان لا يجتهد بان يتخذ لنفسه الثمرة من اتباع نموذجاتهم . نظير ما صنع القديس انسطاسيوس * اي ينبغي لنا ان نحتمل قل ما يكون بصبرٍ وبتسليم ارادةٍ تام لله جميع ما تريد العناية الالهية ان تفتقدنا بهِ لاجل خيرنا هذا . اذا لم توجد فينا فضايل وشجاعة تصيرنا ان نقتبل العذابات بفرحٍ وتهليل .

كما صنع القديس انسطاسيوس وغيره كثيرون من الشهدا من كل جنس وسن وقامة ودعوة * وقد يفيدنا ان نتذكر في هذا الشان الحكم الذي يحكم به القديس بولس الرسول نفسه (قرنتية ثانية ص ١ ع ٨) بقوله: «انكم ان كنتم شاركتموهم في الالام ستكونون شركاهم في العزا ايضاً» *

* اليوم الثالث والعشرون *

* وفيه تذكار الشهيد في الكهنة اكليمنضوس اسقف *

* انكره والشاهد اغاثنجلوس *

اولاً ان القديس اكليمنضوس اسقف انكره هو احد اوليك الشهدا المعظمين الشايعي الذكر . الذين ايدوا الامانة المسيحية ليس فقط بالاعتراف بها امام الملوك والولاة بشجاعة كلية . بل ايضاً باحتمالهم التعاذيب القادحة والموت عينه من اجل حقايقها المقدسة * فهذا القديس ولد في مدينة انكره من اقليم غلاطية بعد نصف الجيل الثالث من اب امي ولكن من ام مسيحية اسمها افروسيني . التي سبقت واخبرت عنه كانه بروح نبوي منذ طفوليته بانه كان عتيداً ان يسفك دمه شهيداً من اجل المسيح * غير ان افروسيني هذه رقدت بالرب حينما كان ابنها اكليمنضوس المذكور صغير السن . ومن ثم اذ بقي يتيماً اخذته امراة مسيحية غنية تدعي صوفيا واعتنت بتربيته حسناً *

ثانياً فبهذا المقدار كان ينمو الفتى البار بالقداسة والفضايل والعلم . حتي انه أُختير للدرجات المقدسة . مرتسماً شماساً انجيلياً وقساً ثم اسقفاً على مدينة انكره عينها في السنة العشرين فقط من عمره * وحينيذٍ اذ تسلم زمام تدبير هذه الابرشية . قد تلالات بافضل نوع فضايله الرعائية وغيرته المتقدة وعنايته الكلية في سياسة الخراف الناطقة التي أُستودعت لحراسته * فلما اشهر الاضطهاد ضد المسيحيين ديوكلاتسيانوس ومكسيميانوس الملكان في مبادي الجيل الرابع . وأُخبر دوميتسيوس والي مدينة انكره يوما ما بان هذا الاسقف كان يعمد من الوثنيين اوليك الذين كانوا يعتنقون الايمان بالمسيح مع اطفالهم ايضاً . ارسل فقبض عليه وعذبه شديداً لاعترافه امامه بالمسيح * ولما راه ثابتاً في الايمان من دون ان يقدر لا بالعذابات ولا بالمواعيد ان يضعف عزمه الراسخ على صخرة الاعتقاد بالديانة المسيحية . قد ارسله من انكره الى رومية ليحكم عليه الملك ديوكلاتيانوس نفسه بما يشاه *

ثالثًا فهذا الملك بعد ان امتحنه وعذبه طرحه في السجن صحبة كثيرين من الغير المومنين . الذين كانوا محبوسين هناك لاجل دعاوى مختلفة * وفيما بينهم كان رجل اسمه اغاثنجلوس * فاذ كانوا جميعًا في السجن . شوهد ملاك الرب اتيًا من السما بخبزٍ وخمرٍ مقدمًا اياهما للقديس اكليمنضوس * فلما راى هذا المنظر اغاثنجلوس امن بالمسيح هو واخرون من المحبوسين * الذين حالما عرف الملك عنهم ذلك . ارسل فاخرجهم من السجن وصير الجلادين ان يقطعوا روسهم. ما عدا اغاثنجلوس الذي صادف الفرصة الملايمة وهرب ناجيًا من القتل * الا انه لما فهم ان الملك ديوكلاتسيانوس حكم على القديس اكليمنضوس بان يرسل من رومية الى مدينة نيكوميدية . مسلمًا اياه لولاية مكسيميانوس قيصر . سافر هو في البحر سابقًا اياه الى نيكوميدية * التي حينما وصل اليها الراعي البار وشاهده هناك . تعزى به كثيرًا كانه ملاكٌ أُرسل اليه من السما رفيقًا له *

رابعًا فالملك مكسيميانوس بعد ان امتحن القديس بعذابات مختلفة الانواع رده الى مدينة انكره حيث احتمل اضامات وتعاذيب اخر . ولاجل اسباب مجهولة قد أُرسل او بالحرى اضطر للذهاب الى مدينة اماسيا ومنها الى طرسوس * وهناك ايضًا تكبد شدايد وامتحانات وعذابات في ازمنة ليست بوجيزة . واخيرًا أُرسل الى مدينة انكره عينها . اذ كان متوليًا عليها من قبل ديوكلاتسيانوس لوكيوس المملو قساوة . فهذا طرح القديس وارفاقه في السجن * ثم اذ كان القديس يومًا ما يكمل الذبيحة الالهية برفقة الذين معه ارسل الوالي امرًا في قتلهم كافةً وهذا الامر النفاقي وُضع بالعمل لان خدام الشريعة دخلوا الى الحبس وقتلوا الراعي الشهيد جملةً مع شماسيه الانجيليين خريسطوفوروس وخريطون . كما انه في اليوم عينه قتل الوالي القديس اغاثنجلوس وغيره كثيرين . وهكذا جميعهم فازوا باكلة الشهادة المجيدة * لاسيما الجليل في الشهدا القديس اكليمنضوس الذي يمكن القول عنه انه استشهد مراتٍ كثيرة . بمقدار عدد العذابات التي تكبدها الي الموت في مدن وبلدان مختلفة وفي اوقاتٍ متباينة ومستطيلة *

فحقًا لعظيمٌ هو سر الامانة التي من اجلها اهرقت دماهم مصافات من الشهدا بهذا المقدار كثرتها عظيمة . فيما بين تعاذيب مبرحة . كانوا يحتملونها بصبرٍ عجيب لاعترافهم بهذه الامانة المملنة من الله لكنيسته المقدسة . ومجاهدتهم بها بشجاعة ومن دون استحيا *

لان القلب يوتن لاجل البر. والفم يقر بالخلاص * فنحن الوارثين عنهم هذه الامانة عينها ارى اننا مكملون واجباتها والاعمال المختصة بها * فالقديس الرسول يعقوب يوضح قايلاً: «انه كما ان الجسم خلوًا من الروح مايت هو . فهكذا الايمان خلوًا من الاعمال مايت هو (ص ٢ ع ٢٦) » * فان كنا اذًا نروم ان يكون ايماننا حيًا يلزمنا ان نقرنه بالاعمال الصالحة التي ليس فقط بالاحادة عن كل شر . بل ايضًا بصنيع الخير * والا فيكون ايماننا ماينًا ونوجد غير عارفين فضل الهنا المحسن الينا بموهبة الايمان المجانية . التي لم يهبها تعالى الى مليونات عديدة من الغير المومنين المهملين فى ديجور الضلال وبالتالي اذا هلك احد من المسيحيين في جهنم بخطاياه . فيكون هلاكه امر واشد واكثر تعاسة من هلاك الذين لم يومنوا * اذ انه حسب قول القديس اغوسطينوس وغيره ان جهنم خلقت للشياطين وللغير المومنين . واما للمسيحيين الهالكين فكان يحق ان تخلق لكل واحد منهم جهنم خصوصية ذات سبعة اضعاف من العذابات . لعدم مراعاتهم نعمة الايمان والمواهب الخصوصية التي نالوها من الله برافته الغير المتناهية *

* اليوم الرابع والعشرون *

* وفيه تذكار امنا البارة كساني *

اولاً ان القديسة الملقبة كساني التي اسمها الخصوصي اوسابيا كان مولدها في مدينة رومية في اوايل الجيل الخامس من عيلة مزينة بالشرف الوسيم والغنى العظيم . كما وانها اي اوسابيا قد كانت جميلة جدًا في الخلقة . ومن ثم اذ بلغت الى سن الزواج فاقرباوها اهتموا باتحادها مع من كان من اقرانهم برباط الزيجة الناموسية . وقد تهيا كل شي من الجهتين لمباشرة هذا الاتحاد الشرعي الكنايسي *

ثانيًا غير ان البارة كساني التى لم تكن تشا عريسًا اخر سوى ذاك الذي زين نفسها بانعامه الالهية لاسيما بفضيلة حب الطهارة والعفة وحفظ البتولية . فليلة احتفال العرس عينها ومن مرقد تعريسها نفسه قبل دخول العريس اليها . عرفت ان تهرب سرًا صحبة اثنتين من جواريها ذاهبةً الي الميناء القريبة * ومنها سافرت بحرًا الي مدينة الاسكندرية حيث تاوت مع الجاريتين فى منزل فقري مفتكرة بان تجد طريقة بها تعيش فى الوحدة والنسك . بنوع يمكن لضعف جنسها ولظروفها الاخر ان تكون فيه امينة من كل غايلة

ومالكة ان تستطيع فيه اجتياز زمن حياتها ❋

ثالثاً فالباري تعالى استخدم لاتمام مرغوب امته البارة الصالح راهباً قديساً اسمه بولس الذي حضر اليها وفهم امرها. واخذ يرشدها مع جاريتيها في طريق النسك والعيشة الملايكية ثم ذهب بهنَّ الي مدينة ميلاسا القريبة من كريا. وهناك عمر كنيسة باسم القديس استفانوس امام الشهدا. وبقربها اقام مساكن ملايمة لهذه البارة مع الجاريتين حيث قطنَّ معاً ❋ وكان سمو نجاح القديسة في الفضايل عجيباً حتى انها أهلت من الجود الالهي الي موهبة صنع العجايب ❋ وبعد ان اذخرت لنفسها كنز الاستحقاقات والاعمال الصالحة المجيدة التي صنعتها مدة حياتها هناك. رقدت بالرب الذى جعل اسمها مكرماً في كنيسته الجامعة وذلك نحو سنة ٤٧٠ للمسيح ❋

فربما يخال للشبان والشابات ذوي الانعطافات الي تنعمات هذا العالم امراً كانه غير مصدق ان ابنةً شريفةً غنية جميلةً كما كانت القديسة كسانى ترفض ليس فقط زيجة اموسية سعيدةً موافقةً لشرف مولدها مقترنةً بكل نوعٍ من الراحة والتنعم. بل ايضاً ان تفارق وطنها واقرباها وتطوح ذاتها في مخاطر الاسفار وشدايد الفقر واضامة العيشة في بلادٍ غريبةٍ ❋ ولكن اذا تامل هولا الاحداث والحدثات من جهةٍ اولى سمو فضيلة الطهارة وحفظ البتولية. الامر الذى يجعل الانسان شبيهاً بالملايكة البريين من الهيولي ومن جهة ثانية كيف ان الله المعتني بخلايقه كافةً بوجه العموم يهتم بملاحظة خصوصية نحو اوليك الذين من اجلهِ تركوا كل شى ليخدموه تعالى وحده بطهارةٍ وقداسةٍ. وهكذا يزيل عنهم الموانع والصعوبات التى تصادفهم في طريق حيوةٍ نسكيةٍ فقرية مملوة من قهر الذات واماتة الحواس. الامر الذى يشعر بصعوبته بابلغ نوع من يكون تربى في عيلةٍ متمتعة بسعة الاموال وبمرتبة الشرف. ومن جهةٍ ثالثة اذا امعنوا النظر في قصر هذه الحيوة وفي بطلان تنعاتها وسرعة زوال خيراتها وفساد سعادتها. وكيف ان افراحها ذاتها ممتزجة بمرايز الاحزان المختلفة الانواع ❋ فحينيذٍ يعرفون جيداً ان هذه الجارية الحكيمة وامثالها من الابرار والبارات اصابوا كفلاسفة حقيقيين بما اختاروا. وقد عرفوا ان يخصوا عن الاشيا كلها ويتمسكوا باجودها. وان يدخلوا في الطريق الضيقة المبلغة بنوع امين الى الملكوت السماوي. حيث يتنعمون الان والى الابد بتلك السعادة السرمدية ❋

* اليوم الخامس والعشرون *

* وفيه تذكار الجليل في القديسين غريغوريوس الثاولوغوس *

* ريس اساقفة مدينة القسطنطينية *

اولاً ان اقليم الكبادوك قد اعطى الكنيسة الجامعة في الجيل الرابع رجالاً عجيبين في القداسة والعلوم * فبين هولاء قد اشتهر جداً القديس غريغوريوس المتعمق في معرفة اسمى الاسرار الالهية . ولذلك سمي الثاولوغوس اي المتكلم بالالهوت * فهذا القديس ولد نحو سنة ٣٢٨ في بلدة صغيرة تدعى اريانزوس تابعة لمدينة نوينزو من والديه غريغوريوس كان اسقفاً للمدينة المذكورة . ومن والدة تدعى نونا . وهما مملوان من الفضايل والنداسة . مكرمان من الكنيسة الجامعة فيما بين قديسيها * وقد كان لهما ما عدا القديس غريغوريوس ولدان اخران . وهما ايضا مكرمان في مدرج القديسين احدهما هو القديس كساريوس وثانيهما القديسة غريغوريا * فالقديس غريغوريوس الثاولوغوس كان ثمرة تضرعات والدته . التي اذ لم يكن لها سوى ابنة واحدة . فقد التمست من الله بتضرعات حارة ان يمنحها ولداً * ولما نالت منه تعالى الاجابة . فكان فكرها الاول بان تقدم هذا المولود لله حالما تلدهُ . وبعد ذلك تاتي بهِ الى الكنيسة مكرسة اياه لعبادتهِ عزَّ وجلَّ قبل ان يبتدي ان يتكلم * وقد تممت ذلك . وحينما جاءت بهِ الى الكنيسة قد صيرت يديهِ ان تلمسا الكتاب الالهي لكي تقدسهما بهِ * وحالما بدأ ان يقرا ويدرك المعاني قد سلمته الكتاب المقدس ليدرس فيه ويفهم جمله . ومنه يعرف الله . وبموجبهِ يدبر ترتيب سيرته * فغريغوريوس قد تم ذلك فعلاً منذ السنين الاولى من حياته التي فيها ظهر مرآة للحكمة والبراعة والفضيلة . التي كانت تنمو فيهِ بمقدار نموه في السن *

ثانياً فلما كان غريغوريوس بعد شاباً . راى في نومه رويا سماوية قد اثرت في قلبه الحب الشديد نحو العفة والطهارة * وهو نفسه قد شرح هذه الرويا قايلاً : « اني ليلة ما قد شاهدت في الحلم بتولتين متساويتين في العمر وفي الجمال . متزديتين باثواب كعادة ملبوس « البنات المسيحيات . من دون شي من الزينات العالمية . وكان لون اثوابهما ابيض « وتفصيلها متحد الذيلين وطويل لحد اقدامها . بزنار يحزم كلاً منهما على خاصرتها * « فاعين هاتين البتولتين كانت مطرقة في الارض . ووجه كل منهما مغطى بمنديل .

« وشفتاها كانتا مطبوقتين بنوع يشير الى كم كانتا تحبان الصمت * فقد عانقتاني كاني طفل
« صغير تحبانه بشدة . واما انا فاذ سالتهما ماذا كانتا تدعيان . فاجابتاني انهما الطهارة
« والقناعة رفيقتا يسوع المسيح وصحيبتا كل اوليك الذين يكرسون ذواتهم لله بواسطة
« امساكهم اميالهم وضبطهم حواسهم بالطهارة والقناعة *

ثالثًا فصورة هذه الرويا قد ابثت منطبعة في قلب غريغوريوس . بنوع انه طالما كان ينمو في العمر فكان يسعى بافضل نوع نحو اتمامها بالفعل ☉ وقد احب الطهارة بهذا المقدار . حتى ان جميع افعاله الظاهرة والخارجة كانت تدل عليها وتوضح فيه حقيقتها الباطنة ايضًا * ومن ثم كان يقول هكذا : « انني لاجل ذلك قد عقدت صداقة وودًا مع
« اوليك الذين اذ وجدوا محلولين مرة ما من رباط اتحاد الزيجة . وافصلوا قلوبهم من
« الاهتمام بهذا الدهر . فقد اخذوا ان يدرسوا متشبهين بيسوع المسيح تابعين اثر
« خطواته * فباتباعي نموذجاتهم تعلمت انا ايضًا ان اكون بعيدًا عن ان اضع على كاهلي
« نير الزواج الثقيل . وترجيت بان اكون من عدد اوليك الذين يقدمون لله نذر حفظ
« البتولية الدايم * فلما اني التهبت شوقا نحو نوع هذه الطهارة فلم اعد اعلم (لكي اتكلم على
« هذا النوع) ان اضع قدمي في هذي الارض . لاني كنت اتمنى ان اكون رفيقًا لطغمات
« اوليك الارواح السماوية الكلية طهارتهم . وكما ان الذين يذوقون بافواههم طعمة
« حلاوة العسل يجدون في باقي الاطعمة كرهًا فهكذا انا بعد ان ذقت لذة العفة والطهارة
« مرة ما لم يعد يمكني ان ادنو شفتي من الاثمار الحامضة التي تخرج من هذه الارض الحقيرة
« اي تنعمات الحواس الدنسة المنتنة * ولاجل ذلك لم تكن تسرني لا الولايم ولا الملابس
« المزينة ولا البهرجة والجمال ولا المخاطبات الممتزجة بقليل من قلة الحيا التي تشبه الرايحة
« المنتنة الخارجة من لحم مفسود * واخيرًا لاجل ذلك قد تنزلت عن المتنزهات المختصة
« بالشبان وعن استعمال الصيد والقنص * ومن حيث انني ما اعتنيت بان احصل على
« سعادة مهما كانت في هذه الحيوة . فقد احنيت عنقي لحمل نير الطهارة العذب الخفيف
« ومثله لاعتناق نير القناعة فهتان الفضيلتان كانتا تعتنيان بي وتحبانني وترفعانني الى درجة
« سامية من المجد . وتضعانني بامن في يدي سيدي يسوع المسيح *

رابعًا فوالدا القديس غريغوريوس لم يتغافلا عن ان يربياه تربية تليق بهما . ولهذا

بعد ان صيراه ان يدرس في مدينة نزينزو ويتعلم كل تلك العلوم التي كان يمكنه اكتسابها في المدينة المذكورة قد ارسلاه الى مدينة قيسارية وبعد ذلك الى الاسكندرية . واخيرًا الي مدينة اثينا * التى قبل ان يصل اليها كاد يغرق في البحر من قبل الاضطراب الشديد الذى صادف المركب المسافر فيه . وبنوعٍ عجيب بلغوا الي المينا سالمين * ففي مدينة اثينا التى كانت وقتئذٍ معدودةً كرسى العلوم . قد برع القديس غريغوريوس جدًا جدًا في اكتساب اقسام علم المنطق والفصاحة وعروض الشعر والعلوم الاخر * ولكن قد تعمق بنوع خاص في اقسام علم الفلسفة حتي ان جمع الذين تكلموا عنه عدّوه فيما بين اعظم علما الدهر وابرع الخطباء الذين ظهروا من بلاد اليونانيين * ومنه المدايح والنعوت التى قرظوه بها قد تاكد صدقها من قبل المالفات التي صنفها هذا العظيم في القديسين معلم الكنيسة الجامعه التى قد حفظتها العناية الالهية واتصلت الينا . وهي نظير كنزٍ فايق كل ثمنٍ * هذا مع ان القديس المذكور في مدة اقامته في اثينا لم يكن نجاحه العجيب منوقفًا على اقسام العلوم الطبيعية فقط . بل باعظم من ذلك في علم الكتاب المقدس الذى كان يفضله على كل شي حتى انه اذخر للكنيسة الجامعة كنز التفاسير السامية المعاني التي فاق بها على ما سواه . في الوقت نفسه الذي فيه حفظ ذاته من خداعات اللحم والعالم والشيطان سالمًا من طاعون نموذجات الشبان المفسودي السيرة ومن اى مثل ردى كان . الامر الذى كانت المدينة المذكورة مملوة منه اى من خطايا الدنس * بل قد وجد هو لكثيرين من قرنا سنه في جنسه قدوةً ومثالاً حيًا للفضيلة . ومشيرًا وقايدًا للسيرة الفاضلة ۞ وبالاختصار نقول انه سما في كل نوع من العلوم والاداب والفضايل . وهناك قد ارتبط مع القديس باسيليوس الكبير بتلك الصداقة والصحبة والمحبة التى يمكن عنها القول انها صورة حقيقية لكل صداقة وصحبةٍ ومحبةٍ مسيحية ونموذج لكل فضيلةٍ كما اشرنا عن ذلك باختصار في كتابتنا سيرة القديس باسيليوس الكبير المذكور ❋

خامسًا فبعد اقامة القديس غريغوريوس في مدينة اثينا على النوع السابق ذكره * مدة اثنتي عشرة سنة رجع الى وطنه بنية ان يتم هناك ما كان اتفق على صنيعه مع صديقه القديس باسيليوس الكبير . وهو انفرادهما معًا بالابتعاد عن العالم في العيشة النسكية بالاتحاد مع الله فقط * فالاستعداد الاول الذى صنعه القديس غريغوريوس لهذه الغاية

كان اقبالهُ لهُ سر المعمودية . الذي في تلك الازمنة كان كثيرون يؤخرون اقتبالهُ الى سن متقدم في السنين . ففي هذه الفرصة التي فيها قدّس ذاته بهذا السر . قفلها عنها كرس حياته كلها سرًا بابلغ نوعٍ . مقدمًا لهُ تعالى جميع ما اقتبله من خيريته الغير المتناهية . ان كان اموالاً او علومًا او مدائحًا او كرامةً . وبالاجمال كل شي ناله في هذا العالم كما يقول هو نفسه في احدى خطاباته هكذا : « انني قدمت كل شيء لمن حفظني لكي اكون بكليتي « وخاصتهُ * فقد كرست له جميع ما املكه وكل مجدي وعائلتي وصحتي وعقلي وموضوعات « مواطبتي . مع سائر الاشيا التي حصلت عليها من نجاحاتي واثمار اتعابي . وكل ما احتقرتهُ « ورفضتهُ . مفضلاً عليه بل على الموجودات باسرها يسوع المسيح * وقد تعبت كثيرًا « لكي اهذب روح الغيظ . واضبط اللسان في حدوده وارتب نظرات عيني . « واحفظ رسوم القناعة . وادوس برجليّ مجد العالم باجمعه « * غير انه يقول هذا « القديس في موضع اخر انه لم يحفظ لذاته على نوع ما سوى الفصاحة . مقدمًا اياها عند اقدام يسوع المسيح لكي يستخدمها في بعض الاحيان بما يكون راجعًا للبنا *

سادسًا فبموجب هذه الاستعدادات قد اراد القديس غريغوريوس ان ينفرد مختفيًا عن العالم لكي يكون بعيدًا بجسدهِ ايضًا عن جميع الموضوعات الخداعة الكاينة في الارض . ولكن (بقول هو عينهُ) : « من حيث اننا بعد العبادة والطاعة والاحترام الواجب علينا لله « يوجد التزامنا الاول نحو احترام من اتخذنا عنهم الوجود . والذين قد صيرونا ان نعرف « الله « * فهكذا اعتقد ضروريًا ان يفضل على رغبتهِ الانفراد في الوحدة اقامتهُ في بيتهِ لاجل مساعدة والديهِ اللذين كانا قد تقدما في سن الشيخوخة . وبالتالي كانا محتاجين الى عنايتهِ بهما * فقد مكث في مدينة نزينزو متعاطيًا مهمات العيلة . الامر الذي كان لديه ثقيلاً لارتباطهِ ضرورةً باستيلا المداخيل وابقاء الاموال الاميرية والمحامات في ديوان الشريعة عن بعض دعاوى تخص الاملاك . وبالاجمال بكل تلك الاشيا المتعلقة في عيلةٍ كبيرة * غير انه فيما بعد قد حصل على السماح بان يذهب الى صديقهِ الحبيب القديس باسيليوس الذي كان انفرد بالوحدة في البنطس . وهناك لبث مباشرًا معه افعال النسك والتاملات في الكتاب المقدس * ولكنه لم يستطع ان يستمر عنده مدة مستطيلة بل اضطر للرجوع الى مساعدة والدهِ في الامور الكنايسية ايضًا المتعلقة بسياسة ابرشية نزينزو

على انه اذ كان الاسقف الشيخ قد حصل له ما حدث لكثيرين من الاساقفة بانخداعهم من الاريوسيين بامضاء صورة الامانة الموفقة في مجمع ديميني فلاجل ذلك جميع رهبان ابرشية نزينزو مع جانب كبير من الشعب قد انفصلوا من شركة اسقفهم المذكور * فلما رجع ابنهُ القديس غريغوريوس من عند القديس باسيليوس وشاهد هذه الحال . افرغ مجهوده في تدبير هذه القضية وفي اتحاد الرعية مع راعيها . الامر الذي باتعاب كثيرة وصعوبات شتى قد تممه سابقاً فبعد نهاية هذه المادة المهمة اراد القديس الرجوع الى صديقه في الانفراد . غير ان والدهُ الاسقف لما شاهد عظم احتياجهِ اليه . حتم عليهِ غفلةً بقبول درجة الكهنوت . ورسمه بها من دون ان يعطيهُ مهلةً . خوفاً من انه يرفض قبول ذلك لمعرفتهِ كم هو ثقل هذه الدرجة التي كان يهرب من حمل نيرها . كما يقول هو نفسهُ ان الزامهُ على النور بقبولها كان لديه نظير ضربةٍ قوية . معترفاً بانه لاقوة له على اتمام واجباتها الامر الموجب ضرورةً علوماً سامية ومفهومية جليلة مع قداسة كلية في من يرتقي الى علو مقامها * فلكي يتعزى نوعاً عن قلق افكاره من قبل ثقل هذه الدعوة ثم ليستعد بافضل نوع لخدمتها . قد رجع عند القديس باسيليوس في البنطس * ولكن توسلات والدهِ في طلبه اليه الزمتهُ بالحضور الى نزينزو لاسيما لان الواجبات بالطاعة له كاب وكاسقف . وكريس كنايسي خصوصي لم تكن تبيح له التغافل عن تتميم ارادتهِ . موملاً في الوقت عينه من الجود الالهي انه مكافاةً لقهر ارادتهِ وطاعتهِ السريعه لابيه يمنحه النعم الضرورية للقيام حسناً بالتزامات درجة الكهنوت هذه *

ثامناً فاذاً بعد رجوع القديس غريغوريوس من الانفراد الى نزينزو . بتعزية عظيمة للشعب الذين كانوا هم ايضاً تضرعوا اليه كثيراً بالرجوع اليهم ليستمعوا من فمه كلام الله قد اكمل مرغوبهم بالعظة الاولى التي صنعها لهم في عيد الفصح سنة ٣٦٢ بتلك الفصاحة الغريبة المذهلة . التي أُعتبرت دايما فيما بعد كانها صفة خصوصية به * ومن حيث ان كثيرين كانوا تكلموا بانواع مختلفة عن مقاومته قبول الرسامة . وعن غمه بالتزامه بها . وعن هربه بعد ارتسامه . فقد ظن بالصواب انَّ تبرير نفسهِ مما قيل عنه في هذا الشان هو بغير اساس * ولذلك اوضح في خطابهِ خوفهُ الشديد من سمو واجبات هذه الدرجة قايلاً فيما بين الاشيا الاخر هكذا : « من حيث ان الله نفسهُ قد صيَّر ان تكون درجة الكهنوت فيما

« بين المسيحيين جليلة ومتميزة بعلامات الشرف والاحترام . فهكذا يلتزم الكاهن من « جهة اولى ان يمنع عنه كل تلك الموضوعات التى يمكنها ان تسبب الشك فيه . بنوع انه « لا تبقى لاحد علة ما للشكوك على الاطلاق . ومن جهة اخرى يلزمه ان يكون معافى من « كل ما يمكن ان يكون فيما مضى وجد فيه من شايبة ما ولو خفيفة » * ولاجل هذه الغاية « قد تلا مقالة نظير محاماة عن شخصه امام والده استف نزينزو بحضور جميع شعب المدينة ومحضر بعض اساقفة الافليم ايضاً . بها تكلم بنوع جليل عن سمو درجة الكهنوت وعظم التزاماتها الثقيلة . والاخطار الملمة بها * ومن ذلك استنتج الاسباب الباهظة التى صيرته ان يخاف من قبولها . ويهرب بعد ارتسامه بها . واخيراً الحجج التي الزمته بالرجوع طايعاً لمباشرة خدمتها *

تاسعاً ثم ان معلم الكنيسة هذا يبرهن في مقالته الموبي اليها عن الرسوم المقدسة التى تقليد الكنيسة يلزم بحفظها في حادث انتخاب الاساقفة والكهنة الي الدرجات المقدسة لاجل سياسة النفوس . ويعين الصفات المطلوب وجودها في المنتخبين ليمكنهم ان يتمموا خدمتهم باستحقاق * فيقول في هذا الصدد هكذا : على انه ليس هو بمستحق ان يقام بوظيفة راعٍ « ومرشدٍ للنفوس ذاك الذي يكون بفضايله ساميا على عموم البشر بمقدار ما تسمو روحه « على جسده . بل يلزم ان يكون الكاهن بعيداً من كل رذيلة * لان ذاك الشي الذى « يوجد في شخص اعتيادي صغيراً لاباس منه فهذا يكون في شخص راعى النفوس باهظاً « خطراً . لسبب ان نقايص الراعي يتمسك بها الشعب بكل سهولة بخلاف ما يتمسك « بفضايله مهما كانت سامية * لان الذي يختص بوظيفته ان يكون واسطة فيما بين الله « والبشر كما هو الكاهن فيحتاج ضرورة الى ان يكون امات الامة جميعها . وان يوجد بقدر « ما هو ممكنٌ للانسان الحامل ضعف البشرة ماهراً متروضاً في مصادمة السهام التى « تُرشق في الحرب ويصنعها اللئم ضد الروح * ثم يلزم ان يكون قلبه مشتعلاً بنار الحب « الالهى . ويوجد متفقهاً في اعظم اسرار الكتاب المقدس . ويكون بارعاً فهيماً في اسمى « قواعد الديانة » * وكذلك يوضح هذا القديس مقدار الصعوبات التى يصادفها الراعي في سياسة النفوس التي هي صنعة الصنايع . لان موضوع علاج النفوس هو اعظم من موضوع صنعة الطبيب فى علاج امراض الجسد * ولذلك صنعة راعي النفوس هى اصعب بما لا يجد

من صنعة الطبيب الجسدي . من حيث ان مرضى الانفس هم مختلفون عن مرضى الاجساد . وهم انفسهم يقاومون اخذ الادوية الروحية . ويبذلون بقدر ما يمكنهم الجهد في اخفاء اقسامهم ويحامون عنها * ومن ثم جميع النقايص التي تصدر من راعي الانفس ان تكن بخباثة او بجهل هي ذات خطر مبين للراعي عينه وللمسلَّمين لارشاده * فمع هذا وذاك (يقول القديس نفسه) : « يوجد كثيرون الذين ليسوا باجود من راع الشعب بوجه من الوجوه « بل يمكن ان يكونوا اعظم اسمًا منهم . مملوة ايديهم من الرشا وقلوبهم من النفاق . « يتجاسرون على خدمة الاسرار الكلية قداستها * واذ لا يكونون بعد اهلاً لان يلمسوا « بايديهم الاشيا الطاهرة . فمع ذلك يدخلون الي قدس الاقداس ويتزاحمون حول « المايدة المقدسة ملاحظين درجة الكهنوت كانها ليست بثقل متعب . ولا كانها نموذج « الفضايل ومثال الكمال . بل كانها صنعة يباشرها الانسان ليعيش منها براحة وكرامة « وكانها وظيفة شريفة لا يلتزم الكاهن بان يعطى عنها حسابًا لاحد *

عاشرًا فعلي هذه الصورة قد لبث القديس غريغوريوس مساعدًا لوالده في مهمات واجبات الاسقفية مدةً من الزمن . وبنوع خاص كان يباشر وظيفة الوعظ بصفة كاهن بسيط * وبواسطة دعته وعذوبة الفاظه وفصاحته قد اجتذب اخيرًا الي الوحدة والصلح جميع اولئك الرهبان الذين كما اشرنا انفًا كانوا انفصلوا عن راعيهم ابيه . وكان ذلك سنة ٣٦٤ * وهكذا قدم هو الشكر لله على هذه النهاية السعيدة . موردًا في خطبته التي صنعها يوم هذا الاتحاد كم هي ثمينة مفاعيل الصلح والسلام والاتفاق . وكيف انها موسسة على الحق والعدل * وفيما بين الاشيا الاخر التي تكلم عنها بخصوص الانقسامات التي وقتيذ لم تكن قليلة في الكنيسة يقول هكذا : « انه لا ينبغي لاحد على الاطلاق ان يظن باني اريد فيما « قلته ان يحب ويعتنق كل نوع من انواع الصلح والاتفاق للمختلفة الموضوعات لاني اعلم يقينًا « انه كما توجد انواع من الصلح والاتفاق جيدة وسلامية ومفيدة فهكذا توجد انواع اخر من « المصالحات والاتحادات ردية وخبيثة ومضرة * فانا لا اتكلم ولا اثبت صلحًا وسلامًا اخر « الا ذاك الذي هو جيد بذاته ويصنع لاجل الخير والبنا . والذي يتحدنا بالله * ولكي « اشرح ذلك بكلمات وجيزة اقول انه لا ينبغي ان يكون من تتعلق به الامور سهلاً بزيادة « متنازلاً برخاوة . ولا ان يكون صلبًا بشدة متقاسيًا عديم الانثنا متطاولاً . لاننا بذلك

« نتحد خارج الفطنة مع كلٍ من الناس من دون استثنا او ننفصل بجفاوةٍ من كل احدٍ
« من غير تمييز * فكلٌ من هذين النوعين هو خطر ومضاد خير الجمهور وحسن الترتيب *
« فحينما يتظاهر الاثم و يشتهر النفاق . ففي هذه الفرضية لايجب الصلح والاتفاق بل نلتزم بالا
« نخاف لا من السيف ولا من النار ولا من اي شي اخر عالمي . وبالحري بان نطرح ذواتنا
« تحت اي خطرٍ يلم بنا من ان نشترك متحدين مع الاثمة والمنافقين . ونصير غرما بالخطايا
« مطابقين على الضلال * على انه يلزمنا ان لانخاف من شي مهما كان بمقدار ما نخاف من
« اننا نرهب شيأ اكثر من رهبتنا من الله نفسه . ومن اهما انا تعليم الايمان واساس الحق .
« نحن الذين وظيفتنا انما هي خدمة الحق * ولكن حينما يكون الشي الذى يقلق سلامنا
« وصلحنا انما هو شي مبني علي الريب البسيط . وان خوفنا ليس هو موسسًا على قاعدة
« وطيدة . ففي هـذا الحادث يجب ان نتصرف بفطنةٍ . ونستعمل الصبر والاحتمال
« وبان نتنازل بدعة وحلم بمقدار ما يمكننا احري من ان نتجالد مصرّين على المقاومة * لانه
« امر جيد وفاضل هو ان تتحد الاعضا المتفرقة الى جسد واحد بعينه . وان يساعد احدنا
« الاخر بالمعونات المتبادلة و با لتنبيهات الموسسة على المحبة من اننا ننفصل احدنا من الاخر
« وهكذا نسبب للانفس اضرارًا غير قابلة الاصلاح » *

حادى عشر فقد واظب اذًا القديس غريغوريوس الخدمة المفيدة لوالدهِ ولابرشية نزينزو من دون ملل واما القديس باسيليوس الكبير الذي كان ارتسم ريس اساقفة لكرسى قيسارية ام مدن اقليم الكبادوك . فهذا الراعي الجليل راى ضروريًا ان ينشي كرسى اسقفيةٍ جديدة في بلدةٍ تدعي صازيمي موقعها عند جانب طريق القسطنطينية . ومن ثم اذ كان القديس غريغوريوس و والده من جملة المخضعين لرياستهِ قد اراد ان يرسم هذا الجليل اي غريغوريوس اسقفًا على هذا الكرسي الجديد * غير انه لما كان هو يابي قبول هذه الرسامة بكل قوتهِ وحدثت بينهما مراجعات ومكاتبات كلية في هذا الشان . حتى كادت تنثلم بينهما الصداقة لولا انها كانت موطدة على صخرة الحب الحقيقي * فاخيرًا القديس غريغوريوس قـد التزم طاعـةً لامر والدهِ ايضًا . الذى اتبع راى القديس باسيليوس . لان بحني هامته لاقلبه (كما يقول هو نفسه) لقبول هذه الدرجة * التي ولين كانت رسامتهُ بها قانونيةً من كل جهاتها . فمع ذلك كان يخاف من انها تسبب له تجربة

الصلف * غير انه حينما كان بعد رسامتهِ اخذًا بالذهاب الى ابرشيتهِ صازيمي . واذا بانتيموس ريس اساقفة تيانا قد اخذ التملك على الابرشية المذكورة . مدعيًا بانها كانت تختص بولايته الكنايسية * فالقديس غريغوريوس الذى لم يكن بعد باشر هناك شيا من الاحتفالات الاسقفية . قد اتخذ هذه الممانعة سببًا لان يرجع . منفردًا في مكان حقير خادمًا لجمعية فقرا كانت في ذلك المكان في البيمارستان *

ثانى عشر غير ان اباه القديس غريغوريوس لم يتركه ان يستمر زمنًا مستطيلاً في انفرادهِ بل دعاه لخدمة ابرشية نزينزو التي عجز هو عن خدمتها * اذ انه وقتيذٍ كان مقارب المائة سنة من العمر . ولهذا قد التزم القديس غريغوريوس باتباع ارادة ابيهِ * فحضر الى نزينزو ضد ارادتهِ الخصوصية . واشهر معلنًا لشعب نزينزو انه انما يقبل سياستهم بمنزلة مساعدٍ او عوضًا عن ابيهِ من دون التزامٍ مرتبط بدوام الخدمة . اي انه متى رقد والدهُ بالرب . فيكون هو حرًا معتوقًا من خدمتهم يفعل ما يلهمه الله بفعله * فبعد ان باشر القديس غريغوريوس سياسة ابرشية نزينزو كاسقفها مدة بعد سنوات . رقد ذلك الاسقف الشيخ القديس غريغوريوس والده سنة ٣٧٤ * وكذلك بعد نياحه ببعض اشهر رقدت القديسة نونًا ايضًا والدتهُ وبقي القديس غريغوريوس معتوقًا حسب الاتفاق من خدمة الابرشية وفقد والديهِ * وبالتالي لم يعد شي يصده عن تكميل رغبته بالانفراد * فشرع يبحث ذوي السلطان على عمل الانتخاب لاسقف جديد خليفةً لوالده . ولكن لما شاهد تماهلاً ليس بقليل فى هذه المادة خرج سرًا من نزينزو وذهب الي دير القديسة نقلا في سلوكيا من اقليم ايساوريا . وهناك انفرد متوحدًا مواظبًا اعمال الاماتات والتقشفات ثم الصلوات والتاملات في الكتب الالهية وفي الحقايق السماوية *

ثالث عشر فقد استمر القديس مدة ست سنوات في هذا الانفراد المحبوب منه . غير انه اذ كانت كنيسة القسطنطينية وقتيذٍ آلت الى حالٍ يرثي له من قبل الارتقة . خالية من راعٍ كاثوليكي يعتنى بشفا جسمها الممذق من الذياب الخاطفة * فلذلك جميع الكاثوليكيين الذين كانوا في هذه المدينة المتملكة والكاين فى اقليم تراكيا . باتفاق راي مع القديس باسيليوس الكبير والقديس ملاتيوس البطريرك الانطاكي وكل الاساقفة المتحدين معهما بالايمان . قد عوّل رايهم على ان القديس غريغوريوس يكون راعيًا لتلك

الكنيسة . ولهذا اخذوا جميعاً يكاتبونه ويحثونه ويترجونه بذلك من دون ان يقدروا في الاول ان يجذبوه الي الرضى * غير انه اذ تامل اخيراً في كثرة لجاجة الشعب الكاثوليكي وتوسلاته بدموع حارة مع ملازمة طلب الروسا الكنايسيين بشدة . فتاكد ان هذه هي ارادة الله ومشيته . التي ظهرت بهذا النوع كي يتدم له تعالي ذبيحة اتعاب هكذا عظيمة لاجل مجده وخير كنيسته . ولذلك ارتضى بهذه الخدمة . تحت شرط انه متى حصلت تلك المدينة علي راعٍ شرعي كافٍ لسياستها فهو حالاً يكون معتوقاً من تدبيرها *

رابع عشر فقد مضي اذاً هذا القديس الى القسطنطينية سنة ٢٧٩ . حيث اختارته العناية الالهية نظير موسى اخر ليخلص شعب تلك المدينة العظيمة راس مالك الشرق من ظلام الاراسيس . او بالحري نظير داود ثانٍ ليحارب جليات الجبار المتكبر * فبالحقيقة انه كان امراً مذهلاً . (كما يقول هو نفسه) ان يشاهد رجلٌ حقيرٌ جداً في اعين عظماء العالم من طايفة غريبه مولودٌ في بلدةٍ صغيرة . وكان لحد ذلك الوقت مختفياً في الوحدة في جانبٍ مهملٍ من جوانب الارض . متقدمٌ في العمر . نحيف المزاج من قبل امراضٍ . براسٍ منحنٍ ووجهٍ فاقد البها وبجسمٍ ناشف من قبل الاماتات والتقشفات وسكب الدموع . متردٍ باثواب رثة خاليةٍ من جنس الفضه والذهب . فقيرٌ مسكين يتخذ على ذاتهِ محاربة الارتقة المتصرة والمعضدة والمويدة من اناسٍ عظما مقتدرين متصفين بالجاه والكرامات والسطوة والسلطة العالمية . اغنيا متنفخين من الكبريا والادعا بالعلوم الكاذبه حاصلين . على كل الوسايط البشريه لتاييد اراهم . متقدمين على شعوب كلية العدد في المدينة المتملكة خاصةً غير ان القديس غريغوريوس الذي في الظاهر كان فاقداً كل معونةٍ وواسطةٍ بشرية قد كان باطناً غنياً بمواهب سامية . اي بتعمقهِ في اعظم اسرار الكتاب المقدس وفي العلوم الموسسة على الحقايق الانجيلية . وببراعتهِ في القضايا الدينية وفي تعليم الكنيسة الحقيقي وبفصاحتهِ الفاقدة من يماثلها . وببرارتهِ وقداسة سيرتهِ وفضايلهِ الفريدة في سموها وشجاعتهِ العديمة الانغلاب لاسيما نعمة يسوع المسيح الذي فيهِ وحده كان يضع جميع رجاه واتكاله ومنه لا من سواه كان يلتمس المعونة والتاييد بصلواتٍ حارة متصلة وبتواضعٍ عميق

خامس عشر فبعد وصول هذا القديس الى القسطنطينية قد نزل ساكناً في بيت البعض من اقرباه المتصفين بشهامة النفس والمملوين من خوف الله . المرتبطين معه

باعمال البر والغيرة على مجد الله بافضل نوعٍ من ارتباطهم معه بالقرابة الدموية * وهناك ابتدا الكاثوليكيون يجتمعون ليسمعوا من هذا الراعي الارشادات الخلاصية . وهكذا في مدة زمن وجيز قد استحال ذلك البيت الي كنيسةٍ . بها كانت تمارس الخدم الالهية نحو الشعب الكاثوليكي * وقد دعيت تلك الكنيسة : انسطاسيا : اي قيامة لاجل انه بها قام الايمان المستقيم كانه من القبر . بعد ان كان على نوعٍ ما مات في المدينة المتملكة * كما يتكلم القديس غريغوريوس عينه عن هذه الكنيسة قايلاً : « ان كنيسة الانسطاسيا « قد انهضت الي حيوة جديدة تلك الحقايق الدينية . التي كانت فيما سلف أُحتقرت « بهذا المقدار ◎ فهي المكان الذي فيهِ اكتسبنا الانتصار . وهي اضحت شيلو الجديدة التي « فيها تابوت عهد الرب وجد موضوعاً براحةٍ بعد جولانه في التيه مدة اربعين سنة « * وقد صارت فيما بعد هذه الكنيسة عظيمة وجليلة بنوع شايع الصيت . من قبل سخا الملوك الذين زينوها وجملوها بعمارات وزينات فاخرة جداً * ثم ان الشي الاول الذي شرع القديس غريغوريوس ان يتوجع عليهِ ويتكلم ضده اذ انه كان علةً لاضرارٍ روحية واعرة انما هو الجدال الذي كان يصير عن اعظم اسرار الايمان فيما بين اناسٍ لم يكونوا مرتشدين بالعلوم الحقيقية . بل ولا ببادي راهنة الواجب ان يتصف بها ذاك الذي يتقدم ليبرهن عن حقايق هذه صفتها * وكان يقول في هذا الموضوع هكذا : « انني حينما « اتامل في نوع الحرية العادمة زمام الخوف من الغلط والمستعملة بطلاقة التكلم المتملكة « في البعض الذين في يوم واحد يظنون بذواتهم انهم اضحوا علما . ولمجرد كونهم ارتسموا « كهنةً قد صاروا لاهوتيين . فاحصل انا متقدا بحرارة الشوق لان اختفي في زاوية من « الارض لكيلا اتعاطى مع انسانٍ اصلاً « * ولكي يقنع سامعيهِ بكم يجب عليهم ان يحسنوا الاحتراس في مخاطباتهم يضيف الى كلامه السابق هذه الكلمات قايلاً : واما الشي المستحق الندب بالاكثر فهو ان اناساً ليسوا بقليلين فيما بيننا لا يعقلون بكم من التدقيق والفحص « يراقب الله افكارنا واقوالنا وافعالنا . فهنا ليس ان الله وحده يصنع هذا الفحص بل « البشر ايضاً يريدون ان يراقبوا البشر ويفحصوهم . وهم اوليك الذين بمقدار ما هم متباطون « متمهلون متوانون في دينونتهم ذواتهم . فهم باكثر من ذلك سريعون نشيطون طلقون « في دينونة الغير وفي شجبهِ وعوضاً عن ان يعترفوا بجهلهم الخصوصي يشتكون على الاخرين

« كائنة * فلستم تعلمون يا اخوتي الاحبا بكفاية كم هو جيد الصمت ومفيد . وكم يجب على « الانسان ان يعتبر نعمة فضلى عدم التزامه بالتكلم *

سادس عشر وليلا يوجد من يقول عن هذا القديس انه كان يوصي الناس بهذا المقدار * بالصمت عن التكلم في اسرار الديانة . من كونه هو نفسه لم يكن كافيا لشرحها فقد الف اربع مقالات اوعظات . بها قد علم موضحا ببينات جليلة وبتفاسير صريحة عن سر الثالوث الاقدس . مفسرا جميع ايات الكتاب المقدس وكلماته التي كان الائمة يعوجون معانيها ويفسرونها بحسبما يلايم ضلالهم * ولاجل هذه المقالات السامية استحق تسمية المتكلم باللاهوت . وهذه التسمية لم تمنحها الكنيسة الجامعة لاحد القديسين الا لهذا العظيم غريغوريوس النزينزي من بعد القديس يوحنا الحبيب الانجيلي * ثم ان هذا الثاولوغوس في الوقت الذي فيه كان يرشد الشعب القسطنطيني الى حقايق الايمان الكاثوليكي . ففي عينه لم يغفل عن ان يرسم لهم الوسايط الملايمة للادب وحسن السيرة . معلما بان امر الخلاص الابدي لا يتوقف على التكلم كثيرا عن قضايا الايمان والاعتقاد بها فقط بل يلزم حفظ الوصايا الالهية والكنايسية ايضا . مع صنع الرحمة وتوزيع الاحسان على المحتاجين بحسب استطاعة كل احد وباضافة الغربا وزيارة المرضى واسعافهم . وبالمواظبة على الصلوات وسكب الدموع بالندامة على الخطايا . وباستعمال القناعة وقهر الارادة بالامساك وضبط الالام الغير المروضة . ثم باخضاع الجسد للروح * وبمقدار ما كانت نموذجات هذا القديس حية فعالة مطابقة لارشاداته فباكثر من ذلك كان يثمر في الشعب وعظه وامره الرعائية . لانه كان مستسيرا بعيشة مملوة من القداسة والكمال المسيحي بنوع لا يمكن وصفه بكفاية * فهو نفسه قد تكلم عن نوع عيشته في القسطنطينية بانه كان يجتاز الليالي بالتامل والمفاوضة وحده مع يسوع المسيح وبترتيل التسابيح والزبور الالهي مع اناس اخرين مناقلة . وكان يجد تعزيته العظيمة في امتثاله امام العزة الالهية . مغرقا وجنتيه بالدموع السخينة . ملتمسا منه عز وجل الانوار السماوية الضرورية له ولتقديس الرعية المؤتمن عليها * ولم تكن يداه متاخرة عن اسعاف المساكين والمرضى بكل بشاشة وطلاقة في الوقت الذي فيه قوي جسمه كانت مثقلة بصرامة التقشفات والامانات لان ماكوله الاعتيادي كان الحشايش والحبوب او (كما يقول هو) بما تغتذي به البهايم والطيور من غير تنميقات سوي الملح .

ولم يكن يستعمل مشروبًا ذا ثمن اصلاً * وكان يهرب من الامكنة الشهيرة في المدينة المتردد اليها الشعب لاجل المتنزهات كما انه لم يكن يذهب الي بيوت العظما لعمل زيارات لاطايل تحتها . مرتضيًا بالحري ان يحسب من البعض لاجل ذلك كرجلٍ خشن الطبع غير متخرج في امور العالم من انه يضيع الزمن في هذا الجولان * وقد كان بنوع غريب متجردًا عن محبة الارباح والمقتنى . حتى لو امكنه ان لايحوي عنده ولاتلك الملابس الحقيرة التي كان يستعملها لما كان تأخر عن ذلك *

سابع عشر فمن هنا يبان واضحًا انه لايجب الاندهال من عظم الاثمار الروحية والافادات الكلية والتغييرات العجيبة التي صنعها وعظه وتعليمهُ وارشاداته في الشعب القسطنطيني في ازمنة وجيزة . ولذلك كانت الشعوب تتقاطر الى استماع مواعظهِ بازدحام من كل جنسٍ وسنٍ ودعوةٍ نظير من هم لغوبون عطشًا مذيبًا عند مشاهدتهم نبع ماء رايقٍ يطفح في الحوض . كما يشير الى ذلك القديس نفسه * وقد كان يذهب لاستماع خطبه كثيرون من الارائقة انفسهم من اية شيعةٍ كانوا حتى الامميون الذين انشغفوا في فصاحته . ومن ثم ارتد الى الايمان الكاثوليكي في مدةٍ ليست مستطيلة من الارائقة عدد عظيم بهذا المقدار حتى استحالت تلك المدينة المنملكة الى حالٍ ضدية عما كانت عليه حين وصول القديس غريغوريوس اليها * اذ انه وقتيذٍ لم يكن الشعب الكاثوليكي الا جمعيةً صغيرةً . وبضد ذلك بعد هذه التغييرات لم يعد عدد الارائقة الا جزيئًا * وقد حصل اسم القديس غريغوريوس شايعًا وصيته ذايعًا في كل مكان . حتى ان اشخاصًا كثيرين كانوا ياتون من بلاد بعيدة الي القسطنطينية ليشفوا غليل اشواقهم بمشاهدتهِ . ولكي يستمعوا ارشاداتهِ وتعاليمهُ لافادة انفسهم *

ثامن عشر فتعزيات هذا الثاولوغوس العظيمة التي حصل عليها بسرور قلبٍ فايق الوصف عند مشاهدتهِ هذه التغييرات المجيدة والاثمار الخلاصية في الشعب لم تكن غير ممتزجة بمرايرِ المداقرات والمضادات والانزعاجات التي كانت تسببها لهُ الارائقة المصرون على ضلالهم * على انه حال بلوغهِ الى القسطنطينية شرع الضالون يستهزون به ويجعلونه سخرية وحكايةً للضحك والتنزه في كل موضع . مجتهدين بحيل مختلفة الانواع بان يفقدوه صيته الحسن . وبان يصيروه معيرةً فيما بين الناس . وبعد ذلك اخذوا يشيعون ضده تهمًا

شنيعة وتزويرات ردية فايقة التصديق * واما الشعب الواطي المتشرب الارثقة فكان في الطرقات يهينه ويفتري عليه . حتي انه مرة ما اخذ يرجمه بالحجارة بخطر فقد حياته . كما يقول القديس عينه بانه حينما قدم للشعب القسطنطيني مواهب الايمان المستقيم كهدية فاخرة قد استغل وكوفى مقابلة لهذه الهدية بضرب الحجارة التي رُشق منهم بها . وان تلك الحجارة على نوع استعاري كانت تشكو من حيث انها لم تُرشق منهم بقوة كافية ولا بضرب محكم لكي تبيد حياته . الامر الذي كان لديه مستحبًا في الغاية ليعطي به اعظم شهادة عن الحق * ثم بعد ان رُجم من الشعب بالنوع المقدم ذكره . أُقيد امام مدير المدينة الملوكي كرجل ضال ومضل ومسجس الهدو العام * ولكن من حيث ان يسوع المسيح كان المحامي عنه . فقد خرج من ذلك الديوان بدون ان يثبت عليه شي مهين اخيرًا قد اضمر عليه الارثقة مخامرة الموت بقتله سرًا بخيانة . فشابّ ما قد أُغرى من الاريوسيين على فعل ذلك وذهب بهذه النية لمواجهة القديس على انفراد * غير انه قبل ان يمد يده عليه ندم على قصده الردي واعترف به للقديس طالبًا منه الغفران * الذي ليس فقط قد منحه اياه هذا الراعي الصالح بل ايضًا جعله فيما بين اخص اصدقايه بنوع مشاع انذهل منه كل الذين عرفوا القضية

تاسع عشر واما ماذا كان روح القديس غريغوريوس ضد مضطهديه . فهذا نعلمه من الفاظه التي استعملها في احدى خطباته للشعب قايلاً : « انني حينما أُهنت وأُفتري عليّ « ورُجمت بالحجارة . فكنت اهتف باطنًا واتوسل قايلاً كما اني اقول ذلك الان ايضًا : « يارب لا تقم عليهم هذه الخطية . متفوهًا مع الرسول الالهي بقوله : اننا نلعن فنبارك نشتم « فنحتمل يفترى علينا فنتغدي « * ثم يوضح انه كان يتعزي بذلك باطنًا متاملاً في نموذج صبر يسوع المسيح * وفي موضع اخر حينما يتكلم عما احاق به من الاهانات والاضطهادات . يقول هذه الكلمات : « اني كنت بعيدًا عن ان احتسب الالام والهوان بهذا النوع شرًا « بل اعتقد بالحرى ان الشر يكون في عدم الالام خاصةً . بعد ان اختبرت الحقيقة « في ذاتي بعظم العذوبة والتعزية التي تحدث لمن يطوح ذاته تحت اى خطر كان من اجل « يسوع المسيح الذي قد حصلت منه علي مكافاة صبري اشاهد نمو عدد الشعب الكاثوليكي « بزيادة مرتدًا عن الضلال « *

العشرون غير ان الشي الذي من دون ريب احزن قلب القديس الثاولوغوس

بنوع امرٍ ما سواه . قد كان الحادث المخالف القوانين الكنايسية والاستقامة عينها . الذى تم في رسامة مكسيموس كينيكوس فالمذكور كان ضالاً في الايمان وردى السيرة . ولكنه عرف ان يخفى الامهُ ويتظاهر بالبراءة ويحسن الصفات . حتى انه اكتسب اعتباراً وكرامةً من كثيرين ومحبةً من القديس غريغوريوس عينه * ثم انه بحيل مختلفة وبالرشوة والمواعيد حصل على حزب كبير * وحينئذٍ صير بهذه الانواع الممقوتة ان بطرس البطريرك الاسكندري يرسل لـه من عنده بعض اساقفة * الذين لما بلغوا الى المدينة المتملكة وكان القديس غريغوريوس مريضاً طريح الفراش . رسموا مكسيموس المذكور في زمن الليل اسقفاً على الكرسى القسطنطيني * فهذا الحادث اوجب القلق والسجس في المدينة كلها . كما انه جرح فواد القديس الثاولوغوس لسبب تامله كم من الاثمار الردية كانت تنتج عنه الكاثوليكيين . وكم من الربح يصدر عنه للارثقة * غير ان الباري تعالى الذى هو وحده يعرف ان يخرج من الشر خيراً . قد صير هذه المادة ان تاول بابلغ نوع الى نجاح الكنيسة الكاثوليكية * علي ان مكسيموس كينيكوس طُرد من القسطنطينيه فيما بين الاهانات واللعنات والشعب مع الاكليروس قد انتدبوا القديس غريغوريوس راعياً شرعياً لهم بهتافات الفرح والانتصار والمدائح والتقريظات وتعلقت قلوبهم بحبهِ وباحترامه باشد من ذى قبل . مع انه كان عزم على ان يخرج من القسطنطينية * ومن حيث انـه بعد ذلك بزمن وجيز حضر الى هذه المدينة الملوكية الافغوسطوس ثاوضوسيوس الكبير . فهذا الملك اقتبل القديس بوقارٍ واكرام . وتوسل اليه والزمه ضد ارادته تبعاً لتضرعات الاكليروس والشعب بان يصعد الي كاتدرا القسطنطينية كريس اساقفتها وراعيها الشرعى . وهكذا طرد الاريوسيين هذا الملك الحسن الديانة من كل كنايس المدينة . وصير القديس ان ياخذ عليها التملك والاختصاص . مويداً اياه ومقدماً لـه كل علامات حقايق حبهِ اياه واعتباره فضايله وتوقيره سلطانـه الرعائي * وحينما التيم في هـذه المدينة المتملكه سنة ٣٨١ المجمع المسكونى الثانى . الذي تراس عليهِ في المبادي القديس العظيم ملاتيوس البطريرك الانطاكى . فالملك اجتهد بان هـذا المجمع عينه يثبت القديس غريغوريوس راعياً لتلك المدينة . الامر الذي اعتنى بهِ القديس ملاتيوس نفسه الى ان اقنع اخيراً القديس الثاولوغوس وارتضي بقبول ذلك * لاسيما لرغبته في ان يعد الكنايس

الشرقية مع الغربية . التى كان يوجد انفصال فيما بينهما بسبب الكنيسة الانطاكية التي كانت منذ ازمنة مستطيلة مبلبلة بالانشقاق الذى حصل فيها بوجود بطريركين كاثوليكيين على كاتدراها . وهما القديس ملاتيوس الذى قد عُرف وقُبل من جميع الاساقفة الشرقيين (الا ما قلَّ) انه بطريركها الشرعي القانوني . وباولينوس الذى كان متمتعاً في الشركة مع الاساقفة الغربيين والكنيسة الرومانية ✻

الحادي والعشرون فقد اتفق في زمن التيام المجمع المذكور ان القديس ملاتيوس رقد بالرب . وهذا الحادث كان يبان انه مفيدٌ لرفع الانقسام ولاتحاد كاثوليكيي الابرشية الانطاكية كما ان القديس غريغوريوس الذى وقتيذٍ قد تراس على المجمع المسكوني ابذل كل جهده في ذلك غير انه صادف صعوباتٍ كلية . من حيث ان عدداً وافراً من الاساقفة اخذوا يقاومون ارادته ⊙ واضيف الى ذلك انه حضرت وقتيذٍ الى المجمع المسكوني اساقفة الاقليم المصرى . وشرعوا يضادون تثبيته على الكاتدرا القسطنطينية ✻ فمن ثم اعتمد القديس على ان يتنازل عن الكرسى القسطنطيني . وان يعطي بذلك ميداناً لانتخاب راعٍ اخر بدلاً منه ✻ وبهذا الفعل السامى كان يحقق بافضل نوع كيف انه لم يعتد بشئ تلك الكرامات والرفعة والرياسة والاعتبارات . المرتبطة وقتيذٍ مع الكاتدرا القسطنطينية والمصيرتها محسودة ومرغوبة من كثيرين ✻ فاذاً قد دخل الي جمعية الاساقفة وقال لهم . انه اذ لم يكن لديه شئ احب واكرم من سلام الكنيسة وهدوها فمن حيث ان انتخابه للكرسى القسطنطيني يمكن ان يصير علة لبلبلة هذا السلام . فهو يرغب من كل قلبه ان يطرح فى قلب الجركيونان ثانٍ بحيث ان يهدا الاضطراب ✻ اى انه يريد ان يتنازل عن تلك الكاتدرا السامية ويذهب خارجاً ليعيش منفرداً . بشرط ان يصير الاتفاق والاتحاد فيما بين اعضا جسم المجمع المسكونى . وانه لم يكن يوجد لديه اعظم من هذه النعمة التي يتوسل اليهم في ان يهبوه اياها اي قبولهم تنذله ✻

الثاني والعشرون فالاساقفة عند سماعهم كلامه انذهلوا في الاول من هذه الشهامة . ولكنهم اخيراً قبلوا مطلوبهُ ✻ ولهذا قد خرج القديس من المجمع وذهب لمواجهة الملك ثاوضوسيوس قايلاً له بحضر جميع المجتمعين فى ديوانه هكذا : «انني قد اتيتك ايها الملك ملتمساً من جودك العظيم نعمة واحدة . فلا ترجاك بان تمنحني ذهباً او فضةً او ملبوساً

« ثمينًا . بل ولا اتضرع اليك بان ترقي احد اقربائي وانسبائي الى احدى الوظايف العلياء في « ديوانك. كوني اترك ذلك ان يلتمسه منك اوليك الذين يرتضون بالشيء القليل ويحبون « الاشيا الدنية * اما انا فاني اتوسل اليك في ان تهبني شيًا اعظم . واظن بذاتي اني استحق « لديك ما هو اكرم واشرف منه * فانا ارجوك بان تسمح لي بالسفر من ههنا . تاركًا عني « موضوع الحسد الذي المّ بي . من قبيل كوني لم افكر بغاية اخرى فيما فعلته الابان « ارضي الله وليس البشر * فانت تعلم جيدًا ايها الملك اني قط ما رغبت هذه الرفعة . « ولا سعيت نحو هذا المقام السامي . بل انني ضد ارادتي الحقيقية قد حملت على كاهلي اثقاله « * قال هذا وشرع يكرر توسلاته للملك في اجابة طلبته . وفي ان يضع يده في ملاحظة ايقاع الصلح والاتفاق فيما بين الاساقفة . ليحصل السلام المرغوب الذي لم يكن عند كثيرين كافيًا لوقوعه مجرد خوف الله بل كانوا يحتاجون الى السلطة العالمية * فالملك ليس من دون غمٍ وكدرٍ قد التزم ضد ارادته بان يتنازل لقبول توسلات القديس . ويمنحه الاذن بالسفر *

الثالث والعشرون فاذًا لم يعد باقيًا على القديس سوى ان يودّع الشعب القسطنطيني فلهذا قد حضر الى كنيسة اجيا صوفيا العظيمة حيث كانت اساقفة المجمع ملتئمين مع الاكليروس والشعب . وهناك تلا تلك الخطبة الفريدة في الفصاحة والعذوبة والحب بنوع لا يمكن ان يكون لها مثيل. كما لا يستطيع احد ان يقراها من دون ان تهطل الدموع على وجنتيه * فيها كان يعطي حسابًا عن كيفية سياسته الشعب القسطنطيني . موضحًا الحال التي كانت عليها تلك الرعية حين حضوره الى المدينة المتملكة . ثم الحال التي وقتيذٍ كان مزمعًا ان يتركها بها شارحًا حقايق التعليم الذي كان دايمًا علم بموجبه مبرهنًا نظير صامويل ثان عدم اخذه من احد شيًا من الموجودات . وكيف انه حفظ واجبات درجته الرعائية بنقاوة من دون دنس * ثم التمس من الجميع ان يكافوه عن اتعابه التي عاناها في خيرهم ومشقاته وضنكه ونصبه . وان يشفقوا على شيخوخته ونهك جسمه من الامراض بان يسمحوا له بالانفراد خارجًا . لانهُ ما عاد يمكنه ان يحتمل مشاهدة انقسام الكنيسة من جديد . وهكذا طلب من الكل الا ينسبوا له ذنبًا ما تصرف به بوداعة وحلاوة وتنازل وتواضع واحتشام في الملبوس وفقر المايدة وباحتقار للتخفة وذل للمجد العالمي . قايلاً فيما بين

الاشيا الاخر هكذا: «انى ربما أُعنف بل أُوبخ على كوني لم استعمل مايدةً فاخرة ولا ثيابًا «ثمينة لامعة ولم اكن اخرج في الشوارع بحفلةٍ وبموكبٍ. ولم اقتبل باحتفالٍ واستعدادات «اولئك الذين كانوا يزورونني * فبالحقيقة انى لم اكن اعرف ان اعاشر بلطافة وظرافة «وبروح عالي لا القناصل ولا الحكام ولا قواد العساكر ولا الاشراف. ولا ان اتصرف «معهم بما فيه البذخ والتنعمات التى من اجلها هم يصرفون اموالهم * ولا كنت اعلم ان مال «الفقرا والمساكين يلزم ان يصرف في ولايم وضيافات بذخية او في التنعمات والملذات «البدنية. ولان المداخيل الكنايسية ينبغي ان تتبدد في هذه الاباطيل * فان كانت هذه «الاشيا ثقلت عليكم واغمتكم. فهوذا الان قد انتهت * فانتخبوا لكم في هذا الوقت اسقفًا «حسب هوى الكثيرين. واما انا فاجعلوا قسمتى وحظي الوحدة والانفراد وعيشة «السواح * وصيروا ان يكون الهى نصيبى الذي يمكنى ان ارضيهُ بمايدة مسكينة فقرية «وبعيشة دنية» * واخيرًا قد ودَّع الجميع واوصي ابناءهُ الاعزا كافةً بان يحفظوا وديعة التعليم المستقيم التي سلمهم اياها. وهكذا خرج من الكنيسة مهمًا علي مبارحة تلك المدينة * الرابع والعشرون فسافر اذًا هذا القديس من القسطنطينية. وذهب الى وطنه كي يتمتع بعذوبة الانفراد وبالراحة من اتعابه * ولكن قد راي ذاته في الوقت عينه ملتزمًا بان يعتنى في خير رعية نزينزو المحبوبة منه التي كانت وقتئذٍ من دون راع. وان يبذل الاجتهاد في انتخاب اسقف لها * ومن حيث انه في مدة سنتين لم يمكنه ان ينال هذا المرغوب التزم في الزمن المذكور بان يحمل علي كاهلهِ ثقل خدمتها وسياستها الى ان ارتسم عليها سنة ٣٨٣ اسقفًا افلاليوس الرجل المملو من الفضايل والكفاية لرعاية الانفس * وحينيذٍ قد انفرد القديس غريغوريوس فى اريانزوس مكان مولده. وهناك اجاز باقي ايام حياته حيث اتحد مع بعض من السواح. ممارسًا عيشة الرهبان. ممیتا حواسهُ وجسمهُ بواسطة الاصوام والاسهار والصلوات معدما اذاتهُ جميع انواع الملذات والتنزهات * وقد لبث مدة صيام الكبير جميعهِ صامتا من دون ان يتفوه بكلمة مع احد لكى يودّب بهذا النوع لسانه لانه كان يظن بذاته انه ربما قد ذل به * ثم يقول هو نفسه هكذا: «انني انا عايش فيما بين «الصخور والوحوش الضارية. فمسكني مغارةٌ بها امكث وحدي ولم املك الا ثوبًا «واحدًا. ولم استعمل اصلاً لا حذاء ولا مواقد نار * واما رقادى فهو فوق التبن.

«وغطاى هو عدلٌ. والوسادة الدنية التى تحت راسي توجد على الدوام مغرقة من «الدموع التي اذرفها من عينيَّ» * وكان يضيف الى هذه الامانات الدرس من دون ملل وقد الف مصنفات مختلفة فى عروض الشعر * ولكن لم تكن نيته في تاليفاته تلك الاشعار الادبيه المفيدة والسامية في المعانى والفريدة في الفصاحة لكي يكتسب عنها مديح الناس. بل انما فعل ذلك (كما يقول هو نفسهُ) ولاًّ لكي يضنك ذاته ويتعب افكارهُ لتشترك بامانة حواسهِ. ثانيا حتي تجد الشبان الدارسون بهذه الاشعار الافادة الادبية. ولكيلا يطالعوا في كتب الشعرا الوثنيين المضرة لانفسهم. بل ينعكفوا على الدرس في مصنفاتهِ هذه التى كانت مملوةً من الحقايق الالهية والقواعد الدينية. ومن النواقل الحارة والعبارات المحركة في قلب من يتلوها نيران الحب نحو الله والتهاب الاشواق الى الاشيا السماوية الابدية * ثم لكيلا يهمل هذا الثاولوغوس المومنين من ان يسعفهم بما كان يقدر عليهِ. ولان كان عايشا في السياحة والنسك. فقد الف رسالات عديدة ضد الارتقة الاريوسيين وضد الابوليناريين واشهرها لاجل الافاده *

الخامس والعشرون ومع ان القديس غريغوريوس كان مشابرًا استعمال اماانات شاقة وتقشفات صارمة من كل نوع لقهر الامهِ وضنك جسمهِ وامانة حواسهِ في الوقت الذي فيهِ كان تقدم في السن بزيادة. وكان جسده مضامًا من امراض مشكلة الانواع. فقد سمح الباري تعالى بان يحدث له ما كان يعتري رسول الامم القديس بولس. اي بان تشب عليه تجارب قوية جدًا ضد العفة. التى كانت تصيرهُ على الدوام ان ينتحب ويأنَّ تحت ثقلها. مواظبًا الالتجا الى الله واشتداد الارتباط معه تعالى بالحب المتقد. وان لايمل من استعمال الاصوام والاسهار والصلوات. وان يهرب باعظم خوف ويبتعد اشد البعد عن ان ينظر الى الجنس النسائي او ان يتكلم مع احداهنَّ كلامًا لاتضطره الضرورة القصوى اليهِ. مشبهًا اياهنَّ بالحيات المسمة الخطر التردد فيما بينها * فبهذا النوع كان القديس يهرب عنهنَّ بعيدًا. حتى انه اذ حدث ان احد انسباهُ المدعو فالانتينيانوس قد حضر الي هناك وقطن في محل قريب من مغارة هذا القديس. وكان يوجد معه البعض من النسا فالثاولوغوس قد ترك مكانه الذى كان محبوبًا منه في الغاية وهرب بعيدًا جدًا. وكتب الى فالانتينيانوس متلاوما عليهِ من كون اوليك النسا قد صرنَ علةً لهربه من مسكنه

العزيز لديه كفردوس ارضي نظير ما صارت علة لطرد ادم من الفردوس حوا عينها * ثم حينما كان هذا القديس بلغ ما فوق الستين سنة من عمره قد اعتراه مرض ثقيل عرف من قبله ان رحيله من هذا العالم قد دنا * فاخذ يجدد في ذاته عواطف الحب نحو الله وتوطيد الرجا في مراحمه . ونوافل الشوق نحو الوطن السماوي الذي فيه كان يمكنه ان يتحد مع يسوع المسيح من دون انفصال . وهكذا فيما بين هذه الاستعدادات المقدسة قد انهى زمن غربته على الارض . وتمم حياته السعيدة . وانتقل الى تلك الغبطة الابدية ليملك مع المسيح سرمدًا . مقتبلاً مكافاة اتعابه الرسولية وسيرته المقدسة . وكان ذلك سنة ٢٩٠ * اما الكنيسة اللاتينية فتحتفل بتكريم تذكاره المقدس في اليوم التاسع من شهر ايار . كما انها في اليوم الحادي عشر من شهر حزيران تكرم تذكار نقل جسمه الطاهر الى كنيسة القديس بطرس الرسول الفاتيكانية من البابا غريغوريوس الثالث عشر باحتفالات فايقة الوصف من كنيسة والدة الاله التي في كامبومارتسو . حيث كان محفوظًا هناك مدة مستطيلة بعد نقله من القسطنطينية الى رومية * فهذا البابا السعيد الذكر قد وضع الجسم الطاهر المذكور في الهيكل الذي كان هياه له بزينات ملوكية كلية الاعتبار . وحتى الان تُكرم اعضاوه المقدسة في الهيكل المومي اليه *

فسيرة حبوة هذا القديس الثاولوغوس معلم الكنيسة العظيم هي مثال حقيقي للفضايل كافة . لاسيما المحبة والتواضع والامانة واحتقار الاشيا العالمية تمامًا * وفيها تتلالا بنوع خاص فضيلة الطهارة التي حفظها منذ نعومة اظفاره ولم يثلمها . حتى ولاحينما كان فيما بين اخطار هكذا عديدة كانت ملمة به في مدن قيسارية واسكندرية واثينا التي قطن فيها * حينما كان في سن الشبوبية الاكثر خطرًا من كل زمن حياته * فهذه الفضيلة التي هي بهذا المقدار ضرورية لكل مسيحي ومقبولة جدًا جدًا لدى الرب ومامورة بتكرار مرات عديدة في الكتاب المقدس * تستحق من دون ريب ان تُقتنى من كل احد في اية دعوة وجد * فالقديس غريغوريوس النزينزي عينه يعلمنا ما هي الوسايط المساعدة ايانا على حفظ الطهارة وهي الوحدة بالابتعاد عن المعاشرات وامانة الجسم والاحتراس على الحواس لاسيما النظر والهرب من الاسباب الخطرة * واخيرًا اليأس من الذات المرافقات من التضرعات الحارة لله في التماس اغاثته وعونه * الذي من دونه لا يمكن لاحد ان يكون

عفيفاً حافظاً واجبات الطهارة * كما يوضح لنا ذلك الكتاب الالهي (حكمة ص ٨ ع ٢١)* فاي نعم انه مع استعمال هذه الوسايط كلها لاتنقصنا التجارب التي تحارب فينا الطهارة * كما حدث القديس غريغوريوس حتي في زمن شيخوخته عينها وللقديس العظيم في الرسل بولس * ولكن لانرتاب اصلاً في مقدرة نعمة يسوع المسيح الغير المغلوبة * التي كما انها ايدت هذين القديسين وسائر الابرار الاخرين ونجتهم من السقوط وحفظتهم من الاخطار فهكذا تايدنا نحن ايضاً وتنجينا وتحفظنا وتصيرنا منتصرين على جميع التجارب وتبلغنا الى امتلاك تلك السعادة الطوباوية الموعود بها للاطهار النقية قلوبهم (متي ص ٥ ع ٨) *

* اليوم السادس والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار كسانوفندوس ورفقته *

اولاً ان القديس كسانوفندوس قد ولد في مدينة القسطنطينية من عيلة غنية جداً (ولكن لم يعرف بتحقيق زمن مولده) وبعد ان حصل على تربية صالحة تليق باقربايه قد اقترن بسر الزواج المقدس في الوقت الذي فيه لم يكن يتراخي في حرارة عبادته لله بالروح والحق بل كان يباشر اتمام واجبات دعوته مع النمو اليومي بالفضايل . لاسيما افعال الرحمة نحو القريب بسخاء * وقد ولد له من قرينته البارة ابنان دعاهما اركاديوس ويوحنا واعتني بحسن تربيتهما بخوف الله المقدس وبالصلاح *

ثانياً ومن حيث انه رغب في ان ابنيه المذكورين يتعلمان الشرايع المدنية . ويتمهران في درس العلوم الاخر وكانت وقتيذٍ مدينة بيروت مزهرةً بمعلمين شايعي الصيت لاسيما في تعليم الشرايع وغنية بمكتبة فريدة . قد اعتمد كسانوفندوس على ارسال ولديه الى هذه المدينة ليدرسا ويتفقها بما اشرنا اليه . وهكذا قد اعدَّ لهما ما كانا يحتاجان اليه في هذا الشان ورافقهما بخدام امينين . وسفّرهما فوق احد المراكب بحراً من القسطنطينية منطلقين نحو مدينة بيروت *

ثالثاً غير انه بعد سفرهما قد بلغهُ بتاكيد ان مركبهما قد شتتتهُ العواصف . ولم يعد يعرف اين قذفتهُ * ولهذا خرج هواي كسانوفندوس من القسطنطينية مع زوجته وسافرا براً من مينا الي اخر يطلبان ولديهما * اللذين بعد سفر مستطيل قد وجداهما في مدينة اورشليم لان مركبهما كان بلغ سالماً الى بلاد فلسطين * فقد حصل الفريقان على فرح عظيم

وقدما الشكر الواجب لله وحينئذٍ اعتمد كسانوفندوس مع قرينته وابنيه على رفض العالم اجمع وعلى التمسك بالعيشة الرهبانية . حيث انه في تلك الازمنة خاصةً كانت بلاد فلسطين واقفارها مملوءةً من اوليك الرجال الافاضل الابرار الذين كانوا عايشين بهذه السيرة الملايكية ❋

رابعًا فمن ثم دخل كسانوفندوس مع ولديه في احد الاديرة الرهبانية وزوجته في مكان البتولات البارات . ولبسوا . الاسكيم المقدس وشرعوا يغايرون سيرة اوليك الانام السماويين والملايكة الارضيين . منتقلين من قوة الى قوة . ومتراقين من فضيلة الى فضيلة حتى بلغوا الى قمة الكمال الانجيلي . وأُعلوا من الله الى موهبة صنيع العجايب * وهذه وتلك قد جعلت اسماءهم شايعة وذكرهم معترمًا في كل صقعٍ ۞ واخيرًا بعد ان امتلاوا من الاستحقاقات واذخروا لانفسهم كنز الاعمال البارة في السماوات . رقدوا بالرب وتراقت ارواحهم القديسة الى حيث هو كنزهم الثمين فايزين بالسعادة الابدية * التي وعد الله بها الذين يحبونه ومن اجل حبهِ عزَّ وجلَّ يتركون كل شي عالمي ليتفرغوا بافضل نوع لخدمتهِ الالهية وحدها . من دون ان يكون لهم مانعٌ ما يعيقهم عن حسن العبادة له تعالى ❋

فالذي يتصور في عقلهِ ما المَّ من الغم الشديد بالقديس كسانوفندوس عند ما بلغه خبر تشتيت المركب بولديه . ولذلك خرج مع زوجته من القسطنطينية جايلاً من مكان الى اخر لعلهُ يجدهما . فلا شك يعتده فيما بين المصابين بحالٍ يرثي لها * ولكن حيما يتامل في ان هذه المصيبة صارت علةً له ولزوجته ولبنيه جميعًا لان يرفضوا اباطيل هذا الدهر ويتمسكوا بالسيرة الملايكية . التي بها اكتسبوا درجاتٍ سامية من القداسة . فيعرف كيف ان المحن والتجارب والمصايب التي يفتقدنا الله بها * انما هي راجعة لخير انفسنا . وبالنتيجة يلزمنا في كل شي ان نحسن خضوعنا لمراسيم العزة الالهية . من دون ان نفحص عن الغايات التي من اجلها يرسل الينا تعالى المصايب بل ان نعتبرها بوجه العموم مفيدة لنا . ونشكره عز وجل من اجلها كما نشكره من اجل احساناتهِ الينا * وبهذا السلوك نصيره جلت رافتهُ راضيًا منا * وهذا حسبنا ❋

* اليوم السابع والعشرون *

* وفيه تذكار نقل جسم ابينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب *

فنقل جسم القديس يوحنا الذهبي فمه معلم الكنيسة العظيم من مدينة كومانا الي مدينة القسطنطينية قد تم باحتفال جليل سنة ٤٢٨ . وهي السنة الثانون من نياحهِ * وكان ذلك بسعي القديس بروكلوس ريس اساقفة القسطنطينية وبعناية الملك ثاوضوسيوس الصغير . كما هو مورد منا في العدد ٢٥ من سيرة حبوة هذا القديس الذهبي الفم المحررة تحت اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني *

* اليوم الثامن والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار افرام السرياني *

اولاً ان القديس افرام المجيد الذي أُعتبر في كل زمانٍ انه احد ابا الرهبان المعظمين موطدي السيرة النسكية المليكية . قد أُعتبر ايضاً دائماً فيما بين ابا الكنيسة الجامعة المنيرين الجليلين في العلوم والقداسة * فمولدهُ كان في مدينة نصيبين فيما بين النهرين في مبادي الجيل الرابع من والدين مقبولين جداً لدي الله وكريمين امام عينيهِ تعالى لاجل اعترافهما بالايمان بالمسيح في زمن الاضطهاد المصنوع من ديوكلاتسيانوس قيصر * ولانهما حصلا على الشرف بان يوجد من عيلتهما شهدا ابطال قدموا دماهم من اجل يسوع المسيح. ولكنهما لم يكونا لدي اعين البشر معتبرين بشي من الموجودات العالمية . لانهما كانا من عيلة تجتني قوة الحيوة الزمنية من عمل فلاحة الارض. وبالتالي كانت معيشتهما من تعب ايديهما . فقد ربيا ابنهما افرام تربية مسيحية بعد ان كانا كرساهُ لله نظير صامويل ثان منذ الاقماط موسسين في قلبهِ خوف الله المقدس . وقد علماهُ القراءة ثم التامل في مطالعة الكتاب المقدس * فالشاب افرام قد وافق عناية والديهِ هذه ونجح منذ حداثتهِ في الفضيلة مستسيراً بسيرةٍ مقدسة مزهلة . كما يشهد بذلك القديس غريغوريوس نيصص * ولين كان القديس افرام عينهُ في كتابهِ الذي الفهُ ودعاهُ الاعتراف يبالغ في نقايص زمن شبوبيتهِ وفي عدم ترتيبها . الامر الذي انما فعله لاجل عمق تواضعهِ . ثم لاجل تاملهِ في ان الزلات التي تضاد سمو قداسة التعليم الانجيلي ولا توافق الكمال المسيحي بكل اجزايهِ . فهذه ولو انها كانت خفيفة تحسب بالمقابلة للقداسة الكاملة ثقيلة *

ثانيًا ولكن امرٌ محققٌ هو ان افرام لم يكن في سني حياتهِ الاولى حاصلاً على الكمال الذي بلغ اليه حينما تقدم نوعًا في السن . من حيث ان البراءة والقداسة اعتياديًا تكتسبان بالتدريج * فقبل ان يتمسك هذا القديس في السيرة الرهبانية كان سريع الغيظ . ثم انه هو نفسه يعترف بانه قد قبل بعض افكار محركة له من الشيطان غير موافقة للعناية الالهية كانها لم تكن هي هي التي تدبر الكاينات . بل كان ما يحدث في العالم انما يتفق بطريق الصدفة والعرض * غير ان الله لكي ينقذ عبدهُ هذا من افكار كذا مضرة ومن تجارب خطرة هذه صفتها . قد سمح بان يحدث له ما ياتي ذكره . وهو انه لما كان يومًا ما افرام في الحقل وتحرك فيه روح الغضب ضد عجلة كانت لرجلٍ فقير . شرع يضربها ويطاردها برشق الحجارة من مكان الي اخر حتي انها توهطت في غابةٍ . فوثب عليها وحشٌ كاسرٌ وافترسها * اما صاحب العجلة المسكين فاذ لم يجدها وكان دايرًا مفتشًا عليها . قد وجد افرام وسا لهُ ان كان صادفها ام له علمٌ عنها ما اما افرام فقد جاوبه عن ذلك اجوبةً ذات اهانات وافترا * فاتفق بعد هذا الحادث بمدة شهرٍ من الزمان ان افرام فيما كان راجعًا من حقل بعيد الى بيت ابيهِ . قد ادركه ظلام الليل واضطر بان يميل عن الطريق الي كوخ احد الرعيان ليبيت عنده * فالراعي قد قبله بكل حبٍ . ولكن من حيث ان ذاك الراعي كان امتلا من شرب الخمر واخذ يخط في نومه الثقيل . فلم يفق على ما حدث للقطعان في الصيرة التي اذ دخلت اليها الذياب ليلاً قد تبددت الغنم بالافتراس والهرب * فلما جاء صباحًا ارباب القطعان وشاهدوا الصيرة خاويةً . قد ظنوا ان السارقين فعلوا ذلك ليلاً ۞ ومن ثم قبضوا على الراعي وعلى افرام ايضًا كانه من المساعدين للسارقين . واتوا بهما امام القاضي الذي تراءي له ان افرام مذنبٌ بذلك فوضعه في السجن حيث كان مقيدًا هناك رجلان اخران احدهما تحت صورة ذنب القتل . وثانيهما تحت ذنب الفسق مع انهما كانا بريين من هذين الذنبين . نظير ما كان افرام بريًا من الذنب المدَّعى به عليه *

ثالثًا فبعد ان مضي لافرام سبعة ايام في الحبس . قد ظهر له ليلاً في الحلم ملاك الله بصورة شاب بطلعة مرعشة . وهكذا بالفاظ عذبة قد سأل افرام ماذا كان سبب وجودهِ في السجن * فافرام اجابه قايلاً : «ان وجودي ههنا انما هو لسبب اني شكيت بتهمةٍ . وهي «اني ادخلت السارقين الي صيرة القطعان . كي ينهبوها مع انى بريٌ من هذه التهمة» *

فالملاك قال له: «اني اعلم جيداً انك بريٌ من هذا الذنب. ولكني اعرف ايضاً معرفة «حسنة ما الذي فعلته منذ مدةٍ وجيزة * فافتكر بتانٍ في تلك التصورات والافكار التي «قبلتها وبما صنعته بعد ذلك واعترف من تلقا نفسك بانك قد جوزيت بعدلٍ بالمصيبة «التي انت حاصلٌ بها. ثم اطلب من رفيقيك المحبوسين معك ان يخبراك عما فعلاه. «واعرف جيداً انه ولين لم يكونا بالحقيقة مذنبين بما لاجله قد وُضعا في السجن. فمع «ذلك ليسا هما بريين من ذنوب اخر مستحقة هذا القصاص * فامن اذاً معترفاً بان الله «عدلٌ هو. وبان احكامهُ مقسطة مستقيمة عادلة * ثم استسر بجيوةٍ بارة واعرف جيداً ما «هي العناية الالهية» * فلما استيقظ افرام من النوم. افتكر وعرف ذنبهُ. لاسيما الحادث المختص بالعجلة وقصَّ بعد ذلك قصة هذا الحلم على رفيقيهِ في السجن. وهما ايضاً قصَّا له سيرة ذنوبهما الخصوصية المفعولة منهما من ذي قبل. ولو لم يكن لهما جناية فيما طُرحا من من اجله في الحبس *

رابعاً ثم انه غب يومين من ذلك قد مثل افرام مع الاثنين الاخرين بازاء القاضي ليفحصوا من جديد عن الذنوب المدَّعي عليهم بها. واخذت الدعاوى بدايتها من ذينك قبل افرام. وحكم عليهما بالجلد الذى عذبا به بقساوةٍ شديدة. وبعد هذا طرحا في الحبس * وقد جرت هذه الحكومة عينها على خمسة انفار اخرين. واما افرام فحينما شاهد ذلك اخذته الخيفة واشتمله الرعب. وطفق ينوح لمعرفته ان هذا العذاب كان مزمعاً ان يلتحق بهِ ايضاً * ولكن البارى تعالى اراد ان افرام يُرسل الى السجن من دون ان تجرى عليهِ الحكومة في ذلك اليوم. وبقي هكذا محبوساً مدة شهرين وفي نهايتها ظهر له ثانيةً الملاك عينهُ قايلاً له: ماذا تظن يا افرام اتراك تحققت واقتنعت بان الله يدبر العالم بحكمةٍ وعدلٍ وعنايةٍ. «وانه لا يوجد في اعمالهِ ظلمٌ ما اصلاً: فاجابه افرام هاتفاً: «اى نعم ياسيدي انني تحققت «وما عاد يمكنني ان ارتاب في ان اعمالهُ تعالى عجيبةٌ هي. وان احكامهُ لا تدرك ولا يفحص عنها «ومن حيث انك صنعت معي هذه الرحمة العظيمة وعزيتني بحضورك عندي. فاتوسل «اليك بان تشفق على عبدك مخلصا اياي من هذا المكان لكي استطيع ان اذهب الى احد «الاديرة متمسكا بالسيرة الرهبانية. وبها اخدم سيدي يسوع المسيح» * فاخبره الملاك بانه «كان عتيداً بان يحضر مرةً ثالثةً امام القاضي ليفحصه. وحينئذٍ يطلقهُ * فاجابهُ افرام

قايلاً : « انه لا جلدَ لي على احتمال تهديدات القاضي وتعذيبه اياي بالضرب الذي شاهدته في الاخرين » * فهنا قال لهُ الملاك : « انه لكان اجود لك ان لا تنقص في ما توجَّب عليك من انك توجد الان في هذا الضيم . ولكن من حيث انك استحقيت هذا الخلاص لنفسك فانا ماذا اصنع بك » * ثم مع ذلك حقق له الملاك ان الشدة المزمع ان يحتملها لا تكون ثقيلةً . وانه عن قرب لا بد من انه يخلص من هذه الحال . كما تم الامر بالفعل وظهر لدى القاضي ان افرام كان بريًا وهكذا اطلقه ❋

خامسًا فحالما خرج افرام من امام الوالي . لم يتاخر اصلاً عن ان يتمم وعدهُ باعتناق السيرة الرهبانية * فذهب عند رجلٍ مشهور بالقداسة يدعى يوليانوس كان ناسكًا بالسياحة في قمة جبلٍ . وانطرح على قدميه بدموعٍ مخبرًا اياه بجميع ما حدث له . ومتوسلاً اليه بان يقبله تحت ارشاده * ولما نال افرام من ذلك الشيخ القديس نعمة قبولهِ عندهُ . لم يعد له اهتمام اخر سوى في ان ينجح يومًا فيومًا في تلك السيرة النسكية بابتعادهِ عن ضوضا العالم . باذلاً كل جهدهِ في ان يكتسب علوم القديسين بممارسة افعال التوبة والتشفات والامانات وقهر الذات لينال من الله الغفران والنعم السخية . مفضلاً ذلك على جميع العلوم البشرية وعلى مجد العالم وغناه واباطيلهِ . ولاجل هذه الغاية كان يتم بكل رغبة وتدقيق جميع رسوم العيشة النسكية من دون ان يهمل الرياضة ولا في فضيلة ما من الفضايل * فاصوامه كانت متكاثرة . واعتياديًا كان يستمر ايامًا من دون ان يتناول شيئًا من الماكول . واسهاره كانت دايمةً ما عدا برهاتٍ وجيزة لا بد منها كان ياخذ بها قليلاً من الراحة ليقدر ان يعيش . ورقاده كان على الحضيض * فبهذا المقدار كانت حرارته في سيرة النسك . حتى انه لم يكن يعرف يضع عنانًا على صرامة تصرفه بها * وعلى هذه الصورة امكنهُ ان يضمر جسدهُ ويذلهُ ويجعله بكليتهِ خاضعًا لروحهِ . بنوع انه عاد كعديم الحس وفاقد ان يشعر بحركة الالام ❋

سادسًا وقد اضاف الى امانة جسدهِ بالنوع المتقدم ذكره تجرد قلبهِ مطلقًا من جميع الاشيا الزمنية . حتى انه استطاع فيما بعد ان يقول للاميذه قبل وفاته هذ الكلمات : « ان افرام ما امتلك قط لا كيسا ولا همیانا ولا عصا ولا ذهبا ولا فضةً ولا شيا من الموجودات على الارض بل انني حينما فهمت ان سيدي وملكي يسوع المسيح الذي جودنه عدية ان تمثل

«قال لتلاميذه في انجيله المقدس: لاتمتلكوا شيئاً على الارض: فانا ما عرفت ان اجتذب «ذاتي لمحبة شي من الاشيا الارضية على الاطلاق» * وقد كانت فضيلة وداعة هذا القديس وطول اناتهِ سامية. الامر الذي لم يكتسبه الا بانعاب شديدة وقهر ذات كلي. من حيث انه كان طبيعياً مايلاً الى سرعة الغيظ والغضب * فاحد دلايل دعتهِ ووداعتهِ يظهر من هذا الحادث. وهو انه اذ كان يوماً ما بعد صيام مستطيل حاصلاً على جوعٍ شديد ومنتظراً الشخص المختص به ان ياتيه بالطبيخ الجزءي الذي كان هياه لقوته. فهذا عند ما دنا منه به قد عثر فرمى القصعة في الارض منكسرة. وهكذا عدم الطبيخ * فالقديس لم يقلق من هذا العارض اصلاً. بل اخذ يقول للشخص هذه الكلمات: «تشجع ياخي لا باس ما حدث. فلم يضع شي. ان كان الطبيخ لا ياتي الينا فنحن نذهب «اليه» * وهكذا قام فاتى الى المكان الذي فيه وقع الطبيخ. وجلس على الارض وشرع بمقدار ما كان ممكناً لديهِ ان يلتقطه من الارض فياكله *

سابعاً غير ان الفضيلة التي تلالا بها هذا القديس بافضل نوع كانت التواضع العميق كما يظهر من روح تاليفاته * فهذه الفضيلة هي التي صيرته ان يكتب عن نقايص زمن صبوتهِ كانها خطايا شنيعة في الغاية. ليوضح ذاته كانه من الخطاة الائمة المفرطين في الخطايا وهي التي كانت تجعله ان يشعر بكرهٍ كلي ونفور قلبٍ حقيقي من ان تكرمه الناس او تعتبره * حتى انه اذ اتفق له يوما ما ان رجلا اخذ يمدحه. فهو قد تغيرت فيه الالوان واكمدت سحنة وجهه وبدا العرق ينبعث من كل جسمه. ولم يعد يعلم ماذا يجيب عن ذلك من قبل القلق والانزعاج الذى كان الم به باطناً ومرة اخري حينما كان في المدينة وبلغه انه انتخب لدرجة الاستفية لبلدةٍ اخري وانه حضرت القصاد من قبل المنتخبين لياخذوه قد خرج حالاً الى ساحة المدينة وطفق يصنع امارات المجانين. ممزقا ثيابه. جايلاً راكضا من ناحية الى اخرى. اكلاً نظير البله * فلما وصل القصاد وشاهدوه في هذه الحال وظنوا انه كان بالحقيقة اعتراه فقد العقل. رجعوا في طريقهم. وهكذا مضي فاختفي في امكنةٍ سرية. ولم يعد يظهر الا حينما تاكد انه اقيم اسقفا لذلك الكرسى وارتسم بالدرجة وانتهى الامر *

ثامنا وقد أُعطي البار افرام من الله ليونة القلب وانعطافهُ السريع الي البكا المر. حتى

ان دموعهُ كانت توجد منسكبةً على وجنتيهِ من دون انقطاعٍ اصلاً الا ما قلَّ * وهذا كان ناتجًا فيهِ من قبل تامله المتصل في شقاوة الاشيا الارضيه وفي صرامة الدينونة من الله الرهيبة التي كان هذا القديس يخاف منها مرتعشًا * وكانت موضوع تاملاته الاعتيادية . كما يبان من تاليفاته . التي كل من قراها لا يمكنه ان يمسك نفسه عن التخشع والتحرك الى الندامة بقلبٍ اسيف * وهذا يدل بكفايةٍ على عظم الخشوع والرعدة من الحساب الهايل التي كان قلب القديس مملوًا منها *

تاسعًا ثم ان القديس افرام كان مثابرًا على السيرة النسكية بالسياحة في نواحي مدينة نصيبين . حينما جاءت العساكر الفارسية الغير المحصاة عددًا سنة ٣٥٠ وحاصرة هذه المدينة * فالصلوات الحارة التي قدمها لله هذا البار مضافةً الى توسلات القديس يعقوب اسقف المدينة عينها . قد اعطفت البارى تعالي الى انقاذ شعبها من تلك العساكر بنوع العجوبة ظاهرة . من دونها لم يكن ممكنًا لسكان المدينة بوجهٍ من الوجوه على الاطلاق الخلاص منهم * فهذا البار بعد نياح القديس يعقوب المذكور عزم على الذهاب الى مدينة الرها . التي في نواحيها كان يوجد كثيرون من السواح الشايعي الذكر . قاصدًا ان يتفاوض معهم عن الاشيا الروحية * فلما حصل بالقرب من المدينة المذكورة . توسل الرب في ان يجعله ان يصادف حال دخوله المدينة شخصًا ما يتعلم منه قضية ما اساسية روحية من قضايا الكتاب المقدس * فعند ما دنا من باب المدينة داخلاً . لقيته امراةٌ ما ومن نوع ملبوسها استنتج القديس انها كانت من النسا السالكات حسب روح العالم الدنس بالاثام * فتفرس فيها ليس من دون غمٍ جزيل . لسبب انها كانت اول من صادفه من اهل المدينة على هذه الصورة المكروهة منه * واخذ يقول في ذاتهِ هكذا : « انه يبان لي واضحًا ايها الرب يسوع المسيح انك لم تشا ان تقبل صلوة عبدك . لانه لا رجاء لي بانه يمكنني ان اتعلم من هذه الامراة شيًا ما صالحًا » * ولكن اذ شاهد افرام تلك الامراة محدقةً بهِ نظرها بزيادةٍ . فقال لها : « لماذا انتِ متفرسة بي هكذا بنظرٍ ثابت » * فاجابته قايلةً : « ان لي سببًا في ذلك . وهو انه من حيث ان الامراة اتخذت وجودها الاصلي من الرجل فلهذا اتفرس فيك كمن ينظر متاملاً في اصله . واما الرجل فقد اتخذ وجوده الاصلي من الارض فلهذا يلزمك انت ان تفعل بضد ما انا افعلهُ . اي الا تتفرس بي متاملاً

بل ان تنظر الى الارض التي تكونت منها ، * فلما سمع القديس من هذه الامراة جوابًا هذه صفتهُ قد امتلا تعجبًا واندهالاً . وطفق يشكر الله على اعماله العجيبة . كونهُ تعالى مراتٍ كثيرةً يهبنا انعامه التى نلتمسها منه . وذلك بوسايط نخالها مضادة على خطٍ مستقيم لما نحن نفتكر بهِ ❋

عاشرًا فقد دخل اذًا القديس افرام الى مدينة الرها . ونزل في بيتٍ ما * فوجد ساكنةً مقابله امراةً بحالٍ تشبه الحال التي شاهدها في الامراة السابق ذكرها ۞ فبعد ذلك بايامٍ ما صادف ان القديس كان واقفًا عند النافذة . فقالت له تلك الامراة وهى واقفة عند نافذة بيتها : « يا ابتى امنحنى بركتك . وانا اتوسل لله بان يباركك » * فاجابها البار : « انه ينقصني كل شي » * فسالتهُ الامراة قايلةً اتعني بقولك عن المنزول الذي انت قاطنٌ فيه » * فاجابها القديس : « اى نعم انه ينقصني ههنا جانبٌ من الطوب وقليل من الكلس » ليمكني ان اسد بذلك هذه النافذة كيلا اعود اراكِ » * فقالت له تلك : « انك تعاملني » بقساوةٍ شديدة فى جوابك هذا مع انى اول مرة قد كلمتك » ثم بعد ذلك اخذت الامراة عينها ان تكشف البار ارادتها الشهوانية والامها الدنسة . محرضةً اياه على السقوط معها في الاثم النجس . فحينئذٍ اجابها القديس قايلاً : « امضي الي ساحة المدينة وانتظريني هناك » لهذه الغاية » * فقالت له الامراة : « ان مشاهدة الناس الكثيرين ايانا بصنيع هذا الفعل » توجب لنا الخزى والخجل » * فمن ثم اجابها افرام هكذا : « أتخافين اذًا من حضور » الناس ولا تخافين اصلاً من حضور الله الذى يشاهد اخفى ما فى قلوبنا وافكارنا وانه عتيد » تعالى في يومٍ ما ان يدين جميع العالم باشتهارٍ » * فحالما سمعت الامراة الدنسة كلمات القديس المذكورة قد اثر في قلبها بهذا المقدار . حتي انها جاءت وانطرحت على قدميه متضرعةً اليه بان يرشدها الى طريق الخلاص . لكي يمكنها ان تستمد من الله غفران الخطايا التى صنعتها فالقديس هنا اخذ يوطدها في عزمها . موردًا لها من الكتاب المقدس ما يحرضها على عمل التوبة . وبعد ذلك ارشدها مقيدًا اياها الي احد اديرة الراهبات . كي تكون بعيدة عن فخ العالم . وهناك تمارس اعمال التوبة الواجبة ❋

حادي عشر فسكان مدينة الرها قد عرفوا سمو فضيلة القديس افرام . وحصل معتبرًا منهم جدًا . ولهذا قد الزموه برسامته شماسًا انجيليًا لكنيسة الكاتدرا * فقد نجح البار بهذه

الدرجة وافاد الشعب بزيادة موزعًا عليهم بواسطة الارشادات الروحية كلام الله ومعمرًا اياهم بمثاله الفاضل * فاخص موضوعات وعظه كان عمل التوبة والتامل في الدينونة الرهيبة . وقد رافق الله اقوال هذا القديس بانسكاب انعامه الالهية في قلوب السامعين وعنها نتجت الاثمار الخلاصية لانفسهم * ولم يكن اعتياديًا هذا البار يبتدى بخطاب او عظة قبل ان يسبق متاهبا بواسطة التوسلات الحارة لله في ان يهبه ويمنح الشعب انواره السماوية ولهذا فالروح الالهي المحرك لسان القديس في حين وعظه فهو عينه كان يحرك قلمه لتاليف تلك الاقوال الجليلة التي كانت ضمن تاليفات وافرة وفي موضوعات جزيلة العدد * وقد أعتبرت بهذا المقدار حتى انها في زمن وجيز قد أستخرجت الى لغات مختلفة . وكانت في بعض الكنايس تقرا مشتهرًا على الشعب بعد قراة الكتاب المقدس *

ثاني عشر فاهتمام هذا البار في افادة المومنين بالصوت الحي والتاليفات لم يكن يصيره ان يتراخى عن السلوك في الوحدة والنسك خارج المدينة بقدر ما كان ممكنًا لديه . ولا عن استعمال الرياضات الروحية التي بها كان يتقدم يومًا فيومًا بالكمال ولا عن التاملات الراسخة في اعظم اسرار الديانة المسيحية * وكان الجود الالهي انعم عليه بمشاهدة بعض رويات سماوية . فمرة ما شاهد عمودًا من نار متصلاً من الارض الى السما . وبهذا اراد الله ان يشير الى عبده عن السر الذي كان هو وقتيذٍ متاملاً فيه * ومرة اخرى حينما كان يفكر في حال الحيوة الحاضرة وفي شقاوتها . وفي كيف ان البشر اعتياديًا يجتازونها باهمال عمل الواجبات . فبينما هو مفتكرٌ بهذا واذا بجال اكتنفته . وبقي خارجًا عن ذاته مخطوفًا الى السما . حيث شاهد العزة الالهية فوق سدة المجد الفايق الوصف * فقد اشتمله الخوف والرعدة من هذا المنظر . وانطرح امام العرش الالهي . ملتمسًا بقدر ما امكن لديه ان يفه ببعض كلمات بان يتراف تعالى عليه ويرحمه * فالرب الاله قد استجاب طلبته . ووهبه السلام الباطن مع تعزية سامية ورجاء وطيد سكن قلق روحه السابق * وقد اخبر القديس بهذه الرويا تلاميذه الرهبان كي يستمدوا له بصلواتهم من اجله النعمة في ان يستثمر النفع من هذه الموهبة . كما انه قد حرر شرحها خطًا ايضًا . مضيفًا الى ذلك قوله بان كل مرة فيما بعد كان يتذكر اليوم والساعة التي فيها شاهد الرويا المذكورة . لم يكن يمكنه ان يمسك ذاته عن التنهدات العميقة وهطل الدموع *

ثالث عشر ثم ان الباري عز وجل اراد ان هذا القديس قبل نهاية حياته يمارس بنوعٍ خصوصي حقايق تلك الفضيلة التي جعلها تعالى علامةً تعرف منها تلاميذه الحقيقيون وهي محبة القريب فحدث ان شعوب مدينة الرها قد أُضيقوا جداً من الغلا الشديد الذي قد اوصل عدداً غزيراً منهم الى حال الفقر الاقصى * فالبار افرام ترك حينئذٍ مكان انفراده وحضر الى المدينة المذكورة محركا من الشفقة والحب نحو سكانها * واذ لم يكن هو يملك شيأً من الموجودات ليقدر ان يسعف به المحتاجين . طفق يجول على بيوت الاغنيا محركاً اياهم بواسطة توسلاته وبإراداته السديدة الى اغاثة اخوتهم المساكين . الذين كثيرون منهم كانوا يوجدون مطروحين في الارض غشاة من شدة الجوع * ولم يتاخر عن ان يوبخ اوليك الاغنيا القاسي القلوب توبيخات صارمة . متهدداً اياهم بالوعيد المخوف وبالحكومة الرهيبة العتيد ان يبرزها يسوع المسيح بهلاكهم الابدي . اذا لم يسعفوا اخوته الصغار الموجودين في حال الضرورة القصوى * وفي الوقت ذاته كان يبرهن لهم عن عظم استحقاقات الكنز الالهي الذي يذخرونه لانفسهم في السما بواسطة توزيعهم على الفقرا والمعوزين اموالهم . التي ان شاءوا وان ابوا كانوا عتيدين بعد زمنٍ وجيز ان يتركوها في العالم اذ يداهمهم الموت فهذه المواعظ والتهديدات والتحريضات والتوسلات قد حصلت على ثمرة عظيمة جداً * ومن كون بعض الاغنيا قد اعتذروا له بعدم اركانهم في شخص ما يسلمونه اموالهم ليوزعها على المحتاجين . فالقديس قد اتخذ على ذاته هذه الخدمة وشرع يعول كل من كان ياتيه من المعوزين من اهل المدينة او من اهالى القرى . معتنيا بعمل فرشات لمن كانوا باعوها وبقوا على الحضيض . مهتما بالمرضى في البيوت وفي البيمارستانات متمما ما كان يلزم لدفن الموتى . وبهذا التصرف كان يعلم الجميع ليس بالكلام بل بالعمل ايضا كيف يلزمهم ان يباشروا فضيلة محبة القريب نحو اخوتهم الذين اتصلوا الى تلك الحال المحزنة *

رابع عشر فلما انتهى زمن ذلك الغلا الذي استمر مدة سنة كاملة فحينئذٍ رجع القديس افرام الى مكان سياحته . وبعد وصوله الى هناك بمدة شهر فقط . قد انتقل الى الحيوة الابدية بمرضٍ اعتراه بعض ايام وجيزة حيث كان حاضراً ساعة رقاده اخص شعوب مدينة الرها وصاروا شهوداً على ارشاداته الاخيرة ونصايحه الخلاصية وتعاليمه المقدسة . لاسيما على تحرير وصيته الاخيرة التي اتصلت الينا فيما بين تاليفاته الاخر السامية التي حفظتها

العناية الالهية من الفقدان * على ان هذا البار حينما شعر بقرب ارتحالهِ من العالم سلم تلاميذه وصايا عديدة ليتصرفوا بموجبها في السيرة الرهبانية وبالسلوك في الكمال الانجيلي. وعلمهم اشيا كثيرة التي قد وجد اخصها كانه قيل منه بروح نبوةٍ حقيقية قد كملت فيما بعد بكل اجزايها . وبنوعٍ خصوصي قد اظهر في هذه الوصايا الاخيرة عظم فضيلة التواضع التي كانت متاصلة فيهِ كل ايام حياتهِ * فقد حتم على الجميع بكلية ارادته في الا يوالف احدٌ من اجله مديحًا ما . وبالا يقدموا لذكره او لجسمه بعد وفاته كرامةً ما باي نوع كانت . كما انه جزم عليهم بالا يدفنوا جسده لاتحت الهيكل ولا في جانبٍ ما من جوانب الكنيسة بل ولا في مقبرة الابرار والشهدا . اذ انه اعترف بذاته بانه لم يكن اهلاً لذلك بوجهٍ ما من الوجوه * بل اوصى وحتم بان يدفنوه في مقبرة الغربا ورسم ايضا بالا يلبسوه بعد رقاده اثوابا ما ثمينة . بل ان يستروا جسمه بثوبه نفسهِ ويغطوه بردايه عينه . وبالا ينقلوه بحفلةٍ وكرامة الى المدفن * ثم جزم بالا يطيبوا جسده ولا يحنطوه . بل بالحرى يدفنوه كرجل حقير لايستحق ادنى اعتبار * ولكنه قد توسل للجميع بان يرافقوا جسده بترتيل المزامير . وبان يقدموا عن نفسه التضرعات والذبايح الالهية لدى العزة الضابطة الكل . صانعين له تذكرةً خصوصية في اليوم الثلاثين من رقاده نظير المتنيحين الاخرين *

خامس عشر فما عدا هذه واشيا اخر كثيرة توضح حقايق تواضع هذا القديس . قد حتم في وصيته الاخيرة متوسلاً الى سكان مدينة الرها كافةً بان يميزوا جانبا جميع ما كانوا افتكروا بان يصرفوه على احتفال دفنه بكرامة . ويجعلوه كميةً واحدة وبعد ذلك يوزعونه على الفقرا والمساكين اخوة المسيح الصغار معترفا بانه كان كلي الرضا من حسن تقوى هذا الشعب وحبهم اياه وانه شخصيا قد اكتفى بحسن استعداداتهم * وبهذا النوع اراد من جهةٍ ان يجعل المحسنين استحقاقا بالاشتراك بهذه الحسنات ومن جهةٍ اخرى ان يسعف بها الفقرا وهو نفسه يقرب لله حسن طويته هذه . موطدًا في الشعب الميل نحو فعل الرحمة * وقد اوضح لهم ان كل من لا يقدم لمجموع هذا الاحسان كل تلك الكمية التي عزم في ضميره على تقدمتها لاجل احتفال دفنه . بل يبقي لذاته منها شيا ما مهما كان جزئيا فيحل به القصاص الذى اصاب حنانيا من قبل القديس بطرس الرسول * فبعد ان انجز هذا الشرح . واذا باحد الاغنيا الذين كانوا حاضرين في ذلك المحفل قد اعتراه الشيطان . فسقط في

الارض عند سرير القديس مزبدًا صارخًا بنوعٍ مهيل * فالبار قال انه ليس من دون علةٍ حدث له ذلك . ومن ثم حتم عليه بان يعترف بالحقيقة * فالغنى قد اشهر امام الجميع انه كان صمم نيته على ان يلبس جسم القديس افرام بعد نياحه ثوبًا ثمينًا جدًا . ولكن لما سمع منه انه لم يكن يريد هذه الكرامات عدل عن نيته هذه * فحينيذٍ امره البار بان يقدم ثمن ذلك الثوب الى مجموع الاحسان للفقرا . ثم وضع عليه يده متوسلاً لله من اجله . فتركه الشيطان وشُفي * بل لو كنا نريد ان نحرر هنا جميع اعمال هذا القديس الأُخر السامية لكان يطول بنا الشرح جدًا جدًا * فاذًا على هذه الصورة قد رقد هو بالرب منتقلاً الى المساكن السماوية سنة ٣٧٩ . والكنيسة اللاتينية تصنع تذكاره في اليوم الاول من شهر اشباط * واما شعب مدينة الرها فقد تمموا وصاياه ودفنوه بالنوع الذي امر به في وصيته الاخيرة *

فالارشاد الذى قدمه الباري تعالى للقديس افرام في سن صبوته نظرًا الى ما يخص العناية الالهية يمكننا ان نخصصه لانفسنا . فلنتذكر اذًا ونفكر حسنًا بان جميع ما يحدث في العالم انما يتم من قبل العناية الالهية التي بها الله يدبر بحكمةٍ كلية الكمال وبعدلٍ وقسطٍ واستقامةٍ جميع الكاينات . بنوع انه لا تسقط على الارض شعرة واحدة من روسنا ولا عصفورٌ واحدٌ دون ارادته عزَّ وجلَّ . كما يعلمنا ذلك في انجيله المقدس (متي ص ١٠ ع ٢٩ و ٣٠) * فلهذا يلزمنا ان نسلم ارادتنا بمطابقةٍ تامة لارادته تعالى في كل ما نراهُ يحدث في العالم لنا او لغيرنا . ولئن لم نكن ندرك الغايات المقصودة منهُ بذلك . بل يمكننا ان نعقل جيدًا ان الاشيا كلها تحدث لاجل مجده جلت اسماؤه ولاجل خير مختاريه بتطهيره اياهم من نقايصهم او بحفظه اياهم بذلك من السقوط . او بامتحانه فضايلهم . لا سيما التواضع والصبر اللذين بهما يبلغهم الي اكتساب السعادة الابدية * ثم فلنتعلم ايضًا مما رسمهُ القديس نظرًا الى ما يخص دفنهُ ان نكرم القديسين باتباع اثر فضايلهم وبان نسعف الفقرا والمحتاجين الذين هم اعضا حية لجسم يسوع المسيح السري بما نفكر مراتٍ كثيرة بان نصرفه علي اشيا باطلة وعلى زينات غير مفيدة . لا سيما الدراهم التى تصرف تحت اسم التقوى على الفخفخة والمجد الباطل * فعن ذلك يقول القديس برنردوس ان اموالاً هذه صفة اصرافها تكون ثمرة محبة الذات احرى من انها تكون أُصرفت بالحقيقة على مجرد العبادة الصادقة لله

ولتكريم القديسين ❋

❋ اليوم التاسع والعشرون ❋

❋ وفيه تذكار نقل جسم الشهيد في الكهنة اغناتيوس ❋

❋ المتوشح بالله ❋

فليراجع العدد الثالث عشر من سيرة حبوة القديس اغناتيوس البطريرك الانطاكي المذكور المحررة تحت اليوم العشرين من شهر كانون الاول ليفهم ما يختص بنقل جسمه الكريم ❋

❋ اليوم الثلثون ❋

❋ وفيه تذكار القديس الشهيد في الكهنة ايبوليطس وابائنا القديسين ❋

❋ معلمي المسكونة روسا الكهنة المعظمين باسيليوس ❋

❋ الكبير وغريغوريوس الثاولوغوس ويوحنا ❋

❋ فم الذهب ❋

اولاً انه يوجد فيما بين الشهدا القديسين كثيرون الذين كانوا يدعون ايبوليطس . ولكن اثنان منهما يكرمان من الكنيسة الجامعة في هذا اليوم فالاول منهما هو القديس ايبوليطس الجندي الذي اعتنق الايمان بالمسيح واصطبغ بواسطة القديس لورانسيوس . وبعد ذلك بمدة وجيزة نال اكليل الشهادة مقدماً دمهُ وحياتهُ من اجل الايمان بالمسيح . وهذا هو حد ما نعلمه عنه ❋ واما القديس ايبوليطس الثاني الذى يبان من لهج السنكسار الروماني انه كان من مدينة انطاكية فهذا كان احد الخمسة الكهنة الذين من اكليروس الكنيسة الرومانية كانوا تحزبوا بالانشقاق مع نوفاتسيانوس . الذي كان رفض ان يقبل في الكرسي الروماني كبابا شرعي كورنيليوس المقام عليه . وقد تجاسر بابلغ من ذلك على ان يصير ذاته ان يرتسم هو نفسهُ اسقفاً رومانياً بطرايق اغتصابية ❋ غير ان الباري تعالى قد استعمل نحو ايبوليطس هذا رحمتهُ الغير المتناهية . منقذاً اياه سريعاً بنعمته من هذا الانشقاق . ومطهراً اياه من خطيته هذه بواسطة سفك دمهِ بالاستشهاد الذي صنعه سنة ٢٥٠ . في زمن الاضطهاد الذي بهِ حارب الكنيسة الجامعة الملك داكيوس قيصر . وقد تم جهاد هذا القديس بالنوع الاتى ذكرهُ ❋

ثانيًا فالوكيل الملوكي في مدينة رومية ارسل فقبض على القديس ايبوليطس وطرحه في السجن . ثم بعد ذلك مضى الى مدينة اوستيا او الى مدينة بورتوس التي موقعها عند فم نهر طافارا بالقرب من رومية . وحتم بان يرسلوا اليه للمحل المذكور ايبوليطس مع المقيدين الاخرين من اجل الديانة المسيحية * فلما كان الجنود آخذين القديس ايبوليطس من رومية الى المدينة المار ذكرها . فالمومنون الذين كانوا تتلمذوا له ذهبوا لمقابلته في الطريق سايلين اياه بان يعرفهم الحقيقة في هل ان كورنيليوس كان هو البابا الشرعي للمدة البطرسية ام نوفاتسيانوس كان البابا الشرعي * فالقديس ايبوليطس اجابهم عن ذلك قايلاً : « اهربوا من نوفاتسيانوس العديم الاستحقاق وانبذوا عنكم الانشقاق . وارجعوا الى وحدة الكنيسة الجامعة . فانا الان اشاهد الاشيا بمنظرٍ اخر مختلف عن ذي قبل واندم متاسفًا على الذي صنعته فيما مضى » *

ثالثًا لما بلغوا بالقديس المذكور الى مدينة اوستيا . واحضروه امام الوكيل الملوكي الذي كان جالسًا في ديوانه الاحتفالي . محاطًا من اصحاب الوظايف . وامامه كانت مهياة الآت العذابات التي كان يعذب بها المسيحيين الذين كان واقفًا منهم في ديوانه عددٌ وافرٌ بالقيود . وكان يظهر من هيئة وجوههم وحال شعور روسهم ان زمنًا مديدًا كان مضى عليهم وهم في الحبوس . فبعد ان صير الجلادين ان تعذبهم بانواع مشكلة حكم عليهم جميعًا بالموت لثباتهم في الاعتراف بالمسيح فاخيرًا قد جاء دور الكاهن القديس ايبوليطس الذي كان واقفًا مثقلاً بالسلاسل . منتظرًا ابراز الحكومة عليه نظير اوليك * اما الشبان الوثنيون المنافقون الذين كانوا حاضرين في هذا المشهد . فحالما قُدِّم القديس المذكور الى الوسط امام الوالي طفقوا يصرخون : « ان هذا هو راس المسيحيين . ولذلك يجب ان يمات بنوع خصوصي جديد اعظم شقاوةً واشد شناعةً مما أُميت به الاخرون » * واما الوالي فسال القديس عن اسمه . واذ اجابه بانه ايبوليطس حكم قايلاً : « فليمت اذًا ايبوليطس مجرورًا باذناب الخيل » واراد بذلك ان يتم بهذا القديس ما كان حدث قديمًا لرجل من المتقدمين كان يدعى ايبوليطس * الذي كان سقط من على مركبته معرقلاً في رباطات الخيل . التي اذ خافت مرتعشة من سقطته فيما بين ارجلها شمصت راكضةً في الطرقات ساحبة ايبوليطس المعرقل في الرباطات المذكورة الى ان تفسخت اعضاوه ومات هذه

الميتة الشنعة *

رابعاً فخدام الشريعة احضروا حالاً فرسين غير مروضين قويين . وربطوهما معاً بالنوع الذي به تسحب العربانة * وعوضاً من مقياد العربانة ربطوا فيهما حبلاً ضخماً قيدوا في اخره القديس ابوليطس من رجليه * ثم ضربوا الفرسين بالمجالد واخافوهما بالصراخات . فوثبا يركضان بشدة * وكانت الكلمات الاخيرة التي نفوه بها القديس قبل ركض الفرسين هذه قائلاً « يارب فلتتمزق لحماتي كلها . وتنفصل اعضا جسدي بحيث « ان تخلص نفسي » * فعلى هذه الصورة من قبل ركض الفرسين فيما بين الطرقات وخروجهما الى البرية ومرورهما فيما بين الصخور والاشواك . قد تنسخت اعضا الشهيد مزروعةً في امكنة متباينة حيث المومنون جمعوها بعنايةٍ كما انهم لقطوا بواسطة الاسفنجات دمه المسفوك في كل ناحية . وهكذا نال اكليل المجد الشهادي *

فالرجل الشهيد برودانتسيوس قد كتب هذه الخبرية بابياتٍ من الشعر جزيلة الفصاحة . بالنوع الذي يقول انه شاهدها به مصورةً في المكان الذي فيه كان قبر هذا القديس الشهيد . ثم يضيف الى ذلك قوله ان اعضا الشهيد ابوليطس الطاهرة بعد ان جمعها المومنون بالنوع المنوه عنه انفاً . احضروها الى رومية ودفنوها في المغارة المدعوة كاطاكومبا بكرامةٍ جزيلة ثم يقول ايضاً انه أُقيم هيكلٌ جليل فوق قبر هذا الشهيد . وقد اضحى شايع الذكر * وكانت الانام الاتقيا تزوره بعبادةٍ وافرة من الرومانيين ومن الغربا . لاسيما في يوم احتفال تذكاره السنوي * ويوكد بانه هو نفسه قد اشترك بنوال النعم التي كان الباري تعالى يهبها المومنين بشفاعة هذا القديس * على انه بعد ان زار هو الهيكل المذكور مراتٍ مستغيثاً بتضرعات الشهيد ابوليطس قد نال بنوع اعجوبة الشفا مضاعفاً بالنفس والجسد فلنلتجِ اذاً الى شفاعة هذا القديس المجيد لكي يستمد لنا النعم من الله الضرورية لنا روحاً وجسماً *

* اما سير حبوة القديسين *

معلي المسكونة روسا الكهنة المعظمين باسيليوس الكبير وغريغوريوس الثاولوغوس ويوحنا فم الذهب . فهي مدونة منا في ايام اعياد هولا القديسين . التي تكمل في اليوم الاول من شهر كانون الثاني الحاضر وفي اليوم الخامس والعشرين منه ثم في الثالث عشر

من شهر تشرين الثاني * واما السبب الذي من اجله الكنيسة اليونانية تصنع في هذا اليوم تذكارًا جامعًا لهولا الثلثة الاقمار المستمدين الانوار الالهية من شمس العدل الحقيقية . والمشرقين في جلد البيعة بنهاء اقوالهم الملهج بها من الله وتكرمهم جملةً بهذا العيد مع انها تحتفل بتذكار كل منهم في يوم خصوصي . فهذا جميعه يبان من المينولوجيون اليوناني اي انه تم لاجل نزع البلبلة والانشقاق من بين الشعب القسطنطيني وغيره الذي كان حادثًا في الجيل الحادي عشر لاسباب مختلفة . ولكي ينضم الجميع الى اتحاد واحد بهدو وسلام لانه قد ظهر هولا الثلثة القديسون المعظمون برويا خصوصية الى الاسقف ابار يوحنا الافخايتي وامروه بان يصنع لهم عيدٌ جامعٌ مشتركٌ وبموجب هذه الرويا ترتب اليوم الحاضر لتكريمهم جملةً . وذلك نحو سنة ١١٠٠ في ولاية الملك الكسيوس كومنانس * وبهذا قد زال الانشقاق من بين الشعب واتحدوا جميعًا بالالفة والسلام *

* اليوم الحادي والثلثون *

* وفيه تذكار القديسين الماقتين الفضة الصانعين *

* العجايب كيرس ويوحنا *

اولا ان القديس كيرس كان ممارسا صنعة الطب في مدينة الاسكندرية في بداية الجيل الرابع . حينما كان ثايرًا الاضطهاد القاسي ضد المسيحيين من قبل القيصرين ديوكلاتسيانوس ومكسيميانوس . اللذين ابتدأه وتبعهما به في بلاد المشرق القيصران مكسيميانوس غالاريوس ومكسيمينوس * فهذا القديس الذي كان مسيحيًا حقيقيًا غيورًا جدًا لم يكن يغفل في الوقت عينه الذي فيه كان يعالج اجسام المرضى بصنعة الطب المتمهر بها جيدًا عن ان يهتم بشفا انفسهم ايضًا محرضًا عبدة الاوثان ومقنعًا اياهم بالبراهين السامية على ترك ضلال عبادتهم الباطلة وعلى التمسك بديانة المسيح . الذي هو الطبيب الوحيد الكلي الاقتدار على شفا الانفس والاجساد وقد نجح في ارشاداته هذه جدًا . بنوع انه اكتسب عددًا وافرًا الى رفض المذهب الوثني . منقذًا اياهم بمساعدة نعمة الله من ظلام الجهل الى معرفة الاله الحقيقي في امانة المسيح * فسلوك القديس كيرس بهذا النوع قد صير الوثنيين المصرّين على ضلالهم ان يستشاطوا عليه غيظًا وان يقدموا ضده الشكاية الى والي الاقليم المصري بانه بواسطة مباشرته مهنة الطب وجد كحجر عثرة مضرًا للجمهور في تعليمه كثيرين

العصاوة على الاوامر الملوكية . جاذبًا اياهم الى هجر عبادة الهة المملكة ومن ثم قد حتم الوالي بالقبض على هذا القديس وباحضاره امامه ليعطى جوابًا عن تصرفاته المشار اليها * غير ان القديس كيرس حالما صار عنده خبر هذا الحتم قد هرب سرًا من بلاد مصر الي بلاد العربية . تابعًا هكذا تعليم مخلصنا يسوع المسيح في ان المضطهد يمكنه ان يهرب من مدينة الى اخرى . كيلا يطوّح ذاته من دون احتياج والزام في خطر التجارب *

ثانيًا فقد استمر في بلاد العربية مدةً مستطيلةً لم يمارس فيها صنعة الطب . بل غيّر كيفية ملبوسهِ . وثـابر على افعال الديانة والعبادة لله مجتهدًا بحكمةٍ وعناية في اجتذاب الوثنيين الى الايمان الحقيقي ۞ وقد حصل في هذه المدة على رفيقٍ له شبيه به بحسن الديانة والغيرة يدعي يوحنا كان مولودًا في مدينة الرها بين النهرين . الذى بعد ان كان خدم في الوظايف الجندية مدةً من السنين تنزل عنها وكرّس ذاتـه بكليتها لخدمة الله * باذلاً اهتمامه الكلي في ارشاد الامم واقناعهم ببراءة اعتقادهم الكاذب ودخولهم في المذهب المسيحي * فبينما كان هذان القديسان يباشران تقديس نفسيهما بافعال محبة الله والقريب بغيرةٍ هكذا حارة . فقد بلغهما ان سيريانوس الوالى فى الاقليم المصري قد وضع في السجن في بلدةٍ تدعى كانوبوس قريبة من الاسكندرية امراةً مسيحية اثنية جدًا مسماة اثناسيا مع بناتها الثلث البتولات ثاوضوسيا وثاودورة وافدوكسيا الحدثات . حيث ان ثاوضوسيا كان لها من العمر خمس عشرة سنة * وثاودرة اربع عشرة سنة وافدوكسيا احدى عشرة سنة . مريدًا المغتصب المذكور ان يلزمهنّ جميعًا برفض ديانة المسيح اللواتي كنّ متمسكات بها * فالخطر الذى كان محيقًا بهولا النسا نظرًا الى الضعف المشتمل عليه جنسهنّ من قبل التهديدات او المواعيد او الخداعات والغشوش قد اضرم في قلب القديس كيرس نار الغيرة نحوهنّ لاسيما لانه يظن بالصواب انه كانت توجد فيما بينهنّ وبينه قرابة ما او قلما يكون معرفة وصداقة خصوصية * ولهذا عزم على الرجوع الي بلاد مصر كي يقدم لهنّ الاسعافات الضرورية . ولكي يشجعهنّ محرضًا اياهنّ على الثبات في الايمان . ولو انه بذلك القي ذاته في اي خطر كان لاجل فضيلة الديانة ومحبة القريب * فالقديس يوحنا رفيقه قد اعتمد هو ايضًا علي الذهاب صحبته ليشترك بالاجر في هذا العمل *

ثالثًا فقد سافر اذًا هكذا القديسان المذكوران من بلاد العربية الي كانوبوس .

وباهتمام كلي حصلا على طريقة بها كانا يتردادان على المعترفات بالمسيح اثناسيا وبناتها مشددين اياهن بالصوت الحي وبراهين قوية على احتقار اى عذاب كان حتى الموت نفسه احرى من ان يخنّ الامانة ويعطين ظهرًا ليسوع ختن انفسهن * فهذا السلوك لم يلبث مدة طويلة من الزمان مخفيًا . بل قد بلغ الى مسامع الوالى * الذي حالاً صيران يقبض عليهما ويوتي بهما الي ديوانهِ حيث اخذ يوبخهما بصرامة كلية . زاعمًا انهما اتجاسرا بهذا المقدار على ان يخدعا الاربع النسا المذكورات ويغشاهن باحتقار الهة المملكة مع الاوامر القيصرية . مضيفًا الى اقوالهِ هذه بان ذنبهما كان مستحقًا قصاصات ثقيلةً . ولكن هو يعفو عنهما ان كانا يقدمان لالهة المملكة القربان ويطيعان المراسيم الملوكية * ولكن لما شاهدهما غير مبالين بتوبيخاتهِ ومحتقرين تهديداتهِ وثابتين في ديانتهما المسيحية . احتمي ضدهما غضبًا وامر بتعذيبهما بقساوة شديدة بحضور اثناسيا وبناتها حتي يرتعدن خوفًا من تلك التعاذيب ويرتخي عزمهن عن الثبات وبوافقن مرغوباتهِ *

رابعًا فالجلادون قد عذبوا هذين القديسين بالضرب البربرى مستطيلاً . وبعد ان اضني جسداهما مملوين من الجراحات ومدروجين بالدما وضعوا علي تلك الجراح ملحًا وخلاً كي يزداد الالم والعذاب علي القديسين وحرقوا خواصرهما بمشاهيب متقدة * غير ان هذه كلها لم تنقص شجاعتهما . ولا ارخت عزمهما عن دوام الاعتراف باسم يسوع المسيح * فحينما كان يظن المغتصب ان مشاهدة هذه العذابات تكون غيرت قلوب اثناسيا وبناتها على نوعٍ ما عما كنّ بهِ من رسوخ العزم الثابت . قد طلب منهنّ ان يقربن للاوثان الضحية . وان يخضعن لاوامر الملك * ولكن ظنهُ قد خاب حيث انهُ وجدهنّ ثابتات بالاعتراف بالمسيح . مستعدات لاحتمال اشد العذابات احرى من ان يكفرن بهِ تعالى ☉ فمن ثم قد كاد يذوب حنقًا عليهنّ . ولهذا حتم بان يعذبن جدًا اولاً وبعد ذلك تقطع روسهنّ . وقد تم الامر فعلاً ونلن بهِ اكاليل المجد الغير البالية واما نظرًا الي القديسين كيرس ويوحنا فجزم الوالي بطرحهما في السجن بالحال المرثي لها التى كانا حاصلين عليها *

خامسًا ثم بعد ايامٍ قدامر باحضار هذين القديسين جديدًا في ديوانهِ . حيث شرع تارةً يلاطفهما بالكلام ويعدهما باشيا كثيرة من المواهب الملوكية ومن علامات الشرف ان اطاعا واتبعا ما كان يطلبهُ منهما . وتارةً يخيفهما بتهديدات ثقيلة بانه يعذبهما بانواعٍ عديدة

عذابات مهيلة ان استمرا على عزمهما * فلما راى ذاتهُ فارغًا من ثمرةٍ . اذ ان الشهيدين لبثا ثابتين على الاعتراف بالمسيح . معلنين انهما لايمكن ان ينكراه او يطابقا على اثمٍ شنيع ذي خيانة نحوهُ تعالى ونحو نفسيهما . راذلين مواعيد المغتصب ليس باقل من رذلهما توعداتهِ . فقد ابرز اخيرًا ضدهما حكومة الموت بقطع الراس كانهما مهينين لالهة المملكة وعاصيين على الاوامر الانفوسطية * فعلي هذه الصورة قدم كيرس ويوحنا الشاهدان حياتهما لله ذبيحةً بقطع الراس في مثل هذا اليوم سنة ٣١١ . ونالا راية الظفر وتاج الشهادة * واما جسداهما فأُخذا من المومنين ودُفنا في مكان جليل . حيث ان الله قد منح بواسطتهما انعامًا غزيرة وصنع من اجلهما وبهما عجايب عديدة حتي لنبا بصانعي العجايب . وهذا جميعه هو موكد من مورخين صادقين معاصرين لها *

فحينما يكون متملكًا في القلب المسيحي الحب الصادق . لايمكن المتصف بهِ ان يهمل الفرص التي بها يمارس الاشيا الراجعة لمجد الله الاعظم ولخلاص الانفس الثمينة * فهكذا قد صنع القديس كيرس . الذي مع حال كونهِ علمانيًا فاستخدم صنعة الطب الهً لاكتساب الانفس لسوع المسيح . ومثله فعل رفيقهُ القديس يوحنا مع انه كان جنديًا * فعلي هذه الصورة نحن ايضًا في اية دعوة وجدنا نقدر مع نعمة الله ان نصنع نظيرها لان الباري تعالى يعلمنا علي لسان رسولهِ القديس يعقوب (ص ٥ ع ٢٠) : « ان من يعتني في خلاص اخيهِ يستر كثرة الخطايا ويخلص نفسًا من الموت » * فلا يوجد من يمكنه ان يدعي بسان هذه الاقوال والاهتمامات بالانفس تختص بخدام الانجيل فقط * على انه ولين كان هذا الالتزام بنوعٍ شديد وبالوجه الاول يلاحظ خدام الاسرار . فمع ذلك لايمكن للمسيحيين العلمانيين ان يعفوا منه مطلقًا * لانهم كل مرة يتلون الصلوة الربية يقولون نحو الله : فليتقدس اسمك : الامر الذي يوضح اشواقنا ورغبتنا في انه عزَّ وجلَّ يحب ويعبد ويكرم من الجميع * فاية سعادة تكون للمسحي اعظم مما فعلهُ القديسان كيرس ويوحنا اللذان عند مشاهدتهما الخطر الذي كانت حاصلةً عليه القديسة اثناسيا وبناتها الثلث . قد طوحا ذاتيهما كانهم بهما فعلاً بخطر فقد حياتهما من اجل حبهما خلاص الانفس وخير القريب * فالانجيل الطاهر يعلمنا قايلاً : « ان ما من حبٍ اعظم من هذا . وهو ان يبذل الانسان ذاته فداءً عن احبايهِ » . الذين انما هم الاقربا اي كل انسانٍ * فلنتق نحن ايضًا نحو هذه السعادة . ومن

حيث انه لا توجد في ازمنتنا هذه الظروف التي حصل عليها القديسان المذكوران فيمكننا قلما يكون ان نسعف بقدر استطاعتنا اوليك البنات اللواتي من شدة الفقر يوجدن في خطر فقدان انفسهن بالخطايا . متشلينهن من فخاخ العدو بواسطة فعل الصدقة معهن *

* شهر اشباط *

* اليوم الاول منه *

* تذكار القديس الشاهد تريفن *

اولاً ان القديس الشهيد تريفن قد نال اكليل المجد فى زمن الاضطهاد المصنوع من داكيوس قيصر ضد المسيحيين نحو نصف الجيل الثالث . فهذا القديس ولد في البتنية وتربى في حضن الديانة المسيحية تربية حسنة . وفى سن صبوته عينها كان مباشراً واجبات العبادة الحقيقية لله والتاصل فى الفضايل *

ثانيا فقد قبض عليه بامر اكوبلينوس والى اقليم البتنية لحال كونه مسيحياً . فالقديس شكر الله بقلب مبتهج لانهُ تعالى اهلهُ لان يحتمل من اجل اسمه العذابات ويقدم له حياته ذبيحة . متوسلاً اليه بحرارة بان يحفظهُ ثابتا على صيانة وديعة الايمان * فبعد ان قيد بالسلاسل وأُرسل الي مدينة نيقية لمواجهة الوالى المذكور . قد وُضع بامره في السجن باحتراس * فحينما وُجد جسمهُ مغلولاً بالقيود فى ذلك الحبس . كانت نفسه معتوقة حرة مسرورة تايقة الي نوال الاكليل الغير الفاسد * ثم غب بعض ايام مثل لدى الوالي الذي اذ سالهُ عن دعوتهِ وحالهِ وسعادتهِ اجابه القديس قايلاً : « ان المسيحيين لن « يعتقدوا على سعد او سعادة لانهم يومنون بان الله هو الذي يدبر الكاينات حسب مشيتهِ « الكلية الحكمة » * فاحد اصحاب الوظايف العلياء الذي كان يمكنهُ ان يتكلم بحضر الوالي « قال للشاهد تريفن : « ان الذين هم من اهل ديانتك يجب ان يحرقوا بالنار بموجب « الاوامر الملوكية » * فاجاب الشاهد وقال له : « ان العذاب لا يخيفني اصلاً بل بالحرى انى اتوق الي احتمالهِ *

ثالثًا فالوالي اظهر بان كلمات الرجل المومي اليه القاسية لم ترضه . ولذلك اخذ يقول للشاهد هكذا : « انه يبان لى انك حاصل على سن الشبوبية وبالتالي يمكنك ان تعرف « جيدًا ما الذي يجب عليك صنعه » فاجابه القديس قايلاً : « اى نعم انني حكيم انا لانني « تابع يسوع المسيح . واشواقي كلها هي متجهة لان ابلغ الى الحكمة الكاملة . وليس يوجد « لى سبيل اخر به يمكننى ان ابلغ الى هذه الحكمة الا بالطريق التى انا سائر فيها » * فلما سمع الوالى هذا الجواب . امر بان يجلدوا تريفن شديدًا * فهذا القديس قد وثب بذاته « وخلع عنه ملبوسه . مقدما جسده عاريا للجلد الذى تكبده مدة ثلثة ايام من دون ان يفه بكلمة تشكى اصلاً . بل بكل جلادة وصبر وشجاعة كان يحتمله . متلفظا بالاستغاثة باسم يسوع . ومنبهًا الوالي على ان ثباته في عبادة الاوثان كان يجعله في خطر متصل على السقوط في دركات جهنم . ناصحا اياه على رفضها * فالمغتصب لم يصغ لهذه الاقوال . بل خرج الي القفر لاجل الصيد . ماموًا بان يتركوا تريفن مقيدًا تحت السما الى رجوعه * ومن حيث انهُ وقتيذٍ كان فصل الشتا والبرد القاسى . فرجلا القديس تشققتا ويبستا من شدة البرد *

رابعًا فلما رجع اكريلينوس الوالي من الصيد امر باحضار الشاهد امامه . وابتدا من جديد ان يساله عن اشيا كثيرة واخيرًا قال له : « اتراك بعد لم ترجع الي نفسك وتكون « حكيما » * فاجاب تريفن وقال له ان الموضوع الذى اسعي نحوه هو هذا بالحقيقة اى « الحكمة وانما احصل عليها بواسطة تقدمتي على الدوام العبادة لله : » * فعند ما شاهد الوالي ثبات القديس ارسله الى السجن . وذهب هو الي افتقاد بلدان اقليم البتنية * ثم لما رجع من هذا الافتقاد امر بان يمثل امامه تريفن . مومِلاً بان طولة الزمن في الحبس مع العذابات التى قاساها لابد من ان تكون لينت جلادته * ومن ثم اخذ يخاطبه بعذوبة . موعدًا اياه بعطايا سنية وبكرامة جليلة من قبل الملك ان اطاع اوامره * ولكن حينما راه ثابت العزم ليس باقل من ذي قبل . قال له اخيرًا هكذا « ارحم نفسك واشفق على شبوبيتك . التى يمكنك بها ان تتمتع بانعاماتنا » * فاجابهُ القديس تريفن قايلاً : « انني لا « استطيع ان اتبع بافضل نوع مشوراتك علىَّ بالنعمات الا بان استمر على اعترافي « بيسوع المسيح » *

خامساً فالوالي وقتيذٍ امتلا غضباً من كونه لم ينل من الشهيد اربه . فحتم بان يسمروا رجليه بالمسامير ويسحبوه في ازقة المدينة ويعذبوه بانواع العذابات الشديدة * فالجلادون تمموا ذلك جميعه جالدين جسدهُ ومزقينه بالمشاط الحديدية . ومكوبين جراحاته بالمكاوى المحماة * فالقديس كان يحتمل ذلك بصبرٍ عجيب متوسلاً لله هكذا : « يارب يسوع المسيح الذي انا من اجلك تكبد الاوجاع واحتمل التعاذيب . مجاهداً عن ايمانك لا تسمح بان الشيطان يقوى عليَّ استمع تضرعاتي واستجب لى ناظراً الي اشواق قلبي . واجعلني ان اثبت في طريق جهادى هذا الى حين النهاية : » فبينما كان الشهيد تريفن يقاسى هذه الاوجاع فالوالي حينا بعد حين كان يكرر عليهِ القول بان يشفق على زمن شبوبيتهِ ويضحي الاوثان * غير ان القديس لم يكن يلتفت الي هذه الكلمات . بل كان مثابراً على التوسل لله فى ان يمنحه النعم التى بواسطتها يمكنه ان يصبر الي المنتهى وينال اكليل جهاده * فاخيراً لما راى الوالي عدم انثنا عزم تريفن حكم عليه بقطع راسه . وهذا تم حالاً نحو سنة ٢٥١ للمسيح * ويكمل تذكارهُ في الكنيسة الرومانية في ٣١ كانون الثانى . وكان رفيقا للقديس تريفن فى هذا الجهاد القديس الشاهد راسبيكيوس الذي يبان انه كان نسيبهُ * وجميع ما ذكرناه لحد الان عن الشاهد تريفن قد تم بالقديس راسبيكيوس ايضا . ونال معه اكليل المجد بقطع الراس *

فالشدايد والاضطهادات هي امتحان للفضايل الحقيقية . والحكمة الصادقة هى الشوق نحو الاشيا الملاحظة السعادة الابدية ونحو احتمال جميع المكاره والاضامات لاجل نوالها . فهكذا علمنا بالكلام وبالفعل القديسان الشاهدان تريفن وراسبيكيوس * فلنستشهر اذاً من ارشاداتهما ومن نموذجاتهما الافادة ان كنا نريد ان نخلص انفسنا . ومن حيث اننا ضعفا عاجزين عن الاحتمال فلنلتجى مثلهما لاستمداد العون الالهى ونعمة الله القادرة ان تحفظنا وتقوينا وتسكب فى قلوبنا تلك الحكمة السماوية . التى هى موهبة تفاض منه عز وجل الذى حسب تعليم القديس يعقوب الرسول (ص ١ ع ٥ و ٦) يعطينا كل ما نساله اياه ونستمده منه بايمان حي غير مرتاب ولا منقسم العزم *

* اليوم الثاني *

* وفيه عيد دخول ربنا يسوع المسيح الهيكل *

اولاً ان الله قد امر في الشريعة القديمة المعطاة منه للعبرانيين بان الامراة التى تحبل وتلد طفلاً ذكرًا بحسب النوع الطبيعى الاعتيادي فتلبث مدة اربعين يومًا غير طاهرة . ولا يمكنها في بحر هذه المدة ان تدخل الى هيكل الرب . و بانه في نهاية الاربعين يومًا يلزمها ان تطهر ذاتها بتقدمها الي الهيكل لتقرب عن تطهيرها حملاً حوليًا اي ذا سنة مع فرخى حمام او يمام * واما اذا كانت فقيرة فعوضًا عن الخروف تقدم فرخ حمام او يمام ثانٍ ۞ ثم انه من حيث ان جميع الابكار العبرانيين كانوا مكرسين لله شكرًا له تعالي وتذكرة لخروج بنى اسرائيل من مصر ولنجاتهم من الملاك المبيد الابكار . الذى قتل كل بكرٍ من المصريين فهكذا امر الرب بان جميع ابكار الاسرائيليين الذكورة يقدمون الى الهيكل ويفتدون بدفع خمسة مثاقيل فضة عن كل واحدٍ منهم علي وزن ذلك الزمان الموازية نحو اربعة دراهم فضة عن كل ذكر

ثانيًا فمع انه لم تكن لا البتول والدة الاله ولا الطفل يسوع مخضعين لرسم هاتين الشريعتين . وذلك لان البتول القديسة قد حبلت بمخلص العالم بفعل الروح القدس . وولدته من دون انثلام بكوريتها وخلوًا من كل دنسٍ على الاطلاق . والطفل يسوع كان هو الرب المطلق والمشترع الشريعة ولم يزل ابنًا لله . فمع ذلك حينما كملت الايام الاربعون بعد الميلاد الالهي فمريم الفايقة الطهارة مع القديس يوسف الخطيب اخذا يسوع الطفل ومضيا بهِ الى مدينة اورشليم وقدماه في الهيكل متممين هذه الرسوم الشرعية بكل تدقيقٍ نظرًا الحما يلاحظ شخص والدة الاله ثم نظرًا الي ما يخص الطفل يسوع ولكن قدما عنه تقدمة الفقرا اى فرخي حمام فقط *

ثالثًا فحينما كانا فى الهيكل قد حضر هناك بحركةٍ باطنة من الروح القدس انسان شيخ يدعى سمعان الذى كان بارًا صديقًا مملوًا من خوف الله . وكان منتظرًا باشواقٍ شديدة اتيان المسيح الى العالم . ومن ثم كان وعده الله بانه لا يفارق هذه الحيوة قبل ان يعاين مسيح الرب المنتظر * فاذ كان الروح القدس قد عرّفه باطنًا بان الطفل يسوع كان هو مخلص العالم الموعود به والمشوق اليهِ من اجيال هكذا عديدة حمله علي ذراعيهِ مقدمًا لله تعالى الشكر ومبتهجًا بهذه المعاينة السعيدة هاتفًا بهذه التسبحة التى اعتادت الكنيسة المقدسة ان

تلوها يوماً في صلوة الغروب وقايلاً : « الان اطلق عبدك ايها السيد حسب قولك بسلام « فان عيني قد ابصرتا خلاصك الذى اعددته امام كل الشعوب نوراً لاستعلان الامم « ومجداً لشعبك اسرائيل » * ثم بعد ذلك التفت الى الطوباوية مريم البتول والي القديس يوسف وباركهما قايلاً لوالدة الاله : « ان هذا الطفل سيكون لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تخالف وانه سيجوز سيف الحزن في نفسها لتظهر افكار القلوب من كثيرين » فهذه الاقوال قد اراد الرب ان ينذر عن الام مخلصنا بروح نبوى قد مخته لهذا الشيخ الصديق ثم عن الحزن الذى كان عتيداً ان يلم بالبتول القديسة *

رابعاً وفى هذا الوقت عينه جاءت عليهم ارملة قديسة تدعي حنه التي بعد ان كانت استمرت مع رجلها مدة سبع سنوات عقيب بكوريتها وترملت فقد دخلت الهيكل ولبثت فيه الي ذلك الحين . حيث كان لها اربع وثمانون سنة . مثابرة ليلاً ونهاراً على عبادة الله بالصلوات والاصوام * فهذه قد استنارت من الروح القدس . وعرفت ذلك الطفل الالهي انه المسيح مخلص العالم * ومجدت الله شاكرة على هذه النعمة . واخذت تتكلم عن المسيح وتخبر بهِ كل من كان يترجى خلاص اسرائيل *

خامساً فهذا هو السر الذى تقدمه الكنيسة الجامعة المومنين في العيد المقدس الحاضر ليسجدوا لله ويناملوا عظايمه ويتخذوا الافادة لانفسهم . فلنتبع نية الكنيسة هذه ونقدم نحن ايضاً لله الاب الازلي مع سيدتنا البتول الكلية القداسة وبواسطتها ابنه الوحيد مخلصنا يسوع المسيح قربانا وغفارة عن خطايانا . لكي نجد امامه نعمة ونستمد رحمة من بحر جوده الغير المتناهى * على ان هذا الطفل الالهي هو الوسيط الوحيد فيما بيننا وبين ابيه السماوى . وهو مخلصنا القادر على كل شي وباسمه فقط نستطيع ان نحصل علي الدالة امام الله ونرجو غفران خطايانا وحياتنا الابدية * لانه لاجل هذه الغاية تنازل لان يتخذ صورة عبد وهيئة خاطي ولان يقدم ذاته بجملتها وحياته عينها في مثل هذا اليوم لابيه الازلى في الهيكل الناموسى . مستعداً لان يتم فيما بعد ضحية جسده بالام المقدسة والموت علي عود الصليب . الامر الذي تنبا عنه القديس سمعان الشيخ كما مر القول ولكن يجب ان نحترس ونخاف من ان نصير ذواتنا من عدد اوليك الذين تنبا عنهم هذا الصديق سمعان من الساقطين والمخالفين شريعة المسيح الانجيلية والمضادين تعاليمه الالهية . كما تم بكثيرين من اليهود وكما يحدث ذلك

حسب قول القديس اغوسطينوس بكثيرين من المسيحيين انفسهم * الذين يحبون حسب الجسد فقط . سالكين بموجب روح العالم وشهواته الغير المرتبة المحركة من الالام الدنسة لاسيما في هذه الايام المدعوة ايام المرافع التي بها كثيرون من المسيحيين بالاسم يبيحون ذواتهم في النهم والخمرة والجمعيات المفسودة . والسكر والملاعب والمتنزهات . وكل ما من شانه ان يضاد روح الانجيل ويقاوم تعليم المسيح ويحتقر وصاياه وارشاداته . وهكذا يجعلون ان يصدق فيهم جزء نبوة سمعان البار المحزن اى ان الطفل يسوع لا يكون موضوعاً لقيامهم وانتياشهم من البلي الى الحيوة الابدية . بل لسقوطهم وهلاكهم * لانهم بمقدار عظم المراحم الالهية التي استعملها تعالى نحوهم ستكون دينونتهم اعظم لعدم معرفتهم جميل المحسن اليهم ولمخالفتهم وصاياه واصرارهم على صنيع الاثم *

سادساً وينبغي لنا ان نقتفي اثر نموذج العذرا الكاملة الطوبى التي قد اخضعت ذاتها لشريعة لم تكن ملتزمة بحفظها بوجهٍ من الوجوه اصلاً * على انها مع كونها الاطهر والاقدس والانقى من جميع البرايا . فمع ذلك احبت ان تظهر امام شعب مدينة اورشليم كانها دنسة ومحتاجة الى التطهير وبهذا علمتنا الطاعة الواجبة لشريعة الله ولاوامر الرؤسا من غير احتجاج او اعتذار بل بالتسليم التام ومن دون فحصٍ * ثم علمتنا ايضا التواضع المسيحي الحقيقي الذي يجعلنا ان نعرف ذواتنا ادنيا ومستحقين ان نحتقر ليس امام الله فقط بل بازاء الناس ايضاً . واننا محتاجون دايما الى التطهير من نقايصنا اليومية * ثم مع ان هذه البتول القديسة كانت من ذرية داود الملك ومن نسله . وكان جلس على تخت مملكة يهوذا من قبيلتها عدد وافرٌ من الملوك المعظمين فمع ذلك اظهرت من دون خجل محبتها حال الفقر الذى اتصلت اليه وقتيذٍ عيلة والديها * ولهذا قدمت القربان والفدية عن طفلها الالهي وعن تطهيرها بالنوع المرسوم على الفقرا المساكين . الذين لا شيء لهم * وبذلك ارشدتنا الى احتقار الغنى والمجد العالمي والى محبة الفقر والاحتقار . الامر الذي يجعلنا متشبهين براس خلاصنا نفسه . الذي حسب قول الرسول الالهي (قرنتية ثانية ص ٨ ع ٩) انه اذ كان غنياً بالذات صار من اجلنا فقيراً كي يغنينا بمسكنته بتسكاب انعامه الغنية على انفسنا في هذه الحيوة وبابهابه ايانا غنى المجد السماوي في الابدية *

سابعاً ثم يجب الانتهاون باقتدائنا بحسن تدين بالقديس سمعان الشيخ الصديق والقديسة

حنه النبية * على انهما لم يوجدا في هيكل الله لغاية اخرى سوى ليعبداه تعالى ويسجدا له ويتوسلا اليه ويشكراه على مواهبه * فهكذا يلزم ان تكون غايتنا بذهابنا الى الكنايس * وليس لاجل المجد الباطل او حياء من الناس او مراياة بالفضيلة * فهما كانا متجنبين معاشرة الناس . نازحين عن محبة العالم . ملتهبين شوقًا الى اتيان المسيح المنتظر ليخلص العالم * فعلى هذه الصورة يجب علينا ان نعيش كما يعلمنا القديس بطرس الرسول (رسالة اولى جامعة ص٢ ع ١١) كغربا وعابرين طريق هذه الحيوة * ومن حيث اننا متمتعون باثمار سر التجسد الالهي . فلتكن اشواقنا متجهة على الدوام الى الحصول على تمام هذه الاثمار الالهية اي الى الوطن السماوي الذي اكتسبهُ لنا المسيح * ولا يجب ان نخاف من الموت . بل نظير القديس سمعان يلزمنا ان نحتسبهُ شيا شهيا * لانه نهاية غربتنا في هذا العالم . واطلاقنا من المنفى الذى فيه نحن متغربون عن وطننا الحقيقي ونجاتنا من اخطار هذه الحيوة العديدة المحيطة بنا وبداية دخولنا في المُلك المعد من قبل انشا العالم للذين يحبون الله ويخدمونه بامانة * فعادة قديمة هى في الكنيسة الاحتفال بتبريك الشموع بطقس خصوصى في هذا العيد . وذلك اولاً عبادةً لاحترام تقدمة الطفل يسوع الى هيكل الله . ثانيا تذكرةً للنور الالهى الذى بهِ انار عزَّ وجلَّ قلبى القديس سمعان الصديق والقديسة حنه لمعرفة هذا الطفل انه المسيح المنتظر ولاعتقادهما بسر تجسده . ثالثًا لكي نتذكر النور الذي افاضه تعالى في عقولنا بايها به ايانا نعمة الايمان المجانية . وبها اهتدينا الى معرفة الحق يسوع المسيح . الذي هو النور الحقيقي المنير كل انسانٍ . لاسيما حين تقدمتنا من والدينا واشابيننا الي حوض المعمودية في الكنيسة حيث نتلد جديدًا بالماء والروح . رابعًا اشارةً الي النور السماوي وضيا اليوم الابدي في السعادة الطوباوية التى نتوق الي نوالها باستحقاقات سر التجسد الالهي * ولهذا تستخدم هذه الشموع المباركة متقدةً في ساعة الموت لتذكرنا باشراق موهبة الايمان وبهجة عرس الختن الالهي الموطد رجانا بالذهاب الى الاحتفال بهِ في السما نحن المدعوين اليهِ وبحرارة الحب نحو من احبنا بهذا المقدار حتي انه بذل نفسه عنا . ثم لكي تبيد من المنازعين ظلمة الاوجاع وتتبدد عنهم تجارب الشيطان اركون الظلام * فلنفكر اذًا بهذا اليوم بما وعدنا به الله وكنيسته امام حوض المعمودية بواسطة اشابيننا . اي بان نرفض الشيطان وشهوات اللحم واباطيل العالم . وبان نخضع للمسيح

تابعين شريعته الانجيلية . وهكذا نتجنب في هذه الايام روح اهل العالم مبتعدين عن الاجتماعات القاينية والملاهي الخطرة وشهوات الحنجرة . لكي ناهب ذواتنا بابلغ نوع الي الدخول في ميدان الصيام الكبير المقدس . الذي هو زمن التوبة والاماتة . واستعطاف الجود الالهي نحونا بالرحمة والصفح عن خطايانا * وهكذا نكون بنى النور السالكين في نهار الفضايل لا في ليل الجهل . وننهى مسيرنا في سبيل الخلاص من دون عثرة . ونبلغ الى ضيا ذلك اليوم الابدي المعد لابناء النور في السعادة الخالدة *

* اليوم الثالث *

* وفيه تذكار القديس سمعان الشيخ قابل الاله *

اولاً ان القاري اللبيب يمكنه ما حررناه في شان دخول سيدنا يسوع المسيح الى الهيكل الذى يُعيَّد له نهار امس ان يعتبر اشيا كثيرة تخص القديس سمعان الشيخ قابل الاله . الامر الذي لا ينبغي لنا ان نكرره ههنا بل انما نورد اشيا أُخر تلاحظ هذا الرجل البار * ومن ثم نقول ان كثيرين من الكتبة الكنايسيين لاسيما القديسين اثناسيوس الكبير وكيرلوس الاسكندرى وابيفانيوس ذهبوا الى ان القديس سمعان الشيخ كان كاهنًا من مصاف كهنة الناموس الموسوي . نظير كاهن العلى زخريا والد السابق وساير الكهنة الاخرين * ويسندون رايهم هذا على ان القديس سمعان قد بارك مريم والدة الاله والقديس يوسف . كما يوضح ذلك الانجيل المقدس * غير ان كثيرين اخرين من الكتبة الكنايسيين ذهبوا الى انه لم يكن كاهنًا . لانه لو كان كذلك لما كان القديس الانجيلي لوقا اهمل ذكر هذه الصفة الجليلة * ولهذا يقولون ان البركة التي منحها للبتول العذرا وللقديس يوسف لم تكن بركة كهنوتية . بل بحسبما كان شيخًا قديم الايام . وفعل ذلك علامةً لفرحه معهما بحصولها على هذا الطفل الالهى المنتظر *

ثانيًا ثم يجب ان نلاحظ المديح المقدم عن هذا الشيخ البار في المصحف الانجيلي اذ يقول « وكان انسانٌ في اورشليم اسمه سمعان وكان رجلاً بارًا تقيًا يرجو تعزية اسرائيل * وروح القدس كان عليه . وكان قد أُجيب من الروح القدس انه لا يرى الموت حتي يعاين مسيح الرب * (لوقا ص ٢ ع ٢٥) » * فاي مديح اعظم يمكن ان يمدح بهِ احد من الله في مصحف الحق من هذا المديح . فقد اهله البارى تعالي نظرًا الي برارته وتقاوته لان يمنحه روحه الالهي .

ليس فقط ليقدسه ويطهره ويعده للامسته الابن الوحيد كلمة الله المتجسد . ويحمله على ذراعيهِ . بل بنوع خاص منحه الروح النبوي الذي هو من ذى قبل كان كشف لـه سر التجسد الالهي . وبهِ اقبل بالروح الى الهيكل اى بحركة باطنة من الروح القدس . وبـه حينما جاءت بالطفل يسوع امه والقديس يوسف قد عرفه انه هو هو المسيح المنتظر . كما انه في التسبحة التي تلاها اذ حمل المسيح على ذراعيه وهى قولـه : « الان اطلق عبدك ايها السيد حسب قولك بسلام فان عينيَّ قد ابصرتا خلاصك الذى اعددته امام كل الشعوب نوراً لاستعلان الامم ومجداً لشعبك اسرائيل » * قد اشار الى اشيا كثيرة بروح نبوى عما كان عتيداً ان يتم . لاسيما حينما سبق واخبر البتول الكلية القداسة عما كان مزمعاً ان يعرض لابنها وله بقولهِ : « هاهوذا هذا موضوع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامـة تخالفٍ . « وانتِ سيجوز سيفٌ في نفسكِ لتظهر افكار من قلوب كثيرين » *

ثالثاً واما باي نوعٍ كان القديس سمعان الشيخ أُجيب من الروح القدس انه لايرى الموت حتي يعاين مسيح الرب . فاذ لم يكن لدينا برهـان واضح من الكتاب الالهي سوى الكلمات المتقدم ذكرها . فنضرب صفحاً عن اختلاف الاراء عنه . مستدلين من هذا النص المقدس انه لاجل حرارة تضرعات سمعان البار لدى الله في انه يرسل من دون ابطاً المسيح الذى تنبأت عنه الانبيا . ويعزي شعبه اسرائيل بمجي هذا المخلص المشوق اليه من الجميع لاسيما منه اي من البار سمعان . فالروح القدس الذى كشف لـه سر التجسد هو نفسه استجاب تضرعاتـه ووعده بانـه لا يري الموت حتي يعاين المسيح المنتظر * فالقديس اغوسطينوس يقول في عظته التاسعة على ميلاد الرب : « ان الله قد مدّ في حيوة البار سمعان ومنحه اطالة العمر لكي يمكنه قبل ان يموت ان يتمتع بهذه النعمة . وهي ان يشاهد المسيح قد ولد في العالم » * فاذاً حينما حصل هذا الشيخ القديس على اتمام ما وُعد بـهِ من الروح القدس وامتلأ من هذه التعزية العظيمة والفرح الفايق الوصف . قد التمس من الله الانحلال من هذا الجسد . وحالاً رقد بالرب وذهبت نفسه الزكية مبشرةً انفس الابا القديسين والانبيا المتكلمين باللاهوت عن اتيان المخلص الى العالم . موكداً لهم انـه قد عاينه وحمله على ساعديهِ * ولذلك بكل لياقةٍ تصنع تذكار نياحه الكنيسة اليونانية في اليوم الحاضر اي فى اليوم الثاني من اقتباله المسيح على ذراعيه . واما الكنيسة اللاتينية

فتصنع تذكاره في ٨ تشرين الاول ❋

فنحن نعطي الطوبي للقديس سمعان الشيخ . لكونه استحق ان يشاهد ما لم يحصل عليه كثيرون من الملوك والانبيا الذين اشتهوا ان يروا المسيح ولم يروه ❋ وحقًا انه أُهل من الله الي كرامة عظمي ❋ فلننعش نحن فينا فضيلة الايمان . ونعرف هذا الامر الحقيقي . وهو اننا كل مرة نتناول سر الافخارستيا ليس فقط نحمل المسيح على سواعدنا . بل اننا ايضا نحويه في قلوبنا بلاهوته وناسوته وبجميع صفاته الالهية والانسانية . ونتحد بـه ويتحد بنا اتحادًا حقيقيًا ❋ فاي سعادة اعظم من هذه . واية كرامة اسمي يمكن ان تعطى لنا بافضل من ذلك ❋ فلنعرف اذًا جميل المحسن الينا ولنقدم له الشكر الواجب . ولنحذر من ان يكون حظنا في هذا العالم اعظم من حظنا في العالم الاتي . اي انه ههنا يمكننا ان نحصل علي المسيح في قلوبنا ونفقده في الحيوة الاتية لا سمح الله ❋

❋ اليوم الرابع ❋

وفيه تذكار ابينا البار ايسيدروس الفرمي

اولاً ان القديس ايسيدروس الذي هو احد ابا الكنيسة الجامعة قد ولد في مدينة الاسكندرية بعد نصف الجيل الرابع من عيلة جليلة نظرًا الى الفضايل وحسن التدين . ثم نظرًا الي سعة الغني . وكانت توجد فيما بينه وبين ثاوفيلوس البطريرك الاسكندري ومثله بين ابن اخته القديس كيرلس خليفته في الكرسي البطريركي المذكور قرابةٌ ❋ فقد تربي تربيةً حسنة جدًا في واجبات الديانة وفي العلوم التي نجح بها كثيرًا بنوع انه أُعتبر فيما بين عدد اعظم علما عصره ❋ ولكن الشي الذى صيره ان يكون عظيمًا لدي عيني الله وامام الكنيسة الجامعة هو كونه استخدم وزنات جودة عقله وعلومه بقداسةٍ وبكرٍ من الخيرات الزمنية قاطبةً ❋ رفض العالم واتخذ لذاته كنزًا غير بالٍ في السماوات . بتوزيعه جميع ما كان يملكه على البايسين والمحتاجين . وهكذا انفرد ليعيش بالسياحة صحبة بعض نساك في جبلٍ صغيرٍ قريب من مدينـة بيلوسيوس المدعوة الان فرموس ❋ ولذلك دُعي بالايوناني وبـاقي الالسن الغربية ايسيدروس بيلوسيوطا وبالعربي ايسيدروس الفرمي ❋ فاهتمام هذا البار في مدة السنين التى اصرفها فى هذا الانفراد والصمت بالوحدة لم يكن سوى اقانته نفسه بالتاملات المتصلة في الكتاب الالهي وبالصلوات الحارة ثم بامانة

جسده بالتقشفات الشافة وبالاصوام الشديدة . مزلاً اياه ليخضع للروح * وبنوع هذه السيرة شابه القديس يوحنا المعمدان فيما كان استعد به في الاقفار للابتدا بالانذار بالتوبة فهكذا استعد هذا البار في مدة نسكه الي الانذار بالتعاليم المستقيمة . بعد ان اقتبل درجة الكهنوت المقدسة . ثم الي المجاهدة عن الحقايق الدينية والاداب من دون اهابة من احدٍ من عظما العالم . متمماً واجبات هذه الدرجة العظيمة والتزاماتها الثقيلة . التي عرفها بابلغ ما سواه . كما اوضح ذلك في رسايله الجليلة * حتى انه اذ تناسى كل غايةٍ وربحٍ ذاتي قد ظهر غيوراً على مجرد خير الكنيسة التي كان هو احد خدامها الانجليين . بنوع انه كان يحتسب ممن يراقبون مجرد الفطنة الانسانية الموافقة روح العالم انه خرج عن حدود واجبات الغيرة * مع انه بالحقيقة كانت تصرفاته المومي اليها بموجب حقيقة الحكمة المفاضة عليه من قبل الله . الذى استخدم عبده هذا الةً لانتشال عدد عظيم من الانفس . التي كانت متوهطة في حفرة الهلاك *

ثانياً وقد يبان ان الباري تعالى وضع في هذا القديس خاصةً ما بها كان يتميز في تصرفاته الفاضلة عما سواها . وهي ان يهذب في عظما العالم المتقدمين في الوظايف العليا تلك الرذيلة التي تعتري كثيرين بعد ارتقايهم الى المراتب المدنية السامية . وهي ضعف روح العبادة فيهم واحتقارهم سيرة القداسة او الدرجات الكهنوتية * ثم لكي يوئيد حقيقة روح الاداب الانجيلي وصرامة القوانين الكنايسية شرع بموجب الروح الالهي الذي كان يرشده باطناً فى تاليف رسالات عديدة ومختلفة الموضوعات متجه خطاب كلٍ منها نحو اناسٍ ذى دعوةٍ او مرتبةٍ او وظيفة خصوصية من كل سنٍ وجنسٍ وقامةٍ حتي انه اتصل الي ازمنتنا هذه من رسايله ما ينيف عن الفين رسالة * فهذه الرسايل المحفوظة بين ايدينا توضح لدينا بكفايةٍ كم كان هذا البار متعمقاً في معاني الكتاب المقدس وما هي جودة العقل والحذاقة التى كان متصفاً بها . واية براعة عظيمة مستخدمة منه في اقناع الناس واجتذابهم من اية دعوةٍ وجدوا الي عشق الفضيلة والي كره الرذيلة . وكم هي بلاغة معرفتهِ في توارخ البيعة واتساع فهمه في القوانين الجزيلة العدد الملاحظة التهذيبات الكنايسية في كل زمانٍ ومكانٍ والمختصة بالتزامات كل احدٍ فى دعوته ووظيفته ومهنته * لاسيما المصافات الكهنوتية والطغمات الرهبانية * فمجموع هذه الرسايل قد قُبل من الجميع بمديح وثناء . اذ

انها لم تكن اقل اعتبارًا من تاليفات القديس يوحنا فم الذهب نظرًا الى الغيرة في استيصال الرذايل وفى تهذيب العوايد الردية واصلاحها بموجب التعليم الانجيلي * على ان هذا البار بعد ان راجع قراة تاليفات الذهبي الفم مراتٍ بعشقٍ شديد . خاصةً تاليفه عن واجبات الكهنوت قد اقتفى اثرهُ . واقتدى بنموذجاته واكتسب روح نصّه . حتى انه استحق ان يُدعي تلميذًا خصوصيًا له * وكان اعتباره وتعلقه القلبي نحو معلم الكنيسة المذكور شديدين بهذا المقدار . حتى انه ليس فقط سلك بموجب تعاليمه وحذا حذو سيرته . بل ايضًا اتخذ على ذاته المحاماة عنه ضد نسيبه البطريرك الاسكندري ثاوفيلوس * وهذه المحاماة قد هيجت الى مقاومته اعدا القديس يوحنا المذكور . ولهذا تهم هو معه باشيا كثيرة سببت له اضطهادات واضامات شديدة . وصيرته شريكًا بها مع صديقه المحبوب منه وشبيها بمعلمها العام يسوع المسيح بالصبر والاحتمال وحمل الصليب * وهكذا بعد وفاة ثاوفيلوس وجلوس القديس كيرللس ابن اختهِ خليفةً له في الكرسى الاسكندري . قد اجتهد القديس ايسيدروس في اقناعه الكلي في رفع الشوايب التى كان وضعها خاله ثاوفيلوس ضد القديس الذهبي فمه وفى اجتذابه الى تكريم ذكر هذا القديس واحترام صيت تقويمانه ثم انه افاد القديس كيرللس نفسه ليس بقليل في ما به قد جعله ان يقاوم الارثقة النسطورية ويحامي عن استقامة الايمان الكاثوليكى *

ثالثًا فاذاعة شان قداسة البار ايسيدروس في كل مكان وتعمقه في العلوم . في الوقت الذي فيه كان هو متصفا بتواضع كلى وبمحبة متقدة نحو الفضايل وبكره مبين ضد الرذايل فهذه باقترانها مع غيرةٍ سامية ومع حرية انجيلية اعطته ميدانا ليوبخ نقايص اصحاب الدعوات والوظايف من دون مراعاة خواطر . ليس لذوى المراتب الزمنية والدرجات الكنايسية الاقل اعتبارًا فقط . بل والمزينين بالدرجة الاسقفية ايضًا مع انه لم يكن الا كاهنًا بسيطًا * فهذه الغيرة المحركة بهِ من روح الله تنضح من رسايله عينها التي يقول في احداها هكذا : « اننا نخطي على حدٍ سوى حينما ننتقم لانفسنا باخذ الثار عن « الاهانات الصادرة في حقنا . وحينما لا ننتقم عن الاهانات الصادرة فى حق الله * فيجب « علينا اذًا ان نحتمل بدعةٍ وصبرٍ الاهانة حينما تلتحق بشخصنا فقط . وان نستعمل الحنو « والتساهل في غفرانها * واما حينما تلتحق الاهانة بالعزة الالهية . فوقتيذٍ يكون امرًا عادلاً

« وموجباً ان تنصف بالغيرة وبان نظهر بالاحرى الغيظ المقدس والغضب الموسس على
« حب الله من اننا نحتمل ذلك بجبانة وتخشي بدناءة من اننا نغيظ غيرنا * ولكن نحن
« نصنع ما يضاد هذا الامر على خطٍ مستقيم اى اننا نحتمي غضباً ونشتعل بنار الغيرة ضد
« اعدائنا فيما يلاحظنا . واما فيما يخص الله وكنيسته فنحن فاترون متغاضون خالون من كل
« حرارة * فموسي الاكثر حلماً ودعة من جميع الناس قد احتمى غضباً ضد الشعب الاسرايلي
« حينما صنعوا العجل الذهبي ليسجدوا له . وفي هذا الحادث ظهر غضبه اكثر قداسةً من
« اى تنازلٍ وحلمٍ ودعةٍ كانت * وايليا تسلح بالغيرة المتقدة ضد عابدي الاصنام .
« والقديس يوحنا المعمدان ضد هيرودس الملك . والقديس بولس الرسول ضد اليماس
« الساحر * فهولا القديسون انتقموا من الاهانة المتصلة بالله في الوقت عينه الذي فيه
« كانوا يتغاضون عن الاهانات التى كانت تتصل باشخاصهم فاي نعم ان الله هو اكثر
« اقتداراً ايما لايحد على الانتقام لذاته بعدلهِ الرهيب . ولكن مع ذلك اراد تعالي ان الناس
« الصالحين يشتركون بالمحاماة عن الحق . منتقمين بقدر ما هو ممكن لديهم عن الافترا
« المصنوع فى حق عزته الالهية ۞ فهذا هو الترتيب الذي كان القديسون يتصرفون بموجبه
« وبه كانوا يجعلون ثبات فضيلتهم وفلسفتهم الحقيقة « * فغيرة القديس ايسيدروس في
مقاومته الرذايل امتدت الي انه اخذ يهذب نقايص رئيسهِ الخصوصي نفسه اوسابيوس
اسقف بيلوسيوس خليفة القديس عمون . وذلك من حيث ان اوسابيوس المذكور عوضاً
عن ان يقتفي اثر فضايل سالفه القديس . قد سبب شكوكاً كثيرة في كنايس الاقليم المصرى
من قبل تصرفاته الغير العادلة وخطاباته الفاقدة الترتيب وبابلغ من ذلك اظهر
القديس ايسيدروس غيرةً وشجاعةً في توبيخ حاكم المقاطعة وتهذيبه عن المظالم التى كان
يصنعها . وعن عدم اعتباره الحقوق الكنايسية . وقد نتجت من توبيخاته هذه وتهذيباته اثمارٌ
كلية عجيبة *

رابعاً ولكن التجربة اليومية في كل زمن تحقق ان موبخين الرذايل ومقاوميها يكتسبون
لذواتهم عداوة اصحابها و يضعون موضوع الاضطهادات والانتقام منهم . ولهذا لاينبغي ان
يعجب من ان قديساً نظير ايسيدروس الذي قد اشهر حرباً قوية بهذا المقدار ضد الرذايل
والضلالات . يصير مكروهاً من اعدا الحق ومضطهداً من ذوي الملكات الردية * فهذا

القديس لم يكن يجهل هذه الحقيقة . بل عرفها جيداً من امثلة ما حدث للقديسين الذين سبقوه ولكن الله قد سلحهُ بقوة وصبرٍ وثبات وجلادةٍ على احتمال تلك الاضطهادات من غير فشلٍ او تضجر * على ان هذا القديس قد أُمتحن باضطهادات عديدة ومختلفة الانواع * حتى ان اعداه اتصلوا الى ان يطردوه من مكان سياحته في القفر وان يرسلوه الى المنفى * فالقديس ليس فقط لم ينغم بل ابتهج ايضاً بذلك . لعلمهِ كم كان مفيداً لنفسه ولتقديسها * حتى انهُ اظهر الشكر والثنا نحو من صنع معهُ هذا الامر . متحققاً ان الله استخدمه آلةً ليصير بذلك عبدهُ مشتركاً بالطوبى الموعود بهِ للمضطهدين من اجل البر * حيث انهُ كان مقتنعاً بهذه الحقيقة جداً . ومن ثم يقول لاحد اصدقايه في احدى رسالته هكذا : « انه ان « كان من يصنع المتوجب عليه ويتمم حسنا التزاماته يقتضي ان يُعامل بالردى وان تحيق « به الاضطهادات والمصايب وان من يصنع الشر يلزم ان يُمدح وان يكافي بالانعامات . « فلا شك بانه يجب على الانسان ان يختار النوع الاول بصنيع الخير من دون ان يلتفت « مطلقاً الى ملاحظة الاضطهاد الذي يلتحق به من جرى ذلك . لاننا اذا قطعنا النظر « عن المجازاة السماوية عينها التي وعد الله بان يجازي بها الفضيلة . ثم عن العقاب المريع « نفسه المعد في جهنم للانتقام من الرذيلة . فالفضيلة وحدها وبذاتها هي اكليل ومكافاة « للبار . نظير ما ان الشرير يجد قصاصه وعقابه في الشر والرذيلة اعينها اللذين يصنعهما * « ولهذا ان الفضيلة دائماً محبوبة على حدٍ سوي . ولو انها أُضطهدت بالتهم الباطلة نفسها . « والرذيلة هي دائماً مستحقة الكره والبغضة ولو مهما تشرّفت من الناس الضالين » *

خامساً ثم ان الحوادث المحزنة والاضطهادات الشديدة والبلبلات الجزيلة والسقطات الردية التي صدرت في الكنيسة المقدسة في تلك الازمنة من اعدا الحق الارانقــة ومن كثيرين من طغمة الاكليروس الضعفا . لم تزعج روح القديس ايسيدروس ولم تضعف ثباته في الايمان المستقيم * من حيث انه كان مقتنعاً بانه لابد من ان تاتي الشكوك . وان هذه الامتحانات التي تكبدتها الكنيسة الجامعة كانت راجعة الى تاييدها وانتصارها وثباتها ولتنقية المختارين لكي يكون المختبرون ظاهرين . وهكذا حينما كان يشاهد نيران حربٍ مــا شديدة ضد التعليم المعافي . لم يكن يتامل فيها وبحادث اضطهاد الحق . بل كان ينظر الى الغاية والنهاية اللتين بامل وطيد كان يرجو منهما الافادة والمجد للكنيسة وللمحامين عنها ⊙

ومن كون اشواق هذا القديس فيما بين تلك الاضامات والشدايد لم تكن مضطرمة نحو شيء اخر سوي نحو الراحة الابدية فلهذا حينما داهمه المرض الاخير فعوضاً عن ان يخيفه او يزعجه الموت المقترن به فقد عزاه وابهجه وهكذا رقد بالرب بهدوء وسلام في مثل هذا اليوم بعد حيوة مملوة من السنين * ويظن بالصواب ان انتقاله الى الحيوة الابدية تم سنة ٤٤٥ للمسيح *

فرسايل القديس ايسيدروس العديدة ونموذجات تصرفاته ولين كانت تعتبر كرسوم جايلة ومفيدة للجميع من كل جنس وسن ودعوة . فمع ذلك توجد بابلغ نوع مفيدة لان يسلك بموجبها اوليك الذين من قبل دعوتهم او وظيفتهم يلتزمون بتهذيب الاخرين وتوبيخ نقايصهم وتثقيف تصرفاتهم * فمثل هولا يجب عليهم اولاً ان تكون موطدة فيهم محبة القريب نحو من يوبخهم ويقاصهم . والا فيكون بالاحري التونيب والعقاب محركين من قبل الالام الباطنة . لاسيما الكبريا ومحبة التامر وقلة الصبر وعدم الاحتمال من ان يكونا صادرين عن غيرة حقيقية على مجد الله وخير القريب . ثانياً ينبغي انهم يقدمون لله صلوات حارة وتضرعات متضعة مقترنة مع امانة الذات وقهر الارادة لكي يجود عز وجل علي الضالين والخطاة بانعامه الالهية . ويجعل وعظهم وتوبيخاتهم وقصاصاتهم عينها مفيدة لهولا المروسين . والا فتذهب العناية سدى * لانه محال هو ان يرجي اصلاح من لا يكون الله مس قلبه بنعمته للرجوع الى الطريق المستقيمة . كما يشير الى ذلك الروح القدس في سفر الجامعة (ص ٧ ع ١٤) . ثالثاً يلزمهم ان يضيفوا الى ذلك فضيلة الفطنة المسيحية ايضاً . لانه (يقول القديس ايسيدروس نفسه في احدى رسالاته) : « امر ضرورى هو ان « يوبخ البعض بقساوة وجفاوة . والبعض بعذوبة وليونة . لانه لا يمكن اكتساب الجميع « بنوع هو هو نفسه . ولا تستطاع معالجة الامراض كلها وشفاوها بادوية هى هي عينها » * رابعاً انهم بعد استعمالهم كل الوسايط نحو مروسيهم . فكيفما كانت الثمرة الناتجة من ذلك يلتزمون بمطابقة ارادتهم مع ارادة الله . متذكرين على الدوام بان سيدنا يسوع المسيح مثل كنيسته في الانجيل المقدس تارة بشبكة ألقيت فى البحر فجمعت من كل جنس من الاسماك الجيدة والردية معاً (متى ص ١٣ ع ٤٧) . وتارة ببيدر القمح المحصود المجموع جملة مع التبن (متى ص ٣ ع ١٢) . وحيناً بحقل يوجد فيه مع القمح الجيد الزوان ايضاً (متى ص ١٣ ع ٢٥) . وذلك ليعلمنا ان نحتمل بصبر وبتسليم الارادة لله الشكوك والمعاصى والرذايل في مدة

هذه الحيوة الزمنية الى ان ياتى ذلك اليوم الرهيب الذي فيه يصير تمييز الاخيار من الاشرار وانفصالهم الابدى لينال كل من الجهتين مكافاة اعماله *

* اليوم الخامس *

* وفيه تذكار القديسة الشاهدة اغاثي *

اولاً ان القديسة اغاثي هى احدى القديسات البتولات الاعظم والاكثر اشتهاراً في الكنيسة الجامعة . وهي احدي الاربع الشهيدات الاولات في المغرب والمعظمات جداً اللواتي تذكرهن الكنيسة الرومانية يومياً في خدمة القداس الالهى فتكريم هذه القديسة باحترام وحسن تدين من الكنيستين الشرقية والغربية معاً فى كل زمان ومكان يشير بكفاية الى عظم استحقاقها والى قداسة حياتها ثم الي كم وجد استشهادها وموتها كريمين لدي عيني الرب * فنظراً الي اعمال جهادها الاصلية فهذه ولين لم تكن تتصل الينا مفصلاً وبشرح مدقق . فمع ذلك يستحق اعتباراً خصوصياً وتصديقاً لاريب فيهِ ما هو مورد عنها في التواريخ الكنايسية * فبموجب ذلك يتضح ان هذه الشاهدة المجيدة اغاثي قد ولدت في جزيرة سيشيليا نحو سنة ٢٢٥ من عيلة شريفة وغنية في الغاية * فالجمال البديع الذى كانت الطبيعة زينت به جسم هذه البتول بنوع فريد . باضافته الى اتساع الغنى الذي كانت تملكه قد هيجا فى قلب كونيتسيانوس الذي كان والياً او قنصلاً فى الجزيرة المذكورة سنة ٢٥١ عشقاً شديداً وغراماً ملتهباً نحوها . ليشفي بحصولهِ عليها غليل ظماء قلبه الدنس . ثم الم بخله بمحبة الفضة * وقد ظن انه اغتنم الفرصة لنوال مطلوبه حينما الملك داكيوس قيصر اشهر اوامره الافغوسطية ضد المسيحيين ومن ثم حالاً حتم هذا الوالي بالقبض على البتول اغاثي وباحضارها اليه في مدينة قطاني التى كان هو اعتيادياً يسكن فيها *

ثانياً فخدام الشريعة بعض الفحص والتفتيش وجدوا هذه الفتاة الجليلة مختفية في مكان سري . الذى كانت التجاءت اليه لتحفظ بهِ طهارتها من خطر فساد نية كونيتسيانوس نفسه نحوها . الامر الذى كانت ملاحظته من ذي قبل بكفايةٍ * فحينما شاهدت القديسة ذاتها ساقطةً بايدي خدام هذا الوالي . فقبل ان يذهبوا بها من مكان اختفايها صنعت هذا التوسل لله قايلةً : « ياسيدي يسوع المسيح رب الاشيا كلها ومولاها المطلق انت تعلم خفايا قلبي . وبالتالى تعرف جيداً ما هى اشواقي ومرغوباتى . فاذاً انت وحدك يجب ان تمتلكني

« لاني لك بجملتي وانا آمنك . فاحفظني من المغتصب واجعلني مستحقة ان انتصر على « الشيطان » * ثم بعد ذلك أُقيدت هذه العذرا من الجنود . وسُلّمت بامر الوالي عينه بايدي امراة شريرة دنسة كانت تدعي افروديسيا . التي لم تكن تخجل من ان تبيع ذاتها باشنهارٍ مع تسع بنات كنّ لها للطائفات والقبائح الدنسة ولكل نوعٍ من الفواحش * فامرٌ محققٌ هو ان القديسة الطاهرة اغاثي كانت تتكبد في وجودها ساكنةً في بيت واحد مع هولا النسا الدنسات الحزن الاشد غمًا واضلمةً من ان توجد في اضيق الحبوس واكربها * ففي هذا المسكن القبيح أُستعملت نحو هذه البتول جميع الحيل الشيطانية والخداعات الممقوتة لاجتذابها الى تدنيس بكوريتها التي كانت منذ نعومة اظفارها كرستها ليسوع المسيح . ولكن ثباتها المقدس والتجاوها المتصل بالتوسلات والدموع والتنهدات نحو ختن نفسها صيرها ان تظفر بجميع تلك الامتحانات بواسطة نعمة يسوع المسيح المقتدرة التي بها يحفظ عرايسه البتولات المحبوبات منه في الغاية *

ثالثًا فكونيتسيانوس حينما تاكد ان حيل افروديسيا واجنها ذاتها وامتحاناتها التي مارستها في مدة شهر كامل لم تقدر تلين صلابة عزم البتول اغاثي . حكم بان تقاد الي ديوانه * ولما أُحضرت امامه شرع يوبخها بجفاوة على انها مع كونها شريفة الاصل حرةً مطلقةً ارادت ان تعتنق علي زعمه ديانة حقيرة حاصلة في الذل والهوان * غير ان هذه الشهيدة اعترفت بشجاعةٍ بالايمان بالمسيح . وبانها لا تعرف شرفًا اعظم ولا كرامةً امجد ولا حريةً حقيقية افضل من ان تكون جاريةً عبدةً ليسوع المسيح * ولكي توضح المغتصب ضلاله وضعف الهته التي كان يطلب من هذه الشهيدة ان تقرب لها الضحايا سالته ان كان يرتضي بان امراته نفسها تكون نظير فاناره اى الزهرة الهة الزنا . وانهُ يكون هو نظير جبوفه اى المشتري اله الفسق ☉ فكونيتسيانوس قد اغتاظ جدًا من هذا السوال . وامر بان يلطموا اغاثي على وجهها شديدًا وياخذوها فيطرحوها في السجن * ثم انه في اليوم الثاني قد احضرها جديدًا في ديوانه . وطلب منها ان تعرّفه ان كانت فكرت جيدًا في ان تغير عزمها لتحفظ حياتها * فاجابته القديسة قايلةً : « ان حياتي وحفظي وخلاصي انما هو بيسوع المسيح » * فحينئذٍ حتم بان تجلد بقساوة . ولكن لما راءها فيما بين هذه العذابات الاعتيادية مبتهجةً فرحةً . وكانّ الاوجاع كانت تقويها وتشددها احرى من ان تضيمها او تضعفها . فامر بان الجلادين

يعذبونها بشدة فى ثدييها . وبعد ذلك يقطعونهما * وهذا جميعه اكملته خدام الشريعة بعذابات يرثى لها *

رابعًا ثم حتم المغتصب بان يضعوا اغاثي في الحبس من غير ان يضعوا على جراحاتها مراهم او عقاقير لشفايها مطلقًا . وبان يمنعوا عنها كل نوع من القوت بالكلية * ففي تلك الليلة عينها ساعة نصف الليل ظهر للشهيدة فى السجن القديس بطرس هامة الرسل واشفاها من جميع جراحاتها كانه لم يحدث لها شي اصلاً وهكذا غاب عنها فالبتول القديسة قدمت الشكر لله على هذه الموهبة . اما الحراس والجنود فاذ شاهدوا في الحبس اشراقًا بهيًا افضل لمعًا من الشمس . تركوا ابوابه مفتوحة وهربوا من الخوف الذي استحوذ عليهم * واما المقيدون برفق القديسة في السجن فاخذوا يقدمون لها المشورة في ان تنجي ذاتها بالهرب من هناك * ولكن الشهيدة اجابتهم بانها لا تريد ان تعدم نفسها اكليل الظفر وتاج الغلبة الذى اعده لها الله . ونحوه فقط كانت تتجه جميع اشواقها *

خامسًا فالمغتصب عوضًا عن ان يستنير عما قليه من قبل هذه الاعجوبة الباهرة فقد تصلَّب في الضلال . وبعد ذلك باربعة ايام امر بان ينزعوا عن البتول اغاثي ملابسها . وبان يطرحوها عاريةً بالكلية فوق ارضٍ مفروشة بجمرات الفحم المتقدة مدورين جسمها من ناحيةٍ الي اخري نظير اللحم على المشواة * ولكن الشهيدة بواسطة تساعد نعمة الله قد انتصرت على هذا العذاب ايضًا . ثابتةً على تكرار اعترافها باسم يسوع وبالايمان به * فمن ثم اذ اراد الوالى ان يحفظ هذه الشهيدة الي عذاباتٍ أُخر قد امر بترجيعها الى السجن * الذي حينما بلغت اليه رفعت يديها نحو السما مصليةً هكذا : « ياسيدى وخالقى الذى « حفظتني منذ طفوليتي واعطيتني القوة على احتمال جميع هذه العذابات . مبيدًا من قلبي « محبة العالم . فانت الان اقتبل نفسي . لانه قد آن الزمان الذي فيه انتقل اليك من « هذه الحياة الدنية . لكي اتمتع بمراحمك الابدية » * فمعما انهت صلاتها هذه قد اغربت عينيها . وفارقت نفسها المقدسة جسمها الطاهر وفازت باكليل المجد متحدةً بختنها السماوي في ملكه السرمدى في مثل اليوم الحاضر عينه *

فثبات عزم كلٍ من المسيحيين يجب ان يصيره بالا يحيد عن حفظ الوصايا الالهية . ولو أُستعملت نحوه الخداعات باسرها والتهديدات بجملتها فان كانت لذة الام الحواس

تحاربنا لتجذبنا الى الخطية . فيلزمنا (كما يقول القديس اغوسطينوس) ان نحمي ذواتنا بالكلمات الانجيلية هذه . وهي : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم باسره » : اي الغنى والجاه « والكرامات والتنعمات والملذات . وخسر نفسه وضرها (متى ص ١٦ ع ٢٦) » * وان كان يستحوذ علينا الخوف من ان نخسر الاشيا الزمنية وكل ما نمتلكه في العالم حتى حياتنا نفسها . فينبغي لنا ان نلتجي الى ما نبهنا عنه مخلصنا عينه بقوله : « لا تخافوا ممن يقتل الجسد « وبعد ذلك لا يستطيع ان يقتل النفس . بل خافوا ممن له سلطان ان يقتل النفس « ويطرح النفس والجسد معًا في جهنم . نعم اقول لكم من هذا خافوا (متي ص ١٠ ع ٢٨) » * فسندًا على هذه الحقايق قد لبثت القديسة الشهيدة اغاثي ومثلها جميع القديسين ثابتين على حفظ الوصايا الالهية . ومنتصرين على كل نوع من خداعات العالم والشيطان والجسد محتملين بشجاعة رجولية جميع التعاذيب القادحة والاوجاع المهضَّة * فهكذا نحن اذا تاملنا جيدًا في نموذجاتهم . يمكننا بواسطة نعمة الله ان نفوز بالغلبة ضد تجارب اعدا خلاصنا كافةً . راذلين تنعمات العالم . ومستهزيين بحيل الشيطان . ومحتقرين لذات الحواس الجسدية . كقول الرسول الالهي : « اننا بالمسيح نقدر على كل شي » *

* اليوم السادس *

* وفيه تذكار ابينا البار فوكولس اسقف زمرنى والقديس *

* الشاهد الطبيب ايليان الحمصى *

اولا ان القديس فوكولس هو من اوليك الرجال الرسوليين الذين تلالاوا في جيل الكنيسة الاول . فقد اعتنق الايمان بالمسيح من كرازة الرسل . هذا اذا لم نقل انه ولد من عيلة مسيحية في بلاد ليبسيا * ومن حيث انه منذ حداثته كان عاشقًا للفضيلة . فمن ثم اجتهد على الدوام في اكتساب الاداب والتاصل في الفضايل . التي كانت تنمو فيه بقدر نموه في العمر * ولهذا حينما سمع باخبار سيرته الحسنة القديس يوحنا الانجيلي الحبيب استدعاه اليه واتخذه تلميذًا خاصًا له * حيث مكث برفقته زمنا ليس بوجيز . وكان يرتشف من ذاك الينبوع المتدفق زلال مياه التعاليم اللاهوتية والاقوال الالهية *

ثانيًا فلما مضي هذا الرسول الثاولوغوس الى مدينة افسس . اخذ صحبته تلميذه القديس فوكولس واذ اختبر فيه حسنًا النجاح العظيم في الفضايل والمعرفة قد كرَّسه بالدرجات

الكنايسية ثم رسمه كاهنا وبعد ذلك اسقفا على ابرشية زمرني (اي ازمير) . وسلمه سياستها كراعٍ خاص لها ولهذا قد باشر البار واجبات دعوته الرسولية نحو تلك الرعية بغيرةٍ متقدة تليق بمن كان تلميذاً لحبيب الرب يسوع وقد اثمرت اهتماماته وعنايته وتدابيره ذات الحكمة اثماراً عظيمة في انفس الخراف الناطقة التي أُستودعت لحراسته . لا سيما في اكتسابه الى الايمان بالمسيح عدداً وافراً من الامم الوثنيين الذين اقتنعوا بحقايق الديانة ورفضوا ضلال عباداتهم الكاذبة واعتنقوا التعليم الانجيلي * وبعد ان فقههم وارشدهم ووطدهم بكفاية . قد منحهم سر الصبغة الالهية . معيداً ولادتهم بالماء والروح . واضافهم الى جسم رعيته الروحي بفرحٍ عام *

ثالثاً فقد اضحى اسم هذا الراعي الجليل شايعاً في الاقطار لاجل سمو فضايله . لاسيما حينما منحه الله موهبة الروح النبوي وكان يخبر عن العتيدات وقد سبق واوضح بان القديس بوليكربوس هو الذي اختاره الله لان يكون خليفةً لهُ في كرسي زمرنى * ولذلك رسمهُ بالدرجات المقدسة وكرّسهُ . واقامه اسقفاً على زمرني بعده . وهكذا ولبث لم يكن موكداً لدينا كم من السنين دبّر تلك الابرشية . فامرٌ محتملٌ هو انه لم يكن اقل من عشر سنوات ثم اذ كان مملوّاً من القداسة والاستحقاقات . رقد بالرب مرتقياً الى السعادة الابدية ليملك مع المسيح سرمداً *

* سيرة حيوة القديس الشاهد ايليان *

اولاً اننا نورد مختصر اعمال استشهاد القديس ايليان بالنوع الاتي ذكره . فنقول ان هذا القديس ولد في مدينة حمص في اواسط الجيل الثالث * ومن كونه تربى في الامانة المسيحية تربيةً حسنة . وكان متقداً بنار الغيرة على مجد الديانة . فلكي يمكنه بسهولةٍ ان يزور المسيحيين المقيدين في الحبوس في تلك الاضطهادات من اجل الايمان . ويتردد فيما بين الوثنيين . ويبذل جهده في ردهم عن ضلالهم واجتذابهم الى الديانة المسيحية قد تعلم صنعة الطب التي اضحت لديهِ واسطة كلية الافادة لهذه الغايات الصالحة المقصودة منه *

ثانياً وعلى هذه الصورة في الوقت الذي فيه كان يتظاهر بانه يعالج الامراض الجسدية ففيهِ كان اهتمامه الاخص في اشفاء الانفس من الامراض الروحية القتالة * وبحجة هذه المهنة كان يفتقد المعترفين ويشجعهم . ويبرهن للضالين عن فساد المذهب الوثني ويجتهد

في اكتسابهم الى الايمان * وقد بارك الله زرع عبده الامين . فاتى باثمار صالحة مفيدة له وللغير بل لاجل اعماله هذه المقدسة قد كافاه الباري تعالى بايهابه اياه النعمة العظمى . وهي ان يسفك دمه من اجل الايمان ليحظى باكليل المجد الاستشهادي في السماوات *

ثالثًا على انه اذ كانت وقتئذٍ أُبرزت من الملك نوماريانوس قيصر الاوامر الظالمة في اضطهاد المسيحيين واغتصابهم الي الكفر بايمانهم وبتقدمة الضحايا لالهة المملكة . وان لم يتمموا ذلك فيماتون . فبموجب هذه الاوامر قد قبض والي مدينة حمص علي القديس سلوانس وعلى القديس لوقا الشماس الانجيلي وعلي القديس موكيوس الاناغنسط * وبعد ان امتحنهم بانواع شتي ووجدهم ثابتين في الايمان بالمسيح . حكم عليهم بان يماتوا افتراسًا من الوحوش الضارية *

رابعًا فلما كان هولا الشهدا مقيدين مساقين الى المشهد العام ليُطرحوا الى الوحوش . فالقديس ايليان مضى الى مقابلتهم في الطريق وحياهم بالسلام . ثم عانقهم مقبلاً واحدًا بعد واحد القبلة الاخيرة . الامر الذي من اجلهِ قُبض عليهِ وأُمتحن بالعذابات * واذ لبث معترفًا بالمسيح فبعد ان طُرح القديسون الثلثة للوحوش وبذلك انهى كلٌ منهم جهادهُ المجيد بسفك دمهِ . قد حكم علي القديس ايليان ايضًا بهذا . وهو انهُ قد سمر راسهُ ويداه ورجلاه بمسامير حديد غليظة . ثم أُخذ الى مغارةٍ خارج مدينة حمص وهناك زُجَّ مسمرًا وأُلقى مهملاً * حيث فارقت نفسه الطاهرة جسده المقدس . ونال اكليل الشهادة بهذه الميتة المشابهة لتلك التي بها فادينا سفك دمه مسمرًا على خشبة الصليب المقدس لاجل خلاص العالم * وقد سمرت هامة هذا الشهيد كمكللة بالشوك نظير ما كللت هامة الرب مخلصنا . الذي قد شرَّف شاهده هذا العظيم بان يتشبه بالامه المقدسة . وبذلك يدخل الملك السماوي غالبًا منتصرًا ليملك معه تعالي الى الابد *

فنموذج سمو محبة القديس ايليان القريب في درسه علم الطب ليمكنهُ بحجة هذه الصنعة ان يفتقد المحبوسين من اجل الايمان . وان يتداخل مع الوثنيين ويرشدهم الى الشريعة الانجيلية . يعلمنا حسنًا ويحرضنا على الاجتهاد في خير القريب الروحي اكثر اجتهادًا * لانه بمقدار ما نفضل النفس على الجسد والحيوة الابدية علي الزمنية . فباكثر من ذلك يجب ان تظهر مفاعيل محبتنا للقريب بالاعتنا في خلاص نفسه * فالمشورة

بالخير علي المشككين . وتعليم الجهال . ونصيحة الخطاة . وتعزية الحزاني ومغفرة السيات . والصبر علي نقايص الغير . والتضرع الى الله لاجل الاحيا والاموات . التي هي اعمال رحمة روحية هي كلية القبول امام الله . وبممارستنا اياهـا نفي بابلغ نوع التزامات وصية محبة القريب . ونجعل الجود الالهي ان يظهر نحونا باوفر سخا من المواهب والنعم السامية * كما انه تعالي وهب المكافاة للقديس ايليان . الذي مارس افعال هذه الرحمة الروحية بمنحهِ اياه اكليل الشهادة . الذى هو المنحة الاعظم فيما بين المواهب * فلنقتدِ اذًا بنموذج هذا الشهيد . مستعملين كل جهدنا بفطنةٍ في المواظبة علي هذه الاعمال التي ناخذ الخارة العظيمة عنها في الاخدار السماوية *

* اليوم السابع *

* وفيه تذكار القديس برثانيوس اسقف لامبساكن والبار لوقا *

اولاً ان القديس برثانيوس ولد في مدينة ميليطوبولي فى اواخر الجيل الثالث او بالحري في مبادى الجيل الرابع . لانه عاش فى ازمنة الملك قسطنطين الكبير * فوالده كان شماسًا انجيليًا لكنيسة الكاتدرا التى للمدينة المذكورة وكان يدعي خريسطوفورس وكان مزينًا بفضايل سامية وعلوم راهنة جليلاً معتبرًا من الجميع . ومحبوبًا جدًا كما كانت تستحق صفاته الحسنة ودرجته المقدسة وبراعته في العلم . ولين لم يكن نظرًا الي الموجودات الزمنية ذا ثروةٍ . بل ان غناه كان قايمًا بالاعمال الصالحة واقتنا الفضايل . وهـذا هو الغني الحقيقى *

ثانيًا اما ولده برثانيوس فاذ حصل على تربية حسنة بالتقوي وخوف الله وحسن التعبد له تعالى من ابٍ هكذا صالح . فكان منذ حداثته يجتهد في امتلاك الفضايل لاسيما الاتضاع ومحبة القريب * وكان يباشر مهنة صيد السمك بنشاطٍ كي يوزعه او يوزع ثمنهُ علي الفقرا والمساكين . مقدمًا على هذه الصورة تعبه في ذلك لمجد الله وخير القريب * وكان يخفي اعماله هذه الصالحة عن الناس من قبل تواضعه . ولاجل ذلك قـد اهله الله لموهبة شفا الامراض واخراج الشياطين . الامر الذي اظهر للعالم كم كان استحقـاق فضيلته ساميًا *

ثالثًا ثم انه اذ درس العلوم اللازمة بنجاحٍ حيث قابليته لها كانت حسنة . واقترنت

فيه الفضايل مع العلوم فقد أُنتخب وأُحصي فيما بين طغمة الاكليروس وتكرس بالدرجات الكنايسية . ثم رُسم كاهنًا من فيلبوس اسقف ميليطوبولى عينه . ولاجل نجاحاته واستحقاقاته واشتهار اسمه قد أُختير راعيا لابرشية لامبساكن * ومن ثمه رسمه اسقفًا على كرسي مدينة لامبساكن اسخولبوس مطران كريكو . فتسلم تدبير تلك الرعية . ووقتئذٍ تلالات صفاته الجليلة بافضل نوع وباعظم غيرة على خلاص الانفس التي أُستودعت لحراسته *

رابعًا واما الشي الذي جعل اسمه بالاكثر شايعًا وصوته مطاعًا واوامره محترمةً بافضل نوعٍ فهو وفور العجايب التى صنعها الله بواسطتهِ . ومن جملتهـا هو انه رجع لانسان عينيهِ اللتين كان قلعهما له احد الثيران بقرنيهِ . واشفاها نظير ما كانتا من ذى قبل . كما انه منح الشفا من داء الاكلة المميت لانسانٍ اخر * ثم اقام من الموت رجلاً كان سقط تحت دواليب العربانة فهرسته ومات . فردَّهُ الي الحيوة * هذا ما عدا عجايب اخر كثيرة شرفه الله بعملها . كما انه نال منه عزَّ وجلَّ موهبة الروح النبوى ايضًا فاخبر عن العتيدات وبعد ان دبَّر رعيته مدةً ليست بقليلة من السنين . مذخرًا لذاته كنوز الاستحقاقات في الخزاين السماوية . رقد بالرب وارتقت نفسه الطاهرة متحدةً في السما براعي الرعاة الحقيقي متمتعةً بمكافاة تلك الكنوز حسب استحقاقها *

فكم هو امرٌ مقبولٌ جدًا لدي العزة الالهية ان يمارس المسيحي الفضايل لاسيما اعمال الرحمة بالخفا مجتهدًا بالا يعلم به احدٌ * ولذلك نلاحظ واضحًا كيف ان مخلصنا يسوع المسيح كان يحرض تلاميذه وبواسطتهم جميع الشعوب وكل المومنين على انهم اذا صنعوا صدقةً فلا يعلمون شمالهم بما عملت يمينهم لتكون صدقتهم خفيةً . من حيث ان الله الذى يري ما في السريجازيهم علانيةً * ثم يبرهن تعالي في ان من يظهر اعمال الرحمة لدي الناس ليُمجَّد منهم . فبهذه المدايح التى يحصل عليها من البشر ياخذ اجره ولا يبقى له ثواب اخر امام الله * فلنقتفِ اذًا نموذج القديس برثانيوس في صنيعنا الرحمة مع القريب خفيةً بقدر ما نستطيع . وبذلك اولاً يرضي الله الذي يريد منا هذا النوع من التصرف متممين النصيحة الانجيلية الموي اليها . ثانيًا نجعله تعالى ان يكون سخيًا نحونا بالمجازاة في هذا الدهر وفي العتيد حسب وعده الصادق ثالثًا نوطد في ذواتنا فضيلة التواضع التى هى الاساس والحجر الاول الذى تقدر ان تبني فوقه الفضايل الاخر * رابعًا ننجو من خطار تجربة محبة المجد الباطل . الذى ليس فقط

يضيع اجر اعمالنا . بل ايضاً يورث لانفسنا ضرراً روحياً . كونه ينعش فينا محبة الذات ويربي جرثومة الصلف والكبريا * خامساً واخيراً ننقي نيتنا من شايبة المراياة ويتوكد لدينا ان صدقتنا لم تكن مسببة حياءً من الناس او لغاية ما بشرية . بل لمجرد مجد الله ومحبة القريب ولنوال الاجر عنها في الحيوة الابدية *

* مختصر سيرة حيوة ابينا البار لوقا *

اولاً ان سيرة حيوة البار لوقا هي مدونة في المجلد الثاني على شهر اشباط من المجموع البولانديستي ضمن مقدمة وثلثة عشر راسا . ولكن نحن نورد بوجه الاختصار الكلي اخص ذلك فنقول * ان استفانوس ابا هذا البار واوفروسيني والدته قد كانا من جزيرة اجينا * ومن حيث ان العساكر الهاجريين كانوا بعد نصف الجيل التاسع يغزون محلات كثيرة من جزاير اليونانيين ايضا . فسكان جزيرة اجينا لكي يفوزوا بذواتهم من اغتصابات هولا البربر اهملوا اوطانهم وتفرقوا في امكنة كثيرة . وهكذا استفانوس واوفروسيني باينا الجزيرة المذكورة وهربا الى مدينة اللاديوس واستوطنا هناك . حيث ولد لهما في اواخر الجيل التاسع عينه في زمن ولاية الملك لاون الحكيم هذا الولد المختار من الله اي البار لوقا *

ثانياً فالبارى تعالي اظهر في عبده لوقا منذ حداثته مفاعيل انعامه الالهية الغير اعتيادية . لان هذا البار حال بلوغه الى سن التمييز تعلق قلبه في حب الفضيلة . لاسيما اماتة الحواس والمحبة الشديدة نحو الله والقريب * على انه قد امتنع ليس عن اكل اللحوم فقط . بل عن استعمال البياض ايضا . كالسمن والجبن والبيض واللبن * وكان يغتذى بالخبز الشعير وبالحبوب المسلوقة والحشايش فقط . وبهذا المقدار كان ينعطف لاسعاف الفقرا حتي انه ما عدا اعطاه لهم كل ما كان يوجد معه من الدراهم كان مراتٍ كثيرة يهبهم ملبوسه ذاته . ويرجع الي مقر سكناه عند والديه عارياً * واما باقي الفضايل والصفات الصالحة التي قد تزين بها هذا الشاب البار فكانت جليلة معتبرة فريدة . حتى انه اضحي موضوع التعجب والانذهال ونموذج الكمال لسكان مدينة اللاديوس باسرها . وكان حينما يمارس صلواته يشاهد بعض الاوقات مرتفعا عن وجه الارض *

ثالثاً غير ان البار لوقا لم يكتفِ بجميع ما اشرنا اليهِ . بل قصد ان يكون بجملته بعيداً عن العالم . مخصصا ذاته لخدمة الله فقط باتباعه السيرة الرهبانية * ولهذه الغاية مضي

الي مدينة اثينا . ودخل فى الدير الموجود هناك ولبس ثوب الابتدا * الا انه بعد مدةٍ من الزمان اذ راى ريس الرهبان في الحلم اوفروسيني والدة لوقا متشكيةً لديه في انه جعلها عادمة ابنها باقتبا له اياه فيما بين رهبانه . فلما انتبه من النوم احضر اليه لوقا واوضح له التزامه بالرجوع الى والدته * وامره بالطاعة فى الذهاب اليها . الامر الذي اكمله لوقا * ولكن بعد اقامته عند امه مدةً ليست بمديدة من الزمان . مضي الي جبل بونيسيوس ومكث هناك ناسكًا . مواظبًا على الصلوات والتاملات في الاشيا الالهية من دون ملل . مهيئًا حواسهُ بجملتها بانواع تقشفات صارمة جدًا . مثابرًا على التهذيذ في الكتب الالهية . مفقها ذاته في علوم القديسين *

رابعًا فمحبة الانفراد عن كل احدٍ في تلك الوحدة لم تمنعه عن استعمال المحبة نحو القريب في ان يقبل من كان يزوره بكل انسٍ وتواضع * ففيما بين اوليك الذين كانوا ياتون اليهِ قد زاره راهبان متقدمان في السن وفي الوظايف كانا مرسلين الى رومية لاجل اشغالٍ مهمة * فاذ التمس منهما ان يقبلا ابراز نذوره الرهبانية الاحتفالية . فاختبراه حسنًا واذ تحققا انه كان اناءً منتخبًا من الله . فقبلا نذوره والبساه الاسكيم الرهبانى الكبير * وبعد ذهابهما الى رومية وقضاء اعمالهما . رجعا اليه في سفرهما . ومكثا عنده بعض ايام ومن حيث انه لم يكن لديهِ ما يقدمه لهما من القوت بلياقةٍ . فكان يمضى الى شط البحر ويجد كثرةً من السمك تخرج من الماء طايعةً له . وياتي بها ويصلحها اطعمةً لضيوفه * فالباري تعالى لاجل سرورهِ باعمال عبدهِ هذا البار وبفضايلهِ السامية . قد وهبه قوة صنيع العجايب والروح النبوي * حيث فعل كثرةً من الايات والمعجزات . وسبق فاخبر عن حدوث العتيدات التى كانت تكمل في حينها حسب سابق تخبيره *

خامسًا فالعدو الجهنمي فيما بين التجارب الاخر التى حاربه بها من دون ان ينتصر عليه بزلةٍ ماء قد احتال فى ان يدنس طهارة قلبه بالمٍ زنوي * ولذلك حرك ثلاثا من النسا الجميلات فى الخلقة . وحرضهنَّ على ان يمضينَ لزيارة هذا البار ويحتلن في تجربته بما يضاد العفة * فذهبنَ اليه وترامينَ على قدميهِ متوسلات في ان يرتضي بان يقبل كشف ضميرهنَّ * فالبار في الابتدا امتنع عن ذلك مطلقا . الا انه لشدة لجاجتهنَّ . وخوفا من ان يحدث لهنَّ ما كنَّ يوكدنهُ لديه وهو انهنَّ يسقطنَ في اليأس الم يستمع منهنَّ ما كنَّ

عزمن على اعراضه لديه فقد تنازل اخيرًا معهن في ذلك * واذ كان حان وقت الاغتذا وطلبن منه قليلاً من التوت فلم يتاخر عن ان يقدم لهن ما كان عنده من الحبوب المسلوقة . وياكل معهن حسب توسلاتهن . مستعملا كل الحرص الى ان اصرفهن من دون ان يدنس افكاره بشي ضد العفة * غير انه بعد ذهابهن مساء . وثب عليه اركون الظلام . منهضا في مخيلته اشباح تلك النسا وحركاتهن التي استعملنها امامهُ وهاجت ضده الام الفساد بنوع قوي جدًا ☜ فالبار التجا الى الله بصلوات حارة طول الليل بدموع وصراخات . مستمدًا العون منه تعالى على النجاة في هذه المعركة والحرب الشديدة وحينئذ ظهر له ملاك الرب . وفي يده صنّارة ادخلها الى فم البار منحدرةً الى جوفه . ثم نشلها مع قطعة من اللحم مكلّبة بها قايلاً نحو لوقا : ان هذا هو لحم الشهوة الدنسة المتجندة في البشرة . التي تكلم عنها الرسول الالهي . * ومنذ ذاك الوقت لم يعد البار فيما بعد يشعر بتجارب الزنا *

سادسًا فبعد ان مكث البار سايحًا في جبل يونيسيوس مدةً من السنين اضطر الى مباينتهِ من قبل هجمات العساكر البلغاريين * ومن ثم سافر الي بالوبوتاسوس . وحينما كان هاربًا أُخذ اسيرًا من بعض اوليك البربر * الا انه اغتنم الفرصة فى ان يفلت من ايديهم سايحًا فى البحر . حيث مضى الي مدينة قرنتية * وبعد ان جال في اماكن كثيرة ذهب الى مدينة بطرا في اخائيا . وهناك وجد راهبًا عموديًا ناسكًا على عمودهِ . فمكث عنده يخدمه في جميع احتياجاتهِ باتضاعٍ عميق ونشاطٍ بليغ مدة عشر سنوات . مغايرًا فضايلهُ . ممارسًا عبادتهُ لله باشدّ حرارةٍ . متقدمًا يومًا فيومًا الي قمة الكمال الانجيلي * ولما حصل الصلح فيما بين البلغاريين والرومانيين . فالبار لوقا في نهاية العشر سنوات المذكورة رجع الي جبل يونيسيوس متمسكًا بنوع نسكهِ السابق . معتنيًا باحتياجات اوليك الذين كانوا يرجعون بعد تلك الحروب الي اوطانهم * وفيما بينهم اضاف عنده اسقف قرنتية ضيافةً فقريةً قبلها ذاك الاسقف بكل ابتهاج . مغتذيًا مع ارفاقهِ من تلك الحبوب والاثمار التى قدمها لهم البار باتعابهِ الشديدة . الامر الذي حرك هذا الاسقف لان يقدم لضايفهِ كمية من الذهب تعويضًا عن تلك الاشيا * الا ان البار رفض قبولها مطلقا . طالبا من الاسقف ان يرشدهُ بما يفيدهُ للخلاص ☜ فاذ اغتنم هذا الراعي من ذلك محتسبًا رفض

هديتهِ من البار احتقارًا له . فالقديس اقنعه بكلام جليل . وهكذا اصرفه مملوًّا من الانذهال من سمو فضايلهِ *

سابعًا فالعجايب التي صنعها الله بواسطة صفيه البار لوقا في جبل بونبسيوس جعلت صيتهُ شايعًا في كل مكان . وطفقت الشعوب تاتي اليه من كل صقعٍ . الامر الذي اقلق سكينة روحه . لانه كان مضادًّا لتواضعه الاحترام والوقار المقدم له من الاتين اليه * فمن ثم اهمل مكان سياحتهِ وهرب الى جبل كلابيوس في جزيرة المبوس . حيث وجد شقيقته التي قدمت له كمية وافرة من الخبز لاجل قوتهِ * اما هو فلم يقبل منها ذلك الا لمَّا عرف بوحي الهي ان ذاك الخبز كان مفيدًا لركاب مركبٍ كان عتيدًا ان يفرق بالقرب من مكان سكناه * فاخذه وحفظهُ عنده . الى ان حدث غرق ذاك المركب وخرجت الركاب منه * فالبار قدم لهم الخبز المذكور فحفظوا بهِ حياتهم ثم انه مكث في امكنة مختلفة من تلك الجزيرة مدة ثلث سنوات مارسا افعال النسك . ولكن من حيث ان هجمات عساكر الهاجريين بلبلت تلك النواحي . فالتزم البار بعد الثلث السنوات بان يهمل مكانه المذكور ذاهبًا الى صوتيروس مع من كان تتلمذ له * وفي صوتيروس عمر قلايةً في مكان ملايم . وهناك قطن مدة السبع السنوات الاخيرة من حياتهِ * فماذا كانت تصرفاتهُ الفاضلة واعماله السامية وتقشفاتهُ الشاقة وصلواتهُ وتاملاتهُ المتصلة واسعافهُ القريب . وما شاكل ذلك من الفضايل العظيمة في مدة هذه السبع السنوات . فهذه يكلُّ اللسان عن وصفها . ولا يمكن للقلم تحريرها من دون اسهابٍ كلي ☉ واما العجايب التي اهلهُ الله لصنيعها في تلك المدة فضلاً عن سني حياتهِ السابقة . فهذه كانت عديدة ومختلفة الانواع * وبالاختصار نقول ما قالهُ عنه المورخون . وهو انه اي البار لوقا املا بلاد اليونانيين من الايات والمعجزات والعجايب ليس في مدة حياته فقط بل بعد رقادهِ بالرب ايضًا . ولذلك دعي لوقا العجايبي . كما انه سمي المتنبي لاجل ما عرفه من الاسرار وما سبق واخبر بهِ عن العتيدات *

ثامنًا فاخيرًا حينما جاء الزمان الذي فيهِ ازمع رجل الله العظيم ان يبارح شقا هذه الحيوة . وينتقل الى مكان الراحة والنباح ليتمتع باجر اعمالهِ الفاضلة . جمع اليه تلاميذه واخبرهم بدنو وفاته . معينًا لهم الوقت والساعة لانتقالهِ * ثم اوصاهم بان يدفنوه في الجل عينهِ الذي كان مقيمًا فيه . موعزًا اليهم في انهم متى حفروا هناك الارض فيجدون فيها طوبًا

وقرميدًا مشويًا ليستخدموه في بنا قبره . وبعد ان ودعهم واستودعهم واحدًا فواحدًا معانقًا وكان بعدُ في صحة الجسم . انفرد وحده مسلمًا نفسه في يدي الله في الوقت والساعة اللذين اخبر عنهما . وتم ذلك سنة ٩٤٦ * فدفنوا جسده الطاهر حسب وصيتهِ اذ وجدوا حقًا في حفرهم الارض اللبن المشوي . وهكذا ارتقت نفسهُ المقدسة الي مسكن الابرار . مالكة مع المسيح في سعادته المغبوطة الى الابد *

ففضيلة التواضع التي كانت تجعل البار لوقا ان يهرب من الكرامة والوقار المقدم له من الشعوب بواجبٍ لاجل استحقاقاتهِ فهي بالحقيقة الفضيلة التي تجعل الانسان بمقدار ما هو حقير عند نفسه فباكثر من ذلك كريمٌ بازاء عيني الله . الذي يقاوم المستكبرين ويولي المتواضعين نعمةً * فسبيلنا اذًا ان نسعى بكل جهدنا في الهرب من مديح الناس وتبجيلاتهم وباكثر من هذه يجب ان نحترس من ان نمدح انفسنا او نظهر للناس تلك الاشيا التي تحركهم لتفخيمنا * ولنترقب في كل شي رضوان الله بتواضع القلب وتذلل الروح . غير مبالين من رضا الناس الذي مراتٍ كثيرة يسوقنا الى ان لانكون عبيدًا للمسيح * ولنحرص في ان نكتسب لذواتنا الكرامة الحقيقية في مصاف خلان الله المتواضعين . الذين بمقدار ما ظهروا في اعين البشر في الارض حقيرين فباعظم من ذلك حصلوا ممجدين في السما الى الابد *

* اليوم الثامن *

* وفيه تذكار القديس المعظم في الشهدا ثاودوروس قايد *

* الجيش والقديس زخريا النبي *

اولاً ان السنكسار الروماني المعين فيهِ تذكار القديس ثاودوروس نهار امس في ٧ اشباط يقول عنه هذه الالفاظ . وهي في مدينة ايراكليا القديس ثاودوروس ريس الجنود الذي في زمن تملك ليكينيوس قيصر . بعد احتماله عذابات كثيرة . فاذ قطعت هامته انتقل الى السما غالبًا منتصرًا * ثم المينولوجيون الباسيلي يوافق ما تقدم ذكرهُ . ويشير الى ان هذا القديس كان مولودًا في مدينة اخائيا . وان سكان هذه المدينة اهل وطنه نقلوا فيما بعد اعضا جسده من مدينة ايراكليا التي استشهد فيها الى مدينتهم اخائيا . الامر الذي يُصنع تذكاره في اليوم الثامن من حزيران من كنيستنا اليونانية فقط لا من الكنيسة اللاتينية *

ثانيًا فمن هذا جميعهِ يظهر ان القديس ثاودوروس المذكور مختلف عن القديس ثاودوروس الصورى الملقب هكذا في الميناونات اليونانية ومن مشاهرة كتاب الرسايل تحت اليوم السابع عشر من شهر اشباط الحاضر . الذي فيهِ تصنع كنيستنا تذكاره وذلك نسبةً لمدينة صور . او كما تسميه مشاهرة كتاب الانجيل تحت اليوم المذكور ثاودوروس المشرقي نسبةً الى المشرق (لا كما يلقبه غلطًا كتاب السواعية في اليوم المرقوم وفي السبت الاول من الصيام الكبير بثاودوروس المشرقي) وبالتالي انهما قديسان بهذا الاسم مختلفان بالوطن والمكان الاستشهادى . لان القديس ثاودروس الصوري سفك دمهُ في مدينة اماسيا . وبالزمان لان هذا الشهيد الصوري قد اكمل جهاده تحت ولاية الملك مكسميانوس قيصر نحو سنة ٣٠٦ . واما القديس ثاودوروس رئيس الجنود فسفك دمه فى زمن الملك ليكينيوس قيصر نحو سنة ٣٢٠ ✻

ثالثا ومع هذا كلهِ فقد وجد كتبة كنايسيون معتبرون جدًا . الذين ارتاءوا بثبات في ان القديسين ثاودوروس رئيس الجنود وثاودوروس الصوري او المشرقي هما قديس واحد وليسا باثنين . وان هذه القسمة قد صدرت غلطا من بعض الكتبة الغير المدققين . الذين ظهروا في اجيال الكنيسة المتوسطة . عند ملاحظتهم تكريم هذا القديس بتذكارين مختلفين بالايام اى فى ٨ اشباط وفي ١٧ منه في الكنيسة اليونانية ثم في ٧ اشباط وفي ٩ تشرين الثانى ضمن السنكسار الرومانى . مع انه يمكن حسنا ان تكون هذه التذكارات لقديس واحد مختلفة الايام . اما تبعا لبعض عجايبهِ الشهيرة ولنقل اعضايهِ او تكريس كنايس جديدة على اسمه ✻ ففيما بين الانام الجليلين المحامين عن هذا الراى يوجد الاب العلامة رويناتس . الذي بتعب عظيم وفحص جهيد وعناية لا مزيد عليها . جمع في تاليف مقسوم الى اربعة مجلدات كبيرة الحجم اعمال الشهدا الحقيقية الخالية من كل ارتياب . مميزة بدرس كلي عن جميع اعمال الشهدا الاخرين الغير الراهنة ✻ فهذا الرجل العظيم يبرهن في الوجه ٤١٣ وما يتبعه من المجلد الثالث كيف ان الشهيدين المذكورين هما واحد لا اثنان ويستشهد في اثبات رايهِ هذا اقوال مورخين معتبرين وعلما ماهرين لا يمكن افحامهم ولا الرد على براهينهم ✻

رابعا اما اخص البراهين التى تويد الراي المذكور فهى اولاً ان القديس غريغوريوس اسقف نيصص اخا القديس باسيليوس الكبير هو الذى ترك للكنيسة الجامعة خطبته

الجليلة الحاوية اعمال جهاد القديس المعظم في الشهدا ثاودوروس الصورى او المشرقي . التي تلاها على شعب ابرشيته نيصص في الكنيسة عينها الحاوية ضمنها وقتئذ اعضاء هذا الشهيد في مدينة نيصص . مع ان استشهاده تم في مدينة اماسيا * فاذًا قد نُقلت اعضاوه الي هناك وهذا هو سبب لتكرار تذكاره اكثر من مرةٍ واحدة فى السنة . وثانيا لان اب الكنيسة القديس غريغوريوس المذكور الذي رقد بالرب في اخر الجيل الرابع عينه سنة ٣٩٥ لاياتي فى هذه الخطبة بذكر قديس ثانٍ اسمه ثاودوروس ريس الجنود . بل تكلم عن اعمال استشهاد القديس ثاودوروس الصورى او المشرقي كقديس وحيد بهذا الاسم كان اكمل جهاده في مدينة اماسيا . مع ان هذا الخطيب لم يكن يغباه علم وجود شهيد اخر ثاودوروس يقال عنه انه استشهد في ايراكليا سنة ٣٢٠ او كان ذلك حقيقيا *

ثالثا لان جميع الكنايس الشهيرة والعديدة المشيدة في اقطار العالم تحت اسم القديس ثاودوروس الشهيد لاتحوى في تسميتها هذه تمييزًا ما بالكلية فيما بين شهيد ملقب بثاودوروس ريس الجنود وبين ثاودوروس اخر جندي . كما كان ثاودوروس الصوري . لكن هذه الكنايس كلها تعلن قديسا واحدًا بهذا الاسم . وهو الذي اورد اعمال جهادهِ القديس غريغوريوس نيصص في خطبتهِ المذكورة بل ان مشاهرة رسايلنا الكنايسية عينها تسميهِ تحت اليوم الثامن من حزيران المختص بتذكار نقل اعضايه (ثاودوروس الجندى) . كما كان القديس ثاودوروس المشرقي جنديا لا ثاودوروس القايد) *

فاذًا ان كان ذلك كذلك حسب راي هولا الكتبة الكنايسيين الكلي اعتبارهم وتدقيقهم وتبعا للبراهين المومي اليها اي ان القديس الشهيد ثاودوروس ريس الجنود هو نفس القديس ثاودوروس الجندي الصورى او المشرقي . وهما شهيد واحد لا اثنان . فعليك ايها القاري العزيز بتلاوة اعمال جهاده المدونة مناتحت اليوم السابع عشر من شهر اشباط الحاضر مكتفيا بها عما سواها *

* سيرة حيوة القديس زخريا النبي *

اولاً ان القديس النبي زخريا بن براشيا جاء من بابل الي اورشليم صحبة زوربابل القايد . الذي بقوة المرسوم الملوكي المبرز سنة ٢٤٦٨ للخليقة من الملك داريوس المادي في اطلاق الشعب اليهودى من السبي البابلى ورجوعهم الي المدينة المقدسة وفي اعطايهم

الاذن بتعميرهم هيكل الرب . فقد حضر هو اي زوربابل الى اورشليم مصحبًا برفقته اثنين واربعين الفًا وثلثماية وستين شخصًا من الشعب الاسرايلي الذين اختاروا الرجوع الى ارض الميعاد * هذا ما عدا سبعة الاف وثلثماية وسبعة وثلاثين نفرًا من العبيد والخدام الذين اصحبهم معهم في هذا الرجوع وكان عدد الكهنة الذين جاءوا حينئذٍ من بابل الي اورشليم اربعة الاف ومايتين وتسعة وتمانين كاهنًا . فاذًا النبي زخريا كان احد هولا الذين رجعوا من بابل الى مدينة القدس * وابتداء بان يتنباء بعد شهرين فقط من بداية نبوة حجي النبي الذى شرع معهُ في ان يوبخا الشعب على تماهلهم في بناية هيكل الرب ويحرضاهم تبعا لاوامر الله على نهاية هذا العمار بكل نشاطٍ . كما تمموا ذلك فعلاً بعد هذه التنبيهات والتحريضات ❋

ثانيًا اما طولة الزمن الذي فيه مارس النبي زخريا وظيفته النبوية وحرر فيه اقوال نبوته المحتوية على اربعة عشر اصحاحا . فهذا هو غير معروف بتاكيد كما انهُ مجهول النوع الذى بهِ انهي حياتهُ هذا النبي القديس * فاى نعم ان البعض من مفسرى الكتاب المقدس ارتاوا بانه مات مقتولاً فيما بين الهيكل والمذبح لانهم احتسبوه انه هو نفس زخريا بن براشيا المقول عنه من سيدنا يسوع المسيح انه قتل من اليهود في المحل المذكور (متى ص ٢٣ ع ٣٥) * الا انه قد وجد اخرون من المفسرين ارتاوا بالخلاف . وهذا جميعه نحن اوردناه في العدد الخامس من تكلمنا عن القديس زخريا النبي ابي يوحنا المعمدان تحت اليوم الخامس من شهر ايلول . ثم ان الكنيسة اللاتينية التى تصنع تذكار هذا النبي فى اليوم السادس من شهر ايلول لاتذكر عنه شيًا اخر في سنكسارها الروماني سوى انه رجع من بلدان الكلدان الى ارض وطنهِ شيخًا مملوًا من الايام . واذ مات دُفن في قبر النبي حجي عينه ❋

ثالثًا واما الموضوعات الخصوصية الملاحظة نبوة هذا القديس فهى اولاً المواعيد من قبل الله للشعب اليهودى بالخيرات والبركات والنعم التى كانت مزمعة ان تحل عليهم ويفوزوا بها بعد بنايتهم اورشليم وهيكل الرب . وكان ذلك جميعه رسمًا لشعب المسيح وكنيسته الجامعة . ثانيًا تنبيهه عن اتيان المسيح وعن كيفية دخوله الى اورشليم متواضعًا وديعًا راكبًا على عفوِ ابن اتان وعن رسمه تعالي سر الافخاريستيا وعن كيفية تسليمه من يهوذا الدافع ثلثين من الفضة وما يتبع ذلك . ثالثًا قد سبق وانذر عن حدوث المصايب

والشدايد التى كانت مزمعة ان تحيق باليهود في زمن الملك انطيوخوس وغيره . وعما كان المكابيون عتيدين ان يصنعوه . رابعًا قد اشار بكفاية عن الام مخلصنا وموته موضحا الظروف المقترنة مع ذلك . ثم عن الاثمار الخلاصية الناتجة عنها . كما انه تنبأ ايضًا عن الانتصارات التي كان الرسل القديسون عتيدين ان يفوزوا بها ضد مضطهديهم . خامسًا قد تقدم فانبأ عن تلاشي العبادة الوثنية وعن سعادة حال الكنيسة الجامعة بامتدادها الى اقاصي المسكونة . هذا ما عدا المناظر الالهية والجليانات التي بها شاهد هو حقايق موضوعات نبواته المشار اليها تحت رموز مختلفة مفسرة في امكنتها . سادسًا قد وعظ الشعب اليهودى بالتوبيخ على افعالهم الذميمة وبالتحريض على حفظ ناموس الله وعلى السلوك بالاستقامة والعدل وعلى صنيع الافعال الصالحة *

فنحن نختتم سيرة هذا النبي الوجيزة بما قاله الله بواسطته في العدد التاسع من الاصحاح السابع من نبوته هكذا : « قال رب الجنود انصفوا بقضا الحق واصنعوا رافة ورحمة كل واحد منكم مع اخيه . ولا تظلموا الارملة واليتيم والغريب والفقير . ولا يفكر الرجل في قلبه شرًا على اخيه » * فهذه الالفاظ الالهية المتجهة نحو الجميع عمومًا وخصوصًا هي الركن الوطيد لحفظ فضايلي العدل ومحبة القريب الملتزم بهما كل مسيحي نحو القريب ليس فقط بحفظ واجبات الاستقامة والعدل البدلى بل ايضا بصنيع افعال الرحمة الروحية والجسدية . التى كما ان سيدنا يسوع المسيح قد وعد بان يعطى الملكوت السماوي للذين يمارسونها مكافاة لهم كانهم صنعوها مع اقنومه الالهي نفسه . فهكذا توعد الذين يهملونها بالهلاك الابدي . فليصنعها اذًا كل منا بما يقدر عليه وتطول اليه يده لنكتسب من اجلها تمام هذا الوعد الالهي ما لكين معه تعالي الى الابد *

* اليوم التاسع *

* وفيه تذكار القديس الشاهد نيكفوروس *

اولاً ان القديس نيكيفوروس الممدوح جدًا في التاريخ الكنايسي لم يكن سوي رجل عالمى بسيط . ولكنه كان متعمقًا في معرفة واجبات الديانة المسيحية . وكان عايشًا حسبما يظن بالصواب في مدينة انطاكية في زمن ولاية الملكين الرومانيين فالاريانوس وغاليانوس القيصرين فى الدهر الثالث * فكان لهذا القديس صديق خاص يدعى سابريتسيوس .

وهو احد كهنة المسيحيين. وهذه الصداقة والود المترددان فيما بينهما بحبٍ مقدّس صيراهما ان يغاير بعضهما بعضا في اعمال الصلاح غيرةً ممدوحة * ولكن لاجل حادثٍ ما مجهول منا قد انشعرت بعد ذلك فيما بينهما المحبة. ورويداً رويداً تلاشت بالكلية. بل استحالت الى بغضة وعداوة ظاهرتين * فبعد ان مضى عليهما زمنٌ ليس بوجيز وهما في هذه الحال. اخذ نيكيفوروس يتامل فيما يعلمناه الانجيل الالهي وما يقوله القديس الرسول يوحنا الحبيب في شان التزامنا بالحب نحو القريب بل بمحبة اعدائنا انفسهم * ومن ثم اعتمد على الاجتهاد في ان يصالح سابريتسيوس مصالحةً حقيقيةً. ولهذا قد استعمل في الاول اصدقا الجهتين واسطةً في هذا الامر. واذ لم تبلغ هذه الواسطة مفعولها لتصلّب سابريتسيوس في رفض الصلح. فقد ذهب اليه بعد ذلك نيكيفوروس نفسه وانطرح على قدميه طالبا منه الغفران غير ان سابريتسيوس قد لبث مصرًا على ما كان عليه. وبنكرانه هكذا الرحمة والحنو علي اخيه حصّل لذاته المضرة بالا يستحق الرحمة والحنو من الله عينه ❋

ثانيًا فكان قبل هذا الحادث بمدةٍ اشهر الملك فالاريانوس قيصر الاضطهاد ضد المسيحيين. ولهذا حينما كان فيما بعد جنود الوالي يفتشون على اخص المتمسكين بالايمان بالمسيح. قد وجدوا الكاهن سابريتسيوس المذكور فقبضوا عليه واتوا به امام الوالى حيث اظهر شجاعةً عظيمة ليس فقط في اعترافه الشهير بالمسيح وفي اجوبته الجليلة التي بها اجاب المغتصب. بل باحتماله ايضا العذابات القاسية جدًا والمختلفة الانواع اياما عديدة بها استحق اعتبارًا كليا لدى اعين البشر * غير ان هذا جميعه كان بالنسبة اليه عديم الافادة. لاجل انه لم توجد عنده فضيلة المحبة. التي من دونها حسب تعليم الرسول الالهي لايمكن ان تنفع شيا جميع الاعمال الصالحة حتي ولا حريق الجسم كله بالنار * فالمغتصب حينما راي سابريتسيوس متصلبا في الاعتراف بالمسيح. قد حكم عليه بان يوخذ الى مكان القتل وهناك يقطع راسه * فلما سمع نيكيفوروس بهذه الحكومة. اسرع وشكا الى ان ادرك سابريتسيوس في الطريق مساقا الى الموت * وحالما راه تقدم اليه وركع امامه منطرحا على قدميه مكرما اياه كشهيدٍ ليسوع المسيح. وتوسل اليه مستحلفا بان يصفح له عما صدر منه من النقص في حقه. الا انه اذ لم يفز بمرغوبه. من حيث ان سابريتسيوس ليس فقط لم يشا ان يغفر له بل ولم يرتضِ ايضا بان يميل نظره اليه * فنيكيفوروس لم يقطع رجاه من ان يتبعه الى منقع

الدم . ويبذل نحوه جهده في استجلابه الي المغفرة والصفح *

ثالثاً فلما بلغ الي المكان المعين للقتل تقدم نيكيفوروس ثانيةً امام سابريتسيوس . وطفق يجتهد بالتوسلات والدموع الحارة والتململ على قدميه . متضرعا اليه في ان يغفر له * حتى ان الجنود والجلادين والحضار لبثوا منذهلين ومبهوتين من اجتهاده هذا العظيم بالتواضع والتذلل والدموع ليكتسب رضوان انسانٍ بعد دقايق قليلة كان مزمعا ان يجز راسه ويموت قتلاً * ولكن الكاهن التعيس المنكود الحظ لم يرث لدموع نيكيفوروس . وقد تجاسر ضد تعليم مخلصنا يسوع المسيح ان يصعد الى التخت المهيي لقتله كعلي هيكلٍ ليقدم هناك قربانه لله بسفك دمه من دون ان يصالح اخاه اولاً ويغفر له * ولهذا لم يرتضِ الله بان يهبه شرف اكليل الاستشهاد بعد ان رفض مصالحة اخيه وانكر عليه الغفران ولهذا حالما شاهد سابريتسيوس الجلاد مقبلاً اليه ليقطع راسه . قد قلق وخاف مضطربا بهذا المقدار . حتي انه شرع يتوسل الي الجلاد والي الجنود بان يعفوا عن حياته . موعدًا بتقدمة الطاعة للاوامر الملوكية وبتقريب الذبايح والبخور للاوثان . الامر الذي اوجب على الجلاد ان يتوقف حالاً عن قتله * اما نيكيفوروس فاذ شاهد هذا الانقلاب من سابريتسيوس قد انذهل جدًا وطفر من بين الجمع وصعد على التخت امام الجلاد طالبا منه ان يقتله فديةً وعوضًا عن عدوه المميت المصر على عدم مصالحته * ثم اخذ يتوسل الى سابريتسيوس بالا ينكر يسوع المسيح مضيعًا وخاسرًا استحقاقات جميع ما كان احتمله من اجله تعالي لحد ذاك الوقت من العذابات الفادحة * الا ان فضيلة المحبة التي ظهرت من نيكيفوروس قد افادة شخصه الخصوصي لاشخص سابريتسيوس ولهذا اذ راي نيكيفوروس صلابة عزم سابريتسيوس الردي . وهكذا آيس بالكلية من اصلاحهِ . فحينئذٍ هتف صارخًا : اني مسيحي انا وشرع يعترف جهارًا بالايمان ضد ما كان نكر به المسيح ذاك الكاهن الشقي ثم طلب ان يموت بدلاً منه بقطع الراس * فسلوك القديس نيكيفوروس بهذا النوع كان يظهر غير مطابق لتهذيب الكنيسة الجامعة ولاوامرها التي لا تسمح بان المسيحي يقدم ذاته بذاتهِ الى الاستشهاد . غير ان فضيلة المحبة عينها التى لانقادها في قلب نيكيفوروس قد جذبته لان يتضع لدي اخيه و يتوسل اليه بدموعٍ حارة متململاً على قدميه . فهى نفسها قد صيرته ان يعوض عن الاهانة التى صنعها لله سابريتسيوس بنكرانه يسوع المسيح . وان يقدم ذاته

ضحيةً بها يمجد الله والايمان المسيحي بدلاً من العار الذي سببه ذاك الجاحد *

رابعاً فجميع الذين كانوا حاضرين هذا المشهد امتلاوا اندهالاً وتعجباً من شجاعة القديس نيكيفوروس التي اظهرها بالنوع المذكور. واما الجنود وخدام الشريعة فاذ راوا ذواتهم غير مستطيعين ان يتمموا مرغوب نيكيفوروس بقتلهم اياه . من دون ان يعرضوا واقعة الحال علي الوالي ويعرفوا ارادته واوامره . قد ارسلوا اليه البعض منهم واخبروه بما تم * فالمغتصب حينما فهم اعتراف نيكيفوروس الشهير بالمسيح . قد اعطي الامر بانه ان لبث نيكيفوروس يعترف بالمسيح على هذه الصورة ولا ينكره فلتقطع هامته من غير انتظار اوامر جديدة . ومن دون فحص او سوالات او صنيع احتفالات اخر شرعية ديوانية * فنظراً الى التعيس سابريتسيوس لا توجد لدينا عنه حقايق ما حدث له فيما بعد . واما القديس نيكيفوروس فاذ استمر ينادي معلناً ومشهراً اعترافه بالمسيح بشجاعةٍ وثبات عزمٍ . فبموجب اوامر الوالي قد قطعت هامته المكرمة . وهكذا اختطف اكليل الشهادة الذي خاب منه سابريتسيوس . وقد استحق هذه النعمة لاجل ما اظهره من فضيلة الحب السامية نحو القريب . ومن الغيرة على الصلح والسلام * وقد اعتبرته الكنيسة الجامعة فيما بين شهدايها المجيدين *

فلنتعلم الا نعطي سبباً للغيظ والبغضة لقريبنا بل فلنحبه كما يجب حباً حقيقياً ونغفر له من كل قلوبنا جميع ما يخطي به الينا او يفترى به علينا . حسبما يامرنا سيدنا يسوع المسيح في مواضع كثيرة من انجيله المقدس * ولا ندع ذواتنا ان ننغش من علةٍ او انتذارٍ اصلاً مما يقدمه لنا حب الذات او الالام المتملكة فينا . لان الرسول الحبيب يعلمنا قايلاً كما نوهنا عن ذلك انفاً : « يا احبتي ان يقل احدٌ انني احب الله ويبغض اخاه فهو كاذبٌ » لان من يحب اخاه الذي ابصره فكيف يمكنه ان يحب الله الذي ما عاينه . فهذه الوصية « لنا منه تعالى ان من يحب الله فيحب اخاه ايضاً » (يوحنا جامعة ص ٤ ع ٢٠) *

* اليوم العاشر *

* وفيه تذكار القديس خارالمبوس الكاهن الشهيد *

اولاً ان اسم هذا القديس الشهيد يوضح سمو النعم التي نالها من الجود الالهي . لان افظة خارالمبوس اليونانية تعني عربياً منارة النعمة او المشرق بالنعم . فهذا البار قد ولد في مدينة

ماغنيسيا في اواسط الجيل الثاني وتربى في الديانة المسيحية * ومن حيث انه تلالا بالفضايل والاداب وحصل على سمعة صالحة جدًا لاجل النعم الالهية التي افاضها الله عليه فقد حصل على التقدم فيما بين الاكليروس وتكرس بالدرجات الكنايسية * ثم ارتسم كاهنا وكان يخدم الانفس بغيرة رسولية . وينذر بالانجيل معلما طريق الخلاص والحق *

ثانيًا فوالى الاقليم المدعو لوكيانوس المقام بهذه الوظيفة من الملك سافريوس . الذي بعد موت البينوس سنة ١٩٧ للمسيح تسلم زمام الملك الروماني شريكا مع ساتيموس * فهذا المتعبد للاوثان اي لوكيانوس اذ لم يحتمل ان يسمع عن كاهن المسيحيين المذكور انه كان يعلم الشريعة الانجيلية ويجتذب اليها الوثنيين . ارسل فقبض عليه حينما كان يكمل الخدم الكهنوتية * واحضره امامه متردیا بالاثواب المقدسة نفسها . ثم امتحنه بانواع كثيرة واذ راه ثابتا في الايمان بالمسيح صيَّر خدام الشريعة ان ينزعوا عنه الحلة الكهنوتية وان يعروه مطلقا . ثم يلفوه بجلود الحيوانات ويشرعوا في تعذيبه بقساوة وبانحاء شتى *

ثالثًا ولكن من حيث ان هذا الشهيد كان يحتمل انواع تلك العذابات المرة وشدة الاوجاع بصبرٍ تام وشجاعةٍ رجولية وبثبات عزمٍ غير مغلوب امام لوكيانوس عينه * فهذا المغتصب اذ لم يعد يطيق ان يشاهد ذاته مقهورًا من صبر الشهيد فقد احتمى غضبا فايق الحد وانحدر من على كرسيهِ * ووثب على القديس ليعذبه بيديهِ ويشفي غليل رجزه الاحمق *

غير ان الله انتقم من هذا الوالي الرجس بان يديه اللتين مدَّهما بالنفاق لضرب كاهنه تعالى المعترف قد يبستا حالاً وانفصلتا من جسمه . وسقط على الارض الا ان القديس اقتدا بنموذج فادينا يسوع المسيح الذي توسل الى الله ابيه وهو على خشبة الصليب بان يغفر لصالبيه انفسهم . فليس فقط طلب من الله ان يصفح عن جسارة هذا الوالي الظالم وعن نفاقه بل باكثر من ذلك قد اشفاه مما حصل له بهذا الانتقام . وردَّ له يديه صحيحتين معافتين *

رابعًا فلما شاهد هذه الاعجوبة بورفيريوس المسجل وداوكطوس احد القيام . رفضا علانيةً العبادة الوثنية وامنا بالمسيح . معترفين جهارًا بحقيقة هذه الديانة المقدسة * وقد اقتدت بمثلهما ثلث من النسا الوثنيات اللاي كنَّ حاضراتٍ في ذلك المشهد وراين حدوث هذه

الاعجوبة . ومن ثم اعترفن بالمسيح بشجاعة رجولية. مذيعات بان اله كاهن الله الشهيد هو اله الالهة ورب الارباب القادر على كل شئ والصانع المعجزات. وبان شريعة الانجيل هي الشريعة المقدسة التي تصير المتمسكين بها ان يصنعوا الخير مع اعدائهم ومبغضيهم ومعذبيهم القساة الظلمة ✻

خامساً ولكن يا لغباوة البشر المصرين على ضلالهم والمستاسرين من رذيلة حب الذات وشرف المراتب والتنعمات في الملذات الجسدية . التي يفضلونها على الحق اليقيني خوفاً من ان تمسكهم بو يسبب لهم فقدانها فلوكيانوس ليس فقط لم يرد ان يصغى لصوت الله ويعرف فضل المحسن اليه . ويرفض مذهبه الكاذب . ويصنع نظير الخمسة الاشخاص الموما اليهم بقبول الايمان بالمسيح . بل انه بشر اعظم رداوة واشد شناعة امر عليهم بان يوضعوا مع القديس الشهيد تحت العذابات الشديدة المختلفة الانواع . كما قدتم هذا الامر فعلا * واذ راهم ثابتين في الامانة التي اعترفوا بها علانية . حكم عليهم جملة مع الكاهن القديس بقطع الراس * وعلى هذه الصورة جز الجلادين هاماتهم المكرمة وبذلك نالوا معاً اكلة الشهادة وتيجان المجد من المسيح واضع الجهاد . ما لكين معه الى الابد ✻

فنحن نلاحظ في حادث لوكيانوس الوالى الحالتين المنوه عنهما من النبي والمرتل بقوله : ان الذي اكل خبزي رفع علي عقبه. وانت يارب ارحمني واقمني فاجازيهم (مزمور ٤٠ ع ٩) فالحالة الاولى هي كفران لوكيانوس بالجميل واسيئه للمحسن اليه . ولكن الحالة الثانية هي انتقام الله منه بالمجازاة العادلة . وهي العماء الروحى الذى صيره ان يستمر في ضلاله . ولا يستفيد من هذا الخير كما استفاد منه الخمسة الاشخاص الشهدا . وذلك قصاصاً عن عدم معرفته الجميل * فلنرهب اذاً من ان نسبب لذواتنا هذا الانتقام الالهي العادل . ولا نتهاون في فرص الخلاص التي يمنحناها عز وجل برافتهِ الغير المتناهية . ولنخش من ان نظهر كافرين بالاحسان وناكرين الجميل . ولنرهب من اننا اذا رفضنا نعمة ما من النعم الالهية ولم نسع معها حالاً فلا نعود نجد نعمة غيرها * ولنكن نشيطين في اتباع النموذجات الصالحة ومتمسكين بالالهامات المقدسة . وان نسعى مع النعمة حتى بذلك نفوز بالخلاص الابدي ✻

* اليوم الحادي عشر *

* وفيه تذكار القديس الشهيد في الكهنة فلاسيوس *

اولا ان القديس الشهيد فى الكهنة فلاسيوس هو احد اوليك الاساقفة والرجال المعظمين الذين في زمن الاضطهاد البربري المصنوع فى الملك الشرقي منذ سنة ٣١٩ الى سنة ٣٢٣ من الملك ليكينوس قيصر ضد المسيحيين قد سفكوا دماهم بشجاعة رجولية فيما بين عذابات شديدة القساوة من اجل الايمان بالمسيح * فالكنيسة اللاتينية تصنع تذكار هذا القديس والراعي المجيد في اليوم الثالث من شهر اشباط عينه . اما اخص اعمال استشهاده فهو الاتي ايراده *

ثانيا فالقديس فلاسيوس كان اسقفا لمدينة سبسطية من اقليم ارمينية . وقد زين الباري تعالى هذا الراعي الجليل بموهبة اصطناع العجايب التي فعل منها عددا وافرا في ازمنة مختلفة * فالوالي اغريكولاوس قد قبض على هذا القديس بحسبما هو مسيحي بل راعى المومنين ومعلمهم . وبعد فحصه اياه وعدم مقدرته على اجتذابه لنكران الامانة . قد صيره اولا ان يجلد بشدة ويعذب بقساوة مدة مستطيلة من الزمان . ثانيا قد ربط معلقا على خشبة ومزق جلد جسده مسلوخا بواسطة امشاط من حديد . ثالثا قد طرح بعد ذلك في السجن الذى فيه احتمل (لكي نقول هكذا) كل يوم ميتة من قبل ما كان خدام الشريعة يذيقونه من الاضامات والحن . هذا ما عدا كيفية السجن الردية *

ثالثا فبعد زمن ليس بوجيز قد اخرجه الوالى من الحبس . ولثباته في الايمان بالمسيح قد حكم عليه بالموت على هذه الصورة . وهي انهم طرحوه مقيدا في بحيرة ماء عميقة * الا ان الله خلصه منها سالما بنوع فايق الطبيعة . فاخيرا امر الوالى بقطع راسه . وبهذا فاز الشهيد باكليل المجد السماوى . وقد قطع راس اثنين من المسيحيين الاحداث صحبة هذا الراعي *

رابعا ثم من حيث انه حينما كان يعذب القديس فلاسيوس بالجلد وبتمزيق لحمانه بالمخاليب الحديد . قد ذهبت سبع نسا مسيحيات الي مكان العذاب . وكن يلتقطن بواسطة الاسفنجات الدم الذي كان يسيل من جراحاته . فهذا الفعل التقوي عرف لدي الوالي . ومن ثم قبض عليهن . واذ اعترفن بالمسيح حكم هذا المغتصب بانهن يعذبن بصرامة . وبعد ذلك تقطع هاماتهن . الامر الذي وضع بالعمل . وهكذا نلن تاجات الاستشهاد

في اثر راعيهنَّ الاسقف القديس . متملكات مع المسيح الذي من اجلهِ سفكنَ دماهنَّ في الغبطة الدهرية ✻

فالكنيسة اليونانية اعتادت ان تكرم بعض القديسين بتكرمة خصوصية متميزة عما سواهم بهذا النوع . وهو ان ترتل في مديحهم لا قنداقًا واحدًا نظير باقي القديسين بل قنداقين . فهذا التخصيص تستعمله نحو القديس المذكور بالقنداقين الاتي ايرادهما ✻

✻ القنداق الاول باللحن الثامن ✻

بما انك تلالات مشرقًا في نعمة رياسة الكهنوت ايها المجيد الكلي الطهر فالكنيسة تعيد بابتهاج لجهادك التي احتملتها وتكبدتها بشهامة مسرورًا يافلاسيوس الكلي المديح الكوكب الفايق الزينة . الذي اشرقت في الدنيا ايها الشايع الصيت ✻

✻ القنداق الثاني باللحن الثاني ✻

يافرعًا الهيًا المزهرة التي لا تذبل وقضيبًا كثير الحمل لكرم المسيح . يالابس اللاهوت فلاسيوس . اوعب الذين بامانة يكرمون تذكارك سرورًا وابتهاجًا متشفعا بغير فتور من اجلنا ✻

✻ اليوم الثاني عشر ✻

✻ وفيه تذكار القديس ملاتيوس البطريرك الانطاكي ✻

اولاً ان القديس ملاتيوس ولد في مدينة ماليتانا اي ملطية من اقليم ارمينية الصغري في اوايل الجيل الرابع اى سنة ٢٢٥ من عيلة متقدمة بالشرف والاعتبار فيما بين اعظم اكابر الاقليم المذكور * فالصفات الطبيعية الفريدة في الجودة التي قد زينه بها الباري تعالى باضافتها الي حسن التربية المسيحية بالفضايل والعلوم التي اكتسبها . قد صيرته في زمن قليل موضوع التعجب والقبول من الجميع بحب شديد . لاسيما لاجل احتشامه ووداعته وتواضعه ونقاوة قلبه وطهارة سيرته وباقي عوايده الصالحة الخالية من العيب ۞ فهذه الاشيا المقترنة مع عبادة مقدسة وديانة حسنة اهلته بعد ارتقايه الى درجة الكهنوت لان ينتخب ويرتسم اسقفًا سنة ٣٥٧ على مدينة سابسطيا في اقليم ارمينية نفسه ۞ ولكنه لما شاهد شعب هذه المدينة متصفًا بالعناوة وبخشونة التصرفات مصرًا على العناد وعدم السلوك بموجب الامر . قد انفرد متوحدًا ليثابر تقدمة الصلوات والامانات وتقديس نفسه في الابتعاد عن

العالم ففي هذه الازمنة اي سنة ٣٦٠ . كانت الابرشية الانطاكية متعوبة جدًا من قبل الانشقاق والارتقة الاريوسية وغيرهـا * على انها منذ عدمت راعيها الشرعي القديس افستاسيوس . الذي كان عزل ظلمًا عن الكرسي الانطاكي . فالاريوسيون الذين وجدوا مويدين من الذراع العالمي . كانوا يقيمون على هذا الكرسي دخلا من حزبهم وتابعي ضلالهم * ولكن ولين كان عددٌ غزيرٌ من الكاثوليكيين لمللهم من خداعات الارتقة واضطهاداتهم ومن طولة زمن فروغ الكرسي من راعٍ كاثوليكي كانوا تنازلوا الى الاشتراك مع الدخلا المومي اليهم . فمع ذلك كان يوجد عددٌ اخر ولو انـه لم يكن غزيرًا من الكاثوليكيين المتصفين بالغيرة والثابتين في الايمان المستقيم الذين لم يرتضوا اصلاً بان يشتركوا مع الدخلا بل كانوا يلتيمون وحدهم ويباشرون احتفالات الاسرار والديانة * وكانوا يدعون افستاسيين لتمسكهم بامانة بطريركهم المعزول ضد كل شريعةٍ وقانون . اي القديس افستاسيوس * ولبثوا على تلك الحال منفصلين عن الدخلا حتى وبعد انتقال راعيهم القديس في المنفى الى الحيوة الابدية *

ثانيًا فهذه كانت حال الكنيسة الانطاكية التي استمرت بها مدة نحو ثلثين سنة الي ان انتقل منها الى الكرسي القسطنطيني افدوكسيوس بطريركها الاريوسي . وحينئذٍ الملك قسطانسيوس لكي ينهي بلبلة هذه الابرشية قد اعتني بالمام مجمع اساقفة عـام في مدينة انطاكية من كل بلاد المشرق ليصير فيه انتخاب قانوني لمن يتراس على ذلك الكرسي البطريركي * وكان الاكثرون من اساقفة هذا المجمع اريوسيين . فقد اتفقت اصوات ابا المجمع كافةً على انتخاب القديس ملاتيوس الذي اذ لم يكن الاريوسيون يعلمون حقايق تعليمه في مكان انفراده فكانوا يظنونه موافقًا لحزبهم * واما الكاثوليكيون الذين كانوا يعرفون استقامة ايمانهِ ففرحوا مرتضين بهذا الانتخاب . مومليين بالصواب ان تنقي تلك الابرشية تحت تدبير راعٍ هكذا جليل من ضلال الارتقة ومن فساد العوايد الردية ومن روح الانقسام * فاذًا تاكيدًا لاتفاقهم جميعًا بصوت واحد في انتخاب القديس ملاتيوس . قد صنعوا صكًا ديوانيا قانونيا باسم المجمع المذكور بهذا الانتخاب . وامضوه جميعا بخطوط ايديهم وسلموه بيد القديس اوسابيوس اسقف ساموساطا *

ثالثًا فالملك قد انسر جدًا من تلاشي الانقسام ومن اتفاقهم كافةً بهذا الانتخاب . وامر

بان يحضر القديس ملاتيوس من مدينة بيريا اي حلب التي كان وقتئذٍ موجودًا فيها الي مدينة انطاكية بكل كرامة واحتفال . وهكذا تسلم سياسة هذا الكرسي البطريركي * فجميع متقدمي الاكليروس والشعب ذهبوا لملاقاته . وادخلوه باحترام ووقار الى كنيسة الكاتدرا . وعند ما شاهدوا في اقنومه الهيبة والصفات الجليلة . ازداد تعلق قلوبهم به واعتبارهم اياه * ولكن الاريوسيون لما تحققوا من العظة الاولى التي صنعها هذا القديس علي الشعب ماذا كانت حقيقة ايمانه . حيث انه اعلن بها اعتقاد الكنيسة الجامعة بالوهية الكلمة الازلي المتجسد . وانه تعالى مساوٍ لابيه في الجوهر . فحالًا اخذوا يضطهدونه بكل استطاعتهم ولهذا باحوا كل ما كان عندهم من الحيل حتي انهم اقنعوا الملك قسطانسيوس بان ملاتيوس كان اراتيكيا من شيعة سابا ليوس الذي لم يكن يعتقد بتمييز الثلثة الاقانيم الالهية بل كان يرتاي بان الجوهر الالهي والطبيعة الالهية الواحدة تارةً تسمي ابًا وتارةً تدعي ابنًا وحينًا تسمي روح قدس على ان الاريوسيين كانوا اعتياديًا ينهمون الكاثوليكيين المعتقدين بمساواة الابن للاب في الجوهر بانهم سابا ليون نسبةً الي سابا ليوس الاراتيكي المذكور فالملك اذ اعتد تصديقه هذه التهمة عن القديس ملاتيوس . ابرز امرًا ملوكيًا في طرده من مدينة انطاكية وهذا تم بعد مدة وجيزة من دخوله اليها بذلك الاحتفال والقبول السامي *

رابعًا اما القديس اوسابيوس اسقف ساموساطا . فكان بعد دخول القديس ملاتيوس الى انطاكية وابتداء الارتقة في اضطهاده سافر راجعًا الي ابرشيته * فالاريوسيون الذين في المجمع الانطاكي كانوا وضعوا امضاواتهم بخطوط ايديهم في صك انتخاب القديس ملاتيوس وسلموه بيد القديس اوسابيوس المذكور . قد احتالوا بعد طرد البطريرك الشرعي القديس من انطاكية في ان يسترجعوا من الاسقف البار اوسابيوس هذه الوديعة . التي اضحت شاهدًا حقيقيًا علي خيانتهم النفاقية * فمن ثم استمالوا الملك قسطانسيوس الي انه ارسل من قبله رسولًا خاصًا . طالبًا منه رد صك الانتخاب * فالقديس اوسابيوس اجاب الرسول بانه اذ كان تسلم هذا الصك من قبل المجمع الانطاكي كافةً بمنزلة وديعة . فلا يمكن ان يرده لشخص خصوصي . بل اذا التمسوا كافةً من جديد فيرجع اليهم وديعتهم هذه * فلما بلغ الرسول راجعًا الي الملك واخبره بهذا الجواب اغتاظ جدًا وحتم على الرسول بان يرتد سرعةً . واذ يصل الي ساموساطا فيقول لاسقفها ان الامر الملوكي هو ان يدفع له

صك الانتخاب المذكور . والا فتقطع يده اليمنى . وكان قصده بهذا التهديد ان يخيف القديس اوسابيوس * فحينما رجع اليه الرسول وبلغه هذا الكلام من قبل الملك . فحالاً مدَّ اليهِ يديهِ الاثنتين معًا ليقطعهما احرى من انه يرتضي بتسليم ذلك الصك القانوني . الذي كان ينذر بالظلم الفظيع المصنوع من الملك ضد القديس ملاتيوس وبالخيانة الشنيعة التي ظهرت لدى الافاق من تصرفات الاريوسيين فالرسول حينما رجع الى الملك واعرض لديهِ الحال . فمع انه احتمى غضبًا من كون اوامره وتهديداته لم تبلغ مفعولها . ولكن في الوقت نفسه لم يمكنه الا يتعجب منذهلاً من شجاعة هذا الاسقف البار وثبات عزمه على حفظ الامانة *

خامسًا ثم ان الاريوسيين قد اقاموا دخيلاً على الكرسي الانطاكي رجلاً منهم مدعوًا اوتسيوس . الذي لانه اراد ان يويد بابلغ نوع ضلاله ويجعل الارثقة منتصرة . ابتعدت عن مشاركتهِ وطاعتهِ اوليك الشعوب انفسهم الذين كانوا تنازلوا فيما مضى الى الاشتراك مع الدخلا الاولين . الذين لم يكونوا بهذا المقدار مشهرين ضلالهم او قلما يكون عرفوا ان يستميلوا الرعية اليهم * فاذًا هولا الشعوب قد رفضوا الدخيل اوتسيوبوس وكانوا يعترفون بانهم لا يعرفون عليهم راعيًا قانونيًا الا بطريركهم الجليل ملاتيوس . الذي ولين لم يمكنهم ان يتمنعوا بمشاهدته سوى مدة وجيزة فصفاته الفريدة تجنت صورتها في عقولهم وانطبعت محبته في قلوبهم بنوع عجيب حتى انهم ابتداوا ان يسموا اولادهم بهذا الاسم المحبوب لديهم اى ملاتيوس . محتسبينه بركةً لعايلاتهم وكانوا اتخذوا صورة هذا الراعي وحفظوها باحترام جزيل كي تعزيهم نوعًا عن ابتعاده عنهم . ولكي يتذكروا على الدوام فضايلهُ وجودة صفاته مقتدين بها وهذا جميعه يورده القديس يوحنا فم الذهب في تكلمه عن هذا الراعي البار *

سادسًا انهُ لكان هو امرًا مفيدًا جدًا للابرشية الانطاكية . لو كان يضاف الى هولا الشعوب اوليك ايضًا الملقبون افستاسيين * على انه ولين كان الانام المتمسكون بالقديس ملاتيوس كانوا جميعًا كاثوليكيين . رافضين ضلال الارثقة الاريوسية . فمع ذلك الافستاسيون لم يقبلوا القديس ملاتيوس * لانه أُنتخب من الاساقفة الاريوسيين ايضًا وبالتالي لم يكونوا يشتركوا مع المتمسكين بهِ . وهكذا اذ ان الوسايط التي أُستعملت

لاتحاد هاتين الفيئتين لم تبلغ مفعولها . فاضحت الرعية الانطاكية منقسمة الى ثلثة اقسام لا يشترك ذو ولا احداها مع اصحاب الاخري . وهى قسمة الافستاسيين الذين لم يشتركوا قط مع الاريوسيين من حين عزل القديس افستاسيوس راعيهم ظلمًا عن كرسيهِ . وقسمة الملاثيين الذين كانوا اشتركوا مع الارانقة في ازمنة الدخلا ولكنهم بعد انتخاب القديس ملاثيوس تمسكوا بهِ ورفضوا بالكلية اوتسبوس الدخيل وكانوا بالحقيقة كاثوليكيين مضادين الارنقة . ثم قسمة الاريوسيين الذين قبلوا الدخيل المذكور * فقد صودف في حدوث هذه الانقسامات ان لوسيفوروس اسقف مدينة كالياري فى جزيرة سردينيا . قد وجد وقتيذٍ في مدينة انطاكية . فهذا اخذ يعتنى فى ايقاع الوحدة والاتفاق فيما بين الافستاسيين وبين الملاثيين الفيئتين الكاثوليكيتين * ولكنه لما لم ينل مرغوبه بالاتحاد . قد رسم اسقفًا للافستاسيين الكاهن باولينوس الذي كان ذا سيرةٍ فاضلة جدًا . وبالتالى ان فعل لوسيفوروس هذا العديم الفطنة قد وطَّد الانقسام عوضًا عن ان يلاشيه * على ان الافستاسيين تمسكوا بباولينوس كانه راعيهم الشرعى . والملاثيين بالقديس ملاتيوس البطريرك الانطاكي القانوني الذي جميع الاساقفة الشرقيين (الا ما قل جدًا) لا سيما القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس الثاولوغوس كانوا مشتركين معه . ومعترفين بانه الراعي الشرعى للكرسي الانطاكي . ولين كانت اساقفة المغرب لم ترفض شركة باولينوس * وعلي هذه الصورة قد وجدت ثلثة بطاركة انطاكيون في وقتٍ واحد كلٌ منهم كان يدعي بانه الراعي الشرعى اى اوتسيوبوس الاريوسى الدخيل . وباولينوس الذى لم تعرفه اساقفة المشرق براعٍ قانوني . ثم القديس ملاثيوس البطريرك الحقيقي . وهذه الحال قد اوجبت الانقسام فيما بين اساقفة المشرق والمغرب ايضًا *

سابعًا فلما مات الملك قسطانسوس ورجع القديس ملاثيوس سنة ٣٦٢ من المنفي الى كرسيهِ الانطاكي . قد شعر هو بامارات الحزن الشديد حينما شاهد الانقسام الردى والانشقاق الوطيد الذى سببه الاسقف لوسيفوروس الفاقد الفطنة والعديم الاوراز * ومن حيث انه لم يمكنه ان يهمل رعيته الشرعية المقام عليها راعيًا قانونيًا . فاخذ يباشر سلطان سياسته نحو الذين كانوا في طاعته . مستعدًا لان يقبل الافستاسيين في شركته حالما يرتضي الرب بان ينزع من قلوبهم روح الانشقاق * ثم شرع يوطد الايمان المستقيم ويبدد بشجاعةٍ

غير مغلوبة زرع الارتقة الاريوسية . ولاجل هذه الغاية عقد في انطاكية مجمعاً من كل الاساقفة المخضعين لكرسيهِ البطريركي . وفيهِ استعمل كل ما دربته اليه فطنته السامية وغيرته الرسولية وسهره الرعائي نظراً الى تاييد الايمان الكاثوليكي . والى ملاشاة سم الارتقة والى ارتداد اوليك الذين وهّطوا انفسهم ساقطين بها واجتذابهم الي حقيقة الايمان المستقيم اما الاريوسيون فلما ذابوا حنقاً وامتلاوا بغضة قتالة ضد هذا القديس نهضوا لمحاربتهم اياه القاسية حتى انهم سببوا نفيهُ مرةً ثانية عن كرسيهِ وفيما بعد حينما نال الاطلاق ورجع الى رعيتهِ احتالوا على نفيه مرةً ثالثة * فعند ما كان حاكم انطاكية بموجب امر الملك فالانته اخذاً القديس من دارهِ وذاهبا به ضمن المركبة ليرسله الى المنفي . فشعب المدينة هاج برجزٍ ضد الوالي معتزما على رجمهِ بالحجارة قتلاً ليرجع راعيه المحبوب منه الي كرسيهِ * غير ان القديس ملاثيوس ستر الوالى بردايه نفسه وحماه بجسمه . متوسلاً للشعب ومقنعا اياه بوجوب الطاعة للاوامر الملوكية *

ثامناً فلما مات الملك فالانته الاريوسى واستولي علي بلاد المشرق غراسيانوس ملك المغرب الكاثوليكي . رجع الاساقفة المنفيين كافةً الى كراسيهم . وهكذا القديس ملاثيوس ارتد سنة ٣٧٨ الى انطاكية * فوقتيذٍ تعاطى قومٌ تدبير طريقة ملايمة لاتحاد الفيئتين الكاثوليكيتين الى واحدةٍ بهذا النوع . وهو ان القديس ملاثيوس مع باولينوس يباشران سلطان السياسة الرعائية جملةً باتفاق تام كانهما راعٍ واحد فالقديس ملاثيوس لحبه السلام وتواضعه لم يمانع هذا الراي . بل كان يحثهُ . باولينوس على الارتضا به قايلاً له انه من حيث ان الاغنام المستودعة لامانتنا من الراعى الاعلى يعتقدون بايمان واحد . اذ ان الفيئتين هما كاثوليكيتان فلنعتنقهم جميعاً وندخلهم الي صيرة واحدة . وهكذا ننهى علل الاختلافات الموجبة انفصالنا . ولندرع الرعية كافةً اثنانا معاً وندبرهم بسياستها باتفاقٍ واحد . وان كانت الكاتدرا هي التى تسبب الانقسام فيما بيننا اذ ان كل واحدٍ من اثنينا يريد ان يصعد اليها ويجلس فيها وحدهُ . فيمكننا ان نضع فوق هذه الكاتدرا كتاب الانجيل المقدس مرتضيين بان يجلس احدنا من عن يمين الكاتدرا وثانينا من عن شمالها . ولنستمر على هذه الحال الى ان يرقد بالرب احدنا . وهكذا الثاني الذى يبقي بعد الاخر في الحيوة فيكون هو الراعي الوحيد لهذه الرعية * غير ان باولينوس قد رفض قبول نوع هذا

والاتفاق . مدعيًا بانهُ لا يريد ان يقبل شريكًا له في السياسة رجلاً كان أُنتخب وتثبت من الاريوسيين . وعلى هذه الصورة استمر الانشقاق على حاله الاولي الي بعد رقاد القديس ملاثيوس بمدةٍ وجيزة *

تاسعًا علي ان القديس ملاثيوس ذهب الى المجمع المسكونى الثانى القسطنطيني الاول الذي اهتم بالتيامه الملك ثاوضوسيوس الكبير سنة ٣٨١ لاجل استيصال الارتقتين . وهما الاريوسيه التى منذ سنين عديدة كانت تمزق جسم الكنيسة الجامعة . ثم المكدونية المنتشية حديثًا ضدًا الاهوية الروح القدس من مكدونيوس المنافق * حيث ان هذا الملك الحسن الديانة الذى اقامهُ غراسيانوس ملك المغرب شريكًا له في تخت الملك الرومانى . وموطدًا اياه ملكًا حرًا قائمًا بذاته علي الملك الشرقي . لم يكن يحتمل ان يشاهد بلبلة الكنيسة الجامعة فى تلك الحال التى كانت حاصلة عليها . ولذلك اعتنى بانعقاد المجمع المسكونى المذكور بعد ان كان حصل علي رويا سماوية في الحلم بها شاهد رجلاً جليلاً ذ هيبةٍ مترديًا بالاثواب الاسقفية قد البسه البرفير الملوكي وكلله بالتاج القيصرى * فلما بلغ القديس ملاثيوس الى القسطنطينية وشاهده الملك المذكور . قد عرفه واضحًا انه هو ذاك الذي ظهر له في الرويا المشار اليها قبل ارتقايه الي تخت الملك والبسه التاج والبرفير * ولذلك اسرع اليهِ بكل احترام ووقار وقبّل عينيه وفمه وصدره ثم يده التي كانت توجته . وهكذا اشهر لدي جميع اباء المجمع الرويا التى حصل عليها بالنوع المتقدم ذكره *

عاشرًا فالقديس ملاثيوس بتقدمه في هذا المجمع المسكونى كبطريرك انطاكي قبل وصول البطريرك الاسكندري اجتهد في تثبيت الانتخاب الذي كان صدر باسم القديس غريغوريوس النزينزي راعيًا قانونيًا للكرسي القسطنطيني . واكمل ذلك ليس من دون ممانعة من القديس غريغوريوس نفسه * وهذا الاهتمام كان اخر اعمال القديس ملاثيوس الراجعة لخير الكنيسة الجامعة . التي كان هو كلى الغيرة على تائيدها وراحتها . لانه رقد بالرب فى ١٢ اشباط سنة ٣٨١ عينها فى زمن المجمع المسكوني المذكور بميتة مقدسة تليق بحياته المجيدة الرسولية * التى بها احتمل من اجل الايمان المستقيم الاضطهادات القاسية والنفي ثلث مرات عن رعيتهِ . وافاد الجميع بمواعظهِ وتعاليمهِ ونموذجات فضايلهِ السامية وترك للكنيسة الجامعة فيما بين الاشيا الاخر التى افادها بها ذلك التلميذ الحبيب والابن الروحي

الخاص احد معلميها المعظمين القديس يوحنا فم الذهب . فوفاة القديس ملاثيوس قد ندبت من الجميع برثاء وتحيب فاقد التعزية لفقد الكنيسة الجامعة هذا العمود والاسطوانة القوية وقد أُحتفل بدفنهِ احتفالات جليلة جداً بحضور جميع اباء المجمع المسكوني مع الملك ثاوضوسيوس الكبير . وقد تلا مقالة مديحه ومرثية وفاته القديس امفيلوشيوس اسقف ايقونية * واما العبادة والتقوى التي اظهرها المومنون نحو هذا القديس فهي فايقة الوصف لانهم كانوا يتزاحمون ليمكنهم ان يمسوا جسمه ببعض مناديل ويحفظوها في منازلهم كذخاير مقدسة * واخيراً الملك ثاوضوسيوس صيّر ان يُنقل جسد هذا الراعي العظيم من القسطنطينية الى انطاكية باحتفالاتٍ وتكريم وتراتيل وشموع مضية وقد دفن بجانب جسم القديس بابيلا في الكنيسة التي كان عمرها هو نفسه اي القديس ملاثيوس تكريماً لهذا الشهيد في الكهنة *

فالقديس يوحنا فم الذهب وصف بمدحٍ كلي فيما بين فضايل القديس ملاثيوس السامية بنوع اخص فضيلة الدعة والحلم والعذوبة التي بها ارضي الله واكتسب محبة الجميع * على ان هذا القديس اشهر مفاعيل هذه الفضيلة ليس فقط نحو رعيتهِ الانطاكية التي كان لديها كابٍ وراعٍ حقيقي . حتى انهم تعلقوا بحبهِ الشديد . ونحو الافستاسيين انفسهم الذين ظلماً وعدواناً كانوا ينبذون الطاعة لهُ . بل ايضاً نحو اعدايه الالدا المبغضين انفسهم الذين كان يحتمل افتراهم وتعديهم وارسالهم اياه الى المنافي بكل دعةٍ وصبرٍ في الوقت عينه الذي فيه كان فيما يخص المحاماة عن الايمان المستقيم كلي الشجاعة والثبات العديم ان يغلب *

فهذه الفضيلة يجب ان تتلالا في كل مسيحي . من حيث ان معلمنا الاعظم وفادينا الالهي يقول نحو جميعنا هكذا : « تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم » (متي ص ١١ ع ٢٩) * فوضع هذه الفضيلة بالعمل هو شي سهل جداً حينما يكون تصرفنا مع من هم على راينا وهوانا . ولكن حينما تستعمل ضدنا الاهانات والافترا فوقتئذٍ يلزمنا ان نعلن حقيقة كوننا تلاميذ يسوع المسيح نظير ما صنع القديس ملاثيوس باحتماله بدعةٍ وتواضعٍ جميع ما أُهين بهِ وأُفتري عليه بفعلهِ من اعدايهِ مكافيا عوض الشر خيراً متوسلا لله من اجل خلاص مضطهديه * فاذا ما نحن صنعنا مثل ذلك نستحق ان نكون من عدد

اوليك الذين قال عنهم يسوع المسيح : « الطوبى للوديعين فانهم يرثون الارض » (متى ص ٥ ع ٤) . اي انهم يرثون في هذه الارض السلام والهدو والراحة . وفي ارض الاحيا في السماوات السعادة الخالدة الى ابد الابدين ودهر الداهرين ✻

✻ اليوم الثالث عشر ✻

✻ وفيه تذكار ابينا البار مرتينيانوس ✻

اولاً ان سيرة القديس مرتينيانوس هي شهيرة في التاريخ الكنايسي نظراً الى سقطتهِ ثم نظراً الى توبته التي تستخدم مثلاً حيًا وتوطيداً لرجا الخطاة في المراحم الالهية . لاسيما لاوليك الذين يتفق لهم ان يغلبوا من تجارب الشيطان ويتورطوا في الاثم . بعد ان يكونوا استساروا سيرةً مقدسةً زمنًا مديداً وتوضح لهولاكيف انه يلزمهم ان لا ييسوا من رحمة الله . بل ان ينهضوا سريعًا ويباشروا افعال التوبة الواجبة نحو سقطتهم ✻ فالقديس مرتينيانوس كان مولوداً في مدينة قيسارية فلسطين نحو نصف الجيل الرابع . فلما بلغ السنة الثامنة عشرة من عمره . شعر باطنًا بانعطافٍ كلي الى السيرة النسكية ليقدس بها ذاته . اذ ان خوف الله المقدس املاء قلبه ✻ فمن ثم مضي الي جبلٍ لم يكن بعيداً عن مدينة قيسارية . حيث كان كثيرون من السواح عايشين هناك . واخذ يقتدى بنموذجاتهم مثابراً على الاصوام والصلوات والتراتيل والتاملات العميقة في الكتاب الالهي وعلى اماتة الحواس وقهر الذات وافتنا الفضايل والتاصل بها . ثم على عمل الايدى . وبحسب هذا السلوك بلغ الي درجاتٍ سامية من الكمال الانجيلي حتي انه اعتبر من كل الذين اختبروه انه مثال حقيقي للقداسة ✻ وما عدا ذلك قد ارتضت العزة الضابطة الكل الالهية بان تشرفه بموهبة صنيع العجايب . وبان تمنحه سلطانًا مقتدراً على الابالسة ✻ ولهذا كانت شعوب كثيرة تاتي اليه من كل صقعٍ البعض لاجل انقاذهم من الارواح النجسة واخرون لاجل شفايهم من الامراض ✻

ثانيًا فبعد ان كان استمر القديس مرتينيانوس على سيرة النسك هذه الشائقة مدة خمس وعشرين سنة . وكان الشيطان امتحنه بتجارب مختلفة الانواع وبحيل خبيثة عديدة وبمناظر خيفة ورويات مهيلة . وما امكنه قط ان ينتصر عليه . بل ان القديس بتاييد نعمة الله وبسيرته القشفة . التي بها كان عايشاً كملاكٍ احري من انه انسان . قد غلب تلك

التجارب جميعها * فاخيرًا هذا العدو الجهنمي نصب له شركًا رديًا دنسًا اسقطه به فكريًا بارتضا كما ياتي الشرح . وهو انه كانت في مدينة قيسارية امراة مدعوة ظوبي من المتقدمات فيما بين الاكابر التي بمقدار ما كانت فريدة في الجمال الجسدي فباكثر من ذلك كانت شنيعة النفس بالمآثم * فهذه يومًا ما اذ سمعت بعض الشبان يتكلمون امامها عن قداسة سيرة البار مرتينيانوس الذايعة مدايح سيرته الفاضلة . اجابتهم هذه الشقية بانه يكفيها لان تسقطه في الخطية متى امكنها ان تحصل على التكلم معه مرةً واحدة * ولما اخذ اولئك الشبان يوكدون لها ان ذلك كان امرًا غير مستطاع لديها بالكلية . من حيث ان البار مرتينيانوس كان فايقا على الضعف البشري وساميا بالفضيلة ومتعمقا في السيرة الروحية المقدسة . التي بواسطتها كان يعرف جيدًا ان ينتصر على ذاته . فهذه الخبيثة شرعت تدعي بابلغ نوع انها ترهن كلامها بمقدرتها على اسقاطهِ . وان الفعل يحقق قولها لتوضح لديهم كيف ان نوع سلوك مرتينيانوس لم يكن سوي مراياة بالقداسة * قالت هذا وخلعت عنها ملابسها الاعتيادية . وتردت بثوبٍ رثٍ كاحدي الغريبات عن البلد . وكانها من الزوار الذين ياتون لزيارة الاماكن المقدسة . وهكذا خرجت مساء من قيسارية واتجهت نحو مكان سياحة البار مرتينيانوس . حيث بلغت الي امام قلايته ليلاً * فضربت الباب باكيةً بصوتٍ انين متوسلةً الي المذكور بان يشفق عليها . منظاهرةً بانها شردت عن الطريق المودية الى المدينة . وما عادت تعلم اين تذهب في ظلام الليل . وانها حصلت في خطر ان تفترسها الوحوش . وبالتالي يجب عليه ان يصنع معها فعل محبة القريب والرحمة . ويقبلها في جانبٍ من مقر سكناه الى ان يشرق الفجر *

ثالثًا فمرتينيانوس قد رثي لنحيبها . واخذته الشفقة على توسلاتها . وهكذا فتح لها الباب وادخلها الي قلايته ثم اطعمها قليلاً من ثمر النخل . مستعملاً الاحتراس الواجب على نفسه وبعد ذلك مضي الي مكان اخر . حيث اكمل صلواته الاعتيادية واتكا على الارض لياخذ قليلاً من الراحة * غير ان الشيطان اخذ يستحضر لديه تصورات الدنس ويحاربه بهيجان الشهوة . كما ان خادمة هذا العدو الشقية لم تهمل من خداعاتها جهدًا بحركات بعيدة وقريبة لكنها غير مكشوفة بالكلية . لكي تبلغ مفعول نيتها الردية * فلما اضا النهار وابتدا مرتينيانوس ان يودع ظوبي لتذهب من عنده وهي كانت تتحدث معه فرويدًا

رويداً لان قلبه وضعفت قواه الروحية وارتضي باطناً بالفعل الدنس معها ارتضاء تاماً * ولكن الباري تعالى الذي سمح بسقوط عبده باطناً ربما قصاصاً لقليلٍ من روح الكبريا الخفي الذي كان استحوذ عليه قبلاً او تاديباً لرخاوته بالنظر الاختياري الى تلك الامراة الخداعة والخطرة لم يسمح بسقوطه الفعلي معها . بل مس قلبه بنعمته وعرّفه عظم ذنبه الباطن * ومن ثم لكي يخمد مرتينيانوس النار الدنسة التي نفخها فيه باطناً ساطانايل . قد اسرع الي النار التي كان اوقدها ووضعها تحت رجليه العاريتين * ولما كانت تحرقها بعذابٍ اليم شرع يخاطب ذاته قايلاً : « ماذا تقول يامرتينيانوس فانت الان لا تحتمل اوجاع حريق « نار ضعيفة . فكيف اذاً يمكنك ان تتكبد مواقد تلك النار الجهنمية * فان كنت الان « تشعر بشدة عذاب نـار وقتية تنتهي سرعةً . فما تراك تصنع باحتمال اللهيب الرهيب « الذي لا يطفى ولا يخمد بل يدوم الى الابد * فانت تستطيع أن تطفي هذه النار بالماء . « ولكن بحيرة النار المتقدة من قبل غضب الله فانها تلتهب دايماً موقدة على ممر الاوقات « وتحرق باتصال غير منقطعٍ . هذا مع وجود الشيطان وجنوده المعذبين من دون « رحمة » ○ قال هذا وسقط على الارض باكيا بشهيقٍ من شدة عذاب النار التي حرقت رجليهِ . وكاد يغيب عن الحواس *

رابعاً فظوبي عند مشاهدتها هذه الحال . قد انطرحت علي قدمي مرتينيانوس بدموعٍ حارة مشعرةً بندامة حقيقية ومعترفةً لديه بذنبها وبعزمها الردي الذي حضرت به اليه . وطالبةً منه الغفران * وقد عزمت على الانمضي من هناك الم يرشدها في طريق الخلاص . وبما يلزم ان تمارسه من افعال التوبة الواجبة عن خطاياها الماضية الفظيعة * فحينيذٍ مرتينيانوس قد درّبها بان تذهب الى بيت لحم الى الدير الذي كانت فيه القديسة باولا الشايعة الصيت . مدبرة النسا المنفردات عندها . ومرشدتهنّ بموجب رسوم القديس ايرونيموس * فعلى هذه الصورة قد مضت ظوبي الى هناك . حيث قبلتها القديسة باولا بكل بشاشـةٍ . وشرعت تمارس تحت تدبيرها توبةً شاقةً جداً عن ماعثها الفايقة العدد . التي بها اهانت خالقها وسببت الشكوك للانفس في مدة حياتها الماضية * فقد استمرت عشر سنوات في ذلك الدير مواظبةً الصوم الطبيعي يومياً لحد غياب الشمس ما عدا نهار الاحد . ولم تذق من انواع القوت الا الخبز والماء . ومرقدها كان حضيض الارض المجردة

ممارسةً كل نوع من الاماتات بصرامةٍ هذا حدها. حتي ان القديسة باولا التزمت مراتٍ كثيرةً بان تهذب فيها حرارة التوبة خوفًا من ان تفقد حياتها * ولذلك الباري تعالي الذي قد قبل توبتها هذه. فلكي يحقق بعلامةٍ ظاهرة انه قد غفر لها ذنوبها. قد منحها قبل ان تفارق هذه الحيوة وتنتقل الى السعادة الطوباوية المعدة للتائبين الحقيقيين موهبة شفا الامراض بفعل فايق الطبيعة ❋

خامسًا اما مرتينيانوس فقد استمر طريحًا على الارض لايمكنه الوقوف على رجليه المحروقتين بالنار مدة سبعة اشهر الى ان اكتستا لحمًا جديدًا. وبعد ذلك قد عزم على ان يترك قلايته ويذهب الي مكان منفرد غير مسلوك لايمكن لاحدٍ من البشر ان يدنو منه. وذلك لكي لايحدث له سببٌ ما خطر نظير ما اصابه. ثم لكي يمارس توبةً اعظم صرامةً عن ذنبه * فلاجل هذه الغاية قد اختار لسكناه جزيرة صغيرة في قلب البحر او بالحري صخرة كبيرة عالية عن الماء. واتفق مع احد الملاحين الذى نقله الي هناك في قاربه بانه ياتيه في السنة ثلث اوار بع مرات بالخبز اليابس وبالماء وباغصان النخل لكي يشتغلها قففًا وسلالاً ويدفعها اليه عوضًا عما ياتيه به من الخبز والما لقوته الضروري * فقد استمر البار مرتينيانوس مدة ست سنوات فوق تلك الصخرة منفصلاً بالكلية عن الناس. مثابرًا علي افعال توبةٍ شاقة في الغاية * فاتفق بعد ذلك ان مركبًا ما قد صدمته الرياح العواصف في تلك الصخرة. فانكسر وغرق الركاب والملاحون الذين كانوا فيه ما عدا فتاة كان لها من العمر خمس وعشرون سنة * فهذه قد طفت سابحةً في البحر متمسكةً باحد دفوف المركب المكسور. حيث كانت تكدها الامواج نحو مقر البار مرتينيانوس. الذى لما ابصرته شرعت تصرخ مستغيثة بمعونته من الخطر المبين المداهمها للغرق * فالقديس حينما سمع اصواتها وشاهدها فى تلك الحال ففى المبادي قد انزعج وتوقف عن اسعافها خوفًا من ان يكون العدو الجهني نصب له بها فخًا جديدًا * غير انه اخيرًا قد راى ذاته ملتزما باسعافها ولذلك بادر الي التوسل لله بالصلوات الحارة في ان يحفظه من هذا الخطر. واسرع نحو هذه الفتاة ومسك بيدها واخرجها من البحر الي الارض ❋

سادسًا ثم بعد ان حصلت تلك الجارية عند البار ميرتنيانوس سالمةً من الخطر قد سلمها الخبز والما الموجودين عنده قايلاً لها هكذا: «اعلمى يا ابنة انه ليس بجيدٍ ان توضع

« النار بقرب التبن . لانه يوجد الخطر الاكيد بان يحدث الحريق * ولهذا فانت البثي « ههنا كلي من هذا الخبز واشربي من هذا الما اللذين اتركهما لكِ الى ان ياتي بعد مدة « شهرين الملاح الذى اعتياديًا يفتقدني مدةً بعد مدةٍ فمتي حضر حدثيه بمصيبتكِ وبما « جري لكِ . فحينئذٍ هو ياخذكِ ويذهب بكِ الى بلدتكِ « * قال هذا ورسم ذاته « باشارة الصليب المقدس . وطرح نفسه في البحر متمسكًا بتلك الدفة عينها التى نجت بواسطتها الابنة المار ذكرها . وقايلاً نحو الرب : « يالهي انني اضع فيك رجاي . فهوذا انني « طرحت ذاتي في البحر وذلك . لانه احب لديَّ ان اموت مخنوقًا في المياه من اني اترك « ذاتي في خطر ان ادنس نفسي « * فقد ساعدته القدرة الالهية بنوع انه صار سابحًا حتى بلغ الي الارض سالما . وحينئذٍ قدم الشكر لله قايلاً : « ممجدًا انت ياعظيم القدرة الذى « من النار ومن هيجان البحر نجيتني « * وبعد ذلك قد اعتمد هذا البار على انه ما عاد ينفرد وحده في مكان ماليلا يحدث له في الوحدة خطر اخر فمن ثم صمم ارادته على ان يجول في الارض من مدينة الي اخرى غريبا . مسكينا سبروتا يلتمس الصدقة خبزًا ويقوّت بهِ ذاته * فقد استسار اذًا على هذه الحال مدة سنتين اللتين في نهايتهما قد وجد في مدينة اتينا . حيث اعتراه مرض الموت * وحينئذٍ العناية الالهية ارشدت اسقف المدينة بواسطة وحي الهي به عرف اسم القديس مرتينيانوس ومقره وسيرة حياته واستحقاقاته . ولهذا قد بادر الى اسعافه ولم يعد يتركه الي ان رقد بالرب بسلام . وذلك كان نحو سنة ٤٠٠ للمسيح * وبموجب الطقس اللاتينى يكمل تذكاره في ٢٢ اشباط *

فما تقدم شرحه عما حدث للقديس البار مرتينيانوس نفهم بكفايةٍ كيف انه يلزمنا ان نخاف من ذواتنا علي الدوام . ونخشى من ضعفنا لكيلا نطوّح انفسنا في خطرٍ او في سببٍ ما يمكنه ان يخسرنا كنز العفاف الثمين ويدنس ضايرنا بشي ما ضد الطهارة . ولو كان بفكرٍ باطن نستاذ به بقبولٍ وانتباه او بنظرٍ ذى شهوة دنسة * لان سيدنا يسوع المسيح قد علمنا في انجيله المقدس قايلاً (متي ص ٥ ع ٢٨) : « ان كل من نظر الي امراةٍ ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه « * فالرذايل الاخر كلها يمكن لكل احدٍ ان يحاربها بالمصافحة بازايها وبالمعاركة في الميدان وجهًا بازاءٍ وجهٍ . وهكذا يكتسب الغلبة * واما رذيلة الدنس فلا يمكن لاحد الانتصار ضدها الا بالهرب كارهًا الخاطر ومبتعدًا بمقدار ما يستطيع عن

الاسباب. من حيث ان الذي قاله القديس مرتينيانوس هو عين الحقيقة : « اي ان النار متى وضعت بالقرب من التبن فيوجد الخطر المبين من ان يحدث الحريق » * وهذا امرٌ شهيرٌ هو الراي الذى يورده القديس اغوسطينوس عن احد الابا القدما بقوله في شان حفظ الطهارة هكذا : « ان كنت تريد ان تفوز بالنصر فاهرب » * وقال في هذا الصدد قديس اخر : « انه في معركة حرب الحس فالجبانون هم الذين ينتصرون » . اى الجبان الذى لا يصادف عدوه بل يدبر منه هاربًا هو الذي ينتصر * فسقوط شمشون وداود وسليمان المسبب من قبل نظراتٍ مطلقة حرة . او من قبل مخالطة النسا من دون احتراس يعلمنا بكفايةٍ ان نسهر بعزمٍ متين على حفظ حواسنا لاسيما النظر وعلى الابتعاد عن الخطر * لان القديس ايرونيموس يقول : « اننا لسنا اقدس من داود . ولا احكم من سليمان . ولا اقوى من شمشون الجبار » * ونقدر ان نضيف الى ذلك : « ولا اشد تقشفًا واصرم اماتة من مرتينيانوس » . فاذًا يلزمنا الهرب والاحتراس الكلى الدايم ان كنا نريد ان نحفظ الطهارة *

* اليوم الرابع عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار افكسنتيوس *

اولاً انه فيما بين القديسين الذين انارو الكنيسة الشرقية في الجيل الخامس بابلغ نوع بالسيرة الفاضلة وبالقداسة السامية وبصنيع العجايب الباهرة كان القديس افكسنتيوس الذي كتب سيرة حياته بتدقيق وامانة احد مورخي عصره الشاهد العيانى . وها نحن الان نورد مختصرها * فوالد هذا القديس المدعو اضًا كان منذ حداثته احد اوليك المسيحيين الفارسيين الذين هربوا من بلاد العجم وحضروا الى اراضي الملك الرومانى منذ سنة ٤٦٠ لينجوا من الاضطهاد القاسى الذي صنعه سابور ملك الفرس ضد المومنين بالمسيح فمن حيث ان اضًا قد توطن على هذه الصورة في بلاد سوريا فقد اقترن مع احدى بنات البلد بسر الزواج المقدس الذي افاد به الكنيسة الجامعة باينا عه ثمرة هذا الاتحاد الناموسى (كما يقول سوزومينوس مورخ تلك الازمنة المعظم) وهذه الثمرة هي القديس افكسنتيوس الكلي الطهر الذي ولد له من قرينته هذه سنة ٤١٠ ومنذ طفوليته قد املاه الجود الالهى من بركات انعامه الغنية بسعةٍ وافرة * فلما بلغ هذا القديس السنة العشرين من عمره قد

ذهب الى القسطنطينية ليزور هناك عمه الذى كان متقدماً بالوظيفة فيما بين قواد العساكر الملوكية حفظة جسم الافغوسطوس قيصر * غير انه ولين كان عند وصوله الي هذه المدينة المتملكة قد وجد ان عمه انتقل بالموت من هذه الحيوة . فمع ذلك قد مكث هناك * ولاجل الصفات الجليله التي كان مزيناً بها نظراً الى جودة العقل والمعرفة والنباهة ونظراً الى خلقة جسمه الشريفة قد أُدخل الي طغمة هذه العساكر حراس جسم الملك بوظيفة معتبرة . وقد حصل في زمن وجيز ذايع الصيت محبوباً من اكابر الدولة حتى من الملك عينه * ولكن الامر المستحق الاعتبار السامى هو انه في تلك الوظيفة المتقدمة وتحت الاثواب العسكرية قد حفظ البرارة والطهارة . واتقن كل نوع من الفضايل المسيحية الراهنة . حتي انه استحق من الله موهبة صنيع العجايب . ولين لم يكن بعد سوى رجل علماني جندي على ان اصوامه كانت الا قليلاً يومية لغياب الشمس ۞ واما قوت نفسه فكان مداومة مطالعته وتاملاته في الكتاب المقدس وفي الكتب الروحية وكانت معاشرته وترددانه مع الانام الاتقيا الابرار الذين كانوا وقتيذٍ مزهرين في القسطنطينية * وبقدر ما كانت تسمح له واجبات وظيفته . لم يكن يتاخر عن ان يصرف مع هولا الافاضل ليالى بجملتها في السهرانات الكنايسية بالصلوات والتراتيل المقدسة واما محبته نحو اسعاف الفقرا والمعوزين فكانت بهذا المقدار شديدة . حتى انه مراتٍ كثيرة لم يكن يمسك ذاته عن ان يهبهم ملابسه عينها * وبالاجمال ان سيرة هذا القديس قد صودفت قدوةً وصورةً حيةً لجميع الفضايل . وبرهانًا وطيداً على ان الانسان يستطيع مع معونة الانعام الالهية التى لا يمسكها تعالي عمن يلتمسها منه ان يبلغ حتى فيما بين الدعوات العالمية والجندية ذاتها الى درجاتٍ هكذا سامية من الكمال الانجيلي *

ثانياً ولكن مع ذلك جميعه اذ كان القديس افكستيوس يريد ان يخصص ذاته بجملتها لله . ولا يخدم احداً ويعتني بان يرضيه سواه تعالى . فقد ظن بنفسه انه كان يلزمه لذلك ان يعطى العالم ظهراً وينفرد في الوحدة . مبتعداً عن جميع الاخطار . منقياً قلبه من كل عاطفةٍ غير مرتبة . مجتهداً في عبادة الله وفي تقديس نفسه بابلغ نوع وابين طريق . متفرغاً للتامل في الاشيا السماوية * فلاجل هذه الغاية قد خرج من القسطنطينية سنة ٤٤٠ في سن الثلثين سنة من عمره . وانطلق الي جبلٍ مقفرٍ يدعي اوكسيا . بعيداً عن هذه

المدينة مسافة عشرة اميال . وهناك انفرد متوحدًا بسيرة مليكية . مثابرًا على الصلوات والتراتيل والتاملات والاماتات بعيشة ضنكة معوزة من كل الاشيا الضرورية لقيام الحيوة * فنظرًا الحارادة هذا القديس ونيته في النسك بعيشة هذه صفتها قد تقدم شرحها . لاسيما ليكون بعيدًا عن مخالطة كل احد على الاطلاق . لتكون مفاوضته مع الله والملايكة غير ان العناية الالهية لاجل افادة المومنين قد اظهرته للناس بواسطة اغنابها اياه بالمواهب السامية . خاصة بافتعال الايات والجرايح والمعجزات . الامر الذى صير اسمهُ شايعًا وصيته ذايعًا فى تلك الاصقاع * ومن ثم وجد ذلك الجبل المقفر مزهرًا بتقاطر الناس اليه من كل فج ومكان * فمنهم من كان يبادر ليشاهد في هذا البار نموذجات الفضايل والسيرة الملايكية السامية . ومنهم من كان يقبل اليه لنوال الشفا من الامراض الجسدية . وغيرهم لاكتساب الصحة الروحية والنجاة من الرذايل . واخرون لطلب المشورات المقدسة والتدابير الروحية ولاستماع الارشادات الخلاصية * فمحبة القريب المتقدة في قلب هذا الجليل في الابرار لم تكن تسمح لهُ بان يرفض اتمام مطلوبات اوليك الشعوب . ولكنه لم يكن يواجههم ويقضى مسالهم الا في بعض ساعات معينة من النهار فيها كان يخاطبهم من نافذة قلايته الواطية التى كان يمكنه بها من داخل ان يمد يده ويلمس المرضى ويدهنهم بالزيت المبارك . الذى كان يستعمله اعتياديًا فى شفايهم من دون ان يخرج من قلايته * ومرات كثيرة كان يستخدم فى ابراء السقما الصليب المقدس المربوط في راس عصاه . مادًا اياه من النافذة ومباركًا به روس اوليك المسقومين . شافيًا اياهم * فعدد العميان الذين ابصروا . والصم الذين سمعوا . والمقعدين الذين مشوا . والخرس الذين تكلموا . والمبتلين بالعاهات والامراض العضالة الذين شفوا بواسطة صلوات هذا القديس وبمس يديه . كان غزيرًا جدًا . لاسيما اوليك الذين كانوا معترين من الارواح النجسة . الذين بمجرد استدعا القديس عليهم اسم يسوع كانوا يبراوون * فاحد رجال تلك النواحي قد تجاسر بالافترا على عبد الله القديس . مستهزيًا بتصرفاته هذه . ناسبا تلك الايات الي خداع ومرايات واستخدامات سحرية * ولكن العزة الالهية قد بررت القديس من هذه التهم . وكشفت للرجل المومي اليه ضلاله بان ابنته قد اعتراها الشيطان * وكان يعذبها شديدًا من دون ان العلاجات الطبيعية كلها تقدر ان تفيدها شيا حتى انه اضطر ابوها الي

احضارها امام هذا البار متوسلاً اليه بشفايها والقديس كافي الشر بالخير وابراء تلك الابنة حالاً من الروح النجس ❋

ثالثاً ثم لما انعقد المجمع الخلكيدوني العام المسكوني الرابع سنة ٤٥١ ضد اوطيخاريس احد اديرة الرهبان في القسطنطينية . مبتدع الارتقة الموجبة اختلاط الطبيعتين الالهية والانسانية في شخص مخلصنا يسوع المسيح وامتزاجهما معاً . كانه لم يعد فيهِ تعالى سوي طبيعة واحدة ومشية واحدة مركبة . فابا هذا السينودس المسكوني قد ارتاوا حسناً بان يحضر فيما بينهم القديس افكستيوس . وذلك اولاً لكي يعطي تحديد هذا المجمع اكثر اعتباراً واحتراماً من الشعوب الذين كانوا يكرمون قداسته ويذيعون بفضايله . ثانياً لكي يرتفع عن هذا البار الريب الذي دخل عند البعض في تعليمه لسبب صداقتهِ القديمة مع اوطيخا حينما كان في القسطنطينية قبل انفراده في الجبل اذ كان يقول عنه وقتيذٍ انه رجل الله . فاذاً قد دُعي هذا القديس بكرامةٍ من قبل الملك مركيانوس الحسن الديانة على اسم المجمع العام بان يحضر الى مدينة خلكيدونيا في السينودس ❋ غير ان البار افكستيوس قد رد الجواب معتذراً بان الرهبان والنساك لا سلطان لهم على تدبير امور الرعايا . بل يجب عليهم الخضوع واقتبال الارشادات من الاساقفة الذين اليهم وحدهم فوّض الله سلطان تدبير كنيسته الجامعة وسياسة خرافه الناطقة ❋ ولكن لاابا المجمع المذكور ولا الملك نفسه اقتنعوا من هذا الجواب بل لانهم حكموا باستقامةٍ ان وجود هذا القديس المعتبر بهذا المقدار بالقداسة والاحترام في تلك الجمعية كان مفيداً جداً لشجب الارتقة الاوطيخية ولتحديد الحقايق الكاثوليكية . فلذلك قد ارسلوا اليه عدداً وافراً من الاكليريكيين والرهبان لكي ياتوا به مرافقينه بكرامةٍ الى المجمع . وانهم اذا لم يمكنهم اقناعه بالحضور اختيارياً فيغتصبونه على ذلك ❋ فلما بلغ هولا الي قلاية القديس ودخلوا اليه . وبعد مخاطباتهم الكثيرة معه لم يقدروا علي ان يقنعوه بان يغير رايه عن جوابه الاول في انه لم يكن يخصه المداخلة في الامور المختصة بالسلطان الكنايسي فقد حملوه ووضعوه غصباً عن ارادته فوق التخت الذي كانوا استحضروه معهم ليانوا به محمولاً اذ انه لم يكن يمكنه المشي من قبل ضعفه الشديد المسبب من الامانات الشاقة ومن حبسه ذاته ضمن القلاية ولكن لم يستطيعوا لا على فتح باب القلاية ولا على تحريك ذاك التخت بنوع من الانواع الا

حينما تحقق البار انه لا مناص له من حضوره صحبتهم وحينئذٍ رسم اشارة الصليب المقدس على التخت وعلى الباب . وهكذا امكنهم ان يخرجوا به ويأتوا الى القسطنطينية ليس من دون ان يصنع هو فى هذه المسافة عينها عجايب مختلفة * فالريب الذي كان دخل عند البعض فى تعليمه قد ازداد من قبيل امتناعه بهذا المقدار عن الحضور الي السينودس . ولذلك قد احتاج الامر الى قيام الفحص عن ارايه بنوعٍ كافٍ * ولهذه الغاية قد وُضع القديس في قلاية داخل الدير المدعو فيلبوس كانه ضمن سجنٍ حيث لم تتاخر رهبان هذا الدير عن ان يعاملوه بقساوةٍ لاسيما لاجل انه قد وزع على الفقرا والمساكين جميع الاموال التي أُرسلت اليه من اناسٍ اغنيا اتقيا من غير ان يعطى منها شيًا لاوليك الرهبان . وبعد ذلك قد نُقل من دير فيلبوس الى دير القديس ايسباتسيوس بالقرب من مكان اجتماع السينودس في خلكيدونيا . حيث اقتبله ريس هذا الدير بكل كرامةٍ واحترام * وكانت الناس تتقاطر الى زيارته وتستفيد من ارشاداته الخلاصية ومن الايات والجرايح التي كان يصنعها الله هناك بواسطته * ولكن اخيرًا قد اتضح لدي المجمع المسكوني صدق تعليم القديس افكستيوس واستقامة رايه فيما يخص الايمان . وهكذا قد شجب هو مع ابا هذا السينودس وحرم الارتقتين النسطورية والاوطيخية . فالاولى منهما كانت تعلم انه فى المسيح طبيعتان واقنومان وان مريم البتول هى والدة المسيح وليست والدة الاله . والثانية كانت بضد ذلك توجب اختلاط الطبيعتين وتعلم بوجود طبيعة واحدة في المسيح بعد التجسد مركبةً وممتزجةً * وعلى هذه الصورة قد امضي القديس تحديد الايمان الكاثوليكى الحاوى الاعتقاد بانه يوجد في المسيح طبيعتان ومشيئتان الهية وانسانية قايمتان باقنومه تعالى الالهي الواحد وبان مريم البتول هي حقًا وصدقًا والدة الاله اذ ولد منها الكلمة متجسدًا من دمايها الطاهرة وبان هاتين الطبيعتين الالهية والانسانية لم تختلطا او تمتزجا بعد التجسد بل ان كلاً منهما حافظةٌ خواصها ناجية من غير تبلبل او انحجان بل باتحاد حقيقي في الاقنوم الواحد الالهى رابعًا فلما انتهي المجمع المذكور بسعادةٍ وسلامٍ . فالقديس افكستيوس لم يرد ان يرجع الى جبل اوكسيا . بل اختار لسكناه بالقرب من خلكيدونيا جبلاً اخر اكثر علوًا واوفر صعوبةً في الصعود اليه واشد قساوةً في البرد . وهناك قد صنع له قلايةً من الواح خشب داخل مغارة واسعة وقطن فيها حبيسًا مواظبا على مباشرة نوع سيرته الاولى بابلغ

صرامة * ومن حيث ان الشعوب لم تتكاسل عن الالتجا اليه في هذا الجبل نفسه . فهو ايضاً لم يتاخر عن اتمام مطلوباتهم من شفا امراض وابراء معترين وصنيع معجزات * وقد يظن بالصواب ان هذا القديس قبل ان يبارح مدينة خلكيدونيا قد رُسم كاهناً . لان التاريخ الكنايسي يعطيه تسمية كاهن * ومن ثم اذ اتصف بالوسم الكهنوتي . فكان يعظ ويرشد ويعلم طريق الخلاص لكل من كان ياتي اليه . سواء كان لاجل نوال الشفا من الاسقام او لاجل اقتبال الرسوم المبلغة الي الكمال الانجيلي * فكثيرون من رجال ونسا قد تمسكوا تحت ارشاده بالسيرة الرهبانية والنسك . ولهذا قد أُقيمت في ذلك الجبل الذى فيما بعد دُعي جبل القديس افكسنتيوس قلالى واكواخ وديورة . حيث قطنها اوليك المعتنقون السيرة المليكية . تابعين نموذجات هذا الاب البار ومقتفين اثر تعاليمه ورسومه وارشاداته وفضايله * كما انه قد تشيد عند ذيل هذا الجبل ديرٌ كبير لسكني النسا . وكانت الاولى في ريسات هذا الدير القديسة الفتاريا التى كانت من نسا اكابر الدولة المتقدمات جداً بالشرف ذات فضايل سامية وعبادة حقيقية . قد اكتسبتها من الملكة القديسة بولخاريا المعظمة التى كانت حبيبتها الخاصة * وفي زمن وجيز قد اتصل عدد البتولات اللاى رفضنَ العالم وتمسكنَ بسيرة النسك في الدير المذكور الي ما ينيف عن سبعين راهبة . اللواتي حيناً بعد حين كنَّ يخرجنَ من الدير ويصعدنَ الى الجبل لزيارة معلمهنَّ القديس افكسنتيوس يستمعنَ وعظه وارشاداته ثم يرجعنَ الى الدير بعد ان يتناولنَ من يده سر الافخاريستيا الاقدس * فهذا كان نوع سلوك البار القديس الى حين انتقاله من هذه الحيوة الفانية الذي تم في ١٤ اشباط سنة ٤٧٠ الي السعادة الابدية . لياخذ اجر اعماله الفاضلة وامتحانات سيرته الغريبة الفايقة في القداسة * واما جسمه الطاهر فدفن في دير البتولات المار ذكره * وقد اضحي قبره ينبوع البركات من قبل العجايب الباهرة التي ارتضت العزة الضابطة الكل بان تصنعها بواسطة اعضايه المقدسة * كما ان مغارة سكناه قد صودفت مقراً للطهارة والقداسة . حيث انه سكنها بعده قديسون معظمون الواحد بعد الاخر بمدة ثلثة اجيال تابعين هناك سيرة هذا البار وفضايله بالتمام * فالاكثر اشتهاراً فيما بين هولا كان القديس سرجيوس الذي هو تلميذ خاص لهذا العظيم في الابرار . والقديس بردميانوس ثم القديس استفانوس الجديد . الذي

ظهر اسمه هكذا عظيمًا في الكنيسة الجامعة لاجل شجاعته الفريدة التى اوضحها في المحاماة عن الايقونات المقدسة واحتمل من جرايها تلك الاضطهادات المبرحة ❋

ففيما بين اخص المواهب التى منحها الله للقديس افكستيوس كانت موهبة السلطة العجيبة علي مفعولات الشياطين. ليس فقط في اخراجها بقوة وسلطان من البشر الذين كانوا يعترونهم. بل ايضًا في اكتساب انفس كثيرين من الخطاة الذين كانوا مستولين عليهم بملكات الرذايل وفي ارتدادهم الي التوبة ❋ فنحن نظن بالصواب انه لا يثقل على القارى اللبيب ان نورد هنا قليلاً مما حرره كاتب سيرة هذا القديس عن الارشادات التى كان يعطيها للخطاة. كي يمكنهم ان يقاوموا بموجبها تجارب الشياطين وينتصروا عليهم ❋ فيقول هذا البار المحكم من الله هكذا: «ان الشياطين المتقدين بنار الحسد ضد البشر يستعملون «كل دربتهم وجميع حيلهم الخبيثة ليصدوا الناس عن صنيع البر ولكى يجتذبوهم الى فعل «الاثم ❋ فيحاربون الانام الذين يرغبون حفظ الطهارة بتصورات واشباح دنسة «يهجسونها فى مخيلاتهم ويحركون اجسامهم الي الانعطافات نحو لذة الحواس. ويستحضرون «بازا القنوعين المحبي الامساك الاشيا المقيدة الى الحجرة والشراهة والي اشتهآء المواكيل «المفننة. يثبون على المتواضعين بتجارب الاعتداد بالذات وبمحبة المجد الباطل ❋ واذا راوا «احدًا يصبو نحو اسعاف المساكين واعطا الصداقة بسخاء فياخذون يخدعونه بانه يلتزم بان «يحفظ تلك الاموال الى اقرباه والمختصين به ❋ وحينما يشاهدون البعض منعكفين على «الصلوة والاختلا والصمت. فيحركون ضدهم السجس والبلبلة ويقلقونهم بتشتيت «الافكار. مصورين لديهم التزاماتهم بان يسرعوا نحو المتاجرة والمكاسب الزمنية ❋ واذا «وجدوا اناسًا وديعى القلب محتملين الاهانة والافترا مستعدين لان يغفروا للقريب. «فيضعون بازاء اعينهم جرم تلك الاهانات. ويشجعونهم على ان يحاموا عن انفسهم وياخذوا «ثار الافترا. وهكذا يميلون قلوبهم نفورًا ممن اهانهم ❋ ثم لا يغفلون عن ابذال كل جهد «في انثلام الحب ونزع السلام وسلب الصبر من بين الانام. لمعرفتهم ان هذه الفضايل «تجعل انفس الابرار اكثر قبولاً لدي الله. وتصيرهم مملوين من اثمار مواهب الروح «القدس ❋ فلنتشجع اذًا ياخوتي فى مقاومة خداعات الابالسة هذه. ولنحارب من دون «ملل ضد اشراكهم الخبيثة. وهكذا نجعلهم ان يهربوا عنا مخذولين خازين. ولما استغيث

« ضدهم بالعون الالهى بامانة وحرارة فنهدم حيلهم ونبيد اشباحهم الردية * ولنتذكر ان
« حيوة المسيحي هي جندية ومحاربة ومعركة على الارض . حيث يلزمنا (كما يقول الرسول
« الالهي (افسس ص ٦ ع ١٢) بان نحارب دائما ليس بازا لحم ودم بل بازا روسا الظلام
« وبجذا السلطة الجهنمية * ولهذا امر ضروري هو ان نسلح ذواتنا بالاسلحة الروحية
« المختصة بالايمان وبسيف كلام الله والصلوة . فبواسطة هذه الاسلحة الفاقدة الانغلاب
« نكتسب النصر والظفر باعدائنا * فلنثق اذا بالرب واضعين رجانا جميعه في يسوع
« المسيح الذى بقوة نعمته يغلب بواسطة ضعفنا سهام الخبيث المحمات التي يرشقنا بها *
« على انه بمقدار مانحن ضعفا عاجزون حاصلون على حافة السقوط من دون نعمته
« تعالي . فباكثر من ذلك نحن اقويا جهابزة شجعان . حينما نكون مسعفين موبدين
« مغاثين من قبل ذاك الذي يصيرنا ظافرين منتصرين غالبين وارثين ملكوته السماوى
الي ابد الابدين *

* اليوم الخامس عشر *

* وفيه تذكار القديس الرسول اونيسيموس *

اولاً ان القديس اونيسيموس هو احد تلاميذ الاناء المصطفي الرسول الالهي الذي يتكلم عنه في رسالته الى تلميذه فيليمون قايلاً له هكذا : « اسالك من اجل اونيسيموس
« ولدي الذي ولدته قيودى . الذى كان اولاً غير نافع لك وهو الان افضل نافع لك
« ولى وقد ارسلته فاعتنقه انت الان اذ هو احشاي . وقد اثرت امسكه عندي ليخدمنى بدلاً
« منك فى قيود البشارة . فلم اوثر ان افعل شيًا بغير رايك ليلا يكون خيرك بالزام بل
« باختيار . ولعله لهذا فارقك مدي ساعة لتستوفيه موبدًا . لا كعبد ايضًا بل ارفع منزلةً
« من عبد . اخًا حبيبًا لي انا خاصةً . فكم اولى به ان يكون لك اخًا بالبشرة وبالرب .
« فان كنت تحسبنى شريكًا لك فاقبله مثلي . وان كان قد ظلمك شيًا او يجب لك عليه
« شي فاحسبه عليَّ انا بولس كتبت بيدي انا اقضيك عنه حتى لا اقول انك انت نفسك
« غريم لى الخ » * فاية الفاظ رسولية اعظم من هذه يمكنها ان توضح لنا سمو استحقاقات
القديس اونيسيموس المعتبر بهذا المقدار من الانا المصطفي معلمه الجليل * فاما اعمال
القديس اونيسيموس الخصوصية فلم نعلم عنها شيًا بتاكيد سوى ان القديس الرسول

فيليمون قد رسمه فيما بعد اسقفًا على مدينة افسس خليفةً للقديس تيموتاوس ❋

ثانيًا ثم ان الملك دوميتسيانوس قيصر في السنة الخامسة عشرة من تملكه اي نحو سنة ٩٦ للمسيح قد اشهر اوامر ملوكية كلية القساوة ضد تابعي الديانة المسيحية . مستعملاً كل سلطته واستطاعته في ابادة الكنيسة الجامعة ان كان يمكنه ذلك . والحال ان هذه الكنيسة الموسسة على المسيح الصخرة الحقانية العديمة التزعزع لم تقدر قطلا السلطة القيصرية بل ولا ابواب الجحيم عينها ان تقوى عليها * فهذا الملك الاثيم قد عذب المتمسكين بالايمان بالمسيح بكل نوع من العذابات القادحة . وقد ارسل كثيرين منهم الى المنافي البعيدة . كما انه استولى على املاك كثيرين اخرين منهم وعلي اموالهم . واعدم الحيوة الزمنية لعددٍ غير محصى فى جميع حدود مملكته * ولكن هذه الاغتصابات الظالمة لم تفده شيًا . بل افادت المسيحيين انفسهم الذين بواسطتها قد اكتسبوا لذواتهم تيجان المجد الغير الفاسدة ❋ فاذًا يظن بالصواب ان الرسول القديس اونيسيموس قد نال اكليل الاستشهاد في هذا الاضطهاد عينه ❋

ثالثًا واما كيفية نهاية حياته شهيدًا فقد تمت على هذه الصورة . وهي انه اذ كان هذا القديس مهتمًا في اتمام واجبات وظيفته الرسولية الرعائية في سياسته شعب مدينة افسس . الذين كانوا مسرورين به لاستعواضهم بشخصه الجليل عن اسقفهم السابق القديس تيموتاوس الرسول . شاكرين الله وفضل عناية القديس فيليمون علي رسامته لهم هذا الراعي العظيم . واذا بامر ملوكي قد قبض بموجبه علي القديس اونيسيموس عينه . وأُخذ مقيدًا الي مدينة رومية . وهناك قد حكم عليه من اجل الايمان المسيحي بان يمات مرجومًا بالحجارة ❋ وبذلك قد فاز هو باكليل الشهادة . وقد دفن جسده الطاهر في رومية * ولكن فيما بعد قد نقلت اعضاوه المقدسة الى مدينة افسس نفسها . وحفظت هناك ❋ والكنيسة اللاتينية تصنع تذكاره المجيد نهار غدا اي في اليوم السادس عشر من شهر اشباط ❋

فالروسا الكنايسيون ومثلهم ارباب العيلات يجدون نموذجًا كلي الافادة لهم يقودهم الى حسن التصرف مع الذين هم تحت سلطانهم من نوع سلوك الرسول الالهي . فيما كتبه الى تلميذه القديس فيليمون في شان تلميذه القديس اونيسيموس بالالفاظ السابق ايرادها * التي فيها قد اظهر اولاً صفة ربسٍ عليها ذى سلطان محق تجب له الطاعة . ثانيًا صفة ابٍ

مملو من الحب والحنو الوالديين اللذين بهما استعمل التونيب. ثالثاً صفة متوسل وموصي الواحد بالاخر بل ضمين وملتزم بالجميل. رابعاً صفة معتذر للواحد عن الاخر ومادح تصرفاتهِ لتوطيد الثقة والصداقة فيما بينهما. خامساً صفة شريك في الخدمة واخٍ مساوٍ لهما في المقام بنوع مملو من التواضع * فلا ريب في ان الروسا والارباب الذين يتصرفون مع المخضعين لهم بهذى الصفات تحصل اوامرهم وارشاداتهم وتدابيرهم على الاثمار الصالحة المقصودة منهم. ولا يصادفون من يضادهم او يبغضهم او يرفض مراسيمهم. بل يجمعون الكل حولهم كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحيها * وهكذا يستطيع كل منهم ان يقول: «ها انا والاولاد الذين اعطانيهم الرب» (اشعيا ص ٨ ع ١٨) *

* اليوم السادس عشر *

* وفيه تذكار القديس الشاهد بمفيلوس ورفقته *

اولاً ان القديس بمفيلوس الملقب بالرجل العجيب في القداسة والتعليم قد ولد بعد نصف الجيل الثالث في مدينة بيروت من اقليم فينيكيا من عيلة جليلة فيما بين اشراف هذه المدينة واغنيائها. وهناك تربى ثم درس العلوم البشرية والفلسفية بنجاحٍ عظيمٍ فاق به على كثيرين من قرنا سنه في جنسه. حتى انه حُسب في عدد اعظم علما الدهر الثالث وافصحهم ۞ ثم بعد ذلك قد مضى الى مدينة الاسكندرية التي كانت وقتئذٍ مزهرةً جداً في العلوم والرجال الماهرين. وهناك قد سر الله بان عبده هذا يكتسب لذاته فلسفةً اعظم بما لاحد له وعلماً اكثر افادةً بما لاقياس فيه على فلسفته وعلمه الاولين * اي انه قد حصل هو في تلك المدينة على ان يكتسب لنفسه فلسفة الكتاب المقدس وعلم الديانة المسيحية. الامر الذى بموجبه يحصل الانسان على السعادة الحقيقية بواسطة ترتيبه حياته تبعاً للوصايا الانجيلية. اذ ان السعادة الحقيقية لايمكن ان توجد الا في اتحاد الانسان مع الله في هذه الحيوة بالنعمة وفي امتلاك مشاهدته عزَّ وجلَّ في المجد الابدي * فاذاً القديس بمفيلوس قد برع في هذه العلوم المقدسة تحت ارشاد العلاَّمة باريوس. الذي لاجل غنايه بالفقه والمعرفة بدرجات سامية قد كنى باوريجانوس الجديد *

ثانياً فلما استغنى الشاب الجليل بمفيلوس بدرسه هذه الفلسفة الحقيقية. قد احتقر راذلاً كل ما يعد به العالم الغرار تابعيه من المجد والغنى وشرف المراتب والكرامات.

وهكذا اهمل الرجوع الى الوطن . وتناسى الاقربا وتنعمات المعيشة . وذهب الى مدينة قيسارية فلسطين وقطن هناك موجهاً كل اعتنابه فى ممارسة اعمال البر واقتنا الفضايل وتقديس نفسه * فنقاوة سيرته وقداسة حياته باضافتهما الي تعمقه في العلوم الراهنة قد صيرتا القديس اغابيوس اسقف قيسارية فلسطين ان يلزمه راساً اياه كاهناً . الامر الذى لم يكن هو قبلاً مفتكراً به * فلما اقتبل هذا الوسم الكهنوتي قرب اواخر الجيل الثالث . وعلى هذه الصورة قد وُضع على منارة التعليم والفضيلة هذا السراج المضي . قد استفادت منه الكنيسة افادة عظيمة جداً بواسطة تعاليمه السماوية وارشاداته الخلاصية ونموذجات قداسة سيرته السامية . فاحد اهتماماته الخصوصية كان اعتناوه في جمع الكتب المقدسة وتاليفات العلما الكنايسيين المعتبرين الذين وجدوا في العالم لذلك العصر . لاسيما مصنفات المعلم اوريجانوس التي كان هذا القديس يعتبرها جداً حتى انه كان هو نفسه ينسخها بخط يده . فاذاً بواسطة عنايته هذه قد اقام في مدينة قيسارية مكتبةً غنيةً جليلةً لاتوازيها قيمة الكنوز . ثم ان احد الكتب التي نسخها هذا البار بخط يده وهو الكتاب الذي به كان المعلم اوريجانوس شرح اقوال الانبيا الاثني عشر المسمين الانبيا الصغار . قد اتصل فيما بعد الى يد القديس ايرونيموس الذى كان يحفظه عنده باحتراس واعتبار هكذا عظيمين حتي انه كان يفضله على كنوز الارض * لانه كان يظهر لديه كل سطرٍ هو يتلو فيه كانه ينظر امامه دم القديس بمفيلوس المسفوك من اجل الايمان بالمسيح جارياً علي الارض . بل ان القديس بمفيلوس ما عدا اعماله الموهى اليها كان يبذل اهتمامه جملةً مع اوسابيوس القيسرى ابي المورخين في تنسيخ الكتاب المقدس بمصاريف وافرة نسخاً عديدة بواسطة الكتبة * وكان يوزّع تلك النسخ مجاناً على كثيرين . لتحصل لهم منها الافادة الروحية ومعرفة اسرار الايمان الخلاصية وحقايق الشرايع الالهية * ولم يكن يكتفي بهذا بل اقام في مكان سكناه محلاً خصوصياً نظير مدرسة . وفيها كان يعلم الحقايق اللاهوتية وقضايا الايمان بشرحٍ عميق وسديد لكل اوليك الذين كانوا يغتنمون هذه الفرصة السعيدة بترددهم الى تلك المدرسة * التى فيما بين تلاميذها الاخرين الذين اكتسبوا فيها العلوم الالهية مع الفضايل السامية والاداب كان القديسان ابيسانوس وبورفيروس مع كثيرين الذين سفكوا فيما بعد دماهم من اجل يسوع المسيح * ثم بمقدار ما كان

القديس بمفيلوس نحو ذاته شحيحًا بعيشةٍ فقرية ومسكنةٍ قصوى . فباكثر من ذلك كان سخيًا نحو الفقرا والبايسين والمعوزين . لاسيما اوليك الشبان الذين كانوا يرغبون درس العلوم الالهية . ولم يكن لهم ما يصرفون على ذلك * وهكذا في اعمال الصدقات هذه كان يصرف هذا القديس جميع المداخيل الواسعه بالغاية . التي كانت تاتيه من املاكه الغنية التى ورثها عن اقربايهِ *

ثالثًا فالمواهب التي قد زين الله بها عبده الامين بمفيلوس بنوع غير اعتيادى . قد كانت مستحقة من صلاحه تعالي ان يتممها ويكللها بنعمة الاستشهاد . كما تم ذلك فعلاً وبو بحسب انواع التعاذيب التى تكبدها هذا المجيد في الشهدا وبموجب الغلبة التى نالها بالصبر والاحتمال وبشرف عظيم للديانة المسيحية . كانت استحقاقاته فايقة وتقريظاته سامية في الكنيسة الجامعة * على انه في سنة ٣٠٧ قد امر اورباتوس والى اقليم فلسطين الشديد القساوة بالقبض على القديس بمفيلوس مع اخرين من المسيحيين . وافرغ كل مجهوده بواسطة المواعيد والتوعدات والخداعات المختلفة الانحا في اجتذاب هذا القديس الى مارب * التي اذ لم يظفر بها من حيث ثبات الشهيد بشجاعة في الاعتراف بالايمان المسيحى . فقد صيره ان يعذب شديدًا جدًا ومستطيلاً بعذابات مبرحة قاسية . ولكن حينما شاهد ان جميع ما احتمله بمفيلوس من المكاوى الحديدية المحماة على خاصرتيه ومن الجلد والضرب والعذابات الاخر القادحة التي لم تفد الا ازدياد ثباته واصلابة تمسكه بالمسيح . الامر الذى املا هذا المغتصب خزيًا ومع كل ذلك ما ابرز ضده حكومة الموت * لانه اذ كان يعلم جيدًا انه اذا امكنه ان يجتذب لضلاله رجلاً شايع الذكر وذايع الصيت في الصفات الفريدة والعلوم مثل هذا . فيملك اربه في اجتذاب كثيرين من المسيحيين بسهولة اقتداء بمثله * فمن ثم ارسله الى الحبس ظانًا ان اطالة الاضامات والتعذيبات يمكنها ان تلين صلابته او ترخى عزمه . لاسيما انه حتم ان يكون سجنه مظلمًا كايبًا فقد استمر القديس بمفيلوس مطروحًا على هذه الصورة في الحبس مدة سنتين مع المعترفين بالمسيح الاخرين الذين فيما بينهم كان القديس فالانته شماس كنيسة اورشليم والقديس بولس الشهيد *

رابعًا فلوريانوس الوالى كان اعد للقديس بمفيلوس انواعًا جديدة من العذابات

لعله يمكنه بها ان ينتصر على ثباته * غير ان ذلك لم يبلغ مفعوله من حيث ان هذا المغتصب قد ادركه الانتقام الالهي في هذه الحيوة ايضاً * اذ ان الملك مكسيمينوس قد نزع عنه الوظيفة والحيوة معاً . وهكذا القديس بمفيلوس قد حصل في السجن على نوع ما من الراحة والحرية * حيث ان كثيرين من اصدقايه استطاعوا ان يترددوا اليه من غير مانع . واضحى حينئذٍ شبيهاً بالقديس بولس الرسول . الذي في زمن سجنه لم يكف عن ان يباشر واجبات وظيفته الرسولية * على ان هذا الشهيد لم يفتر من تشجيع المعترفين المحبوسين معه ومن تعزيتهم وتوطيدهم . كما انه لم يكن يغفل عن ارشاد كل من كان ياتي اليه * فقد اقيم والياً على بلاد فلسطين خليفةً لاوربانوس فى الوظيفة والقساوة البربرية فيرميليانوس الذي في ١٦ اشباط سنة ٣٠٩ قد احضر امامه القديس بمفيلوس * وبعد ان فحصه وتحقق ثباته على الاعتراف بالمسيح . قد ابرز ضده حكومة الموت بقطع الراس . وهكذا انهى جهاده المجيد وفاز باكليل الشهادة * كما انه في اليوم المذكور وبنوع هذه الحكومة عينها قد قتل الوالى القديسين الاخرين فالانته وبولس المار ذكرهما * فالقديس فالانته الشماس كان ذا شيخوخة محترمة . مملوءاً من السنين والفضايل . وقد كان بهذا المقدار متعمقاً في معرفة الكتاب المقدس . حتي انه لم يكن يعثر في تلاوة فصولٍ منه بجملتها غيباً . كما لو يكون تاليها في الكتاب عينه * واما القديس الشهيد بولس فكان مملوءاً من حرارة الايمان . وقبلاً كان في صف المعترفين اقتبل كي النار بالحديد المحمي في عينه اليمين وفي عصب رجله الشمال * اما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكار القديس بمفيلوس ورفقاية الشهدا في اليوم الاول من شهر حزيران *

فسيرة القديس بمفيلوس قد وُجدت بالحقيقة قانوناً لخدام الانجيل يجدون فيها ما تلزمهم به واجبات درجاتهم السامية في بيعة الله . وذلك اولاً نظراً الي قداسة السيرة واقتنا الفضايل المختصة بالكمال الانجيلي . ثانياً نظراً الي المواظبة على مطالعة الكتب الالهية والعلمية فيما يلاحظ حقايق الايمان وقواعد الاداب واتقان وظيفة ارشاد الانفس فى طريق الخلاص . ثالثاً الاهتمام في تعليم الاحداث والشبان والاعتنا فى صالح المدارس وتاييدها لتربية الغرسات الغضة فى الفضايل والاداب والعلوم لخدمة كرم المسيح السرى لانه يقال بالمثل ان المدارس هي التى تقيم الكنايس رابعاً توزيع الصدقات على الارامل والايتام

والمحتاجين والبايسين ليس مما يفيض من المداخيل الكنايسية والمال الذاتي فقط . بعد ما يصرف على الاشيا الاعتيادية لقيام الحيوة وتكميل لايقات الدرجة والوظيفة . بل باختصار المصاريف الغير الضرورية ايضاً * لاسيما اذا اراد احدان يقتدى بنموذج القديس بمفيلوس الذي كان يعيش فقيراً سبروتاً . مع ان مداخيله كانت من غنايه الخصوصي المورث له عن ابايه وليس من الكنيسة ليسعف بابلغ نوع الفقرا والمساكين وينسخ الكتب المقدسة ويوزعها مجاناً * على ان المعيشة الفقريـة تشرف خدام الانجيل بهذا النوع . اذ تجعلهم متشبهين بمعلمهم الالهي وبتلاميذه الرسل القديسين . خامساً واخيراً الثبات في احتمال الاضطهادات والشدايد بشجاعة وصبر . الامر الذي يكسبهم صفة تلاميذ حقيقيين ليسوع المسيح القايل : « ليس تلميذ افضل من معلمه فان كانوا طردوني فلكم سيطردوكم » (يوحنا ص ١٥ ع ٢٠) *

* اليوم السابع عشر *

* وفيه تذكار القديس المعظم في الشهدا ثاودوروس المشرقي *

اولاً ان القديس العظيم في الشهدا ثاودوروس المشرقي (كما تسميه مشاهرة الانجيل المقدس تحت اليوم الحاضر) نسبةً الى ارض ميلاده بلاد المشرق . لا كما يلقبه غلطاً كتاب السواعية في هذا اليوم وفي يوم السبت الاول من الصيام الكبير بالمشرقي . قد كني ايضاً بثاودوروس الصوري حسبما يدعي في الميناونات اليونانية . وكذلك في مشاهرة كتاب الرسايل تحت هذا اليوم . وذلك نسبةً الى مدينة صور التي يظن بالصواب انها كان مولده في اراضي المشرق وذلك نحو سنة ٢٧٥ للمسيح تقريباً * لما نظراً الى اعمال استشهاد هذا القديس فهي شهيرة في الكنيسة الجامعة ومدونـة باتساع في تاليفات كثيرين من المورخين المدققين * وكلهم يعتمدون فيما يوردونه عنه على الخطبة الجليلة المولفة في مديحه من القديس غريغوريوس اسقف نيصص . الحاويـة اخص اعمال جهاده التي تلاها هذا القديس على ابنا رعيته يوم عيد الشاهد السنوي * فمن ثم راينا ملايما ان نستخرج ما ياتي ذكره من الخطبة المذكورة الاصلية مستخدمين الفاظ القديس غريغوريوس نفسها المحررة منه *

ثانياً علي ان هذا الجليل فيما بين ابا الكنيسة الجامعة . بعد ان يتكلم في الميمر الموي اليه

بفصاحته الفريدة عن الاحتفالات السنوية التي تكمل في كنيسة نيصص المدفونة فيها اعضا العظيم في الشهدا ثاودوروس . وعن تقاطر الشعوب الكلي الى ذاك المعبد الالهي حتى من بلاد بعيدة في زمن فصل الشتا عينه (كما هو اليوم الحاضر) . وعن العبادة التقوية والنذورات التي يقدمونها هناك . وعن العجايب الباهرة العديدة المصنوعة من الله بشفاعات شاهده المجيد . وعن عمارات تلك الكنيسة وزينتها المبهرة العقول . وعن التصاوير المعتبرة جداً الموجودة ليس فقط على دايرة قبر الشهيد بل ايضاً في رخام ارض الكنيسة . وعن كيفية الاحتفال الذي يصنع حين فتح القبر واظهار تلك الاعضا المقدسة في اوقات غير اعتيادية . وكيف ان المومنين يعتبرون ذواتهم سعدا اذا حصلوا على قليل من الغبار الذي يوجد فوق ضريح الشهيد او من التراب القريب من قبره . ثم اخيراً عن الصفات الفريدة التي تلالا بها شاهد المسيح في مدة حياته على الارض بالفضايل المسيحية السامية وامتاز بها وباعمال جهاده عن كثيرين من جهابذة الشهدا ياخذ هو سياق ميمره المذكور قايلاً ❋

ثالثاً ، اما نظراً الى ارض مولد العظيم في الشهدا ثاودوروس فهي ارض من بلاد ، المشرق وكما انه كان صورة امينة لفضيلة البار ايوب الفريدة فهكذا حصل معهُ على اصل ، مولدٍ مشاع لهما معاً من الوطن ❋ ولكن من حيث انه الان هو شهيد ليسوع المسيح . فهو ، معتبر كما يحدث لجميع الشهدا ابن وطنٍ لسكان اقاليم كرة الارض كلهم لان شعوب العالم ، والطوايف باسرها الذين يومنون بيسوع المسيح فانما يعتدون شهداه تعالى كلهم بمنزلة ، اخوة خصوصيين لهم به عز وجل . ويفتخرون بذلك افتخاراً فايقاً على اي مجدٍ ارضي ، مختص بهم ❋ ثم ان القديس المذكور كان اكتتب ضمن وطنه في سجل الجندية . وفيما بعد قد أُرسل من المشرق الى مدينتنا هذي جملةً مع طغمة الجنود رفقايه لانهم قد التزموا ، جميعاً بممارسة خدمتهم ههنا ❋ وهذا هو السبب الذي من اجله جاء الي اراضينا . والعلة ، التي من قبلها نحن صرنا وارثين ذخاير اعضايه ورماد جسمه ❋

رابعاً ، فقد انتشرت فجاءةً زوبعة حرب عظيمة . وامتدت حركة اضطراباتها ، امتداداً سريعاً الى اراضينا هذه اما من قبل البرابرة واما من رداوة اعداء اخرين صادرةً ، تلك الحرب الشديدة عن شريعة نفاقية مبتدعة من الشيطان . حيث كان يوعز

« بقوتها بان يضطهد اي كان من المسيحيين ويشجب ويقتل من دون ادنى رافة * وهكذا « قد استخدمت الاسلحة الرومانية مع السلطات المدنية لا في محاربة اعداء المملكة بل في « الحرب ضد الديانة وفي هدم العبادة المختصة بالله الجيوش . (وهذا هو الاضطهاد « المبتدي به ديوكلانسيانوس قيصر سنة ٣٠٣ والممتد بقوة مراسيم القيصرين مكسيميانوس « غالاريوس ومكسيمينوس دايا المبرزة منهما سنة ٣٠٦) * فهنا القديس ثاودوروس « الصنديد بسمو الصفات والكلي الطوبي بالحقيقة . الذى لانه كان مزينا حسنا بجمال « الديانة المسيحية وبالشجاعة . قد ابتدا بان يشهر افتخاره ومجده بالايمان بيسوع المسيح بنوع « لا مزيد عليه * اذ انه ولين كان بعد حديثا في صنعة الحروب العالمية . فمع ذلك لم « يكن كذلك في صنعة الحرب المختصة بالله * وكانت سيرة حياته وانواع تصرفاته كلها « بهذا المقدار لامعة بالقداسة . حتى انه كان يبان ان اعترافه بالمسيح مدونا في هلال وجهه « الى اينما ذهب . وكان الاسم المسيحي شوهد مرسوما في طلعته حيثما وجد * فالشرايع « الظالمة المريعة في الغاية التى كانت اشهرت . فهذه عوضا عن انها تخيف القديس فكانت « بالاحري تنعش فيه الشجاعة وتنميها . والمخاطر الكثيرة المحنوية كلها على اثقل ما يكون « المحيطة به من كل ناحية كانت تسوقه الى ملافاتها بجراة مسببة له شوقا حيا كلي « العذوبة نحو المجد الابدى الغير المحدود المومل الحصول عليه بعد معاركها *

خامسا « فنوع تكم هذا القديس كان مملوا تواضعا وقداسة . ولكنه في الوقت عينه « كان حرا جدا وصريحا بشجاعة خاليا من التمويه والتصنع المسببين عن الخوف « المرذول كما يليق بالمسيحى الحقيقى . وكان مشيه رصينا عديم القلق وسلوكه محتشما معمرا « للانفس * ولم يكن قادرا على ان يضع في فكره اضطرابا او خشية او ضعف رجا او « غما ما او توهما لاشر من الشرور العالمية ولا عذاب من العذابات ولا الموت عينه باى « نوع كان من القساوة والمرارة من اجل شرف الاسم المسيحي . بل بالضد كان دايما « هكذا مستعدا بالروح . حتي ان قلبه عدم ان يحوي ضمنه حبا اخر خارجا عن حبه « ليسوع المسيح وعن رجايه الحي فيه تعالى . متكلا على نعمته القادرة على كل شى . بنوع « ان روحه كان موهوبا الى ان يصادم كل شى ويحتمل المكروهات كافة . ويمارس الاعمال « الاكثر صعوبة متي كانت مرادة من الرب *

« سادساً فقى هذا الخصوص ولاجل ما اشرنا اليه التيم مجمع خبيث مولف من والي
« الاقليم ومن قايد الجيش والذين معهما . نظير ما كان مرةً ما اجتمع بيلاطوس
« وهيرودوس ضد يسوع المسيح * وهكذا كما ان معلمنا الالهي كان أُحضر امام هذين
« بمنزلة مذنب . كذلك القديس ثاودوروس قد دُعي مقاداً امام ذينك الوالي والقايد *
« اللذين حينما مثل لديهما عبد الرب شرعا يقولان له هذه الالفاظ وهي : ترى من اين
« حصلت انت على الجسارة الاثيمة والاعتداد بالذات الفاقد الزمام بهذا المقدار حتى
« انك لم تجزع من ان تضاد شرايع الملك السلطانية * أفانت اذاً ايها الشبيب الكلي
« الدناة . الذى كان يلزمك ان تستوعب خيفةً وترتعش من راسك الى قدميك عند
« سماعك مجرد ذكر اسم سلطانك ومولاك تزعم بكبريا فايقة الحدود ان ترفض الطاعة
« لاوامره الاشد صرامة * أهل هو ممكن ان انساناً جسوراً في تحفظاته الباطلة كلي
« الدناة يستانف بروح العصاوة والنفاق من ان يسجد لاوليك الالهة الموقرين والمسجود لهم
« من اسياد المسكونة العليين * فالقديس ثاودوروس بعد سماعه هذا الكلام المهين لم
« يتحرك اصلاً الى الحرارة . بل انه اجابهم بوجهٍ صاحٍ كل الهداوة . وبروح مستعد مملو
« من الشجاعة . وبصوت فصيح عالٍ رسخ قايلاً لهم : انا لا اعرف الهتكم هولا بل ولا يمكنني
« ان اعرفهم لانه لا وجود لهم * فانتم جاعلون في ضلال مبين لانكم تعطون تسمية
« الهة لشياطين لجيم وتسجدون لهم كالهة . وهم الارواح الكذوبون المجدفون الغشاشون
« المناقضون المرذولون رذلاً كليا اما انا فاعرف يسوع المسيح الذي هو الاله الابن لله الاب واسجد
« له . ولا اخاف من شي مطلقاً . لكني بالحرى تمني ان احتمل اي عذابٍ كان لكي اوضح
« بافضل نوع امانتي التي اعترفت بها عن يسوع المسيح * فان كنتم تفكرون بان تعاقبوني
« لاجل هذا بالضرب والجلد انا اتوسل اليكم بان تصيروني ان أُضرب شديداً جداً
« بنوع اني اعود بجملتي مملوءاً من الجراحات ويضحي جسمي كله ممزقاً . وان كان عذابي
« يصير بالاسلحة . انا التمس منكم ان لا تتركوا جزءاً ما من جسدي خالياً من التقطيع
« والطعن بقساوة * واما ان شيتم ان تقاصوني بالنار فانا اشتهي انكم تبيدون شخصي حريقاً
« فوق نار هادية رويداً رويداً حتى يعود كله فانياً بايداً مستحيلاً الى رماد . ثم ان كان
« كلامي هذا الحر البسيط يغيظكم ويغضبكم فهوذا لساني لكي تقطعوه . لانه امر محبوب

« لديَّ ومشتهي مني . وهو عندي سعادة مجيدة في الغاية . ان جسمي هذا لاجل مجد
« خالقه الالهي يعلن في كل جزء منه جرحًا متخنًا . واخيرًا يتلاشى باسره ضحية
« لله العلي « *

« سابعًا فكلمات الشهيد هذه الاولى قد فتتت اكباد المغتصبين كيدًا ورجزًا . عند
« مشاهدتهم ذواتهم مفحمين بقوة وشجاعة هذا حدهما . وقد تراخت عزائمهم وايسوا وبهتوا
« كانهم بالكاد عادوا يصدقون حواسهم نفسها من السمع والنظر * ولم يقدروا ان
« يتصوروا في عقولهم كيف ان جنديا شابا لم يرتعد بتةً من تهديدات هكذا شديدة . بل
« بالحري كان يحركهم الى وضعها بالعمل . مجتهدًا في ان يمارسوا ضده ما هو اعظم منها .
« حتى انه عند نظره ما يختص بالعذابات الاوفر قساوةً المهياة له ودنوه من ميتة بربرية في
« الغاية كان يفرح مسرورًا . لا بل يشتهي ذلك ويهتم في البلوغ اليه كالي وليمة متفاضلة
« بالملذات . او كانها غلبة مجيدة في الحرب * فاذًا حينما حصلوا هكذا سامين مبلبلي الرشد
« بحماقة . شرعوا فيما بينهم يتشاورون على ماذا كان يليق بهم ان يصنعوا * فوقتئذٍ احد
« الجنود المتصنعين بوظيفة الرياسة على الصفوف . وكان هو ممن يعتدون بذواتهم بشقشقة
« اللسان . فهذا لكي يسخر بكلمات الشهيد المملوة شجاعةً تقدَّم الى وسط المحفل مقتربا من
« القديس قايلاً له : فاذًا انت ياثاودوروس تعترف بان الهك له ابنٌ . وبالتالي هو
« حاصل على جسم قابل الموت والفساد نظير اجسادنا . وهو خاضع لانفعالات الضعف
« الغرامية والانعطافات المتراخية نظير باقي البشر بالنوع الذي به يتوالدون * فاجابه
« الشهيد قايلاً : ان الهي ليس له جسمٌ ولا هو خاضع لضعفٍ ما او لنقصٍ من النقايص .
« بل انه تعالى كلي الكمال وعديم الضلال * فانا اعترف مومنا بابن الله الحقيقي المولود من
« الله الاب منذ الازل بالنوع اللايق بالله . وهذه الولودة الالهية هي عديمة الادراك
« والوصف * فانت ايها الانسان الجاهل الوقح الفاقد العقل والمعرفة والخالي من الحق اما
« تختزي وتغوص في عمق خجلك مطاطيًا وجهك الجسور المكروه * أهل انك تتوقع شاتمًا
« مجدفًا هكذا على ذاك الاله الوحيد الحقيقي الذي انا اسجد له . مع انك تنذر وتسجد كالى
« الوهيةٍ لتلك الامراة الدنسة التي انت نفسك تفتخر بايرادك عنها انها ولدت اثني عشر
« ابنًا * فتري اي شي اخر يمكن ان تكون هذه الامراة الرجسة الا شيطانة من جهنم . التي

« لا تستحق ان تمثل الا بالارانب والثعالب لاجل نوع سهولة حبلها وايلادها على هذه « الصورة فجواب الشهيد المذكور المملو سخرية بذلك الجندي ضحك منه مستهزيًا باضعاف « عمًا زعم ذاك ان يسخر به . واما روسا الجمعية فاذ انهم ازدادوا خزيًا وتحيرًا وضعفًا « قد فكروا بان يخفوا خجلهم تحت برقع المحبة الانسانية والحلم ولهذا تكلموا في محفلهم قائلين « انه يبان واضحا ان ثاودوروس هوساه والان قد اضحى فاقد ادراك المفهومية والعقل . « فلهذا تعطى له مهلة من الزمان حتي عند ما يكون هدأ روعه وسكن انزعاجه يحصل في « امكانية ان يختار ما يشا بحرية * لانه ربما يعود يعرف ضلاله متي رجع الى ذاته هاديا . « وبذلك ينبذ عنه غلطه ويتوب عن جهالاته الماضية *

ثامنًا « فهذا ما قاله اوليك المجانين الحقيقيون بتسميتهم حماقة تلك الحكمة الصادقة « الاعظم ما يمكن وجودها على الارض . وباحتسابهم فقدان الادراك والمعقول الفضيلة « الحقيقية . صانعين كما يحدث مرات كثيرة ونشاهده باعيننا من الذين اذ يمتلئون من الخمر « ويفقدون رشدهم ياخذون بان يعيروا الحكما بالحماقة ويعتدون جنونا عملهم المملو تعقلا « واما عبد الرب هذا الحسن العبادة والقايد الغير المغلوب المحارب تحت راية يسوع « المسيح . فقد استخدم ضدًا لمية الكفرة المغتصبين مهلة الزمان التى منحوه اياها استخدامًا « به طفق يهيي ذاته بافضل اسلوب متقويًا مستعدًا الي ان يعطى براهين اعظم اشراقًا « لفضيلته باعمال جديدة ذات مجد اسمى * واما الشى الذى هو صنعه بعد ذلك فانما هو « موضوع خطابي الذي اواصل ايراده بتعزيتى وفرحي الروحي وانتم ايها السامعون الاحبا « تصغون اليه ناصتين الى ما اقوله *

تاسعًا « فكان يوجد في مدينة اماسيا المتروبوليتية (من اقليم البنطس) معبد كلي « السمعة والاشتهار مشيد على اسم تلك الالهة . التي تبعًا لخرافات الامم المضحكة المملوة « حماقة كانت تعتقد منهم بانها ام لجميع الالهة . وكانت جميع الشعوب المخدوعين في « مذهبهم هذا من الاعتقادات الباطلة شيدوا بالقرب من النهر ذاك المعبد باموال فايقة « في كثرتها . وزينوه باشغال وزينات كلية * فحينيذٍ اذ تامل القديس ثاودوروس الفرصة « الملايمة التي هو حصل عليها نظرًا الى المهلة التى أُعطيت له لكي يختار ما يعتمد عليه * « ونظرًا الي الحرية التامة التي هو فايزبها في زمن تلك المهلة . قد فكر معتمدًا على ان

يبيد من الوجود المعبد المذكور * ومن ثم حالما شاهد وقتاً ما شدة الريح الثائرة بالنوع
الموافق لمقصوده . قد اجتهد في انه اضرم النار من كل جهات المعبد بقوة حتى ان
اللهيب احاله الى رماد وفعله هذا كان هو الجواب الذي أُعطيت له المهلة من اجل رده
للولاة الذين انما وهبوه الزمان والحرية في الافتكار به والاعتماد عليه بهدو مما يراه الاجود
والاليق به * فالحريق المذكور ضمن ساعات قليلة قد عرف من الجميع وشوهد من
الكل . اذ ان مكان المعبد كان في اواسط المدينة واللهيب قد اضرم سعيره بنوع
مهيل * فالشهيد لم يرد ان يخفي ذاته بشكل من الاشكال اصلاً . ولا افتكر بان يكتم
عمله المملو شجاعةً او يحتال في ان الظن بصنيعه يقع على شخص اخر خارجاً عنه . بل
انه كان بالضد فرحاً كفرح العيد العظيم بهذا الحادث . مفتخراً بانه هو الذي اخترعه
ومارسه بالامتحان بسرور قلبه ومتباهياً في ان عمله المذكور قد بلغ مفعوله بالتمام
حسب نيته * ثم انه بمقدار ما كان يتعاظم لهيب الحريق ويجعل ضرره غير قابل الاصلاح .
فباكثر من ذلك كان يزداد حزن الوثنيين وتوجعهم بنوع فايق التصديق . نادبين
باكين على خسارتهم معبداً بهذا المقدار بهياً ثميناً في ذاته . مكرماً موقراً منهم . حاوياً
ضمه شخص الصنمة المذكورة الذايع الصيت * اما القديس ثاودوروس فكان لاجل
هذه الاشيا كلها يتضاعف ابتهاجه وينمو فرحه وتزداد تعزياته وعلامات انتصاره *

عاشراً فاذا خلواً من تاخير قد أُعرض لدي ديوان الولاية ان ثاودوروس هو
الذي احرق المعبد . وانه بيديه ذاتيهما اوقد النار في تلك المواد التي بها ابتدا الحريق
العظيم * فلذلك قد أُقيمت الدعوي وتصدرت ضد القديس حكومة جديدة اشد
قساوةً من الاولى * وهذا كان يلزم بالضرورة ان يتم كذا . لان عمله المذكور الجديد
الموعب جراةً حرك قلوب الجميع الي شراسةٍ وبغضةٍ قتالة ضده * على ان القضاة
قد التيموا سرعةً مع الولاة مملوين رجزاً في الديوان القضوي . وقبض على الشاهد
ثاودوروس مقاداً الي ذاك المحفل . ولكن قد مثل هو امامهم هادياً شجيعاً من دون ادني
تغيير عن ذي قبل ولبث قايماً بازايهم مستوعبا من البهجة والسرور الغير الممكن تصديقهما
وشرع يرد الاجوبة بحرية وبساطة خالية من كل تصنع مملوة شجاعةً على جميع السوالات
التي بها كان القضاة يفحصونه . بل انه مرات عديدة كان نفسه يسبق بالجواب عما

« كانوا يفتكرون بان يطلبوه منه * فارباب الديوان منذ البداية بالفحص لحظوا واضحًا ان
« عزم الشهيد وثباته على ايمانه كانا على حالها الاولى خلوًا من تغيير . وانه لم يكن مومولاً
« ان تصنع فيه تاثيرًا ما لا التهديدات ولا المخاوف ولا العذابات مهما كانت قاسية بل ولا
« الموت عينه اذا حكم عليهِ بهِ . وعرفوا حسنًا ان طلاقة التكلم بشجاعةٍ اضحت فيه كشي
« طبيعي * ولكن مع كل ذلك ارادوا ان يمتحنوه بكل نوع من البراهين والامال * ولهذا
« طفقوا يخاطبونه بعذوبة وملاطفة . موعدين اياه باعظم ما يكون من خيرات الارض
« بالفاظ ديوانية لارجوع بها ليمكنهم بها ان يغتنموا اجتذابه عن فضيلته المجيدة الى
« مقصدهم * ثم قالوا له هكذا : اعلم اذًا ياثاودوروس انك ان كنت تعتنق مشوراتنا
« وتضعها بالعمل . فكل شي صدر منك فيما مضى يترك لك منسيًا . والان نحن نخرجك
« من حال الشقا والفقر الملمين بك ومن الدناءة الكاين بها وستحصل انت على اموال
« وموجودات غنية جدًا وعلى انواع الشرف والسعادة الكلية . بل اننا نرقيك حالاً الى
« وظيفة الحبرية العظمى * فلما سمع الشهيد وعدهم اياه بان يصيروه حبرًا اعظم للاصنام .
« قد ابتدا حالا يضحك بنوع غريب من الاستهزا والسخرية خارجًا عن القياس * ثم قال
« لهم ضاحكًا عليهم هكذا : انني احتقر بنوع فايق حده جميع كهنة اصنامكم النفاقية واحتسبهم
« كافةً اشخاصًا مفضوحي الصيت وكلبي التعاسة . وارذلهم كخدام مملوين دناسةً ونجاسةً
« لاعمال ديانتكم الفظيعة المضحكة . واما الاحبار روسا هولا الكهنة فكما انهم متقدمون
« بالرياسة على كهنتكم فكذلك انا ارذلهم رذلاً اعظم * واستكره منهم استكراهًا كليًا كشي
« لا يوجد اشد منه رداوةً لان الذى هو الاكبر والاعظم والمتقدم فيما بين الاشرار المنافقين
« انما هو الاكبر شرًا والاعظم نفاقا والمقدام لديهم في الاثم والرداوة . وعلى هذه الصورة هو
« الاكثر ظلمًا فيما بين الظلمة . والاشد ذنبًا فيما بين المذنبين والاوفر قساوةً فيما بين القتلة
« والخاطفين . ونظيره هو الاكثر دناسةً فيما بين المفسودين الفسقة والاعظم شكا فيما بين
« اصحاب الشكوك * فاذًا كفوا عن ان تعدوني وعدًا هذه صفة شناعته ورذالته .
« واعرفوا بكفاية ان باعطاكم الحبرية لي انما تعطوني بها وظيفة يقدر ذاك وحده ان يقتبلها
« وهو الذى يفوق فى الاثم والنفاق وفضح الصيت والرذايل على جميع الخدام الاثمة المنافقين
« المفضوحي الصيت . افهل هو من الممكن انكم توجدون بهذا المقدار عميان خالين من

« كل نورٍ عقلي وفاقدين من الذهن . حتى انكم لاتفهمون ان حبرية الوثنيين هي مجموع
« الخزي والعار والشرور الممكن حدوثها للانسان في هذا العالم على ان المرء الحكيم يلزمه ان
« لايهتم في شي اخر الابان يعيش بسيرةٍ برية من العيب بارة في كل نوع من الاعمال ولهذا
« لامر افود واجود هو ان يعيش الانسان في بيت الرب ذليلاً حقيرًا مهانًا من الاثمة
« والاشرار من ان يعيس عظيمًا متراسًا متقدمًا في مظال الخطاة * او كيف ان ملوكنا
« انفسهم يحركوني الى الترثي لهم . ومعا الى الاستكراه منهم لاجل شريعتهم الاثيمة المبرزة
« منهم اخيرًا . وهي التي قد اشرعم لي عنها ويريدون ان تحفظ بكل تدقيق واحترام * فهم
« انما حصلوا من الاله العلي الحقيقي الوحيد على السلطنة والسيادة العليا فوق البشر .
« ومنه فازوا بالامتياز والتخصيص الكلي السمو فيما بين المقامات الارضية * ومع ذلك ان
« اشخاصا هذه صفة جلالتهم وسطوتهم وولايتهم المكرمة فلاجل خداعهم وتحفظاتهم الباطلة
« وحماقتهم يتخذون لذواتهم تسمية احبار . ويتردون باثواب هذه الحبروية . وبذلك هم
« يحقرون اشخاصهم ويدنسون شرفهم باهانة توازي عظمتها مقدار سموهم على البشر
« بالسلطان والمقام والشرف * لانه بالحقيقة تري من يمكنه خلوًا من غيظ ومن دون
« سخرية مضحكة وبغير انفعالٍ ذي مرارة ان يشاهد متاملاً كيف ان الملوك الرومانيين
« المسلطين على العالم يغطون ذواتهم كمختفين تحت ثوب اسود محزن الذي هو ثوب
« احبار كهنتهم التعيس الرجس . وهكذا يعلنون فعليًا كانهم يكرهون برفيرهم الملوكي
« الجليل ويخجلون منه عند ما يجعلونه مخبوًا تحت الردي الحبروي الدني المرذول بل انه اذ
« كان لايكفيهم هذا جميعه من الزل والهوان . كما هي بالحقيقة عظم هوان لاعظم مقام
« حبروية كهنتهم * فبعد ان الملوك الرومانيين هولايكونون على هذا الاسلوب اخفوا مجد
« عظمتهم . واهانوا علو مرتبتهم . يتقدمون الى الهيكل الدنس . وهناك اذ يدعون جانبا
« تاركين لا المقام الملوكي فقط بل كل نوع من الحشمة المدنية والنظافة ايضا . ويهتمون
« نظير خدام المطابخ الادنيا في ان يذبحوا بعنايةٍ ويجوفوا بوخامةٍ كل نوعٍ من الطيور
« والحيوانات . مخرجين ما في بواطنها ومتاملين في ما هو اكثر وخامةً ودنسا من موادها
« المستكرهة والمتنة . ملقبينها بايديهم * وبعد اعمالهم هذه يشاهدون من الجميع ممروغين
« بالدما والاشيا القذرة نظير صناع المسلخ والجزارين . حتى ان اثوابهم وايديهم ووجوههم

وجميع اشخاصهم تنظر مشوهة وحشة مستكرهة بالنظر اليها سايلة منها الدما ومنبعثة عنها روايح النتانة بنفاق ورذالة *

حادى عشر فروسا الديوان التضوى عند سماعهم من الشهيد هذا الكلام القوى المملو جراة . ما عادوا يقدرون ان يحفظوا في ذواتهم ذاك الحلم المصنع الذى كانوا تظاهروا بو معه برهة سابقة . بل اذانهم اطلقوا العنان لقساوتهم ضده شرعوا يهتفون بقولهم عنه انه مجدف على الالهة منافق وعاص متمرد ضد الملوك ثم امروا بوضعه تحت العذابات المرسومة علي المذنبين الاشد اثما والاكثر مضرة . وان يعاقب خلوا من رافة * فخدام الشريعة حالا وضعوا الامر بالعمل ضاربين التدبس بالمجالد من غير قياس وعدد . مهشمين جسمه * ولكن جميع العذابات التى اذاقوه اياها بقساوة بربرية ما امكنها الا ان تغير فيه عزمه . ولا ان تضعف ثباته . ولا ان تنقل حال هدوه الظاهر ولا ان تقلل رجاوه وثقته المقدسة . بل بالخلاف ان الشهيد فيما بين تلك الالام الاشد مرارة والتعذيبات الفايقة الاحتمال كان بصوت عذب ونغمة سجية يرتل مسرورا الكلمات الداودية هاتفا : ابارك الرب في كل وقت وفي كل حين تسبحته في فمي * اما الجلادون فكانوا يشتدون قساوة في تعذيبه بهذا المقدار حتي ان لحمانه كانت تتناثر وتسقط عليه . ولكن هو لم يكن يكف عن الترتيل مباركا الله كان اخر غيره يتعذب لا هو نفسه * فاخيرا بعد ان استطال زمن امتحانه بتلك العذابات الشديدة . قد أُخذ وطُرح في السجن حيث حدثت عجايب جديدة ما شوهدت قبلا تجيدا لشاهد المسيح الغالب وخزيا اعظم لاعدايه * علي ان الحبس قد ظهر في تلك الليلة منلاليا بانوار ساطعة باعثة اشعتها فريدة بكل صفاتها . كمشاهيب عديمة ان تحصي عددا مشرقة بضيا سماوى ممتد الي كل الجهات . ثم ان كثرة عظيمة من الملايكة الغير المنظورين كانوا بنغمات والحان فردوسية يرتلون باتفاق الاصوات تسبحة جديدة ما سمعت قط * فجميع حراس السجن ومن فيه قد سمعوا تلك الترانيل المبهرة العقول والمذهلة الافكار . وشاهدوا اشرافات الانوار الخاطفة الابصار المنحدرة من العلا بنوع فايق التصديق * ومن ثم ريس الحراس غاب عن الصواب مما سمعه وشاهده . من دون ان يعود يعلم بماذا يفتكر او يتصور علة لذلك * ودخل الحبس . ولكنه لم يجد فيه احدا الا الشهيد

متكيًا في مكانه بكل هدوء نائمًا بعذوبة . ومثله المسجونون الاخرون كانوا يغطون بنوم عميق *

ثاني عشر فقد استعملت فيما بعد ضد القديس ثاودوروس انواع كثيرة من البراهين والامتحانات بعناية جهيدة . ولكن بعد ان آيس الوثنيون المنافقون بالكلية من انهم يقدرون ان ينتصروا على ثباته الراسخ وعزمه المتين . الذى كان دائمًا يزداد ثقة وشجاعة بمقدار ازدياد العذابات . وكان اعترافه بالمسيح يزهو توطيدًا ومجاهرة كل مرة كان يقدم للفحص والامتحان . فاخيرًا التضاة مع اصحاب الولاية ابرزوا ضده حكومة الموت بان يزج في لهيب النار حيًا . وضمنه يتلاشي وجوده * فبوضع هذه الحكومة بالعمل قد سافر المعظم في الشهدا الطوباوي ثاودوروس من عندنا . ومنذ كانت الطريق التى اجتاز فيها صاعدًا الى السما باستقامة نحو سيده الالهي * تاركا لنا عربونًا لحبه ايانا فضلات اعضايه ورمادها المسجود لها * كما انه ابقى لدينا ذكر جهاده واعمال استشهاده نموذجًا لارشادنا وافادتنا * واما كم هي فعالة وعظيمة نموذجاته ومعاضده حمايته . فهذه نحن نشاهدها علانية * على ان قديسنا هذا العظيم بالنوع المومى اليه قد جمع بعد نياحه جمعا غفيرًا ليسوع المسيح في اصقاعنا هذي . فهو قد صار معلما ومشيدًا كنيسة الرب هذه المتلالية بالبها . هو قد هزم الشياطين وابادهم . هو قد افاد الينا ووطد فيما بيننا مليكة السلام . وهو يتضرع لله على الدوام في التماسه لنا كل خير وسعادة سماوية * لان هذا المعبد الالهي الذايع الصيت هو تذكرة ابدية لمعرفة الجميل من الشعوب الذين احسن اليهم . وهو شهادة لدى الجميع كصوت وضيح لافضاله عليهم ۞ وقد حصلت بواسطته هذه الكنيسة مكانا عاما للاشفية اكيدًا عديم الخيبة لابراء كل نوع من الاسقام ۞ فهنا يجد الملاحون والسايرون في الابحار مينا سلاميا وملجا حصينا ينجون به من جميع العواصف والاخطار البحرية المبينة . هنا الاغراء الغنية جدًا مفتوحة دايما لاعالة الفقرا واسعاف المساكين . هنا يوجد الفندق المشاع والمنزول العام لاقتبال الغربا المحتاجين والزوار العباد . ههنا المكان المقدس والبيت الالهي الشايع الصيت لاجل الاجتماعات المتصلة لممارسة افعال الديانة واعمال الفضايل والرياضات الروحية من الشعوب الغفيرة الحسني العبادة ۞ لانه ولين كان في كل سنة يصير احتفال تذكار القديس المجيد ضمن

« هذا المعبد في الزمن الحاضر المعين . فمع ذلك لا يمرّ يوم واحد من السنة كلها الا وتوجد « فيه كثرة من المومنين ههنا متواردة لتكريم هذا الشهيد شفيعهم لكي يستمدوا اسعافه « مقدمين لديه تضرعاتهم . وكما اننا نشاهد مرات كثيرة في الامكنة الحاوية مقرات « للنمل بمساكن مذهلة كيف توجد هناك كثرة النمل ممتدة كجبال طويلة مرتبة . « حيث تنظر بعضها اتية بعدد وافر وراجعة وبعضها خارجة وجارية . فهكذا نري في « الطرقات المقيدة الي هذا المعبد الالهي كثرة المومنين على الدوام © فمنهم جماهير يخرجون « منه منطلقين ومنهم الاخرون يقبلون اليه داخلين » *

ثالث عشر ثم ان القديس غريغوريوس نيصص ينهى خطبته هذه الجليلة بمدايح أُخر العظم في الشهدا ثاودوروس ويتوسل اليه بان يحامي مناضلاً عن الشعب المومن وبان لا يدع اعدا الايمان ان يرفعوا روسهم من جديد باضطهاد ما ضد الكنيسة . وبان يصغي الى طلبات المتعبدين له ويستمدوا لهم من الله النعم التي يلتمسونها بشفاعاته * فكان استشهاد هذا الشاهد سنة ٣٠٦ للمسيح كما اشرنا في محله . والكنيسة اللاتينية تصنع تذكاره المجيد في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني . حيث توجد مدونة عنه في سنكسارها الروماني هذه الالفاظ وهي : « في مدينة اماسيا من اقليم البنطس القديس ثاودوروس الجندي الذي في « زمن الملك مكسيميانوس قد ضرب بقساوة شديدة لاجل اعترافه بالايمان المسيحي « وهكذا طرح في السجن * ثم ظهر له الرب مشجعا اياه على احتمال الالام ومقويا عزمه على « الثبات وشافيا اياه من جراحاته . واخيرًا بعد ان تكبد عذاب الزيار ومزقت لحمانه « بالمخاليب الحديدية حتي ظهرت احشاوه . قد طرح في النار فاحترق . احتفل بمدايحه « القديس غريغوريوس اسقف نيصص بخطبة جليلة جدًا » *

فالشجاعة العديمة الانهزام والحب المتقد نحو الله اللذان قد لاحظناهما في القديس الشهيد ثاودوروس المجيد . عند تلاوتنا سيرة اعمال جهاده المقدم ايرادها يمليان كثيرين من المسيحيين استحياء مقدسًا . وخجلاً مفيدًا لانفسهم . عند مقايستهم ذواتهم ومعرفتهم حال الفشل والكسل والفتور المستولي عليهم . وكيف انهم مراعاة لخواطر الناس واعتبارًا لجاه عالمي خسيف يتركون بسهولة حفظ ما يلتزمون به من قبل الناموس الالهي * فهذا المعظم في الشهدا قد عرف ان لايهاب اية سلطة عظيمة كانت من سلطات ملوك العالم

وان يحتقر الجاه والكرامات والمواعيد وان يحتمل اشد العذابات فرحًا . وان يقدم حياته ضحيةً بسرورٍ لاجل حبه الله وحفظ وصاياه * واما نحن الوارثين امانته واعتقادات امثاله الوف ربوات من الشهدا والثابتين الى الاشتراك بسعادتهم الابدية . فانما نوجد بهذا المقدار كسالى عاجزين حتى اننا مرات كثيرة نغلب اما لاجل امل مكسبٍ ما حقير غير ثابت من اوخام الارض . واما لاجل اشتها ما لا يجوز امتلاكه * او لخوفنا من ان نخسر شيأً محبوبا لدينا من المخلوقات * او هربا من ان يلتحق بنا ضرر ما * وما اشبه ذلك ولا نتوقف عن مخالفة ما تستلزمه منا واجبات حب الله وحفظ الفضايل * فلنخزَ اذًا خجلين من ضعفنا وجبانتنا على هذه الصورة ولنستفد من نموذج القديس ثاودوروس بان لا يهمنا شي من الموجودات العالمية مهما كان عظيمًا ولا يخيفنا اي نوعٍ كان من الشدايد والمضرات متى كان الموضوع يلاحظ محبة الله وحفظ ما تقتضيه منا التزاماتنا المسيحية * هذا ان كنا نروم الحظوة به تعالي صحبة خلانه وشهدايه الامنا في سعادته الخالدة الى ابد الابدين *

* اليوم الثامن عشر *

* وفيه تذكار ابينا القديس لاونديوس بابا رومية *

اولاً ان الصفات الجليلة الفريدة التى اتصف بها الحبر الرومانى القديس لاونديوس . مع الاعمال السامية التي افاد بها الكنيسة الجامعة في زمن رياسته المجيدة صيرت جميع الكتبة الكنايسيين ان يلقبوه بلاونديوس او بالحبري بلاون العظيم * فنظرًا الى مكان مولد هذا القديس كان حسب راي البعض في بلاد توسكانا . ولكن ببراهين اوكد يُظن بالصواب انه مولود في مدينة رومية عينها . ولين كانت مجهولة سنة ميلاده * التي اذا لم تكن هي احدى السنوات الاخيرة من جيل الكنيسة الرابع فمن المحتمل ان تكون هي من السنين الاولى من الجيل الخامس * وامرٌ لا ريب فيه ان هذا المعظم في روسا بيعة الله تربى ضمن مدينة رومية . وفيها درس العلوم الالهية والبشرية . ومنذ حداثته احصى في عدد الاكليروس الروماني * فحسب راي البعض ان القديس لاون المذكور . حينما كان بعد مرتسما بالدرجات الكنايسية الصغار . قد ارسل من رومية الى بلاد افريقية ليدفع بيد اوريليوس مطران مدينة قرطاجنة رسالةً من القديس البابا زوسيموس في شجب ارتقة بيلاجيوس مع رسالةٍ اخرى كان كتبها المطران المذكور القديس سيستوس . الذى كان

وقتيذٍ كاهنا في الكنيسة الرومانية وفيما بعد ارتقى الى السدة البطرسية حبرًا اعظم . وان هاتين الرسالتين اوجبتا في قلوب اساقفة افريقية سرورًا عظيما لاجل رذل اضاليل بيلاجيوس واحزابه الارتقة ✻

ثانيًا فالبابا القديس سيستوس الثالث الذي فيما بعد رقي القديس لاون الى درجة رئيس شمامسة الكنيسة الرومانية اكتسب هو بهذه الدرجة والمقام اعتبارًا ساميا عند الجميع حسب استحقاقاته الجايلة . حتى ان القديس كيرللوس البطريرك الاسكندري قد كتب له حينئذٍ رسالةً كمن يكتب الى من كان مختصا به جانب عظيم من تدابير الكنيسة الجامعة ✻ موضحا له بها تشكيه من يوفينالله بطريرك اورشليم ✻ الذي كان يروم توسيع حدود سلطته الكنائسية وتعظيم حقوق كرسيه الاورشليمي خارجا عن رسوم القوانين المقدسة ✻ وكذلك المعلم كاسيانوس قدم لهذا القديس لاون رئيس الشمامسة وقتيذٍ تاليفاته في شان تجسد الكلمة الازلي ضد نسطوريوس الارتيكي معنونا اياها مكرسةً باسمه وهناك كان يعطيه لقب كونه زينة الكنيسة الرومانية وجمالها ✻ ثم اخيرًا حينما حدث الاختلاف المظيم الذي جلب للمشيخة الرومانية اضرارًا كلية منتشيا فيما بين ايتيسيوس قايد الجيوش العام في مملكة فرنسا وبين البينوس . فلم يوجد في ذلك الوقت احدٌ اكثر كفايةً من القديس لاون لايقاع الصلح فيما بينهما ✻ ولذلك قد اختير لهذا العمل وانهاه بذهابه الى فرنسا نهايةً سعيدةً بكل هدوٍ وسلامٍ ✻

ثالثًا فاذ كان البابا سيستوس الثالث قد توفي قبل ان يرجع القديس لاون من فرنسا فالاكليروس الروماني كافةً مع الشعب اختاروا لاون نفسه حبرًا اعظم خليفةً للراقد . وذلك في اواسط شهر اب سنة ٤٤٠ وارسلوا قصادًا اليه في فرنسا يخبرونه بهذا الانتخاب ويتوسلون اليه بسرعة رجوعه الي كرسيه الروماني ✻ كما تم ذلك فعلاً بعد نحو اربعين يومًا ودخل بفرح لا يوصف من جميع الشعوب الى رومية . الامر الذي عزاه جدًا ✻ ولكن بمقدار ما كان سروره بهذه الوظيفة عظيما لا لغاية اخرى الا لتعطيه سببا لخدمة كلٍ من اعضا جسم الكنيسة الجامعة . ولاجل ان المراحم الالهية تلالات به اذ اختارته اليها (في الوقت الذي كان غايبا عن رومية) . كما يقول هو نفسه في تذكار يوم انتخابه السنوي الذي كان قديما يكمل باحتفالات كلية بهذه الكلمات : «ان الله لكي يظهر معلنا ايهابه

« انعامه مجانًا . قد اعطى مواهبه لمن لم يكن يستحقها اصلاً بوجه من الوجوه » : فباكثر من ذلك كان خوفه من اثقالها حيث يشير الى هذا المعني بقوله : « ان عظم الرفعة نفسه هو « علة للسقوط مرات مترادفة . فلا يوجد شي يوجب خوفا اعظم من ان تشاهد الامور « المملوة من الاتعاب مفوضة لرجل عاجز والمرتبة الاعلى موهوبة لاحقر الجميع والوظيفة « الاسمى معطاة لانسان عديم الاستحقاق » * ولكن ليس لاجل ذلك قد حصل جبانا من « ثقل هذه الخدمة . بل التجا الى العون الالهي متكلاً عليه وقايلا : « ان الاله الذي وضع « على كاهلي هذا الحمل الثقيل هو نفسه يساعدني على القيام به . وهو يمنحني قوة كيلا اعجز « تحته . ولين كنت بذاتي كليلاً عن حمله » * ثم يقول في خطبة اخرى هكذا : « انني ان كنت فيما بين اسباب كثيرة توجب فيَّ الخوف احصل جبانًا . فاي رجا يبقا لى فيما اخدم به الله حسبما انا ملتزم الاَّ في ان حافظ اسرايل الذي لايغفل ولاينام هو نفسه يتنازل ليس ليحفظ الرعية فقط بل ليعين الرعاة ايضًا . لانه هو راعي الرعاة العظيم اذ انني اعترف حقًا وصدقًا بان يسوع المسيح هو الذي يصنع جميع ما انا افعله من الخير في خدمة وظيفتي هذه ولذلك به تعالى وحده الذي منه قوتي كلها يلزمني ان افتخر . مخصصًا له المجد باسره من دون ان اخصص ذاتي بشي . كوني بدونه لااقدر ان افعل شيًا *

رابعًا ثم ان هذا الحبر الجليل لكيلا يتغافل عن الوسايط البشرية ايضًا المساعدة اياه على اتمام واجبات وظيفته . قد عيّن من اعظم الافاضل وافقه العلما اناسًا يتخذ مشوراتهم ويستخدمهم في اعظم الامور وكان احد هولا القديس بروسبيروس الذي اقامه بوظيفة في جوهرها تشبه وظيفة مقدام مجمع انتشار الايمان الحالى حسبما كان قبلاً البابا القديس داماسوس اقام بهذه الوظيفة القديس ايرونيموس * وكان القديس لاون حريصًا بهذا المقدار في ابراز الاحكام بعد فحص مدقق جدًا كما يبان من رسالته الى فلابيانوس . اذ يقول هكذا : « اننا نحن الذين نريد ان الاحكام التي تبرزها كهنة الرب تكون عادلة مفحوصة بتان « خالية من كل شايبة . لايمكننا ان نبرز حكمًا ما اصلاً نخصم به احدًا او نشجبه من اية « دعوة كان الامن بعد ان نكون قبلاً عرفنا جيدًا الحقايق وفحصنا الامور بتدقيق ووقفنا « على جميع البينات . وتاكدنا ما يجب لنا ان نتاكده في هذا الشان *

خامسًا وكان هذا الراعي الغيور يعظ مرات كثيرة على الشعب . مرشدًا معلمًا محثًا على

عمل الصلاح * فيقول في احدى عظاته : « اننا اذ كنا من جهة اولى طالما نحن في هذا
« العالم الممتلى من الرذايل . حاملين في ذواتنا الضعف الانساني فيما بين خداعات الاشيا
« الزمنية لايمكنا ان نجيز ايامنا من دون ان تحدث لنا التجارب . ومن جهةٍ ثانية لايستطيع
« احد مهما كان ان ينتصر بسهولةٍ على الاعدا المحيطين بنا من كل ناحيةٍ . وبالتالي لايخرج
« من ميدان المعركة من دون جرحٍ ما كما يحدث غالبًا فمن ثم لاجل شفا هذه الجراحات
« التي يصيبنا بها العدو الجهنمي في وقت الحرب كثيرين ممن يثب عليهم . يلزم استعمال
« ثلثة انواع من الادوية وهي الصلوات من دون ملل والاصوام من غير ضجرٍ والصدقة
« بطلاقة وبشاشةٍ * فهذه الادوية اذا أُستعملت معا متحدًا احدها مع الاخر تهدي غضب
« الله . وتستعطفه الي الرحمة . وتغفر الخطايا . وتهب الظفر على الشيطان المجرّب *
« فمواعظ هذا القديس كانت مرافقةً من النعم التي كان الله يمنحها لسامعيه . حتي انه
« ليس المومنون فقط كانوا يحصلون منها على افادةٍ هكذا عظيمة . بل الخارجون عن
الايمان ايضًا . الذين عدد غزير منهم قد اعتنقوا بواسطته الايمان بالمسيح . وكان بذاته
يرشدهم ويعلمهم واجبات الديانة * واما كيفية تصرفاته في ارشادات الشعب بتوزيع كلام
الله . فهذا نفهمه مما حرره في رسالته الي بروطاريوس الاسكندري قايلاً : « انك ملتزم ان
« ترشد الاكليروس والشعب وساير اخوتك . وينبغي لك ان تحرضهم على النمو في الايمان
« بنوع انك توضح لهم ان تعليمك ونصحك اياهم ليس هو شيا جديدًا . بل انما هو نفس
« التعليم الذي انذر به عظماونا المحترمون باتفاقٍ واحدٍ * فهذا يجب الا تقوله بالكلام فقط
« بل ان تبرهنه بالاثباتات ايضًا مستشهدًا اقوال الابا القديسين لكي يفهم الشعب جيدًا
« ان ما يورد له من التعاليم الان هو عين ما علمه سلفاونا . اخذينه من عظمايهم ومسلمينه
لخلفايهم *

سادسًا فهذه الرسوم كانت الارانقة تكره سماعها مجتهدين في تجديدات الاراء الضالة
المضادة التعليم المعافي المسلم للكنيسة من الكتاب المقدس ومن تقليدات الابا القديسين
لكي يخدعوا الشعوب البسيطين ولذلك هذا الحبر الاعظم كان بالصوت الحي وبا لتاليفات
ساهرًا على تبديد ضلالهم لاسيما الارانقة المانيكيين الذين ادخلوا ارتقتهم فيما بين البعض
من الرومانيين انفسهم * وكذلك البريشيا لينيسثيين الذين كانوا يمزقون كنايس اسبانيا

ثم البيلاجيين الذين ولين كان تعليمهم حُرم مراتٍ كثيرة . فمع ذلك لم يكن باد بالكلية ولهذا لما سمع القديس المذكور انه وجد منهم البعض في ابرشية اكويليا . قد حرر رسالةً الى اسقف هذه المدينة منبهًا اياه بالا ينغش من خداعاتهم قايلاً له هكذا : « انه ولو مهما « اظهر هولا الضالون انهم رذلوا غلطهم فاذا لم يُستعمل الحرص والسهر ضدهم لايفترون من « ان يعلّموا بان نعمة الله تُعطى ثبعا لاستحقاقات من يقتبلها . وهذا هو ضد تعليم الرسول القايل : « ان النعمة ان لم تكن مجانية فليست هي نعمة *

سابعًا ولكن غيرة القديس لاون الرسولية قد تلالات بالاكثر في محاماته عن الايمان المستقيم ضد الارتقة التي ابتدعها في زمن حبر وبتهِ الرجل الشقي اوطيخا الهدمة اس الايمان القويم . بتعليمه انه بعد تجسد ابن الله من احشا مريم البتول قد اختلطت الطبيعة الالهية بالطبيعة الانسانية وصارتْ في المسيح طبيعة واحدة مركبة * فالقديس فلابيانوس ريس اساقفة القسطنطينية عقد مجمعا في ابرشيته من ثلثين اسقفًا وبه حُرم اوطيخا الارشيماندريت ريس رهبان الدير العظيم . الذي كان في تلك المدينة المتملكة . رفض ضلاله هذا السئ واخبر بذلك جميعه للقديس لاون * الذي قد ردّ له الجواب برسالةٍ مورخة في ١٣ حزيران سنة ٤٤٩ وبها ببراهين سديدة وبايرادات عجيبة فند ضلال اوطيخا ونسطوريوس ايضًا الذي ارتقته كانت حرمت في المجمع الافسسي المسكوني الثالث . وهكذا برهن حقايق تعليم الايمان الكاثوليكي ضد هاتين الارتقتين * فهذه الرسالة الشريفة التي كل احدٍ يشاهد فيها شرح الايمان المقدس بخصوص سر التجسد الالهي بنوع لايوجد له مثيل . قد حفظت في كل زمانٍ ومكان كاعظم ذخيرة فيما بين تعليم ابا الكنيسة القدما . وقد مُدحت بتقريظات جليلة ليس من ابا المجمع المسكوني الخلكيدوني فقط الذين اعلنوا انها مقولة من القديس بطرس الرسول عينه بفم القديس لاون . بل من جميع الكتبة الكنايسيين ايضًا . * حتى ان القديش جيلاسيوس احد خلفا القديس لاون في الكرسي الروماني . قد رشق بالحرم الكبير كل من يحرف قضيةً ما من هذه الرسالة او يرفض منها شيًا *

ثامنًا فالقديس لاون انفذ صحبة رسالته للقديس فلابيانوس هذه رسايل اخر للملك ثاوضوسيوس الصغير وللملكة شقيقته القديسة بولخاريا وللبعض من الاساقفة وروسا

الرهبنات . موضحًا لهم كيف انه في رسالته المشروحة اعلاه قد برهن كل ما يخص التعليم المستقيم نحو سر التجسد الالهي ضد ضلالة اوطيخا ونسطوريوس * غير ان ذلك جميعه لم يوقف جري النفاق الاراتيكي . بل ان ديوسقوروس البطريرك الاسكندري قد تجاسر على عقد مجمع لصوصي في مدينة افسس وبه ومن جرايه مزق جسم الكنيسة الشرقية بنوع يرثي لهُ . مويدًا اوطيخا مع ضلاله . مضطهدًا القديس فلابيانوس حتى الموت * فلما بلغ هذا جميعه للقديس لاون وتقدمت لديهِ الاستغاثة من القديس فلابيانوس ومن ثاودوريطوس اسقف قورش . قد اتقدت فيه نار الغيرة بابلغ نوع . وعقد مجمعًا في رومية وبهِ لاشى جميع اعمال المجمع الافسسي اللصوصي . وبعث رسايل أُخر الى الملك والملكة والى الاساقفة والارشيماندريتيين منهضا غيرة الجميع على اصلاح ما عكسهُ المجمع اللصوصي المار ذكره * ولم يغفل عن المحاماة عن الايمان ولا عن السعي الفعّال في ملاشاة الاراسيس ورد السلام للكنيسة الجامعة . الى ان انعقد المجمع المسكوني الخلكيدوني في ولاية الملك مركيانوس . حيث تليت كما اشرنا انفًا رسالة القديس لاون الى القديس فلابيانوس واعتبرت كافية لتوضيح قواعد الايمان ولشجب الارتقتين الاوطيخية والنسطورية * وهكذا عزل ديوسقوروس في هذا المجمع المسكوني عن كرسيهِ الاسكندري لاجل ماعثه الشنيعة لاسيما لاجل انه بجسارةٍ غير مسموعة قد اتصل الى ان يعقد مجمعًا لصوصيًا في الاسكندرية وبه يحرم البابا القديس لاون فاذًا قد عرف هذا الحبر الاعظم من الجميع انهُ معلم الحقايق الكاثوليكية . والحامي الغير المغلوب عن الايمان المستقيم . والمحارب الشجاع للضلالات الاراتيكية *

تاسعًا ثم ان هذا الراعي الجليل كان مقتنعًا حسنًا بان الايمان وحده لايكفي لخلاص الانفس من دون الاعمال الصالحة ولذلك لم يكن يغفل عن وضع الرسوم الملايمة للاداب وحسن السيرة وللعوايد المقدسة ولاستيصال الخصال السئية . لاسيما تلك العوايد الردية التي كانت دخلت في البعض من الكنايس * فلقد كان يطول بنا الشرح جدًا لو كنا نريد ان نعدد تلك القوانين والرسوم والتهذيبات التي رتبها في هذا الشان * على انه كان فيما بين الاشيا الاخر الملايمة لهذه الموضوعات يعقد في رومية قلّما يكون مجمعًا واحدًا في كل سنة في ٢٩ ايلول الذي هو اليوم السنوي لتذكار ارتقايه الى السدة البطرسية

وفي هذه المجامع كان يرسم كل ما يلاحظ نظام الكنايس . وتثقيف الاكليروس . وتهذيب الشعوب . ومنع الرذايل . وخصم اسباب البلبلات . وصد اوليك الذين لم تكن توجد فيهم الصفات الضرورية من قداسة السيرة وحسن السمعة والتبهر فى العلوم عن الارتقا الي الدرجات المقدسة خاصة الدرجة الاسقفية * وقد تكلم عن الاحتراسات الواجب استعمالها في انتخاب خدام الانجيل قايلاً : « انه ان كان ينبغي ان يُبذل الحرص والاجتهاد « الكليان في ان لايوجد في كنيسة الله ادنى بلبلة او عدم نظام من قبيل اية وظيفة كانت « من وظايف الولاية الكنايسية . فكم يلزم ان يُستعمل اكثر احتراس وابلغ فحص واعظم « تدقيق واوفر درس في انتخاب ذاك الشخص الذي هو مزمع ان يتقدم على جميع الوظايف « ويتراس على الكل (اي الاسقف) * على انه يحدث عكس الترتيب ويبس النظام فيما « بين آل بيت الرب . ان كان لاتوجد في راس هذا البيت حتي ولا تلك الاشيا المطلوب « وجودها في الاعضا » *

عاشرًا فالقديس لاون فيما بين اهتماماته العظيمة في تدبير الكنيسة الجامعة الروحى لم يغفل عن اسعاف شعبه وكل بلاد ايطاليا فى الخير الزمني ايضًا . باتقاذه الشعوب من مصيبة عظمي كانت ازمعت ان تلم بهم * على ان اتيلا سلطان الاونيين كان اتى بعساكره القوية من بلاد فرنسا . واستولى على اكويليا وبافيا وميلان . مستعدًا للحضور الى باقي ايطاليا ورومية ايضًا ليفتك بشعوبها بقساوته البربرية من دون ان يستطيع احد يمانع قوته * ومن ثم كان الملك فالينتينانوس في مدينة رافينا ممتليًا من الخوف . لاسيما بعد ان كان ايتسيوس قايد الجيوش العام الشهير فيما بين القواد الرومانيين . اذ راى ذاته فارغًا من الاستحضارات الواجبة لمصافقة هذا العدو المقتدر اي اتيلا . قد ولي هاربًا * ففى ظرف هذه الضيقة العظيمة . ارتاى باصواب الملك فالينتينانوس مع ديوان المشيخة الرومانية في ان يتوجه الحبر الاعظم عينه صحبة قصاد من قبلهم ليتعاطوا الصلح مع اتيلا * فهذا القديس قد اعتصم بالرجا في المراحم الالهية وفى شفاعة القديسين الرسولين بطرس وبولس . وهكذا سافر من رومية وتلاقي مع اتيلا فى مدينة مانطوا . حيث قبل من هذا السلطان الامي بكل كرامة * فالقديس بمعونة الله وتاييد الرسولين المعظمين وبفصاحته ونوع تصرفه الحسن مع هذا البربرى . قد اقنعه بترك بلاد ايطاليا في سلامها . وعلى هذه

الصورة السعيدة فاز القديس منه بمطلوباته . وخلص الشعوب من ذلك البلا المخيف الذي كان عتيداً ان يحل بهم *

حادي عشر فلما رجع هذا القديس الي رومية لم يرتضِ بان تعمل له احتفالات ومدائح لاجل نجاز هذا العمل العجيب . بل الزم الشعوب باداء الشكر لله والقديسين هامتي الرسل . اللذين بعد الله كان واضعاً حسن اتكاله على شفاعتهما * ولهذا عين في كل سنة تذكاراً للخلاص المذكور برد الشكر للعزة الالهية في كنيسة القديس بطرس . حيث كانت تتقاطر الشعوب لاحتفال هذا التذكار الذى كان يكمل في جمعة عيد الرسل * ثم لما انه بعد ذلك ببعض سنوات بردت حرارة الشعب عن صنيع هذه العبادة اخذ الراعى القديس يشكو من ذلك قايلاً في احدى عظاتهِ على الشعب هكذا : « ان « فتور عبادتكم عن تذكار احسان الله وعن تقدمة الشكر له تعالى قد اوجب في قلبي الغم « العظيم . وجلعنى في خوف ليس بقليل * لان بذلك يوجد خطر فى ان نضحي « ناكرين جميل المحسن الينا . وهكذا لا نستشمر لذواتنا الخير من مواهبه » * ثم يقول بعد ذلك : « انه لامرٌ يوجب فيَّ الخجل من ان اقوله . ولكنني التزم بالاسكت عنه . وهو انه « تتقدم اعتبارات وتكريمات للشياطين (اي لجمعيات الرقص المشاعة فيما بين رجال « ونسا) اكثر مما يتقدم للرسولين . ويوجد تقاطر الناس الي الحضور في المراسح والملاعب « المشتهرة الفاقدة التعقل اوفر من المجي الى الاحتفالات بتذكارات الشهدا * ولكن ترى من « هو الذي حفظ هذه المدينة . ومن هو الذي انقذها من الاسر . ومن هو الذي حماها من « سفك الدما وضرب السيوف * فهل ان الذي صنع ذلك هو جمعيات الملاعب العديمة « الاحتشام . او بالحري القديسون بشفاعاتهم الحارة * اى نعم انه بتوسلاتهم قد هدّوا « غضب الله واستعطفوه بالرحمة . بعد ان كان هياء الانتقام . فارجعوا اذاً نحو الله ايها « الابنا الاعزا . وتاملوا واعرفوا الافعال العجيبة التي صنعها تعالى لخيرنا . وانسبوا للمراحم « الالهية الغير المتناهية خلاصكم وانقاذكم من الضربات . حيث انه عزَّ وجلَّ بقدرته « الضابطة الكل لين قلوب اوليك البرابرة الوحشيين الى الارتجاع عن عزمهم الردي *

ثاني عشر فتهديدات هذا القديس للشعب الروماني لم تكن من دون اساس . لانه فى سنة ٤٥٥ قد اتى جانساريكوس سلطان الفندالين ونهب مدينة رومية . واخذ عدداً

وافرًا من الاسارى * ولكن القديس لاون بذل كل غيرته بالتوسلات والاقناعات الى انه نال من هذا السلطان العفو عن ان يعذب الاغنيا ليعترفوا له اين كانوا اخفوا خزاين اموالهم . كما انه صيره ان يغير عزمه عن حريق المدينة وعن تعذيب الاسارى . وان يسمح لكل احدٍ بالامان على حياتهِ * غير ان الموجودات التي نهبتها العساكر لاسيما من الكنايس لم يرجعوها ولذلك التزم هذا الراعي في ان يعتني في تصليح احوال الكنايس والاكليروس ليس من دون صعوبات كثيرة * واخيرًا بعد ان امتلاء من الاستحقاقات امام الله والناس باعماله الفاضلة السامية . انتقل الى الحيوة الابدية ليتمتع بمكافاة هذه الاعمال الصالحة * وكان ذلك في ١١ ات ٣ سنة ٤٦١ والكنيسة اللاتينية تحتفل بتذكار نياحه المجيد في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان *

فلنسجد للعناية الالهية التي تهب الكنيسة الجامعة في حين احتياجاتها القصوى الانام المملوين من البر والقداسة والعلوم والصفات الرسولية . لكي يحاموا عنها ويعضدوها ضد اعدايها * فهذا هو مفعول وعد سيدنا يسوع المسيح العديم ان يكون كاذبًا . اذ انه تعالى ثبَّت كنيسته على صخرة اعتراف القديس بطرس وخلفايه . التي لا قوات الظلام . ولا سلطان الجحيم . ولا خباثة البشر ورداوتهم تقدر عليها * ولنشكره عزَّ وجلَّ من قبيل كونه جعلنا مولودين في حضن هذه الكنيسة الجامعة التي خارجا عنها لايوجد خلاص * ولكن فلنفكر في الوقت عينه بان الايمان من غير اعمال هو ميت كما يقول القديس يعقوب الرسول (ص ٢ ع ٢٩) . وبان حكومة الهلاك التي تبرز ضدنا نحن المسيحيين هي رهيبة وشديدة ومخيفة بمقدار عظمة الانعام التي نلناها في حضن هذه الكنيسة المقدسة . ان كنا لانستسير بحيوةٍ نوافق فضيلة الايمان وتعليم الانجيل . مقرنين الايمان بالاعمال الصالحة ليكون حيًا . وبواسطته نجوز الى امتلاك الحيوة الابدية المعدة لعاملى الصلاح *

* اليوم التاسع عشر *

* وفيه تذكار القديس ارشيبوس الرسول *

اولاً ان القديس ارشيبوس هو احد اوليك الرجال الرسوليين الجليلين . وكان تلميذًا خاصًا للاناء المصطفى رسول الامم . وقد عاني معه الاتعاب والانصاب في كرازة الانجيل واحتمل نظير الاخرين تلك الاضطهادات والمقاومات . ليس من اليهود والوثنيين فقط

بل من الاخوة الكذبة ايضاً * وقد بشر بالمسيح في بلدان وامكنة مختلفة . ولين لم تكن معروفة بتاكيد في التاريخ الكنايسي . ومثلها اعمالهُ الخصوصية التي بلا ريب كانت عظيمة لايقة بمن هو تلميذٌ للرسول الالهي *

ثانياً بل انما يوجد ذكر هذا القديس مسطراً اولاً في العدد السابع عشر من الاصحاح الرابع من رسالة القديس بولس الى اهل كولوصايص بهذه الكلمات وهي : « قولوا لارشيبوس تامل الخدمة التي اخذتها بالرب ان تتممها » * ثانياً في صدر رسالة هذا القديس الى تلميذه فيليمون بقوله : « من بولس اسير يسوع المسيح ومن تيموتاوس الاخ الى فيليمون حبيبنا وموازرنا والى انفيا الحبيبة وارشيبوس المتجند معنا » * فترى اي شي يعني القول عن الخدمة التي اخذها بالرب القديس ارشيبوس سوى ما توضحه لفظة : المتجند معنا : اى الخدمة الرسولية عينها والجندية لملك القوات في البشارة بالانجيل في كل العالم نظير الرسل القديسين انفسهم *

ثالثاً فامرٌ خالٍ من الشك هو ان القديس ارشيبوس ليس فقط تامل حسناً واجبات هذه الخدمة الرسولية وتممها بكل تدقيق . بل انه ايضاً اثبت حقيقة ما كرز به وصدق البشارة وحق التعليم الانجيلي باهراق دمه شهيداً في بلاد اسيا . نحو سنة ٦٠ للمسيح في زمن الاضطهاد المصنوع ضد المسيحيين من الملك الكلي القساوة نيرون قيصر . وهكذا فاز باكليل المجد من اليمين الضابطة الكل * واما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكاره المقدس في اليوم العشرين من شهر ادار *

ففي تذكرنا في سير الرجال الرسوليين يفيدنا ان نقرا الفاظ الاناء المصطفى هذه وهي « على حسب ظني ان الله اوضحنا نحن الرسل الاخرين كالمسوقين الى الموت لاننا صرنا مشهداً للعالم وللملكة وللناس * حتى الي الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونقرع ولا ثبوت لنا في مكان . ونتعب ونعمل بايدينا . نشتم فنبارك . نطرد فنحتمل يفترى علينا فنتفدي . وقد صرنا كنفايات العالم مطروحين تحت اقدام الكل » (قرنتية اولى ص ٤ ع ٩) * فهذا هو نوع حبوة الرسل على الارض وهو النموذج الحي الذي يجب علينا ان نقتفي اثره . ان كنا بالحقيقة متمسكين باقوالهم وتعاليمهم الانجيلية . ونريد ان نكون معهم شركا الملك السماوي *

* اليوم العشرون *

* وفيه تذكار القديس لاونديوس اسقف قطاني *

اولاً ان القديس لاونديوس اسقف قطانى هو من رجال جيل الكنيسة الثامن الشايع ذكرهم . كما يظهر من ايضاحات الكردينال بارونيوس على السنكسار الرومانى في اليوم الحاضر * فكان مولد هذا القديس في مدينة رافينا في بلاد ايطاليا من والدين شريفين وغنيين جداً فيما بين اكابر هذه المدينة . وقد حصل على تربية جيدة في الغاية . ودرس العلوم البشرية والكنايسية بنجاح كلى جداً قد اكتسب بهِ اسماً ذايعاً *

ثانياً غير ان الذى صير الجميع ان يعتبروه ويكرموه ويوقروهُ هو تقدمه في الفضايل وتاصله بها مع براعته الفايقة في العلوم حتى انه اضحى نموذجاً حياً لسيرة الكمال الانجيلى وتمثالا شهياً للاقتدا به وقانوناً لعمل البر والصلاح . الامر الذي اهله لان يمنحه الله موهبة صنيع العجايب * فقد أُختير من ثم الى الرتب والدرجات الكنايسية . ورُسم كاهنا على كنيسة رافينا عينها . واخيراً أُنتخب ورُسم اسقفا على مدينة قطانى في جزيرة سيشيليا * واذ تسلم تدبير تلك الرعية حيث ارتقى الى كاندراها كالسراج على المنارة . فاشرقت انوار تعاليمه ونباهته وغيرته وفصاحته مع لمبع فضايله السامية . ليس فقط لكل اوليك الذين كانوا في بيت الرب من الخراف الناطقة المستودعة لامانته بل ايضا في بيت الكنيسة الجامعة كلها وظهر بوقا مبكماً لارائقة عصره وشخذلاً لكبريايهم بقوة البراهين الفلسفية والسندات الراهنة ليس باقل مما افحمهم بقوة ايرادات الكتب الالهية *

ثالثاً ثم انها لظاهرة جداً فيما بين العجايب الاخر التى منحهُ الله ان يصنعها . هي تلك التى بها اهلك ايلودورون الساحر * لان هذا الضال كان يخدع الشعوب ويبهتهم باسحاره مدعياً بانهُ كان قادراً على كل شي . ولا يمكن ان يقوى عليهِ شى . حتى انه كان يتهاون بشدة لهيب النار داخلاً فيه * * فهذا القديس قد احرقهُ بالنار عينها . واباد ذكرهُ مع الدوى ولما بلغ صيت اعمال هذا الراعي الجليل الى الملكين لاون الرابع وقسطنطين الخامس قد دعياه اليهما والتمسا منه الصلوة من اجلهما * وبعد اقامته في القسطنطينية مدة من الزمان رجعاه الي ابرشيتهِ بكل كرامة واحترام * ولما بلغ الي رعيته لم يعش زمناً مستطيلاً بل انتقل الى الحيوة الابدية نحو سنة ٧٨٠ تاركاً للمومنين ذكر اعماله المقدسة نموذجاً وقانوناً

وقدوةً لاتباعها * واما نفسه البارة فقد ملكت مع المسيح في السعادة السماوية الى الابد *
فقد تم بالمنافق ايليودورون الساحر القول الالهي وهو : ان الخطية التي بها يخطي الانسان
فيها نفسها يُعاقب * فهذا الساحر الذي كان يستخدم دخوله في النار بقوة شيطانية ويخرج
منها طاغيًا للشعب . فبا لنار عينها قد اباده القديس لاونديوس معاقبًا بقدرة الله * ومالنا
ان نستشهد ما حدث لايليودورون . في الوقت الذي فيه العملية اليومية ترينا امام اعيننا
كثيرين من الخطاة ذوي الملكات الردية يُعاقبون بالخطايا انفسها التي يرتكبونها * فكم من
البخلا يصير البخل نفسه علةً لسلب اموالهم ولحصولهم في الفقر الكلي . وكم من الدنسين الزناة
يُعاقبون باثمار اثمهم عينه . وكم من الغضوبين تفعل فيهم سيات الغضب نفسه ما لا يفعل
سيف العدو بعدوه . وكم من الحنجرانيين والسكيرين يتكبدون نتايج هذه الرذيلة في ذواتهم
وكم من الحسودين يسقطون في الحفرة عينها التي يحتفرونها للمحسودين منهم وهلم جرًا *
فلنستفد اذًا مما عرفناه وشاهدناه انهُ حل بالغبر وعوقبوا بخطاياهم عينها . ولننتبه لذواتنا
ولا نورّط انفسنا بالتهلكة * فاي نعم ان اساس رجوعنا الى الله وابتعادنا عن المأثم يجب
الاَّ يكون خوفا من العقاب بل لمجرد حبنا لله ولحفظ ناموسه المقدس * ولكن مع ذلك
يفيدنا الخوف من العقاب متذكرين الفاظ الرسول الالهي القايل : « امر مخوف هو الوقوع
في يد الله الحي » (عبرانيين ص ١٠ ع ٣١) *

* اليوم الحادي والعشرون *

* وفيه تذكار القديس افسطاسيوس الانطاكي المسمى غلطًا *

* انسطاسيوس في الاور واوجيون * ثم البار تيموتاوس *

اولاً ان القديس افسطاسيوس المعظم فيما بين البطاركة القديسين الذين جلسوا في
السدة الانطاكية قد ازهر في اواخر الجيل الثالث وفي اوايل الجيل الرابع . وكان هو احد
اوليك الرعاة الاكثر اعتبارًا . الذين وجدوا في الكنيسة الجامعة في تلك الازمنة وافادوها
باشراق ضيا قداستهم وفضايلهم وتعاليمهم * فكان مولد القديس افسطاسيوس في مدينة
سيدا من اقليم بمفيليا . وبعد ان درس العلوم البشرية بنجاحٍ وجّه اهتمامه بنوع خاص في
درس تعاليم الديانة المسيحية . التي كان متمسكًا بها باشتهارٍ . ولين كانت وقتيذٍ محاربةً
باضطهاداتٍ قوية جدًا من الملوك الوثنيين * ولهذا قد حصل على الحظ السعيد في ان

يكون من عدد المعترفين . الذين من اجل الايمان بالمسيح وحبًا به تعالى تكبدوا الامتحانات والجلد والالام . ولذلك اكتسب تسمية : معترف : كما يدعوه القديس اثناسيوس الكبير وغيره * وحقيقة هذه التسمية اخذت حجة اقوى لاجل ما احتمله فيما بعد من اجل الايمان الكاثوليكي النيقاوى من الاضطهادات والمنافي . لحاماته الغير المغلوبة عن الوهية الكلمة الازلى ضد الارتقة الاريوسية * فصيت فضايله السامية وقداسة سيرته وعلومة العميقة قد جذبت سكان مدينة بيريا في اقليم سوريا (المدعوة الان حلب الشهبا) لان يختاروه عليهم راعيًا * واذ ارتسم بدرجة ملء رياسة الكهنوت قد تسلم سياسة شعب هذه المدينة بتعزية وفرح وافادة للرعية المذكورة . التى حصلت في شخصه على راعٍ كلي الغيرة على مجد الله الاعظم وخير الانفس المستودعة لتدبيره *

ثانيًا غير ان شعب هذه المدينة لم يمكنهم ان يتمتعوا بوجود راعيهم القديس سنين عديدة في مدينتهم راعيًا خاصًا لهم . وذلك لانه اذ فرغ الكرسى الانطاكي سنة ٣٢٢ بوفاة القديس فيلوغونيوس . فجميع اكليروس تلك المدينة راس بلاد المشرق وشعوبها ثم اساقفة البطريركية قد اتفقوا بصوتٍ واحدٍ على انتخاب القديس افسطاسيوس ۞ ولما لم تفده شيأ ممانعته بكل جهده عن قبول هذه الرفعة . قد التزم من قبل اتفاق راي جميع اساقفة هذه السدة على ان يرتضى بانتخابهم القانوني . ويباين مدينة بيريا . ويحضر الى انطاكية ويتسلم سياسة هذا الكرسى الجليل . المرتبطة بها وقتيذٍ بالضرورة اتعابٌ عظيمة واسهارٌ زايدة وعناية كلية . ليس لاجل التهذيب والارشادات والوعظ فقط بل للاهتمام في صد طاعون الارتقة الاريوسية ايضًا التي انتشت في تلك الازمنة وحصل لها تابعون كثيرون ۞ فهذا القديس مع تاييد العناية الالهية حفظ رعيته من دخول هذه العدوة المهلكة اليها . وعرف ان يكتسب الى الطريق المستقيمة اوليك الذين حادوا عنها . متمسكين في ليل الضلال الداجي * ولكن من حيث ان سم الارتقة الاريوسية سرى فى ابرشيات المشرق ضد اهتمامات هذا القديس واهتمامات امثاله من الرعاة الغيورين . فاحتاج الامر ضرورة الى انعقاد المجمع المسكونى النيقاوى الاول (الموردة منا خبريته باختصارٍ تحت اليوم السادس عشر من شهر تموز) بعناية الملك قسطنطين العظيم *

ثالثًا فالقديس افسطاسيوس مضي الى مدينة نيقية وكان هو احد ابا هذا السينودوس

المسكوني المقدس الاكثر اعتبارًا والاوفر تقدمًا . ليس فقط لحال كون كرسيه الانطاكي وقتيذٍ من بعد الروماني والاسكندري متقدمًا على جميع كراسي ابرشيات العالم باسره بل ايضًا وبنوع اخص لحال كونه مزينًا بقداسة سامية و بفضايل وصفات جليلة وبعلوم عميقة لاسيما لانه كان من المعترفين بالايمان بالمسيح في ازمنة الاضطهادات كما اشرنا انفًا ۞ فهو الذي افتتح المجمع المسكوني المذكور بالخطبة التي تلاها في مديح الملك قسطنطين . الذي كان حاضرًا اذ قدم له عن لسان ابا السينودوس كافة الشكر على عنايته التي اظهرها في محاماته عن الكنيسة الجامعة وتاييده الديانة المسيحية بغيرةٍ هكذا عظيمة * ثم اذ صارت التدابير الواجبة والفحص القانوني وحكم برذل الارتقة الاريوسية وحرمها مع تابعيها وتحدد ما يخص الاعتقاد الكاثوليكي . وأُبرزت الاوامر والقوانين الملاحظة التهذيب * ففي هذه الاهتمامات كان القديس افسطاسيوس من الاولين ومن اخص المعتنين بذلك نظرًا الى درجته ومقامه وغيرته وكفائته وفطنته * ثم بعد ان انتهى هذا المجمع المقدس العام . قد فوض القديس من الاباء جميعا بان يستعمل سلطانه في وضع التحديد والاوامر بالعمل في جميع المشرق . وهو قد تم ذلك بكل ما امكنه من العناية والاجتهاد والغيرة المتقدة لكي يعتنق الحق من الجميع ويتلاشي الضلال *

رابعًا فبمقدار ما ان هذا الراعي الجليل اكتسب لدى الله من الاستحقاقات لاعماله السامية في بيعته تعالي قبل انعقاد المجمع المسكوني وبعده . وبقدر ما أُعتبر وأُحترم من جميع الصلحاء في البشر محبي الحق . فبهذا المقدار اضحى مبغوضا ومكروها من الارتقة الاريوسيين الذين احتسبوه خصمهم الالدّ وعدو بدعتهم الاشد غيرةً في ملاشاتها * وهذه البغضة القتالة قد ازدادت فيهم بالاكثر حينما ليس فقط لم يرد هو ان يقبل فيما بين اكليروسه استفانوس ولاونسيوس الخصي وافدوكسيوس (الذين فيما بعد قاموا دخلا علي الكرسي الانطاكي نفسه) . ولا ان يقتبل في شركته اوسطاسيوس اسقف سبسطية وثاوضوسيوس اسقف طرابلوس وجاورجيوس اسقف اللاذقية المتشربين سم الارتقة المذكورة . بل ايضا لانه لم يخف من ان يقاوم ويوبخ بالصوت الحي في العظات وبالقلم في التاليفات اوسابيوس النيكوميدي وتياني النيقاوي وباطراوفيلوس الشيطوبولي وباولينوس الصوري واوسابيوس القيسري . الاساقفة الذين كانوا روس الحزب الاريوسي . والذين كان يتبعهم كثيرون

من الاساقفة . موضحًا لدي الجميع كيف كان هولاء اعداء لاستقامة الايمان ومخامرين على انكار الوهية كلمة الله . وكم كان يجب الاحتراس من غشوشهم وتصنعاتهم *

خامسا فبعد ان كان اريوس المبتدع الشقي مع اوسابيوس النيكوميدى وغيرهما أُرسلوا الى المنافي بامر قسطنطين الكبير لاصرارهم على الضلال . وفيما بعد قدموا توبةً مصنعةً . وهكذا نالوا السماح بالرجوع من المنفي . فاوسابيوس المذكور بواسطة خداعاته وخباثاته وحيله وتصنعاته قد عرف ان يكتسب لذاته ليس فقط رواقة خاطر الملك المذكور عليه بل ايضًا ان يحصل على اعتبار وافر عند هذا الافغوسطوس السليم القلب * واذ ذاك فقد اضمر مع احزابه على ان يوجه حربه المهلكة ضد القديس افسطاسيوس بموامرة سرية مع الضالين المومي اليهم * فقد تظاهر هذا الخبيث امام الملك بانه كان يتوق جدًا الى زيارة الاماكن المقدسة . وبان يشفي ظماء اشواقه بمشاهدة كنيسة القيامة العظيمة التى كانت وقتيذٍ تتشيد باوامره وبمصاريف خزنته الملوكية . ومن ثم قد نال من حلمه الافغوسطى الامر في ان يصنع هذا السفر هو وجميع ارفاقه على مصروف الخزنة المذكورة * فلما بلغ الى مدينة انطاكية . ذهب تحت برقع الصداقة الكاذبة لزيارة القديس افسطاسيوس الذي قبله بكل علامات الحب الاخوي الحقيقي . وقدم له احتراما واعتبارًا وافرين من قلب ملتهب بالحب نحو معانقة الراجعين الي الله بالتوبة * فاذ خرج اوسابيوس ومضي الى بلاد فلسطين قد دعا اليه الاساقفة روس الضلال الاريوسى واتفقوا سرًا فيما بينهم على ان يشينوا سمعة القديس افسطاسيوس ويجنوا في عزلهِ عن كرسيه * وبعد ان استمر اوسابيوس مدةً من الزمن في اورشليم . رجع الى انطاكية مصحوبا من جميع الاساقفة المومى اليهم . تحت حجة انهم اذ اعتبروه بمنزلة قاصد الملك قسطنطين الذى على مصاريف خزنته صنع هذا السفر . فكرامةً لشان مقامه رافقوه لحد انطاكية *

سادسًا ثم من حيث انهُ في حصول اوسابيوس ورفقاه الاساقفة في انطاكية كان موجودًا هناك البعض من الاساقفة الكاثوليكيين . فالتيموا جملةً صانعين مجمعا اقليميا حيث لم يستصعب القديس افسطاسيوس من ان يحضر اليهِ ويتراس عليه . ولين لم يكن هو قبلا نادي به . وبالتالي كان يحق له ان يشكو بعدلٍ من التعدى الذى حدث بذلك على سلطانه البطريركي * واما الاساقفة الكاثوليكيون الاخرون الذين وجدوا في هذا المجمع .

فلم يكن لهم اطلاع بالكلية على المؤامرة السرية والاتفاق الخبيث الذى فيما بين اوسابيوس وحزبه ضد الراعي القديس * فاذ كان عدد من الشعب والاكليريكيين حاضرًا في مكان الاجتماع . قيل لهم ان ينصرفوا من هناك . لان ابا المجمع كان لهم احتياج للتكلم فى قضايا كنايسية وفي تحديدها خارجًا عن حضور غيرهم . ولكن القصد كان بذلك لبلوغ الامر المتفق عليه من دون ان ينكشف كذبه امام الشعب * فالاريوسيون ادخلوا الي ديوان المجمع امراةً من النسا الاثيات التي كانوا ارشوها بمبلغ دراهم وافر جدًا . مغرين اياها على ان تلبث ثابتةً على ما ياتي ذكره * وهو انها كانت حاملة علي ذراعيها طفلاً رضيعًا فشرعت تتوسل الي ابا المجمع بان يسمحوا لها باستماعهم منها ما حضرت في شان اعراضه لديهم . فحينما آذنوا لها بذلك . دخلت وانطرحت على اقدامهم متضرعةً في ان ينصفوها من افسطاسيوس الذي كان اغراها مجتذبًا اياها الى فعل الزنا معه ومنه قد حبلت فولدت ذلك الطفل الذي كانت حاملته . وانه بعد ان اوصلها الى تلك الحال . قد اظهر نحوها قساوة قلب شديدة وظلمًا غير محتمل برفضه ان يدفع لها ما به تحصل على القوت الضرورى لقيام حياتها وحيوة الطفل الذى ترضعه * وقد عرفت هذه الخبيثة ان تضيف الى ادعاها هذا النفاقي هطل الدموع السخينة ببكاء مرّ وصراخ يظهر انه كان صادرًا عن قلبٍ وجيع جدًا من هذه المصيبة التى المت بها ومن ظلم البطريرك اياها بذاك النوع *

سابعًا فالاساقفة الاريوسيون عند استماع هذه الدعوى . اظهروا على ذواتهم الانذهال الكلي والشفقة على امراةٍ مسكينة هذه صفتها . والتفتوا نحو القديس افسطاسيوس قايلين له انه اذ كان ذنبٌ كذا معيبًا بهذا المقدار لدرجة الكهنوت ومهينا بنوعٍ فايق لسمو الرياسة والمقام البطريركي فيلزمه ضرورةً ان ينقي ذاته منه * فالراعي القديس الذي ضميره لم يكن يوبخه من هذا القبيل او غيره بتةً لبرارته امام الله لم يضطرب من هذا الادعا والاتهام الفظيع على الاطلاق بل بوجهٍ صاحٍ وروحٍ هادٍ التفت نحو تلك الامراة الوقحة الفاجرة قايلاً لها انه اى برهانٍ كان يمكنها ان تقدمه على اثبات ادعاها هذا الكاذب الذي هو ينكره بالكلية اما هي فاجابت بانه اذ كان حدوث هذا الامر قد تم تحت السر الكلي فلم يكن عندها من يشهد على صحته بل يكفيها ان توكد ذلك بابراز القسم على حقيقة ما كانت تقوله . كما انها تممت ذلك بوقاحةٍ واقسمت حالفةً بان ذاك الطفل الذي كان على

ذراعيها كانت حبلت به وولدته من افسطاسيوس . فحينئذٍ اوسابيوس النيكوميدي مع الاساقفة الاريوسيين الذين كانوا يولفون اكثر اصوات تلك الجمعية قد تظاهروا بالغيرة على حفظ سمعة الاكليروس . ومن دون التفاتٍ الى ما كان يبرر به ذاته القديس افسطاسيوس من هذه التهمة . قد تجاسروا على ان يحكموا بعزله وانحطاطه عن المقام البطريركي ❋

ثامنًا اما الاساقفة الكاثوليكيون فاعلنوا حالاً ظلم هذه الحكومة ومخالفتها من كل الجهات للقوانين المقدسة . واوضحوا في المجمع ذاته كيف ان الشريعة الالهية تطلب لابراز اية حكومة قضوية كانت اثباتها على فم شاهدين او ثلثة . وان القديس بولس الرسول ينهي عن قبول سعايةٍ على قسيس الم تكن بحضر شاهدين قلمًا يكون * ولكن الاساقفة الاريوسيون ذووا الاصوات الاكثر لم يعطوا اصغاء الى شي من ذلك . بل ارادوا بكل الوجوه ان يجموا حكومتهم هذه الظالمة بعزل الراعي القديس عن كرسيه * واما هذا البار فبصبرٍ تام وبكل هدوٍ واحتمال قد تكبد تلك الحكومة الباطلة . الحاوية شناعة الصيت والظلم الواضح من كل جهاتها ❋

تاسعًا فالاساقفة المستقيمو الايمان لم يرتضوا بتةً بان البطريرك القديس يعبا بهذا الحكم المضاد القوانين والشرايع . وبابلغ من ذلك الاكليروس الانطاكي لاسيما الشعب الذين اذ عرفوا هذا الحادث . قد تحركت فيهم الغيرة الشديدة بالمحاماة عن راعيهم البار . حتي ان المادة اتصلت الى نقل الاسلحة * ولقد كانت بلغت القضية الى قتل اوليك القضاة الظلمة . لولا تمنع ذلك قوة العساكر واجتهاد اصحاب الوظايف الملوكية * اما الاساقفة الاريوسيون فحينما راوا مقاومة الشعب بهذا النوع لاتمام ما حكموا به . لم يتاخروا عن الذهاب لدى الملك قسطنطين . محققين له ان الذنب الذي من اجله عزل البطريرك افسطاسيوس كان ثابتا لا ريب فيه . وانه هواي افسطاسيوس . كان علة السجس في الشعب وتحريكه اياه على صنيع الرهج والبلبلة كي يحمي ذاته من اتمام ما حكم عليه به ويستمر ثابتًا في كرسيه البطريركي المعزول عنه ❋

عاشرًا فالملك قد طلب القديس افسطاسيوس احضارًا الى القسطنطينية . اما الراعي البار فلين كان لحظ بكفايةٍ ان اعداه كانوا سبقوا واوعبوا قلب هذا الملك الخالي من الغش

اشيا كثيرة ضده بنوع انه لم يُعد يومل اصلاحه . فمع ذلك قد اطاع حالاً وذهب الي البلاط الملوكي * ولكن قبل سفره من انطاكية . جمع الشعب وصنع لهم خطبةً مستطيلةً محرضًا اياهم على حفظ وديعة الايمان الكاثوليكي غير منثلمة . وموصيا اياهم بالا يشاركوا الارائقة الاريوسيين في الالهيات مطلقًا فوصيته هذه قد اثرت في قلوب رعيته بهذا المقدار حتى ان الاكثرين منهم فيما بعد لم يطاوعوا بوجهٍ من الوجوه على مشاركة الدخلا الاريوسيين . حتى ولاان يقتبلوا شركة كل من طغي وخدع في مشاركتهم * بل كانوا يلتيمون في امكنة خصوصية مع الكهنة الكاثوليكيين . ويحتفلون بخدمة الاسرار المقدسة ومن ثم دعوا افسطاسيين نسبةً لاسم راعيهم هذا القديس . الذي لم يحيدوا عن ايمانه ولم يقروا بحقيقة عزله الظالم عن كرسيه *

حادى عشر ثم ان الذي سبق هذا القديس ولحظه عن الملك قسطنطين قد كمل بالفعل . لانه بعد سفره من انطاكية الي البلاط الملوكي وحصول الهدو فيما بين الشعب من قبل المعتمد الذي حضر الى هناك مرسلا من الملك لهذه الغاية . فالقديس لم يمكنه ان يزيل من عقل قسطنطين ما كان يجنه فيه قبلا اعداوه حتى انهم اتصلوا الى ان يتهموه لدى الملك في انه تكلم بالافترا على شخص والدته القديسة هيلانه فلهذا قد أُرسل منفيًا الي بلاد تراكيا . الامر الذي اقتبله هذا البار بصبرٍ عجيب وبتسليم تام للارادة الالهية * فقد اختلفت اراء المورخين في المكان الحقيقي الذي اليهِ نفي القديس افسطاسيوس لان البعض ارتاوا بانه نفي الى مدينة ترايانوبولي من اقليم تراكيا كما ذكرنا . واخرين اوردوا انه ارسل الى احدي مدن الليريكو . وغيرهم الذين هم اصحاب الراي الاكثر عموما قد حققوا انه نفي الى مدينة فيلبي في اقليم مكدونيا * وربما ان الذي اوجب اختلاف هذا الراي هو ان هذا القديس في زمن نفيهِ قد انتقل من محلٍ الي اخر من الامكنة المذكورة . او بالحرى لسبب ان وفاته المقدسة قد تمت من دون ريب في مدينة فيلبي التي هي عند حدود مكدونيا المجاورة تراكيا . وان مكدونيا قد حُسبت من ابرشية الليريكو * وقد كان نياح هذا الراعي البار نحو سنة ٣٢٨ . بعد احتماله اثقال المنافي المرَّة مدةً مستطيلةً اما الكنيسة اللاتينية فتحتفل بتذكار رقاده المجيد في اليوم السادس عشر من شهر تموز *

ثانى عشر غير ان الباري تعالى اراد ان يظهر لدى العالم ولو كان بعد زمنٍ ليس

بوجيز بطلان التهمة التي بها تكدر رونق بهاء صيت صفيه البار وهكذا تعود البرارة غير مظلومة * على ان تلك الامراة الاثيمة التي اشتكت عليهِ بالتهمة الكاذبة . قد انطرحت بمرضٍ شنيع ثقيل كان يعذبها بشدةٍ . ليس باقل مما كانت دودة ضميرها تقلقها على الدوام كجلادٍ قاسٍ فمن ثم قبل ان تدنو من الموت . قد توسلت بواسطة البعض من معارفها الى الكهنة ان ياتوا اليها ليفتقدوها * واذ حضروا عندها . قد اعترفت مشتهرًا امامهم بانها كانت أُغريت من الاريوسيين بالبرطيل بمبلغ وافر من الدراهم على ان تفعل ما صنعته باتهامها القديس افسطاسيوس بالزنا معها كذبًا . وانهم اقنعوها بان القسم الذي كان يلزمها ان تبرزه في المجمع لم يكن حلفًا كاذبًا او باطلاً . من حيث انها كانت بالحقيقة ولدت ذلك الطفل الذي كان على ساعديها من رجلٍ نحاس كان اسمه افسطاسيوس وانها لاجل ذلك حينما حلفت لم تقل سوى انها ولدت الطفل من افسطاسيوس . من دون ان تصفه بصفة اسقفٍ * فبهذا النوع قد اتضحت بالاكثر لدى الجميع برارة القديس من تلك التهمة ❋

فمن تراه يمكن ان يصدق بان طهارةً سامية وقداسةً شهيرةً وسيرةً فاضلةً . نظير ما كان حاويًا القديس افسطاسيوس . يتفق ان تشاب وتسود بتهمةٍ هكذا فظيعةٍ ومهينة ودنسة * ولكن قد تحققنا ان امرًا مثل هذا قد كمل بالعمل من البشر الاردیا القاصدين انلاف شان اصفيا الله وعكس سمعتهم الصالحة فلا يجب اذًا ان ننذهل حينما نشاهد الانام الفضلا في ازمنتنا بعض الاحيان متهمين مظلومين مضطهدين من الاشرار * لانه من جهةٍ اولي لايترك العدو الجهنمي من جده جهدًا في ان يظلم ضياء صيت الابرار ويفقدهم الاعتبار لدى اعين الناس ليلا يستفيدوا من نموذجاتهم الصالحة . ومن جهةٍ ثانية ان الله نفسه يسمح بعض الاوقات ان تحدث لعبيده الامنا هذه التجارب ليمتحن بها برارتهم ولكي تبلغ فيهم فضيلتا الاتضاع والصبر الى درجة الكمال * وهكذا يكونون شبيهين براس المنتخبين ونموذج القداسة . الذي فيما بين الشتايم التي أُهين بها والتهم والتجاديف التي احتملها من اعدائهِ مات مصلوبًا على خشبةٍ ❋

❋ مختصر سيرة ابينا البار تيموتاوس ❋

اولا اننا نورد اخص سيرة حيوة ابينا البار تيموتاوس الملقب يونانيًا : السيمبوليوس :

فنقول انه قد اختلفت اراء الكتبة الكنايسيين نظرًا الى المكان والزمان اللذين فيهما عاش ناسكا هذا البار . لانه توجد امكنة عديدة في اقاليم مختلفة تحت تسمية سيبوليوس التي منها اتخذ القديس المذكور لقبه . لاسيما في اقليم طاوريكوس كارونازه * غير انه يُظن بالصواب من المورخ ساواريوس ان هذا السيمبوليوس المنتسب اليه البار تيموتاوس كان في جبل اوليمبوس في بلاد اليونانيين وان هذا القديس كان تلميذًا للانبا ثاوكتيسطوس هناك *

ثانيًا فسندًا اذًا على راي هذا المورخ قد عرف المكان الذي نسك فيهِ البار تيموتاوس المذكور اي في جبل اوليمبوس . كما انهُ عرف ايضًا الزمان الذى وجد فيهِ وهو الجيل الثامن * لان الانبا ثاوكتيسطوس كان عايشًا في ولاية الملك قسطنطين الزبلي الاسم الذى تملك من سنة ٧٤١ الى سنة ٧٧٥ ثم مما مدح بهِ البار تيموتاوس من بعض الكتبة المعتبرين تظهر كيفية حياته بوجه الاختصار وهي اولاً انه منذ نعومة اظفاره كان محبًا للفضيلة مميتًا حواسه والامه قبل تمردها عليه . ثانيًا انه كان حدث السن حينما اهمل العالم بما فيه واعتنق السيرة الملايكية بالنسك وحفظ القانون الرهباني : ثالثًا انهُ كان قنوعًا صموتًا حارًا في الصلوات مواظبًا على التاملات الروحية منتصرًا على كل الم نفساني ناميًا يومًا فيومًا في الفضايل السامية حتى انه اضحى هيكلاً حيًا للروح القدس الذي سكن فيه وقدسه بالروح والجسد . رابعًا انه بهذا المقدار كان يغار على حفظ كنز الطهارة وذخيرة العفة التي لا ثمن يوازيها . حتي انه كان على الدوام يغلق طاقتي نفسه وجسده محترسًا من ان ينظر الى وجه امراةٍ ما . فضلاً عن ان يكلمها او يسمح بدنوها من قلايته . خامسًا انه كان اعتياديًا يقطن في الجبال ليكون بعيدًا عن كل احدٍ *

ثالثًا فهذه الصفات الجليلة والفضايل السامية قد اهلته لان يخصصه الله بموهبة صنيع العجايب باشفا الامراض العضالة وباخراج الشياطين وبافعال أُخر عظيمة . وهذه وتلك قد صيرت اسمه مكرمًا وصيته شايعًا وذكره ممدوحًا من البيعة الجامعة . وان يحصي في عدد الابرار القديسين كما استحقته حياته الطاهرة المقدسة وموته الكريم لدى الرب الذي الان يشاهده هذا البار وجهًا بازاء وجهٍ متمتعًا بنعيمهِ الالهي ومالكًا معه في سعادته المغبوطة الي الابد *

* اليوم الثاني والعشرون *

* وفيه تذكار وجود اعضا الشهدا القديسين المكرمة التى *

* صودفت في اماكن افجانيوس *

اولاً ان وجود اعضا الشهدا القديسين التى صودفت في اماكن افجانيوس في المدينة المتملكة القسطنطينية قد حدث في مبادى تملك اركاديوس افغوسطوس ابن ثاوضوسيوس الكبير . وذلك سنة ٣٩٦ . وكان بطريركاً في الكرسى القسطنطيني حين وجود هذه الاعضا كيريوتوما المغبوط وكان ظهور الذخاير المذكورة على النوع الاتي ايراده *

ثانياً ففي المحل المدعو اماكن افجانيوس ضمن المدينة المتملكة . اذ كانت تباشر عملية بعض حفاير لاجل العمار فقد صودفت مدفونة هناك كمية وافرة من الاعضا . ومن ثم اخبر بذلك حالا البطريرك المذكور الذي قد تحقق انها كانت ذخاير مقدسة وذلك من قبل ان كثيرين من المرضي المسقومين بادواء امراض عضالة عديمة البرء قد شفوا بلمسهم تلك الاعضا المقدسة * ولهذا قد نقلها الراعي المشار اليه باحتفال وبحسن تدين ووضعها في المعبد الالهي . وكانت تكرّم من المومنين بعبادةٍ تقوية لاجل كثرة العجايب التى صنعها الله بواسطتها *

ثالثاً فقد مضي زمنٌ مديد فيه كانت تحترم تلك الذخاير بحسن ديانةٍ من دون ان تعرف اسما القديسين الذين كانت هي اعضايهم غير انه قد حصل فيما بعد احد الاكليروس الذى هو البار نيقولاوس الكاتب الكنايسى على رويا سماوية منها تحقق انه كانت توجد فيما بين هذه الذخاير الكريمة اعضا القديسين الرسولين اندرونيكوس ويونيا المدوّن منا مختصر سيرة حياتهما في ١٥ ايار اللذين كتب عنهما الرسول الالهي في العدد السابع من الاصحاح السادس عشر من رسالتهِ الي الرومانيين هذه الالفاظ قايلا : « قبلوا اندرونيكوس ويونيا نسيبيَّ والمستاسرين معي . اللذين هما في الرسل جايلان الصايرين في المسيح قبلى » * فلاجل جميع ما تقدم ذكره قد رتبت الكنيسة المقدسة بكل لياقةٍ في اليوم الحاضر تذكار ظهور هذه الاعضا الشريفة مكرمةً بحسن عبادةٍ هولا القديسين الشهدا المعظمين لتستمد للمومنين بطلباتهم لدى الله عظيم الرحمة *

فامر لا ريب فيهِ هو ان القديسين المتمتعة انفسهم بالمشاهدة الالهية في السما والمشتركين

بسعادة الله الطوباوية لايهتمون اصلاً في اعضايهم وفضلات اجسادهم الباقية في الارض سواء كانت مدفونة منسيةً مهملةً او كانت معروفةً مكرمةً مصمودةً في الكنايس والمعابد الالهية . اذ ان الكرامة البشرية لايعتدونها بشى منذ كانوا عايشين على الارض * غير ان الله لاجل خير مومنيه الروحي يرتضي بان يظهر للناس تلك الاعضا الطاهرة المنسية والمهملة في الارض . ويحقق لهم صدقها بافتعال العجايب ايضاً . لكي يكتسبوا لذواتهم الافادة الروحية * اولا بافعال الديانة وواجبات العبادة التي يقدمونها لتلك الاعضا المقدسة . عابدين بذلك الله عينه الذي شرف القديسين بمواهبه وانعامه الالهية ومكرمين خلانه تعالي انفسهم لاجله عز وجل . ثانيًا لكي نتذكر اعمالهم الفاضلة واتعابهم الرسولية وجهاداتهم المقدسة ونقتفي بها تابعين اثر خطواتهم . ثالثا لكي نتخذهم وسطا وشفعا بنا لدى العرش الالهي كي يستمدوا لنا من جوده جلت خيريته الغير المتناهية تلك النعم الضرورية لخلاصنا الابدي ❋

رابعًا لكي تكون لنا هذه الذخاير المقدسة حياطةً وحراسة لانفسنا فيما بين المخاطر الملمة بنا من كل ناحية * فلنوافق اذاً غايات الله هذه المقصود بها خيرنا فى تكريمنا اعضا القديسين حتي يمكننا يومًا ما ان نصير شركا سعادتهم الابدية في السماوات ❋

❋ اليوم الثالث والعشرون ❋

❋ وفيه تذكار القديس الشهيد فى الكهنة بوليكربوس ❋

❋ اسقف زمرنى ❋

اولاً ان القديس بوليكربوس كان اعتنق الايمان بالمسيح منذ صبوته . وحصل على الحظ السعيد وهو انه ارتشد بهذه الامانة الالهية من الرسل القديسين انفسهم . خاصةً من القديس يوحنا الانجيلي الذي رسمه بالدرجات المقدسة كافةً واقامه اسقفًا على مدينة زمرنى (المدعوة الان عمومًا مدينة ازمير) * وامر حقيقي هو انه نحو هذا القديس اي بوليكربوس قد اتجهت كلمات يسوع المسيح المحررة في سفر الرويا وهي هذه : «اكتب الى ملاك كنيسة «زمرنى ان هذا ما يقوله الاول والاخر الذي صار ميتًا وعاش . اني اعرف ضيقتك «ومسكنتك . ولكن انت غنى ويجدفون عليك الذين يقولون انهم يهود وليس هم يهودًا «بل هم مجمع الشيطان * لاتخف شيًا من الالام التى تاتي عليك . هوذا الشيطان سوف

« يلقي قوما منكم في السجن ليجربكم وتضيقون عشرة ايام فكن امينًا حتى الموت . واما اعطيك اكليل الحيوة » (رويا ص ٢ ع ٨) * فهذا المديح المعطي من الحق نفسه للقديس بوليكربوس هو مجد عظيم له . وفي الوقت عينه يوضح كم كانت فضايله سامية * فقد دبر رعية زمرني مدة نحو سبعين سنة . وكان معتبرًا بمنزلة ريس لاساقفة اسيا الصغرى كافة واما المومنون فكانوا يحترمونه بعبادة كلية . وكل منهم كان يشتهي ان يصيب فرصة يخدمه بها او قلما يكون ان يحصل على لمس طرف اثوابه * فالقديس ايريناوس اسقف مدينة ليون الذي كان تلميذًا لهذا القديس يتكلم عنه هكذا قايلاً : « انه الى الان لم يزل مسمرًا في مخيلتي نوع الاحتشام والرصانة التي كان متصفًا بها مع احترام هيئته ووقار طلعته وقداسة سيرته . وتلك الارشادات الالهية التي كان يعلمها لرعيته . وابلغ من ذلك كاني اسمع حتى الان الفاظه التي بها كان يخبر مفصلاً عن المخاطبات التي حدثت فيما بينه وبين القديس يوحنا الانجيلي وغيره من القديسين الذين شاهدوا يسوع المسيح على الارض وترددوا معه . وعن الحقايق التي اخذها عنهم وتعلمها منهم . نظرًا الى كرز مخلصنا الالهي وتعاليمه وعجايبه . الامر المطابق لما يذكره الكتاب المقدس . بل ولا يمكن ان يكون بخلاف ذلك من حيث انه صادر من ينبوع هو هو عينه . اي من كلمة الحيوة الابدية » * ثم ان غيرة القديس بوليكربوس على حفظ نقاوة التعليم الانجيلي كانت بهذا المقدار متقدة . حتى انه حينما كان يتفق له ان يسمع بعض كلمات مضادة تلك الحقايق كان يسد اذنيه ويسرع من ذلك المكان قايلاً : « اواه يا الهي الصالح على تعاسة الزمان الذي حفظتني اليه » * حسبما يقرر ذلك القديس ايريناوس نفسه *

ثانيًا فابرشية زمرني قد تمتعت تحت سياسة هذا الراعي الجليل بالسلام والهدو مدة من الزمان في الوقت نفسه الذي فيه في زمن ولاية ترايانوس قيصر كانت الاقاليم الاخر متكبدة مفاعيل نيران الاضطهادات * وكنيسة انطاكية قد صودفت سنة ١٠٢ فاقدة راعيها القديس اغناتيوس المتوشح بالله . الذي كان أُخرج منها مقيدًا بالسلاسل مرسلاً الي رومية ليطرح للوحوش بامر الملك المذكور * ففي اجتيازه من على مدينة زمرنى قد نزل في محل القديس بوليكربوس صديقه المحبوب منه جدًا * الذي مع رعيته قبلوا سلاسل هذا الشهيد الرسولى وقاموا بخدمته الاحترامية . كما ذكرنا تحت اليوم العشرين من شهر

كانون الاول في سيرة الشهيد عينه . الذي مجّد الله على ما شاهده من القداسة والتقوي في الراعى والرعية المومي اليهما * وحينما بلغ الى تروادا حرر لهما رسالتين . ومن مدينة فيلبي كتب رسالةً ثالثة لهذا القديس . الذى حفظ تلك الرسالات مع الرسايل الاخر التي حررها الشهيد في مسافة سفره المنوه عنه . ورافقها برسالةٍ منه مملوة من الروح الرسولى ومن الارشادات المقدسة للمومنين جميعًا *

ثالثًا فنحو سنة ١٥٧ بعد ان كان القديس بوليكربوس ساس رعيته مدة ما ينيف عن ستين سنة . قد سافر من زمرني الي رومية لينهي مع الحبر الاعظم القديس انيكانوس بعض قضايا تخص الديانة * فهذا الحبر قد اظهر نحو القديس اعتبارًا ساميا . وقدمه على ذاته في خدمة الاسرار الالهية التى كملها القديس بحضوره . مع انه كان حدث فيما بينهما خلف وعدم اتفاق في مادة تعييد عيد الفصح المجيد * وقد صودفت مدة اقامة هذا القديس في رومية مفيدةً جدًا لارتداد عدد وافر من الارائفة الى وحدة الايمان الكاثوليكي بواسطة ارتشادهم من رجلٍ هكذا متقدم في الدرجة الاسقفية ومتعلم من الرسل القديسين انفسهم * ثم بعد ان رجع الى زمرنى لبث مواظبًا على اتمام ما كان متعلقًا بوظيفته الرعائية . لاسيما توزيع كلام الله على خرافه . ولين كان وقتيذٍ متقدمًا جدًا في سن الشيخوخة * وقد استمر علي هذه الصورة الى حينما اراد الباري تعالى ان يكلل اتعابه واعراقه الرسولية بتاج الشهادة بسفك دمه من اجل الايمان بالمسيح . الامر الذي تم سنة ١٦٦ في زمن تملك مرقس اوريليوس قيصر تحت ولاية سطاتسيوس كودراته قنصل اقاليم الاسيا *

رابعًا علي انه حينما احتمل عذابات الاستشهاد فى مدينة زمرنى القديس جرمانيكوس مع رفقايه الشهدا . فشعب المدينة الوثنيون عند ما شاهدوا شجاعة هولا الشهدا واحتقارهم لالهة المملكة . اخذوا يصرخون فى مكان اجتماعهم العام هكذا : « فليبد المنافقون . وليقبض علي بوليكربوس » * فهذا القديس حينما بلغه ذلك لم يجزع اصلاً . ولكان لبث في محله من دون حركةٍ لولا ان المومنين يغتصبونه على نوعٍ ما بالاختفا * فمن ثم قد اختبأ في احد بيوت الكروم خارج المدينة . حيث مكث مدة بعض ايامٍ مواظبا حسب عادته علي التضرعات لله نهارًا وليلاً من اجل الكنايس كلها * ثم قبل استشهاده بثلثة ايامٍ قد حصل علي رويا سماوية . وهى انه شاهد الوسادة التي كانت تحت راسه قد

طُرحت في لهيب النار المتقدة . ولذلك قد عرف ان نوع استشهاده كان عتيداً ان يتم بطرحه حيًا في النار . فالوثنيون ما برحوا من ان يفتشوا على القديس ليمسكوه ويطرحوه للوحوش قبل ان ينتهي العيد العام الذي كانوا محتفلين بهِ وقتيذٍ في ايام معينة * اما القديس فلاجل توسلات المومنين قد انتقل من ذلك البيت ليذهب الى محلٍ اخر سري . ولكن حال خروجه من هناك قد وصل جنود الوالي الى البيت . واذ لم يجدوا القديس فقبضوا على اثنين من خدامه ووضعوهما تحت العذابات * فاحدهما اذ غلب من شدة التعذيب قد اخبر عن المكان الذي ذهب اليه معلمه القديس . ولهذا مضت خدام الشريعة تلك الليلة عينها الى المحل المومي اليه ليمسكوا هذا الراعي . وكان ذلك اليوم يوم جمعةٍ *

خامساً فالبعض من سكان المحل اخبروا القديس بقرب وصول خدام الشريعة ليهرب من هناك ايضا * اما هو فاجابهم قايلاً : « لتكن مشية الله » * وهكذا خرج للاقاة الاثنين لمسكه * الذين حينما شاهدوا شيخوخته المهابة وطلعته المحترمة . حصلوا على غمٍ من كونه فوض اليهم هذا الامر المنافي روح الانسانية * فالقديس قد رحب بهم وصيّر ان توضع امامهم مايدة مواكيل ومشارب بسخاء . وتوسل اليهم في ان يسمحوا له بان يصلي بحريةٍ برهةً ولما نال هذا السماح اصرف مدة ساعتين منتصبا على قدميه . متوسلاً لله بصلواتٍ حارة اذهلت الناظرين * وبعد ذلك خرج مع خدام الشريعة الذين ركبوه جحشا راجعين بهِ الى المدينة * ففي مسافة الطريق تصادف مع هذا القديس هيرودس رييس خدام الشريعة المختص بوظيفته حفظ سلام الشعب . فهذا مع ابيه نيكيطا صير القديس ان ينزل عن الجحش ويصعد فيجلس معهما في مركبتهما . واخذا يحتالان في اقناعه بان يرتضي في ان يدعو قيصر سيداً ويقرّب الضحية لكي يحفظ حياته من الموت المهين * فالقديس اجابهما قايلاً * « انني لا استطيع ان اصنع ما تقدمان لي به مشورتكما . وهكذا لا السجن ولا الجوع ولا اي صنف اخر كان من العذابات حتى ولا الموت نفسه يمكن ان يصيرني ان اكمل مطلوبكما فعندما سمع منه هذان الكافران الجواب المذكور . قد امتلاءا منه غيظا وعاملاه باهاناتٍ وشتايم وافرة حتى انهما طرحاه من مركبتهما بعنفٍ * فسقط على الارض وانصدعت قصبة رجله صدعةً قوية . ولكن مع ذلك لم يشكُ او ينغم . بل انه بعد ان وُضع من جديد

راكبا على الجحش اكمل مسيره بوجه باش متهللاً حتى بلغ الي المكان المعد لقتله * فحالما دخل اليهِ سمع هو وكثيرون من المسيحيين صوتا سماويا يقول له: «تشجع يا بوليكربوس وكن ثابتا» *

سادساً اما القنصل كوادرانه فحينما مثل القديس امامه ساله عن اسمه وديانته ووظيفته ثم قال له: «انه يلزمك ان تتامل في كونك شيخاً كثير السنين. فاذا لم تجد اسباباً كافية «لاقناعك بالطاعة للاوامر الملوكية. فقلما يكون يجب ان تفكر بانك لا تستطيع من قبل «الشيخوخة ان تحتمل العذابات المعدة لك التي الشبان الاقويا انفسهم لا يقدرون ان «يثبتوا بازائها * فاحلف اذاً بجيوة قيصر وبسعادته وقل انت ايضاً: فليبد المنافقون» * فالقديس بوليكربوس التفت الى اوليك الشعوب الوثنيين الذين اجتمعوا في ساحة المراسح. وتنهد من اعماق الروح. وهتف بصوتٍ مرتجف قايلاً: «فليبد المنافقون» * واعني بذلك ان يرتدوا الي الايمان بالمسيح. او بالحري اشار عن الانتقام والهلاك المعد للمنافقين المصرين على الضلال * فالمغتصب من دون ان يميز معنى كلام الشهيد. (اذ انه اى الوالي كان يفهم بالمنافقين المسيحيين. والقديس اعني بذلك عن الوثنيين). فقد ظن بذاتهِ انه حصل علي مكسبٍ ما * فقال للشهيد: «فاحلف الان بسعادة قيصر. «والعن المسيح وانا حالاً اطلقك سالما» * فاجابه القديس قايلاً: «انه قد مضي عليَّ ثمانون «سنة اخدم فيها يسوع المسيح. الذي قط ما فعل معي شراً. بل بالحرى كل يوم كنت «اقتبل منه نعما جديدة * فكيف اذاً يمكنني ان اقول شراً ضد خالقي. او اهين حافظي «والمحسن اليَّ وباي طريقة استطيع ان اغيظ مخلصي والهي الذي هو القاضي الاعلي العتيد «ان يكافي الاخيار وينتقم من الاشرار المنافقين *

سابعاً فالمغتصب لبث يحاول القديس ظانّا انه يمكنه ان يجتذبه لرايه. ولكن الشهيد بكل حريةٍ وهدو قال له: «انه يظهر لي انك لا تريد ان توضح عن ذاتك انك تعرفني فلذلك «اعلن لك انني مسيحيٌ انا. وانني اتمجد واعتز وافرح واتهلل بهذا الاسم باكثر مما انه «يصعب عليك سماعه واما ان كنت تريد ان تعرف باي شي هي قاعدة الديانة المسيحية فاعطني «زمناً لكي اشرح لك ذلك بنوع يرضيك» * اما القنصل فقال له: «انه يجب عليك «بالحرى ان ترضي الشعب» * فاجابه القديس قايلاً: «ان ديانتنا المسيحية تعلمنا بان

« نحترم الروسا ونخضع للسلاطين في كل تلك الاشيا التى لا نضر بها ضميرنا . ولهذا انا « يخصني ان ابرر نفسي واحامي عن ذاتي املك . واما الشعب فامرٌ غير موجب ولا « فايدة منه ان ابرر نفسي لديه * فلما راي المغتصب ذانه انه لا يستفيد من القديس شيأ قد ترك الكلام اللين . وتقدم الى التهديدات بانه الم يغير بوليكربوس عزمه فيامر عليه بان يُطرح للوحوش * اما الشهيد فاجاب وقال له : « آمر باحضار الوحوش . لانه محالٌ « اني اتغير وانتقل من الخير الى الشر . بل ان ربحًا لى ان اختبر في ذاتي قوة الوحوش « الكواسر . كي تفصلني من اتعاب هذه الحيوة وترسلني الى المجد « * فالقنصل قد تهدد القديس بقوله : « انه ان كان لا يخاف من وثبات الوحوش فيحكم عليه بان يطرح في اتون « النار حيًا « * فالقديس قد اجاب عن ذلك قايلاً : « ان النار التي تتهددني بعذابها « لا تدوم الا برهة وجيزة . ولكن توجد نار اخري معدة للاثمة . وهي التي تدوم الى الابد « فتري ما الذي تنتظره . وماذا يوخرك عن ان تجري اعتمادكم هذا بالفعل * قال القديس « هذه الالفاظ الاخيرة بشجاعةٍ وبغيرة . في الوقت الذى فيه ظهر وجهه يطفح انوارًا وطلعته احترامًا وبهجةً . حتى ان القنصل قد انذهل من تفرسه فيه * ثم بموجب العادة التى كانت وقتيذٍ سالكة قد صيّر المغتصب المنادى ان يهتف بصوتٍ عظيم ثلث مراتٍ قايلاً : « ان بوليكربوس قد اعترف بكونه مسيحيا « * فحينيذٍ كل تلك الجموع الضالة اخذوا بالصراخات هاتفين : « هذا هو معلم اقاليم الاسيا . هذا هو ابو المسيحيين . هذا هو « المبيد الهتنا فيلزم ان يمات مفترسًا من الوحوش « ثم طلبوا ان يطلق عليه في ذلك الوقت عينه حالاً الاسد المربوط في امكنة المفترج . ولكن القنصل اجاب الشعب انه من حيث ان ايام العيد التى كان مسموحًا فيها مفترج محاربة الوحوش كانت انتهت . فلا يمكن ان يقضى على بوليكربوس بهذه الميتة * فاذًا على هذه الصورة قد اختار جميعهم وطلبوا ان يمات حريقًا بالنار . وبذلك تحقق امر الرويا التى كان شاهدها القديس * فحينئذٍ القنصل ابرز الحكومة بان بوليكربوس يطرح حيًا في النار المتوقده فيموت حريقًا *

ثامنًا فالوثنيون مع اليهود بكل اسراعٍ جمعوا بيدرًا من الاحطاب والاخشاب ليضرموا النار شديدًا في ميدان المفترجات عينه * اما القديس بوليكربوس فطفق من ذاته يخلع عنه اثوابه مستعدًا . ولما كان الجلادون اتوا بالمسامير والخشبة ليسمروه بها ويطرحوه في

النار كيلا يمكنه من شدة العذاب ان يتحرك باختباط . قال لهم الشهيد : « اتركوني هكذا كما « انا . لان الذى يهبني قوةً لكي احتمل شدة حريق النار هو نفسه يصيرني ان البث « ساكنا ضمنها بهدو من غير احتياج الى مساميركم » * فمن ثم كتفوا يديه مقيدتين وراء ظهره . وحملوه فوضعوه فوق تلك الاحطاب كعلى مذبحٍ عالٍ * فالقديس رفع عينيه الي السما قايلاً : « انى اشكرك ايها الرب الاله الاب القادر على كل شى لانك اوصلتني الى هذا « اليوم . والساعة الحاضرة لكي تحصيني فى عدد شهدايك . مصيرًا اياي ان اشترك بكاس « الام مسيحك حتي تشركني بقيامته ايضًا وبالحيوة الابدية * فليانني اذًا الحظ السعيد بان « افوز في هذا الوقت بان اقرب ذاتي امامك كضحيةٍ ذات رايحة ذكية العرف . كما قد « اعددت لى ذلك واوعدتني به واكملت وعدك . اذ انك انت هو الاله الحقيقي الغير « القابل ان يكون كاذبًا * ولهذا انني امدحك واباركك وامجدك بواسطة ابنك الوحيد « الحبيب يسوع المسيح الحبر الاعظم الابدي السماوي . الذي فلتكن انت معه ومع روحك « القدوس مسبحا ومجدًا الان وكل اوان والى ابد الابدين ودهر الداهرين امين » *

تاسعًا فعند ما انتهى القديس من هذه الصلوة قد لطخ خدام الشريعة تلك الاحطاب بالزفت والقير . واضرموا بها النار بقوةٍ من كل ناحية ۞ فيا لقوة الله العجيبة * ان النار الشديد التهابها لم تكن تدنو من جسم هذا القديس الشهيد . بل استدارت حوله نظير حجابٍ وسترٍ او شبه قلوع احد المراكب العظيمة المنقذفة من الرياح . ولبث القديس في الوسط كفي روضةٍ ۞ وكانت تنبعث من جسمه رايحة ذكية شهية الاستنشاق . طافحةً معبقةً فى كل تلك الفسحة الواسعة اما الجلادون فحينما شاهدوا النار محتشمة جسم الشهيد وكانها لا تجسر ان تدنو منه . قد طعنوه بآلة حديدية حادة حيث خرجت دماوه بغزارةٍ هذا عظم مقدارها . حتي انها طفت النيران واخمدت لهيبها . وهكذا القديس اكمل ضحيته بالدم . ونال تاج الغلبة واكليل المجد من اليمين الضابطة الكل * والكنيسة اللاتينية تكمل تذكار جهاده في اليوم السادس والعشرين من شهر كانون الثانى *

عاشرًا فسيرة جهاد هذا القديس بالنوع المقدم ذكره هي ماخوذة من رسالة مومني مدينة زمرنى المتجهة نحو كنيسة مدينة فيلادلفيا والى كنايس العالم اجمع . وفي هذه الرسالة عينها يوردون ايضًا انهم قد ابذلوا الجهد في ان يحصلوا على جسم راعيهم القديس . ولكن

نيكيطا عدو الاسم المسيحي والمحرّك من الاعدا الاخرين قد اشار على القنصل مترجيا اياه بالا يسمح بدفن جسم بوليكربوس زاعما بان المسيحيين حينيذٍ يتركون السجود للمسيح المصلوب ويسجدون لقديسهم هذا الميت: «ولكن لم يعلم هولا الوثنيون العمي (يردفون قولهم بقولهم) انه لايمكننا على الاطلاق ان نهمل السجود ليسوع المسيح الذي احتمل من اجل «خطايانا عذاباتٍ هكذا قاسية. واننا لانستطيع ان نعبد او نسجد لاحدٍ سواه. وانما نحن «نسجد له تعالي من كونه ابن الله العلى * الا اننا في الوقت عينه نحن نحب الشهدا ونكرمهم «بما انهم تلاميذه عزَّ وجلَّ ومتشبهون بالامه وبكل حقٍ نحن نحترمهم ونوقرهم لاجل الحب «الشديد الذى بهِ احبوا يسوع المسيح ملكهم ومعلمهم * فلترتضِ العزة الالهية باننا نحن ايضا «ندخل في مصافهم. وبان نكون نظيرهم تلاميذ حقيقيين ليسوع المسيح * فاذًا الوثنيون «قد اوقدوا النيران وحرقوا بها جسم الشهيد الطوباوي. ولكن مع ذلك نحن حصلنا على «فضلات اعضايه. وهى محفوظة عندنا بنوع اعز واكرم من الحجارة الثمينة والجواهر الكريمة «والذهب الابريز النقي * وقد وضعناها في مكانٍ لايقٍ حيث نومل من الرب ان يهبنا «ان نجتمع هناك كل سنةٍ محتفلين بقدر استطاعتنا في تذكار استشهاده السنوي» *

فعبادة هولا المسيحيين الحقيقيين الحسنة وتكريمهم اعياد القديسين كانت بالحقيقة حارةً مثمرة فيهم الاثمار الروحية العظيمة. اذ انهم كانوا يبذلون جهدهم في اقتفا نموذجاتهم * فلنتعلم اذًا نحن ايضا منهم ان نكرم اعياد القديسين بهذا الروح عينه. مصرفين ايام تذكاراتهم بالقداسة وبصنيع اعمال البر المطلوبة ضرورةً لتقديس هذه الايام * ثم فلنتعلم من نموذج القديس بوليكربوس بانه اذا احاقت بنا تجربة ما تجتذبنا الي خسران نعمة الله بالسقوط في الاثم تاركين يسوع المسيح وراء ظهورنا. فلنقل هذه الكلمات التى قالها القديس نفسه وهي: «كيف يمكنني ان اقول شرًا او اهين خالقي يسوع المسيح وحافظي والمحسن اليَّ «وباية طريقة استطيع ان اغيظ مخلصي والهي الذى كل يوم اقتبل منه نعمًا جديدة» * ولنحتقر معه ونظيره خيرات هذا العالم وبلاياه جميعًا. اذ ان خيراته باطلة فانية زايلة. وبلاياه عابرة وقتية منتهية * ولنخف من الشر الاعظم الذي هو الخطيـة ومن الهلاك في النار الابدية ولنحب الخير الاعظم والوحيد الذى هو نعمة الله وامتلاكه في السعادة المغبوطة الى الابد *

* اليوم الرابع والعشرون *

* وفيه تذكار وجود اول وثانٍ لهامة القديس يوحنا المعمدان *

اولاً ان المينولوجيون اليوناني يعيّن في هذا اليوم تذكار وجود اول وثانٍ لهامة القديس يوحنا السابق . ثم يعيّن في اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار تذكار وجود ثالث لهذه الهامة المكرمة . مشيرًا الى ان وجودها الاول قد تم في دار هيرودس الملك في اورشليم بواسطة اثنين من الرهبان من دون ان يذكر شيا عن زمن هذا الوجود الاول . واما عن الوجود الثاني فيوضح انه قد حدث بعد سنين عديدة في زمن الملك مركيانوس . من غير ان يعيّن المكان الذي صودفت فيه هذه الهامة المكرمة . واما عن الوجود الثالث فلا يورد لا الزمان ولا المكان اللذين تم ذلك فيهما *

ثانيًا فالكردينال بارونيوس في ايضاحاته على السنكسار الروماني المختصة باليوم التاسع والعشرين من شهر اب يورد باسهاب اختلافات الاراء التي حدثت فيما بين مورخين وكتبة كنايسيين في شان وجود هامة السابق المرة الثانية وباكثر من ذلك في شان المرة الثالثة ويبرهن كيف ان الوجود الاول متفق عليه من الجميع وان هذه الهامة المكرمة قد وجدت في اورشليم في دار الملك هيرودس والكنيسة اللاتينية تصنع تذكار هذا الوجود الاول باتفاق تام مع الكنيسة اليونانية في اليوم الحاضر اي في ٢٤ اشباط . حيث توجد مدونة في سنكسارها الروماني هذه الالفاظ عينها وهي : «انه في هذا اليوم يكمل تذكار الوجود الاول لهامة سابق الرب في مدينة اورشليم» ثم تتكلم عن الوجود الثاني في اليوم التاسع والعشرين من شهر اب في سنكسارها الروماني نفسه بهذه الالفاظ وهي : «انه في هذا اليوم هو عيد قطع راس القديس يوحنا المعمدان بامر هيرودس قرب عيد الفصح . وانما يُصنع تذكار ذلك في اليوم الحاضر باحتفال من كونه فيه وجدت هامته المكرمة المرة الثانية . وفيما بعد نقلت الى مدينة رومية حيث تُحفظ الان في كنيسة القديس سلفستروس في كامبومارتسو مكرمة بعبادة عظيمة من الشعب *

ثالثًا فنحن اذ لم نشاحبًا بالاختصار ان نورد ههنا اسباب الاختلافات المار ذكرها . فقد اكتفينا بان نحرر ما هو مدون في هذا اليوم في المينولوجيون الباسيلي * ومن ثم نقول على نوع ما الالفاظ ذاتها الموردة هناك وهي هذه : انه لما قُطعت هامة السابق بامر هيرودس

الملك ودفعت الى هيروديا فهذه وضعتها في جرةٍ من فخار ودفنتها في احد امكنة الدار الملوكية عينها * فبعد سنين عديدة قد ظهر القديس يوحنا السابق لراهبين كانا ذاهبين لزيارة الاماكن المقدسة في اورشليم . وكشف لهما اين كانت هامته مدفونة * فالراهبان المومي اليهما قد ذهبا وفحصا عنها . فوجداها بالنوع الذى عرفاه من القديس في الرويا . وحفظاها عندهما بكل احترام ووقار * ثم بعد ذلك اخذها منهما رجل فاخوري وذهب بها الي بلدته مدينة حمص . حافظا اياها في منزله * وبعد وفاته اخذتها شقيقته . ومنها انتقلت الى ايدي كثيرة من سكان المدينة المذكورة * ففي زمن الملك ميخائيل ورياسة القديس اغناتيوس على الكرسى القسطنطيني بطريركًا . قد نُقلت هذه الهامة المكرمة الى القسطنطينية . ووضعت هناك باحترام ووقار ساميين صحبة ذخاير القديس ليبسانوس . وصار من ثم القديس يوحنا السابق محاميًا عن المدينة المتملكة الذي نتوسل الى الرب ان يحفظنا بشفاعاته امين *

واما الي اين نُقلت هذه الهامة المكرمة فيما بعد من القسطنطينية . وكيف كان نقلها فهذا لايُعرف بتحقيق . بل انه بموجب تقليد قديم يقال انها أُخذت من هناك الي مدينة رومية . ووضعت في كنيسة القديس سلفستروس . حيث الان تكرم من المومنين ضمن دير الراهبات المتحد بهذه الكنيسة . وتورد على حقيقة ذلك بعض براهين تحتمل الصدق وبهذا كفاية *

* اليوم الخامس والعشرون *

* وفيه تذكار القديس طاراسيوس ريس اساقفة القسطنطينية *

اولاً ان القديس طاراسيوس قد ولد في مدينة القسطنطينية نحو نصف الجيل الثامن من جاورجيوس وانكراتسيا الوالدين المتقدمين جدًا فيما بين اعظم شرفا اكابر المدينة المتملكة المذكورة * فوالدة جاورجيوس حصل على مديح عظيم في اتمام واجبات المراتب الاولى في الديوان الملوكي التي ارتقى اليها . وذلك لانه كان ذا صفات سامية وفضايل وادب وجودة عقل وعلوم بشرية وفلسفية معتبرة جدًا . بنوع ان الاشخاص الذين في زمانه كانوا يُظلَمون باحكامٍ او يُفترَى عليهم بتهمٍ او يُضطهدون لاجل دعاوي باطلة . فكانوا يجدون في شخصه سندًا وعونًا ومحاميًا كلي الغيرة بالتبصر في امورهم واشهار براءتهم *

ففيما بين الاشيا الاخر التي توضح عدالته واستقامة تصرفاته . يورد ما ياتي ذكره . وهو انه قد أُدّعى على بعضٍ من النسا المسكينات انهنّ كنّ يقتلنَ الاطفال بقوة صنعة السحر . وانهنّ مرات كثيرة قد دخلنَ الى البيوت من ثقوبٍ ضيقة حينما كانت الابواب مغلقةً . وصنعنَ بواسطة السحر اشيا كثيرة من الاضرار والفتك * فقد وُجد من بعض شكايات هذه صفتها التي يظهر عدم امكانها لكل احدٍ . واتصل بعض القضاة الجهلة الى ان حكموا عليهنّ بالموت * غير ان جاورجيوس لم يدع هذه الاحكام ان تبلغ مفعولها . اذ انها مستندة على اراء بعض الشعب الجهلة او على الخبائث البشرية المزوّرة الدعاوي . وهكذا برهنّ من هذه التهم * فقد ذكرنا استطراداً هذه القضية الموردة من مورخ سيرة القديس طاراسيوس فيما بين الاشيا الاخر . كي يظهر للقاري اللبيب كيف انه في كل زمنٍ ومكان لايخلو العالم من وجود الخداع والغش حتى فيما بين من يخصهم ان ينصفوا المظلوم من الظالم

ثانياً اما انكراتسيا والدة القديس طاراسيوس التي كانت من النسا المملوات من التقوى والفضيلة . فهذه اذ كان رجلها جاورجيوس كثير الاشتغالات في اتقان واجبات وظايفه الملوكية العلي . فقد اتخذت هي بنوع خاص الاهتمام في حسن تربيتها ولدها المذكور * ومع نعمة الله قد انحفظ من فساد الدهر منذ صبايهِ . ونجح في العلوم والفضايل لاسيما الدعة والاحتشام والرصانة والتواضع التي دامت فيه مع باقي الفضايل الاخر في مدة حياته كلها وصيرته جزيل القبول امام الله والناس * حتى انه لاجلها ومن قبل حذاقة عقله وتاصله في العلوم قد تقدم في زمن وجيز في الوظايف . الى ان ارتقى الى مقام قنصل . وبعده الى وظيفة كاتم اسرار الملكة الاول اي وزير اعظم * وقد باشر هذه الوظيفة العلياء باتقانٍ ومديح ساميين . بنوع ان الملك وكل اكابر دولته مع الشعب كانوا كلي الرضاء منه . في الوقت الذي فيه لم يكن يهمل واجباته نحو الله ونحو كنيسته ونحو استقامة اعماله العادلة * وكان عزمه ثابتاً في عدم التنازل لقضا مرغوبات اصحاب المآرب . لاسيما الارانقة الذين في تلك الازمنة كانوا يقلقون الكنايس الشرقية . وبالتالي كانوا يجدون طاراسيوس اعظم مضادٍ لهم في الديوان القيصري * كما انه وجد هو المحامي الغير المغلوب عن حقوق الكنايس الكاثوليكية وعن خدامها الانجيليين . وكان يتلالا في تصرفاته جميعها حسن الديانة والتقوى والعبادة . حتى انه اضحى موضوع التعجب والنموذج الحي معاً للفضيلة عند كل من عرفه

وتعاطى مثله الامور من اناسٍ جزيلي العدد . بمقدار ما كانت وظيفته توجب ذلك *
وقد صودف هو فيما بين هذه المهمات العالمية غير متعلق القلب بشيء زمني وخارجًا عن
محبة المجد الباطل والتنعمات السفلية . مواظبًا يوميًا على التاملات في كلام الله وفي الخيرات
الابدية الحقيقية . التي كان ميله جميعه نحوها . مستحرًا في الصلوات التي هي كينبوع للنعم الالهية
ثالثًا فحينما كان هذا القديس مهتمًا في تقديس ذاته وهو في الوظايف الملوكية . قد شاء
الباري تعالى ان يجعله بوظيفةٍ بها يسعى في تقديس الاخرين وفي ابادة الاراسيس من تلك
المدينة المتملكة بل من المشرق جميعه . باتخابه ضد ارادته الى المقام البطريركي راعيًا لكنيسة
القسطنطينية * فكان مضى زمان مستطيل وسنون عديدة فيها الارائقة محاربوا الايقونات
المقدسة كانوا يقاومون العبادة الكاثوليكية لهذي الايقونات . زاعمين بافتراء انها كانت
عبادة وثنية * ومن ثم كانوا يضطهدون الكاثوليكيين المتمسكين بها . ويسعون على الدوام
في اهانة الايقونات المقدسة . اذ كانوا يمزقونها ويحرقونها ولو كانت ايقونات المسيح ووالدة
الاله ذاتها * فهذه الارتقة النفاقية قد اتخذت مبادي انتشارها من الملك لاون الايصوري .
الذي لما امال قلبه الى خداعات رجلٍ يهودي قد حرك سنة ٧٢٦ الحرب ضد الايقونات
المقدسة . وقد اتبعه بهِ الملوك خلفاؤه * والامر الاشد شناعة من ذلك هو ان هذا الضلال
وُجد له محامون من الاساقفة ومن بطاركة القسطنطينية انفسهم * وقد بالغ باكثر من
الجميع في اضطهاد الكاثوليكيين الملك قسطنطين الزبلي الاسم ابن لاون الايصوري
وخليفته في التخت الملوكي . الذي في سنة ٧٥٤ قد عقد في القسطنطينية مجمعًا لصوصيًا
من الاساقفة الشرقيين الساقطين في هذا الضلال . وقد اتصلوا الى ما ينيف عن ثلثماية
اسقف . الذين بجسارةٍ فظيعة حرموا عبادة الايقونات * ولكن حينما جلس في الكرسي
الافغوسطي الملك قسطنطين الرابع تحت مناظرة والدته الملكة ايريني الحسنة الديانة
حصلت الراحة للكنيسة الجامعة من تلك الاغتصابات الاراتيكية * فكان حينيذٍ جالسًا
في السدة البطريركية القسطنطينية الطوباوي بولس المدعو من بعض الكتبة الكنايسيين
انه رجل دينٌ جدًا ولكنه ضعيف القلب . ولذلك حينما كانت هذه الارتقة معضدة من
الصولجان الملوكي . قد سقط ايضا في موافقة الاوامر القيصرية النفاقية * ثم بعد ذلك
اعتراه مرض شديد دنا به الى ابواب المنون . واذ اقلقه ضميره جدًا جدًا من قبل الشكوك

التي سببها بالموافقة المذكورة . ولهذا لما نجا من المرض سافر خفيةً من داره الى الدير المدعو فلوروس . ونزع عنه الثوب البطريركي وتردى بالاسكيم الرهباني * فبعد مدةٍ قد زارته في الدير المذكور الملكة ايريني مع ولدها قسطنطين . وهو اى بولس اوضح لها اعتماده على الاقامة فى ذلك الدير باقي زمن حياته * ولهذا قرر لها ارادته فى انه صمم عزمه على التنزل عن كرسيهِ ليباشر توبةً واجبة عن زلته . ولذلك التمس منهما اى من الملك والملكة ان ينتخبا عوضه رجلاً تكون فيه الكفاية لاصلاح الاضرار الروحية التي تسببت من اوليك الارثقة * ولما طلبا منه ان يقدم رايه عمن يكون خليفته . فاجابهما انه لم يجد احدًا اكثر كفايةً لان يضبط زمام ذلك الكرسى البطريركي في تلك الاوقات المكربة . ولان يدبر الرعية بافادةٍ ولان يصلح ما انعكس فى الازمنة الماضية سوى طاراسيوس وزيرهما واول كتمة اسرار المملكة *

رابعًا فاذًا على هذه الصورة الملكة والملك مع الاكليروس والشعب القسطنطيني قد انتخبوا القديس طاراسيوس . غير مبالين من ممانعاته ومقاوماته قبول هذه الدرجة * وهكذا رُسم بالدرجات المقدسة . وارتقى الى السدة البطريركية سنة ٧٨٤ * ثم ولين كان انتخاب هذا القديس صدر على النوع المذكور من الدعوة العالمية حالاً الى سمو الدرجة الاسقفية بطريركًا قسطنطينيًا . فمع ذلك الحبر الاعظم ادريانوس قد انسر مرتضيًا به . لانه تاكد كم كانت فضايله سامية وتعاليمه نقيةً وغيرته حارةً على خير الكنيسة ونمو الديانة المستقيمة * على ان القديس المذكور لم يرتضِ اخيرًا بقبول هذه الدرجة والوظيفة الا بعد ان التمس من الملك ومن والدته ثم من الاساقفة الذين التيموا لاجل رسامته انهم جميعًا يعتنون معه في عمل مجمع مسكوني من الاساقفة الشرقيين والغربيين لاجل حرم الارثقة والارائقة محاربي الايقونات . ولاجل تحديد هذه القاعدة الكاثوليكية . ثم لحصم البلبلات والانقسامات ورد السلام للكنيسة الجامعة . وهم جميعًا وعدوه بذلك * فلهذا بعد ارتقايه الى المقام البطريركي كانت بالحقيقة عنايته الاولى في التيام المجمع المسكوني . الذي بعد مقاومة الارائقة صيرورته بكل مكنتهم قد انعقد اخيرًا سنة ٧٨٧ في مدينة نيقية من اعمال البتنية . في المكان الذي كان التيم فيه المجمع المسكوني الاول سنة ٣٢٥ ضد ارثقة اريوس في تملك قسطنطين الكبير * فاذًا قد حضر الى هذا المجمع النيقاوي الثاني المسكوني

السابع قصاد الحبر الاعظم مع ثلثماية وخمسين استفا . وحددوا هذه القضية الدينية المختصة بتكريم الايقونات المقدسة وبالعبادة الاضافية نحو ذخاير القديسين . وحرموا الاراقة محاربي الايقونات الذين كانوا تجاسروا على ان يرذلوا هذه العبادة الواجبة ويحرموها كانها عبادة وثنية * الامر الذي قد اتبعهم به في هذه الازمنة المتاخرة اللوثرانيون والكلفينيون الذين هم ايضاً قد حرموا من المجمع التريدنتيني المقدس العام . اذ انهم بغباوة وجسارة اثيمتين قد جددوا انتشار ضلال قد حرم بنوع هكذا احتفالي منذ اجيال متقدمة بصوت مجمع مسكوني *

خامساً فلما انهى القديس طاراسيوس اهتمامه في هذه القضية العظيمة وحصل السلام للكنيسة الجامعة . اخذ حينيذ يوجه عنايته الفعالة في ترتيب ما يخص التهذيب الكنايسي والاداب وفي استيصال العوايد السيية التي كانت دخلت فيما بين الاكليروس والشعب من قبل الاراقة في ازمنة هكذا مستطيلة * ولكي يسهل بواسطة مثله الحي وضع تلك المراسيم التهذيبية بالعمل . قد ابتدأ بل نقول بالافضل انه داوم اتصال سلوكه بعيشة صودفت مراعة عقلية تشاهد فيها الفضايل والاداب بغاية الكمال فنظراً الى مايدته وملبوسه واثاث مسكنه وساير المختص بقيام حياته الزمنية كان معتدلاً بسيطاً محتشماً خالياً من كل فخفخة ومجد عالمي . ونظراً الى نومه كان قليلاً لاصرافه اكثر زمن الليل في الصلوات وبمطالعة الكتاب المقدس والتامل فيما من شانه ان يفيد به الخراف المسلمة ارعايته . واما طهارته وقداسة لبه فلم تكن تخفى من قبل ضبط حواسه الظاهرة ورصانته واحتشامه وهيئته المحترمة . ولم يوجد له شبيه في التواضع والوداعة والحب في معاطاته مع كل احد * وقد اتصل الى انه لم يحتمل ان يخدمه احد في تلك الاشيا المختصة بخدمته الشخصية . منذكراً قول ريس الرعاة العظيم في انه لم ياتِ الى العالم ليخدَم بل ليخدم واما المداخيل البطريركية العظيمة فكانت خاصة الارامل والايتام والمساكين الذين كان يوزع على كلٍ منهم ما كان كافيا كمقتضى احتياجه . لاسيما في زمن الصيام الكبير المعدود من الازمنة المختصة بصنيع عمل البر * ثم كان يدعو مرات كثيرة الفقرا الى داره البطريركية ليغتذوا على مايدته . وكان يخدمهم بيديه بكل اتضاع وكرامة . بحسبما انهم ممثلون شخص يسوع المسيح ولم يكن اهتمامه بامكنة التقوى والبيمارستانات والديارة الرهبانية وجيزا بل بغيرة متقدة

كان يسهر على ترتيب نظامها الروحي ليعبد الله منهم بالروح والحق . ثم على تدبير احتياجاتهم الزمنية ايضا * واما توزيعه خبز كلام الله على رعيته فكان عديم الملل بالوعظ المشتهر في الكنايس وبالارشادات الخصوصية لمن كانوا ياتون اليهِ . خاصةً الارائفة الذين ارتشد منهم عددٌ غزير عن يده بحقايق القواعد الدينية واعتنقوا الايمان الكاثوليكي * وبالاجمال نقول ان هذا البطريرك القديس كان يتم في ذاته واجبات راعٍ صالحٍ كلي السهر وشديد الغيرة على حراسة الخراف الناطقة المستودعة لرعايته . ومن ثم حصل على التعزية العظيمة في انه شاهد انتقال حال الاكليروس والشعب القسطنطيني من قوةٍ الى قوةٍ بتغييرٍ واصلاح عظيمين . قد استشعروها لانفسهم من تدابيره الرعائية . فهكذا هو مفعول سهر الرعاة الحقيقيين ومفعول غيرتهم المقترنان مع نموذج مثلهم الحي بالسيرة الفاضلة . ثم ان هذا القديس ليس من دون اتعابٍ وافرة استاصل من جملة العوايد الاخر الردية التي كانت دخلت في كنايس كثيرة من الخاضعة لبطريركيته من قبل تراخي سلفايه العادة الممقوتة من الله ومن كنيسته الجامعة وهي السيمونيا *

سادسًا ولكن قد حدث قلق في كنيسة القسطنطينية سنة ٧٩٥ صير بهِ الله ان تمتحن في القديس طاراسيوس فضيلة الصبر والاتضاع . وهو انه اذ كان الملك قسطنطين الرابع نفر قلبه من قرينته الشرعية الناموسية الملكة ماريا وبغضها جدًا . فاراد ضد كل شريعةٍ الهية وبشرية ان يطلقها تحت حجة كاذبة . وهي انها قصدت ان تميته بالسم . وان يقترن باحدى بنات اكابر الدولة المدعوة ثاودورة ويعلنها ملكة افغوسطا . ولهذا ابذل كل جهده بواسطة وزراه وبذاته ايضًا في ان يجتذب البطريرك القديس الى الرضا بهذا الامر * غير ان هذا الراعي قد اظهر بكل شجاعة انه كان مستعدًا بالحري الى احتمال اعظم العذابات حتى الموت نفسه من انه يطابق على فسخ زيجة شرعية وعلى منح بركة الزواج على الصورة المذكورة المملوة من الشكوك والاثم * ولهذا كان يقول : « اننا اذا فرضنا ان الذنب المدّعي به ضد الملكة هو حقيقي . فليس لاجل ذلك يمكن انحلال ارتباط اتحاد ناموس قد ازوجه الله وحتم بانه يكون غير قابل الانحلال . وهكذا الملك لا يقدر ان يعقد زيجة اخرى من دون ان يتردى بسوء الصيت وشناعة السمعة موبدًا عند كل الطوايف المسيحية » * متهددًا هذا الملك بافصاله من شركة الكنيسة ان كان بالحقيقة يتم ارادته

بالفعل بزيجة ثانية في حيوة الملكة ماريا * ولكن الملك لم يستفد من نصائح راعيه القديس ولا من تهديداته العادلة . بل اتصل الى ان يطرد الملكة ماريا من البلاط القيصري ويلزمها بالدخول في احد ديارة الراهبات وبلبس الاسكيم الرهباني * ثم انه قد تزوج بثاودورة زيجة مشتهرة واعلنها ملكة افغوسطا وتوّجها باحتفال عظيم من يد القس يوسف ايكونوموس السدة البطريركية . الذي تجاسر على ان يمنحه بركة الزواج الكنايسية ايضاً ضد نهي بطريركه القديس *

سابعاً فكل احدٍ يستطيع ان يتصور بعقله كم كانت دموع القديس طاراسيوس وندبه هذه الشكوك التي صنعها الملك . وليس انه فقط بكى بمرارة على صنيع هذا الاثم . بل انه قد اشهر ايضاً لدى الجميع عدم صحة الزواج . ولو انه بهذا الاشتهار قد اكتسب بغضة الملك الذي . لكان رشقه القديس بالحرم الكبير كما كان يستحق اثمه الشنيع المشكك . لولا خوفه من ضرر اعظم للكنيسة فتنازل البطريرك القديس الى عدم رشق الملك بالحرم واحتماله اياه بصبر فعوضاً عن ان يصلح هذا الافغوسطوس قد ضاعف فيه التصلب والبغضة ضد راعيه الصالح كحسب عوايد المقتدرين . الذين لا يطيقون احداً ان يقاوم اعمالهم السئية * ومتى رفعوا برقع الحيا فالعمق عندهم ينادي العمق واللجة تنادي اللجة . وهكذا يعودون الى سوحال . لان هذا الملك قد حجز القديس عن الخروج من الدار البطريركية وعن مواجهته من احدٍ كائناً من كان وعن التكلم معه . حيث ارسل من قبله الجنود والحراس محيطين بالدار المذكورة داخلاً وخارجاً نهاراً وليلاً لهذه الغاية * ثم قبض على البعض من اصحاب الوظايف ضد هذا القديس وبعد ان صيرهم ان يضربوا بقساوة ارسلهم الى المنفى كما وانه وجّه اضطهاده ضد اقربا القديس . واستولى على املاكهم ظلماً . وطردهم من المدينة غير متاخر عن اهانة هذا البار بكل ما كان يدرّ به اليه روحه . ولكن القديس طاراسيوس احتمل ذلك جميعه بصبرٍ تام . من دون ان يفه بشي يهين به العزة الملوكية . ومن غير ان يوافق على شي يضاد الاستقامة * الا ان القضية التي جرحت فواده بالاكثر هي تكلم القديس بلاطونه ريس عام الرهبان في القسطنطينية وقتيذٍ المشهور بقداسة السيرة وبصنيع العجايب ضده . كانه جبان ضعيف القلب متراخٍ جداً مع الملك ومع الكاهن يوسف الذي منحه بركة الزواج الثاني . وذلك لعدم وضع يده على سيف القصاصات

الكنايسية وضربه اياها مع كل المشاركين لها في هذا الاثم بالحرم الكبير. مع ان هذا البطريرك القديس لم يكن احتمال هذه الاشيا وصبره على الملك جبانةً وخوفًا. بل حكمةً وفطنةً كما يلاحظ ذلك الكردينال بارونيوس المكرم في تاريخه عن سنة ٧٩٥ * على ان الملك كان حدث السن وحارّ الطبع وسريع التقلب. ومحاطًا من بعض اعدا الايمان الكاثوليكي قلما يكون باطنًا * فلو استعمل البطريرك المذكور ضده سيف القصاصات الكنايسية فبكل سهولة لكان ممكنًا ان يتمسك بالارتقة ويبتدي بمحاربة الكنيسة. لاسيما لان جراحات الحروب الدينية السابقة بالكاد انها كانت شفيت. والضالون كانوا ينتظرون فرصةً مثل هذه ليرجعوا الى سلطتهم الماضية. الامر الذي لكان سبب للكنيسة الجامعة دثارًا جديدًا باضرارٍ روحية وزمنية باهظة *

ثامنًا غير ان الباري تعالى لم يتاخر زمنًا مستطيلاً عن تاديب هذا الملك بارساله ضده من عزله عن تخت الملك وقلع عينيه. الامر الذي من شدة الغم اعدمه الحيوة * وبعد ان راقت الاختباطات. وضبطت زمام الحكم القيصري الملكة ايريني وحدها. فحينئذٍ انتهى الاضطهاد ضد القديس طاراسيوس * الذي اراد ان يبرر ذاته بوداعةٍ ويحامي عن نفسه بتواضعٍ لدى القديس بلاطونه. طالبًا منه وممن كان على رايه نوعًا السماح ان كان صار هو لهم شكًا بما تصرف به بالاحتمال نحو الملك. موردًا الاسباب التي اقنعته بنوع هذا السلوك * وهكذا انجلى الاغبرار فيما بين هذين القديسين ولبثا ساير ايام حياتهما بحبٍ متردد وبصداقة اكيدة * واما الكاهن يوسف المبارك العرس الملوكي الدنس والمتوّج ثاودورة الفاسقة ملكة. فقد رشقه القديس طاراسيوس بالقصاصات الكنايسية وافصله من شركة المومنين * وهكذا باشر هذا الراعي سلطانه البطريركي بحريةٍ. ورجع الى حاله الاولي بالاعتنا والغيرة والسهر في تدبير رعيته وفي تقديسه ذاته والشعب باعماله الفاضلة وسيرته المملوة قداسةً * التي كانت مثالاً لكل الفضايل وصورةً للكمال الانجيلي في جميع ما بقي من حياته. الى انه بعد تسع سنوات من هذا الحادث اعتراه المرض الاخير الذي به قبل ان يفارق هذه الحيوة بساعاتٍ وجيزة ظهر عنهُ انهُ خُطف غايبًا عن ذاته وكان بمنزلة من يعطي حسابًا ويحامي عن نفسه بازاء شكايات اعدايه الغير المنظورين بجهادٍ وحرارة * ثم اخيرًا هداء روعه وحصل مستكنا مبتهجا. وهكذا سلم روحه الطاهرة في

بدي خالقهِ في مثل هذا اليوم . اي في ٢٥ اشباط سنة ٨٠٦ . وذهب لياخذ مكافاة اعماله الرسولية وانعابه الرعائية وجهاد سيرته المتدسة * واما جسده فدُفن في دير قريب من القسطنطينية كان هو نفسه عمره بنفقته * فالعزة الالهية ارتضت بان تشرف هذا الجسم بعجايب عديدة صنعتها بشفاعات هذا البار القديس . التي نحن نكتفي بايراد واحدة فقط منها . وهي ان لاون المدعو الارمني . اذ كان استولى على تخت الملك الافغوسطي سنة ٨١٣ . واخذ يعضد الارتقة المحاربة الايقونات المتدسة مدة مستطيلة من الزمان فهذا ليلةً ما شاهد في الحلم او بالحري في الرويا القديس طاراسيوس ملتحفاً بالنور المجيد . ومظهراً له اي الملك غيظه الشديد منه . حتى انه آمر رجلاً من المحيطين به اسمه ميخائيل بان يضربه بسيفٍ كان بيده . وهذا تم الامر فعلاً وقتله حالاً * فالملك حينما رجع الى ذاته مرتعشاً خايفاً من هذه الرويا . ارسل الى الدير الذي فيه كان جسم القديس مدفوناً ليفحص عمّن كان يوجد هناك اسمه ميخائيل . حتى انه اتصل بغباوته الى ان يضع تحت العذابات البعض من الرهبان ليقرّوا له عن الرجل المدعو بهذا الاسم . ظانا انهم حافظونه عندهم مختفيا . مخامرين معه على قتله * غير ان الرويا المار ذكرها تحققت بعد ستة ايام على هذه الصورة . وهي ان ميخائيل المدعو الاثغ . الذي كان الملك لاون المذكور طرحه في السجن لاجل ذنبٍ مدني كان يشك به انه خامر عليه . فهذا امكنه ان يخرج من الحبس ويأتي امام الملك في الكنيسة حيث ضربهُ بسيفه فقتله * وكان ذلك نهار بارامون عيد الميلاد سنة ٨٢٠ . وهكذا قد نودي بميخائيل نفسه خليفةً له في كرسي الملك *

ان النموذج الذي نلاحظهُ خاتمةً لهذي السيرة هو الاتي ذكرهُ . اى حدوث الاختلاف فيما بين القديسين طاراسيوس وبلاطونه في الراى . مع ان نية الاثنين كانت مستقيمةً لان احدهما كان يحتمل الاثم خوفاً من ان اجراء القصاصات يسبب اثاماً اعظم واضطهاداً للايمان وللكنيسة . وثانيهما كان يرغب اجراء صرامة التهذيب الكنايسى ضد المنافقين المسببين الشكوك * فبهذا النوع يتفق مرات كثيرة ان تحدث الاختلافات فيما بين البشر مادامهم عايشين في هذا الدهر المظلم . ولذلك في حادثٍ هذه صفته يجب الاقتدا بنموذج هذين القديسين بصنيع شيئين . احدهما هو الاَّ ندع قلوبنا ان تتحرك الى الغيظ وتقاد من الم باطنٍ . الذي مراتٍ كثيرة يخدعنا تحت طي الغيرة . بل ان يكون موضوع تصرفنا انما

هو مجد الله الاعظم وخير القريب لان المحبة الواجبة علينا لله وللقريب هي الوصية العظمى التي بموجبها لايجوز نفور القلوب ولا القا الخصومات او اعطا اسباب تثلم روح السلام . والشي الثاني هو ان نسلك بروح الدعة والانضاع دايمًا نحو الذين يقاومون اراءنا ويتلاومون على تصرفنا وان نحفظ في قلوبنا الوحدة والسلام نحوهم نظير القديس طاراسيوس الذي مع كونه بطريركًا ذا سلطة ومقام عالٍ وريسًا على القديس بلاطونه . فمع ذلك لم يجد صعوبةً في ان يبرهن له عن اسباب تصرفاته بالصمت والاحتمال . وفي ان يعتذر لديه ان كان قد سبب له شكًا ولو كان من دون اساس راهنٍ وبالاجمال يلزمنا ان نحفظ نحو قريبنا المحبة والانضاع في حدوث اختلافات الاراء في اية مادةٍ وُجدت لنكون بذلك حاصلين على صفة تلاميذ المسيح الحقيقيين . ومن دونها تذهب سدًى جميع الاثمار التى يمكن ان نفوز بها فى تاييد رايتنا على راي قريبنا . بل تُحسب امام الله خسارةً وهي الخسارة الاعظم . لكونها تلاحظ ضرر انفسنا وتسبب لنا خسارة الحيوة الابدية ✻

✻ اليوم السادس والعشرون ✻

✻ وفيه تذكار ابينا القديس بورفيريوس ريس اساقفة غزه ✻

اولاً ان العناية الالهية قد اختارت منذ الازل القديس بورفيريوس لتجتذب الى الايمان بالمسيح بواسطة سيرته المملوة قداسةً وبقوة العجايب التي صنعها تعالى عن يده سكان مدينة غزه الوثنيين ✻ فكان مولد هذا القديس في مدينة تصالونيكية من بلاد مكدونية نحو سنة ٣٥٤ من والدين مسيحيين غنيين جدًا . اللذين ربياه في التقوى والعلوم تربيةً صالحة في الغاية . وبالتالي حفظاه من فساد السيرة . الامر النادر وجوده . لاننا ليس من دون غمٍ نشاهد اكثر الشبان منغمسين في الدنس من قبل عدم سهر الوالدين الواجب ولاطلاقهم العنان لبنيهم ✻ فلما بلغ هذا البار الى السنة الخامسة والعشرين من عمره . وكان يشعر فى قلبه بكرهٍ كلي من الغنى والشرف العالميين ويرتاح بجملته الى اعتناق سيرة الكمال الانجيلي والخدمة الحقيقية لله . التي هى الخير الوحيد للخليقة الناطقة ✻ فمن ثم قد اهمل الموجودات كلها والاقربا وسافر بحرًا الى الاقليم المصري . الذي كان وقتيذٍ مزهرًا بعددٍ وافر من الرهبان والنساك والسواح المجتازين عمرهم بحيوة ملايكية احرى من كونها بشرية ✻ فاختار لسكناه بالوحدة والنسك احد تلك الاقفار . حيث قطن فيه مدة خمس

سنوات مثابرًا على الامانات وقهر الذات وعلى كل نوعٍ من الرياضات الروحية * ثم بعد ذلك شعر بالهامٍ الهي باطن يحرضه على زيارة الاماكن المقدسة . التي ذهب اليها وبكل عبادةٍ وبحسن تدبن كرَّم تلك الامكنة التي فيها فادينا يسوع المسيح باشر امر خلاصنا الابدي * وغب هذه الزيارة قد انفرد في مغارة على حد نهر الاردن . حيث اصرف مدة خمس سنوات اخر بافعال نسكٍ شاقة . ولكنه في نهايتها اضطر للرجوع الى مدينة اورشليم لسبب المرض الذي اعتراه وهو داء السل . فاقام في المدينة المذكورة نحيف الجسم يستند على عصا بيده ويذهب الى الكنايس يصرف فيها ساعات بجملتها في الصلوات الحارة

ثانيًا فهناك مرقص كاتب سيرة حيوة هذا القديس الذي كان حضر من بلاد اسيا الى اورشليم لزيارة القبر الخلاصي . قد تتلمذ للبار المذكور لسماعه عنه ومشاهدته فيه روح القداسة * ومن حيث ان المرض كان يزداد يومًا فيومًا في القديس . قد فكر حسنًا بانه قبل وفاته كان يلزمه ان يدبر ما يخص املاكه وموجوداته التي تركها في تصالونيكية حين مبارحته اياها . لاسيما من كون اخونه الوارثين معه الغنى المخلف لهم جميعا من والديهم كانوا حدثي السن . وبالتالي كان يخشى بالصواب من حدوث انقسامات فيما بينهم بسبب ميراثه . فلاجل هذه الغاية قد دفع بيد تلميذه مرقص المار ذكره صك وكالةٍ شرعية عنه مع الكتابات اللازمة . وارسله الى تصالونيكية كي يقسم الميراث فيما بين اخونه . ويبيع الحصة التي تخصه وياتيهِ بثمنها دراهم نقديه * فرقص اكمل واجبات هذه الوكالة بنشاطٍ وتدقيق حتى انه في نهاية ثلثة اشهر فقط من سفره قد رجع الي اورشليم حيث شاهد معلمه البار شفي بالتمام والكمال من مرضه . على انه حينما كان شاهد القديس نفسه مدنفا على الموت من قبل داء السل . قد اغتصب ذاته بجهدٍ عظيم حتي انه بلغ الى جبل الجلجلة . راغبا ان يموت في الموضع الذي فيه مخلصه مات على خشبة الصليب * فهناك انطرح علي الارض منازعًا . ولكنه شعر باطنًا بتعزية سماوية وخطف بالروح * فشاهد فادينا يسوع المسيح قايلاً للص اليمين الذي كان برفقته ان يذهب ينهض بورفيريوس من الارض مقويًا اياه واذ تم الامر فعلاً رجع القديس الى ذاته ونهض واثبًا وطفق يمشي صحيحًا معافي بكليته فبعد ان دفع مرقص لمعلمه الاموال الوافرة جدًا جدًا التي احضرها له من تصالونيكية قد اصرفها هذا البار على الفقرا والبايسين من دون ان يبقي لذاته منها شيا بالكلية مريدًا ان يعيش فقيرًا

من ريح تعب يديه . مكتفيًا باكل قليل من الخبز الاسود ومن الحشايش مرةً واحدة كل يوم بعد غياب الشمس . ما عدا ايام الاحاد والاعياد التى فيها كان يغتذي ساعة نصف النهار بالخبز مع قليل من الحبوب المسلوقة الموضوع عليها شي جزيي من الزيت مستعملا معها شرب قليل من الخمر الممزوج بالماء * فهذا كان نوع معيشة القديس بورفيريوس باقي زمن حياته كلها من دون تغيير *

ثالثًا فاسقف مدينة اورشليم حينما تحقق قداسة بورفيريوس وعلمه اغتصبه بامر الطاعة لاقتبال درجة الكهنوت غير مبالٍ من مقاومته قبولها . وهكذا رسمه بها وسلمه حراسة عود الصليب الكريم الحقيقي الذى عليه قدم حياته ذبيحةً مخلصنا يسوع المسيح العود الذي كان وقتيذٍ محفوظًا في مدينة اورشليم بعبادةٍ سامية جدًا * ولكن لم تمضِ على هذا القديس مدة ثلث سنوات بهذه الوظيفة . حينما اراد الله ان يختاره راعيًا لشعب مدينة غزه الشايعة الاسم في الكتاب المقدس . التى كانت وقتيذٍ حاوية شعوبا عديدة في الغاية من الوثنيين مع عدد وجيز من المسيحيين * الذين اذ توفى اسقفهم ولم يحصل فيما بينهم اتفاق على انتخاب خليفةٍ له قد التجاءوا الى يوحنا ريس اساقفة مدينة قيسارية فلسطين متوسلين اليه بان يختار لهم راعيا تكون به الصفات السامية ليقدر ان يسوسهم ويجمعهم من وثبات عبدة الاوثان ضدهم * فيوحنا المذكور قبل ان يضع نظره على احد لهذا الانتخاب قد رسم عمل صيامٍ خصوصى مدة ثلثة ايام . مع صلواتٍ حارةً نحو الله كي يعرّفه ارادته في من يختاره فالباري تعالى اوضح له بواسطة رويا سماوية انه انتخب لسياسة ابرشية غزّة بورفيريوس كاهن كنيسة اورشليم وحافظ عود الصليب . فمن ثم كتب يوحنا لاسقف اورشليم وطلب منه ان يرسل اليه الكاهن المذكور ولما حضر اليه وضع يده عليه ورسمهُ اسقفا على كنيسة غزّة من دون التفات الى دموعه وتوسلاته التي بها كان يتضرع اليه بان يعفيه من هذه الدرجة * فشعب مدينة غزّه الوثنى كان بهذا المقدار متمسكًا في ضلال اعتقادهم الكاذب . حتى ان عناية القديسين اسكلابا وايلاريون الكبير مع غيرهما من الاساقفة القديسين لم يستطيعوا على اجتذابهم الى الايمان بالمسيح فكان يوجد في المدينة المذكورة ثمانية معابد شهيرة للاصنام ولكن اعظمها كان المعبد المدعو مارنا الذي صودف شايع الصيت عند عبدة الاوثان * مكرمًا منهم بعبادة نفاقية كلية ومع ان الملوك المسيحيين لاسيما ثاوضوسيوس الكبير كانوا البرز وا

اوامر عديدة في هدم معابد الاوثان او قلما يكون في اغلاقها ومنع تقدمة الضحايا للاصنام. فمع ذلك شعب مدينة غزّه كانوا بقوة الاموال الوافرة التي يدفعونها حيناً بعد حين لحكام تلك المدينة لم يزالوا يباشرون عباداتهم الضالة لحد ذلك الوقت * والابلغ من ذلك انهم كانوا يضطهدون المسيحيين الموجودين فيها. الذين لم يكن عددهم حينئذٍ سوى مايتين وثمانين نفراً من رجال ونسا واطفال *

رابعاً فعلى هذا الشعب المسيحي القليل. وعلى هذا الكرم السرّي البرّي المملو من الوحوش الضارية اقيم راعياً القديس بورفيريوس في السنة الاربعين من عمره * واذ اتكل على قوة الله الضابط الكل مقتدياً بنموذج راعي الرعاة الحقيقي في بداية انذاره في تلك النواحي. اخذ يسوس بشجاعةٍ هذه الرعية بالتعليم الانجيلي وبمثل سيرته المملوة من القداسة السامية والحاوية كل نوع من الدعة والتواضع والصبر وساير الفضايل الاخر المتاصلة فيهِ * ففي السنة الاولى من اسقفيته حدث في مدينة غزّه وما يحوطها يبس كلي من عدم الامطار كان ينذر بجوع وفنا مخيفين. فالوثنيون كانوا ينسبون هذه البلية الى غيظ الههم مارنا من قبل حضور هذا الاسقف الجديد لمدينتهم. كما ان كهنة الصنم المذكور كانوا يخبرون نقلاً عن الوحي المدعين بانهم فهموه منهُ بمصايب عظيمة ۞ فلهذا زعما منهم بان يستعطفوا رضى هذا الاله الكاذب عليهم وينالوا منهُ ارسال الامطار. قدموا قرابين وضحايا عديدة وصنعوا زياحات واحتفالات نفاقية مختلفة في مدة سبعة ايام متصلة * فلما عجزوا من التوسلات لهذا الصنم الذي كانوا يعتقدون فيهِ استطاعةً خصوصية على ارسال المطر ولم ينالوا منهُ مطلوبهم. فحينئذٍ القديس بورفيريوس رسم على رعيته القليلة صنيع صيامٍ خصوصي. وفي اثناهُ قد جمعهم في كنيسته الصغيرة المكرسة باسم القديسة ايريني. حيث اصرفوا الليلة بقراة فصول عديدة من الكتاب المقدس وبترتيل المزامير مناقلةً في الخورصين * وفي صباح تلك الليلة حملوا سنجق الصليب المقدس ومضوا بهِ من تلك الكنيسة داخلين في المدينة بزياحٍ الى كنيسة القديس اسكلابا. التي كان موقعها في اواسط المدينة. حيث صنعوا توسلات خصوصية. ومن هناك خرجوا بالباعوث نفسه ذاهبين الى كنيسة القديس تيموتاوس خارج المدينة من الناحية الاخرى. صانعين بها صلواتٍ اخر لاجل نوال المطر من المراحم الالهية. وبعد ذلك اخذوا بالرجوع الى المدينة

بالنوع نفسه الذي بهِ خرجوا منها * غير ان عبدة الاوثان اذ امتلاءوا منهم غيظًا وربما تحركوا بالاكثر من قبل كهنة الصنم . فاسرعوا واغلقوا في وجوههم ابواب المدينة . مع انهُ كان بعد لغياب الشمس ثلاث ساعات * ولهذا قد التزم المسيحيون بالوقوف خارج الابواب مدة ساعتين مواظبين التوسلات لله بحرارةٍ ودموع * فلما كانت ساعة غروب الشمس . واذا بريح الجنوب قد هبت . وبالغيوم العظيمة قد غطت وجه السما . وبالامطار قد انسكبت بغزارةٍ مفرطة . الامر الذي املأَ قلوب المومنين فرحًا وتهليلاً لا يوصف على هذه النعمة التي نالوها وهكذا قلوب كثيرين من الوثنيين قد انجذبت من قبل هذا العجب الواضح الى الاعتراف بالمسيح . ولهذا ليس فقط اسرعوا الى فتح ابواب المدينة للمومنين بفرحٍ . بل انهم رافقوهم ايضًا يصرخون : « ان المسيح قد غلب . المسيح هو الاله الحقيقي . وهكذا جاءوا معًا الى الكنيسة معلنين انهم امنوا بالمسيح فالقديس قبلهم في رتبة الموعوظين وشرع يرشدهم في قواعد الايمان . وقد استمرت الامطار تهطل بسخاء مدة اليومين التابعين من دون انقطاع اللذين فيهما ايضًا قد اقبل عددٌ اخر من الوثنيين الى الديانة المسيحية * خامسًا فالذين اقبلوا الى الايمان من الوثنيين ولين كانوا مياتٍ فهولاهم قليلون جدًا وكلاشي بالنسبة الى باقي الشعوب الغفيرة الذين لبثوا مصرين على ديانتهم الكاذبة . ولهذا كان الراعي القديس مثابرًا على التضرعات الحارة لدى الله في ان يلين صلابة قلوبهم . وعلى استعمال كل الوسايط الممكنة لاكتسابهم . محتملاً هو ورعيته القطيع الصغير بصبرٍ ودعةٍ وتواضعٍ وطول اناةٍ اضطهاد اولئك الكفرة وافتراهم واغتصاباتهم الظالمة * ولكن لما شاهد القديس ان هذه الحال المحزنة يومًا فيومًا كانت تزداد قساوةً وتشتد جسارةً من دون ان حكام المدينة المملوة خزاينهم من الذهب والفضة المرتشين بها من عبدة الاوثان يمانعون التعدي والظلم والاضطهاد . قد ظن بالصواب انه عاد يلزمه ان يلتجي الى عناية الملك اركاديوس الذي كان وقتيذٍ ضابطًا قضيب الملك * ولهذا ارسل سنة ٣٩٨ الى المدينة القسطنطينية تلميذه مرقص الذي كان قبل بمدة رسمه في الدرجة الدياكونسية مصحبًا اياه بمكاتيب باسم القديس يوحنا فم الذهب الذي كان وقتيذٍ متربعًا على الكرسي القسطنطيني متوسلاً اليهِ بان يخرج من الملك امرًا بهدم معابد الاوثان التي في غزّه لاسيما معبد مارنا * غير انه في ذلك الوقت ما امكن نوال الامر الملوكي بهدم المعابد مطلقًا . لانه من جهةٍ

اولى كانت مدينة غزّه تقدم لخزنة الملك اموالاً غزيرة في كل سنة . وبالتالي كان يخشى من خراب مدينة هكذا عظيمة اذا أُغتصبت سكانها قهرًا . ومن جهةٍ ثانية قد أُعتبرت عواقب الامور خوفًا من ان شعبًا هكذا كلي التعلق في الخرافات الوثنية يسبب بابلاتٍ واضرارًا اذا استعملت ضده القساوة والقهر * ولكن مع هذا جميعه قد ابرز الملك امرًا به جدد حتم الاوامر الملوكية القديمة بابادة الاصنام وباغلاق معابدها وبعدم الالتجا اليها او سوالها عن شي وبتحريم تقدمة الضحايا لها . وفوض وضع هذا المرسوم بالعمل الى احد اصحاب الوظايف المدعو ايلاريون * فلما رجع مرقص الشماس الى غزّه قد شاهد معلمه الاسقف القديس مطروحًا بمرض الحمي . ولكن بهذا المقدار كان فرح هذا الراعي عظيمًا عند قراته الجواب المرسل اليه من القديس يوحنا فم الذهب . حتى انه زال عنه المرض وتعافى صحيحًا * ثم بعد ذلك بايام وجيزة بلغ الى غزّه ايلاريون المفوض باجرا الرسم القيصري مصحوبًا بعساكر ليس وجيزًا عددها * ولكن اذ ارتشى من الوثنيين باموال غزيرة . فبعد ان اغلق السبعة المعابد ترك لهم معبد مارنا . كما انه بعد ان كسر بقية الاصنام سمح عن صنم مارنا واباح لهم الاستطاعة في ان يدخلوا من بابٍ سري الى المعبد المذكور ويباشروا طقوس ديانتهم بتقدمة القرابين وبسوال الصنم حسب عادتهم * وعلى هذه الصورة لم يبدَ تعلُّق الكفرة في مذهبهم الكاذب . ولم يكفوا عن ظلم المسيحيين واضطهادهم اياهم في غزّه . بل بالحري ازدادوا بغضةً وحنقًا عليهم لاجل الالتجا المقدم ذكره للملك ولاجل كسر الهتهم الأُخر *

سادسًا فالقديس بروفيريوس داوم على الصبر والاحتمال . ولم يستعمل في هذه القضية سوى الصلوات لله من اجلهم وصنيع العجايب في شفا مرضى كثيرين منهم . ففيما بين العجايب الاخر كانت تلك المعجزة التي فعلها الله بواسطة هذا القديس مع احدى النسا المتقدمات في اول رتبة الشرف من اكابر المدينة . فهذه كان مضى لها ستة ايام محتملة اوجاع الطلق بعذابات شديدة . من دون ان تقدر على ان تلد ومن غير ان تفيدها جميع الادوية والوسايط الطبيعية . وباكثر من ذلك لم تنتفع من التضرعات والقرابين التي قدمتها كهنة الالهة الكذبة للصنم مارنا * ففي هذه الحال ذهبت الى زيارة المتحضة احدى النسا المسيحيات وقالت لها : ان الاسقف بروفيريوس يعلمكِ بان يسوع المسيح ابن الله الحي هو

« يشفيك ويخلصك . فاذا امني به فتحيين » * فالمتحضة ارتضت مومنة . وحالما اقتبلت هذا الكلام ولدت جنينا بكل سهولة وسلام * فحينئذٍ هتف الحاضرون عند مشاهدتهم هذه الاية صارخين : « عظيم هو اله المسيحيين وعظيم هو كاهنه بروفيريوس » * وهكذا تلك الامراة الشريفة مع رجلها وعيلتها واقاربها الذين كان عددهم ينيف عن سبعين شخصاً امنوا بالمسيح * وبعد ان ارشدهم القديس كما يجب في قواعد الديانة المسيحية . قد عمدهم جميعاً مع الطفل المولود الذي وضع له اسمه هو اي بروفيريوس * ولكن لا هذه الاعجوبة ولا غيرها ولا واسطة ما من الوسايط امكنها ان تلين قلوب تلك الشعوب الكفرة ولا ان تخفف بغضهم وظلمهم للمسيحيين . بل كان ذلك يزداد يوماً فيوماً . حتى انهم اتصلوا الى ان يجاهدوا في طرد المسيحيين من الوظايف المدنية * فحينئذٍ القديس الذي كان ينسب هذه الحال قصاصاً عن خطاياه وعن عدم كفايته في خدمة الدرجة الاسقفية . قد اعتمد على التنزل عنها لكي ينفرد بالوحدة * ولهذا مضى الى مقابلة ريسه وراسمه يوحنا ريس اساقفة قيسارية فلسطين لكي يصنع بين يديه هذا التنزل * غير ان المذكور لم يقبل منه ذلك . بل اعتمد على ان يذهب واياه الى القسطنطينية . ويلتمسا من الملك وضع زمام على تعدي الكفرة ضد المسيحيين في غزه ثم ابراز امرٍ قاطع في ملاشاة فضلات العبادة الوثنية سابعاً فقد سافرا اذاً في اواخر سنة ٤٠٠ بحراً . وبايامٍ قليلة بلغا مدينة القسطنطينية سالمين في فرصةٍ ملايمة جداً لنوال مطلوبهما . وذلك لان الملكة افدوكسيا بعد وصولها ببعض ايامٍ قد ولدت ابنها البكر الذي سمي اسمه ثاوضوسيوس (الذي فيما بعد خلف اباه في التخت الملوكي) * فالملك اركاديوس المهتلي فرحاً وتهليلاً لهذه المنة قد وزع من الخزنة الملوكية صدقات غنية ليس في المدينة المتملكة فقط بل في المدن الاخر ايضاً . لكي يتقدم من الجميع الشكر لله على ما انعم به عليه بهذا المولود * لان عادة الملوك الاولين كانت ان يوزعوا انعامات وصدقات على الفقرا والمساكين . او يخففوا عنهم الاموال الاميرية كل مرةٍ كان ياتيهم مولود او يلتمسون من الله نعمةً ما لعلمهم انه تعالى يقبل صنيع الخير مع الفقرا ويستجيب ما يلتمس من جوده الالهي مكافاةً عن هذه الاحسانات * فالراعيان القديسان قد نالا مواجهة الملكة التي قبلتهما بكل احترامٍ وكرامة . واوعدتهما بان تجتهد عند الملك في قضا مطلوبهما * وهكذا في اليوم الذي فيه صار احتفال عماد ثاوضوسيوس

الطفل قدما للملك والده بطاقة بالنوع الذي دربتها عليه الملكة ونالا التماسها بالتمام وقد فوض اجراء الامر الملوكي بالعمل الي جيناجيوس الرجل المسيحي الجليل الكلي الغيرة على الايمان والحسن الديانة * ثم ان الملك والملكة اعطيا الاسقفين القديسين كمية عظيمة من المال لكي يسعفا بجانب منها فقرا مدينة غزة . ويعمرا بالباقي كنيسة عظيمة في موضع معابد الاصنام التي بموجب الامر الملوكي كان مزمعا خرابها . بل ان الملكة وحدها ارادت ان تتخذ على ذاتها نفقة المصاريف اللازمة لقيام الكنيسة الجديدة في غزة لعبادة الله *

ثامنا فالقديس بروفيريوس قدم الشكر الواجب لله على نهاية غاية سفره الي القسطنطينية بسعادة . ورجع الي غزة في اوايل شهر ايار سنة ٤٠١ * ثم بعد وصوله بعشرة ايام بلغ الي غزة جيناجيوس الوكيل الملوكي صحبة طغمات عديدة من العساكر ثم حرق معابد الاصنام كلها وهدمها حتي اساساتها . لاسيما معبد مارنا الذى كان شهيرا فيما بين العمارات الفريدة في العالم وكان لدى الوثنيين بمنزلة الهيكل الاعظم فيما بين معابد الهتهم * فاى نعم انه حصل التامل الواجب في ان كان يكفي ان يكرس المعبد المذكور ويعمل كنيسة لله او ينبغي ان يهدم . ولكن حينما لم يتفق الراى على احد النوعين . فالقديس بروفيريوس رسم على المومنين صنيع صوم خصوصي على هذه النية مع تضرعات حارة لله تعالي لكي يظهر ارادته في هذه القضية . فالرب قد اعلن بواسطة طفل ذى بعض سنوات انه يلزم ان يهدم من اساساته . لاجل ان كهنة الاصنام في الامكنة الخفية من ذلك المعبد كانوا يصنعون كل نوع من الطمائة والنجاسة القبيحة ومن الظلم . حتي انهم كانوا يقدمون للشياطين اطفالا من البشر ذبيحة * فمن ثم قد نهبت العساكر اولا كل ما وجد في ذلك المعبد من الاشيا الثمينة . ولكن من دون ان احدا من المسيحيين في غزة يشترك معهم باخذ شي من ذلك اصلا طاعة لامر راعيهم القديس . الذى ابرز قصاص الحرم ضد من ياخذ شيا * وقد سحقت جميع الاصنام التي كانت موجودة فيه مع كل الاصنام الاخر الموجودة في بيوت الوثنيين الخصوصية وفي بساتينهم وفي ساحات المدينة ايضا * وبعد ان قوضوا المعبد ونقضوا اساساته قد ابتداوا بعمار كنيسة عظيمة هناك باحتفال مشروح مفصلا من كاتب سيرة القديس بروفيريوس . وكان تاسيس هذا العمار بشكل صليب بموجب الرسم الذى ارسلته الملكة افدوكسيا من القسطنطينية . مصنوعا من احد المهندسين المعتبرين * وهذا

جميعه قد تم بفرح لا يوصف للمومنين الذين كانوا يوماً فيوماً يزدادون عدداً من قبل ارتداد الوثنيين من الضلال الي نور الحق . معتنقين الايمان بالمسيح بنعمته تعالي وبمساعي الراعي القديس وغيرته . وقد انتهى عمار هذه الكنيسة العظيمة بمدة خمس سنوات . وكرسها باحتفال جليل القديس بروفيريوس عينه *

تاسعاً اما الوثنيون الذين لبثوا مصرين على ضلالهم . ولم يكونوا يقدرون ان يجدوا تعزية لحزنهم المفرط على ابادة اوثانهم وهدم معابدها وملاشاة مذهبهم الكاذب وعلى انتصار الديانة المسيحية . فهولا ولو كانوا مُنعوا من قبل الولاة عن ان يهينوا احداً من المسيحيين او يفتروا عليه نظير السابق . فمع ذلك حدث يوماً ما ان رجلاً من المتقدمين فيهم كان يُدعى سانسيكوس قد تخاصم مع ايكونوموس وكيل الكنيسة . فقام الوثنيون يحامون عن سانسيكوس بغضب وحماقة . وهيجوا معهم الباقين برجز وحشيّ . فقتلوا من المسيحيين انفاراً . واسرعوا بايدي مصبوغة بالدما الى بيت الاسقف القديس ليقتلوه * لكنه اذ كان قبل بهنيهة عرف حركة التعصب فدبّر ذاته بانه ترك بيته للنهب . وهرب مع تلميذه مرقص الى بيت قريب سراً واختفى في السقيفة مدة حركة غضب الكفرة * ومن حيث انه في ذلك البيت كانت توجد امراة متقدمة في السن مع ابنة ابنها ذات اربع عشرة سنة تخدمها وكانتا من الوثنيات . فهذه الفتاة طلبت من القديس ان يقبل اعترافها بالمسيح ويعمدها هي وجدّتها * فالقديس في تلك الايام الوجيزة التي بها استمر مختبيا هناك قد علمها قواعد الايمان وعمدها * ولما هدأت زوبعة التعصب واراد الراعي الخروج من ذلك البيت اوعد الامراة بانه مزمع ان يهتم بتدبير زيجة تلك الفتاة * التي لما سمعت كلامه اجابته بانه من حيث انها قد تعرست بالمعمودية ليسوع المسيح ختن نفسها . فلم تعد ترد ختناً سواه . بل كانت ترغب من كل قلبها ان تكرس له بتوليتها * فلكي يتم الاسقف البار ارادتها قد وضعها تحت ارشاد احدى النسا البارات . ثم البسها الثوب الرهباني وكرسها لله * وعلى هذه الصورة اخذت تستسير بحيوة قشفة وبامانة الحواس وبالتاصل في الفضايل حتى انها اضحت تمثالاً حيًا للكمال المسيحي * ولهذا اقتدت بمثلها جواري كثيراتٌ من العذارى معتنقات حفظ البتولية وسيرة النسك . وهكذا صودفت تلك الجارية التي كانت تُدعى سالاسطا النموذج الصالح لجميع سكان غزه الذين كانوا يفتخرون بهذا الشرف اي بانها

اسست في مدينتهم السيرة الرهبانية للبتولات ❋

عاشرًا ثم ان القديس بروفيريوس لم يكن يكف من التوسلات الحارة لدى العزة الالهية في ان تهب نعمة الايمان لاوليك الباقين من الوثنيين فى غزه مصرين على ضلالهم فصلوات هذا الراعي الصالح لم تذهب سدًى * من حيث ان عددًا وافرًا منهم نال هذه النعمة واعتنق الديانة المسيحية * وكانت احدى العلل التي تجتذب الكفرة الى الايمان هى مشاهدتهم في هذا القديس سيرةً لا عيبَ فيها مزينة بجميع الفضايل والكمالات . لاسيما الدعة والصبر والتواضع ومحبة القريب . والعلة الثانية هي صنيع الايات والعجايب الباهرة والعلة الثالثة هي الوعظ والانذار بكلام الله . الذي ولين كان يمكنه ان يستخدم به الفصاحة والبراعة كما يصنع بعض الواعظين بفخرة بشرية وكانهم يكرزون بذواتهم . فمع ذلك هذا القديس كان يكرز بالمسيح مصلوبًا . اي ببساطةٍ وايضاحٍ موافقًا مفهومية السامعين ومبرهنًا الحقايق الانجيلية بروحٍ ساذج وبامثلةٍ يفهمها الجميع * وكما كان هذا الاب الحنون في مدة حياته كلها شفوقًا نحو الفقرا معولاً اياهم بمقدار امكانه * فهكذا رتب في وصيته الاخيرة واقام ملكًا ثابتًا يجنى من مدخوله مقدارٌ من الدراهم يكفي لان يوزَّع بعد وفاته في ايام الصيام الكبير على الفقرا بالنوع الذي كان يصنعه في مدة حياته * وعلى هذه الصورة رقد بالرب بوفاة مقدسة في مثل هذا اليوم الذي هو السادس والعشرون من شهر اشباط سنة ٤٢٠. وهي السنة الثامنة والستون من عمره تقريبًا ❋

فامرٌ واضحٌ هو ما تقدم ذكره ان دعوة القديس بروفيريوس الي الدرجة الاسقفية كانت هي الدعوة الخصوصية التى اختاره الله اليها باعلاناتٍ الهية ايضا . ومع ذلك قد شاهدنا كم من الصعوبات والموانع والاتعاب صادفته في مدة خدمته بهذه الدرجة * فاذًا يجب علينا ان لا ننذهل لما نشاهد في ذواتنا او نختبر في غيرنا حدوث العوايق والصعوبات والاثقال والموانع الغير الاعتيادية ايضا لمن يكون اختار دعوته كالواجب اي انه يكون قبل اعتناق تلك الدعوة اولاً قد باشر الصلوات الحارة والتضرعات المتضعة لدى الله بان يعرفه الطريق التى يسلك فيها . ثانيا قد استشار روساه او من لهم به الاعتنا اواوليك الانام الاتقيا المنورين المختبرين الامور والعارفين جيدًا حاله . ثالثا انه في اختيار دعوته قد جرد ذاته عن الاميال الخصوصية ولم يقصد غايةً اخرى في ذلك سوى مجد الله وخلاص

نفسه الابدى . ومع هذا جميعه بعد اقتباله تلك الدعوة صادفته صعوبات هكذا عظيمة فلا نعجبنَّ من ذلك لان الله يقصد به ان يمتحن امانتنا نحوه في خدمتنا اياه . وان يصيرنا ان نتعمق في الفضايل وان نذخر لذواتنا استحقاقات المجد العتيد كما حدث للقديس بورفيريوس عينه * ثم فلنتذكر ان الرسل القديسين بموجب امر معلمهم الالهي وبرفقته قد سافروا في السفينة مجتازين بحيرة طبرية . ومع ذلك صادفتهم عواصف الارياح حتى كادوا يغرقون . ولم يخلصهم من هذا الخطر الا التجاوهم الى يسوع . الذي كان نايمًا ميقظين اياه وقايلين : يارب نجنا فاننا هلكنا ، (متى ص ٨ ع ٢٥) * فاذًا يقول القديس اغوسطينوس : ترى ما هو هذا العالم وحياتنا فيه الا بحرٌ متموجٌ نجتاز فيه مسافرين . وعلى ماذا تشير تلك السفينة الا على دعوة كل احدٍ منا الحاصل عليها . واى شي تفسر تلك الزوابع وعواصف الارياح وتموج البحر الا التجارب والامتحانات التي نحن مخضعون لها * فما الذى يجب علينا ان نصنعه اذًا سوى ما فعله الرسل انفسهم بايقاظنا يسوع النايم اى بايقاظنا فضيلة الايمان الحي في قلوبنا . وبالتجائنا بالتضرع الحار نحو الله كي يعضدنا بيمينه الضابطة الكل وينقذنا من المخاطر الملمة بنا ويقودنا سالمين . الى مينا الحيوة الطوباوية واهبًا ايانا الصبر والدعة والتواضع مع الفضايل الاخر التي زين بها عبده الامين القديس بروفيريوس * فلنقل اذًا نحن ايضًا . « يارب نجنا فاننا نهلك » *

* اليوم السابع والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار بروكوبيوس البانياسي المعترف *

اولاً ان الميناون اليوناني يوضح ان القديس بروكوبيوس البار هو ديكابوليطا اى من العشر المدن التى في حدود بلاد فلسطين وانه معترف بالايمان في زمن الاضطهاد المصنوع من محاربي الايقونات . كما انه يوضح عن القديس باسيليوس البار في نهار غدا اى في ٢٨ اشباط انه كان ناسكًا جملةً مع القديس بروكوبيوس المذكور نفسه ومعترفًا معه بالايمان . وان اثنيهما معًا قد رقدا بالرب سنة ٧٢٠ * ولهذا فالمينولوجيون الباسيلي يورد مختصر سيرة حيوة هذين البارين المعترفين معًا في اليوم الحاضر من دون ان يفصلهما . ومن ثم نحن اتباعًا له نحرر هذا المختصر عنهما جملةً ونقول *

ثانيا ان القديس بروكوبيوس الديكابوليطا الذى قد تربى في الديانة المسيحية تربية

جبدة في بلاد فلسطين . ويبان انه رفض العالم واباطيله وتمسك بالعيشة الرهبانية قبل البار باسيليوس . الذي يظهر انه كان مولوداً في هذه البلاد فليس من دون الهام الهي قد اتبع الثاني نموذج الاول . وارتبطا بوثاق الحب الاخوي مرتاضين معاً في السلوك النشيط وبحرارة العبادة في طريق الكمال الانجيلي . ممارسين تلك الامانات والتقشفات الصارمة مثابرين على الاصوام والصلوات . متماثلين في الفضايل السامية وحسن التعبد الحقيقي لله بالروح والحق ✻

ثالثاً فلما اشهر الملك لاون الايصوري ضلاله المبين ضد تكريم الايقونات المقدسة . واستعمل سلطانه الملوكي استعمالاً سيئاً نفاقياً في محاربتها وفي اغتصاب الكاثوليكيين الى مذهبه هذا الاثيم . فقد وجد هذان البارات فيما بين اوليك الرجال القديسين الافاضل . الذين في حدوث زوبعة هذا الاضطهاد الظالم قد حاموا عن الامانة المستقيم رايها . وناضلوا عن حق تكريم الايقونات . وقاوموا ضلال الارائقة محاربيها بشجاعة وجلادة . واحتملوا من اجل المحاماة عن هذه القضية الدينية العذابات والمنافي والحبوس . وكثيرون منهم قد اثبتوا الحقيقة المذكورة بسفك دمايهم ودُونت اسماؤهم في مدرج القديسين فيما بين الشهدا الحقيقيين ✻

رابعاً فاذ عُرفت اذاً عند الولاة الضالين الذين كانوا موافقين لمذهب الملك المذكور ومجتهدين في تنفيذ اوامره النفاقية واشتهرت لديهم غيرة القديسين بروكوبيوس وباسيليوس في المحاماة عن الايمان الكاثوليكي وفي رذل اضاليل المذهب الملوكي المحارب الايقونات . قد قُبض عليهما وأُمتحنا بالعذابات * واذ لبثا ثابتين على الاعتراف المجيد بالحقيقة الارثودكسية . فخدام الشريعة قد سلخوا جلد راس القديس باسيليوس وطرحوه في السجن مع القديس بروكوبيوس باضامة كلية حيث استمرا محبوسين مدة مديدة من الزمان محتملين بصبر عجيب مشقات السجن الضنك ✻

خامساً فحينما باين هذه الحبوة لاون الملك وحضر في ديوان الله ليعطي جواباً عن اعماله الاثيمة . فوقتيذٍ أُطلق هذان القديسان المعترفان من السجن وشرعا يعلمان بكل غيرة الحقايق الدينية عن حسن العبادة الواجبة في تكريم الايقونات المقدسة * وقد بارك الله غيرتهما هذه الحميدة بانه تعالى منح انعامه الالهية لعددٍ عظيم من الارائقة المذكورين .

فرفضوا ضلالهم بواسطتها . ورجعوا الي حقيقة الايمان الكاثوليكي * وقد استمر هذان البارات في اجتهادهما الموصى اليهِ الي ان رقدا بالرب منتقلين الي الحيوة الابدية ليتمتعا بمكافاة اتعابهما وما احتملاه من اجل صدق الامانة المستقيمة *

فكما ان الحروب المدنية تصير واسطة امتحان لكثيرين من الجنود بها تظهر شجاعتهم وحسن امانتهم وسمو افادتهم لدى ملكهم ومدبري ديوانه . فهكذا الحروب التي حركها اركون الظلام الجهنمي في بيعة الله ضد حقايق الايمان قد صارت واسطة ليس فقط لتوطيد هذه الحقايق وثباتها بافضل نوع بل ايضاً اضحت علةً لمعرفة شجاعة رجال الله الامناء جهابذة الديانة وفطاحل الاعتقاد المستقيم * وهذا ما يشير اليه القول الرسولي في انه لا بد من الانشقاقات في الكنيسة ليكون المختبرون ظاهرين فلا نرهب اذاً من حدوث الاضطهادات من اجل الايمان . ولين كان يجب علينا دايما ان نتوسل لله بالا يسمح بحدوثها بل فلنكن حسني الاستعداد لمقاومة الاضاليل ولاحتمال كل شي من اجل الايمان الكاثوليكي مع نعمة الله . التي لايسكها تعالى عمن يلتمسها باتضاعٍ وبها ومعها نفوز بالغلبة على اعدائنا ونتال المجازاة العادلة في السما صحبة الابرار المعترفين الى الابد *

* اليوم الثامن والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار باسيليوس المعترف *

ان مختصر سيرة حيوة هذا البار القديس باسيليوس المعترف قد تقدم ايرادها نهار امس

* اليوم التاسع والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار كاسيانوس الرومي *

اولاً ان هذا البار المدعو كاسيانوس يوحنا قد ولد في مدينة سكيتيس الصغيرة في اقليم تراكيا بعد النصف الجيل الرابع . واذ حصل على تربية صالحة من والديه الحسني الديانة فمنذ نعومة اظفاره قد تاصل في قلبه خوف الله * وفي سن الشبوبية قد مضى الى مدينة اورشليم . ومكث مدةً من الزمان في دير الرهبان الموجود في بيت لحم * حيث تروّض بالفضايل . متقفا ذاته بحسن الصفات والواجبات الرهبانية * ثم ذهب من الدير المذكور الى الاقليم المصري . وهناك اعتنق سيرة النسك عايشاً فيما بين ابا البرية * ومن حيث انه كان في درسه العلوم في زمن حداثته قد تعاطى كثيراً قراة كتب الشعرا اليونانيين .

وهذا قد يجن في مخيلته اشيا كثيرة من الخرافات والاقوال الغير الموافقة الروح المسيحي فمن ثم كان يستحوذ عليه القلق فيما بعد حين صلواته وتاملاته الروحية كما يعترف هو نفسه بذلك قايلاً: «ان مطالعتي المتصلة في تاليفات الكتبة الغير المومنين التي كان معلمي يعطينيها لاقراها قد املأت روحي وسمرت في عقلي الارتياح الشديد والرغبة في تامل الاقوال الشعرية. حتى اني لم اعد فيما بعد افتكر في شي الاَّ في تلك الموضوعات * ولهذا حينما كنت امارس في انفرادي النسكي الصلوات او ترتيل الزبور او التنهد والبكا امام الله على ذنوبي. فكانت تتصور في مخيلتي ابيات كثيرة من تلك الاشعار المرذولة وموضوعات مختلفة في ان افهم الابيات. وهذه وتلك كانتا تصدان عقلي عن ان يرتفع بالروح نحو الله وعن ان اذرف الدموع الواجبة على تقايصي» *

ثانيًا فهذا البار حينما تمسك بالعيشة الرهبانية في بلاد فلسطين. كان ارتبط بوثاق الحب والصداقة مع رجلٍ اسمه جرمانوس من بلده وربما من اقربايهِ * وبهذا المقدار وجدا متحدين بالحب والودّ المترددين. حتى ان كل من وجدهما وعرفهما كان يقر معترفًا بان نفسًا واحدة كانت موجودة في جسديهما * وهذا الاتحاد المقدس كما انه كان يفيدهما للنمو في طريق الكمال والمغايرة في الفضيلة. فهكذا حركهما على ان يجدا نوعًا اخر من صرامة العيشة بذهابهما الي داخل الاقفار المصرية الغير المسلوكة ليمارسا بالعمل الفضايل وانواع الامانات التي كانا ابتدأا بمباشرتهما * وهذا كان علة سفرهما من بلاد سوريا بحرًا حيث بلغا الى مدينة تاناس الكاينة في اخر حدود الاقليم المصري بعيدة ستة ليكات من اوستراكين فهناك صادفا ارشيبوس اسقف بانافيس. الذي جاء الى تاناس لاجل انتخاب اسقفٍ لها وكان قبلا عاش مدة سبع وثلاثين سنة ناسكًا في القفر * فهذا اذ عرف ارادتهما واعتمادهما على النسك في القفار البعيدة. قد اخذهما صحبته الى بانافيس. ومن هناك ارسلهما الي السواح كورامونوس ونوسطوروس وبوسف *

ثالثًا فقد استمرا في تلك الفيافي مدة سبع سنوات ليس في مكانٍ واحد بل تحت ارشاد ابا مختلفين. خاصة الانبا بيامون * وقد تعرفا بكثيرين من اوليك الابرار الشايعي الذكر. مستفيدين من نموذجاتهم. عايشين بالامانات الشاقة وبالتعب في عمل اليد. محتملين مشقات كثيرة. لاسيما الفقر الكلي والعرى الشديد ثم تجارب قوية من العدو

الجهنمي * الذي مرةً قد تراءى لها بزي ملاك النور . اي هجس لها ان يرجعا الى موطنهما كي يفيدا الانفس هناك ويحصلا على قوتهما الضروري ويعيشا بسكينة * الا انهما حينما كشفا عزمهما هذا على الانبا ابراهيم . قد عرف انه كان صادرًا من عدم اماتة ارادتهما بكفاية . ولذلك اقنعهما بالخلاف * ففي نهاية السبع السنوات بعد ان جالا اقفار ذاك البر وغيرها . قد رجعا الى اورشليم الى دير بيت لحم سنة ٣٩٧ . تتميمًا لوعدهما السابق الى رهبان هذا الدير الذين مرات عديدة كانوا انفذوا لهما رسايل . بها يذكرونهما بالتزامهما بتكميل وعدهما * الا ان البار كاسيانوس رجع الي القفر المصري سنة ٤٠٠ حيث استمر مدةً من الزمان *

رابعًا ثم في اثنا ذلك قد سافر هو الى القسطنطينية . وتتلمذ للقديس يوحنا فم الذهب سنة ٤٠٤ . واقتبل منه وضع اليد بالدرجة الدياكونية واقيم منه حارسًا لخزنة الكنايسية والاواني القدسية في الكنيسة العظمى * حيث صنع قايمة عامة بجميع مفردات تلك الخزنة الحاوية كل ما وجد فيها من حين تسليم القديس يوحنا زمام تلك الابرشية الي ذاك الوقت * وحينما حصل بعد ذلك الاضطهاد لهذا الراعي الجليل ونُفي من القسطنطينية فالبار كاسيانوس أُرسل الى رومية برسايل من الاكليروس القسطنطيني الى البابا اينوشانسيوس سنة ٤٠٥ حاوية التخبير بما حدث لاسقفهم المظلوم *

خامسًا فبعد هذا الحادث لم يعد يُعرف ما صنعه البار كاسيانوس في تلك المدة هل كان يُظن بالصواب انه هذا هو نفس ذاك المدعو كاسيانوس الذي وُجد في مدينة رومية سنة ٤١٤ او سنة ٤١٥ لكي يتعاطى اتحاد الكنيسة الرومانية مع الكنيسة الانطاكية فيلزم ان يقال انه قبلاً كان حضر الى انطاكية ثم رجع الي رومية مصحوبًا برسايل من الاسقف الكسندروس في شان هذا الاتحاد * كما انه ليس من دون اساس يُعتقد بانه اي كاسيانوس اقتبل في رومية درجة الكهنوت . ولين كان جناديوس يرتاى بانه ارتسم بهذه الدرجة في مدينة مرسيليا * والذي يوكد هذا الراي هو كون البار كاسيانوس قد مكث سنى حياته الاخيرة في مرسيليا بموجب القانون الكنايسي في ان من كان يرتسم لخدمة مذبح ما لم يكن يمكنه ان يباين هذه الخدمة * غير ان كاسيانوس حينما كان في رومية قد سُمي كاهن غولاس *

سادساً فالبار المذكور حينما قطن في مرسيليا قد عمّر هناك ديرين احدهما للرجال وثانيهما للبنات . راسماً لهذا ولذاك الفرايض التي بموجبها كان يسلك جميع من كانوا في الديرين المذكورين * ثم في سنة ٤٢٦ قد اشهر تاليفا ما لا يناسب بكلية اجزايه الاراء الراهنة فيما يخص نعمة الله . بل كان فيه ما يلايم ارتقة بيلاجيوس * فهذه الاراء تمسك بها كثيرون من سكان مرسيليا . ولم يستفيدوا من تاليفه الاخر الذي كان احضره لهم من غولاس المنافي تلك الاراء * غير ان القديس اغوسطينوس حينما عرف ذلك قد الّف كتابيه في شان انتخاب القديسين الى المجد وفي نعمة الثبات الاخيرة *

ثم من حيث ان البار كاسيانوس كان متعمقاً جداً في علم اللاهوت وبارعاً عظيماً في اللغة اليونانية . فالقديس لاون الكبير الذي كان وقتيذٍ ريس شمامسة الكنيسة الرومانية ومتقدماً جداً في الوظايف . وفيما بعد ارتقى حبراً اعظم الى السدة البطرسية قد فوّض هذا البار ان يولف محاماة كافية عن الايمان الكاثوليكي ضد ارتقة نسطوريوس المنتشية حينيذٍ وكان قصد القديس لاون بذلك كي يظهر ان كاسيانوس . ولين كان صدر منه الزلل بما وجد في تاليفه ملايماً لغلط بيلاجيوس وضلاله فلم يتاخر عن ان يناضل عن الايمان الكاثوليكي ضد نسطوريوس الضابط زمام الكرسي القسطنطيني *

سابعاً ثم ان البار كاسيانوس لحد سنة ٤٤٢ كان بعد في قيد الحيوة . كما يبان من اقوال القديس بروسبيروس * واما جينياديوس فيذكر ان وفاته حدثت برقوده بالرب في زمن ولاية الملكين ثاوضوسيوس الصغير وفالنتينيانوس . اي فيما بين سنة ٤٢٥ وسنة ٤٥٠ من دون ان يعيّن السنة التي فيها فارق هذه الحيوة * وقد تكرم ذكره كقديس جليل لا سيما في مدينة مرسيليا . حيث يُحفظ الى الان في كنيسة القديس فيتوريوس راس هذا البار وذراعه اليمين ضمن صندوق كان صُنع بامر البابا اوربانوس الخامس . وباقي اعضا جسده موجودة ضمن قبر من رخام في كمنتير الكنيسة المذكورة *

فما اعترف بهِ البار كاسيانوس عمّا اثرت في مخيلته قراة كتب الشعرا اليونانيين . وكانت تقلقه وتصده عن ارتفاع عقله الى الله بالصلوات والتاملات . ينبغي لنا ان نتخذ لذواتنا الافادة بالهرب دايماً من مطالعة الكتب الغريبة عن روح الديانة والاداب * لانه من حيث ان الطبيعة البشرية المفسودة تميل بنا طبعاً الى الفساد . فمهما استعملنا من الاحتراس

في قراتنا كتبًا هذه صفتها فلا يخلو من ان تترك في ذهننا اشباح تلك الاشيا الغير الموافقة لروح الشريعة الانجيلية * على ان التجربة اليومية ترينا بكفاية ان نموذجًا دنسًا او قولاً مهيجًا الى الفساد يثبتان في مخيلة قاريها او سامعها بابلغ جدًا مما يبقى منجنًا فى فكره اي نموذج او قول صالح كان * بل فلنجعل لذتنا فى مطالعة الكتب الالهية والمصنفات الروحية وفى قراة سير القديسين واخبار حياتهم المجيدة . الامر الذي يفيدنا جدًا للاقتدا بنموذجاتهم وبفضايلهم . وهذه هي الغاية التي من اجلها يجب ان نطالع فى مصنفات هذه صفتها *

* شهر ادار *
* اليوم الاول *

* وفيه تذكار القديسة الشاهدة في البارات افضوكية *

اولاً ان القديسة البتول الشهيدة افضوكية هي مولودة فى مدينة ايليوبولي اي مدينة الشمس المدعوة الان بعلبك من والدين وثنيين كانا هي نفسها قد تربت فى ديانة عبادة الاوثان الكاذبة * ولكنها فى الوقت عينه كانت محبة للفضيلة ولحفظ الطهارة والعفة . الامر الذي حرك الباري تعالى لان يهبها برافته الغير المتناهية نعمة الايمان بالمسيح المجانية . وذلك بواسطة من قد استخدمتهم عنايته الالهية * فمن ثم بعد ان استوعبت جيدًا افضوكية بطلان المذهب الوثني المناقض نور العقل الطبيعي نفسه . وفحصت حسنًا حقايق الديانة المسيحية الكنية الثبات قد رفضت تلك العقيدة الاصنامية الرجسة . واعتنقت هذه الامانة المسيحية المقدسة بفرح وبرسوخ عزم وطيد ثابت *

ثانيًا فنحو سنة ١٠١ للمسيح كانت هذه البتول المومنة ارتشدت جيدًا في معرفة قواعد الايمان واسرار الديانة . وواجبات العبادة والتزامات حفظ الوصايا الالهية ورسوم الشريعة الانجيلية * وهذا جميعه كانت تعلمته من القديس الاسقف البار ثاوضوطوس . فقد لبست المسيح باقتبالها سر المعمودية المقدسة من يد الاسقف المذكور . وحصلت على سرور كلي وشجاعة عظيمة لان تجاهد من اجل صدق هذه الامانة وحبا بختن نفسها الالهي الذي

تعرست له ❋

ثالثًا ففي هذا العضون اشهر الملك ترايانوس قيصر اوامره الظالمة النفاقية في اضطهاد المسيحيين واغتصابهم على تقدمة الضحايا لالهة المملكة التي كان يزعم انه بناء يبدها اياه حصل على الانتصارات ضد اعدايه فلما اراد فينجانسوس والي مدينة ايليوبولي ان يضع هذه الاوامر القيصرية بالعمل . قد قبض على القديسة افضوكية التي اشتهر لديه امر اصطباغها ◎ وبعد ان امتحنها بانواعٍ كثيرة ووجدها ثابتة فى الايمان بالمسيح . قد حكم عليها بقطع الراس الامر الذي اقتبلته بفرحٍ عظيم . وبهِ فازت باكليل الشهادة متراقية نحو القناطر العلوية لتتحد مع عروسها الالهي في ملكه الابدي ❋

فيالخزي اليهود وخجلهم . لانه في الوقت الذي فيه لم يقتبلوا انذار الرسل وكرازة تلاميذهم القديسين في مبادي الكنيسة . بل لبثوا مصرين على ضلالهم في ان المسيح لم يات بعد الى العالم * ففيه عينه كان الوثنيون ليس فقط يقتبلون التعليم الانجيلي ويومنون بخلاص العالم . بل ايضًا كانوا يسفكون دماهم فرحين بشجاعةٍ من اجل هذا الايمان المقدس حتى الجنس النسائي منهم الجزيل الضعف نظير القديسة البتول افضوكية ❋ وبهذا صدق قوله عزَّ وجلَّ : «بان كثيرين ياتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات . وابناء الملكوت يُلقون في الظلمة البرانية» (متى ص ٨ ع ١١) * ولكن الخزي والخجل اللذان يعتريان في يوم الدين المسيحي الهالك هما اعظم من ذلك جدًا . لانه بعد ان أُعطى من الله موهبة الايمان المجانية التي لم تُعطَ لليهود لاصرارهم على الضلال برفضهم الحق . فمع ذلك لعدم تكميله واجبات هذه الامانة بل بمخالفته ناموس الله وعدم صنيعه التوبة الواجبة اكتسب لذاته الهلاك . وهكذا بعد ان كان ابن الملكوت أُلقي في الظلمة البرانية حيث البكا وصرير الاسنان ❋

❋ اليوم الثاني ❋

❋ وفيه تذكار الشهيد في الكهنة ثاوضوطس اسقف كيرينيس ❋

اولًا ان القديس ثاوضوطس الذي لسمو فضايله وقداسة سيرته قد أُنتخب وارتسم اسقفًا لمدينة كيرينيس في جزيرة قبرص في مبادي الجيل الرابع قد اهله الله لان تتوَّج فضايله الانجيلية باكليل الاعتراف المجيد بالايمان بالمسيح لدى الديوان القيصري . ولان يحتمل من

اجله عذابات الشهدا القديسين * على ان الملك ليكينيوس قيصر اذ كان اشهر ذاته عدوًّا الدّ للمسيحيين . واضطهدهم بقساوة بربرية شديدة متحركا من الالام والكيد والبغضة ضد شخص قسطنطين الملك العظيم . لاجل انه اعتنق الايمان بالمسيح . واعلن ذاته محاميًا عن هذه الديانة المقدسة . ومضادًّا لعبادة الاوثان الكاذبة . ومجتهدًا في هدم معابد الاصنام كما انه اي ليكينيوس كان يكره هذه الديانة ويغتصب المومنين على نكرانها . فمن ثم اضرم نار الاضطهاد الشديد في بلاد المشرق التي كانت خاضعة له ضد المسيحيين *

ثانيًا فاذًّا في هذا الاضطهاد عينه نحو سنة ٣٢٠ قبض على الاسقف القديس ثاوضوطس وأُحضر الى ديوان والى الجزيرة المار ذكرها * ولاعترافه الجهير بالامانة ومناضلته عنها بثبات عزمٍ رجولي وبشجاعةٍ غير مغلوبة احتمل عذاباتٍ قاسية مختلفة الانواع وفي اوقاتٍ متباينة * اذ انه كان تارةً يُعذب شديدًا حتي الى خطر فقد الحيوة وتارةً كان يطرح في السجن من دون ان تبرز ضده حكومة الموت *

ثالثا غير انه اذ هلك فيما بعد الملك ليكينيوس قيصر قتلاً . وبقي الملك قسطنطين الكبير وحده . ضابطا زمام المملكة الرومانية باسرها . وهكذا حصل الهدو للكنيسة الجامعة من الاضطهاد . فالقديس ثاوضوطس ايضًا نجا من السجن * وبعد مدة من الزمان انهى حياته المقدسة بموتٍ طبيعي . ولكن مع ذلك خصصته الكنيسة بصفة شهيد في روسا الكهنة * على ان بيعة الله الجامعة اعتادت ان تعطي تسمية شهيد لاوليك الذين يكونون من اجل الايمان بالمسيح احتملوا عذابات كافية لان تعدمهم الحيوة الجسدية . ولين لم يكونوا يموتون بها * اذ ان الله يكون حفظهم احيا بقوة فايقة الطبيعة الى زمنٍ اخر فيه يموتون فيما بعد بموتٍ طبيعي كما توجد عندنا في اثبات ذلك نموذجات كثيرة . نظير نموذج هذا القديس الذي تصنع الكنيسة اللاتينيه تذكاره المقدس في اليوم السادس من شهر ايار

فتصرُّف الكنيسة الجامعة المومى اليه هو مطابق ليس لنور العقل والاستقامة فقط بل لنصوص الكتاب المقدس ايضا * على ان الباري تعالى الكلي العدالة الذي هو الحق بالذات . فكما انه يعاقب العزم الردي والقصد الاثيم على فعل الخطية المميتة بعقابٍ ابدي يوازي شر الخطية . ولو ان ذاك العزم الردي او القصد الاثيم او اشتها ما لا يجوز لم يكمل بالفعل . بل لبث ضمن الارادة فقط مقبولاً منها * فهكذا عزَّ وجلَّ يجازي العزم

الصالح والقصد على فعل الفضيلة بمكافاة الهية موازية له . ولين لم يبلغ ذلك الى الفعل اما لمانع فايق الطبيعة واما لعايق لا يمكن الظفر به * وفي تاييد هذا القول توجد عندنا براهين واضحة من الكتاب المقدس نفسه . ويكفينا النموذج الذي تم باب الابا ابراهيم * الذي لاجل عزمه على طاعة امر الله له في ان يذبح ابنه اسحق ضحية فمع ان عزمه هذا لم يكمل بالفعل . لانهُ منع عنه فيما بعد من ملاك الرب عينه . فمع ذلك قد كوفي من الله كانه ذبح ابنه حقًا * فاذًا يمكننا ان نكتسب لذواتنا الثواب اذا عزمنا على فعل الخير . او قصدنا عمل البر . او اشتهينا صنيع الرحمة والصلاح . او ثقنا الى اباحة حياتنا من اجل الله . او رغبنا اشيا مقدسة مفيدة لمجده تعالى وافادة القريب . ولو ان الظروف لم تعطِنا ان نضع ذلك بالعمل * لان هذه العزايم والمقاصد والاشواق الصالحة المشتهى صنيعها هي حسنة القبول امام الله كقول المرتل : شهوة البايسين قد سمعت يارب والى ما استعدت قلوبهم نصتت اذناك (مزمور ٩ ع ٣٧) *

* اليوم الثالث *

* وفيه تذكار القديسين الشهدا افطروبيوس وكلاونيكوس وفاسيليسكو *

اولاً ان الشهدا القديسين افطروبيوس وكلاونيكوس وفاسيليسكو كانوا في مبادي جيل الكنيسة الرابع خادمين في الجندية فيما بين عساكر الرومانيين جملةً مع نسيبهم المعظم في الشهدا القديس ثاودوروس المدونة منا اعمال استشهاده تحت اليوم السابع عشر من شهر اشباط * ولكنهم في الوقت عينه كانوا متجندين لملك السماوات والارض يسوع المسيح بالايمان به وبالسلوك حسب شريعة انجيله المقدس بسيرة مسيحية تامة قد عطفت الله الى ان يزين نهايتها بنعمته المجانية . التي بها وهبهم ان يسفكوا دماهم من اجله تعالى صايرين شهدا الحق *

على انه حينما ابرز الملك مكسيميانوس قيصر اوامره النفاقية نحو سنة ٣٠٦ في اضطهاد المسيحيين اتباعًا للمراسيم السابقة المصدرة من الملك ديوكلاتسيانوس قد قبض على هولاء الثلثة الجنود بامر الوالي اسكلابياده بحسب كونهم مسيحيين وعذبوا شديدًا وبانواع مختلفة لثباتهم على الايمان . حتى امتلات اجسادهم من الجراحات المتخنة ثم طرحوا في السجن * الا ان الله قد منحهم الشفا هناك بنوع فايق الطبيعة بواسطة القديس ثاودوروس نسيبهم *

فلما أُخرجوا من الحبس ومثلوا امام الوالي اصحّا . شرع يلاطفهم بالفاظ عذبة موعدًا اياهم خاصةً للقديس كلاونيكوس بالتقدم في الوظايف وبانعامات الشرف * غير ان هذا الشهيد قد ازدرى بالاصنام مستهزيًا بقوتهم الباطلة . وهكذا لاهو ولا رفيقاه قبلوا موافقة الوالي بنكران الايمان المسيحي . او بتقدمة الضحية للاوثان كما كان يحرضهم هذا المغتصب * ثالثًا فقد وُضع هولا الشهدا تحت عذابات جديدة . لاسيما باهراق كمية وافرة من الزفت والقطران المغلية على اجسادهم * ولكن هذه العذابات لم تصنع فيهم لا تغييرًا عن ثباتهم ولا مضرةً لاجسادهم . بل اذ كان الوثنيون يحتفلون بتقدمة القرابين لصنم الالهة ديانا . فالقديس كلاونيكوس بواسطة تضرعه لله اقلب ذاك الصنم مندكًا على الارض * فاخيرًا قد أُبرزت حكومة الموت ضد الشهيدين افطروبيوس وكلاونيكوس بالصلب . وهذه الحكومة قد وُضعت بالعمل في مدينة اماسيا من اقليم البنطس . وبها انهيا جهادهما فايزين باكليل الشهادة * واما القديس فاسيليسكو فطرح في السجن . وفيما بعد أُرسل الى مدينة كومانا حيث سفك دمه شهيدًا كما هو مورد منا تحت اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار المختص بتذكار جهادة بنوع خصوصي *

فنحن عند تاملنا عدد شهدا الحق الفايق الاحصا وما احتملوه من العذابات القادحة . يلزمنا ان ننعش في ذواتنا فضيلة الايمان التي اثبتها هولاء الالوف والربوات من الشهدا بتسجيلهم حقايقها باهراق دمايهم الزكية . وان نوطد فينا فضيلة الرجا في نوال السعادة الابدية التي استحقها لنا مخلصنا الالهي . الرجا الذي شجع هولاء الشهدا في ميدان الجهاد . وان نضرم فينا فضيلة المحبة نحو الله فوق كل شي . اقتداء باوليك الانام الذين فضلوا محبة الله على جميع الموجودات العالمية من الغنى والشرف والمقامات العالية والوظايف السامية والتنعمات والملذات الجسدية . بل على حياتهم نفسها . لكيلا يغيظوه تعالى حتي ولا بانكار شفوي خارجي او بشي اخر مخالف لناموسه * وهذا هو بالحقيقة معنى ان يحب الله فوق كل شي . الامر الذي كثيز من المسيحيين يكررون قوله بافواههم . ولكن يخالفونه بافعالهم * على ان كل مرةٍ يفعلون الخطية قولاً او فكرًا او فعلاً هم يخالفون حقيقة حب الله فوق كل شي . اذ ان مخالفة شريعة الله بفعل اية خطيةٍ مميتة كانت هو مضاد للمحبة له عزّ وجلّ * فاذًا ان كنا نروم ان نصير مشاركين الشهدا القديسين في السعادة التي نالوها

فيلزمنا ان نشاركهم في اقتنا هذه الثلث الفضايل الالهية خاصةً . مباشرين اتقانها بالعمل لاسيما المحبة التي من دونها لايقدر احد ان يعاين الله *

* اليوم الرابع *

* وفيه تذكار ابينا البار جراسيموس الذي من الاردن *

اولاً ان القديس جراسيموس المعتبر جدًا من الكنيسة الجامعة فيما بين ابا السيرة النسكية الاوفر كمالاً والمعلم الروحي الاشد صرامةً قد ولد في اقليم ليكيا من الاسيا الصغرى في مبادي الجيل الخامس . اذا لم نقل في اواخر الجيل الرابع * وقد تمسك منذ حداثته بسيرة النسك في ارض وطنه حيث اجتاز مدةً من سني حياته . منفردًا عن العالم كسابح ناسك هناك . قبل ان ياتي الى بلاد فلسطين * التي لما حضر اليها قد اختار لسكناه قفرًا مجاورًا لنهر الاردن . وفيه مارس سيرةً سامية في القداسة . محاربًا بشجاعةٍ غير مغلوبة وبثباتٍ عديم الانهزام اعدا خلاصه الابدي . مستخدمًا في تلك المعركات المتصلة الاسلحة الروحية التي هي اماتة الحواس وقهر الارادة والصلوات الحارة والتاملات السامية ثم عمل اليد * ففي زمن نسكه المومى اليه كانت الكنيسة الجامعة محاربةً باضطراب من قبل الارتقة الاوطيخية التي اذ كانت شُجبت وحُرمت من المجمع المسكوني الرابع الخلكيدوني . فالقديس افثيميوس الكبير كان حينئذٍ يشهر في كل مكانٍ من تلك الجهات تحديد الايمان المبرز في المجمع المذكور المعصوم من الغلط . لكي يوطد المومنين ويجتذب الضالين الى حضن الكنيسة * على ان احد رهبان بلاد فلسطين كان خدع الملكة افدوكسيا التي كانت انفردت عن العالم في ذلك الاقليم . واسقطها مع عدد كبير من الرهبان في ضلال الارتقة المذكورة وفي مقاومة تحديد هذا المجمع المسكوني * فالباري تعالى الذي احكامه غير مدركة قد سمح بان يكون من عدد هولا الرهبان جراسيموس عينه بانخداعه في هذا الضلال . ولين لم يكن عزَّ وجلَّ يهمله فيه زمنًا مديدًا * اذ انقذه منه على النوع الاتي ذكره . وهو انه لما ان جراسيموس كان يسمع اشيا كثيرة تحقق قداسة افثيميوس وفضايله السامية وسيرته النسكية الكاملة . قد التهب شوقًا لمشاهدته والتعرُّف بهِ * ومن ثم باين محل انفراده وذهب لمواجهة هذا القديس في قفر روبان . حيث اجتمع به واخذا يتفاوضان فيما بين الاشيا الاخر عن قضية الارتقة المذكورة انفًا . بنوع ان جراسيموس قد انتبه على غلط

الارثقة ورفضها مطلقا . واعتنق تحديد المجمع الخلكيدوني بكل اقتناع وتسليم * وشعر بندامة هكذا عظيمة على ذنبه حتى انه قد بكاه بمرارة مدة حياته الباقية كلها . الامر الذي صيره ان يكون اعظم متضع واوفر محترس واشد متقشف * حسبما اعتادت العناية الالهية ان تنتج للمختارين من سقطات البعض منهم هذا الثمر . موطدة فيهم بعد نهوضهم التواضع والسهر بابلغ نوع والنشاط في ممارسة افعال التوبة * فتمسك القديس جراسيموس باعتقاد المجمع الخلكيدوني ورذله ضلال اوطيخا قد صيرا كثيرين من الرهبان الضالين ان يقتدوا بمثله راجعين الى وحدة الايمان الكاثوليكي ومنفصلين من شركة الاوطيخيين *

ثانيا ثم انه حينما شاهد القديس جراسيموس كثرة الانام الذين كانوا يهجرون العالم ويأتون اليه عايشين تحت ارشاده . متمسكين بالسيرة النسكية . قد عمر في ذلك القفر بجذاء الاردن سبعين قلاية منفصلة احداها عن الاخرى لسكنى سبعين سايحا تحت ارشاده * كما انه شيد بالقرب من المحل المومى اليه ديرا خصوصيا للمبتدين . الذي فيه كان يقبل كل من كان ياتيه ليعيش بالنسك تحت تدبيره . ويبقيه مدة مستطيلة في الدير المذكور بعيشة مشتركة مع المبتدين . وبعد ذلك حسب موضوع قابليته ينقله الى احدى السبعين قلاية ليمارس العيشة المتوحدة بالسياحة . ان كان يجده اهلا لهذه العيشة التي بها كل من اوليك السواح كان يحفظ الصمت الكلي مدة خمسة ايام في كل سبة . مثابرا على الصلوات والتاملات وانواع الامانات ثم عمل اليد * واما في يومي السبت والاحد فكانوا يحضرون جميعا في الكنيسة للاحتفال بالطقس ولتناول الاسرار الالهية . وبعد خروجهم من الكنيسة كانوا يغتذون جملة مستعملين بعض الخضر المسلوقة ويشربون قليلا من الخمر * وكما انه في نهار الجمعة عشية كل واحد منهم كان يحضر الى الدير صحبته ما يكون اشتغله من الخوص في مدة الخمسة الايام . فهكذا نهار الاثنين صباحا كل منهم كان ياخذ من الدير اغصان الخوص مع الخبز والماء قليل من ثمر النخل ويرجع الى قلايته متوحدا مدة الخمسة الايام لحد ليلة السبت * ففي قلاية كل واحد من السواح لم يكن سوى فراش صغير مملو من القنب الخشن . مطروحا على الارض العارية للمنامة مع غطا من الخيش الموصل . ثم وعاء فخار كبير لاجل الما للشرب ولنقع اغصان النخل لعمل السلال وكان ممنوعا عليهم مطلقا ايقاد النار في القلالي . وهكذا في الوقت الذي فيه كانوا

عايشين في هذا الفقر الكلي وبهذا التواضع العميق . مجردين ذواتهم من كل مقتنى . ففيه عينه كانوا متشبهين باقرب نوع بالمخلص معلم طريق الكمال الانجيلي الذي اذ هو الغني بالذات والعظمة الفايقة القياس . قد ارتضي بان يتجسد معتنقًا الفقر والتواضع اللذين اليهما ارشد من يريد ان يتبعه * ثم ان القديس جراسيموس فيما بين الاشيا الاخر التي كان يرسمها على السواح الذين تحت ارشاده . لم يكن يسمح لاحدٍ منهم بان يغلق باب قلايته كل مرة كان يخرج منها الى خارج . حتي لا يظهر لاحد منهم ان قريبه يحوى في قلايته شيًا خصوصيًا لايكون مشاعًا لاستعمال كلٍ منهم ولكي يعرفوا ذواتهم دايمًا انهم غربا في هذا العالم لايمتلكون شيا مخصوصا * بل ولم يكن يسمح لهم بايقاد السرج في قلاليهم . اذ انهم من دون سراجٍ كان يمكن لكلٍ منهم ان يرتل المزامير ويصنع الصلوات العقلية وان يشتغل ايضا في عمل السلال . الامر الغير المحوج ضرورةً لضيا السراج * وحينما اتفق ان بعض هولا السواح قد التمس من القديس جراسيموس ان يأذن له بتسخين الماء وباكل بعض حشايش مسلوقة وبقراة بعض فصول ليلاً على نور السراج . قد اجابه البار بانه لكان اجود له ان يمكث في دير المبتديين حيث يجد هذه الاشيا الغير المسموح بها في قلالي السواح *

ثالثًا فنوع هذه العيشة النسكية اوجبت في سكان مدينة اريحا القريبة منهم انذهالاً كليًا . ولهذا طفقوا ياخذون بايديهم بعض اشيا من المواكيل والمشارب ويذهبون في يومي السبت والاحد يقدمونها لهولا الابرار في دير المبتديين * فهذا السلوك واين كان ممدوحًا لانه موسس على محبة القريب . فمع ذلك القديس جراسيموس وكثيرون من تلاميذه قد تشكوا منه . لسبب انه كان يجلب معه ضرورةً ترددهم مع العلمانيين في اليومين المذكورين . الامر الذي لايوافق صرامة الوحدة والسكينة * ولهذا كانوا يبذلون جهدهم في عدم مواجهتهم هولا المسيحيين . كانَّ ذلك شيٌ خطرٌ * لانهم كانوا مقتنعين بان الوحدة الكاملة تفيدهم جدًا لاكتساب القداسة ولحفظ واجبات الطهارة . بابعادهم ذواتهم عن كل ما يمكن ان يحرك فيهم الافكار الردية . وبتقويتهم هداوة الروح لمحاربة تجارب الشيطان * على ان اوليك الابرار قد اكتسبوا من معلمهم ومرشدهم القديس جراسيموس هذا الروح النسكي المقدس بسلوكه به امامهم بالعمل احرى مما يتعليمه

اياه لهم بالكلام . لان هذا القديس كان يضيف الى اماناته وتقشفاته الاخر انه في مدة الصيام الكبير لم يكن يقيت ذاته بشي اخر الاَّ بسر الافخارستيا . وبالتالى ان الرسوم التى كان يضعها على تلاميذه لم تكن شيأ بالنسبة الي صرامة نسكه الذي كان يمارسه امامهم . وانه مهما كان يجب ان الجميع يستسيرون بروح اماناتٍ شاقة . فمع ذلك كان يتنازل مع تلاميذه بفطنةٍ وحكمةٍ غير ملزم اياهم بان يسلكوا بالنوع ذاته الذي هو كان يمارسه بحرارة هكذا متقدة * وقد استمر هذا القديس مثابرًا علي نوع هذه العيشة الصارمة الى حين وفاته الكريمة لدى الرب . التي كملت في مثل هذا اليوم الذي هو الرابع من شهر ادار سنة ٤٧٥ للمسيح *

فسيدنا يسوع المسيح في انجيله المقدس ثم رسله الاطهار في رسايلهم قد نبهونا على انه في الازمنة المتاخرة كان مزمعًا ان يظهر كثيرون من المعلمين الكذبة الغاشين ومن الخدام الذين يوافقون الالام البشرية * فما حدث للقديس جراسيموس بتركه ذاته ان يخدع من اناسٍ هذه صفتهم ويمكث مدةً من الزمان في ضلال الارتقة يلزمه ان يجعلنا ان نخاف جدًا من بليةٍ ردية بهذا المقدار . ومن ثم فلنتوسل باتضاعٍ الي مخلصنا يسوع المسيح في ان يحفظ نور عقولنا مشعشا بتعليم الحق والاستقامة . وان يصيرنا ان نحبها ببساطةٍ مسيحية * وان كان يوجد احد المسيحيين حاويًا في قلبه الضلال ضد قضيةٍ ما ممَّا يعلمه الايمان . او ممَّا حددته الكنيسة او ممَّا اتفق عليه راي المعلمين الكاثوليكيين . فليلتجي اليه تعالى بان يعرّفه الحق ويجعله ان يرفض الغش والخداع كما فعل مع القديس جراسيموس * ومن حيث اننا محاطون من الاخطار التي تورطنا بالسقوط فيها الامنا الخصوصية . فلنتذكر على الدوام الكلمات الالهية القايلة : ما اضيق الباب وما اكرب الطريق المودية الى الحيوة . وقليلون هم الداخلون فيها (متي ص ٧ ع ١٤) *

* اليوم الخامس *

* وفيه تذكار الشاهد قونون *

اولاً انه لكان عايشًا في الجيل الثالث في مدينة ايقونية من اقليم ليكاونيا هذا الرجل المومن بيسوع المسيح المدعو قونون . الذي بعد ان كان اقترن بامراةٍ بزيجة ناموسية وانساه منها ولدٌ ذكر . قد ترمل بوفاتها السريعة في سن صبوتها * ومن ثم قد عاش بالعفاف

بسيرة قشفة مبتعداً عن معاشرة اهل العالم . مثابراً على الصلوات من دون ملل وعلى التاملات في الكتاب المقدس . مواظباً على الاصوام والسهر في عبادة الله ليس باقل من السواح . مميتاً حواسه بانواع مختلفة . لاسيما قهر الارادة والذات . مهتماً بتربية ابنه في واجبات الديانة المسيحية * حتي ان هذا الفتي اذ بلغ الى السنة الثانية عشرة من عمره . قد أُحصي في عدد اكليروس كنيسة ايقونية ورسم بالدرجات الصغار * واذ تقدم بالعمر والفضايل السامية قد رُسم بعد ذلك شماسا انجيليا * واما قونون فاذ كان يحتسب ذاته غير اهل لدرجة ما كنايسية قد استمر كما كان علمانيا * بل ان تواضعه كان بهذا المقدار عميقا حتى انه لم يعد نفسه سوى رجل خاطي واخر الجميع * غير ان الله قد شرّف عبده هذا الامين بموهبة صنيع العجايب . التي احداها قد ظهرت شايعة الذكر * وهي انه حينما خرجت امواه النهر الجاري حذاء المدينة المذكورة عن حدودها وغرقت البساتين والحقول ممتدة بنوع مهيل . فهذا البار قد امرها بالرجوع الى مجراها الاعتيادي * فحالا كمن يعقل قد اطاعت صوته وانكفت عن طوفانها منحصرة في مجرى النهر فقط *

ثانياً فحينما بلغ القديس قونون الى سن شيخوخة متقدمة ومعا الى قمة الكمال المسيحي قد سر الباري تعالى ان يكلل فضايل عبده بتاج الاستشهاد مع ولده نفسه . حسبما اعتاد عزّ وجلّ ان يهب هذه النعمة لاوليك الذين يريد ان يتفضل عليهم بما لايوجد اعظم منه من المواهب في هذا العالم وهكذا حالما أُشهرت في اقليم ليكاونيا اوامر اوريليانوس قيصر ضد تابعي الديانة المسيحية . فاول من قُبض عليهم كان القديس قونون مع ولده * ثم بعد قليل من الزمان قد حضر الى المدينة المذكورة دوميتسيانوس احد المتقدمين في الوظايف العلياء لكي يضع بالعمل المراسيم القيصرية ضد المسيحيين . ولذلك قدم الى ديوانه قبل الجميع القديس قونون * فدوميتسيانوس عند مشاهدته هذا الشيخ المهاب الطلعة الظاهرة عليه في الوقت ذاته علامات التقشف الصارم . قد اخذته الشفقة عليه وساله لاية غاية كان يميت ذاته بعيشة هكذا قشفة لاسيما في تلك الايام التي فيها كانت الشعوب محتفلة باعياد الفرح من اجل الانتصارات التي حصل عليها الملك ضد قبايل البربر * فهنا اجاب القديس وقال لدوميتسيانوس : « ان اوليك الذين يحيون حسب الجسد يجيزون ايامهم في الافراح والتنعمات والفخفخة والمنتزهات والملاعب واما اوليك

« الذين يحيون حسب روح الله . فلا يمكنهم ان يشتركوا بهذه الاشيا الباطلة * لان هولاء « يجب عليهم باحزانٍ كثيرة ان يدخلوا الى ملك الله * فانا اتمتع بالاحرى في الاشتراك « بالام يسوع المسيح وصليبه من انى اذوق ملذات هذا الدهر زمنًا وجيزًا . ولذلك اطلب « اليك الا تعدمني الحيوة الزمنية بواسطة عذابات خفيفة قليلة . بل بانواع تعاذيب مبرحة « مستطيلة . لكي احصل بذلك على الحظ السعيد في ان اتكبد اشيا كثيرة حبا بالهي » فبالحقيقة ان جواب القديس هذا هو مضاد لقابلية الطبيعة الانسانية . ولكنه ليس هو فايقًا على نعمة الله التي تملي النفس ثقةً بهِ تعالى واتكالاً على قدرته الضابطة الكل * وهي التي تحرك في النفس الشوق الى احتمال الالام من اجل حبهِ عزَّ وجلَّ بنوع اشد صرامة لكي تنال مكافاةً اعظم بالمناسبة لوفور التالم *

ثالثا فدوميتسيانوس قد حصل على انذهالٍ ليس بقليل عند سماعهِ من هذا الشيخ الجواب المتقدم ذكره . وبعد ان سالهُ عن اشيا اخر نظرًا الى احواله ودعوته . قد ساله ايضًا ان كان له بنون ام لا * فاجابه القديس قايلاً : « ان لي ابنًا وحيدًا . واتمني من كل « قلبي ان يحصل ايضًا على هذي السعادة العظمى . وهي ان يعترف بالمسيح ويكون « شريكي في هذه الحال » فامر دوميتسيانوس باحضار ابن الشاهد قونون امامه . وبعد ان فحصهُ واختبر ثباته وراهُ ليس باقل من ابيهِ راسخًا في الايمان بالمسيح قد حتم عليهما معًا بان يُعريا ويُمدا فوق مشواة الحديد المحماة بالنار المتقدة تحتها . بعد ان يُدهن جسماهما بالزيت ليشعرا بالعذاب بنوع اشد * ولكن لاهذا الامتحان ولا اعظم منه عذابًا كان يمكنه ان يضعف ثبات عزمهما . بل ان القديس قونون طفق يستهزي موضحًا للمغتصب ان الجلادين ما اكملوا امره كما يجب . من حيث ان المصبّع لم يكن محميا بشدةٍ . وكان يقول لهذا الوالي هكذا : « اخترع ايضا عذابات جديدة لكي تظهر بافضل نوع متلالية « قوة يسوع المسيح التي تساعد عبديه وتقويهما » * فقال له دوميتسيانوس : فاذًا انت قد « اعتمدت على ان تقتبل الموت » * فاجابه القديس : « اي نعم انني قد اعتمدت علي ان « لا احيي بعد فيما بين البشر لكي احيى مع المسيح في السموات » *

رابعا فحينيذٍ امر دوميتسيانوس بان يعلق قونون مع ابنهِ من رجليهما في الفضا وان راسيهما يستمران عاليين عن الارض . وبان تحرق تحتهما اشيا منتنة تدخن عليهما بزيادة

مومناً ان هذا العذاب المهلك يمكنه ان يثني عزمهما الى انكار المسيح * ولكن اذ ان النار المحرقة لم تكن تغلبهما . فبيسما يظن ان الدخان يفعل اكثر من ذلك * ومن هذا القبيل شرع الشهيدان يستهزيان به موردين له كم هو عظم الخجالة التي يجب عليه ان يلتحف بها عند مشاهدته ذاته مغلوباً من ثبات رجلين ضعيفين . اللذين لم يعتبرا كبرياه ولا عظمة ديوانه بشيء * فاذ احتى غضباً المغتصب من جلادتهما قد حتم على الجلادين بان يقطعوا ايديهما بمنشار من خشب ليشعرا بابلغ نوع بالعذاب * ففي حين تكميل هذا الامر . قد رفع الشاهدان اعينهما الى السما صانعين صلوة حارة . التي في نهايتها قد اسلما نفسيهما المقدستين بيدي الله * وفي تلك الدقيقة قد سُمعت اصواتٌ سماوية ذات فرحٍ وتهليل تمجد انتصار هذين الشهيدين . حتى ان دوميتسيانوس وجميع المحفل قد استحوذ عليهم الخوف الشديد . ودخلوا الى مخادعهم * وعلى هذه الصورة قد اغتنم الفرصة المومنون باخذ جسدي الشهيدين ودفنهما بلياقةٍ . مسبحين ومعظمين قوة الله على الانتصار الذي ناله هذان الجنديان البطلان ضد السلطة الملوكية والجهنمية معاً * وكان استشهادهما نحو سنة ٢٧٥ للمسيح . والكنيسة اللاتينية تصنع تذكارهما في ٢٩ ايار *

فخلاصنا يسوع المسيح قال في انجيله الطاهر: «طوباكم ايها الباكون الان فانكم ستضحكون» (متى ص ٥ ع ٥) . والويل لكم ايها الضاحكون الان فانكم ستنوحون وتبكون» (لوقا ص ٥ ع ٢٥) * فهذه الكلمات العديمة ان تكون كاذبة قد كانت تجبنت في عقل القديس فونون وفي قلبه . ولذلك كان يستنكف من الافراح الزمنية . ويكره المتنزهات والتنعمات العالمية ويعيش بالنسك والاماتات ليكتسب بواسطتها سعادة الفردوس السماوي الخالدة ولذلك قال للمغتصب: «انني اتمتع بالاحرى في الاشتراك بالام يسوع المسيح وصليبه * من اني اذوق ملذات هذا الدهر زمناً وجيزاً . وذلك لاننا باحزانٍ كثيرة ينبغي لنا ان ندخل الى ملك الله» * فهذه الحقايق الانجيلية يجب ان تكون هي القياس لكل مسيحي في تصرفاته ليمكنه ان يخلص نفسه . اذ انه من دون وضع ذلك بالعمل لا يستطيع ان يبلغ الى ملك الله * فترى من اي قبيلٍ اذاً يشاهد المسيحيون بوجه العموم باغضين الاماتات والتقشفات . ويوجدون في التجارب والاحزان غير صبورين . وبضد ذلك هم نحو الافراح الزمنية والتنعمات السفلية منعكفون واليها منصبون وللتمتع بها تايقون * فبلا شك ان

ذلك صادرٌ من قبيل عدم تاملهم في اقوال الانجيل المقدس . او عدم اقتناعهم بحقايقه او من قبيل اهمالهم ذواتهم في ظلام الجهل من دون مطالعة الكتاب المقدس . سالكين في اثر البشر اللحميين * ثم يحدث هذا السلوك كما يقول القديس ايرونيموس : « من قبيل انهم يعدون ذواتهم بالباطل بان يتنعموا بخيرات هذه الدنيا وبخيرات العالم الاتي . « وبانهم ينتقلون من التمتع بملذات هذه الحيوة الى التمتع بملذات الفردوس السماوي . « وبان يكونوا سعيدين في هذا العالم . وسعيدين طوباويين في الدهر العتيد » * ولكن هذا هو غشٌ شيطاني وضلال مهلك . لانه (كما قال القديس الشهيد قونون سندًا على تعليم الكتاب الالهي) : « لا يمكننا ان ندخل الى ملك الله الا بالاحزان والشدايد والالام » . بالنوع الذي حده الباري تعالى لكل احدٍ كرسمه الالهي * فان كان مخلصنا والهنا يسوع المسيح ما دخل الى مجده الخاص به الا من بعد ان تالم . فمن تراه يريد ان يغش نفسه ويخدعها بظنه انه يدخل الى المجد السماوي من دون تالم *

* اليوم السادس *

* وفيه تذكار الشهدا الاثنين والاربعين الجديد ظهورهم في عمورية *

اولًا ان اخص اعمال استشهاد القديسين الاثنين والاربعين الذين سفكوا دماهم من اجل الايمان بالمسيح . ماخوذين من مدينة عمورية الى بلاد سوريا . هو انه قبل نصف الجيل التاسع في زمن ولاية الملك ثاوفيليوس عدو الايقونات المقدسة . الذي هو والد الملك ميخايل الثالث من امراته الملكة ثاودورة . التي فيما بعد ردت للكنيسة الجامعة السلام وحامت عن عبادة الايقونات المقدسة . قد كان خروج امير السراكسة من بلاد سوريا بعساكر غير محصاة . ودخل في البلاد الشرقية الباقية وقتيذٍ ضمن حدود الملك الروماني الشرقي * فمن ثم ارسل الملك ثاوفيلوس عساكره لمحاربة السراكسة المومى اليهم تحت تدبير اثنين واربعين من القواد روسا العساكر . الذين كانوا من المتقدمين في رتبة الشرف والغنى *

ثانيا فلما حضر هولا القواد مع العساكر الذين تحت تدبيرهم ليحاصروا مدينة عمورية التي كانت حصلت في استيلا السراكسة قد صارت هناك معركة الحرب القوية التي فيها غازي هولا القواد بعساكرهم مغازاةً شديدة ضد قوة عساكر السراكسة الغير المحصى

عددهم * ولكن بسماحٍ خصوصي من الباري تعالى لاجل قصاص الملك ثاوفيلوس الاراتيكي قد انكسرت العساكر اليونانية . وحصل الانتصار للسراكسة الكفرة بخسارةٍ كلية للجنود المومنين . وهكذا القواد الاثنان والاربعون قد أُخذوا اسارى من السراكسة واقيدوا موثوقين بالسلاسل من مدينة عمورية الى بلاد سوريا وطرحوا في السجون *

ثالثًا ففي اثنا ذلك اذ قصد اوليك الكفرة ان يغتصبوا هولا القواد على نكران الايمان بالمسيح وعلى اعتناق مذهب السراكسة النفاقي وخرافات ديانتهم المضحكة . قد وضعوهم تحت العذابات المختلفة الانواع والشديدة القساوة * غير ان هولا الابطال جنود المسيح الشجعان قد احتملوا تلك العذابات بشهامة نفسٍ وبعزمٍ رجولي . ثابتين على ايمانهم المقدس فلما راى السراكسة ذواتهم مغلوبين من هولا الشهدا الراسخين في ديانتهم . قد حكموا عليهم بالموت جميعًا بقطع روسهم . وهذه الحكومة الظالمة قد كملت بالفعل . فمن ثم احد الشهدا الاثنين والاربعين المسمى قسطنطين قد انتصب واقفًا يشجع ارفاقه واحدًا فواحدًا على الثبات في حرارة الايمان الى ان قطعت هاماتهم الكريمة كافةً . واخيرًا جُزت هامة قسطنطين ايضا . وهكذا نال رهط هولا القواد اكاليل الشهادة . وفازوا معًا بنياحات الظفر من يد ملك الملوك في السماوات *

فمضاف الشهدا القديسين القواد المذكورين ومثلهم ميات والوف وربوات من الشهدا الذين سفكوا دماهم من اجل الايمان بالمسيح قد سبق القديس يوحنا الانجيلي وشاهدهم في جليانه : «مولفين جمعًا عظيمًا لا يقدر احد ان يحصى عددهم من كل امةٍ ومن كل سبطٍ ومن كل شعبٍ . وقوفا في السا امام الكرسي وقدام الخروف . عليهم لباس ابيض . وبايديهم سعف النخل . وهم يصرخون بصوتٍ عظيم قايلين : الخلاص لالهنا الجالس على الكرسي وللخروف . هولا الذين جاءوا من ضيقة عظيمة . وقد غسلوا ثيابهم وبيضوها بدم الخروف» (رويا ٧) * فمن حيث ان لهم دالةً جزيلة عند من سفكوا دماهم لاجله وبيضوا ثيابهم بدمهِ . وهكذا توسلاتهم لديه عزَّ وجلَّ هي حايزة القبول * فلنلتجي اليهم مستغيثين بشفاعاتهم لدى الله في ان يهبنا بتضرعاتهم حرارة الايمان والطوية الصالحة نظيرهم نحو مخلصنا . والرجا الوطيد في صدق مواعيده تعالى . والحب الشديد نحوه تقدست اسماوه . والصبر على تجارب هذه الحيوة وضيقاتها مع سايرالنعم الضرورية لخلاصنا . لاسيما

نعمة الثبات الاخيرة * التي بها ومعها نفارق هذا العالم . ونحضر امام كرسي مجده الالهي لنرتل صحبة جماهير هولا الشهدا القديسين التسبحة الجديدة ونهتف قايلين : « امين البركة والبها والحكمة والشكر والكرامة والقوة والجبروت لالهنا الي ابد الابدين امين (رويا ص ٧ ع ٩) *

* اليوم السابع

* وفيه تذكار القديسين الشهدا في الكهنة اساقفة شرصونه *

* باسيلاوس وقابيطونس وافرام وافجانيوس *

* واثاريوس ورفقتهم *

اولاً انه في زمن الاضطهاد المصنوع ضد المسيحيين من الملك دبوكلاتسيانوس قيصر اي في مبادي الجيل الرابع . قد ارسل الاسقف هرمون من مدينة اورشليم للكرازة بالانجيل في بلاد تراكيا الاسقف افرام . والى مدينة شرصونه الاسقف باسيلاوس * فهذا الراعي البار اي باسيلاوس لما بلغ الى المدينة المذكورة وانذر بالمسيح . قد تواثبت عليهِ عبدة الاوثان وضربوه شديداً بالعصى وطردوه خارجاً * الا انه حينما اقام من الموت الى الحيوة ابنة والي الاقليم . فحينيذ رجع بامر الوالي نفسه . الذي امن بالمسيح واصطبغ هو وكثيرون ممن اتبع نموذجه واعتنق الديانة المسيحية * فاما الذين لبثوا من سكان البلد مصرين على ضلالهم في عبادة الاصنام فهولا التيموا جمعاً كبيراً . وقبضوا على الاسقف القديس وربطوه بحبل في رجليه وسحبوه في الطرق والشوارع الى ان فارقت نفسه البارة جسده الطاهر . وهكذا فاز باكليل المجد *

ثانياً فبعد ذلك جاء الى هناك لاتتابع الاساقفة الرسوليون اوجانيوس واغاثودوروس وكابيطون والبيديوس . وشرعوا يكرزون بالانجيل * غير ان اوليك الكفرة الصلبي الاعناق ليس فقط لم يقبلوا هذا الانذار . بل ايضاً احتموا غضباً وتعصبوا معاً . وقتلوا هولا الاساقفة اظهر ما صنعوا بالقديس باسيلاوس * وهكذا نال رجال الله القديسون اكاليل الشهادة من اجل كرزهم بالمسيح . ولين لم يكونوا دبروا تلك الابرشية زمناً مستطيلاً الواحد بعد الاخر *

ثالثاً فاخيراً لما تملك قسطنطين الكبير واعتنق الديانة المسيحية قد أُرسل من اورشليم

الاسقف اثاريوس لمواجهة هذا الافغوسطوس . حيث حصل على مقابلته في البزنطية . واعرض لديهِ مخبرًا عن نوع القساوة التي استعملها سكان شرصونه الوثنيون ضد اساقفة هذه الابرشية . وكيف انهم اماتوهم قتلاً بشناعةٍ بربرية . ثم التمس منهُ امرًا ملوكيًا في ان يطرد من هناك كل من لايتمسك بايمان المسيح فالملك قسطنطين اصدر هذا الامر الافغوسطي الذي توجه بهِ القديس اثاريوس وطرد من مدينة شرصونه كل من لا يومن بالمسيح وشيد هناك كنايس بعد هدمهِ المعابد الاصنامية . وبعد ذلك رجع الى القسطنطينية كي يقدم الشكر لهذا الملك الحسن العبادة عن عنايته التقوية * واذ تم مقصوده . واخذ صحبته هدايا من ذخاير القديسين . وسافر من المدينة المذكورة راجعًا الى شرصونه . فقبل ان يصل اليها صادفه في الطريق الوثنيون المملوون بغضًا ضده . فوثبوا عليهِ وطرحوه في نهر دانابرين . فاختنق ونال اكليل المجد نظير اخوته الاساقفة الشهدا السابق ذكرهم . الذين تصنع الكنيسة اللاتينية تذكارهم المجيد كافةً في اليوم الرابع من شهر ادار الحاضر *

فهذا هو حال العمى الروحي . الذي متى استحوذ على الانسان المصرّ على ضلاله فجميع الوسايط الخلاصية تذهب سدى على ان هولا الوثنيين الماسورين من الشهوات والرذايل لم يطيقوا ان يستمعوا تعليم شريعة الانجيل المضادة روح الامم وطاناتهم . بل ان العمى الروحي قد قسى قلوبهم ولذلك اماتوا المنذرين بهذه الشريعة . فالويل لمن حصل في هذا العمى من قبل رذايله وقصاصا عن اصراره على الاثام بغير توبةٍ . الامر الذي تكون نهايته التهلكة *

* اليوم الثامن *

* وفيه تذكار ابينا البار ثاوفيلكطوس المعترف اسقف *

* نيكوميدية *

اولاً ان القديس ثاوفيلكطوس هو مولود في اواسط دهر الكنيسة التامن في احد بلاد المشرق ولين لم يكن يُعرف بالحصر اسم مكان مولده : واذ بلغ الى سن الشبوبية قد سافر الى المدينة المتملكة اعني القسطنطينية وصار خادمًا باحدى الوظايف عند القديس طاراسيوس . حينما كان كاتم اسرار المملكة اي وزيرها الاعظم * ومن كونه تمم واجبات خدمته بامانةٍ قد حصل مقبولاً عند الوزير القديس المذكور . الذي كان نموذجًا حيًا

للفضايل المسيحية . التي اثقال وظيفته الوزارة لم تكن تعيقه عن اكتسابها والتاصل فيها بنوع سام *

ثانيًا فالبارثاوفيلكطوس استفاد جدًا من مثل معلمه القديس . ومن ثم حينما اتفق راي الملك قسطنطين الرابع مع والدته الملكة ايرينى والاكليروس والشعب القسطنطيني والزموا القديس طاراسيوس بقبول الدرجات المقدسة . واقاموه بطريركًا على الكرسي المذكور سنة ٧٨٤ فحينيذٍ ثاوفيلكطوس مع رجل اخر من محبيهِ اسمه ميخائيل رفضا العالم وتمسكا بالعيشة الرهبانية التي قد نجحا فيها كثيرًا . وتروضا في الفضايل السامية واكتسبا اسمًا صالحًا وذكرًا شايعًا ولهذا فمعلمها القديس احضرهما اليهِ وكرسهما بالدرجات المقدسة راسا ميخائيل اسقفًا ليمكث صحبته في الدار البطريركية كاحد مشيري ديوانه واما ثاوفيلكطوس فرسمه اسقفًا على مدينة نيكوميدية * التي ذهب اليها وتسلم سياسة شعبها بغيرةٍ ونشاطٍ حيث افاد رعيته بتعاليمه وارشاداته الخلاصية ليس باقل مما افادها بنموذجات فضايله

ثالثا فلما انتقل الي الحيوة الابدية القديس طاراسيوس في ٢٥ شباط سنة ٨٠٦ فالملك نيكيفوروس مع الاكليروس والشعب القسطنطيني قد اقاموا خليفةً له في الكرسي القديس نيكيفوروس بن ثاودوروس الوزير الاعظم . الذي هو ايضًا اي القديس نيكيفوروس كان قبلا بعد وفاة والده ارتقى الي وظيفة الوزارة هذه السامية عند الملك قسطنطين ووالدته الملكة ايرينى * فلما مات الملك نيكيفوروس وخلفه ميخائيل كوربالاتا . وهذا ايضا توفى وضبط بعده قضيب الملك سنة ٨١٣ لاون الارمني محارب الايقونات المقدسة . فهذا الملك قد انهض زوبعة الاضطهاد من جديد ضد الكاثوليكيين المحامين عن تحديد المجمع النيقاوي الثاني في وجوب تكريم الايقونات . وقد وجّه بنوع خاص محاربته ضد القديس نيكيفوروس البطريرك القسطنطيني . من كون هذا الراعي الجليل كان نظير بوق يرعد ضد محبي الاراسيس . ويقاوم تصرفات الملك المذكور الاثيمة * الذي في اثنا ذلك طرح القديس في السجن وجمع في القسطنطينية مجمعًا لصوصيًا . وامر القديس بان يحضر فيه مع اساقفته ليتجادلوا عن هذه القضية الدينية *

رابعًا فالقديس نيكيفوروس اذ كان ارسل فاحضر اليه القديس ثاوفيلكطوس مع غيره فذهبوا جميعًا للدار الملوكية واوضحوا لهذا الملك بغيرةٍ متقدة وبشجاعةٍ غير مغلوبة شناعة

تصرفاته . وبانهم لايمكن ان يجادلوا من جديد عن قضية قد تحددت في مجمع مسكوني فهذا الملك الشرير عوضاً عن ان يصغى لاقوال راعيه الجليل . قد نفاه موثوقا بالقيود الى ديره الذي كان قبلاً ترهب فيه في بوسفوروس . ثم نقله فيما بعد الى دير اخر بعيد عن المدينة حيث استمر الى حد سنة ٨٢٨ التي فيها رقد بالرب * واما القديس ثاوفيلكطوس فنفاه الملك المذكور الى استروبيلون * وهناك انهي حياته الصالحة * وارتقت نفسه البارة الى السعادة الابدية لتتمتع بمكافاة اتعابه وصبره واحتماله من اجل الايمان الكاثوليكي هذه المشتقات *

فحسناً يقول النبي والملك داود في المزمور الرابع والخمسين : « لوكان العدو عيرني اذاً لاحتملت ولو ان مبغضي عظم عليَّ كلامه لاختفيت منه » * على انه يصوغ للكنيسة الجامعة ان تقول نحو لاون الايصوري ونحو كل من اقتدى بمثله الردي من الملوك الذين خلفوه في الكرسي الافغوسطي وحاربوا الايقونات المقدسة نظيره . الذين احدهم هو لاون الارمني المقدم ذكره بان الاضطهادات التي صنعتها الملوك القياصرة الوثنيون ضدها كانت محتملة لديها اكثر من اضطهادات هولا الذين هم ابناوها العاتون الذين مزقوا احشاها الوالدية . وضربوا رعاتها ليبددوا خراف رعيتها . واماتوا من خدامها الانجيليين تحت العذابات وفي المنافي عدداً وافراً جداً * ولكن هذه هي ثمرة الكبريا . وحب قيام الراي . والاعتداد بالذات . واستخدام السلطان والاقتدار بيسما * فلنهرب من هذا الغرور الشيطاني ولنتضع بين يدي الله « الذي يعاند المستكبرين ويوالي المتواضعين نعمة » *

* اليوم التاسع *

* وفيه تذكار الشهدا الاربعين المستشهدين في سبسطية *

اولاً ان ليكينوس قيصر المغتصب الذي كان متملكاً في بلاد المشرق حينما اشهر العداوة ضد قسطنطين الملك العظيم * قد فكر في ان يوجه حربة ضد المسيحيين ويضطهدهم بقساوة شديدة * لعلمه ان قسطنطين كان يعتبرهم ويحامي عنهم نظير حدقة عينه * فمن ثم ابتدأ بان يطرد من داره ومن اصحاب وظايف ديوانه كل من كان يسجد للاله الحقيقي معتقداً بالايمان بالمسيح وبعده منع التيام المسيحيين في جمعيات بها يكملون واجبات ديانتهم وقبض على الاساقفة الذين كثيرٌ منهم قدموا ذواتهم ذبيحة لله فيما بين التعاذيب المتلونة واخيراً

امتد الى اضطهاد الشعوب المسيحية من كل جنس وسن ودعوة ومقام * بنوع انه ما حاد عن مدينة او بلدة او صقع من دون ان يميت فيها من الشهدا عددًا ما * فالوظيفة الجندية نفسها اشتركت بهذا الاضطهاد * ومنها سفك دماهم من اجل الايمان بالمسيح الاربعون شاهدًا الذين تصنع في هذا اليوم الكنيسة الجامعة تذكارهم المجيد مقرظةً اياهم بالمدايح الواجبة بواسطة ابايها القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس نيصص ويوحنا فم الذهب وغاود انتسيوس ده براشيا وافرام السرياني * ومن ذلك يفهم واضحًا ان الكنيسة شرقًا وغربا قد كرّمت على الدوام ذكر هولا الشهدا الاربعين بعبادة خصوصية فجنود المسيح الشجعان الاربعون لم يكونوا كلهم من طايفة واحدة ولا من مدينة واحدة . بل وُجدوا متمسكين بايمان المسيح الواحد متفقين بروح شجاعة واحدة غير مغلوبة حاصلين جميعًا فى سن الشبوبية متسامين على مصافات الجنود الاخرين بشدة الثبات في الحروب واكتساب الغلبات ضد اعدا ملكهم * ولذلك كانوا معتبرين من الديوان الملوكي بنوع خاص . وكثيرون منهم كانوا مزينين بعلامات الشرف مكافاةً عن رجوليتهم ونجاحهم فى الحروب * وقد حصلت طغمتهم هذه شايعة الذكر بالاكثر لاجل انهم بواسطة توسلاتهم كانوا استمدوا من الله بطريقة عجيبة مطرًا سخيًا من السما وانتصارًا كاملاً على عساكر اعدا المملكة الرومانية البرابرة في بلاد جرمانيا * وكان مقر سكني هذه الطغمة الاعتيادي في صقع قريب من مدينة سبسطية في بلاد ارمينية يسمى ميليتانا . ولذلك هم لقبوا بالطغمة الميليتانية *

ثانيًا ففضايل هولا الجنود الابطال المسيحية السامية قد حركت ضدهم حسد الشيطان بابلغ غيرة لاسيما عند مشاهدته كيف كانت تتلالا في مصافهم الحدث في سن الصبوة الرصانة والاداب والاحتشام والعبادة الخاصة بالمشيوخ الاتقيا . ولذلك قد اهجس هذا العدو الجهنمي في قلب ليكينيوس انه ان كان يريد ان العساكر كلها تحصل على انتصارات غريبة ضد اعدا مملكته . فيلزمه ان يستاصل من بين طغمات الجنود كل من كان يعترف بالمسيح ويقدمه ذبيحة لالهة المملكة * فحينما أُشهر الامر الملوكي في ان جميع المسيحيين يُلزمون بنكران ديانتهم وبتقدمة الضحية للاوثان . فهولا الجنود الاربعون اذ عرفوا من الجميع انهم عصبة واحدة في هذه الديانة . قد قُبض عليهم ومُثلوا امام الوالي * الذي بعد ان فحصهم جيدًا .

واوضح لهم فحوى المرسوم الحاوي ارادة الملك . باذلاً كل ما كان عنده من الجهد والخداع والحيل والمواعيد والتوعدات . وراهم ثابتي العزايم في ايمانهم المسيحي . فحينيذٍ صيرهم ان يُعذبوا بالجلد القاسي جدًا وبتمزيق جلود لحمانهم بالاظفار الحديدية * ثم طرحهم في السجن مثقلين بالسلاسل والقيود . حيث لبثوا مدةً مستطيلة من الزمان . التي فيها كان يحرّض بعضهم بعضًا . ويوطدون ذواتهم باشد ارتباط بوحدة الراي وبابلغ شوق الى نوال اكليل المجد السماوي *

ثالثًا فبعد تلك المدة أُحضروا من جديد امام الوالي في سبسطية . ولما امتحنهم فوجدهم راسخين على صخرة الايمان بالمسيح . واستعمل نحوهم جديدًا كل ما امكنه بعذابات مختلفة الانحا ولم يعد سوى ان يبرز عليهم حكومة الموت من دون ان ينال مأربهُ من احدٍ منهم بل خاب املهُ من الانتصار على ثباتهم . قد اطلق ضدهم الحكم بان يُعرّوا من ملابسهم كافةً ويوضعوا مقيدين بالسلاسل تجاه شدة الهوا الشمالي وانفعال البرد القاسي . وحسب راي البعض ان يُطرحوا في بحيرة الماء الجليدية * فكل احدٍ يمكنه ان يتصور في عقله شدة العذاب الذي كان يلزم ان يتكبدهُ هولا الشهدا من البرد القاسي المعروف عظم درجاتهِ في بلاد ارمينية في فصل الشتا * ولكن حسب قول القديس باسيليوس ان قساوة هذا الامتحان الصارمة لا يمكن لاحدٍ ان يعرف حقيقتها الا اوليك الذين ذاقوا خبرتها . اي من يكون في زمن حياته تكبد نوعا ما من شدة هذا العذاب الجليدي . حيث ان الدم حينما يجمد في الانسان فيستحيل جلده الى الاصفرار فاقد الحركة * واذ ينفذ البرد في العروق والمفاصل ويمنع جري الدم . فيقشعر الجسم كله بارتجافٍ شديد . حتى ان الاسنان تضرب بعضها بعضًا * وحينما يبلغ مفعول البرد الى ان يجمد النخاع داخل العظام فتصدر عن ذلك اوجاع في الاحشا لا يمكن وصفها * وهكذا حينما تعدم الحرارة الطبيعية من الاعضا المتطرفة فتموت هذه الاعضا رويدًا رويدًا . وتعود مسودةً كما لو تكون محروقةً بالنار *

رابعًا اما هولا الشهدا الاربعون فحالما سمعوا ابراز هذه الحكومة . ذهبوا مع خدام الشريعة بكل شجاعةٍ وبشاشةٍ متخطين باقدامٍ ثابتة يوطد بعضهم بعضا . حتى بلغوا الى المكان الذي فيهِ كان ينبغي ان يذوقوا خبرة هذا الاستشهاد * حيث طفقوا يخلعون عنهم ملابسهم بالتعرية مطلقًا . كمن يريد في زمن شدة الحران يتعرى ويستحم ليترطب *

وبعد ذلك كلهم كمن فم واحد توسلوا لله بتواضع قايلين: «ايها الرب الاله نحن عبيدك «قد دخلنا الى مكان هذا الاستشهاد المجيد بعدد تام اربعين. فلا تسمح بان ينقص هذا «العدد الجليل بل ارتضِ بان الجميع يبلغون الى نوال الاكاليل الاربعين باستحقاقات «الصيام الاربعيني الذي صنعه نبياك موسى وايليا. والمصنوع من ابنك الوحيد نفسه بالجسد» * فالباري سبحانه قد استجاب طلبة عبيده هولا الشهدا. ولكن بنوع مختلف عن نيتهم الامر الذي يوجب فينا الخوف والخضوع لاحكامه تعالى الغير المدروكة ولمراسيمه الازلية الغير المفحوص عنها. اي بنوع يشابه رذل يهوذا من مصاف رسله الاثنى عشر. وانتخاب القديس متياس بدلاً منه * على ان رداوة المغتصب الخبيثة ارشدتهُ الى ان يعيّن المكان الذي فيه يتكبد هولا الشهدا تجمّد البرد بالما والهوا الشمالي طول الزمان الى حينما يموتون ان يكون هناك امامهم حماميم الما السخن. حتي بهذا النوع يكون سهلاً لمن يُغلب من هولا الشهدا من شدة البرد ان يلتجي حالاً الى تلك الحماميم * ومن ثم بعد ان كان خدام الشريعة اوصلوا الشهدا الاربعين الى المحل المذكور متممين ما أُمروا به. قد تركوا عندهم واحداً من الجنود لاجل حراستهم ليلاً. حتى اذا طلب احدٌ منهم ان يقرر الطاعة للامر الملوكي ياخذه حالاً الى الحماميين الحارة * فهذا الجندي الحارس حينما كان واقفاً هناك لينظر الغاية قد شاهد ملك المجد ورب القواد السماوية مخدرًا من القناطر العلوية. ملتحفاً بالمجد الالهي. محاطاً باجواقٍ عديدة من الملايكة * الذين كانت بايديهم تيجان مشعشعة بالضيا وطفقوا يوزعونها مكللين راس كل واحدٍ من الشهدا بتاجٍ من تلك التيجان. ما عدا واحد فقط من الاربعين لم يضعوا على راسه اكليلاً * فعند ما كان الجندي الحارس مبهوتاً من هذه الرويا السماوية. قد نظر واذا بذاك الذي لم يستقر التاج على راسه قد غُلب من شدة اوجاع البرد. فخرج من مصاف الشهدا واقبل الى حمام الما الحار. الامر الذي املا قلوب رفقاهُ القديسين غمًا شديدًا على نفسه * من كونه عند بلوغه الى مينا السلام بعد اجتيازهِ بحر الاوجاع. قد سلم ذاتهُ للغرق الجهنمي فاقدًا ثمرة جهاده الذي كان دنا بهِ من ابواب الفردوس ومن نوال اكليل المجد. في الوقت عينه الذي لم يتمتع فيه بثمر خطيتهِ ولا ساعة واحدة من الزمان * لانه حالما دخل الحمام وانحل عنه الجليد. قد انحلت معًا اعصابه ولحمانه ومات سرعةً *

خامساً غير انه بمقدار ما كان هذا الحادث مرًّا ممضًّا لقلوب مصاف الشهدا على خسارة نفسٍ هكذا محزنة . فباكثر من ذلك امتلاوا من البهجة والفرح من قبل حادثٍ عجيب لم يكونوا يوملونه . وهو ان الجندي الحارس حالما شاهد ذلك المنكود الحظ خرج من عدد الاربعين شاهداً وفقد الاكليل السماوي . قد صرخ بصوتٍ عظيم قايلاً : اني مسيحي انا . وبكل سرعةٍ خلع عنهُ اثوابهُ عاريًا ودخل في مصاف الشهدا بدلاً من ذلك الجاحد . ولبث فيما بينهم الى ان سلم نفسه السعيدة برفقتهم * فحسبما يوضح القديس غريغوريوس نيصص ان الشهدا استمروا مدة ثلثة ايام متكبدين عذاب الجليد والتجمد في الهوا الشمالي . حتي ان اعضاءهم كانت تنفصل من ذاتها شيًا فشيًا * وهكذا في اليوم الثالث انتقلوا جميعًا الى الحيوة الابدية فايزين منتصرين . واما اجسادهم فبامر الوالي قد أُحرقت كافةً وطرح رمادها في النهر الجاري * وهكذا اشتركت في اعمال استشهادهم العناصر الاربعة . اذ ان التراب والارض أُستخدمت في جلدهم وضربهم امام الوالي . والهواء والماء في تجمد اجسادهم وموتهم والنار في افناء اعضايهم . واخيرًا الما في طرح رماد ذخايرهم *

سادساً ثم انه لايليق بنا ان نهمل ايراد ما حدث لاحد هولا الشهدا المجيدين . فهذا اذ كان هو الاشب فيما بينهم والاشد قوةً في جسمهِ قد بقي بعد الجميع من دون ان يفقد الحيوة * ولهذا حينما جاء خدام الشريعة وحملوا اجساد الشهدا على العرابانات لينقلوها الي مكان اخر ويحرقوها . فلما شاهدوا ذلك الشهيد بعدُ حيًا شفقوا عليهِ ولم يحمّلوه مع الاجساد الأُخر . املاً بان يعيش * اما والدته التي ظهرت تمثالاً حيًا لحسن العبادة . فهذه قد دنت منهُ . وهو لما شاهدها اغتصب ذاتهُ ليعطيها اشارةً بيدهِ على الفرح . مهنيًا اياها بالحظ السعيد الذي حصل عليهِ بتقدمة حياتهِ من اجل المسيح * اما هي فعوضا عن ان تستولي على قلبها الشفقة الكاذبة على ابنها هذا الذي كانت ربتهُ في زمن ترملها من والده تربية حسنة في حال فقرها الاقصى . قد تقدمت فحملتهُ ووضعتهُ على العربانة فوق اجساد رفقايهِ الشهدا وقبلتهُ قايلةً لهُ : « اذهب ياولدي الحبيب صحبة رفقايك الشهدا لتكمّل نهاية حياتك بحريق النار . ولا تلبث وحدك منفصلاً عن ان تحصل في هذا اليوم على مشاهدة الله : » وبعد ان عانقتهُ ورافقتهُ برهةً قد فارقت نفسهُ الطاهرة جسده المجيد . وهكذا نال مع شركايهِ تاج الغلبة واكليل الظفر من اليمين العلوية * واما اسما

هولا الشهدا الاربعين فهي هذه . كويرينونه . كانديدوس . دومنوس . ماليتونه . دوميتسيانوس . اونيكوس . سيسينيوس . ايراكليوس . الكسندروس . يوحنا . كلاوديوس . اثناسيوس . فالانته . ايليانوس . اديثسيوس . اكاكيوس . بيبيانوس . ايليا . ثاوضولس . كيرللس . فلابيوس . سافاريانوس . فالاريوس . كوديونه . ساجاردونه . بريسكوس . افتيشيوس . اوتيكه . ساماراغدوس . فيلوكتيمونه . انيسيوس . نيقولاوس . ميخائيل . ليسياكوس . ثاوفيلوس . خانتيا . اجيا . لاونسيوس . ازيكيوس . كايوس غرغونيوس *

فيقول القديس باسيليوس ان خبرية استشهاد هولاء القديسين الاربعين شهيدًا هي مدرسة الفضايل وحسن العبادة لكل من المسيحيين من اي جنسٍ وسنٍ ودعوةٍ كانوا * على ان الشبان يجدون فيهم امثالهم في الشبوبية . ويلزمهم ان يستفيدوا من مثلهم . والوالدين ينتعش فيهم الشوق لان يحصلوا على بنين نظير هولاء . والامهات يجدنَ في شخص ام الشهيد المومى اليه نموذج حرارة الايمان ومحبة الله فوق كل شي * ، ولكن يا لغور غنى حكمة الله ، وفووق سمو معرفته . كم ان احكامهُ لايمكن ان تدرك وطرقهُ لا يستقصى اثرها ، . على انهُ يشاهد من الجهة الاولى الاربعون شهيدًا كلهم يعترفون بالمسيح امام المغتصب . وجميعهم يحتملون العذابات بشجاعةٍ وثباتٍ . وكلهم يقتبلون حكومة الموت القاسية بفرحٍ . وجميعهم يذهبون باقدامٍ مسرعة نحو ميدان الجهاد . ومن جهةٍ اخرى يشاهد جندي حقير منغمس في عبادة الاوثان مقام حارسًا على تنفيذ الاوامر الظالمة ضد هولاء الشهدا القديسين * ثم يشاهد واحد من هولاء الشهدا مغلوبًا من التجربة . ساقطا في نكران المسيح . راجعًا الى الورا بعد وصولهِ الى ابواب الملكوت السماوي . فاقدًا نعمة الله . خاسرًا تاج المجد والحيوة الابدية مع الحيوة الزمنية نفسها . وذاك اي الجندي الحارس يظهر راذلاً ضلالهُ الوثني . معتنقًا الايمان بالمسيح . داخلاً في المعركة عند نهايتها . مكتسبًا نعمة الله فايزًا بالاكليل السماوي عينهِ الذي كان يبان انه خاصة ذاك الجاحد * . فلنخف اذًا مرتعدين ولا نستامن لانفسنا ولنصنع خلاصنا بخوفٍ ورعبٍ . كما يعلمنا الرسول الالهي ، لان الله هو الذي يصنع فينا ، ان نريد وان نعمل ، ۞ فلنطلب منهُ تعالى النعمة الفايقة كل قيمةٍ وثمنٍ التي هي نعمة الثبات الاخيرة . النعمة التي هي وحدها تكلل جميع النعم . ومن دونها جميع الانعامات الاخر تعود عديمة الفايدة لنا . كما يقول القديس اغوسطينوس *

* اليوم العاشر *

* وفيه تذكار الشاهد قظراطس ورفقتهِ *

اولاً ان استشهاد القديسين قظراطس ورفقتهِ قدتم على الصورة الاتي شرحها وهي . انه اذ كان في زمن الاضطهاد الشديد القساوة المصنوع ضد المسيحيين من الملك داكيوس قيصر سنة ٢٥٠ للمسيح . قد هرب كثيرون من المومنين الى القفار الغير المسلوكة لينجوا من الاخطار المبينة المسببة من قبل العذابات الشيطانية . المخترعة وقتيذٍ من الولاة لقتل الانفس احرى مما لقتل الاجساد * ففيما بين اوليك الذين هربوا الى الجبال من مدينة قرنتية كانت امراة حبلى . التي بعد وصولها الى احد الجبال قد ولدت هناك ابناً وسمته قظراطس ثم عقيب مدة وجيزة من الزمن ماتت بموتٍ طبيعي . تاركةً طفلها المذكور تحت تدبير العناية الالهية في ذلك الجبل الخالي من انسانٍ اخر *

ثانياً فالباري تعالى المعتني في خلايقه الغير الناطقة انفسها والغير المتغافل عن فراخ الغربان عينها . قد عال الطفل قظراطس بالمن السماوي بطريقة فايقة الطبيعة * ثم بنوعٍ عجيب قد ارشده الى معرفة اسرار الايمان بالتمام . وبقي في ذلك الجبل الى ان صادفه هناك خمسة رجال مسيحيين كانوا هم ايضاً هاربين من جري الاضطهاد * وهذه هي اسماوهم اي ديونيسيوس . وكبريانوس . واناطوس . وبولس . وكراشانته . وكانوا في زمن الاضطهاد المصنوع من الملك داكيوس احتملوا من اجل الايمان امتحانات كثيرة وبقوا في الحيوة * فهولا عند ما وجدوا الفتى قظراطس وفهموا منه كيفية الحوادث التي اصابته . مكثوا صحبته مسبحين عظايم الله *

ثالثاً غير انه ليس لاجل اقامتهم في ذلك الجبل امكنهم النجاة من شر الوثنيين . اذ ان هولاء الكفرة استطاعوا ان يستدلوا عليهم * وحينيذٍ قبضوا على الستة معاً . واتوا بهم الى مدينة قرنتية . واسلموهم لرياسة الوالي جيازونه المقام حاكما على المدينة المذكورة من الملك فالاريانوس قيصر * فهذا الوالي بعد ان امتحن الفتى قظراطس ورفقته الخمسة بعذابات قاسية لينكروا المسيح ويطيعوا الاوامر الملوكية بتقدمة الضحية للاوثان . ثم راءهم ثابتين على ايمانهم خلواً من تزعزع . فحينيذٍ حكم عليهم بالموت بقطع روسهم * واذ وُضعت حكومته هذه النفاقية بالعمل . قد فاز هولاء الستة القديسون بتيجان الشهادة قرب سنة ٢٦٠ .

مالكين مع المسيح في مجده *

فيا لسمو العناية الالهية في مخلوقاتها . ويا لعظم محبة الله للبشر على ان القديس قظراطس اي نعم قد فقد والدته في السن الذي لم تكن فيهِ الطبيعة قادرة على ان ترشده الى حفظ حياته بالقوت الضروري * ولكن عناية الله لم تهمله . بل عالتهُ بطرايق فايقة الطبيعة بحنو اعظم من حنو الوالدة على ولدها . الامر الذي يحققه الله لنا بالذات بقوله عن صهيون التي هي تمثال كل نفس هكذا : « قالت صهيون قد اهملني ربي ونسيني الهي . فهل تنسى « الامراة ابنها . او هل ما ترحم اولاد جوفها . فان نست الامراة اولادها فانا لست انساكِ « يقول الرب الضابط الكل » (اشعيا ص ٤٩ ع ١٤) * فترى اية كلمات يمكنها ان توطد رجانا في المراحم الالهية اشد توطيدًا من هذي الكلمات المقولة من الهٍ عديم ان يخرم في مواعيده . قادر على كل شي . مملو من الرحمة . فلنحسن اذًا دايمًا اتكالنا على الجود الالهي ملتجيين اليهِ تعالى في احتياجاتنا بطمانينةٍ ورجا ثابتٍ متذكرين مواعيده الالهية في ان يستجيب لنا كقول الرسول الحبيب : « ان هذه هي الدالة التي لنا لدى الله وهي اننا ان « سالناه شيا مما يختص بمشيته فيستمعنا وان عرفنا انهُ يستجيب لنا مهما نسالهُ فقد عرفنا « اننا سناخذ الوسايل التي نسالها منه » (يوحنا اول ص ٥ ع ١٤) *

* اليوم الحادي عشر *

* وفيه تذكار القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم *

اولا ان القديس صفرونيوس قد ولد نحو سنة ٥٥٨ للمسيح في مدينة دمشق من اقليم سوريا . وهناك درس لا العلوم الفلسفية فقط التي لنجاحه بها اكتسب اسمًا شايعًا . بل علوم الديانة المسيحية ايضًا . كما انه تثقف بالفضايل والاداب وحسن العبادة منذ حداثته ثم ان اشواقه المضطرمة فيهِ حرارةً الى النمو بابلغ نوع في الكمال المسيحي ساقته الى زيارة الرهبان المقيمين في فيافي بلاد فلسطين . لاقتناعه بالصواب في ان مشاهدته اناسًا سامين في القداسة . متاصلين في الفضايل كانت تفعل بهِ حرصًا اكبر . وعنايةً اشد بالاقتفا بنموذجاتهم بنوع اعظم مما كان يفعله فيه مجرد سماعه صيت فضايلهم * فلما انطلق الى هناك قد اختار لذاته فيما بين اوليك الرهبان الابرار معلمًا خصوصيًا ومرشدًا لنفسه الرجل الشهير الاسم يوحنا موسكوس . واخضع لهُ ذاتهُ من دون ان يلزم نفسهُ باتباع

العيشة الرهبانية * ثم ذهب معهُ فيما بعد الى زيارة السواح القاطنين في قفار البر المصري خاصةً تيبايس الذين كانوا لم يزالوا ساكين بروح الصرامة في التقشفات والنسك الذي بهِ كان شاهدهم البار كاسيانوس قبل بنحو مايتي سنة * فيوحنا وصفرونيوس المذكوران قد نظرا ذاك العدد العظيم من الرهبان والنساك والسواح متلالين بالفضايل السامية من المحبة والاتضاع والحرارة في العبادة والطهارة الملكية والفقر الكلي والاماتة الشاقة والصبر وساير الصفات الفضلى . الامر الذي املاهما من الانذهال . وجذبهما الى انهما الّفا كتابًا خصوصيًا ملقبين اياه ببستان الرهبان * اذ دوّنا فيهِ جميع تلك الاشيا التي شاهداها فيهم وعرفاها عنهم * ثم بعد ذلك رجعا من هناك الي مدينة الاسكندرية . حيث قبلهما عنده بطريركها القديس يوحنا الرحوم . الذي اظهر نحوهما حبًا شديدًا وتعلق قلبهِ كليا * وهكذا لاجل خير رعيته وارشاد الضالين الزمهما بالاقامة في كنيسته . وقد بارك الرب اثمار فلاحتهما الروحية . بنوع ان عددًا وافرًا من الضالين تبعًا لارشاداتهما وغيرتهما قد نبذوا الاضاليل وتمسكوا بالايمان الصحيح *

ثانيا غير ان هجوم عساكر الفرس على تلك الاصقاع والدثار مع الانقلاب اللذين حدثا فيها قد اضطر هذان البارات لهجر المدينة المذكورة . هربًا من خطر فقد حياتهما * ولذلك سافرا بحرًا وذهبا الى مدينة رومية حيث كان متراسا على السدة البطرسية البابا بونيفاسيوس الخامس * الذي اذ فهم منهما شفاها احوال الكنيسة الشرقية الممزق جسمها وقتيذٍ من قبل ارتقات مختلفة . فيها التمسا منه ابذال عنايته في علاج امراض هكذا ردية الا ان البار يوحنا بعد مدة سنتين قد رقد بالرب مملوًا من القداسة . والرهبان الذين كانوا برفقته جملةً مع القديس صفرونيوس اخذوا حينيذٍ جسمه وسافروا بهِ من رومية راجعين الي بلاد فلسطين حيث دفنوه في دير القديس ثاوضوسيوس . المكان الذي مكث فيهِ القديس صفرونيوس بعد هذه الاسفار . مثابرًا على افعال النسك والاماتات الصارمة بعيشة رهبانية كاملة * لانه يبان ان هذا القديس تمسك بها وقتيذٍ بنذورات احتفالية نظير الرهبان الاخرين خلافا للمدة السابقة . او بالاحرى انه منذ كان في الاسكندرية كان تبعا لمشورة القديس يوحنا الرحوم اعتنقها بالتمام حسب الراي الاوكد * وبلا شك ان العناية الالهية هي التي دبرت رجوع القديس صفرونيوس سريعا الى بلاد المشرق لكي

تستخدمه في مقاومة الارثقة المنتشية وقتيذٍ حديثا . وهي ارثقة المونوثاليتيين اي تابعي الارادة الواحدة فقط في يسوع المسيح . اذ كان يعضد هذا الضلال كيروس البطريرك الاسكندري * فاى نعم ان هولا الارثقة كانوا يعتقدون كما تعتقد الكنيسة الجامعة في انه يوجد في المسيح طبيعتان الهية وانسانية . ولكن كانوا يعلمون بانه من حيث ان هاتين الطبيعتين قد اتحدتا باقنومه تعالى الالهي . فلم يكن فيهِ سوى ارادةٍ واحدة ومشيةٍ واحدة وفعلٍ واحد ضد اعتقاد الكنيسة الجامعة بانه يوجد في المسيح ارادتان الهية وانسانية ومثلها فعلان اذ ان كلاً من الطبيعتين حفظت خواصها ناجية *

ثالثاً فالقديس صفرونيوس قد أُقيم سنة ٦٤٢ بطريركا لمدينة اورشليم . واخذ يحامي بكل غيرةٍ وشجاعةٍ عن تعليم الايمان المستقيم ضد الارثقة المار ذكرها . التي في مدة وجيزة امتدت في كل المشرق . وسقط فيها البطاركة الاَّ هذا القديس مع عددٍ غفير من روسا الاساقفة والاساقفة * فمشاهدة القديس صفرونيوس ذاته مهملاً من روسا الكراسى المتقدمة لم تضعف قولهُ ولا اخمدت حرارة ايمانه . بل بضد ذلك كان يشاهد ذاته ملتزماً بان يجاهد بافضل نوع في اخماد الضلال بمقدار ما كان يعلم ان تاءييد الارثقة يتخذ اعظم قوةً ويمتد باوفر سرعةٍ حينما يعضد من ضابطي الكراسى المتقدمة في الكنيسة * ولهذا قد جمع في اورشليم سينودساً من كل الاساقفة الكاثوليكيين المخضعين له . وبه شجب هذه الارثقة وحرمها . وحرر رسالةً للبابا اونوريوس في هذا الشان . باعثاً عنها نسخاً عديدة الى كثيرين من الاساقفة الكاثوليكيين المخضعين له * ثم الَّف كتابين جامعاً فيهما اقوال الكتاب الالهي وتعاليم ابا الكنيسة الموضحة وجود ارادتين ومشيتين وفعلين في مخلصنا يسوع المسيح متميز كلٌ منهما عن الاخر . اي ان الارادة والفعل الالهيين والارادة والفعل البشريين توجد في شخص يسوع المسيح حافظةً خواصها من دون امتزاج او تبلبل * ولم يكتفِ القديس صفرونيوس بهذا جميعه . بل اخذ استفانوس اسقف دوره بيده ومضى به الى جبل الجلجلة وخاطبه هكذا قايلاً : « ان انت اهملت الايمان الكاثوليكي في الخطر المبين الحاصل هو « عليهِ في هذه الازمنة . فافكر جيداً بانك عتيد ان تعطي جوابا مدققا عن ذلك يوما ما « لذلك الذي في هذا المكان المقدس عُلق على خشبة الصليب . فاصنع اذاً انت ما « لايمكنني ان افعله انا بشخصي نظراً الى وجود السراكسة في هذه البلاد . الذين جلبوا علينا

« ثقل قصاص خطايانا * فاذهب حالاً انت من اقصى الارض الى مدينة رومية وامتثل
« امام السدة الرسولية . حيث توجد اساسات التعاليم المقدسة * واخبر بهذا جميعه مع
« كل ما حدث في هذه البلاد لاوليك الانام القديسين والاشخاص الجليلين الكاينين
« هناك . ولا تترك من عنايتك جهدًا ولا من اهتمامك توسلاً . ولا من مساعيك غيرةً الى
« ان تحصل على حكم شرعي وعلى رذل قانوني لتعليم هذا الضلال الجديد » * فاستفانوس
المذكور اذ اعترته الخيفة من هذا الخطاب . وتحركت فيهِ الغيرة من قبل توسلات الاساقفة
والشعب الكاثوليكيين . قد اخذ حالاً بالسفر نحو رومية * وليس من دون عنايةٍ خصوصية
من الله قد نجا من الاشراك التي نصبت له . وبلغ بسلامٍ الى راس مدن العالم الكاثوليكي
حيث شاهد ان الحبر الاعظم اونوريوس كان توفى . ولهذا باشر الاهتمام نحو خلفايو . وسعى
بعناية كلية الى ان نال ما كان يتوق اليهِ . وهو الحكم القانوني الذي ابرزه الحبر الاعظم
القديس مرتينوس سنة ٦٤٩ في المجمع اللاتراني برذل هذه الارتقة وبحرم المونوثاليتيين *
رابعًا ولكن قد ارادت العزة الالهية ان القديس صفرونيوس ينتقل الى السعادة
الابدية . قبل ان يشاهد نجاز ثمرة اتعابه الرسولية بابراز الحكم الاحتفالي السابق ذكره في
حرم الارتقة تباع الارادة والمشية الواحدة * وقبل رقادهِ بالرب كانت كنيسة اورشليم
تكبدت اضرارًا عظيمة . وذلك لان السراكسة كانوا استولوا على مدينة اورشليم سنة ٦٤٦ .
واهانوا الديانة المسيحية . واضطهدوا المومنين بقساوةٍ . واوصلوا احوال الكنايس الى ما هو
اشد شناعةً واعظم ضررًا مما حدث في الازمنة الاولى من الملوك الوثنيين ضد الكنيسة
الجامعة * فالقديس صفرونيوس فيما بين تلك الاهوال اظهر غيرةً فايقة الوصف وشجاعةً
غير مغلوبة . مهتمًا بقدر ما امكنه من الجهد في عدم تبديد رعيته . معزيًا اياهم باقواله
الفصيحة . مشجعًا ضعفهم على الصبر والاحتمال . مسعفًا اياهم بمحبة ابوية . مخاطرًا بحياته مراتٍ
كثيرة من اجلهم فيما بين اوليك البرابرة القساة نظير الراعي الصالح الذي يبذل نفسه دون
الغنم * ولم يهجع عن العناية والغيرة الى ان نال من عُمر قايد السراكسة الاذن خطاًّ بانه
في بلاد فلسطين كلها توجد الحرية للمسيحيين في تكميل واجبات ديانتهم من دون مانعٍ *
غير ان هذا السماح وُضع بالعمل بنوعٍ ردي ليس باقل مما لو يكون هذا القايد حتم بابادة
الديانة المسيحية من تلك البلاد . ومن ثم كان القديس صفرونيوس ينظر بعينيهِ يوما

بعد يوم دثار اتعابه الرسولية وفقد ثمرة اعراقه الجهادية تحت نير الغير المومنين * ولهذا قد استحوذت عليه الامراض واثقال الشيخوخة . وبها بارح شقا هذا العالم . وارتقى الى التمتع بالراحة الابدية . وذلك في مثل هذا اليوم الحاضر اي في ١١ من شهر ادار سنة ٦٤٨ . اذ كان في سن الثمانين سنة تقريبًا *

فالجهاد الذي صنعه القديس صفرونيوس بغيرة متقدة في المحاماة عن حقايق الايمان الكاثوليكي ينبغي ان يكون نموذجا حيا يقتدى به ليس ذاك فقط الذي تكون سلمت الخراف الناطقة لعنايته من السيد المسيح ومن كنيسته المقدسة . بل كلّ من المسيحيين ايضا * فقد يتفق مراتٍ كثيرة ان قضايا متعددة مما يخص الايمان والاداب تهمل من كثيرين من المسيحيين السالكين حسب روح العالم المضاد روح الانجيل . وتصير عندهم موضوع الهزو ففي هذا الحادث ماذا يجب ان يفعله المسيحي الحقيقي الذي ليس هو مسيحيا بالاسم فقط بل بالفعل ايضا . انه ينبغي له ان يقاوم تعليم روح العالم وعوايده الردية . وان يعلّم بمقدار ما يمكنه ولمن يمكنه بالكلام وبالمثل الحي الحقايق الانجيلية . غير ملتفت الى ما يفكر به ويقوله الاكثرون . بل الى ما يعلمه كلام الله * الذي هو عتيد ان يدين العالم اجمع . لا على موجب اباطيل العالم وضلالاته . بل على قوانين شريعته الالهية المقدسة *

* اليوم الثاني عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار ثاوفانوس المعترف السغرياني *

اولاً ان القديس ثاوفانوس قد ولد في مدينة القسطنطينية سنة ٧٤٨ من والدين متقدمين جدًا في رتبة الشرف * فوالده المدعو اسحاق كان واليا على جزاير بلاد اليونانيين ولكنه باين هذه الحيوة متوفيا في السن الرجولي حينما كان ابنه ثاوفانوس في سن ثلث سنوات فقط * ولذلك قد توسل الى الملك قبل وفاته بان يتخذ على ذاته العناية بولده المذكور . كما تم الملك مطلوبه باهتمام وحماية خاصة * واما قرينة اسحاق المسماة ثاودورة فاذ ترملت بوفاته قد وجهت عنايتها الوافرة في تربية ولدها ثاوفانوس بالنوع الحسن في الديانة وفي لياقة شرف عيلتها . وفيما بين الاشخاص الاخر الذين اقامتهم على خدمته وتعليمه . قد سلمته لارشاد رجل بار شهير بالعلم والتقوى * وهذا اسس في ثاوفانوس الفضيلة والعبادة منذ نعومة اظفاره . ومن ثم بمقدار ما كان ينمو في السن . فباكثر من ذلك كان ينمو فيه

الكره من المجد والشرف والتنعمات والملذات العالمية ومن الوظايف المدنية . مثابرًا فيما بين سعة الغنى وبجابج العيشة المستعملة من عيلتهم امانة الحواس وقهر الارادة والمطالعة في الكتب المقدسة والصلوات والتاملات وحسن التعبد لله * ومنذ سن صبوته كان يشعر بتوقٍ باطن الى هجر العالم والى الانفراد في احد الاديرة الرهبانية ليكرس ذاته بجملتها لخدمة الله ويسعى بافضل نوع في امر خلاصه الابدي * غير انه حينما اظهر عزمه الى الوجود قد منع عن اتمامه ليس من والدته فقط . بل من الملك ايضا بمساعي احد المتقدمين عنده بالشرف المدعو لاون * وهذا كان يريد ان يزوج ابنته بثاوفانوس . الذي طاعةً لامر الملك ومراعاةً لارادة والدته وعد بعقد هذا الزواج . مجذوبًا ضد ميله الذاتي ولكنه اخذ يحاذف من وقتٍ الى وقتٍ تتمة الزواج . لاسيما بعد وفاة والدته وحصوله بابلغ نوع على الحرية * اما لاون فاذ لاحظ في ثاوفانوس عدم رغبته بالاقتران الناموسي بابنته . قد التجأ الى الملك كي يلزمه بذلك . كما قد تم الملك مرغوبه . مظهرًا ارادته لثاوفانوس باكتمال الوعد السابق فعلاً من دون تاخير * ولهذا اضطر ثاوفانوس الي نهاية هذه القضية بمباشرة احتفال الزواج الناموسي بالنوع اللايق بالعيلتين الساميتين بالشرف

ثانيا فعند ما انفرد في يوم العرس عينه ثاوفانوس مع عروسته شعر بالهامٍ الهي باطن يحركه الى انه اخذ يخاطبها مبرهنًا لها قصر هذه الحيوة . وعدم معرفة ساعة الموت . وبطلان لذات هذا العالم . وسمو فضيلة الطهارة امام الله . وافادة حفظها الاتقان الصلوات والتاملات في الاسرار الالهية وما اشبه ذلك . مظهرًا رغبته وشوقه لديها بانه يعيش معها ليس كامراتهِ بل كشقيقتهِ ان كانت ترتضي بذلك * فعروسته بعد ان سمعت منه هذه الخطوب وافقته عليها برضا تام . الامر الذي املأ قلبهُ فرحًا . وقدم لله الشكر الواجب على هذه النعمة باجابته ما كان يشتهيه وبايهابه عروسته نعمة هذا العزم المقدس * فاذ اتحد هذان القرينان بوحدة الراي الصالح وبشدة الحب الاخوي الطاهر المتردد . اخذا يمارسان عيشةً مقدسة منعكفين على اتمام واجبات العبادة لله وعلى صنيع الاعمال التقوية بكل نشاطٍ . مواظبين التوسل لله تعالى بحرارةٍ في ان يمنحهما نعمة الثبات في هذا القصد . مثابرين على امانة جسميهما بواسطة الاصوام وقهر الذات . موزعين صدقاتٍ سخية جدًا على الفقرا والمساكين مصرفين اخص مداخيلها الغنية في سد عوز المحتاجين . مومليين برجا وطيد ان يذخرا لهما

كنزًا عظيمًا في السما يمكنها ان يتمتعا باثماره الى الابد * ثم انها ابذلا كل جهدٍ في كتم نوع حفظها العفاف سرًا هربًا من قبول مديح الانام الاتقيا لفضيلتها . وقطعا لاسباب تكلم السالكين بروح العالم في موضوعٍ تختلف اراوهم عليه . في الوقت الذي فيهِ لم تكن لها غاية في ذلك الا رضوان الله وعبادته بنقاوةٍ * ولكن مع هذا جميعه قد لحظ الامر بكفاية او قلما يكون تحت الريب ابو العروسة لاون . وهذا قد اغمه وحركه لان يشكو منه للملك مصورًا لديهِ ثاوفانوس رجلاً خارجًا عن طرايق البشر . مرائيًا عديم الفطنة . مبددًا مداخيله بسما * وهذا انما كان يظهر عند لاون كشي مكروه . من حيث انهُ لم يكن سالكا حسب روح الله كما يصنع غالبًا الانام العايشون فيما بين عظما العالم حسب روح هذا الدهر الخداع *

ثالثًا فالملك بعد ان صغي لاقوال لاون . قد فكر بان يبعد ثاوفانوس من القسطنطينية لظنهِ ان الاشخاص الموسوسين كانوا بحركونه الى نوع تلك العيشة الرهبانية وينعشون فيه الابخرة السوداوية (كما كانوا يسمون نوع عبادته) * ثم اراد ان يجعل لهُ اهتمامًا في وظيفةٍ ما . ولذلك اقامهُ مناظرًا على عمار القلعة . التي كان هواي الملك يشيدها في مدينة جيتسيكوس . وعلى اعمالٍ اخر مختصة بنجاح المتاجر * فثاوفانوس اطاع الملك . مسافرًا الى المدينة المذكورة . ومن المحتمل انه اخذ صحبته عروسته البارة . وهناك مكث نحو ثلث سنوات . متممًا بكل عنايةٍ وتدقيق ونشاط واجبات الوظيفة التى اقامه بها الملك ولكن من يحب الله محبةً صادقة لايغير سيرته الصالحة بتغييره مكان سكناه لان ثاوفانوس مارس في مدينة جيتسيكوس طريق العبادة عينها . وعمل البر ذاته بالنوع الذي كان يباشره في القسطنطينية . مصرفا جميع الزمن الذى كان يوجد فيه متفرغا من معاطاة واجبات وظيفته في الصلوات والقراءة الروحية والتاملات وافعال العبادة * وكان يذهب مراتٍ كثيرة لزيارة الرهبان القاطنين في دير قريب من المدينة المذكورة يدعى سغريانا . وعند مفاوضته مع اوليك الابرار كان يشتد في قلبه التهاب نيران الحب نحو الله وعظم الشوق الى التمسك بتلك العيشة الرهبانية . ليهتم بعبادة الله باكثر تفرغ * وهذا الشوق كان يضطرم في قلب عروسته ايضا . ولذلك كانا يتوقعان الفرصة الملايمة لوضعه بالعمل * فهذه الفرصة ما تاخرت عنهما زمنا مستطيلاً . من حيث انه في نهاية الثلث السنوات المومى اليها توفى الملك . ومات لاون ايضا حمو ثاوفانوس . وهكذا رجعا الى القسطنطينية متصرفين بحريةٍ

مطلقة في جميع املاكها ومداخيلها الواسعة *

رابعًا فقد اطلقا عبيدها جميعًا من رق العبودية واهبينهم العتق . ووزعا على الكنايس وعلى اسعاف المساكين والبايسين اكثر موجوداتها من ارزاق ثابتة ومنتقلة . وبرضا تام متردد اعتمدا على ان يخرجا مطلقًا من العالم وينهيا باقي ايام حياتهما في العيشة الرهبانية * ففي سنة ٧٨٠ قد افترقت من ثاوفانوس عروسته . بنوع انه ما عاد يرى احدهما الاخر في هذه الحيوة بل يتلاقيان في الحيوة الابدية . وهكذا دخلت في دير الراهبات في جزيرة مدعوة الاميرة * وهناك لبست الثوب الرهباني . واتخذت تسمية ايريني . وعاشت بسيرة فاضلة ورقدت بالرب بميتة مقدسة . وقد شرفها الله بموهبة صنيع العجايب * واما القديس ثاوفانوس فذهب الى الدير ذاته المدعو سغريانا . وهناك لبس الثوب الرهباني . ولذلك دُعي السغريائى * وشرع يباشر او بالاحري يداوم افعال التقشفات والاماتات باشد صرامة والصلوات والتاملات باعظم هدو . مثابرًا عمل اليد ايضًا لاكتساب القوت . مهتما بنوع خاص في نساخة كتب الابا القديسين * وقد شيَّد في ارضٍ كانت في تملكه في جزيرة كالونيا ديرًا معتبرًا للرهبان . الذين جمعهم فيه . ومكث قاطنا معهم مدة بعض سنوات خاضعًا نظير البقية الى الريس الذى اقامه عليهم * ثم رجع بعد هذا الى سغريانا حيث شيَّد ديرًا اخر في مكان يدعى الحقل الكبير . وفيه قطن مدة باقي حياته . طالما لم يلزم على الخروج منهُ كما سياتي القول * وقد اضطر الى ان يتخذ على ذاته تدبير ذلك الدير كريس . وفيه كان يرشد الرهبان بنموذجاته الصالحة وبمثله الحي بابلغ مما بواسطة اقواله ورسومه . حتى انهُ كان بالحقيقة يعبد الله بالروح والحق في الدير المذكور * ففي بحر هذه المدة قد التيم في مدينة نيقية المجمع المسكونى السابع لاجل تحديد تكريم الايقونات المقدسة ورذل ضلال محاربيها كما شرحنا في سيرة القديس طاراسيوس تحت اليوم الخامس والعشرين من شهر اشباط * وقد دُعي القديس ثاوفانوس بطلب حثيث للذهاب الى هذا المجمع العام . الذى دخله مترديًا بثوبٍ فقرى جدًا * حيث قُبل من الابا بتكريم ومديح . كما ان اقواله التي اوردها في المجمع ماخوذةً عن الكتاب الالهي وعن التقليد الرسولي في شان تاءييد تكريم الايقونات المقدسة قد قُبلت بكل اعتبارٍ وثنا حسبما كان يستحق *

خامساً ومن حيث ان العزة الالهية ارتضت بان تجعل هذا القديس صورةً للقداسة السامية . رسمت بان تمتحن فضايله نظير الذهب في كور نار الشدايد والاضطهادات فكان مضي لهذا القديس نحو عشرين سنة منذ لبسهِ الثوب الرهباني . مواظباً على الدوام افعال النسك والسيرة الصارمة * وفي اثناء ذلك استحوذت على جسمه امراض ثقيلة ومختلفة الانواع . بها تكبد من الاوجاع امضَّها ومن الالام اشدَّها . وقد رافقته تلك الامراض الي منتهى حياته . لاسيما مرض الحصي في المثاني الذي كان نهاراً وليلاً يذيقه عذاب الشهدا * ومن حيث ان الله وهبه فضيلة الصبر فمن دون ادنى تشكٍ كان يحتمل ذلك جميعه * شاكراً الله الذي اهله لهذا الامتحان * وبمقدار ما كان جسمه ينحل من الامراض . فباكثر من ذلك كان روحه يتقوى بحبٍ اشد حرارةً نحو يسوع المسيح المصلوب * وقد أُضيف الي هذه الشدايد او بالحري رافقها الاضطهاد الذي صنعه ضده الملك لاون الارمني محارب الايقونات . على ان هذا الملك جلس في تخت الملك القيصري سنة ٨١٣ وفي السنة التالية جدد الاضطهاد ضد الكاثوليكيين مكرمي الايقونات المقدسة . مرسلاً البعض منهم الي المنافي . ومميتاً البعض منهم . ومضطهداً الاخرين بالاغتصابات والعذابات او بالخداعات والغشوش * ومن حيث ان هذا الملك المنافق كان تحقق الامر الشايع في كل مكان عن صيت قداسة ثاوفانوس وسمو فضايله . فاشتهى ان يجتذبه الي رايه . مستعملاً معه في الاول التمليقات والكرامات والخداع *

سادساً فقد حرر للقديس رسالةً مملوةً من الاعتبار والمدايح . وبها طلب اليه ان يذهب لمواجهته في القسطنطينية لكي يساعده على استيصال عبادة الاوثان . (هكذا كان يسمي تكريم الايقونات هذا الملك الاثيم) * فالقديس ثاوفانوس ولين كان وقتيذٍ مثقلا باوجاع امراضه . فمع ذلك رد جواباً مستطيلاً للملك برسالةٍ حاوية جميع ما كان قبلاً اورده في المجمع النيقاوي ببراهين قوية وايرادات سديدة في المعتقد الكاثوليكي نحو تكريم الايقونات المقدسة * وبعد ذلك نصح الملك بالفاظ لم تكن تعرف الاهابة من الصولجان الافغوسطي في ان يكف عن اضطهاد الكاثوليكيين الظالم . ان كان يريد ان لايلتحق به انتقام عدل الله الممتلي منه غضباً * ثم اختتم رسالته هذه موضحاً للملك بانه لكان الاجود له ان يذهب يحارب قبايل البربر اعدا مملكته من انه يوجه حربه هذه القاسية ضد كنيسة

يسوع المسيح الجامعة * فهذه الرسالة بعد ان قراها ذلك القيصر المتكبر . اشتعل غيظاً وانفذ الى سغريانا احد اصحاب الوظايف مرافقاً بطغمة من الجنود . مع امر به يحتم بهدم دير القديس ثاوفانوس و باخذ هذا البار مقيداً بالسلاسل الى القسطنطينية * فاوليك الجنود البرابرة قد تمموا امر ملكهم الظالم فعلاً . حيث انهم بعد ان ضربوا الرهبان بقساوة وطردوهم . قد اعطوا النار في اربع جهات الدير * فحرقوه وهدموه حتي اساساته * ومن حيث ان القديس ثاوفانوس لم يكن يمكنه الوقوف على رجليه من قبل الضعف . فقيدوه بالسلاسل ووضعوه على عربانة واتوا به الى المدينة المتملكة * وهناك تبعا للامر الملوكي طرحوه في سجن مظلم ضنك . معذبين اياه مدة سنتين كاملتين بنوع غير مصدق * وفي بحر هذه المدة كان الملك المنافق يرسل حينا بعد حين اناسا من قبله الي القديس ثاوفانوس مستعملين نحوه تارة التمليقات واخرى المواعيد وحينا التوعدات لاجتذابه لارادة الملك ولكن لا هذه ولا تلك ولا شي من الاشيا امكنه ان ينتصر على ثبات هذا المعترف البار * فاخيراً ابرز ضده حكومة النفي الى جزيرة قفرة بعد ان يضربوه شديداً باعصاب البقر . الامر الذي اذ اكمله خدام الشريعة بقساوة فاوصلوه من قبل ذلك الي ابواب المنون هذا فضلاً عن اوجاع امراضه الخصوصية وعن الاضامة الشديدة التي قاساها في بحر سنتين في السجن ۞ ولهذا بعد ان بلغوا به الى مكان منفاه بثلث جمع . قد انتقل من هذه الحيوة الشقية من بين الالام والاوجاع والشدايد الي مقر الراحة والنياح في السعادة الخالدة . ليتمتع بمكافاة اعماله السامية ۞ وقد تم هذا الانتقال المجيد نحو سنة ٨١٨ في مثل هذا اليوم الذي هو الثاني عشر من شهر ادار *

فالقديس ثاودوروس ستوديتا الذي كتب اعمال هذا القديس المجيدة . يقدم سيرة حياته تمثالاً حياً يقتدي به المسيحيون من اية مرتبة ودعوة وجدوا * فاولاً حسن التربية التي بها تربي هذا القديس يعلم الوالدين الفوايد الصالحة التي يخزنونها لبنيهم بالاعتنا الواجب في ان يوصلوا فيهم حسن الديانة وعشق الفضيلة في قلوبهم منذ حداثتهم * ثانيا المزوجون يجدون في القديس ثاوفانوس والقديسة ايريني قرينته بكم من العفاف والطهارة ينبغي لهم ان يحفظوا ذواتهم قلما يكون من ادنى دنس اذا لم تكن فيهم الاستطاعة على الامساك مطلقا . وبكم من الحب المتردد وانفاق الراي والهدو والسلام يجب عليهم

ان يعيشوا * ثالثًا الاغنيا واشراف الانام يجدون في هذا القديس ما هو كافٍ لارشادهم في احتقار اباطيل هذا العالم وكراماته وتنعماته . وفي ان يكنزوا لهم بواسطة الصدقات خزنةً امينة في السماوات * رابعًا اصحاب الوظايف المتقدمة يشاهدون في هذا البار كيف ان وظايف هذه صفتها لايمكنها ان تعيقهم عن اتقان واجبات العبادة لله بكل قداسةٍ وطهارة خامسًا المبتلئون بالامراض والاسقام يتعلمون من هذا القديس الصبر وتسليم الارادة لله وتقدمة الشكر لديه تعالى على افتقاده اياهم في هذا الدهر بامتحاناتٍ بها يفون عن خطاياهم السابقة . ويحفظون من السقوط بمثلها في المستقبل . ويكتسبون بصبرهم الاجور السماوية سادسًا الرهبان يتاملون في هذا البار درجات التقدم في الكمال الانجيلي السامية التي كان حاصلاً عليها قبل لبسه الثوب الرهباني . وكم انه تقدم فيها بعد ذلك في مدة عشرين سنة . وهكذا يتذكرون في ان الراهب الم يتقدم يومًا فيومًا في درجات الفضايل فلا يكون متمما الغاية الاخص التي من اجلها تردى بالاسكيم المليكي لان الوقوف هو عين التقهقر والرجوع الى الورا * سابعًا واخيرًا كلٌ من ابنا الايمان المستقيم يجد في هذا المعترف ما يعلمه الشجاعة والحماة بجلادةٍ وثبات عن حقايق الايمان . غير مبالٍ بالخسايز الزمنية ولا بالاهانات والتعاذيب . حتى ولا بفقد الحيوة نفسها . متذكرًا قوله تعالى « : ان من يستحي بي امام الناس « استحي به امام ابي الذي في السماوات . ومن اعترف بي قدام الناس فاعترف به قدام ابي « الذي في السماوات *

* اليوم الثالث عشر *

* وفيه تذكار نقل اعضا ابينا القديس نيكيفوروس بطريرك القسطنطينية *

انه من حيث ان سيرة حيوة القديس نيكيفوروس المعترف المذكور هي محررة في اليوم الثاني من شهر حزيران . فيمكن للقاري الحسن العبادة ان يراجع قراتها هناك . ليفهم من العدد السادس والاخير منها كيف ان نقل جسم هذا القديس قد كمل سنة ٨٤٦ بامر الملك ميخائيل الثالث ووالدته القديسة ثاودورة *

* اليوم الرابع عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار بناديكتوس والقديس الكسندروس الشاهد *

اولاً ان القديس بناديكتوس (الذي معناه مبارك) اب رهبان بلاد المغرب . قد

ولد نحو سنة ٤٨٠ في مدينة نورجيا من اوتروبيوس ابيه ونوابونضاسا والدته المتقدمة عيلتهما بالغنى المتسع وبالاعتبار فيما بين اكابر هذه المدينة اللذين حالما امكنهما ارساله الى رومية في السن الواجب لدرس العلوم لم يتاخرا عن اتمام ذلك * فبعد حضوره الى رومية قد اكتسب نجاحا بهذا المقدار عظيما في درس العلوم الطبيعية والفلسفية . حتى ان من عرفه واختبره كان يفكر بالصواب في انه عتيد ان يكون شهير الاسم في العالم في الوظايف المدنية * غير ان الله الذي اختار هذا البار ليكون ابا لعددٍ هكذا عظيم من القديسين الرهبان . قد همس في قلبه الافكار الملايمة لهذا الموضوع * ومن ثم حينما بلغ الى السنة السادسة عشرة من عمره . واختبر بكفايةٍ حال فساد السيرة المعترى كثيرين من قرنا سنهِ في جنسهِ الدارسين معه . فخوفا من ان عدوة هذا الطاعون المهلك تلتحف به . ويفسد مع اهل العالم الدنسين . قد اهمل الدرس والاقربا وكل ما في العالم . وانفرد سايحا في القفار * اما مرضعته التي كانت جاءت صحبته الى رومية وكانت تخدمه . فهذه رافقته الى محلٍ يدعى افيلوس . وهناك اذ عرض لها ان ينكسر معها وعاءٌ ما كانت استعارته من احد معارفها . الامر الذي اغمها جدًا . فالقديس بناديكتوس بصلواته صحح ذلك الوعا بنوع فايق الطبيعة . حتى انه لم تعد تظهر فيه علامة كسره مطلقا * فهذه الاعجوبة الاولى التي صنعها في حياته . من حيث ان المرضعة اخبرت عنها السكان القريبين . قد اشتهر صيتها وبدأت الناس يعتبرون هذا الشاب البار ويكرمونه كرجل الله *

ثانيا ولكن من حيث ان هذا القديس لم يكن يرغب الكرامة من البشر . بل ان يحتقر وينسى منهم . فلهذا قد هرب من افيلوس سرًا من غير ان تعلم به مرضعته نفسها . ومضى الى قفر سوبياكو حيث حبس ذاته في مغارةٍ ضنكة لم يكن يخرج منها الا في وقت الاحتياج * ولبث على هذه الحال مدة ثلث سنوات مجهولاً من الجميع ما عدا رجل راهب مدعو رومانوس الذي كان صادفه حين هربه الى المحل المذكور . وفهم منه حقايق اعتماده والبسه ثوبه الرهبانى * وكان يعوله في تلك المدة بالقوت الضروري حافظا ذلك جميعه تحت السر * على ان رومانوس هذا كان احد رهبان ديرٍ قريب من تلك المغارة تحت ارشاد الانبا ثاودانوس وكان يحفظ كل يومٍ جزءًا من الخبز المقدم له على المايدة نظير باقي الرهبان ويخرج بهِ سرًا الى حافة الوادي الغير المسلوك اصلاً

الذي فيه مغارة القديس . ويربط الخبز بمرسة طويلة مع جرس صغير يعطي بحركته تنبيهًا للبار . فيخرج من المغارة وياتي فيحل الخبزة من المرسة ويأخذها . وهكذا يرجع رومانوس الى الدير من دون ان يراه احد * فبينما كان هذا القديس مثابرًا في تلك المغارة على هذه العيشة الضنكة جدًا . مميتًا حواسه بالكلية . مواظبا الصلوات والتراتيل والاتحاد مع الله . قد اتفق بسماح منه تعالى لامتحان فضيلة عبده ان يثب عليه الشيطان بتجارب قوية ضد الطهارة * فيوما ما اهاج في مخيلته التصور في امراة كان القديس شاهدها في رومية . واضرم في قلبه نيران الشهوة الدنسة بهذا المقدار شديدة . حتي انه عما قليل لكاد يهمل مكانه ويرجع الى العالم . لولا تغيثه نعمة يسوع المسيح الذي التجا اليه * ثم لكي ينجو من هذه التجربة القوية والغير الاعتيادية . خرج من المغارة عاريا . وطرح نفسه في وسط عليقة مملوة من الاشواك الحادة . التي مزقت لحمانه واوجبت فيها ضرورةً اوجاعا مولمة ازالت عنه تلك التصورات الدنسة . وهكذا الباري تعالى الذي سرَّ من شجاعة جنديه هذا البار لم يعد فيما بعد يسمح به ان يتجرب بهذا النوع الشديد الخطر جدًا على الانفس التي تحبه عزَّ وجلَّ *

ثالثا فبعد نهاية الثلث السنوات التي قطن فيها القديس هذه المغارة غير معروف من احدٍ الا من رومانوس . ابتدأ ان يشيع اسم قداسة سيرته من قبل بعض رعيان كانوا شاهدوه ولهذا اخذت الناس تتوارد لزيارته . مستمدين منه الارشادات الروحية . وهكذا رهبان الدير القريب حضروا اليه ملتمسين منه ان يرتضي بالتراس عليهم ليعيشوا تحت تدبيره اما البار فاعتذر لديهم محركا من تواضعه العميق . موردًا بعض حجج تعفيه من ذلك لاسيما سن الشبوبية . وانهم لايقدرون ان يعيشوا جملةً * ولكن مداومة توسلاتهم وتفنيدهم جميع اعتذاراته الزمته اخيرًا باجابة مطلوبهم . وحينيذٍ بعد ان وضع على كاهله ثقل تدبير تلك الجمعية طفق يدرس في الوسايط الممكنة ليجعل القانون الرهباني محفوظا بكل صرامةٍ * ومن ثم اعتني بالزام اوليك الرهبان الذين كانوا حايدين عن حفظ القوانين بالرجوع الي محجة السيرة الرهبانية الصادقة معرفا كل احدٍ منهم حدود التزاماته من دون اعفاءٍ عن تكميلها فهذا الروح الصارم بموجب القوانين صير كثيرين من اوليك الرهبان ان يندموا على انتخابهم هذا الريس الغير الموافق لرخاوة سيرتهم * ومن حيث انهم ما استطاعوا

ان يجذبوه الى موافقة روحهم اصلاً . قد اعتمدوا على ان يميتوه مسمومًا * فالى هذا الحد من الاثم الشنيع يتصل الانسان الماسور من الامه الغير المروَّضة . فلهذا قد وضعوا له السم في الخمر * ولكن من حيث ان عادة رهبان هذا الدير كانت ان يقدموا وعا الخمر الى الريس ليباركه قبل الشرب . فحينما رفع القديس يمينه وبارك برسم الصليب المقدس ذلك الوعا الذي فيه الخمر المسموم . فحالاً انكسر الوعا وأُهرق الخمر . الامر الذي اعطى القديس برهانًا عما كان اضمره عليهِ رهبانه * فاذًا لما نهض من على المايدة دعا اليهِ الرهبان . وبوجه باش وبالفاظٍ عذبة قال لهم هكذا : « فليغفر لكم الله يا اخوتي . ترى لماذا عاملتموني بخيانةٍ هذه صفتها . انما كنت قلت لكم اننا لانقدر ان نعيش جملةً . فالان اذًا فتشوا لكم على ريس يخدمكم » * قال هذا وخرج من الدير راجعًا الى مقر وحدته الاول . متعزيًا بانه لم يعد يهتم في شي اخر الاَّ في تقديس نفسه واتحاده الدايم مع الله من غير افتكارات اخر * رابعًا ولكن اذ كانت الناس تتقاطر اليهِ من كل ناحيةٍ لاسيما لاجل ان الله شرفه بموهبة صنيع العجايب . فاستحال قفرسوبياكو الى روضةٍ لاجل كثرة الزوار والمتلمذين لهذا البار * الذي لم يمكنه ان يجد طريقةً لاتضاد محبة القريب بها يعفي ذاته من قبول الاتين اليهِ ليرتشدوا منهُ متوسلين اليهِ بدموعٍ في ان يقبلهم بعيشة النسك تحت تدبيره . الامر الذي اضطره لان يعمر في ذلك القفر حينًا بعد حينٍ اثنى عشر ديرًا صغيرًا يبعد احدها عن الاخر مسافةً وجيزة * ثم وضع في كل ديرٍ اثني عشر شخصًا تحت ارشاد ريس خصوصي لكل ديرٍ . مبقيا لذاته بعض اشخاص تلاميذ له خاصين . الذين وجد فيما بينهم قديسان وهما ماوروس وبلاجيدوس . واثناهما ابنا ريسي المشيخة الرومانية * اللذان اذ اتبعا ارشادات معلمهما البار واثر نموذجاته بتدقيقٍ ففي زمنٍ وجيز بلغا الى قمة الكمال الانجيلي . وأُقيما مرشدين للاخرين * فيوما ما حينما ذهب القديس بلاجيدوس ليستقي الما من بحيرة قريبة قد سقط في البحيرة وطفا على الما * فالقديس بناديكتوس علم بروحه . وهو في الدير بسقوط بلاجيدوس * ولهذا صوَّت بالقديس ماوروس قايلاً لهُ : « اسرع يا اخي لتنقذ بلاجيدوس من البحيرة كونه سقط فيها » * فماوروس اخذ بركة معلمه . وطفق يركض حتي بلغ الى البحيرة . ومد يده ومسك بلاجيدوس بشعر راسه وجذبه اليهِ * ولكن اذ التفت الى ما ورايهِ . قد شاهد ذاته على الماء بعيدًا من حافة البحيرة . فامتلا خوفا ورعدة . ورجع

بلاجيدوس الى الارض . وهكذا اخرجه من الما وجاء به الى الدير . مخبرًا معلمه بما حدث ومقنعا بان ذلك صدر باجابة صلواته لدى الله من اجلها * اما القديس بناديكتوس فاجابه ان هذا صدر ثمرةً لسرعة طاعته القانونية لامره *

خامسًا فتعزية القديس بناديكتوس العظيمة بمشاهدته مثابرة رهبانه جميعهم على حفظ الرسوم الرهبانية بكل تدقيق ونموهم في الفضايل والقداسة . قد تكدرت نوعًا من قبل ما حركه ابليس الحسود في روح فيورانسوس خوري الكنيسة القريبة من ادبرة هذا البار من قبل المغايرة والحسد * فاخذ يتكلم ضد القديس اقوالاً ذات افتراء ويشيع عنه تهماً باطلة كاذبة باذلاً كل جهده في افقاده صيته الحسن . وفي منع الناس عن التردد اليه * فالقديس بناديكتوس كان يحتمل ذلك صامتًا . ولكن لما راى بعد مدة ان اضطهاد الخوري المذكور اياه اشتد بنوع ردي جدًا . فحينيذٍ قد اعتمد على ان يهمل ارض سوبياكو ويذهب الى جبل كاسينوس * فلهذا اخذ صحبته البعض من الرهبان . وترك البقية في اديرتهم تحت ارشاد روسايهم المقامين منه عليهم وسافر * غير انه لم يكن يبعد عن ارض سوبياكو مسافة عشرة اميال . واذا بتلميذه ماوروس يجري وشكًا في اثره . مخبرًا اياه بموت الخوري فيورانسوس الانتقامي تحت رديم جانب من محل سكناه الذي هبط عليه * ولهذا ماوروس اخذ يتوسل الى القديس في رجوعه اليهم بعد موت مضطهده . وبالا يهملهم محزونين على ابتعاده عنهم * فهذا البار عند سماعه تلك الخبرية طفق يبكي بمرارةٍ على شقاوة المتوفي . ووبخ ماوروس على عدم بكايه نظيره * ثم لم يرد ان يرجع الى اديرته بل داوم مسيره ذاته حتي بلغ الى جبل كاسينوس . وحالاً انفتح له ميدان جهاد عظيم من حيث ان سكان هذا الجبل كانوا لحد ذلك الوقت يعبدون ابولّس الصنم المشيد له عندهم معبدٌ والمكرسة له الحراش المحيطة به . فاخذ القديس ينذر هناك ببشارة الانجيل باتعاب رسولية قد رافقها الله بايهاب انعامه . بنوع ان عددًا وافرًا جدًا من اوليك الشعوب امنوا بالمسيح * وحينيذٍ كسر القديس ذاك الصنم . وهدم معبده وحرق الحراش المكرسة له . وشيد كنيستين لله احداهما على اسم القديس يوحنا المعمدان وثانيتهما على اسم القديس مرتينوس *

سادسًا ثم اسس هذا البار في جبل كاسينوس الدير الشايع الصيت الى يومنا . والذي أُعتبر دايما انه كرسي رهبنة القديس المذكور * ولكن العدو الجهنمي الذي اباد هذا القديس

سلطته التي كانت له على سكان المحل. ولاشى فضلات العبادة الوثنية. قد ابذل حيله الخبيثة كلها في تحريكه ضد القديس اضطهادًا قاسيًا بانواع مختلفة في ممانعة عمار ذلك الدير. حتى ان هذا الروح الشرير كان يظهر مرات كثيرة امام البار بصور مخيفة جدًا. محاطًا بلهيب مرعب. متهددًا اياه باضرار عظيمة * التي لكان صنعها به. لولا تصده اليد القادرة على كل شي. وكان يفتري عليه بشتايم وبالفاظ جهنمية كانت الرهبان تسمعها من دون ان تشاهده * فاذ كانوا مرةً مهتمين في قلب صخرة كبيرة لعمار قلاية. قد منعهم الشيطان عن قلبها واستعمالها * فلما اخبروا القديس. جاء اليها ورسم عليها اشارة الصليب. وحالاً حملها الرهبان ووضعوها في المحل المقصود منهم من دون ان يشعروا بثقلها * كما انه بهذه الاشارة الخلاصية اطفى الحريق الذي اضرمه ابليس مرةً اخرى في مطبخ الرهبان بنوع مخيف في الغاية * وقد هدم يومًا هذا الروح الخبيث حايط القلاية فوق طفلٍ كان هناك فاماته. حتى ان الرهبان احتاجوا الى وضعه في كيس من قبيل ان اعضاه كلها تكسرت. واتوا به الى القديس * الذي صنع التوسل لله في رده الى الحيوة. وهكذا فتح الكيس واذا بالطفل حي صحيح الجسم *

سابعًا ففي هذا الدير قد انهى القديس بناديكتوس ترتيب الفرايض الرهبانية. التي تمسكت بها فيما بعد ليس جمعية رهبانه فقط. بل رهبان بلاد المغرب ايضا كلهم رويدًا رويدًا * ومن حيث ان هذه الفرايض الحاوية بهذا المقدار روح الكمال الانجيلي. فمنها يمكنا ان نفهم بسهولةٍ كم كانت فضايل هذا القديس سامية وسيرته فاضلة. لانه من دون شك ما رسم في فرايضه هذه شيًا لم يكن هو نفسه باشره بالعمل ففي هذه الفرايض تتلالا بنوع خاص فضيلة الحب نحو الله والقريب والطاعة الكاملة للروسا. بنوع ان الراهب يبقى عديم الارادة الخصوصية بالكلية. ورفض المقتني والتخصيصات من دون تفسيح واتقان واجبات الطهارة بغاية الاحتراس. وتكميل العبادة لله بكل تلك الحرارة والتقوى ومواظبة الرهبان على عمل اليد. والزامهم بقبول الضيوف والقيام باحتياجاتهم الروحية والزمنية وبالاجمال انه لايستطيع احد ان يعتني في ان يبلغ الى الكمال الانجيلي تمامًا بنوع افضل مما يراه مرسومًا لذلك بهذه الفرايض *

ثامنًا وقد كرم الله صفيه بناديكتوس ليس بصنيع العجايب فقط بل بروح النبوة ومعرفة

المستقبلات ايضاً . كما يشهد القديس غريغوريوس الكبير الحبر الروماني * الذي فيما بين الاشيا الاخر يورد عنه هذه الخبرية وهي : انه حينما اجتاز طوتيلا سلطان الكوتيين من نواحي جبل كاسيانوس . وكان سمع اشيا كثيرة عن هذا القديس . وانه كان يعرف الامور بروح نبوي . قد اراد ان يشاهده * ولكن قبلاً قصد ان يمتحن حقيقة هذا الروح النبوي . فقبل ان يصعد الي الجبل خلع . عنه برفيره الملوكي والبسه الى احد الشبان المحافظين جسمه وارسله امامه مرافقا من اكابر دولته كانه هو شخص طوتيلا . وذلك قبل ان يسبقه احد مطلقا * فلما بلغ هذا الشاب بذلك الموكب الى امام الدير . خرج القديس لملاقاته هاتفا نحوه هكذا : « اخلع عنك ياولدي . اخلع عنك هذا الثوب الذي انت لابسه . اذ انه ليس « بثوبك » * فعند سماع ذلك الشاب ومن معه هذه الكلمات . سقطوا على الارض من شدة الرعدة والخوف الذي اشتملهم . ثم نهضوا . ومن دون ان يجسروا على الدنو من القديس رجعوا مسرعين واخبروا مولاهم بما حدث * فحينيذٍ صعد طوتيلا لمواجهة القديس بكل احترام . حتى انه حينما شاهده عن بعدٍ جثا على الارض من دون ان يجسر على التقدم اليه من شدة الوقار * ولهذا ذهب البار وانهضه بيده قايلاً له : « انك لقد صنعت كثيراً « من الشر . وحتى الان تصنع فاترجاك بان تجعل لشرورك وعدم ترتيبك نهاية * فانت « عتيد ان تدخل الى رومية وستجوز البحر . وبعد ان تكون تملكت مدة تسع سنوات ففي « السنة العاشرة تموت » فلما سمع طوتيلا هذه الكلمات ممتلياً خيفةً واحتراماً نحو القديس قد توسل اليه في ان يصلي من اجله . وهكذا رجع سايراً في طريقه * ومنذ ذلك الوقت لم يعد قاسياً نظير الماضي . وقد تم به فيما بعد جميع ما قاله له القديس بروحٍ نبوي *

تاسعاً ثم ان القديس غريغوريوس نفسه يورد اشيا اخر كثيرة على حقيقة روح النبوة الذي كان مزيناً به القديس بناديكتوس . ونحن لا نذكر من ذلك سوى فضيلة واحدة وهي . ان ثاوبروبوس الرجل الشريف الذي كان رجع الي الله بواسطة ارشادات البار بناديكتوس . وكان له عليه دالة وافرة . فهذا يوماً ما دخل الى قلاية القديس . فراه يصلي باكياً بمرارةٍ * ولما انتظره مدة من الزمان من دون ان يكف عن البكا الشديد . (مع انه لم تكن عادته ان يبكي هكذا في اوقات صلواته) . قد تقدم اليه وترجاه بان يخبره عن سبب بكايه هذا الوافر * فالقديس اجابه قايلاً : « ان هذ الدير كله الذي انا شيدته

«مع جميع الاشيا التي وضعتها فيه لاجل رهبانه . قد سلمت برسم حكم الهي عادل الى ايدى «الامم . وبالجهد اني قدرت ان انال هذه النعمة . وهي ان الاشخاص الموجودين في هذا «المحل قلما يكون يحفظون سالمين» . فيقول القديس الحبر الروماني غريغوريوس ان هذه النبوة قد كملت با لتمام . اذ ان اللونغوباردیین جاوا الى الدير المذكور ليلاً . فادثروا المحل ونهبوا كل شى فيه . ولكن من دون ان يقدروا ان يصنعوا شيا من الضرر مع القاطنين فيه . تبعا للنعمة التي استمدها القديس بناديكتوس من الله ✻

عاشرًا واخيرًا قد اخبر القديس بناديكتوس في السنة عينها التي فيها انتقل من هذه الحيوة عن اليوم نفسه الذي كان مزمعًا ان يرقد فيه . وكتب للبعض من رهبانه الغايبين (بعد أن اوصى رهبانه الذين اخبرهم عن يوم موته بحفظ السر) . واوضح لهم الاشارات العتيدة ان تظهر لديهم ساعة انفصال نفسه من جسده ✻ ثم قبل وفاته بستة ايام فتح المقبرة المعدة لدفنه وهياها . وحينيذٍ اعترته حمى شديدة في مدة تلك الستة الايام ✻ وفي اليوم السابع طلب الى تلاميذه ورهبانه ان ينقلوه الى الكنيسة الصغيرة . وهناك بعد ان تناول سر القربان الاقدس . وحدق بناظريه الى السما حيث كان ينتظر مكافاة اتعابه الرسولية واعماله البارة . فهكذا اسلم روحه المقدسة بيدي الله ✻ وكان ذلك حسب راي الاكثرين سنة ٥٤٣ . وهي السنة الستون من عمره تقريبا ✻ وقد دُفن جسده الطاهر في الكنيسة المذكورة التي كان شيدها على اسم القديس يوحنا المعمدان . موضع هيكل الصنم ابولُّس ✻ والباري تعالى قد شرف قبره بعجايب عديدة صنعها تكريما لصفيه البار . اما الكنيسة الرومانية فتصنع تذكاره في ٢١ ادار ✻

فا لفرايض التي الفها القديس بناديكتوس لرهبانه . اذ هي مستندة على اقوال الانجيل الطاهر . ففحواها يلزم اتباعه ليس من الرهبان فقط بل من كل مسيحي ايضًا ✻ على ان القداسة المطلوبة من الرهبان هي عينها مطلوبة من كلٍ من المسيحيين . من حيث انه تعالى يقول نحو الجميع من دون استثنا : «صيروا قديسين فاني قدوس انا يقول الرب» . (احبار ص ١١ ع ٤٤) . ومثل ذلك الكمال الانجيلي المطلوب وجوده فيهم . فمطلوب وجوده في الجميع . كما يقول عزَّ وجلَّ : «كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كاملٌ هو . (متى ص ٥ ع ٤٨) ۞ ورفض كل شي زمني الخاص با لرهبان هو خاص بالجميع . فلما يكون

بالاَّ يتعلق القلب بحبه . لان مخلصنا يقول نحو الجميع : « ان لم يرفض كل احد منكم مقتناه من كل قلبه لا يقدر ان يكون لي تلميذاً » (لوقا ص ١٤ ع ٣٣) * وكذلك الكفران بالارادة المطلوب من الرهبان فالهنا يطلبه من الجميع بقوله : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويتبعني » (متى ص ١٦ ع ٢٤) * فاذاً روح الكمال الانجيلي يجب ان يكون هو الموضوع المتجهة اليه اعمال كل مسيحي . بالسعي في اتمام واجبات الدعوة المسيحية * فاي نعم ان العلماني لا ينذر الطاعة نظير الرهبان . ولكن من تراه ينكر انه يلتزم بطاعة من لهم عليه الرياسة كالوالدين والمعلمين ثم الروسا الكنايسيين والولاة المدنيين . فلا ينذر الفقر احتفالياً . ولكن ليس لاجل ذلك لا يلتزم بان يجرد قلبه من حب الاشيا الزمنية الغير الموافق حبه لله اذ انه لا يمكن لاحدٍ ان يعبد ربين . ثم انه نعم لا ينذر العفة . ولكنما ليس باقل من الرهبان يلتزم بتجنب المخاطر الدنسة . وبان يحفظ اناه بقداسةٍ . لان خلاصنا الابدي يتعلق على حفظ ما اوصانا به الله . فلنتمسك اذاً بتعليمه الالهي مقتفين نموذجات الابرار الذين عرفوا جيداً ان يتبعوا هذا التعليم بكل تدقيق . وهكذا فازوا بالحيوة الابدية *

* سيرة القديس الشاهد الكسندروس *

ان الشي الذي يمكننا ان نورده عن هذا الشاهد القديس الكسندروس وعن حقيقة استشهاده الذي به قدم حياته من اجل الايمان بالمسيح في مدينة الاسكندرية . انما هو ما كتبه عنه بالاختصار القديس ديونيسيوس بطريرك المدينة المذكورة في تحريره مختصر اعمال القديسين الذين استشهدوا في زمان بطريركيته في هذه المدينة . فاذاً فيما بين اوليك القديسين الابطال الذين اماتهم تحت العذابات القادحة والي الاقليم المصري المدعو سابيانوس الكلي القساوة . وذلك سنة ٢٥٠ للمسيح في زمن الاضطهاد المصنوع ضد الكنيسة الجامعة من الملك داكيوس قيصر . كان هذا القديس الشاهد الكسندروس الذي بعد ان ذاق خبرة التعاذيب المختلفة الانواع من اجل حبه ليسوع المسيح . ثابتاً على الاعتراف به تعالى . محتملاً اياها بشجاعةٍ غير مغلوبة وبصبرٍ عجيب . قد طرح من هذا الوالي في سجنٍ ضنكٍ مدةً مستطيلة . وبعد ذلك قد مثُل امام المغتصب المذكور . الذي صيره ان يُعذب بالجلد القاسي وبتمزيق جلد جسده ولحمانه بالاظفار الحديدية مع عذاباتٍ اخر . ولما وجده ثابتاً على حفظ الايمان المسيحي . قد حكم عليه بان يزج في حوض

الكلس الحي * وبعد ان طرحه الجلادون فيه بدقايق قليلة قد احترق وفني جسمه . وهكذا نال اكليل المجد العادل المعد منه عزَّ وجلَّ للذين يجاهدون تحت رايته بحسب السنَّة والكنيسة اللاتينية تكرم تذكاره في ١٢ كانون الاول *

* اليوم الخامس عشر *

* وفيه تذكار القديس الشاهد اغابيوس . والستة القديسين الشهدا رفقايه *

اولاً انه يوجد في السنكسارات القديمة اليونانية واللاتينية كما يظهر ايضاً من التاريخ الكنايسي عينه اسم اغابيوس مشتركاً لاثنين من الشهدا القديسين . اللذين قد استشهدا في مدينة قيسارية فلسطين * فالاول منهما هو القديس اغابيوس الشاهد الذي يصنع تذكاره بموجب السنكسارات المومى اليها جملةً مع القديس الشهيد تيموناوس ومع القديسة الشهيدة ثقلا . التي هي متميزة عن القديسة ثقلا اول الشهيدات المعادلة الرسل . التي كتبنا سيرة حياتها تحت يوم تذكارها اي في ٢٤ ايلول * ومن حيث انه من حين قضي بالموت على الشهيد اغابيوس المذكور من اجل الايمان بالمسيح الى حين تكميل هذه الحكومة بالفعل مضى زمنٌ ليس بوجيز . فاتفق انه في بحر هذه المدة عينها ان ينال اكليل الاستشهاد القديس الشاهد اغابيوس الثاني برفقة شهدا اخرين . ولذلك راينا ملايماً ان نتكلم عن هولا الشهدا كافةً بالنوع الاتي ذكره *

ثانياً ففي سنة ٣٠٤ للمسيح التي هي السنة الثانية من بداية الاضطهاد الذي صنعه الملك ديوكلاتسيانوس قيصر ضد المسيحيين . كان والياً على بلاد فلسطين اوربانوس الكلي القساوة والعديم الانسانية والمستحق تسمية جلاد احرى من تسمية قاضٍ متولٍّ * فهذا حينما وُجد في مدينة غزه . اراد ان يشفي غليل قساوته في شخص الشهيد تيموناوس . معذباً اياه بانواعٍ شتى من الامتحانات والنكال المملوة من القساوة البربرية * التي عقيبها حكم عليه بالموت مشوياً على نارٍ هادية . الامر الذي احتمله هذا الشهيد بشجاعةٍ وصبرٍ هذا حدهما . حتي ان الجميع امتلاوا انذهالاً وتعجبا من شدة حبه ليسوع المسيح ومن عظم فضايله ويبان من قبل تكريم تذكار هذا الشهيد المجيد في الكنيسة الجامعة بموجب السنكسارات القديمة اليونانية واللاتينية تحت اليوم التاسع عشر من شهر اب انه نال اكليل المجد في اليوم المذكور نفسه سنة ٣٠٤ عينها . وهكذا ان مومني مدينة غزه احتفلوا دايما بنوع خصوصي

في تذكار هذا الشاهد . وكانت لهم نحوه عبادةً خاصة باحترام كلي * ثم ان اوربانوس قد اذاق القديس الشاهد اغابيوس والقديسة الشهيدة تقلا نظير ذلك اشد العذابات وامرها في مدينة غزه نفسها * واخيرًا قضي عليهما بان يطرحا للوحوش الضارية لتفترسهما . ولكن قد تاخر وضع هذه الحكومة بالعمل الى حينما يتفق عيدٌ عام للشعب فيه يكون موتهما مشهدًا للتنزه ✻

ثالثًا فالوالي اوربانوس سافر من غزه وحضر الى مدينة قيسارية فلسطين . مصحبًا معه اغابيوس وتقلا بالسلاسل والقيود * فبعد وصولهم الى هناك كان قرب الزمان المزمع فيه ان يحتفل ببعض اعيادٍ مشاعة للشعب في تلك المدينة . ومن ثم كان يقال بانه ما عدا مراسح اللعب التي تصير فيها مصارعة الوحوش مع رجالٍ خصوصيين حسب العادة . كان مزمعًا ايضًا ان يطرح للوحوش للافتراس اوليك المسيحيون الذين في الايام المتاخرة كان حكم عليهم بالموت * فهذا الكلام الذي كان يومًا فيومًا يزداد الشعب اهجا به قد حرك البعض من الشبان المسيحيين لان يشتاقوا بحرارةٍ لتقدمة ذواتهم باختيارهم من اجل ايمان المسيح ذبيحةً * وهكذا بحركة خصوصية باطنة من الهام الروح القدس كتفوا ذواتهم . مظهرين استعدادهم للطرح للوحوش . وذهبوا مسرعين لمواجهة الوالي اوربانوس حينما كان ذاهبًا الى احتفال العيد المشاع * وكانوا ستة شبان بالعدد . وهذه هي اسماؤهم الاول تيمولاوس من بلاد البنطس . الثاني ديونيسيوس من مدينة طرابلس من اقليم فينيكيا . الثالث رومولوس الشماس الرسايلي لكنيسة مدينة ديوسبولي . الرابع باوسي من مدينة مصر . ومثله الخامس الكسندروس . والسادس هو ايضًا الكسندروس من مدينة غزه * فحينما مثلوا امام الوالي اعترفوا بالمسيح . موضحين بفعلهم هذا كم وجد رجاؤهم في العون الالهي راسخًا . اذ انهم لم يرهبوا من انياب الاسد ولا من شراسة الحيوانات الاخر المفترسة . بل ولا من العذابات جميعها ☉ فعند ما شاهد الوالي مع الحضّار جميعًا هذا النوع الجديد من الشجاعة . التحفوا بالتحير * ثم ان الوالي امر بان يوخذ هولا المعترفون الستة الى الحبس . وبعد ذلك بايامٍ وجيزة اضيف اليهم اثنان اخران من جنود المسيح المجاهدين احدهما يدعى اغابيوس متميز عن القديس اغابيوس الذي كان بعد مسجونًا برفقة القديسة تقلا . وهو الشايع الذكر جدًا لسبب انه مراتٍ كثيرة قبلاً اعترف بالمسيح امام الولاة واحتمل تعاذيب

فايقة الوصف . وثانيهما يسمي ديونيسيوس * وسبب سجن هذين المعترفين الاخرين كان مجرد اسعافهما الشهدا في الحبس بتقدمتهما لهم القوت الضروري فهولا الثمانية الشهدا كافة قد حكم عليهم بقطع روسهم . وهكذا تم الامر مقدمين ذواتهم لله ضحية حية في مدينة قيسارية عينها في شهر ادار . والكنيسة الرومانية تكرم تذكارهم السنوي في ٢٤ من الشهر المذكور *

رابعًا واما القديس اغابيوس الذي كما تقدم الشرح انه سُجن برفق القديسة ثقلا بعد ان حكم عليهما بان يطرحا للوحوش . فهذا الشهيد في بحر مدةٍ مستطيلة . قد أُخرج ثلث مرات من الحبس وأُقيد باحتفالٍ صحبة المجرمين الى المشهد المشاع * ولكن دايمًا كان بعد تهديدات جديدة يصنعها نحوه المغتصب يُرجّع الى السجن حيا . وذلك اما شفقةً من الوالي عليه او لامله بان ينتصر على ثبات عزمه ويجذبه لنكران الايمان بالمسيح * ولكن بذلك جميعه كان قصد الباري تعالى ان يضاعف استحقاقات جنديه هذا الشجاع بمقدار طولة الزمن وكثرة العذابات التي احتملها من اجل اسمه * ثم انه في غضون تلك الايام حضر الى مدينة قيسارية نفسها في شهر تشرين الثاني سنة ٣٠٦ الملك مكسيمينوس قيصر . وكانت العادة القديمة عند ولاة الاقاليم ومدبري البلاد انهم يصنعون استعدادات لاعيادٍ محتفلة غير اعتيادية في حدوث حضور للملوك الى المدن التي تحت توليهم . ومن ثم كانوا ياتون بالوحوش الضارية من بلاد الهند والحبش وغيرها صحبة اناسٍ منتخبين ممن يصارعون تلك الوحوش بنوع يبهج خاطر الملك وجلسايه * فعلى هذه الصورة صارت التحاضير المومى اليها في مدينة قيسارية . لاسيما لانه في الوقت عينه كان يحتفل بعيد مولد الملك المذكور * فالوالي قد اقنع ذاته بانه لم يمكنه ان يرضي خاطر مكسيمينوس القاسي القلب ضد المسيحيين بنوع افضل من انه يبهج ناظريه بمشاهدة مسيحي تفترسه الوحوش امامه . ولذلك امر باخذ اغابيوس المعترف بالمسيح من السجن الى المشهد العام *

خامسًا فهذه كانت المرة الرابعة التي بها أُحضر هذا الشهيد احتفاليا امام الشعوب وقد أُخذ صحبته رجل محكوم عليه بالموت لسبب انه قتل سيده ◎ فقد صودف في هذا الوقت حدوث نموذج يشابه ما قد تم بسيدنا يسوع المسيح . حينما فُضّل عليهِ امام بيلاطوس باربان القاتول * على ان مكسيمينوس عند مشاهدته اياهما . قد وهب نعمة العتق من الموت للرجل القاتل سيده . واثبت الحكومة الظالمة بالموت على الشهيد اغابيوس . وهكذا

الشعوب هتفت بصراخات المديح للملك على كونهِ اظهر حلمهِ ورافتهِ نحو ذلك القاتول بايهابهِ اياه البقا في الحيوة * ثم ان الملك دعا اليهِ اغابيوس . واخذ يقنعهُ برفض ديانة المسيح . موعدًا اياه بالعتق والحرية ان فعل ذلك * اما القديس فاجابه بمسامع الجميع بانه اذ لم يكن حكم عليهِ بالموت لذنبٍ ما من الذنوب اصلاً بل لمجرد كونه عابدًا لله فهو مستعد لان يحتمل لاجل هذه الغاية اعظم العذابات واقساها . ليس من دون خوف فقط بل ببهجة وسرور ايضًا * قال هذا وحقق كلامه فعلاً باسراعه نحو الدبة الشرسة التي كانوا اطلقوها ضده وسلم ذاته بين مخاليبها لكي تفترسه * فهذه الوحشة الضارية مزقت لحمان الشهيد في مواضع كثيرة من جسده . ولكن من دون ان تعدمه الحيوة * ولذلك اذ بقي في اخر انفاسه قد رفعه الجلادون من الارض . واخذوه الى السجن . حيث في اليوم الثاني الذي هو العشرون من شهر تشرين الثاني سنة ٣٠٦ قد فارقت نفسه البارة جسده الكريم . وهكذا نال اكليل المجد من اليمين العلية مكافاةً عن استشهادٍ مستطيل مملو من الالام . والكنيسة الرومانية تكرم تذكاره في اليوم المرقوم نفسه * ثم ان خدام الشريعة ربطوا حجارةً غليظة في رجليّ جسم الشهيد وزجوه في عمق البحر * واما القديسة ثقلا فاوسابيوس المورخ الذي كتب اخص سيرة هولا الشهدا لم يذكر شيئًا عن كيفية استشهادها ولا عن وقته . ولكن امرٌ فاقد كل ريب هو ان الحكومة التي كانت أُبرزت ضدها جملةً مع القديس اغابيوس قد بلغت مفعولها * لان السنكسارات القديمة (لاسيما الروماني في ١٩ اب) قد كرمتها دايمًا كشهيدة صحبة القديس المذكور مع القديس تيموتاوس الشهيد *

فبالحقيقة انه توجد مرارة علقمية عند كل انسان يشعر بها . حينما يشاهد اناما عديمي الاستحقاق قد فضلوا عليه . والامرّ من ذلك هو حينما يكون هولاء المفضّلون مملوين من الرذايل * ولكن سيدنا يسوع المسيح لكي يعطينا مثال الصبر على احتمال حادث هذه صفته اذا عرض لنا . قد اراد ان يحدث له هو نفسه هذا العارض ويفضّل عليه باربان اللص القاتول * وقد جدد هذا النموذج بما جرى بالقديس اغابيوس الشهيد بانه فضل عليه قاتل سيده من دون ان يشكو من هذا الظلم * فالنموذج المصنوع من مخلصنا والمتبع من انسانٍ مثلنا الذي هو الشهيد اغابيوس يصيرنا ان نقتدي به بصبرٍ حينما يتفق ان يفضّل علينا من هو عديم الاستحقاق * ولكن يجب ان نفتكر بان هذه هي عادة روح العالم

اي ان الذين يستسيرون بموجب هوى العادمي الاستقامة والموافقين معهم على الضلال. فهولا يوجدون لديهم اهلاً لان يفضّلوا على من يسلك بحسب روح الله * ولذلك يعلمنا مخلصنا قايلاً: «ان العالم يحب من هو منه». كما انه يقول عمّن لا يوافق ضلالات البشر: «من اجل انكم انتم لستم من العالم من اجل هذا يبغضكم العالم» (يوحنا ص ١٥ ع ١٩) * فمغبوطون هم الذين بهذا النوع يبغضهم العالم. من حيث انهم بذلك يضحون خلان الله. ويكونون شركا مجده الى الابد في السموات *

* اليوم السادس عشر *

* وفيه تذكار القديس الشاهد صافينوس *

اولاً انه يوجد معيناً في السنكسار اليوناني المختص بهذا اليوم تذكار القديس الشهيد باباصحبة الشاهد القديس صافينوس. ومن ثم راينا ملايما ان نورد نوع استشهاد هذا القديس ايضاً اي بابا هكذا. وهو انه قد قبض عليه من اجل الايمان بالمسيح في بلدةٍ من اقليم ليكاونيا. وعذب اولاً بضرب العصى القاسى جداً جداً. ثانياً قد مزّق جلد جسده باظفار من حديد بقساوة كلية. ثالثاً قد سُمر في رجليه حذاءٌ غليظ بمسامير حديد غُرست في قدميه. وأُلزم اغتصاباً بان يمشي بها بالآم شديدة. رابعاً واخيراً قد رُبط في شجرةٍ كانت عديمة الثمر. وبقي مشدوداً بها الى ان اسلم روحه بيدي الله. فايزاً باكليل المجد الغير الفاسد * اما تلك الشجرة فمنذ رُبط عليها هذا الشهيد اضحت مخصبةً بالثمر ولكن مجهول الزمن الذي فيه اكمل جهاده هذا المقدس *

ثانياً واما نظراً الي القديس الشاهد صافينوس فيوجد عندنا ثلاثةٌ بهذا الاسم قد سفكوا دماهم من اجل الايمان بالمسيح في امكنةٍ وازمنةٍ مختلفة. فالاول منهم هو القديس الشهيد صافينوس المصنوع تذكاره من الكنيسة اللاتينية في ٢٥ كانون الثاني وهو المستشهد صحبة القديسين الشهيدين دوناطوس واغابي. والثاني هو القديس الشاهد صافينوس الذي سفك دمه من اجل الايمان بالمسيح في مدينة دمشق برفقة القديسين الشهدا يوليانوس ومكسيموس ومكروبيوس وكاسيا وباولا. مع عشرة اخرين وهولا جميعهم يكمل تذكارهم من الكنيسة الرومانية في اليوم العشرين من شهر تموز *

ثالثاً واما الثالث بهذا الاسم وهو الذي يبان ان الكنيسة اليونانية تكمل تذكاره في

اليوم الحاضر صحبة القديس الشاهد بابا . (ولما كان السنكسار الروماني يعين ذكر استشهاده في اليوم الثالث عشر من شهر ادار) فهو القديس الشهيد صافينوس الذي قُبض عليه من اجل الايمان بالمسيح في مدينة ارموبولي من الاقليم المصري . وعذب عذابات شديدة بربرية كلية الالام والاوجاع بانواع شتى وبمدة مستطيلة من الايام * واخيرًا اذ لبث في الحيوة ثابتًا في الامانة بجلادة وشجاعة غير مغلوبة قد طُرح في النهر المار في تلك الناحية وهكذا نال تاج الغلبة وراية الانتصار من واضع الجهاد السماوى ❋

فليس من دون غايةٍ مقصودة من الباري تعالى صير تلك الشجرة العديمة الثمر التى رُبط عليها القديس الشاهد بابا بان تعود مثمرةً بل مخصبةً جدًا بعد ان أُستخدمت بمنزلة مذبحٍ قدم عليها حياته هذا الشهيد ذبيحةً لله بسفك دمه من اجل الايمان بالمسيح . مشيرًا عزَّ وجلَّ بهذه الاعجوبة الى ان دماء الشهدا القديسين المهرق اثباتًا لحقيقة الديانة المسيحية اضحت بمنزلة البذار الجيّد المملو من البركات الذى زُرع في حقول قلوب الامم الضالة وعباد الاوثان المحلة العديمة الاثمار الجيدة . بل المملوة من اشواك الالام الدنسة . فاصلحها واحالها الي اراضى مقدسة تعطي اثمارًا صالحة عوض الواحد ثلثين وستين ومايةً * فهل ان زرع هذا الايمان المقدس الذي اثمر الخلاص في اراضي قلوب الكفرة نقص مفعوله عن صنيع ذلك في قلوب المومنين . كلا * فمن اين اذًا نشاهد بحزنٍ في كثيرين من المسيحيين ليس فقط عدم الاثمار الفاضلة بل باكثر من ذلك اشواك المعصية وقرطب المآثم * فامرٌ واضحٌ ان ذلك صادر من ضعف ايمانهم ومن عدم اشواقهم الحارة نحو الوطن السماوي الذى خلقوا من اجله . ومن فتورهم في المحبة لله فوق كل شى ومحبة قريبهم مثل انفسهم فلنحرص اذًا على انفسنا من هذا الضلال المبين . متذكرين المثل الانجيلي المورد عن رب الكرم الذى امر الكرّام بان يقطع تلك التينة التى في مدة ثلث سنوات لم يجد فيها ثمرةً ❋

❋ اليوم السابع عشر ❋

❋ وفيه تذكار القديس الكسيوس رجل الله ❋

اولًا ان القديس الكسيوس رجل الله قد ولد في مدينة رومية العظمى في اواخر الجيل الرابع من ابيه اوفاميانوس مقدام المشيخة الرومانية ومن امه اغلايدة الشبيهة برجلها المذكور برتبة الشرف السامية وبسعة الغنى * ولكن لا هذه ولا تلك قد صيراها كلبي القبول امام

الله وشايعي الذكر في العالم . بل ان ما اهلّها لذلك هو فضايلها المسيحية الجليلة لاسيما فضيلة الرحمة نحو الفقرا والمساكين والغربا والبايسين الذين مرات كثيرة كانوا يغتذون معها على مايدتها عينها في منزلها نفسه . ولذلك كما ان هذين القرينين الجليلين كانا شبيهين بابراهيم وسارة في فضيلة الرحمة وضيافة الغربا . هكذا وُجدا نظيرهما في السنين الاولى من زيجتهما خاليين من ولدٍ . الامر الذي جعلها حارين في التوسلات لله وفي تقدمة القرابين والنذورات لينالا منه جلت مراحمه هذه النعمة . التي لم يتاخر سبحانه وتعالى عن ان يمنحهما اياها اذ ان اغلايدة العاقر قد حبلت وولدت ابنًا بفرح لايوصف لها ولرجلها اوفاميانوس . الذي دعا هذا المولود الكسيوس * فتعزيتها العظيمة بهذا الابن تزايدت يومًا فيومًا . بمقدار ما كانا يشاهدان فيه منذ نعومة اظفاره اساس الفضيلة والعبادة الحسنة لله والخصال الحميدة والطاعة الكاملة لها . الامر الذي ضاعف فيهما عواطف الشكر والمعروف نحو الله المحسن اليهما بذلك جميعه * ومن حيث انهما اقاما له اوليك المعلمين والمربين الذين اختاراهم من بين كثيرين . فهولاء اكملوا نحوه واجباتهم باماناةٍ واجتهادٍ مسيحي . حيث اكتسب منهم الكسيوس مع العلوم البشرية حسن الصفات وجودة المزايا والتاصل في الفضايل . بنوع انه لاشرف المولد ولا كثرة الخدام ولا سعة المجد والثروة ولا ضوضا العالم امكنها ان تفسد رونق جمال فضايله التي بها اضحى نموذجًا حيًا للشبان في الطهارة والقداسة وموضوع الحب الشديد والمدح من الجميع * وبمقدار ما كان ينشو في العمر والفضيلة والعلوم . فباكثر من ذلك كان يجذب القلوب نحوه بالحب الشديد *

ثانيًا غير انه اذ كان هذا الشاب قلق الافكار من مشاهدته العيشة الرخية متملكة غالبًا فيما بين عظما العالم بالتنعمات والاجتماعات المترددة وفساد الشبان الاشراف ليس باقل من بعض النسا المتقدمات في المدينة . اللواتي معهنَّ كانوا يحضرون في منزل ابيهِ بسبب تقدمه في الوظايف العلياء فمن ثم كان يفكر بان يجد طريقةً ما يمكنه بها ان يرفض العالم ويتمسك بسيرة الكمال الانجيلي * الا انه في الوقت نفسه كان يلاحظ صعوبة حصوله على تتميم اشواقه هذه . لحال كونه وحيد والديه في الظروف الموجود هو فيها معهما * فحركاته الباطنة واحتقاره روح العالم صيرا والديه ان يلحظا عنه ذلك بكفاية . لاسيما تجنبه عن الحضور في الولايم وابتعاده عن مخاطبة النسا وعن محادثة تلك الشابات الغير

الرصينات . بل كان يهرب من هذا الجنس كهربه من الحيات * فوالداه اللذان كان قصدهما ان تتحداه بسر الزواج من دون ابطاء . فلكي يجذباه نوعًا الى الميل نحو ذلك قد رسما على المقامين لخدمته وملاحظته ان يدرجوه في اصناف اللعب الجايز والمتنزهات ولكن اجتهاد الموسى اليهم ذهب سدًى من حيث ان البارليس فقط لم يطاوعهم في ذلك . بل كان يوبخهم عليه * فوالدته ولين كانت من النسا التقيات . فمع هذا انجذبت من الضعف النسايي واشهرت ارادتها الي بعض النسا الشريفات والى البنات المختصات بها في انهنَّ يترددنَ الي محل سكنى الكسيوس . ويستعملنَ معه كل تلك الحركات البعيدة والقريبة معًا * (الخالية من خطر السقوط بالخطية) الى ان يجتذبنه الى حب جنسهنَّ * فالموسى اليهنَّ ذهبنَ اليه وتصرفنَ معهُ بكل تلك الفنون من الخداعات الممكن لكل احد ان يتصورها في عقله . التي تُستعمل من البعض من هذا الجنس لاسيما الرومانيات في ان يكتسبنَ لحبهنَّ احد الرجال خاصةً الشبان * ولكن بهذا المقدار اضحى درسهنَّ الخباثة واجتهادهنَّ باطلاً . حتى انهنَّ بعد امتحاناتٍ هذه صفتها اوضحنَ لاغلايدة امه بانها تقطع املها بالكلية منه نظرًا الى هذا الموضوع . اذ انه اي الكسيوس كان نظير الصخرة العديمة التزعزع . بل صير ذاته كانه عديم الجسم الانساني وفاقد الحواس *

ثالثًا فاوفاميانوس بعد مدةٍ ليست بوجيزة من الزمان اذ لم يعد يحتمل ان يترك الكسيوس وحيده ووريثه وعمود عيلته من دون زواج منه يحصل على حفظ ذريته الشريفة من الابادة . فقد اختار له عروسةً لايقة به من شرف المولد والغنى وحسن التربية وجودة الصفات الطبيعية والادبية وجمال الخلقة . رومانية الاصل . او حسبما يرتاي اخرون انها كانت من القسطنطينية . كما يبرهن كثيرون انها كانت متسلسلة من دمٍ ملوكي * وقد تم الاتفاق فيما بين اوفاميانوس ووالدي تلك الابنة على الزواج بفرحٍ عام عند العايلتين الشريفتين بل لدى سايراشراف رومية . ولكن الكسيوس وحده وجد مغموما ولين كان لعظم طاعته لوالده لم يقاوم ارادته في هذا الامر * فبعد ان تباشرت استعدادات العرس باحتفالاتٍ سامية وافراح عامة وولايم حافلة . اشترك بها ليس الاشراف والاغنيا واصحاب المراتب العلياء فقط . بل الفقرا والمساكين والبايسين والغربا ايضًا * الذين اذ كانوا اعتياديًا يجدون في دار اوفاميانوس ملجاهم الامين واجابة غوثهم

السريع . فكم يكونون اذاً في هذا الحادث امتلاءاً من الاسعافات السخية *

رابعاً فلما بلغت الليلة التي فيها كان ينبغي ان يستعمل مضجع الزواج الغير الدنس . وأُحضر الكسيوس الى الحجرة المنعقدة فيها مرتبة الرقاد بتلك الزينات الجليلة التي كانت تفوقها جمالاً تلك العروسة المهياة لختنها الشريف . وهكذا أُغلقت عليهِ وعليها وحدهما ابواب الخدر التعريسي . فالكسيوس ليس فقط لم تنفعل حواسه من مشاهدة تلك الموضوعات الموثرة في الغاية والجلالية في ذاتها . التي من دون شك تفعل مفعولها في كل انسان مثله من الشبان الاكثر رصانةً . بل انه رفع الحاظه وعقله معاً الى السما وغاص بالتامل في التاوريا * وحصل في معركة باطنة يحارب فيها صفّان من جنود الافكار التي يضاد احدها الاخر * اذ وُجد من الصف الواحد تاملات زنبق البتولية . وذكاوة شذا عرفها المليكي وشوق التعبد الطاهر ليسوع واتباعه بحمل صليب الاماتة وقهر الذات . والتفكر في زوال المجد والشرف والغني والتنعمات السفلية السريع وفي الاجور السماوية المعدة للاطهار ثم من الصف الثاني كانت تقاتل هذا الشاب امارات الحب الانسي وصعوبات هجر الوطن ومرارة العلقم الفاقدة التعزية من الغموم الشديدة التي كانت مزمعة ان تحصل لوالديه ولعروسته ولاشخاص العايلتين من بعدهِ عنهم . غير ان جنود افكار الصف الاول قد انتصرت بنعمة الله على جنود الصف الثاني . وهكذا اعتمد الكسيوس على هجر هذه الاشيا كلها فتقدم الى عروسته مرجعاً الى يدها خاتم التعريس وحزامه قايلاً لها : « خذي ما ادفعه لكِ واحفظيه الى حين ما يشا الله . وليكن تعالى فيما بيني وبينكِ » * قال هذا وغاب من امامها خارجاً من بابٍ سري ليلاً . واخذ الطريق المودية الى البحر صحبة خادمٍ واحدٍ فقط من الذين اختبر امانتهم جيداً نحوه *

خامساً ففي اي بحرٍ من الغموم وجدت غارقة تلك العروسة في حجلتها وحدها . فهذا يمكن ان نتصوره وتعقله الشابات اللاي امتحنّ في ذواتهنّ فرح ليلة تعريسهنّ * واما الكسيوس فكان مسرعاً في سبيلهِ الى ان دنا من مينا البحر . وهناك وجد بحسب التسهيل مركباً في تلك الساعة مسافراً * فصعد اليهِ مفارقاً الخادم الذي كان في الطريق فهم منه قصده . من غير ان يمكنه بنوع من الانواع التي اوردها له بدموعٍ ان يزيل عنه اعتماده بل اضطر الى الرجوع باسراعٍ نحو سيده اوفاميانوس مخبراً اياه بما حدث من دون ان يقدر

ان يعلم خاصة من كان ذلك المركب والى اين كان مسيره * فكل احد يستطيع ان يتامل بفكره شدة الحزن والكابة والغموم التي استحوذت على اوفاميانوس واغلايدة وتضاعفت على العروسة واشتملت على الاقربا والمعارف جميعًا * فاوفاميانوس جمع اليه اخص عبيده وخدامه الامنا الذين كانوا نحو ثلثماية نفرًا وصير ان تُعطى لهم الاموال الضرورية لاسفارهم مرسلاً اياهم كلاً من ناحية الى المين والبلاد الشرقية كي يفتشوا على ولده الوحيد الذي خسارته كانت عديمة العوض * وبعد سفرهم لبث في حال لكانت كافية لاعدامه الحيوة قهرًا وغمًا . لولا تحفظه العناية الالهية كانه باعجوبة وليس باقل من ذلك لقرينته اغلايدة وللعروسة *

سادسًا اما الكسيوس فاذ بلغ بعد سفرٍ مستطيل الي مدينة اللاذقية . لم يستقم فيها سوى زمنٍ وجيز . بل مضى الى مدينة الرها (المدعوة الان اورفا) في اقليم سوريا التي كانت وقتيذٍ شهيرة الاسم وكانت في كنيستها العظمى ايقونة لوالدة الاله معبودة بوقارٍ كلى من شعب هذه المدينة * ولهذا اختار الكسيوس ان يجعل اقامته فيما بين الفقرا الذين كانوا يجلسون في مرتكس تلك الكنيسة يتسوّلون ليشفي غليل اشواقه بالعبادة نحو هذه السيدة بسيرةٍ متضعة . منسيًا من كل احد . مقتاتًا باماتة كلية من بعض ما كان يعطاه صدقةً من المجتازين الى الكنيسة . وموزعًا الباقي على المحتاجين الاخرين . مثابرًا على الصلوات الحارة . ناميًا يومًا فيومًا في التقدم نحو قمة الكمال الانجيلي فالبعض من خدام اوفاميانوس بعد ان جالوا في مين اقاليم فينيكيا وكيليكيا مع بلاد المشرق البحرية . غير مهملين من جهدهم جدًا بالفحص عن ابن سيدهم . قد اتفق لهم غب مدةٍ من الزمان ان يتلاقوا في مدينة الرها * حيث ذهبوا مع الشعب الى الكنيسة المار ذكرها . ووضعوا في يد الكسيوس صدقةً كباقي المتسولين من دون ان يعرفوه مطلقًا * اما هو فعرفهم . وبعد ان اقتبل صدقتهم رفع عينيه الى السما قايلاً : « انني اشكرك ايها الرب الاله لانك شيت ان تنعم عليَّ في هذا اليوم بان انال صدقةً سخيةً من ايدي عبيد ابي » * اما الخدام فبعد ان فتشوا في الرها باستقصا بليغ ولم يمكنهم ان يحصلوا على ثمرة . حتي ولا من عناية استف المدينة الكلية التي باشرها تتميما لانجايهم اليهِ وشرحهم لديهِ امر رسالتهم . فالتزموا بالرجوع الى رومية فارغين من مقصودهم الامر الذى ضاعف الغموم والاحزان بنوع اخص لدى اوفاميانوس

الذي لحسن تسليمه ارادته لمشية الله ولسمو فضايله لاسيما صنيع الرحمة . قد استحق العون الالهي في احتمال مصيبة هكذا عظمى *

سابعًا فالكسيوس الذي بمقدار ما كان مهملاً منسيًا ذليلاً في اعين الناس في الرها . فبا كثر من ذلك كان لسيرته هذه الفاضلة الغريبة في التوارخ البيعية كريمًا لدي عيني الله . لم يشا تعالي ان تبقى فضايله مخفاة عن البشر مدة مستطيلة من الزمان بل اظهرها بالنوع الاتي ذكره * وهو ان حارس الكنيسة المذكورة انفا الذى كان حسن العبادة نحو والدة الاله مملوًا من الصلاح . فهذا ليلة ما اذ كان راقداً في مخدعه سمع صوتا يقول له : « انهض مسرعا وافتح الباب . وادخل الى الكنيسة بوقار وكرامة فتجد « رجل الله الواقف خارجا . لان صلواته قد بلغت الي السما وقبلت من الرب كالبخور « النقى الذكي العرف * اذ ان الروح القدس هو حالٌ فيه وهو منتخب ليذيع بافضل « نوع مجد العلى » * فالحارس نهض مسرعا من رقاده ممتليا من الرعدة والاندهال معا . وحضر الى النرتكس فوجد الفقرا الاعتياديين واخذ يتاملهم واحدًا فواحدًا . من غير ان يقدر ان يتحقق من هو كان فيما بينهم رجل الله الموحى اليه عنه * ولهذا بعد ان لبث مدة ذلك اليوم جميعه في حال الارتياب والفحص . طفق في الليلة المقبلة عوضا عن ان ينام ان يصلى بحرارة امام ايقونة والدة الاله . متوسلاً في ان ينال علامة واضحة بها يعرف رجل الله * ففيما كان يتضرع لله على هذه الصورة . قد اشتمله نوم عميق . وسمع الصوت عينه الذي كله في الليلة السابقة . موضحا له بعلامات اكيدة هيئة رجل الله وصفاته الخارجة ونوع ملبوسه * ومن ثم حالما استيقظ وحضر الى النرتكس . وتامل في الموجودين هناك عرف الكسيوس من دون ريب * فتقدم اليه مسايلاً اياه بهذه الالفاظ : « انى اتوسل اليك ايها الغريب بان تقول لى من انت . ومن اين اتيت « واي شى ساقك الى هنا » * اما البار فلبث صامتا باتضاع ولم يجبه بكلمة * الا انه اذ مكث الحارس بازايه مكررًا عليه السوالات المقدم ذكرها مراتٍ متعددة . قد اجابه حينيذٍ قايلاً : « مالي ولك ايها الرجل الصالح في فحصك هذا البليغ عنى . فانا ارجوك « بان لا تسالني عن نفسى . بل اسال هولا المساكين الموجودين هنا وهم يخبرونك « من انا . ويوضحون لديك انى لست اقل منهم فقيرًا متسولاً حقيرًا فاقدًا كل

شيء * غير ان الحارس اذ لم يكتفِ بهذا الجواب بل شرع يحقق له انه غير ممكن ان ينفك عنه الم يخبره الحقايق . وطفق على هذه الصورة يتوسل اليه ويحرضه ويتملقه ويكرر سوالاته . بنوع ان الكسيوس راي ذاته من اوجه كثيرة مضطرًا لان يكشف له السر بتمامه . بعد ان اشترط عليه بقسمٍ ان يحفظ ذلك مكتومًا على الدوام * فلما عرف الحارس سيرة رجل الله مفصلاً . قد اتخذه صديقًا حبيبًا له . مفوضا اليه الحرية الكاملة في الدخول الي الكنيسة والخروج منها حسب ارادته من دون مانع . مقدمًا له الاسعافات والخدم الضرورية . مرتبطا معه بوثاق حبٍ شديدٍ طول المدة التي اجتازها هذا البار في الرها *

ثامنًا فالباري تعالي اراد ان يضاعف استحقاق فضايل عبده الكسيوس بافتقاده اياه بمرضٍ عضال . الزمه ضد اغتصاباته ذاته بان ينطرح في ناحية من النرتكس من دون ان يقدر صديقه الحارس ان يثني عزمه على الارتضا بنقله اياه الي بيته عينه . موعدًا اياه بان يبيح له هناك الحرية الكاملة * بل اخيرًا بعد جهدٍ كلي اقتنع بان ينقل الي بيمارستان المرضى . حيث مكث مدة مستطيلة من الزمان . محتملاً بصبرٍ تام اوجاع امراضه . شاكرًا الله على الدوام لافتقاده اياه بهذه الواسطة التي كانت جعلت فيه الروح متراسا بافضل نوع على الجسم * وحالما شفي من مرضه هذا الشديد رجع الي مكانه الاول في النرتكس . مثابرًا على سيرته الصارمة عينها باماتات شاقة واعمال عجيبة الى تمام مدة سبع عشرة سنة منذ خروجه من رومية * فاي نعم ان افراد هذه الاعمال وظروفها هي مجهولة منا مفصلاً . ولكن معروفة بوجه العموم انها كانت سامية بهذا المقدار . حتي ان خبر قداسة حياته قد املا الافاق وصار معروفًا من سكان مدينة الرها كافةً * الذين بقدر ما امتلاوا من ذلك تعجبا واندهالاً فباكثر منه طفقوا يتقاطرون اليه لالتماس صلواته ولطلب مشوراته الروحية ولاكتساب الافادة المقصودة منهم . والجميع كانوا يقدمون له الاحترام والوقار الواجبين لملاكٍ ارضيٍ ولانسانٍ سماويٍ كما كان رجل الله هذا *

تاسعًا ففضيلة التواضع العميق التي جذبت القديس الكسيوس لان يهجر رومية ومجد اقامته في بيت ابيه ليكون محتقرًا منسيا من الجميع . هي عينها الزمته بمبارحة الرها

التي حصل فيها من سكانها على كرامة قديسٍ مشتهرة . كما ذكرنا * فلهذا قد سافر من هناك ورجع الي مدينة اللادقيه . التي بعد ان مكث فيها اياماً وجيزة ذهب مسافراً الي مدينة طرسوس بحراً . معتمداً على ان يستمر فيها غير معروفٍ بالاقامة في كنيسة القديس بولس الرسول الشايعة الذكر وقتيذٍ هناك * غير ان مقاصد هذا البار المذكورة لم تحصل على تمامها . وذلك من كون الرياح العواصف كانت ضد اجتهاد الملاحين وصناعتهم تجنذب مركبهم ناحية بلاد اوروبا . بنوع غير اعتيادي بل مقصود من رب العناصر وخالقها الى ان انتهى مسير ذلك المركب بعد جهادٍ ومخاطر عظيمة الى مينا مدينة رومية عينها . البعيدة عنها مسافة وجيزة * فلما بلغ القديس الى هناك . حصل في الاول على انزعاج وقلق لمشاهدته ذاته ضد ارادته رجع الى ارض وطنه . في الوقت الذي فيه كان مجتهداً بان يبعد عنها اكثر البعد * ولكنه اذ اخذ يفتكر حسناً في ان هذه هي ارادة الله التي دايماً كان مطابقاً سلوكه معها . فمن ثم نزع عنه كل جزعٍ وتسلح بالمعونة الالهية واخذ طريقه بالمسير الي مدينة روميه * حيث بلغ اليها بصفة احد الغربا الزوار المساكين . كما كانت هيئة ملبوسه الفقرية عينها تثبت ذلك *

عاشراً واذ اخذ يتامل في طريقة العيشة التي كان ينبغي له ان يمارسها هناك غير معروفٍ من احد . فلم يرَ انسب من ان يرفع ثقلته عن الناس ويعيش من بيت ابيه عينه . ولذلك مضي بحسن اتكالٍ على الله الى امام باب دارهم العظيم وجلس على الارض صحبة الفقرا الذين كانوا هناك ينتظرون خروج اوفميانوس ابيه الى خارجٍ ليجتذبوا منه صدقةً حسب مالوف عادتهم * فلما خرج اوفميانوس صباحاً موزعاً الاحسان على اوليك المساكين . تقدم الكسيوس من جملتهم باسطاً يده لابيه نظيرهم . فنال منه معهم الصدقة التي اقتات بها ذاك اليوم * ثم اخذ يفتكر من جهة اولى في كيف ان والدته وعروسته وكثيرات من النسا الخادمات في دار ابيه كنَّ بعد عايشات . وبالتالى ان تردده بالقرب منهنَّ يمكن ان يجعل ذاته في خطر ان يُعرف منهنَّ ولين كانت هيئته من السنين والغربة والاماتات والتقشفات قد تغيرت * غير انه من الجهة الثانية اذ احسن ثقته واتكاله على العناية الالهية قد نزع عنه اخيراً الخوف من ذلك ورجع الى حذاء بيت ابيه منتظراً اياه الى ان خرج * فاتبعه فيما بين الفقرا والعبيد وتقدم اليه بشجاعةٍ قايلاً له : « ايها السيد اذا انت هكذا شفوقٌ نحو

« البا يسين وراوءف القلب على المساكين . فاني اتوسل اليك ان تشركني انا ايضًا باثمار « حنوك ورافتك . لانك تراني بصفة فقير غريب . فهبني متحننًا عليَّ ان انال من جودك « الاذن في ان احصل على مكانٍ صغير من محلات مدخل دارك الواسعة فيه استطيع ان « انجي من انفعالات الطقوس السنوية . فليكافِك الله عني وليعزِك في حال الغموم « المستحوذة عليك من قبل فقدك ابنك الحبيب الكسيوس . فلا تغفل عن توسلي ولا « تعرض عن مسألتي . بل امنحني ان اجد في شخصك حنوا بنحو ابنه . لانك بالصواب « تُدعى من الجميع ابا المحتاجين » * فاوفاميانوس الذي كان طبيعيًا يميل الى محبة الغربا صغى حسنا الي كلمات البار وحدق به جيدًا . مشعرًا بتقلب جوانح احشايهِ باطنًا بنوع هذا حده صادر من قبل حركة طبيعية او لسبب استماعه تسمية ابنه الكسيوس . حتي طفرت الدموع السخينة من عينيه بغزارة * واخذ يسايل البار عن المكان القادم منه وعن حوادث حياته . ثم عن ان كان في اسفاره عرف شيًا ما عن ابنه الكسيوس * فرجل الله اجاب عن ذلك اجوبة خالية من الكذب . من دون ان يعرّفه الحقيقة . مختتما كلامه في انه ثقةً بالله الذي يمسح من اعين ابراره كل دمعةٍ هو مترجٍ بامل وطيد في انه تعالي كان عتيدًا ان يعزيه بمشاهدة ابنه الكسيوس قبل انتقاله من هذه الحيوة الى تلك الابدية المغبوطة ليتمتع باجر سخايه نحو الفقرا والمساكين * فاوفاميانوس امر عبيده وخدامه بان ياخذوا البار الى داره . ويضعوه في محل ملايم . معتنين به ومقدمين له القوت من مايدته عينها *

حادي عشر اما البار فعندما فهم الامر الذي أُعطي من والده على الصورة المرمى اليها لم يتاخر عن ان يتضرع اليه في ان يرتضي بان يقبله في داره بهذا النوع . وهو اولاً بان يرقد في المحل الاحقر والاضيق من جميع الامكنة التي في مدخل الدار تحت درج القصر ۞ ثانيا بان يغتذي من تلك المواكيل التى تتوزع يوميًا بامره على الفقرا كواحد منهم وليس من اغذية مايدته نفسها كما رسم * فلما تامل اوفاميانوس في عمق تواضع هذا المسكين . فلكيلا يصنع شيا ضد ارادته قد جاراه علي مطلوبه . وعين احد الخدام للاعتنا باحتياجه حسبما يشا * وهكذا دخل الكسيوس الي ذلك المحل الضيق تحت الدرج . وطفق يغتذي من اكل الفقرا الاعتيادى . شاكرًا الله مارسا باشد صرامة وباعظم حرارة انواع الاماتات وقهر

الذات . مثابراً على التاملات السامية في الاشيا الالهية وفي الشريعة الانجيلية وعلى الصلوات من دون ملل * ففي مدة اقامته هناك بعض سنوات على هذه الصورة قد اتفق مراتٍ كثيرةً احيانًا لوالدته واحيانًا لعروسته في مرورها من عليه ان تحدثاه باستطالةٍ وان تلتمسا منه ذكرهما في صلواته * وان يتوسل لله في ان يمن عليهما بان تجدا الكسيوس المفقود منهما . ولم يكن ينتهي حديثهما معه الا بهطل الدموع السخينة من اعينهما * واما البار فكان يحرضهما على حسن الصبر والثقة في الجود الالهي بانهما عتيدان بان تشاهداه *

ثاني عشر فلما مضى عليه حينٌ طويل في تلك العيشة القشفة الكلية الصرامة . قد حدث له مرض الزمه بعدم الاستطاعة على الخروج من مكان ماواه الحقير * اما عروسته فاذ لم تعد تراه في خروجها ودخولها من الدار سالت عنه الخدام * ولما عرفت امر مرضه فلاجل التعزية الباطنة التي كانت تشعر بها حين مفاوضتها معه قبلاً . لم يمكنها ان تمسك ذاتها عن ان تذهب اليه وحدها في وقتٍ ملايم . حيث دخلت تحت الدرج وجلست بجانبه . مفتقدةً اياه ومحرضته على الصبر كعادة من يزور المرضى وبمقدار ما طال حديثها معه كانت تسمع منه اقوالاً روحية الهية توضح لديها بابلغ نوع سمو فضايله وقداسته * ففي هذا الحديث جاءت هي بذكر الكسيوس كالوف خطابها * واذ اجابها البار انه من دون ريبٍ عن قريبٍ كانت مزمعة ان تراه . فهي تنفست الصعداء مذرفةً تيارات من الدموع وغب ان هدأ روعها سالته قايلةً : « كيف تعلم انت هذا ياعبد الله الصالح . اواه انني « اتوسل اليك بان تخبرني الحقيقة . وان كنت تعرف عنه شيا فلا تكتمه عني . اذ انني « استحلفك بالاتهملني ان اتكبد الحزن والمرارة اكثر مما تكبدت لحد الان مدةً عديدة من « السنين انا الاشد تعاسةً من كل النسا المزوجات . فان كان يمكنك ازالة غمومي « فاتوسل اليك بان تتراف عليَّ » * فالبار عند ذلك حصل في بحران من الافكار ولم يعد يعلم ماذا يجيبها بل تغيرت الوانه ولم يستطع ان يمسك ذاته عن تقلب جوانح الاحشا على حال حزن عروسته ومشاهدته اياها في تلك الحال . واستحلافها اياه بان يخبرها الحقيقة ولذلك اسرع بالالتجا باطنًا الى الله * الذي اغاثه حالاً بان الخدام اذ استبطاءوا سيدتهم ولم يعلموا اين كانت . فعند سماعهم صوت كلامها عند رجل الله . دخلوا اليها واخبروها بضرورة صعودها الى القصر لامرٍ مهم . فالتزمت بمباينة البار الذي بعد خروجها

من عنده قدم الشكر لله على هذه النعمة . مجددًا مقاصده بالاَّ عاد يطوّح ذاته في خطر التكلم معها في المستقبل *

ثالث عشر فالخدام ربما لضجرهم من طولة اقامة الكسيوس هناك او رداوةً منهم طفقوا يضطهدونه وينغصون عليه عيشته . الامر الذى كان الباريفرح به مجددًا الله الذي استخدمهم آلةً لازدياد اجره في صبره على قساوتهم * وبعد ان شفى من مرضه المومي اليه نوعًا . فلاجل صرامة تقشفاتهِ رجع عليه التشويش . وهكذا من زمنٍ الي زمنٍ فيما بين امراضٍ خفيفة متواصلة ادركه في نهاية السنة السابعة عشرة من وجوده في دار ابيه المرض الاخير * الذي قبل ان يعتريه بمدةٍ من الزمان . كان استحوذ عليه التهاب حبٍ شديد نحو والديه وعروسته بانعطافٍ واشفاقٍ بهذا المقدار غريب عن المدة الاولى . وقوي في غايته حتى انه كاد عمًّا قليل الايعود يقدر ان يضبط ذاته ولذلك هتف قايلاً هكذا : « اهًا لي يا الهي فهوذا انا قريب من ان اسلم نفسي في يديك . « فتري يمكن ان ابارح هذا العالم متعربسًا من قبيل كوني سلكت بقلة محبةٍ نحو اوليك « الذين من اوجه كثيرة انا ملتزم لهم بالمعروف . وكان يجب عليَّ ان اكون موضوع تعزيتهم « الوحيدة وانا بالضد قد سببت لهم شدة الغموم ومرايرالاحزان وعلقم التحسرات وفيضان « الدموع الغزيرة سنين عديدة * فلا يمكن لى بعد الان ان اداوم اكثر على ان اعاملهم بهذا « النوع من القساوة . بل عادلٌ هوان اعزيهم في الزمان والنوع الممكن لديَّ فيهما ان « اعوض عمَّا سببته لهم من الشدايد باشهاري ذاتي لهم * فاي نعم ان هذا السرور والتعزية « لم يكونا سوى مدة وجيزة . لكنهما كافيان لتحلية مرارة ما قاسوه من اجلي * فبعد ان اتصل الكسيوس الى هذا الحد من قبل انعطافات الطبيعة الضعيفة رجع الى ذاته مستغيثا بالعون الالهي . ومتوسلاً لديه تعالى في ان يهبه الايد السماوى . وجدد مقاصده على ان يموت كما عاش لحد ذلك الوقت * ومن ثم حينما راي ذاته بعد هذا مثقلاً بالمرض ولاحظ قرب زمن وفاته . قد التمس من الخادم الذي كان يتردد عليه ان ياتيه بقرطاسٍ وقلمٍ ومدادٍ كي يحرر بعض اشيا تخصه * واذ حصل على ذلك حرر في صحيفةٍ اخص سيرة حياته منذ هربه من بيت ابيه الى المشرق . واقامته في مدينة الرها . وسفره في رجوعه الى روميه . وسكناه في المحل الذي كان فيه الى حد ذلك الحين بنوع

وجيز وضيح صريح كافٍ * ولما تم هذا العمل واشتدت عليه مفاعيل المرض . قد اسلم روحه الطاهرة في يدى الرب بهدوٍ وسلام في نهار جمعة الالام العظيم المقدس *

رابع عشر فبموجب ما يوضحه مورخون كثيرون قد حدث اعتلان القديس الكسيوس للكنيسة وللعالم اجمع على هذه الصورة . وهي انه قبل نياحه ببرهةٍ قد سمع صوتٌ سماوي في كنيسة القديس بطرس بالفاظ واضحة قايلاً : « فنشوا على رجل الله لكي يصلي من اجل مدينة رومية * فالشعوب الغفيرة جدًا الذين كانوا مجتمعين هناك لاجل الاحتفالات المقدسة قد خرجوا من الكنيسة مملوين خوفاً وانذهالاً . وطفقوا يجولون في كل مكان ليس باقل من الشعوب الذين كانوا خارجاً . وسمعوا الصوت نفسه * ولكن اذ لم يمكنهم ان يهتدوا على الحقيقة . رجعوا الى الكنيسة عينها مقدمين التوسلات الحارة لله في ان يكشف لهم المكان الذي فيه رجل الله المنبه عنه * وحينيذ سمعوا صوتًا يقول انه هو في دار اوفاميانوس مقدام المشيخة الرومانية * فعند ذلك تقاطرت الشعوب ركضًا الى بيت اوفاميانوس * الذي اذ عرف ذلك . واجاب انه لايوجد فى عيلته او في داره من كانوا يطلبونه . وهم حققوا له ان مجيهم اليه كان باعلان الهي . فهو اخذ حينيذٍ ان يجول في الدار مفتشًا * وابتدا من مدخل البيت تحت الدرج حيث كان يعلم وجود الرجل الغريب المظنون منه انه حي بعد * فلما دخل الى هناك مع بعض خدامه بقدر ما امكن لذلك المحل الضيق ان يسع من الناس قد وجد المسكين متكيًا راقدًا على مفرشه الحقير * الا انه لما لم يشعر به متنفسا ودنا منه فاحصا . قد راه بالحقيقة مايتا بهيئة مسرة وبوجه باش . وشاهد في الوقت ذاته في يد الميت بعض اوراق . ولكن لا اوفاميانوس ولا غيره من الذين دخلوا معه قدروا بنوع من الانواع ان يستفكوا من يد الميت تلك الاوراق * واذ ذاك فصرخ جميع الشعب : « هذا « هو رجل الله الذي به انذرنا الصوت السماوي . هذا هو الذي يتوسل من اجل مدينة « رومية ويصلى من اجلنا لله في احتياجاتنا . فلنسرع بتخبير سيدنا الحبر الاعظم الذي « يمكنه بنعمة الرب ان ياخذ هذه الاوراق من يد رجل الله ومنها نعرف من هو هذا « القديس » * فالحبر الاعظم القديس اينوشانسيوس الاول الذى كان عرف هذا الحادث من قبل الصوت السماوى المرافق من دقى نواقيس كنايس رومية كلها بنوع فايق الطبيعة فهذا بعد ان استفحص من اوفاميانوس عن الحقايق المعروفة منه عن ضيفه هذا الغريب .

قد صنع الصلوات في طلب العون الالهي . وذهب باحتفال الى حيثما كان جسد البار مطروحاً . وبعد توسلات حارة لله مد يده واخذ تلك الاوراق الموجودة في يد الميت بكل سهولة . وسلمها بيد كاتم الاسرار اتسيوس * فخرج بها من المخدع امام الجميع . وشرع يتلوها مشتهراً * فباية الفاظ يمكننا ان نشرح الحال الذي حصل عليه اوفاميانوس واغلايدة زوجته مع العروسة والاقربا واهل الدار عند معرفتهم ان رجل الله هذا هو هو الكسيوس عينه المفقود منهم . وباية عبارات نستطيع ان نوضح المراثي والهتافات والجمل الحاوية امارات الحزن والفرح معاً . والندب والسرور جملةً . والتعجب والتهليل سويةً . التي بها اوضح هولا الاقربا مع الشعب جميعه بعض ما شعروا به في قلوبهم . فهذا جميعه نتركه للقاري الفهيم ان يتامله ليدرك قوته * اما الحبر الاعظم فعند نهاية قراة تلك الاوراق التي انقطعت تلاوتها جملة مرات من قبل هتافات المومي اليهم . قد صرخ قايلاً : « فليكن مباركاً ومحمداً « بنوع غير متناه الاله الذى ارتضي بان يكرم الكسيوس الطوباوي ابن مقدام مشيختنا « اوفاميانوس ويمجده بطريقة هكذا جليلة وغير اعتيادية . ويظهره قديساً *

خامس عشر فبالحقيقة ان نوع الاختصار الذى به حررنا سيرة حيوة هذا القديس لايعطينا ميداناً ان نشرح بكفاية تلك الاحتفالات الفريدة والشايعة الذكر في التواريخ . التي بها كمل دفن جسمه الطاهر بحضور الحبر الاعظم المذكور والملك اونوريوس عينه . الذي كان متولياً على المغرب جميعه . مع كل متقدمي الاكليروس والبلاط الملوكي * بل ان كل احد يمكنه ان يتصور في عقله كم كانت هذه الاحتفالات سامية جليلة ذات عبادة ووقار . ثم بمقدار ما حفظ الشعب الروماني نحو القديس الكسيوس في الاجيال كلها عبادةً وتكرمة ساميتين * فبمقدار ذلك قد شرف الله عبده هذا الامين بصنيعه بواسطة اعضا جسمه المقدسة عجايب وايات وجرايح كثيرة ومختلفة الانواع في ازمنة متباينة * التي اذا اردنا ان نسطرها كما هي موردة في مولفات كثيرة . فيلزمها ربما مجلد خصوصي * وقد اضحت الكنيسة المحفوظة فيها ذخايره الى الان المدعوة كنيسة القديسين الكسيوس وبونيفاسيوس شايعة الذكر وغنية في الزينات والهدايا الملوكية وبهجة للناظرين فيما بين كنايس مدينة رومية الكلية الاعتبار . وقد تعين الاحتفال بعيده السنوي من الكنيسة اللاتينية في اليوم السابع عشر من تموز *

فهكذا يمجد الله الذين يحبونه . ويعرف تعالى ان يختار لنفسه خلانًا واصدقا يسمون بواسطة مساعدة انعامه الالهية على استطاعة الطبيعة الانسانية الضعيفة ويستسيرون سيرة تظهر لدى العالم من كل جهاتها غريبةً عجيبةً فايقةً على القدرة البشرية بل كانها غير مصدقة في انسانٍ يسلك مدة اربع وثلثين سنة بعيشةٍ هذه صفتها . ليس فقط كالقديسين السواح الاولين المعظمين بولس وانطونيوس وايلاريون وبوخوميوس وافتيميوس وغيرهم . الذين هجروا العالم والمجد والغنى والكرامات والتنعمات بجملتها وعاشوا في الوحدة والانفراد والفقر والمسكنة والذل والهوان والتقشفات والامانات . كما فعل هذا القديس في مدة السبع عشرة سنة الاولى بتغربه في مدينة الرها . بل ايضا بعيشة سبع عشرة سنة اخرى تحت درج دار ابيه بازاء والديه وعروسته واقرباه الاشراف والاغنيا في حال مسكنةٍ قصوى وامانات شاقة مضعفة اي باطنة وخارجة . بنوع فريد وغريب بجملته . وبه ترك ذكره في الاحقاب كلها موضوعًا للانذهال والتعجب احرى من الاتباع والاقتدا به . الذي يظهر من كل جهاتهِ غير مستطاع بالكلية من دون نعمة من الرب خصوصية سامية . وايضًا ارادة واضحة من قبل الله الذي شاء ان يمجد قدرته في هذا البار * غير ان الشي الذي حرك في قلب هذا القديس احتقار المجد العالمي ورفض لذات الحواس وهجر الغنى والمراتب العلياء . الذي لم يكن سوى تامله دناءة هذه الموجودات وسرعة زوالها وكثرة اخطارها على النفس . في الوقت الذي فيه كان يتامل عظم اكليل العدل المعد من الله في السما للذين يجاهدون حسب السنة . وان ملكوت الله يغصب والغاصبون ذواتهم يخطفونه . فهذا نفسه لا يعفي احدًا من المسيحيين من التامل فيه * واذا لم يفعل نظير القديس الكسيوس افعالاً هكذا سامية . فاقله يلزمه لا يدع قلبه ان يتعلق بمحبة هذه الاشيا الزمنية ولا يعيش حسب الجسد . متاملاً تعليم الرسول الالهي القايل : * فنحن الان يا اخوتي غرما ، ليس للجسد حتى نعيش حسب الجسد . لانكم ان عشتم حسب الجسد فتموتون . وان انتم ، امتم بالروح عمل الجسد فتحيون ، (رومية ص ٨ ع ١٢) *

* اليوم الثامن عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار كيرللس ريس اساقفة اورشليم *

اولاً انه من حيث ان الله سبح بان اعمال القديس كيرللس ريس اساقفة اورشليم من

حين مولده الى وقت اقتباله درجة الكهنوت تعود مخفيةً عنا من دون ان يورد لنا التاريخ الكنايسي المدقق شيًا عن ذلك . نلتزم بان نبتدي بسيرة هذا القديس من حين ارتسامه بالوسم الكهنوتي فما بعده * فالقديس مكسيموس ريس اساقفة اورشليم هو الذي كرّسه كاهنًا بوضع يده عليهِ . ولاختباره فيه علومًا سامية وغيرة متقدة على خلاص الانفس مع فضايل متاصلة . قد فوضه بوظيفة توزيع كلام الله على الشعب * فالقديس كيرللس اكمل واجبات هذه الوظيفة بالوعظ في كل يوم احدٍ وعيد على اوليك الشعوب الكثيرة الذين باصغاء ولذةٍ كانوا يتقاطرون لاستماع خطباته مستفيدين الاثمار الخلاصية منه بافضل نوع حينما كانوا يشاهدون في سلوكه بالفداسة نموذجات ما كان يعلمهم اياه بوعظه حاويًا حقيقة الكمال الانجيلي * ثم ما عدا اعتناه بالمواعظ . فوّض ايضًا بارشاد الموعوظين الذين الف لاجل تعليمهم ثلثة وعشرين راسًا كلٌ منها قايم بذاته * فثمانية عشر راسًا منها تختص بالموعوظين قبل اعتمادهم . وخمسة روس بعد اقتبالهم هذا الحميم الخلاصي * والى يومنا هذا حُفظ التاليف المذكور المملو من التعاليم السامية جدًا ومن تفسير اعظم اسرار الديانة المسيحية وادقها بنوع فريد * وقد اتفق راي الجميع على ان هذا القديس الف ذلك حينما كان كاهنًا * ثم بهذا المقدار حصل القديس كيرللس معتبرًا ومحبوبًا ومكرمًا من الجميع لاجل فضايله وعلومه وغيرته ونجاح اعماله . حتى انه حالما رقد بالرب القديس مكسيموس قد أُنتخب هو خليفةً له واقيم راعيًا على الكنيسة الاورشليمية المقدسة المحسوبة نظرًا الى الاصل بمنزلة امٍ لباقي الكنايس . من حيث ان الديانة المسيحية اتخذت منها بدايتها * فهذا الانتخاب والرسامة ولين لم يكن عندنا علم حقيقي عن السنة التي كملا فيها فمع هذا امرٌ موكدٌ جدًا هو انه لم يتمًا قبل سنة ٣٤٩ التي فيها كان القديس مكسيموس لم يزل في قيد الحيوة *

ثانيًا فالبارى تعالى قد جعل بداية زمن رياسة القديس كيرللس على السدة الاورشليمية شهيرًا في العالم اجمع من قبل الاعجوبة المبهرة العقول التي حدثت في اليوم السابع من شهر ايار سنة ٣٥١ وهي انه في الساعة الثالثة قبل نصف النهار المذكور قد ظهرت في السما علامة الصليب المقدس عظيمةً جدًا ملتحفةً بانوار تفوق بما لايحد على ضيا الشمس . ممتدةً فوق مدينة اورشليم من الاقرانيون اي جبل الجلجلة الى حد جبل الزيتون . وبالتالى كان طولها

نحو مسافة ميلين وعرضها مناسبًا لطولها * ومن حيث ان هذه الرويا العجيبة استمرت مدة ساعاتٍ ليست بقليلة . فجميع الشعوب الموجودين وقتيذٍ في المدينة المذكورة من سكانها ومن الغربا الجزيل عددهم من طوايف وبلدان مختلفة امكنهم ان يشاهدوها كافةً بنوع حسي . وهكذا يشيعون التخبير عنها لكل اقطار العالم * كما ان القديس كيرللس نفسه احتسب امرًا واجبًا ان يشرح هذا الحادث الالهي برسالةٍ منه للملك قسطانسوس . وهذه الرسالة هي محفوظة الى الان * واما اي شي اراد الله ان يعني بهذا الظهور العجيب فلا يمكننا ان نعرف . من كون جميع الكتبة الكنايسيين المعاصرين هذا الحادث اكتفوا بان يسجلوا في تاليفاتهم . من غير ان يدخلوا بالفحص عن الاسرار المكتومة في العقل الالهي الامر الفايق ادراكه بنوع غير متناه على قصر معرفة العقل البشرى * بل ان الشي الموكد لدينا هو ان الشعوب في وقت ظهور هذه العلامة الخلاصية بالنوع السابق شرحه تقاطروا الى الكنيسة لكي يمجدوا الله على عظايمه وانه بعد ذلك بزمنٍ ليس بمستطيل قد احتمل القديس كيرللس مشقاتٍ واضطهاداتٍ كلية من قبل اعدا الايمان الكاثوليكي *

ثالثًا ثم انه حدث فيما بين القديس كيرللس وبين اكاكيوس اسقف قيسارية فلسطين بعض اختلافات عن حقوق كنايسية فكان القديس كيرللس يبرهن على ان اكاكيوس لم يكن ناجيًا من اللوم ومن وجوب الاضرار اذا كان يختلسها لذاته * وهذه الاختلافات اوجبت فيما بينهما حدة الارواح بالاكثر حينما حصلت مضادة الاراء عن حقايق الديانة المسيحية التي كلٌ منهما كان يحامي عنها ضد الاخر * على ان اكاكيوس كان متمسكًا بالارتقة الاريوسية الناكرة مساواة الابن للاب في الجوهر . والقديس كيرللس كان يحامي عن معتقد الكنيسة الجامعة المحدد من المجمع المسكوني النيقاوى الاول في ان الابن مساوٍ للاب في الجوهر * فاكاكيوس الذى كان رفيع المناقب وخبيث الروح جعل يدّعي على القديس بانه تقدمت لديه ضده شكاياتٌ محوجة حضوره الي ديوانه . ومن ثم كان يامره بالحضور اليه ليجاوب عن نفسه * واما القديس كيرللس الذى لم يكن يعرف ذاته مخضعا لسلطان اكاكيوس فلم يتم امره * فحينيذٍ اكاكيوس عقد مجمعًا في ابرشيته من اساقفة مشتركين معه في الضلال والالام الردية . وفيه حكم بعزل القديس كيرللس عن الكرسي الاورشليمي بمنزلة عاصٍ عليه . اذ انه في مدة سنتين كاملتين لم يرد ان يطيع اوامره . ثم بمنزلة مذنب ببعض

ذنوب واحدها هو انه باع خزنة الكنيسة الاورشليمية . الامر الذي نعم كان فعله القديس كيرللس . لكن بنوع مطابق القوانين الكنايسية ومستحق من اجله المديح احرى من اللوم وذلك لانه سد بثمن تلك الاشيا التى كانت في خزنة الكنيسة احتياجات قيام حيوة فقرا شعبه . الذين من قبل الغلا الشديد الذي حدث في اورشليم كادوا يموتون جوعاً ولم يعد لديه امكان لان يحفظ به حيوة اوليك المسيحيين الذين هم هياكل حيّة لله سوى بان يسعفهم بثمن تلك الاواني الفضيّة والاثاث التي لاضرورة بفقدها * ولكن من يريد ان يظلم قريبه وينفذ فيه مرام الامه . لا يراقب جوهر الحقايق العادلة المضادة مأربه بل يتمسك باعراضها المبرقعة تحت ظل الغيرة الكاذبة على الحق *

رابعاً اما القديس كيرللس فلم يعبّ بحكومةٍ هذه صفة وضوح ظلمها ومخالفتها للتهذيب الكنايسي وللحق القانوني . بل استغاث ضدها بمجمع اعظم . وارسل صك استغاثته الشرعية الى الذين حكموا بعزله * فالملك قسطانسوس ولين كان فهم من اعدا القديس القضية بحسبما سبقوا قبلاً واملاوا روحه من شقشقة الفاظهم ومن الخداعات . فمع ذلك لانه شاهد ظلم الحكومة المذكورة الواضح قد اثبت استغاثة القديس الموما اليها * ولكن هذا التثبيت لم يكفِ ليهدي روح اعدايه المحب التغلب والمستند على اسعافهم من كثيرين من اكابر الدولة . ولهذا اجتهدوا ونالوا ان يخرجوا القديس مطروداً من اورشليم . حيث ذهب اولاً الي مدينة انطاكية . وبعد ذلك الى مدينة طرسوس . التي استقفها سيلوانس قبله عنده بكل كرامةٍ وصيره ان يباشر في كنيسته الاحتفالات الحبروية . وان يعظ على الشعب ويرشده غير مبالٍ من التشكي المتواتر الذي كان يصنعه ضده اي ضد سيلوانس اكاكيوس الظالم * ففي شهر ايلول سنة ٣٥٩ قد التيم مجمع عام من اساقفة المشرق في مدينة سالوكيا . حيث ذهب اليهِ القديس كيرللس طالبا ان تفحص فيه قضية عزله ويحكم عليها بموجب استغاثته السابقة * فهذا المجمع بعد الفحص الواجب حكم بملاشات حكومة مجمع قيسارية فلسطين لكونها ظالمة . وردّ للقديس كيرللس الحق علي ابرشيته الاورشليمية * ولكن اكاكيوس المقتدر عند الملك قسطانسوس استطاع ان يحتال ويبلغ اربه في عمل مجمع لصوصي من اساقفةٍ ارائقة سنة ٣٦٠ . وان يحكم بالعزل من جديد ضد القديس كيرللس *

خامساً فهذا البار اضطر مرة ثانية بان يذهب الى انطاكية عند القديس ملاتيوس بطريرك هذه المدينة . الذي كان مع الاساقفة الكاثوليكيين يحامي عنه ويعزيه مشجعاً اياه على احتمال الاضطهادات * ولكن نفيه عن رعيته لم يدُم سوى مدة سنتين * من حيث انه بعد موت الملك قسطانسوس وقيام يوليانوس العاصي خليفةً له في التخت الافغوسطي . فهذا اي يوليانوس سمح برجوع الاساقفة المنفيين من سالفه الى كراسيهم * وهكذا القديس كيرللس رجع الى رعيته التي بمقدار ما كان غمها على بعده عنها شديداً . فبا كثر من ذلك حصلت على الفرح والسرور بحصولها عليه من جديد *

سادساً ففي سنة ٣٦٢ في تملك يوليانوس الجاحد الايمان بالمسيح والمتمسك بعبادة الاوثان المضحكة حدثت في مدينة اورشليم ايات وجرايح لا ينبغي ان نهمل ايرادها ههنا ولو باختصار * على ان هذا الكافر يوليانوس فكر متدرباً من معلمه ابليس في ان يكذب نبوة دانيال ثم اقوال يسوع المسيح في ان هيكل سليمان في اورشليم كان عتيداً ان يهدم وان لا يعود يشيد . فجزء قول الله الاول كان كمل في زمن تملك فاسباسيانوس وتيطس القيصرين نظراً الى خراب الهيكل المذكور . وبقي جزء قوله تعالى الثاني وهو ان هذا الهيكل لا يعمر * فيوليانوس بغضاً في الديانة المسيحية وقصداً في تكذيب قول الله اراد ان يعمره * ولذلك ابرز اوامره الملوكية بهذا الشان . مبيحاً لليهود ان يساعدوا في عماره وبان يقيموا فيهِ طقوسهم الموسوية نظير ما كانوا قبل تجسد مخلصنا يسوع المسيح * فهذه الاوامر ابهجت قلوب اليهود بهذا المقدار . حتى انهم اجتمعوا في اورشليم من اقطار العالم التي كانوا متبددين فيها . وباشروا العناية بتعمير هذا الهيكل . مقدمين اتعابهم واموالهم ليس من جنس الرجال فقط بل من جنس النسا ايضاً * اللواتي لم يكتفينَ بايهاب زينتهنَّ الثمينة من ذهب وفضة وحجارة كريمة لنجاح هذا العمل . بل كنَّ مع ضعفهنَّ النسائي يتعبنَ ذواتهنَّ في نقل التراب والحجارة لاجل البناء ظانات بانهنَّ يصنعنَ بذلك امراً مرضياً للرب ۞ ومن حيث ان ارواح اليهود استوعبت فرحاً يفوق حمله على استطاعتهم كانهم ملكوا ماثوراتهم كلها . فلم يمكنهم ان يمسكوا ذواتهم عن اظهارهم الى الوجود روح البغضة القتالة التي كانت مكنونةً في قلوبهم ضد المسيحيين * ومن ثم شرعوا يهينونهم ويفترون عليهم بالشتايم والتجديفات . وينغصون عيشتهم . ويتهددونهم بانهم مزمعون ان

يعاملوهم كما هم كانوا عوملوا من الملوك القياصرة الذين هدموا هيكل سليمان وقتلوا منهم عددًا عظيمًا واخذوا الباقين اسارى وما اشبه ذلك واما القديس كيرلس فكان يضحك من هذه المباشرات لعلمه ان قول الله على فم دانيال وفي الانجيل المقدس هو عديم التغيير . وان اليهود مع يوليانوس العاصي كانوا عتيدين ان يمتليوا من الخزي والعار بعدم مقدرتهم . ولو اباحوا اموالهم وسلطتهم وذواتهم اجمع على ان يضعوا في عمار ذلك الهيكل حجرًا على حجر * فثقة من يعتصم بكلام الله المعصوم من الغلط كما كانت ثقة هذا القديس لم تمض خايبة قط *

سابعًا على ان اليهود قبل ان يشرعوا ببداية العمار هدموا ما كان باقيًا من فضلات حيطان الهيكل السليماني حتى الاساسات * وبهذا النوع قد تمموا من دون درايتهم حقيقة قول فادينا يسوع المسيح بان ذلك الهيكل كان عتيدًا ان يُهدم وتُنقض اساساته . ولا يبقى فيه حجرٌ على حجرٍ * ثم بعد ذلك اخذوا يبتدبون بالعمار بحفر اساسات جديدة عميقة . وكان عدد المعمارية والفعلة غير محصى * فالعجيبة الاولى التي حدثت وقتيذٍ هي ان التراب الذي كان يرفعه من الاساسات ذلك العدد العظيم من الفعلة في النهار جميعه ويضعونه خارج الاساسات . فهذا كان يرجع من ذاته ليلاً الي حفابره . بنوع انهم كانوا ياتون صباحا فيجدون الاساسات مردومة . واذ يكررون حفرها في ذلك اليوم فيجدونه في الصباح المقبل مردومًا كما مر * العجيبة الثانية هي انه بعد ذلك ليس بايام كثيرة حدثت زلزلة عظيمة مخيفة ليس فقط حذفت الحجارة المهياة للعمار الجديد من الامكنة التي كانت موجودة فيها الي امكنة بعيدة . بل ايضا هدمت اروقة الهيكل القديمة الي الارض . وابادت تحت رديمها ليلاً عددًا وافرًا من اليهود الفعلة . الذين كانوا نايمين في تلك الاروقة . كما انها ادثرت دكاكا جميع تلك العمارات التي كانت محيطة بدايرة الهيكل القديم * العجيبة الثالثة هي انه جاءت على غفلة زوبعة شديدة مهيلة بددت في دقيقة واحدة تلك المواد المعدة للعمار مجموعةً كميات من الكلس والاخشاب والقرميد حتي لم تترك منها شيًا في مكانه . ولكن هذه الافعال الالهية لم تقنع اوليك اليهود الاشقيا المكفوفي بصر العقل في ان يرجعوا لذواتهم ويعرفوا ان يد الله القادرة على كل شى كانت تحاربهم . بل انهم بحسارةٍ هكذا فظيعة داوموا الاعمال والجهاد

في العمار * الاعجوبة الرابعة هي انه خرجت من الاساسات عينها التي كانوا حفروها نار عظيمة افنت بلهيبها كل اوليك الذين كانوا يحفرون هناك . وصيرت الباقين فوق ان يهربوا هلعين مرتجفين من الخوف * غير ان هولا الهاربين من النار اذ ارادوا ان يدخلوا الى كنيسة قريبة من المحل قد انبعثت من باب الكنيسة اشهب نار نظير الصواعق واحالت الى رماد عددًا وافرًا منهم . كما انها ضربت كثيرين من البعيدين واعدمت البعض منهم ايديهم والبعض ارجلهم . وهكذا بقوا في الحيوة تذكرةً لانتقام غضب الله ضد المصرين على ضلالهم والمعاندين القدرة الالهيـة * ثم اذ كانت الات البنا والهندسـة النحاسية والحديدية مع كل ما يستخدمه البناؤون مجموعة في مخزن عظيم تحت الاروقة . قد خرجت من العمق نار آكلة فابادت جميع تلك المواد الصناعية والالات كافةً . وقتلت الناس الموجودين هناك *

ثامنًا واما الاعجوبة الخامسة التي ارادت العزة الالهية ان توضح في العالم اجمع ان يسوع المسيح نفسه هو الذي كان يحارب اوليك الضالين . فهي انه في الليلة التابعة للعجايب المار ذكرها قد ظهرت في الفضا فوق مدينة اورشليم علامة الصليب المقدس ملتحفة بالانوار الساطعة بنوع اعظم من تلك التي قبلاً ظهرت سنة ٣٥١ . حسبما سبق الشرح في العدد الثاني من السيرة الحاضرة * وقد رافق هذه الاعجوبة جريحةً اخرى اوفر عجبًا . وهي ان جميع الذين شاهدوا علامة الصليب هذه قد انطبعت في اثوابهم صلبان عديدة . مكللةً بالوان بهية وبرسوم مبهرة العقول . بنوع انه لايمكن لاعظم معلمي صناعة التطريز والزركاش ان يصنعوا بشغل الابرة مثلها * وهذه الصلبان الجميلة لبثت عديمة ان تمحى في الايام المقبلة . حتى ان كثيرين ابذلوا مجهودهم بغسل تلك الاثواب ليمكنهم ان يمحوا رسوم هذه الصلبان . فجميع تعبهم ذهب سدىً . من حيث انه كما يقول القديس غريغوريوس النزينزي ان تلك الصلبان المرسومة بفعلٍ الهي فايق الطبيعة كانت عديمة المحو *

تاسعًا فهذه العجايب الباهرة ولين كانت املأت الملك يوليانوس العاصي مع اكثر اليهود خزيًا وخجالةً . والزمتهم بترك ما شرعوا به وعجزوا عنه . وكانت فوق الكفاية لان تنير اذهانهم المظلمة لاعتناق الحق الانجيلي . فمع ذلك صيروا ذواتهم كفرعونٍ ثانٍ

بقساوة قلوبهم في الضلال * ولكن عدد ليس بقليل من اليهود مضوا الى القديس كيرللس والى كهنته وانطرحوا على اقدامهم مومنين بالمسيح . ومتوسلين في ان يقبلوا في الكنيسة الجامعة باخذهم سر المعمودية . الامر الذي باشره القديس مع كهنته بفرح لا يوصف * واذ ارشدهم بقواعد الايمان وبما ترسمه الواجبات . قد عمدوهم بالاحتفالات الكنايسية * وبعد ذلك لم يعودوا يهتموا بشي اخر سوى بان يستعطفوا المراحم الالهية بالغفران عما اهانوا به الله والاسم المسيحي في مدة حياتهم الماضية * فهكذا اظهر اله الجيوش قوته وصدق ما كان قاله في الكتاب الالهي عن خراب هيكل سليمان وعن عدم بنيانه الي الابد . كما انه تعالى ايد ثقة عبده القديس كيرللس الذي كان يوضح ان تلك العناية الملوكية المرافقة من اجتهاد اليهود كافة لم تكن سوى موضوع السخرية والضحك . لان قول الله هو عديم التغيير *

عاشراً ثم انه اذ كان في سنة ٤٦٤ ارتقى الي التخت الملوكي فالانته الاربوسي . فهذا المنافق ارسل من جديد الي المنافي الاساقفة الكاثوليكيين . وهكذا اضطر القديس كيرللس بان يفارق رعيته المحبوبة منه مرة اخرى . ويوخذ الي المنفى الذي استمر فيه عشر سنوات التي في نهايتها مات الملك فالانته . وضبط صولجان الملك بعده ثاوضوسيوس الكبير الحسن الديانة * الذي اطلق القديس وارسله الى كرسيه الاورشليمي . حيث دبّر خرافه الناطقه بسلام طول المدة التي عاشها بعد تلك المشقات * ثم في سنة ٤٨١ قد دعي هذا القديس الى المجمع المسكوني الثاني القسطنطيني الاول . وذهب اليه ووجد فيما بين اعظم اباءِ الغيورين على حماية الايمان الكاثوليكي ضد الاراسيس * واخيراً بعد رجوعه الى ابرشيته قد انتقل الى الحيوة الابدية سنة ٤٨٦ . لياخذ مكافاة اتعابه الرسولية واجر ما احتمله من المظالم والاضطهادات في مدة نحو خمس وثلاثين سنةً التي بها دبّر كنيسة اورشليم *

فالمحامون عن الحق والايمان القويم ينبغي لهم ان لا يعجبوا ولا يشككوا . اذا راوا ذواتهم بعض الاحيان مظلومين من اعدايهم ومضطهديهم العديمي الاستقامة * على ان القديس كيرللس المحامي عن الايمان الكاثوليكي وعن الوهية يسوع المسيح قد ظلم من اكاكيوس الاراتيكي . الذي سطا عليه بالخداع . وعزله عن كرسيه الاورشليمي . وارسله الى المنفى اكثر من مرة واحدة * لان الباري تعالى يسمح احياناً كثيرة بان عبيده الامنا يضطهدون

ويتهمون باطلاً . وبان الظلم يقوى على البرارة * ولكن ليس لاجل ذلك يمكننا ان نهمل المحاماة عن الحق والعدل . بل يجب علينا بالاحرى ان نعتد علامةً صالحة لنا اذا وجدنا ذواتنا مقاومين مضنكين ومضطهدين من اهل العالم مهما كانوا * اذ ان معلمنا الالهي قال لنا في اشخاص تلاميذه : « تذكروا الكلام الذي قلته لكم ان ما من عبدٍ افضل من سيده . « ان كانوا طردوني فلكم سيطردون » (يوحنا ص ١٥ ع ٢٠) * فانتصار الانام الفضلا الابرار هو قايم في احتمال الشرور المصنوعة ضدهم لاجل العدل بصبر وثبات على الحق الى النهاية . اي حتى الموت بالنوع الذي تصرف به يسوع المسيح عينه * الذي انما انتصر على اعدايه ليس بنزوله عن الصليب . كما كان يمكنه ان يصنع حينما كانوا يجدفون عليهِ بانه خلص الاخرين ولم يقدر ان يخلص ذاته . بل غلبهم بواسطة موته معلقا على الصليب *

* اليوم التاسع عشر *

* وفيه تذكار القديس الشاهد خريصانتس مع زوجته *

* القديسة الشهيدة ضارية *

اولاً انه اذ مات اوريليانوس قيصر سنة ٢٧٤ للمسيح بواسطة صاعقة انقضت عليهِ . حينما اخذ القلم بيده ليمضي اسمه في الاوامر المبرزة منه في اضطهاد المسيحيين . فالمشيخة الرومانية بعد هلاكه بنحو سبعة اشهر قد انتخبت خليفةً له في الملك طاجيتوس . الذي بعد ذلك بسبعة اشهر قتل من العساكر الرومانيين انفسهم . وضبط بعده قضيب الملك بروبوس قيصر . وخلفه عقيب ست سنوات كاروس . الذي ترك التخت الملوكي ميراثاً لابنيهِ كارينوس ونوماريانوس . اللذين استوليا عليه لحد سنة ٢٨٤ . التي فيها تولى على الكرسي القيصري ديوكلاتسيانوس * ففي مدة هذه العشر السنوات لم يصنع من الملوك المذكورين اضطهاد عام ضد المسيحيين . ولا برزت منهم مراسيم ملوكية مضادة بنوع مشتهر حقوق المومنين بحسب كونهم رعايا المملكة الرومانية *

ثانياً ولكن مع ذلك قد تزين مدرج القديسين باسما شهدا كثيرين سفكوا دماهم من اجل الايمان المسيحي في بحر هذه العشر السنوات عينها . وذلك كان يحدث اما من قبل حركات كهنة الاصنام الردية المهجسة فيهم من الشيطان واما من قبل هيجان الشعوب الوثنيين ضد المسيحيين * اذ كان شايعاً على افواه الكفرة . صادرًا عن اعتقادهم الفاسد

في ان المصايب الزمنية العامة كالبس والغلا والطاعون والزلازل وامثالها كانت تحدث من قبل غضب الهتهم وغيظهم من المسيحيين . الذين ما كانوا يكرمونهم بتقدمة الضحايا او من قبل ظلم الولاة الخصوصيين ومحبتهم المال وبغضهم القتال ضد تابعي المسيح * فاذًا هذه الاشيا كانت تحرك في الاقاليم والمدن الخصوصية الخاضعة للملك الرومانى اضطهادات ليست عامة بل خاصة اقل او اكثر ضد ابنا الايمان القاطنين في تلك الاقاليم او المدن . حتى في مدينة رومية تخت المملكة عينها * التى فيما بين شهدايها الذين سفكوا دماهم عن الايمان في حوادث هذه صفتها . يوجد القديس خريصانتس وزوجته القديسة ضارية . اللذان الان نتكلم عن جهادهما واستشهادهما *

ثالثًا فالقديس خريصانتس المولود في المذهب الوثني الرجس كان حضر الى مدينة رومية صحبة ابيهِ . الذي كان واحدًا من مشيري الديوان القيصري في جمعية المشيخة الرومانية * ففي رومية خريصانتس تعلم خفيةً عن معرفة ابيهِ حقايق الديانة المسيحية من اسقف بار كان يجتمع به في احدى المغاير . وهكذا اعتنق الايمان بالمسيح * غير ان الامر قد عرف عند ابيهِ . وذلك اذ وضعه تحت الامتحان . وشاهده ثابتًا بهذا المعتقد . قد طرحه في سجن مظلم * واخيرًا اخرجه منه مغتصبًا اياه على الاقتران بالزواج مع ابنة وثنية كانت معروفة بالاعتبار عند الجميع لتعمقها في العلوم الفلسفية والاصنامية اسمها ضارية * فالشاب خريصانتس التزم باتخاذها له عروسةً . ولكن قبل ان يعرفها شرع يورد لها البراهين الراهنة على حقيقة الايمان المسيحي . بنوع انها غُلبت من سنداته وحججه . او بالحري من مفعول نعمة الله المجانية التي افاضها عليها اجابةً لمرغوبات عريسها . وبالتالي عوضًا عن ان يتم مقصد ذاك الاب الكافر في ان ضارية تجذب ابنه الى الرجوع للمذهب الوثني . قد انجذبت هي من ابنه الى اعتناق الايمان المسيحي * وبعد ان ارتشدت به حسنًا اقتبلت سر حميم اعادة الكون * وحينيذٍ اتفق واياها خريصانتس على حفظ البتولية . من دون ان يعرفها اصلًا بل لبثت معه كاختٍ له . معتبرة اياه كاخٍ لها . وشرعا يعيشان بقداسة السيرة وعمل البر *

رابعًا فهذا الامر ليس فقط لم يلبث مكتومًا . بل ايضًا هما اي خريصانتس وضارية اخذا يعلمان الاخرين سيرة العفاف والاقتدا بنموذجهما * ولذلك حصلا مبغوضين اشد

بغضةً من الوثنيين . الذين لاجل ان نوع هذه العيشة كانت تضاد على خطٍ مستقيم طماثاتهم وتمرغهم في حماة الدنس * فخوفًا من ان البعض من نسايهم يقتدينَ بمثل القديسة ضارية المعتبرة منهنَّ لاجل حسن صفاتها وعلومها . قد اشتكوا عليها لديوان القضايي تحت ولاية نومار يانوس قيصر . وحينيذٍ جالارينوس ربس ذاك الديوان القيصري سلمها الى كلاوديوس القايد * وهذا اخرجها خارج المدينة . وهناك طرحها في حفرةٍ مملوة من الوحل في مكان يدعى طريق الملح . ورُدما بالحجارة والرمل * وهكذا فازا باكليل المجد السماوي مضعفا عن موتها من اجل كونها مسيحيين وعن حفظها فضيلة العفة والطهارة اما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكارها في ٢٥ كانون الاول *

فنموذج هذا القديس الشهيد مع زوجته العفيفة نظيره الشاهدة . اللذين مع انهما تربيا في الديانة الوثنية في ازمنةٍ كانت فيها الطماثات والقبايح اللحمية ناشرة بيرق الانتصار . والجميع كانوا منغمسين فيها مثل الخنازير المتمرغة في الحماة . فمع ذلك جميعه عرفا ان يحفظا البتولية والطهارة . ويظهرا معلمين لها * الامر الذي يوجب الخجل والخزي لكثيرين وكثيرات من الشعب المسيحي . الذين مع كونهم تربوا في حضن الامانة المقدسة . ونشوا بموجب تعليم الشريعة الانجيلية الكاملة التي تحرّم كل فكرٍ دنسٍ مقبول من الارادة وكل نظرةٍ شهوانية . فضلاً عن الافعال الزنائية . فمع ذلك جميعه يوجدون ليس فقط بعيدين عن حفظ الطهارة والعفة . بل ايضًا بعد اقترانهم بسر الزواج لايعرفون حفظ واجبات القداسة والامانة المتبادلة . لكنهم يبيحون ذواتهم الى الافعال الفسقية بالطماثات والقبايح والشكوك . غير مكتفين بحق الزيجة الناموسية علاجًا للشهوة المتجندة في اعضايهم ولا مبالين بتوعدات العدل الالهي المنتقم من هذه الفواحش . ولا من الاقوال الرسولية المكررة في امكنة كثيرة بان الزناة لايدخلون ملكوت الله . وبان الزواج مكرم هو ومضجعه هو غير دنس . ولكن الله يدين الزناة والزواني . فليستفد مثل هولا من نموذج القديسين الشهيدين الطاهرين خريصانتس وضارية ان يجتهدوا على حفظ العفاف * واذا لم يفعلوا مثلها بالامتناع المطلق . فليكتفوا قلما يكون بما هو حلالٌ لهم . وليحفظ كلٌ منهم اناءه بقداسة ليمكنهم ان يعيشوا بموجب الشريعة الانجيلية مدة حياتهم هذه الوجيزة على الارض . واخيرًا ينتقلون منها بميتةٍ صالحة بارة بواسطتها يفوزون بالحيوة الابدية . الموعود بها منه

تعالى للذين يحفظون ناموسه الالهي ورسوم شريعته المقدسة واوامره ووصاياه الخلاصية ✻

✻ اليوم العشرون ✻

✻ وفيه تذكار ابائنا الابرار الذين قتلوا في دير القديس سابا ✻

اولا انه بعد ان طرد من الكرسي الانطاكي القديس البطريرك فلابيانوس الثاني ففي سنة ٥١٣ قد اقيم دخيلا على هذا الكرسي بعناية الملك انسطاسيوس الاراتيكي سافاريوس الاثيم المنافق . الذي دنس هذه الكاتدرا الموسسة من هامة الرسل القديس بطرس نفسه والجليلة في بيعة الله الجامعة ✻ فهذا البطريرك الدخيل سافاريوس كان ولد في المذهب الوثني وتربى في الضلالات الاصنامية . واذ سقط في ذنوب باهظة وماثم شنيعة . فلكي يخلص ذاته من القصاصات التي استحقها لاجلها . قد اشهر نفسه مسيحيا واقتبل المعمودية المقدسة . وتمسك بالعيشة الرهبانية ✻ غير انه بتغييره مذهبه لم يغير من عوايده الردية الا ما قل ✻ فحينما انتشرت الارثقة الاوطيخية . فهذا المنافق ليس فقط تمسك بها مناضلا عنها . بل ايضا صير ذاته مقداما لشيعة الاكافاليين اي الذين لا راس لهم . ولذلك سموا ايضا باسمه سافاريين ✻ فاذا عندما اختلس هو الكرسي الانطاكي . وشاهد ذاته ضابطا هذا المقام العظيم . فلكي يجعل له من يساعده على الاغتصابات ضد الكاثوليكيين قد اتحد مع بطرس الدخيل في كرسي ابرشيته اباميا المشابه له بالنفاق . بل ربما الاشد شناعة منه في الماثم والعوايد الردية . ثم مع ثانايا الرجس الذي قبل ان ينال سر المعمودية ارتسم اسقفا على مدينة ايرابولى ✻ وهكذا شرع سافاريوس يضطهد بقساوة بربرية كل الذين كانوا يحامون عن المجمع المسكوني الرابع الخلكيدوني . متمسكين بتحديداته ✻ فهولا الروسا الاشرار الدخلا بل الذياب الخاطفة اذ كانوا مستندين على حماية الملك انسطاسيوس الاوطيخي الشرس الاطباع . كانوا يبيحون لذواتهم كل نوع من التعدي والنفاق والاغتصابات فقوة حرب هذا الاضطهاد الذي اقلق الكنيسة الشرقية كلها قد وجهتها الارثقة المذكورون بابلغ نوع ضد رهبان بلاد سوريا الثانية . الذين بعد ان كانوا خدعوا وتمسكوا مدة من الزمان بضلال اوطيخا . قد رفضوه مطلقا واضحوا محامين بغيرة متقدة عن المجمع الخلكيدوني ✻

ثانيا ومن حيث ان سافاريوس وبطرس المذكورين كانا وضعا في خدمتهما وتحت

اوامرهما عددًا وافرًا من الجنود باذن ديوان الحكم المدني قلما يكون بصمته . فقد استخدما هولا الجنود ناقلي الاسلحة دايمًا في تنفيذ مآربهما الردية وفي صنيع كل نوعٍ من الظلم والنفاق فقد ارسلا اذًا تلك العساكر ليفتكوا بالرهبان اينما كانوا يجدونهم ملتيمين * لانه كانت ابذلت نحو الرهبان الموما اليهم كل الاهتمامات وجميع الخداعات والحُيل لكي ينجذبوا لحزم المجمع الخلكيدوني والبابا القديس لاون . وذهبت سدًى * على ان اوليك الرهبان ليس فقط لم يرتضوا بذلك . بل ظهروا بالاكثر محامين عن المجمع وعن القديس المذكور باشد غيرةٍ وباعظم جهادٍ * فالعساكر خدام رجز سافاريوس وبطرس الاراتيكيين ذهبوا بغضبٍ وحشي . وكانوا يثبون على اديرة اوليك الرهبان . مقيدين البعض لياخذوهم الى السجون ويعذبوهم على حسب ماريهم . ومعرين غيرهم بالكلية ومردّين اخرين منهم باثواب رثة بالية لاجل الاستهزا . وضاربين كثيرين اخرين بالاسلحة وجارحينهم للموت . حيث بعد ساعات فارقوا هذه الحيوة * ولم يكتفوا بهذا جميعه . بل نهبوا كل ما كان ثمين القيمة في تلك الاديرة وفي كنايسها بنفاقٍ جسيمٍ ضد الاواني المقدسة وغيرها * واذ كان يومًا ما هولا الرهبان الابرار المضطهدون مجتمعين من نواحي مختلفة في دير القديس سابا . او بالحري في دير الانبا سمعان لكي يدبروا ما يلايم لحماية الايمان الكاثوليكي . قد وقعوا بين ايدي السافاريين الذين وثبوا غفلةً على عبيد الله هولا الابرار . فقتلوا منهم ثلثماية وخمسين راهبًا مملوين من الفضيلة والغيرة على الايمان الكاثوليكي . الذي كانوا احتملوا من اجل المحاماة عنه وعن المجمع الخلكيدوني وعن القديس البابا لاون اضطهاداتٍ بربرية واتعابًا شاقة . وانتصروا على اعدايهم الاراثقة بثباتهم في الايمان القويم وبتوطيدهم الشعوب به بمقدار ما امكنهم * فالى هذا الحد كان رجز الاراثقة ضدهم فاقد الرحمة . حتي انهم بعد ان قتلوهم سحبوا جثثهم عراةً في الحقول والطرقات في البرية وتركوها من غير دفن ماكلاً لطيور السما ولوحوش الارض * وما عدا هولا الابرار المقتولين على هذه الصورة قد جرح اخرون كثيرون من الرهبان جراحاتٍ متخنة لم تدعهم باقين في الحيوة سوى بعض ايامٍ . وهذا جميعه حدث سنة ٥١٧ ومن حيث ان جميع هولا الرهبان الابرار الذين قُتلوا في هذه السنة بايدى الاراطقة وبواسطة الجنود المختصين بهم فانما قُتلوا من اجل محاماتهم عن الايمان الكاثوليكي المقدس . فالكنيسة الجامعة شرقًا وغربًا قد كرمتهم كشهدا مجيدين لاسيما

الثلثماية والخمسين المذكورين اعلاه . الذين تصنع تذكارهم عمومًا الكنيسة اللاتينية في اليوم الحادي والثلثين من شهر تموز ✻

فكما ان الرجا بنوال المجازاة العادلة من اليمين العلية في المجد السماوي وطَّد هولاء الابرار الشهدا بابلغ نوع على احتمال هذه الاهوال والنكال . فهذا الرجا عينه يجب ان يكون موضوع تعزيتنا في حدوث الشدايد والضيقات والامراض والاضطهادات التى تعرض لنا . وهكذا نحتملها بصبر تام وبتسليم الارادة لله الذي يفتقدنا بها لخير انفسنا . مطهرًا ايانا بواسطتها في هذه الحيوة من دنس سقطاتنا الماضية . وصاينًا بها تصرفاتنا من الزلل في المستقبل . ومعدًا لنا المجازاة عنها في السما ✻

✻ اليوم الحادي والعشرون ✻

✻ وفيه تذكار ابينا البار يعقوب الاسقف المعترف ✻

اولاً ان القديس يعقوب هو شايع الذكر ليس فيما بين ابا النساك والرهبان فقط الذين كان هو ربما اولهم من بلاد بين النهرين . بل فيما بين الاساقفة القديسين ايضًا الذين بقداسة سيرتهم السامية عمروا كنيسة المسيح ✻ فقد ولد هذا القديس نحو اخر الجيل الثالث حسب شهادة المعلم ثاودوريطوس اسقف كورش كاتب سيرة حياته . ولذلك في مدينة نصيبين الشهيرة الاسم . التي موقعها كاين عند حدود المملكتين الرومانية والفارسية غير انها كانت تختص بالملك الروماني . واين كان الفرس يجتهدون بان يستولوا عليها ✻ فالقديس يعقوب منذ نعومة اظفاره استوعب كرهًا كليًا من الاشيا الزمنية الفانية ومن ثم اذ فعلت فيه نعمة الله مفعولها . فمنذ صبوته قد هجر العالم وانفرد في القفر . مهتما بالامر العظيم الذي هو خلاص نفسه ✻ فنوع سيرة النسك التى مارسها في القفر يوردها المعلم ثاودوريطوس جيدًا بقوله : ان هذا السايح الجديد كان يقطن في قمم الجبال العالية مجتازًا زمني الصيف والخريف فى الاحراش من دون مأوى او استعمال اغطية مطلقًا نهارًا وليلاً واما في زمن الشتا والربيع فكان يلتجي الى بعض الكهوف او المغاير الصغيرة ليحمي بها ذاته من الامطار والبرد ✻ واما نظرًا الى قوته فكان قايمًا باكلهِ من الاثمار البرية التى تبرزها الاشجار ذاتيًا من دون فلاحة . وكان ياكل منها ما يكفى لان يحيي ✻ ولم يكن يستعمل نارًا ولم يحوِ ملبوسًا سوى المسح مع عبا خشنة جدًا ✻ ولكن بمقدار ما كان يميت جسده فباكثر

من ذلك كان يحيي روحه ويغذو نفسه بالصلوات والتاملات في الحقايق السماوية وفي الثاوريا . منقيًا عقله ومروضاً ذهنه ومطهرًا حواسه الباطنة للاتحاد بافضل نوع بالله * وبهذا كان ينمو ويتقدم يوماً فيوماً في حسن الرجا به تعالى ملتجياً اليه في احتياجاته بثقة . والباري عزّ وجلّ لم يكن يتاخر عن اغاثته وعونه . بل باكثر من ذلك قد اغناه جلت خيريته بموهبة صنيع العجايب وبروح النبوة بالتخبير عن الاشيا العتيدة *

ثانيًا ومن حيث ان هذا القديس قد تزين بفضايل هكذا سامية وبنعم غنية بهذا المقدار . فلم يمكنه ان يخفي ذاته عن العالم مدةً مستطيلةً من الزمن * ولهذا يظن بالصواب انه أُلزم بقبول الارتسام بدرجة الكهنوت . وحينيذٍ مضى الى بلاد العجم كي يوطد المومنين الداخلين جديدًا في كنيسة المسيح ويرشدهم حسنًا في الامانة ○ وقد اضحت رسالته هذه كلية الافادة لاوليك المسيحيين . الذين بعد اعتناقهم نير الانجيل كانوا محاطين باخطار كثيرة وبمضادات قوية . ليس من عبدة الاصنام المتقدمين في الوظايف بمقدار ما كان ذلك من اهل الوطن ومن الاقربا والانسبا الكفرة انفسهم . وبالتالي كانوا محتاجين لمرشدٍ غيور وقايدٍ امين ومشجع صنديد * فقد اعتنى بهم هذا القديس عناية رسولية . موطدًا اياهم في قواعد الايمان . مرشدًا ومدبرًا وواعظًا ومعلمًا من دون ملل باقواله ونموذجاته حتى صيرهم راسخين على صخرة العبادة لله الحقيقية ومستسيرين بقداسة انجيلية * ومن حيث ان اعماله هذه السامية كانت مرافقةً من عجايب باهرة مصنوعة من الباري تعالى بواسطته . فهذه كما انها افادت المومنين ثباتا فكذلك اجتذبت عددًا وافرًا من عبدة الاوثان الى قبول بشارة الانجيل والى اعتناق الايمان بالمسيح *

ثالثًا فالاعتبار والاحترام اللذان حصل عليهما هذا القديس من الشعوب لاسيما من الاكليروس صيراه ان ينتخب منهم اسقفا لمدينة نصيبين مكان مولده * غير ان ارتقاه الى ذلك الكاتدرا لم يمكنه ان يجعله ان يغير نوع عيشته التي كان قبلاً سالكًا بها في القفر . لانه لبث مثابرًا على الاصوام عينها . لابسا اثوابه المسيحية ذاتها . مغتذيًا من الاثمار والحشايش نفسها . مداومًا النوم على الارض العارية كما كان من ذي قبل . مع انه في وجوده قبلاً في القفر كان خاليا من الاتعاب الرعائية الثقيلة التي شرع يباشرها في مدينة نصيبين بغيرة متقدة * وقد اتخذ على ذاته عنايةً عظيمة نحو الفقرا . لاسيما الارامل والايتام . مساعدًا

بكل استطاعته المظلومين . موبخا بحرارة وعدم اخذه بالوجوه من كان يظلمهم * وبالاجمال يقول المعلم ثاودوريطوس ان القديس يعقوب قد تمم بنوع جميع صفات الراعي الصالح والتزاماته نحو رعيته . لاجل انه كان يخاف راعي الرعاة الحقيقي مخلصنا يسوع المسيح ويحبه مكملاً ارادته القدوسة * ومن حيث ان هذا القديس كان يكتسب بافعال صالحة فاضلة سامية هذه صفتها رضوان الله بابلغ نوع . فالروح القدس كان يضاعف عليه مواهبه . خاصةً افتعال العجايب الكثيرة التي نذكر الان واحدةً فقط منها بحسبما هي موردة من المعلم ثاودوريطوس . وهي ان عددًا وافرًا من الفقرا قد التيموا معًا في مكان خصوصي كانوا عارفين ان الراعي البار مزمعًا ان يجتاز بهِ . فاحدهم قد انطرح على الارض كانه ميتٌ والاخرون اظهروا على ذواتهم انهم مشفقون عليه بطلب الحسنة الكافية لمصاريف دفنه * فلما بلغ القديس الى هناك واستمع توسلهم . قد اعطاهم حالاً المبلغ الذي التمسوه متضرعا لله من اجل نفس ذلك المتظاهر بانه ميت * فبعد ان بارحهم الاسقف البار . قد دنوا من رفيقهم الذي في الارض فرحين بما نالوه موقظين اياه * الا انهم صاروا مبهوتين حينما تحققوا ان رفيقهم قد مات حقيقةً . ولهذا قد اسرعوا في اثر القديس وانطرحوا على قدميهِ . معترفين بذنبهم وبغشهم . ومتوسلين اليه بحرارة بان يشفق عليهم ويرحم رفيقهم المسكين فبعد ان عنفهم موبخا اياهم وحرضهم على صنيع التوبة عن السئية التي اثموا بها في حق الله قد تضرع لديه تعالي بصلوة بها اقام من الموت الى الحيوة ذلك الذي اماته عزَّ وجلَّ قصاصاً عن خبائثه واستهانتهِ برجل الله ❋

رابعاً وقد جعلت اسم هذا الراعي شايعا جدًا في الكنيسة الجامعة غيرته المتقدة في مقاومة الارتقة الاريوسية بحرارة وشجاعة فريدتين لانه ليس فقط كان احد الابا المتقدمين في المجمع النيقاوي المسكوني الاول المنعقد سنة ٣٢٥ ضد هذه الارتقة . حيث ذهب اليه واظهر فيه سمو غيرته واهتمامه . بل باكثر من ذلك ينسب اليه بنوع خاص ما انتقم الله به من مبتدع هذا الضلال اريوس نفسه على الصورة الاتي ذكرها . وهي ان القديس يعقوب كان موجودًا في القسطنطينية سنة ٣٣٦ . التي فيها كان الملك قسطنطين انخدع من صورة امانة مصنعة قد اعترف بها اريوس . ولذلك حتم هذا الملك على القديس الكسندروس الراعي القسطنطيني في ان يقبل اريوس في شركته . الامر الذي لو كمل فعلاً

لكان سبب للايمان الكاثوليكي ضررًا عظيمًا وللمومنين حزنًا شديدًا * فالقديس يعقوب الذي لم يمكنه وقتيذٍ ان يقنع الملك بالغلط الذي جذبه اليه حزب الارائقة . قد التجأ الى الصلوات جملةً مع القديس الكسندروس . متوسلين لله في ان لا يسمح بحدوث تكميل هذا الامر فعلاً * وقد أُضيف الى تضرعات هذين الراعيين الغيورين توسل الشعب الكاثوليكي ايضًا . الذي تبعًا لمشورة القديس يعقوب صنع صومًا مدة سبة كاملة ولما بلغ يوم الاحد الذي تعين من الملك لقبول اريوس في الشركة . وكان هذا الشقي محاطًا من روس حزبه منطلقًا نحو الكنيسة الكبرى . قد اضطر لان يدخل الى مكان قضا حاجة الطبيعة . وهناك قذف من جوفه امعاه جميعها مع نفسه الاثيمة بخزي وخجل عظيمين للارائقة وبتاءييد وانتصار ساميين للايمان الكاثوليكي وهذا الحادث هو مورد منا باكثر اسهاب في سيرة حيوة القديس الكسندروس نفسه في ٤٠ اب *

خامسًا ثم ان سابور ملك الفرس عينه قد اختبر في ذاته مفعول صلوات القديس يعقوب . لانه اذ كان هذا الملك حاصر مدينة نصيبين نحو سنة ٣٥٠ بعساكره العظيمة . وبعد ان مكث مدة سبعين يومًا من دون ان يستفيد شيًا من جميع امتحاناته وحيله وعنايته لان اسوار المدينة المنيعة كانت تجعل قوة عساكره كلا شي . فقد احتال هذا الملك في انه صير ان يعمل حاجز عظيم ضد جريان النهر الذي كان مجتازًا في وسط مدينة نصيبين . وعند ما تعالت مياه النهر جدًا وبلغت الى حدٍ مقصودٍ فحينيذٍ جعل ان يهدم الحاجز . وهكذا انحدرت الامواه بقوة عظيمة بهذا المقدار . حتى انها لما صدمت اسوار المدينة بشدة ازدحامها . قد هدمت منها جانبًا كبيرًا . الامر الذي من اجله طفقت عساكر الفرس تصرخ بالفرح والتهليل كانها ملكت المدينة غير انهم ابقوا هجمتهم في الدخول اليها لحد اليوم الثاني . الذي فيه كان يمكنهم الاجتياز في الطرقات بعد ان يكون نضب الما منها * فبعد ان استطاعوا على الدنو من المدينة ليدخلوا اليها . قد شاهدوا سورًا جديدًا قد عمره سكان نصيبين في الوقت الذي فيه كان اسقفهم القديس يعقوب في الكنيسة يتوسل لله من اجل مساعدتهم في هذا العمل الذي اكملوه بنوع عجيب * فلما لم يمكن للعساكر الاجتياز الى ما قدام . بل رجعوا الى الورا واخبروا ملكهم سابور بذلك . قد اخذه التعجب من حادثٍ غريب هذه الصفة صفته . ومن ثم تقدم بذاته ليشاهد السور الجديد . الا انه امتلا

انذهالاً اعظم وعجباً اسمى حينما نظر فوق هذا السور واقفاً رجلاً مهاباً جليلاً متردياً باثواب وتاج ملوكية يلمع باشراق طلعته . وظهر في عينيه كانه الملك قسطانسوس . واذ شرع جماعته يوكدون له بان قسطانسوس لم يكن في مدينة نصيبين . فهو بهذا المقدار احتسب كلامهم كاذبا . حتى انه اخذ يتبهرهم بصراخ محققا لهم بانه شاهده بعينيه على السور واقفاً * ولكن لما ثبت لديه حقيقةً ان قسطانسوس كان وقتيذٍ في مدينة انطاكية فهنا عرف ان ما راه انما كان منظراً سماويا به اله المسيحيين كان يحامي عنهم *

سادساً غير ان هذا الملك الضال سابور عوضا عن ان يعترف بعظمة سلطان رب الجيوش الذي كان يحامي عن الملك الروماني وهكذا يرجع عن مقاصده الردية . فقد استوعب رجزاً ضده تعالى واخذ سهما ورمى بها في الجو نحو المكان الذي شاهد الرويا . زاعماً بحماقته ان ينتقم منه عزَّ وجلَّ * وثم اغتصب عساكره علي الهجمة ضد المدينة بقوة عنيفة . ولكن عنايته ذهبت باطلاً ودوام الحصار مدة سبع جمع اخر كاملة بها لم يترك من جهده جهداً . لم يفده سوى مضايقة اهل المدينة داخلاً من قلة الذخيرة . الامر الذي حرك القديس افرام الشماس الي ان يتوسل لدى راعيه القديس يعقوب في ان يلعن عساكر سابور ليرفع الحصار والضيم عن شعب نصيبين * فالاسقف البار لم يشا ان يطلب الابادة لعددٍ هكذا عظيم من العساكر . بل انه التجا الي المراحم الالهية متوسلاً اليها في ان تتراف على شعبه بخلاصه بطريقةٍ تشاها من الشدة التي حصل عليها من قبل حصارٍ هكذا مديد وشديد * ثم بعد ذلك صعد الى اعلى احد الابراج . واذ تامل الكمية العظيمة من الخيل والافيال المحيطة باسوار المدينة . قد طلب الى الله ان يرسل ضد طغماتٍ بهذا المقدار عديدة من العساكر سحابةً من البرغش * فمعا انتهى القديس من توسله في طلب ذلك . واذا بسحايب من البرغش جاءت في معسكر سابور حتي غطت وجه السما * ثم استحوذت على الخيل داخلةً في اذانها وانافها وعلى الافيال في براطيمها واذانها . وهكذا هذه وتلك قد شمصت برجزٍ شديد . فوثبت على العساكر مبددةً وطفرت الى ههنا وهناك بغضبٍ مخيف كما ان البرغش نفسه وثب على باقي العساكر الذين لم تبددهم الخيول والافيال فالزمهم بالهرب يدوس احدهم الاخر كالجبانين ليس باقل من الخيل الشامصة * وعلى هذه الصورة تبدد المعسكر . واضطر سابور لان يقر بسمو سلطة ملك السموات المحامي

عن المسيحيين * فانثنى راجعا الى كرسي مملكته . وهكذا فاز سكان نصيبين بالنجاة والراحة من بعد اضامة كلية * فهذه الاعمال العجيبة قد حررها في التاريخ الكنايسي بتدقيق ليس ثاودوريطوس العظيم فقط . بل المورخ فيلوسطورجيوس ايضاً * الذي اذ كان من حزب الارانقة الاريوسيين . وبالتالي من باغضي القديس يعقوب . فشهادته بهذه الحوادث هي اكثر ثباتا لها ولوفر تحقيقا اذ انها شهادة الخصم في صالح خصمه *

سابعا واما الزمن الذي عاش فيه القديس يعقوب بعد ذلك فيظن انه كان وجيزاً . ولما رقد بالرب مملوءاً من القداسة والاعمال الصالحة . فالملك قسطانسوس ضدّا للعادة التي بموجبها جميع اجساد الموتى تُدفن في المقابر والكمتبرات خارج المدن . قد حتم بان جسم هذا القديس يُلحد بكرامة ضمن مدينة نصيبين عينها حتي كما انه كان محاميا في مدة حياته فهكذا يكون حافظا اياها بواسطة ذخاير جسده بعد موته ايضا * فهذا الحتم الملوكي قد كمل فعلاً . ومن ثم سكان المدينة المذكورة كرموا ضريح راعيهم القديس باحترام ثقوي . وكان جسمه لديهم كذخيرة تسمو على كل ثمن الكنوز جميعها *

فنوع خروج القديس يعقوب منذ شبوبيته من بين الناس وسكناه في الوحدة في روس الجبال ليهرب من روح العالم الشرير يعلمنا كم يجب علينا ان نحذر من هذا العدو اي العالم . ونرهب من خداعاته التي بها يجتذبنا الى الغرور في محبة الذات والاجتهاد في اكتساب الكرامات والجاه . وان نستلذ في حب المجد الباطل . وان نكون معتبرين في اعين الناس * كما ان نموذج هذا البار يحرضنا علي اتباع روح الله الذى يجعلنا ان نحب الحيوة الخفية عن البشر والمهملة من اهل العالم كي نعيش لله فقط . ساعين في اكتساب رضوانه تعالى وفي امر خلاصنا الابدي لاغير * فروح الله هذا يعلمنا ايضا الانخاف من الناس الذين لاقوة لهم ولا امكانية على ان يصيروا ان تسقط شعرة واحدة من روسنا بغير ارادته عزّ وجلّ . كما يحقق لنا ذلك مخلصنا في انجيله المقدس (لوقاص ٢١ ع ١٨) . بل ان نخاف من الله وحده الذى هو مولى مطلق على جميع الكاينات . وان نلتجي اليه ونحسن اتكالنا عليه * اذ انه قادر على كل شي . وبيده نسمة كل احد . وبالتالي حينما يشا ان يظهر سمو قدرته فوقتيذ يمكنه ان يستخدم اضعف خلايقه الذي هو البرغش لان يبدد به قدرة عظما العالم ويطش ملوك الارض المتنخبن بالكبريا والجبروت . حسبما استعمل ذلك بنوع

يشابه هذا مع فرعون في مصر بواسطة صفيه موسى * لانه تعالى من عادته ان يستخدم في انتقامه من الناس المستكبرين ومن الذين يستندون على مجرد قوتهم الوسايط الاكثر دناءة ليخذل كبرياهم ويعرفهم ضعفهم . مجدا ذراعه العزيزة الضابطة الكل *

* اليوم الثاني والعشرون *

* وفيه تذكار القديس الشهيد في الكهنة باسيليوس قس كنيسة انكرة *

اولاً انه كان في مدينة انكرة في اقليم غلاطية كاهن قديس يدعى باسيليوس . الذي حامى عن الوهية الكلمة الازلى ضد الارائقة الاريوسيين في زمن تملك قسطنطين ثم قسطانسوس بنوع شهير وبشجاعة غير مغلوبة . الامر الذي حرك ضده شدة بغض هولا الارائقة الذين ليس فقط منعوه عن ان يجمع الكاثوليكيين ويباشر نحوهم واجبات درجته بل ايضا قدموا ضده شكايات للملك قسطانسوس مصورينه لديه كانه رجل مسجس الهدو العام غشاش مضل * فهذا الملك اذ كان وقتيذ متعربساً من قبل محاربته للفرس ما اعطى التفاتا لهذه الشكايات . وعلى هذه الصورة من حيث ان القديس المذكور استمر مباشراً عنايته بالمحاماة بغيرة عن الايمان النيقاوي قد جذب عدداً وافراً من الضالين الى حضن الكنيسة الجامعة * ثم لما ان الملك يوليانوس العاصي خلف قسطانسوس في التخت الملوكي واشهر ذاته متمسكاً بالكفر الوثني بعد نكرانه الايمان بالمسيح وطفق يضاد المسيحيين ويحتال بانواع كثيرة في جذبهم لضلاله . مبرزاً اوامر مختلفة في هذا الشان فالقس البار باسيليوس المذكور جعل يقاوم تلك الاوامر وينذر بضدها من دون خشية . جايلاً في مدينة انكرة وفي باقي الامكنة المحيطة بها الخاصة بهذه الابرشية مشجعاً المومنين على الثبات الفاقد التقلقل في ديانتهم . وبان يطرحوا عنهم الخوف من تهديدات الملك الكافر ويحتقروا مواعيده العظيمة . موكداً لهم ان دوام ملكه كان قصيراً جداً * فلهذا امتلأ الوثنيون من القديس كيداً وبغضاً ليس باقل مما كان قبلا الاريوسيون يكرهونه كالموت *

ثانياً ومن حيث ان هذا الكاهن الغيور لم يكن يخشى من جميع الاضرار التي يمكن للبشر ان تجلبها عليه حتى ولا من الموت عينه في تتميم واجبات خدمته ليسوع المسيح ولجسده السري فمن ثم اذ كان يوماً ما جايزاً في المدينة وراى عبدة الاوثان يحتفلون بطقوس ديانتهم الكاذبة . قد وقف متفرسا فيهم . وتنفس الصعداء متنهداً . وتوسل لله بحرارة وبصوت

عالٍ في انه تعالى يخذل اوليك الضاليين اعدا الحق . وبالاً يسمح باحدٍ من المسيحيين ان يطغى من غشوشهم ويعود منكود الحظ نظيرهم * فالوثنيون قد احتموا غضبا منه . واحدهم المدعو مكاريوس وثب عليهِ ومسكهُ باهانةٍ قايلاً له : « ومن انت حتي انك تجول في « الامكنة وتبلبل عقول الشعوب . جاذبًا اياهم عن اتباعهم عبادة الهة المملكة . التي بكل « مدح وثنا قد اثبتها سعادة الملك » * فاجاب القديس وقال له : « اني لست انا بل اله « السما هو الذي بقوته الغير المنظورة يهدم مذهبكم الكاذب جميعه » * فمن قبل هذا الجواب قد احتدت ارواح عبدة الاوثان . فقبضوا على هذا البار . واتوا بهِ امام والي الاقليم ساطورنينوس قايلين له : « هوذا الرجل الذي يقلب المدينة ويخدع الشعب . وقد اتصل « الى هذا الحد من الجسارة حتى انه اكرز مشتهرًا بتعليم ردي . متهددًا بان يهدم مذابح « الهتنا . ومجدفا مفتريا على شخص الملك » * فالوالي ساله هكذا قايلاً : « ومن انت ياهذا « حتى انك تظهر في اعمالك سلطةً واعمالاً هذه صفتها » * فاجاب القديس وقال له : « انني مسيحيٌ انا . وهذا هو الشي الذي انا افتخر بهِ فوق كل الاشيا » * فقال الوالي : « ان « كنت مسيحيا انت فلماذا لا تصنع ما يجب على المسيحي عمله » * فاجابه البار : « اي نعم « ان الحق بيدك . ان المسيحي يلزمه ان يظهر مسيحيا في اعماله كلها امام العالم جميعه » * ثم قال له المغتصب : « لماذا انت تقلب المدينة مطغيًا شعوبها . وتشتم شخص الملك مصورًا « اياه بانه متعدٍ على الشرايع الاكثر عدالةً » * اجابه القديس : « انه نظرًا اليَّ فانا لا اشتم « الملك ولا ديانته . لكن يوجد في السما ربٌ مطلقٌ وهو الاله الذي سجد له عظماونا « وعبدوه بقلبٍ نقي وهو الذي يعترف بهِ المومنون انهُ الاله الواحد الذي لا شريك لهُ ولا « شبيه . فهو هو الذي يستطيع في لحظة واحدة ان يردّ الى العدم مبيدًا دياناتكم الكاذبة » * فحينيذٍ الوالي سال القديس عما يمكنه ان يقول ضد مذهب الملك . فاخذ القديس يورد له ذلك * غير ان المغتصب قاطع عليهِ الكلام قايلاً له : « لا يلزم ان تحدث كثيرًا . هنا « يقتضي ان تطيع الملك » * فاجابه الشهيد : « انني دايما لحد الان قد اطعت ملك « السموات . واومل ان اثبت امينا في طاعته بالمستقبل ايضا » * فقال له الوالي : « عن « اي ملك سماواتٍ انت تتكلم » * اجابه القديس : « عن ذاك الذي هو ساكن في السموات « ويشاهد الاشيا باسرها . على ان الملك الذي انت سميته مراتٍ عديدة . فهذا انما يتامر

« ويسطو ههنا في الارض فقط . وهو انسان نظير باقي البشر وعن قريب هو مزمع ان يسقط
« في يدي الملك العظيم » *

ثالثاً فهذه الاجوبة قد حركت غيظ الوالي جداً . ولهذا حتم بان باسيليوس يُعلَّق في الهوا ويُمزَّق جلد خاصرتيهِ * اما القديس ففيما بين هذه العذابات التي كان يتكبدها لم يفتر من ان يشكر الله على ما انعم بهِ عليهِ بالسلوك في سبيل الحيوة الابدية بواسطة الالام واذ سال المغتصب الشهيد ان كان الملك يعرف ان يوديب من لايطيعه ام لا . وان كان هواي باسيليوس يخضع له ام لا . فاجابه القديس قايلاً : « انني لقد وضعت رجائي كله في
« من هو الملك الحقيقي . ولا يمكن ان يوجد شي من الاشيا يقدر ان يغير عزمي » * ثم ان الوالي حينما لاحظ ان الجلادين قد كلوا من التعب . وبضد ذلك الشهيد كان يزداد قوةً بمقدار ازدياد عذابه . قد امر بالانكفاف عن التعذيب وباخذ الشهيد الى السجن * فلما كان خدام الشريعة اخذين القديس الى الحبس لقيهِ رجل ذو سيرةٍ ردية يدعى فيليكوس فهذا اخذ يقدم له المشورة بان يطيع الملك لينجو من القصاص المعد لعصاوته عليه * اما باسيليوس فاجابه قايلاً : « اذهب من هنا ايها الانسان الدنس الشقي . فانت لاتعلم ولا
« تستحق حقيقة مواعيد الله . لانك اذ كنت في الحال التي انت حاصلٌ عليها متسكعاً
« في الظلام العقلي . فكيف يمكنك ان تعرف الحق وتفهمه » قال هذا ثم دخل الى السجن بشجاعةٍ *

رابعاً فالوالي اخبر الملك يوليانوس العاصي بجميع ما تم في قضية باسيليوس الشهيد * وكان الملك وقتيذٍ في مدينة باسينونته محتفلاً بتكريم الصنمة جيبلا المعتقد بها من الوثنيين العمي انها ام الالهة كافةً * فلسماع يوليانوس عن القديس باسيليوس انه ذو صيت شايع وعلوم ذايعة واعتبارات سامية . قد رغب جداً في اكتسابه الى ضلاله . لعلمه ان نموذجه يجذب كثيرين الى الاقتدا به فمن ثم ارسل اليه البيديوس وباغاسيوس الجاحدي الايمان . وهذان اخذا صحبتهما من مدينة نيكوميدية اسكلابيوس كاهن الصنم اسكولابيوس وذهبوا الى انكرة فمضى باغاسيوس الى السجن . وسلم على القديس بكل عذوبةٍ تبعاً لارشاد الملك اياه اما الشهيد فاجابه قايلاً : « ياخاين الحق . لماذا رفضت خلاصك الابدي .
« وكيف بعد انك اغتسلت بحميم المعمودية رجعت لتتمرغ في حماة عبادة الاوثان .

« وباي نوع امكنك بعد ان اغتذيت بالاسرار الالهية ان تتكي الان على مايدة الشياطين « فكنت وقتًا ما معلما للحقايق الدينيَّة والان اضحيت محتالا في خداع الابرار واجذابهم الى الضلال « كنت تحتفل بالاعياد المقدسة مع القديسين والان تجندت لخدمة ساطانايل « وتقدمت فيما بين روسا المراسح الدنسة . اهكذا انت اذا آيست من رجا الخلاص . وحصلت « معدوما كنز نفسك الذي لاثمن له » * قال هذا واتجه نحو الله هاتفا : « فلتكن مجدًا « يارب . لانك اظهرت ذاتك لمن يطلبك . وانرت من يريد ان يعرفك ويقر بالوهيتك « فانت اوعب مجدًا لمن يضع فيك رجاه واملِ خزيًا لمن يبغض اوامرك . ثم ارتضِ ايها « الاله العلي بان تحفظ نفسي من مقنص الشيطان . لكي انجو من فخ اعدا البر والعدل . « وافلت من ايديهم وانتصر على من يتهددني *

خامسًا فباغاسيوس عند ما سمع هذا الكلام خرج مستوعبًا خزيًا . واخبر البيديوس واسكلابيوس بذلك . وطلبوا جلةً من الوالي احضار باسيليوس الى الفحص ليروا ان كان يمكنهم اجتذابه قبل حضور الملك الى هناك فالوالي تم التماسهم * فلما مثِّل امامهُ الشهيد . رسم ذاته باشارة الصليب المقدس قايلاً للمغتصب : « اصنع بي كل ما يرضيك » فالوالي صير الجلادين ان يبطحوه على المنخت . ويضربوه جلدًا شديدًا جدًا * واذ فعلوا ذلك . فالقديس فيما بين تلك العذابات التفت نحو الوالي وقال له : « انك تقدر ان تصنع ايها المنافق كل ما يمكنك فعله . ولكن لاانت ولا مشيروك لاتستطيعون ان تجعلوني « ان اغير اعتقادي . وذلك لان المسيح هو معي وهو يعينني » * فحينيذٍ الوالي آمر بان يُقيد الشهيد بالسلاسل الحديديه الثقيلة في عنقه ويديهِ ورجليهِ . ويوخذ الى الحبس . ويطرح فيهِ الى ان يكون اتى الى انكرة الملك نفسه *

سادسًا واذ دخل الى انكرة يوليانوس العاصي في اليوم المقبل والبيديوس اعرض لديه كل ما حدث مع باسيليوس . قد امر حالاً باحضاره امام دار سكناه * فلما مثِّل لديه القديس بوجهٍ باش . ساله يوليانوس عن اسمه * فاجابه القديس : « انني أُدعي مسيحيا . « واسم المسيح هو ابدي ليعلو على كل فكرٍ بشري . فمسيحي اذًا هو اسمي الاول » * ثم انه يوجد لي اسم اخر معروفٌ انا به من الجميع وهو باسيليوس . فالان ان كنت انا بهذا المقدار « سعيدًا بحفظي اسمي طاهرًا من غير دنس فساقتبل من يسوع المسيح في يوم الدين مكافاةً

« عن ذلك مجداً غير فاسدٍ وعديم الاضمحلال » . فقال له الملك : « مهلاً . لا تغش نفسك
« لاني قد فهمت ديانتك انك تعتقد بذاك الذي أُميت في عهد بيلاطوس البنطي » *
فاجاب القديس وقال له : « اي نعم انني لا اغش نفسي ايها الملك . ولكن انت تغش
« نفسك . لانك بواسطة جحودك ايمان المسيح رفضت ملكوت السماوات . فنظراً الي
« فانا اومن بسيدي يسوع المسيح الذي انت نكرته وجحدته . في الوقت الذي فيه قد رفعك
« تعالى الى تخت الملك . الذي عن قريب مزمع عزَّ وجلَّ ان ينتزعك عنه لكي
« تعرف عظمة جبروت هذا الاله الذي اهنته » * فقال له الملك انك انت تخط ايها
« المجنون . فلا يكون ما تريده اصلاً » * فاجابه القديس قايلاً : « انك ما عدت تفتكر
« فيما كنت موعوداً به من المكافاة . ولم تعتبر مكرما ذاك المذبح الذي منه اقتبلت سر
« الخلاص * ومن ثم فيسوع المسيح ملك الملوك الاعظم ما عاد يفتكر بك ولا يعرفك .
« بل سيخلع عنك سلطان الولاية التي انت الان حاصل عليها . وسيجعل نفسك ان تخرج
« من جسدك فيما بين الاوجاع الشديدة . وسيبقي جسدك مطروحا على الارض من دون
« ان يدفن » *

سابعاً فهذه الحرية المقدسة في الكلام مع الملك صيرته ان يمتلي غضبا . ولذلك قال للشهيد : انني كنت افتكر ايها الشقي بان اطلقك حيا . ولكن من حيث انك اظهرت « ذاتك اكثر من مرة واحدة انك لا توقرني . حتى اتصلت الي ان تفترى عليَّ وتحتقر « مشوراتي . فلهذا انا آمر بان يجرد من لحمانك في كل يوم سبع قطع جزئية رويداً رويداً » * قال هذا . ثم فوض الكونته فرومانتيوس ان يضع هذه الحكومة بالعمل فالكونته المذكور قد تم الامر بكل تدقيق . كما ان الشهيد قد احتمل هذا العذاب الخارج عن الانسانية والمخترع من الشيطان بصبرٍ غير مغلوب . حتي ان جسمه كله عاد مجرداً من اللحم * فاخيراً طلب الشهيد من فرومانتيوس ان يواجهه بالملك . فهذا الكونته ظن بان الشهيد غلب من العذابات واعتمد على ان يقرب الضحية للاصنام * ولهذا ذهب وشكا الى الملك فرحا واخبره بذلك ويوليانوس امر حالاً باحضار الشهيد امامه واذ مثل لديه قال له اي للملك : « اين هم كهنة الاصنام والحزارون الذين اعتيادياً يقفون حولك ويدعون بانهم « يخبرون عن الاشيا الخفية ان كانوا لم يخبروك ايها الملك بماذا انا اتيت اليك » * فاجابه

يوليانوس: «انه يمكنني ان اتصور بعقلي مقصودك. وهو اذ انك انت حكيم فطن فلا بد «ان تكون رجعت الى ذاتك وعرفت عظمة الالهة. وهكذا تريد ان تمسك معنا «بعبادتها» * فقال القديس للملك: «لا بالاحرى لكي تعرف ايها المسلط ان الهتك هي «كلاشي. وليست شيا اخر الا صور صم عمي تقود الى الجحيم اوليك الذين يعتقدون «بها» قال هذا واخذ بيده قطعة من جملة قطع اللحم التي كانوا جردوها من جسده والقاها في وجه الملك قايلاً له: «خذ هذه يايوليانوس فكلها. لانها من المواكيل اللذيذة المحبوبة * «فالموت نظرًا اليّ هو ربح لي. ويسوع المسيح هو حياتي ورجاي. وبه اومن ولاجل حبه «انا احتمل العذابات» *

ثامنًا فهذا المجد الذي اكتسبه القديس باسيليوس الشهيد باعترافه هذا المجيد وبشجاعته وحربته المقدستين. فبمقدار ما انه اثمر في قلوب المومنين الفرح والتعزية والثبات والتوطيد في الايمان. فبا كثر من ذلك قد اشعل قلب يوليانوس بالبغضة والرجز * كما ان الكونته فرومانتيوس قد امتلا خزيًا وخجلاً وخوفًا معًا من الملك الذي غضب عليه لكونه من قبل رعانته وسرعة ظنه بان الشهيد غلب قد سبب حضوره امام يوليانوس وجعله سخرية للشهيد ولكل المسيحيين ولذلك اخذ فرومانتيوس يشفي غليل غضبه في القديس الشهيد بتجريد لحمان جسده بقساوة حتى انه ظهرت ليس عظامه فقط بل احشاوه ايضًا * فهذا الشهيد فيما بين هذه العذابات الفايقة اوصاف شدتها. صنع هذه الصلوة نحو الله بوجه باش وطلعة هادية منيرة قايلاً: «فلتكن مباركًا ايها الرب الاله. يارجا «المسيحيين الوحيد المعطي القوة للضعفا. والمنهض الواقعين. والمنقذ المتكلين عليك من «الفساد. والشافي جراحاتنا كلها. لانك رحوم وشفوق وراوف ومملو من الحنو «والانعطاف. فانظر اليّ من علو كرسي مجدك واعطني النعمة التي بواسطتها استطيع ان «اتم جهادي هذا. حتى اذا ما ثابرت على حفظ ايمان اباي الى المنتهى فاكون مستحقًا نوال «ملكك السرمدي العديم ان يفنى» * ثم بعد هذه العذابات قد أُخذ الشهيد جديدًا الى السجن *

تاسعًا فالملك في اليوم الثاني سافر من انكرة تابعًا طريقه بالذهاب الى انطاكية. ولكن من دون ان يسمح للكونته فرومانتيوس بمواجهته * ولذلك اشتد رجزه ضد

الشهيد . فاحضره امامه وقال له : ايها الانسان الفاقد العقل اكثر من كل البشر . اتشا بعد هذا جميعه ان تخضع للملك ام لا . وهل تريد ان تطيع وهكذا تبقى حيًا ام بالضد تصرّ على عنادك وتموت فيما بين هذه الاوجاع والعذابات الاخر موتًا شنيعًا ، * فاجابه القديس قايلاً : اما تفكر الى اية حالٍ اوصلت جسدي في اليوم البارح . بنوع انه كان بوجب هطل الدموع من اعين جميع الذين شاهدوني أُعذَّب بقساوةٍ بربرية خارجة عن الانسانية ما قد عذبتني به . وهوذا اني الان موجود امامك صحيح الجسد شديد القوى . لانه بهذا سرّ وارتضى سيدي يسوع المسيح بان أُشفى من جراحاتي . فاخبر ملكك يولبانوس البربري بمقدار عظمة سلطان الاله الذي هو رفضه لكي يسلم ذاته في يدي الشيطان . ولكن الله قد رذله وسبهمله ان يموت في ضلاله ، * فقال له فرومانتيوس : ان هذه هي عوايد جنونك ايها الخسيف العقل . فان كنت لاترتضي بان تضحي للالهة بموجب الاوامر المعطاة ضدك . فانا اصير الجلادين ان يخزوا جسدك كله بمناخز حديد محماة بالنار الى ان تنفذ في احشايك ، * فاجابه الشهيد قايلاً : انه ان كانت تهديدات الملك اياي ما اخافتني ولا ازعجتني . كما انك انت تشهد بذلك لانك كنت حاضرًا . فاذًا من المعلوم ان تهديداتك انت لاافتكر بها ، *

عاشرًا فلما شاهد فرومانتيوس ان توعدات التهديد لاتوثر خوفا في الشهيد قد صير ان تُحمي اسياخ الحديد وتُغرس في سرسبة ظهر القديس . الذي حينما كان يُعذَّب بهذا النوع هتف مصليًا بصوتٍ عالٍ هكذا : انني اشكرك ايها الرب . يامينا السلام الذي بك يجد الراحة والامان اوليك الذين من اجلك يتكبدون عواصف الالام وامواج المحن . ايها السيد اله اباي انني اسبحك وامدحك لانك انقذت نفسي من الجحيم . فاحفظ فيَّ اسمك طاهرًا بريًا من العيب لكي انتصر على اوجاعي . وهكذا اذ اكمل بنهايةٍ سعيدة ميدان محاربتي فامنحني ان اكون وريثًا للراحة الابدية . وذلك بموجب المواعيد التي وعد بها اباى حبر الاحبار العظيم سيدنا يسوع المسيح . الذى اتوسل اليك باسمه ان تقتبل بسلامٍ نفسي التي ثبتت الى الغاية معترفةً باسمك القدوس . لانك انت غني بالرحمة والرافة انت الذى تدوم وتحيى الى ابد الابدين امين ، *

فلما انتهى الشهيد من صلاته هذه اشتمله رقادٌ عذبٌ فيما بين تلك العذابات . وهكذا

اسلم روحه المقدسة بيدى الله في اليوم الثامن والعشرين من شهر حزيران سنة ٢٦٢. ولين كانت الكنيسة الجامعة شرقا وغربا تصنع تذكاره المجيد في اليوم الحاضر اى في ٢٢ ادار *

فالاسم الذى افتخر به هذا القديس امام الملك المغتصب هو الاسم المسيحي . ولكن لكي يستطيع كل مومن ان يفتخر بهذا الاسم يلزمه كما قال الشهيد عينه ان المسيحي يظهر ذاته مسيحيا في جميع اعماله * فلا نضع اذًا رجانا وافتخارنا في مجرد هذا الاسم الذي في ذاته هو جليل وكلي الشرف . بل فلنفحص ان كانت اعمالنا مطابقة له * فالويل لنا ان كانت افعالنا مضادة هذا الاسم اى مضادة تعليم المسيح ومكذبة ايماننا . لانه لا يفيدنا اصلاً مجرد اسمنا اننا تابعوا المسيح . كما لم يفد العبرانيين مجرد تسميتهم اولاد ابراهيم بالجسد . وذلك لانهم لم يقتدوا باعماله * ومن ثم قال لهم يسوع : ان كنتم بني ابراهيم فاصنعوا اعمال ابراهيم ، (يوحنا ص ٨ ع ٣٩) *

* اليوم الثالث والعشرون *

* وفيه تذكار الشهيد في الابرار نيكونوس وتلاميذه المايتين المستشهدين معه *

اولاً انه ولين لم يكن يعرف بتاكيد الزمن الذى فيه قد ولد القديس نيكونوس . فمع ذلك لا يرتاب في انه كان احد الرجال الابرار الشايعي الذكر في الكنيسة الجامعة فيما بين شهدايها . الذين في مدة ثلثة اجيالها الاولى قد اثبتوا حقايق ايمانها بسفك دمايهم الزكية فكان مولد هذا البار في مقاطعة مدينة ناوبوليس (اى نابلس) . فوالده كان رجلاً وثنيا . واما والدته فكانت مسيحية * فلما بلغ الى سن الشبوبية دخل في الخدمة الجندية فيما بين عساكر الرومانيين . وكان يعرف جيدًا ان معتقد والدته كان معتقد المسيحيين الذين يعبدون الها واحدًا فقط . وليس كمعتقد والده في كثرة الالهة . ولكن مع ذلك لم يكن بعد رفض مذهب ابيه *

ثانيًا فيوما ما اذ حصل نيكونوس في خطرٍ كلي لفقد حياته في احدى معارك الحرب المهولة . فحينيذٍ تنفس الصعداء متنهدًا . وهتف من كل قلبه قايلاً : ياسيدى يسوع المسيح اله امي اعني * وعلى الفور شعر بذاته متقويا بنوع فايق الطبيعة . وامكنه بكل سهولةٍ ان ينجو من ذلك الخطر المبين ويفوز بحفظ حياته * فلما رجع من الحرب واخبر والدته بهذا

الحادث مومنا بالمسيح . قد ظهر له ملاك واخذه صحبته مقيدًا اياه الى جبل غانوس . حيث كانت توجد مغارة وضمنها رجل اسقف قديس ملتجيًا . واذ اوصله الى هناك غاب عنه * فذاك الاسقف قد ارشده في واجبات الديانة ومنحه سر اعادة الكون معدًا اياه . وابقاه عنده مع اوليك النساك الذين كانوا يعيشون معه وتحت تدبيره في ذلك الجبل بسيرة ملبكية *

ثالثًا فبعد مدة عشر سنوات حينما راى ذاك الاسقف القديس ان نيكونوس نجح جدًا في السيرة الرهبانية . وتقدم كثيرًا في طريق الكمال الانجيلي . قد كرسه بالدرجات المقدسة . ثم رسمه اسقفًا بدلاً منه على تلك الجمية التي كان عددها حينيذٍ مايةً وتسعة وتسعين راهبا . مقيما اياه عليهم ريسا * فالبار نيكونوس تمم واجبات هذه الدرجة والوظيفة بكل تلك الصفات المطلوبة في شخص اب روحي ومرشد ومعلم ومدبر وريس بغيرةٍ ونشاط . مقيدًا تلاميذه ومروءوسيهِ هولا بنموذجات فضايله وقداسة سيرته . ليس باقل افادةٍ من مواعظه ونصايحه وتعاليمه . مواظبا معهم على الصلوات والتاملات والاعمال الخدمية ثم على الامانات وصرامة النسك واخضاع الجسد للروح والارادة للعقل *

رابعًا فلما بلغ هذا القديس الى السنين الاخيرة من حياته . وعرف بواسطة رويا سماوية ان الجبل الذي هم مقيمون فيه كان مزمعا عن قربٍ ان يداس من الامم الغريبة ويصير تحت استيلا الوثنيين . قد اخذ رهبانه ومضى بهم الي ميتيلينه * ثم انطلق معهم من هناك الي بلاد ايطاليا . حيث صادف والدته حيةً ملتجيةً هناك الامر الذي عزّى الجهتين . ولكن والدته بعد مدة وجيزة رقدت بالرب . وهو احتفل بواجبات دفنها * ثم انه ذهب في اثنا ذلك مع تلاميذه الى جبل تورمانيوس . وقطنوا هناك التجاء من زوبعة الاضطهاد التي كانت وقتيذٍ ثايرةً ضد المسيحيين * غيران والي الاقليم كرنيتسيانوس عرف امرهم وارسل جنوده اليهم . حاثما بقتلهم ان لم ينكروا المسيح * فلما بلغت الجنود اليهم وسمعوا منهم اقرارهم بالايمان المسيحي خلوًا من خوف . قطعوا روسهم جميعا . وهكذا القديس نيكونوس مع تلاميذه المايةِ والتسعة والتسعين قد فازوا باكلة الشهادة *

فالعلة الاخص لجميع الخيرات الروحية والنعم الالهية التي فاز بها القديس نيكونوس كانت استغاثته في وقت ضيقته باسم يسوع المسيح اله امه . مع انه لم يكن وقتيذٍ مصطبغًا

باسمه تعالى * فهذا النموذج يعلمنا كيف يجب علينا ان نستغيث بالاسم المذكور المثلث القداسة . الذي تجثو له كل ركبة من السماويين والارضيين والذين تحت الثرى . وان نطلب من الاب الازلي بهذا الاسم المجيد كل ما نحتاج اليه من النعم الروحية والزمنية ايضاً الملايمة لخلاصنا . متذكرين وعده الالهي الصادق بان كل شي نلتمسه من ابيه القدوس باسمه ننا له خلواً من ريب * فليكن اذاً اسم يسوع في افواهنا بالاحترام وحسن العبادة المحققة له . ولنستغث به في حين التجارب لاسيما المضادة العفة . وليكن هو سلاحنا العظيم ضد اعدائنا خاصةً في ساعة موتنا *

* اليوم الرابع والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار زخريا *

اولاً ان سيرة حيوة القديس زخريا الناسك هي من جملة تلك الاشيا المفقودة من التاريخ الكنايسي . اما لاجل انه ما وجد احد في ازمنته دونها خطاً بل قد عرفت بالتقليد ثم اضمحلت . واما لاجل انها بعد تحريرها قد فقدت فنظراً الى الابا النساك الذين وجدوا بهذا الاسم زخريا فيما بين تلاميذ الانباوات الابرار موسى وسلوانس وسرابيونه وغيرهم فهم كثيرون بالعدد . ولكن من حيث ان الزمان والمكان اللذين وُجد فيهما القديس زخريا المعين تذكاره في اليوم الحاضر هما غير معروفين فمن ثم لايمكن ان يُعرف بتاكيد اي زخريا من هولا هو هذا البار *

ثانياً بل ان الابا المعظمين موافي المجموع البولانديستي . بعد فحصهم الجهيد عن سيرة حياته . ما امكنهم ان يجدوا عنه شيأ اخر عند جميع الكتبة الكنايسيين سوى ما ياتي ذكره وهو اولاً كلمات مديح وتقريظات عمومية مدونة عنه في بعض المينولوجيونات القديمة جداً تحت اليوم الحاضر وكذلك في اعمال مكسيموس جناريوس اذ يقال : انه في مثل هذا اليوم قد رُقد بالرب بسلام القديس زخريا الناسك * ثانياً انه صودف محرراً في سنكسار مدينة طورين الذي هو خط يد قديم جداً كان مختصاً بمكتبة الدوكاده ساباوديا هكذا : انه في هذا اليوم يكمل تذكار ابينا القديس زخريا الراهب الذي حبس ذاته في قلاية وداخلها خدم الله وعبده بثبات دايم * ثالثاً انه قد وجدت مدونة عنه يونانيا ولاتينيا هذه الطروبارية في خدمة القداس المختصة باليوم الحاضر وهي : لقد صرت ايها الاب زخريا بالقوة

الالهية وبناء بيد الاله اياك شبيها بالله في الارض حيا . والان انت شريك لحيوة الله في السماوات *

ثالثاً فلتكن اذاً لدينا كافية في تكريمنا هذا القديس ليس فقط شهادة الكنيسة الجامعة التي كرمته في كل انٍ وابنٍ تكرمة قديس جليل وناسك عظيم . بل ايضاً الالفاظ السامية المديح التي حفظتها عنه القدمية مما اشرنا اليه . وهي ان هذا البار حبس ذاته في قلاية وضمنها خدم الله وعبده بثبات دايم . وانه بالقوة الالهية وبناء بيد الاله اياه صار شبيها بالله في حياته على الارض والان هو شريك لحيوة الله في السموات *

ولقايلٍ ان يقول كيف يمكن للانسان ان يعيش على الارض شبيهاً بالله . فاسمع المرتل ماذا يقول عن الابرار خلان الله : انا قلت انكم الهة وبنوا العلي كلكم : * والرسول الالهي يقول نحو جميعنا : تشبهوا بي كما انا تشبهت بالمسيح : * بل ان الحق بالذات قال نحونا كافةً : كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كاملٌ هو : * كونوا قديسين كما اني قدوس انا يقول الرب * فاذاً ليس ممكناً فقط هو لدينا بناء بيد النعمة الالهية ان نكون شبيهين بالله على الارض بل لملتزمون ايضاً بذلك كامر الله نفسه بان نكون كاملين قديسين نظيره تعالى بحسبما هي قابليتنا لهذا التشبه بمعونة الله ايانا . اي بان نعيش في حال البر والقداسة . ويومياً نتقدم في طريق الكمال كلٌ منا في دعوته الخصوصية التي دعاه الله اليها . حيث اننا بالمسيح نقدر على كل شي *

* اليوم الخامس والعشرون *

* وفيه نعيد لتذكار بشارة سيدتنا والدة الاله مريم العذرا بالحبل الالهي *

اولاً انه حينما بلغ اليوم السعيد المحدود من الله ازليا لخلاص الجنس البشري . فرئيس الملايكة جبرائيل الذي كان قبل بمدة نحو خمسة اجيال قد سبق واخبر النبي دانيال عن اتيان المسيح الى العالم وعن موته . كما انه قبل بستة اشهر كان بشر كاهن العلي زخريا بمولد سابق الرب يسوع المسيح فهذا عينه قد ارسل من الله الى العذرا مريم المولودة من سبط يهوذا ومن قبيلة داود الملك القاطنة وقتيذٍ في مدينة الناصرة من اقليم الجليل ليبشرها بالحبل الالهي . في الوقت الذى فيه كانت (كما يقول القديس برنردوس) مختفيةً عن اعين البشر غايصةً في التامل العميق في الاسرار الالهية . مقدمةً ذاتها لله قربانا زكي العرف *

فدخل اليها هذا الملاك القديس بصورة انسانية مملوًا من الاحترام والوقار قايلاً نحوها: «افرحي يا ممتلية نعمةً الرب معكِ مباركةٌ انتِ في النسا» * فهذه الكلمات تحوي ما لا يمكن اصلاً ان يوجد اعظم منه مديحاً ما يمكن ان تمدح به خليقةٌ ما ناطقة اي ان تكون ممتليةً نعمةً الهية *

ثانيًا فالبتول المجيدة المالكة فيما بين الفضايل الاخر تلك الفضيلة التي جعلتها امام الله اكثر قبولاً لانتخابها اماً له. وهي فضيلة التواضع العميق الذي به كانت تعتبر ذاتها احقر الخلايق وكانها عدم: فحينما سمعت الفاظ مديح هكذا سامٍ من المبشر استحوذ عليها القلق والخوف. مضطربةً جدًا من كلامه. حتى ان الملاك اذ شاهدها في حال هذا الاضطراب قال لها: «لا تخافي يا مريم فقد ظفرتِ بنعمةٍ امام الله. وها انتِ تحبلين وتلدين ابنا وتدعين اسمه يسوع. هذا يكون عظيمًا وابن العلي يدعى. ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد. ولا يكون لملكه انقضا». اي ان يسوع بن مريم بحسبما هو ابن حقيقي لله الاب يملك على جميع شعوب الارض لا بالنوع الذي به تتسلط ملوك العالم على بعض شعوبه * على ان بيت يعقوب السري الذي هو بيعة الاله الحي هو هو مملكة ابن الله التي لن يخلفه فيها احد ابدًا. ولذلك هو تعالى وحده ذاك الذي ملك ويملك عليها خلوًا من تغيير وعديم الانقضا * فالبتول الكلية القداسة ليس كمرتابة في قول زعيم المليكة. بل كمستفهمة عن نوع حبلها وايلادها المنذر به منه قد سالته بقولها: «كيف يكون لي هذا وانا لم اعرف رجلاً» * وبذلك اوضحت بكفايةٍ دوام عزمها على حفظ بتوليتها الدايمة المنذورة منها لله * غير ان الملاك قد حلّ لها المشكل بقوله لها: «ان الروح القدس يحل فيكِ. وقوة العلي تظللكِ. ولذلك المولود منكِ يكون قدوسًا وابن الله يدعى» *

ثالثًا ثم بعد كلماته هذه اراد ان يحقق للعذرا بواسطة نموذج اخر صدق بشارته اياها بحبل عجيب بكليته. فقد اردف قوله بكلامه لها مخبرًا هكذا: «وهوذا اليصابات نسيبتكِ هي ايضًا حبلى بابنٍ على شيخوختها. وهذا الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرًا. لان ليس عند الله امرٌ ممتنع» * فحينيذٍ البتول كفت عن مراجعة الملاك. ومع ان عجب هذا الميلاد الذي هي بشرت به لم يمكن ان يدخل تحت حيز عقلٍ بشري. فمع ذلك اعتقدت

بصدق وعد الله . اذ انه تعالى قادر على كل شي * وبخضوعها التام لمشيته الالهية اجابت قايلةً للملاك . ها انا امةٌ للرب فليكن لي حسب قولك * ومن حيث ان رسول الله جبرائيل لم يكن ينتظر منها شيا اخر سوى ان توضح رضاها بقبول هذا السر . قد انصرف من عندها حالما سمع منها الجواب بالرضى * ففي تلك الدقيقة عينها قد صوَّر الروح القدس في مستودعها الكلي الطهارة من دمايها البتولية النقية ذاك الجنين مع نفسٍ انسانية ناطقة . وقد تقنم هذا الناسوت باقنوم الكلمة الازلي صايرًا انسانًا تامًا من دون انتزاحٍ عن لاهوتهِ *

رابعًا فيالها من بشارةٍ كلية السعادة للطبيعة البشرية الساقطة . ويالهُ من سرٍ فايق الادراك ذي تنازل يحتجز وصفه . به ابن الله صار ابن البشر . والطبيعة الالهية غلظت بالجسد . والذي لا بداية له ابتدأ . والذي لا تسعه السماوات والارض وُسع في مستودعٍ اعذر . وبالاجمال ان الكلمة صار لحما وسكن فينا . متخذًا منا الادنى ليهبنا الافضل * فادم اشتهى التالُّه قديمًا . ولكن خاب من امله بسقطة ردية بها اسقط معه الطبيعة الانسانية كلها في الهلاك * غير ان ابن الله صار انسانًا ليفي لعدل الله ابيهِ عن خطية العالم وبولّه ادم وذريته . فترى بماذا نكافي الرب عن كل ما اعطاناه . واي شكرٍ نقدم لجلاله الالهي عن هذه النعمة العظمى * وكيف لا تذوب قلوبنا حبًا نحو من احبنا بهذا المقدار وبذل ذاته عنا . وهل يمكننا ان ننسى فضل المحسن الينا احسانات هكذا غير محدودة او نظهر كافرين بالجميل * لانه ان كان الله بكل عدلٍ قد تشكى من شعبه الاسرايلي لاجل انه بعد ان احسن اليهم احسانات اكثرها زمنية . وهم لم يعرفوا جميله . ولذلك استدعى بواسطة نبيه اشعيا الخلايق الغير الناطقة كالسما والارض لتتذهل من انه تعالى ربَّى بنين ورفعهم وهم استهانوا بهِ * فما عساه يقوله عزَّ وجلَّ عن اوليك المسيحيين . الذين بعد ان احبهم بهذا المقدار حتى انه بذل من اجلهم ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يومن به . اذا راهم يهينونه باثامهم . متناسين انعامه هذه الكلية العظمة * فاذًا سبيلنا ان نشكر مراحمه الالهية شكرًا متصلاً . خاصةً في هذا اليوم الذي في مثله قد ابتدأ ابن الله بعمل خلاصنا . وان نحذر كل الحذر من ان نهين جلاله الالهي بخطية ما . وان نعقل جيدًا كم هو عظيم شر الخطية المميتة حتى انه لاجل الوفا الواجب لعدل الله عن جريرتها احتاج

الامر الى تجسد الكلمة الازلي واتخاذه صورة عبدٍ *

اما نظرًا الى سيدتنا مريم البتول الكلية القداسة فيلزمنا ان نفرح معها قلبيًا بالمرتبة الفايقة العظمة والسمو التي رفعها اليها الله في مثل هذا اليوم . وهي ان تكون والدة له تعالي بالجسد . وان نهني ذواتنا بحال كوننا بنين لامٍ جالسة الان عن يمين مخلصنا . سلطانة على السموات والارض . مقتدرة ان تستمد لنا منه تعالى كل ما تريده * ومن حيث انه لا توجد لديها كلمات اعزُّ واكرم واحلى من تلك التي حياها بها في مثل هذا اليوم زعيم الملايكة جبرائيل . فلنكرر دايمًا تكريمها بواسطة هذا السلام الملايكي المعتبر من الكنيسة الجامعة جدًا بعد الصلوة الربية ولكن لا تكن تلاوتنا اياه كما يتلوه الكثيرون من المسيحيين خلوًا من تانٍ واحترام ومن دون اصغا الى معانيه . لان من يتلوه هكذا بقلة عبادةٍ لا يكرم به هذه السيدة المجيدة وبالتالى لا يحركها الى الانعطاف نحوه بالرحمة كي تستمد له من ابنها النعم الضرورية لخلاصه الابدي *

* اليوم السادس والعشرون *

* وفيه يُكرم القديس جبرائيل ريس الملايكة *

اولاً ان القديس جبرائيل زعيم الاجناد السماويين يكرم في هذا اليوم بكل لياقةٍ من الكنيسة المقدسة تكرمةً خصوصية ما عدا تكريمه في اليوم الثامن من شهر تشرين الثاني . وذلك لاجل ما خصَّهُ الله به في مثل نهار امس في انه ايتمن على سر التجسد الالهي وبشر به والدة الاله الكلية القداسة * على انه بمقدار ما وُجدت هذه البشرى حاوية لكنيسة المسيح من المسرات اعظمها . ومن الافراح ابهجها . ومن التعزيات اوفرها . ومن السعادات اسماها . فبمقدار ذلك لاق بالكنيسة ان تكرم هذا المبشر الالهي والعظيم في الاجناد السماويين تكرمةً خصوصية من اجلها . شاكرة احسانه ومعترفة بفضل جميلهِ . ومتوسلةً اليهِ بان يستمد لها ولبنيها من الاله الذي شرفه بهذه الرسالة تلك النعم الضرورية لها ولهم في هذه الحيوة للبلوغ الى الخلاص الابدي في الملك الذي ليس له انقضاء *

* اليوم السابع والعشرون *

* وفيه تذكار امنا البارة مطرونة التصالونيكية *

اولاً انه ولين كان يفهم اعتياديا من صفة ام بارة الملقبة بها من كنيستنا اليونانية

القديسات اللواتي عشن في السيرة الرهبانية انها مختصة بهولاء فمع ذلك قد يعطى هذا اللقب للقديسات البتولات ولو انهن لم يكن راهبات . وتكون مفهوميته في هولا انهن عذارى غير مزوجات . كما هو معناه في القديسة مطرونة التصالونيكية التي انما كانت بتولة لا راهبة * واما مختصر سيرة حياتها فهو ان هذه البارة كانت جارية خادمة عند امراة عبرانية غنية في مدينة تصالونيكية . ولكن ليس هو معروفا ان كان ذلك حدث في اواخر الجيل الثالث او قبلا او بعدا *

ثانيا فالجارية مطرونة كانت متمسكة بالايمان المسيحي تمسكا اعتقاديا راهنا . ولان سيدتها كانت بالخلاف تبغض الديانة المسيحية . غيورة على تحفظات المذهب اليهودي . فهي اي مطرونة قد اعتادت خفية عن علم مولاتها ان تذهب يوميا الى احدى كنايس المسيحيين . وهناك تمارس واجبات عبادتها لله * غير ان هذا التصرف ما لبث دايما مجهولا من سيدتها . التي مع طول الزمن قد عرفت اخيرا ان عبدتها مطرونة هي مسيحية . ومن ثم استوعبت ضدها رجزا عبرانيا . وشرعت بشراسة بربرية تضطهدها . وتنغص عليها حياتها . مغتصبة اياها على نكران المسيح *

ثالثا فالبارة مطرونة ليس فقط لم تذعن قط لارادة سيدتها هذه النفاقية . بل ايضا كانت تزداد حرارة في عبادة المسيح وتعلقا في واجبات الايمان واعترافا به تعالى . الامر الذي عوضا عن ان يلين صلابة قلب مولاتها قد املاها كيدا * فاحضرت يوما ما احد خدامها الاشرار وامرته بان يضرب مطرونة بالعصا ضربا شديدا فهذا الخادم المنافق قد تمم مشيتها تتميما قاسيا . حتى انه من فرط الضرب قد ماتت الجارية تحت يديه * فلما رات سيدتها الظالمة هذه النتيجة قد اشتملها الخوف . فاحتالت في دفن جسد الجارية سرا في حفرة من اساسات بيتها * الا ان البعض من المسيحيين قد عرفوا الحادث . وجاءوا ليلا فحفروا المكان واخرجوا منه جسم القديسة . اخذين اياه الى محل فيه حفظوه بلياقة الى ان اهتم فيما بعد اسقفهم القديس الكسندروس في بنيان كنيسة خصوصية على اسم الشهيدة مطرونة . وحينيذ نقل اليها اعضاها الطاهرة * وهذه الكنيسة الجليلة هي كلية الاعتبار في مدينة تصالونيكية . اما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكار البارة شهيدة الايمان هذه في اليوم الخامس عشر من شهر ادار *

فحسنًا يعلمنا رسول الامم بقوله: "انكم ياجميع الذين اصطبغتم بالمسيح قد لبستم المسيح. "فليس فيكم يهودي ولا يوناني ولا عبدٌ ولا حرٌ. وليس ذكرٌ ولا انثى. لانكم كلكم بيسوع "المسيح واحدٌ" (غلاطية ص ٣ ع ٢٧) * على ان المعتمد بالمسيح ليس بعد عبدًا لكن حرٌ. وانما هذه الحرية هي بجملتها روحية. ولذلك يردف الرسول قوله عينه بقوله: "لانكم انتم ايها الاخوة قد دُعيتم الى الحرية فقط. فلا تكن لكم الحرية علةً للبشرة" (غلاطية ص ٥ ع ١٣) فالقديسة البارة مطرونة في الوقت الذي كانت فيه عبدةً بالبشرة لسيدتها العبرانية ففيه قد وُجدت حرةً بالمسيح. لكنها ما استخدمت هذه الحرية علةً للبشرة. بل لاجل انها استخدمتها بالروح في عبادتها ليسوع المسيح. ومن اجلها قد أُضطهدت ظلمًا * فالباري تعالى قد اهلها النعمة الاستشهاد بفقد حياتها الجسدية لحفظ حياتها الروحية وعدم انثلام حرية امانتها * فلنستخدم اذًا هذه الحرية التي اكتسبها لنا فادينا الالهي منقذًا ايانا من عبودية الشيطان والخطية استخدامًا واجبًا مفيدًا لنا. متعبدين لله وحده بالروح والحق. ولو اتفق لنا ان نوجد عبيدًا بالجسد تحت ولاية اسيادٍ او في رق عبوديةٍ مدنية. الامر الذي لا يمكنه ان يضر حريتنا الروحية الملاحظة كوننا مصطبغين بالمسيح. بل بالحري يفيدنا للنجاة من روح الصلف والتغلب في هذه الحيوة. ويضاعف اكاليلنا في الدهر العتيد *

* اليوم الثامن والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار ايلاريون الجديد *

اولاً ان هذا القديس البار ايلاريون انما كُني بالجديد ليتميز عن القديس ايلاريون العتيق المسطرة منا سيرة حياته تحت اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الاول * اما الذي يمكننا ان نورده عن البار ايلاريون الجديد باختصارٍ فهو انه ليس معروفًا بتدقيق زمن مولده ومدة حياته وحين رقوده بالرب. ولكن امرٌ اكيدٌ هو انه عاش في الازمنة التي فيها وُجدت كنيسة المسيح محاربةً من الارائقة المضادي تكريم الايقونات المقدسة. اي فيما بين سنى الجيلين الثامن والتاسع *

ثانيًا فالبار المذكور قد اعتنق سيرة الكمال الانجيلي. مترهبًا في الدير المدعو بالاكيتيس الكائن في اقليم اسيا الصغرى * غير بعيدٍ جدًا من ابرشية الاسبونطس *

وهناك قد اجتاز ايام حياته ناسكًا صارمًا . وكان محاميًا شديدًا عن تكريم الايقونات بعبادة نقوبة لائقة . مفحما لمحاربيها ببراهين سديدة * وكما كان يعلم ذلك بالكلام هكذا كان يمارسه بالعمل . محسنا عبادته في تكريم تماثيل القديسين وايقوناتهم وذخايرهم الطاهرة بوقار عظيم * وقد اختار لسكناه قلاية صغيرة منفردة عن الضوضا . وبهذا المقدار اجتهد مع العون الالهي في امانة الامه وحواسه الظاهرة والباطنة . وفي تاسيسه ذاته متعمقًا في التواضع وسايرالفضايل . حتى انه اضحى عديم الانفعالات الاليمة . وكانه خارج عن الجسد الانسانى . وقد زينه الله بموهبة شفا الامراض العضلة التى ابرأ منها كثيرين *

ثالثًا فهذه وتلك قد جذبت روساء الكنايسين الي انهم الزموه باقتبال درجة الكهنوت التي بعد ارتسامه بها عاش ازمنةً عديدة . متلاليا بكل نوع من الفضايل السامية جدًا . وشايع الصيت بافتعال العجايب * التي من جملتها انه مرةً اوقف سقوط البرد الخشن جدًا عن ان ينحدر على الارض . ومرةً بدد قوة احد الانهر العظيمة عن ان يعوم على الاراضي . مقسما اياه وملاشيًا طوفانه * كما انه اشفى يدًا يابسة ومنح النظر للبعض من العميان . وقوّم ارجل عرجٍ * وبعد اعمالٍ هكذا جليلة قد رقد بالرب مملوًا قداسةً . وتكرّم من الكنيسة الجامعة شرقا وغربا فيما بين القديسين المعظمين *

فلا شك في ان احدى الوسايط التي افادت القديس المذكور للتاصل في الفضايل كانت عزلته بالابتعاد عن ضوضا العالم . منفردًا عن الرهبان الاخرين انفسهم * فهذه العزلة ولين كانت مختصةً بالنساك . فمع ذلك هي ممكنة في بعض اجزايها للعايشين في المدن ايضا . بانفرادهم يوما واحدًا قلما يكون في كل شهرٍ . مختلين في مخادعهم كرياضةٍ روحية وجيزة فيها يحاسبون ذواتهم عن سيرتهم في ذاك الشهر . مرتفعين بعقولهم نحو الله بصلواتٍ حارة وتاملاتٍ مقدسة . مجددين مقاصدهم على عمل الصلاح والفرار من اسباب الخطية . كما قد اعتاد كثيرون من المسيحيين المهتمين في خلاص نفوسهم ان يصنعوا ذلك . ومنه يجتنون لذواتهم اثمارًا روحية عجيبة تفيدهم قداسةً وخلاصا ابديا *

* اليوم التاسع والعشرون *

* وفيه تذكار القديس كيرللس الشماس مع غيره من الشهدا الذين سفكوا دماهم في *
* زمان ولاية يوليانوس العاصي ثم تذكار ابينا البار مرقص *

اولاً انه حينما ضبط صولجان الملك الروماني يوليانوس العاصى الجاحد . فالوثنيون المويدون من هذا الكافر قد بلبلوا حيوة المسيحيين في زمن تملكه لاسيما سنة ٣٦١ بنوع ردي جداً * غير ان وثنيي بلاد فينيكيا وفلسطين قد فاقوا الاخرين بالقساوة والاضطهاد ضد المومنين . ففي مدينة ايليوبولى اي مدينة الشمس (المدعوة الان بعلبك) عند ذيل جبل لبنان كان يوجد شماس انجيلي قديس يدعي كيرللس . الذي في زمن تملك قسطنطين الكبير وبموجب اوامره القيصرية كان كسر الاصنام المعبودة من الوثنيين العمى في تلك المدينة . وبغيرة متقدة مرافقة من نعمة الله قد اكتسب الى الايمان بالمسيح عدداً وافراً من اوليك الضالين * فحينما حصل هولا الكافرون الذين لم يقبلوا الايمان على الحرية المطلقة في زمن يوليانوس العاصى قد انتقموا للالهة الكذبة التي كان كسرها هذا الدياكونوس القديس . واخذوا ثار اهانة دياناتهم الرجسة منه اذ انهم وثبوا عليه ككلاب كلبة واذاقوه من العذابات امرها . وهكذا بقساوة بربرية قتلوه وفاز باكليل المجد الغير الفاسد * ولكن لشدة بغضهم اياه قد فتحوا جوفه بعد موته . وسحبوا كبده واكلوه نيًا * غير ان هولا الناس المنافقين الفجار ولين كان امكنهم ان ينجوا من القصاصات المدنية في ظروف مظالم ذلك الملك الشرير . فلم يفلتوا من انتقام يد الله في هذا العالم نفسه * على ان جميع اوليك الذين اشتركوا بهذه القساوة البربرية . فاولاً قد فقدوا اسنانهم كافة . ثانياً قد انتنت السنتهم ودودت في افواههم المنافقة المجدفة ثالثاً قد خسروا اعينهم وحصلوا عُمى العقول والاجساد معاً * ومن ثم اضطروا هم انفسهم الى ان يقدموا الشهادة . بعظم قدرة الاله الحقيقي وبقداسة الديانة المسيحية . وبانهم جوزوا بعدل عما افتروا به على القديس الشهيد كيرللس *

ثانياً ثم من حيث انه كان في المدينة المذكورة اعلاه معبد لتكريم الصنمة فانارة الهة العشق والدنس المسماة ايضاً الزُهرة . فكان سكان هذه المدينة مفسودين بانواع طماثات رجسة في اجتماعاتهم الوثنية بهذا المقدار من الشناعة والدنس . حتى ان الوالدين كانوا يقدمون بناتهم تكريماً لتلك الالهة النجسة ليكنّ مباحات لفعل الفساد منهم معهنّ ومن

الرجال الاخرين ايضاً * ولذلك فالملك قسطنطين كان هدم ذلك المعبد . وكسر تلك الصنمة الطمثة . ومنع اجتماعات رجسة هذه صفتها تحت قصاصات مريعة . واقام في موضع ذلك المعبد كنيسة للمسيحيين * فاذا الوثنيون القاطنون في المدينة المذكورة لم يشتفِ غليل رجزهم بما فعلوه مع القديس كيرلس الشماس . بل ارادوا ان ياخذوا ثار الاهانة التي صنعت ضد الصنمة الهة الزنا * ولهذا هجموا على دير كانت فيهِ هناك عذارى مكرسات ليسوع المسيح . فاخذوهنَّ واتوا بهنَّ الى ساحة المدينة الكبرى فيما بين هيجان الشعب . وعروهنَّ من ملبوسهنَّ مطلقاً . واهانوهنَّ بنوع لايطاق سماعه او تصوره * وبعد ان عذبوهنَّ عذابات خارجة عن حدود الرجز الانساني . قطعوا روسهنَّ وفتحوا احشاهنَّ . واخرجوا امعاهنَّ مع قلوبهنَّ الطاهرة . وخلطوها مع دقيق الشعير وبموادٍ اخر محبوبة من الخنازير . وهكذا طرحوها امام هذه الحيوانات النجسة لتغتذي بها * فهذا النوع من النفاق قد صنعه الوثنيون سكان مدينتي غزة واسكالونا ايضاً في بلاد فلسطين . ليس نحو البتولات فقط المكرسات لختنهنَّ يسوع المسيح . بل نحو الكهنة وخدام الانجيل الاخرين ايضاً نظراً الى القتل وفتح الاحشاء وطرحها للخنازير * واما اسما هولا الفعلة الانجيليين والعذارى المكرسات لله والرجال والنسا الاخرين الذين قتلوا بهذه الانواع في المدن المذكورة فليست هي معروفةً منا . بل هي مكتوبة في سفر الحيوة الابدية . حيث يتمتع هولا الشهدا الامجاد في السعادة الخالدة الفايقة الوصف *

ثالثاً ولكننا نعرف اسما ثلثة فقط اخوة من اوليك الذين احتملوا عذابات الاستشهاد ونالوا اكليل المجد في هذه الحوادث في مدينة غزة . وهذه هي اسماوهم : اوسابيوس وذانونه وناسطابيوس * فهولا الثلثة الاخوة لعلمهم بما كان من البغض الشديد ضدهم في قلوب الوثنيين لاجل غيرتهم وفضايلهم المسيحية . قد اختباوا في مكان سرى من منزلهم حين هيجان الشعب الكافر * ولكن اوليك المنافقون قد دخلوا البيت وفحصوه بتدقيق الى ان وجدوا هولا الثلثة . فاخذوهم باهانةٍ وضربٍ وطرحوهم في السجن * ثم في اثنا ذلك حينما كان الشعب مجتمعاً في ساحة المراسح . جعلوا يصرخون باصواتٍ عظيمة بان الثلثة الاخوة يلزم ان يقتلوا لاجل انهم فيما مضي كانوا اهانوا الهة المملكة وشتموها وما اشبه ذلك وهكذا اسرعوا الى الحبس فاخرجوهم منه برجز شديد . وشرع البعض يضربونهم بالعصي والمجالد

والبعض يطرحونهم في الارض ويسحبونهم واخرون يمزقون لحمانهم باغتصابات وغيرهم يرجمونهم بالحجارة . والطباخون الكاينون في ساحة المراسح كانوا ياتون بالماء المغلي ويسكبونه على اجسادهم . حتى ان النسا كنّ يخزنهم بالمسلات الحديدية التي يشتغلنَ بها الصوف و بالابر الخشنة * وبعد ان اضحت اجسامهم مملوةً من الجراجات سحبوهم اخيرًا في الطرقات الى خارج المدينة . حيث تُطرح جيف الحيوانات الميتة . وهناك جمعوا كمية وافرة من الحطب . واحرقوا بنيران متقدة اجساد الشهدا . الذين على هذه الصورة نالوا اكليل المجد * ولكيلا يترك الكفرة للمسيحيين شيا من اعضا هولا القديسين . قد جمعوا ما بقي من العظام الخشنة التي لم تفنها النار . وخلطوها فيما بين عظام الحيوانات المطروحة في تلك المزبلة * غير ان الباري تعالى قد اظهر لاحدى النسا المسيحيات ارادته بواسطة رويا خصوصية في كيف انها تجمع تلك الاعضا المقدسة ذخاير الشهدا . و بان تسلمها الى ابن عمهم المدعو زانونه الذي كان هرب الى مدينة مايوما القريبة * وهذه الامراة قد تممت ذلك وانحفظت تلك الذخاير الى ان وُضعت في زمن الملك ثاوضوسيوس الكبير في الكنيسة التي تشيدت خارج ابواب مدينة غزة . وكرمت من المومنين جملةً مع ذخاير القديس الشهيد ناسطور الذي في هيجان الشعب الوثني المار ذكره عينه قد استشهد من اجل الايمان بالمسيح في مدينة غزة نفسها *

فالمورخ زوسيموس اذ يتكلم عن هذه الحوادث يقول بكل صوابٍ انها لولا تكون موكدة من جميع الذين نظروها باعينهم وشهدوا بها صدقا . لكانت تظهر غريبة عن ان يُظن او يُصدق بان البشر يتصلون الى ان يعاملوا بشرًا مثلهم بشراسةٍ وقساوةٍ بهذا المقدار مضادة الروح الانساني والزايدة على شراسة الوحوش الضارية عينها * ولكن القديس يوحنا فم الذهب يبرهن في ان ذلك لايُستعجب على من يسلمون ذواتهم لاتباع الامهم . لاسيما المنغمسين بالشهوات الزنائية التي تعمي نور العقل الطبيعي وتقود صاحبها الى افعال اثيمة تظهر انها خارجة عن كل انسانية * فمن هذه الحال حالهم يمثلهم النبي والملك داود بالفرس والبغل اللذين لاحكمة لها * فلنسهر اذًا على ذواتنا باذلين الجهد في ان لاندع المًا ما من الالام والشهوات والرذايل ان يمتلك قلوبنا . ولكي ننجو من هذه الاخطار التي طبيعتنا المفسودة خاضعة لها . يلزمنا ان نقاوم الالام الردية منذ مباديها حينما تكون

كالمولودة حديثًا * والى هذا يرشدنا الروح القدس حسبما يفسر القديس اغوسطينوس بكلمات المرتل هذه : « طوبى لمن يمسك اطفالكِ ويضرب بهم الصخرة » (مزمور ١٣٦) * فمن هي هذه الاطفال المولودة من ابنة بابل الشقية يقول القديس المذكور التي يجب ان تضرب بها الصخرة . فانما هي المولودة عن الشهوة الاثمية الردية ۞ فهذه الالام حينما تصدر فينا منذ المبادي مفعولاً ما . يلزمنا حالاً ان نميتها فوق الصخرة التي هي يسوع المسيح . اي بقوته وبنعمته نبيد اميالنا ونخمد شهواتنا المنحرفة بسلوكنا بموجب التعليم الانجيلي . الذي منه فقط نتخذ الرسوم المبلغة ايانا الى الحيوة الابدية *

* فيما يلاحظ ابانا البار مرقص *

ان القديس مرقص البار بعد ان تربى في الديانة المسيحية في بدء الجيل الرابع وتقدم في الفضايل والعلوم قد أُختير ورُسم اسقفًا على مدينة ارثوصيون . وذلك حينما كان تملك قسطنطين الكبير وتايدت الديانة المسيحية * فهذا الاسقف الغيور قد هدم هناك معبد الاصنام وشيده كنيسة * غير انه لما توفي قسطنطين وبنوه وبسماح من الله جلس في التخت الملوكي يوليانوس العاصي . والوثنيون في زمن ولايته اخذوا يشفون غليل الاثم بالانتقام من المسيحيين كما تقدم الشرح . فهاجموا على الاسقف المذكور . وربطوه وسحبوه في الشوارع والطرقات حتى تمزقت لحمان جسده كلها * ثم دهنوا جراحاته بالخل والملح والعسل . وعلقوه بالحبال في زمن حرّ الصيف في الشمس امام كواير النحل كي تلسعه * ولكن لما راوه ثابتًا على الايمان وغير مغلوب من هذه العذابات . قد انزلوه ثم ضربوه بقساوةٍ واذ لم يمت تحت الضرب . قد اهملوه متحيرين من صبره . وحينيذٍ اعتبروه بمنزلة اعظم الفلاسفة وبصانع العجايب * ولذلك ندموا على ما عاملوه به من الشر . وطلبوا منه الغفران * ومن حيث انه بهذا النوع قد نجا من الموت ومن اضطهادهم اياه . فدبر رعيته بحريةٍ باقي زمن حياته بافادةٍ عظيمة واذ بلغ الى شيخوخة كلية رقد بالرب في اواخر الجيل الرابع . منتقلاً الى الحيوة الابدية *

* اليوم الثلثون *

* وفيه تذكار ابينا البار يوحنا كاتب سلم الفضايل *

اولاً ان القديس يوحنا المدعو كليماكوس اي السلمي لاجل الكتاب الجليل الذي الّفه

المدعو سلم الفضايل (التي بها يصعد المسيحي درجةً فدرجةً الى ان يحصل على الكمال الانجيلي السامي) . فهذا قد ولد في بلاد فلسطين في زمن الملك يوستينيانوس الاول نحو ٥٢٥ * ومنذ صغر سنه قد اعتنى به ممن يخصه في تعليمه الفلسفة والعلوم البشرية . لاسيما الفصاحة التي برع فيها جدًا حتى انه من حين كان شابًا قد خُصَّ بتسميته : المعلم المدارسي : التي في تلك الازمنة لم تكن تُعطى الا لاوليك الذين يكون علمهم شهيرًا ساميًا واسمهم شايعا وصيتهم ذايعًا . او يكونون قدموا البراهين الاكيدة على نجاحاتهم في العلوم واكتسبوا من اجلها الكرامة والاعتبار من الجميع * اما القديس يوحنا المذكور فلخوفه من انه تصدر فيه هذه الاشيا نفخة الكبريا وحب الذات . قد عزم على رفض العالم اجمع واعتمد ان يترهب . مخصصًا ذاته بجملتها لان يحيى لله فقط . مع انه حينيذٍ كان بعد حدث السن ومن ثم ذهب الى جبل سينا المعتبر في تلك الازمنة كانه ركن القداسة . ليس فقط لاجل ان النبي موسي اقتبل من الله هناك الشريعة الالهية المكتتبة بل ايضًا لكونه وجد ولم يزل حينيذٍ موجودًا فيه انامٌ ابرار قديسون مرتقون الى قمة الفضايل السامية * ثم وضع ذاته تحت ارشاد شيخ جليل مدعو مارتيريوس . الذي اذ اختبر في تلميذه هذا قابليةً عظيمة لاكتساب الفضايل مع بساطة النفس ونقاوتها . قد اعتنى به جدًا حتى انه في بحر اربع سنوات حصل فيما بين اعظم معلمي السيرة الروحية والكمال الانجيلي *

ثانيًا ومن حيث ان هذا القديس اجتهد في ان يصير نفسه عديم الارادة بالكلية . فطاعته الكاملة لمعلمه الذي كان نموذج القداسة جعلته ان يتمم اوامره وارشاداته وتنبيهاته بكل تدقيق وخضوع * ومع انه كان بارعًا بهذا المقدار في العلوم والفضايل بنوع فايق جدًا على سنه . فمع ذلك قط لم يراجع معلمه في شي مما يظهر لديه انه كان اعلم منه به او يجادله في مادةٍ ما من المواد وبالاجمال نقول في هذا الموضوع ان سلوك القديس كان نظير انسان ولد عديم الارادة مطلقًا * واما مباشرته اماتة الحواس فنفهم بسهولةٍ من الفاظ كاتب سيرة حياته . اذ يقول هكذا : ان يوحنا كان يستخدم الموضوع الحسي بوجوده ومشاهدته ذلك الجبل المقدس لان يرفع دايمًا افكاره ويبلغ بها الى الله الغير الممكن ادراكه بالحواس . ويهربه من العالم في الوحدة التي استخدمها كواسطة فعالة لحفظ ذاته من الفساد واضمار الالام الموجودة في شابٍ نظيره بواسطة الاماتات الشاقة * فهذا قد

نجاه من ان يتكلم اصلاً بغير ترتيب . وباغلاقه مداخل المجد الباطل عن ان تبلغ الى قلبه اكتسب تواضعاً عميقاً وعدم الاتكال مطلقاً على قواه الذاتية . كما انه باعتماده الكلي على الا يسلك في هذه الطريق من دون ارشاد قايده الحكيم في جميع الاشيا قد حفظه من كل زلةٍ وعثرة التي لكانت حدقت به لو مشى من دونه ✻

ثالثاً فهذا القديس اذ تحقق الافادة الروحية التي حصل عليها بواسطة تتلمذه لمعلمه الشيخ مارتيريوس في مدة تلك الاربع السنوات . قد انكل بابلغ نوع على العناية الالهية . ودخل في دير الرهبان الموجود في قمة جبل سينا . ولبس من الريس ستراتيفوس الثوب الرهباني . وكان له من العمر عشرون سنة فقط . مبرزاً النذور الرهبانية ✻ وبهذا المقدار كان عظم حرارة العبادة وكمال السيرة المقدسة التي شاهدها فيه باختبارٍ الريس الشيخ المذكور المملو من الفضايل . حتى انه هتف قايلاً كانه بروح نبوي : « انني اسبق « وانظر ان يوحنا عتيد ان يكون يوماً ما احد الانوار العظيمة في العالم اجمع » ✻ فهذا القديس بعد ابرازه النذور لم يعد يفكر في شي اخر الاَّ في ان يتم بكل تدقيق واجبات دعوته هذه . ولكي يصنع ذلك باوفر اتقان لبث سالكا تحت ارشاد معلمه مارتيريوس ✻ ثم اننا نستطيع ان نعلم كم كان احتراس هذا القديس عظيما على حفظ حواسه من الزلل مما هو نفسه يورده في الدرجة السابعة والعشرين من كتابه السلمي قايلاً : « انني حينما كنت « بعد شاباً واقتضى لي الذهاب يوما ما الى بلدٍ في العربية . فحالما جلست على مايدة الغذا « شعرت باطنا بانجذابي الى نوعين من الالام وهما الخنجرة والمجد الباطل . ولكن لخوفي « الوافر من ضرر الالم الاول اكثر من الثاني اردت بالاحرى ان أُغلب من هذا لا من « ذاك اي ان يعتريني فكر ما من المجد الباطل باكلي شيا قليلاً جداً احرى من ان اوافق روح « الخنجرة باكلي كثيراً . لعلمي بان الشيطان له اكثر استطاعة اعتياديا على الشبان من « باب الشراهة مما يمكنه ذلك بواسطة المجد الباطل . اذا اهملوا ذواتهم بسهولةٍ ان يمتلكوا « من الم الخنجرة مما اذا تهاونوا بمقاومة الم المجيد الفارغ ✻

رابعاً فمارتيريوس لمشاهدته النجاحات الروحية التي تلميذه هذا البار حصل عليها . فلكي يعطيهُ وسيلة لان يداوم النمو يوما فيوما فيها . قد اخذه ومضى به لزيارة رجلٍ بار ناسك بالوحدة في جبل سينا يدعي انسطاسيوس . الذي حسب راي كثيرين قد ارتقى

فيما بعد بطريركا على السدة الانطاكية * فهذا القديس حالما نظر الى يوحنا متاملاً . التفت الى مارتيريوس قايلاً له بروح نبوي: « من تراه يصدق انك فى شخص هذا الشاب قد كرست ابًا عامًا لجميع رهبان جبل سينا » * وهذا القول سمعه مارتيريوس من اثنين اخرين من الابا الابرار السواح بزيارته اياها صحبة تلميذه القديس * الذي لكان استمر مدة حياته كلها تحت ارشاد هذا المعلم الجليل . لولا ان الباري تعالى قد نقله اليه لمجازيه في السما عن سيرته المليكية في السنة التاسعة عشرة من تلمذ القديس يوحنا له كما مر القول ❋

خامسًا فهذا القديس بعد وفاة معلمه المذكور قد خرج من الدير السابق ذكره ومضى الي امكنة السواح المدعوة طولا عند ذيل جبل سينا . معتمدًا علي ان يعيش سايحا * وعمل له كوخًا بعيدًا مسافة خمسة اميال من الكنيسة التى كان قبلاً الملك يوستينيانوس شيدها في ذلك القفر لاجتماعات السواح المفرقين في تلك النواحي . حيث كان هذا القديس يذهب اليها برفقة السواح في كل يوم سبتٍ واحدٍ للاحتفال بالاسرار الالهية والاشتراك بها ويرجع الي كوخه . مثابرًا وحده على الصلوات والامانات والتاملات الالهية * فالعدو الجهنمي الحسود لم يغفل عن ان يثب على هذا البار بتجارب قوية مختلفة الانواع . ولكن من دون ان يستفيد منها شيا * لان القديس باعتصامه بحسن الرجا في نعمة يسوع المسيح الذي اباد السلطة الجهنمية منتصرًا عليها . ثم بتسليحه ذاته بالاسلحة الروحية لاسيما التوسلات الحارة والاتضاع وامانة الحواس بالكلية وما اشبه ذلك . فكان ينتصر على هذا العدو انتصارًا كاملاً ❋

سادسًا ومن حيث انه اي القديس يوحنا كان يعلم جيدًا ان روح المجد الباطل يسقطنا بسهولة في محبته حتى في استعمالنا افعال التوبة ذاتها . فلذلك كان كلي الاحتراس على نفسه من هذا الروح * ومن ثم لم يكن يباشر شيا غير اعتيادي فريدًا * مثلاً في استعماله القوت . فكان ياكل من غير توسوس ضمير من كل تلك الاشيا الغير الممنوعة من القانون الرهباني * ولكن لكيلا يتراخى عن صرامة الامانة . فكان ياكل شيا قليلاً جدًا بحيث انه لا يفقد ان يشعر دايما بالجوع . الامر الذي له اعتبار كلي في اضمار الحواس . وهو اصعب على الطبيعة من ان الانسان يصوم بعض ايام من دون تناول شي اصلاً

وبعد ذلك يستعمل القوت بامتلاء * ثم ان جميع اعماله كان يعتني بان تكون محركة من روح المحبة كما يعلم الرسول الالهي بقوله: «اصنعوا كل شيء بمحبة لكي ترضوا الله في كل الاشياء» * واما نظرًا الى مواظبتهِ المتداومة على الصلوات. فيقال بكل صواب ان حياته كانت صلوةً متصلة * وهذه الفضيلة كانت محبوبة لديهِ في الغاية. حتى انه كان يشتهي انها تكون متاصلة في جميع السواح * فيقول هو نفسه هكذا: «ان حقيقة الصلوة «تقوم في ان المرء يتخذ الله موضوعًا خصوصيًا وقانونًا راهنًا في جميع رياضاته وافعاله. وفي «افكاره كافةً. وفي اقواله باسرها وفي امياله وانعطافاته جميعها. وفي اشواقه ومرغوباته «كلها. وفي خطواته كافةً. وبالاجمال في عمله كل شيء بالنوع الذي بهِ يصنع امام الله «وبازاء عينيه باعظم حرارة واكمل عبادة ممكنتين» * فاذًا نوع هذه الصلوات الدايمة التي لم يكن القديس يمل منها كانت تجعل الوحدة محبوبةً لديه في الغاية. ولهذا كان يبذل جهده في ان لا يراه احدٌ وباقل من ذلك ان يكلمه حسبما يقول هو عينه: «ان «ذاك الذي هو متوحد بالحقيقة فلكيلا يعدم شيا من التنعم السماوي الذي يهبه اياه الله. «فيهرب بهذا المقدار من التردد والمخاطبة مع البشر بمقدار ما هم يطلبونه ويقصدون مكالمته» *

سابعًا فهذا التنعم الروحي كان القديس مملوًا منه. كما يشهد هو بانه مرةً ما قد خُطف بالروح واضحى خارجا عن ذاته بنوع عجيب صادر عن نعمة الله. ثم وجد نفسه فيما بين اجواقٍ من الملايكة الذين اوضحوا له اشيا كثيرة من تلك القضايا التي هو كان يرغب بحرارةٍ وشوقٍ عظيم ان يقف على معرفتها * وما عدا ذلك كانت صلواته مرافقةً من موهبة هطل الدموع بغزارةٍ. حتى انه خوفا من ان السواح القريب محلهم من كوخه يسمعون صوت بكايهِ وتنهداتهِ. كان يمضي الى مكان بعيد عند ذيل الجبل. وهناك يعطي حريةً لاشفاءِ غليله من الشهيق والبكا المر والتنهدات العميقة. الامر الذي (كما يقول هو) «له قوة على ابادة جميع النقايص الظاهرة والخفية المدنسة بها النفس بالنوع «عينه الذي بهِ النار تبيد التبن * فهذه هي الحال السعيدة الحاصل عليها ذاك الذي يكون «ممتلكا هذه الموهبة. حتى انه يجيز زمن حياته بوليةٍ روحية دايمة * من حيث ان بكاه «يثمر فيه باطنا بعد التوجع تعزيةً وفرحا لا يمكن وصفها. نظير ما ان العسل الشهدي

« يوجد مخبوءًا ضمن الشمع قبل اخراجه منه ومن حيث ان ذلك وجد في هذا القديس « بنوع عجيب فيختتم كلامه عنه هكذا: « فما الذي يلزمنا اذًا ان نتعلمه من هذه الاعجوبة « الا اعترافنا بان الحزن الخلاصي الصادر عن قلبٍ متخشع متواضع هو بالحقيقة موهبة من « الله . وذلك لانه يوجد متحدًا مع هذا الحزن والاسف فرحٌ جزيل وتعزية وافرة وعذوبة « كلية . بمقدار ما انه تعالى بنوع سري غير منظور يعزي اوليك الذين تكون قلوبهم متطحنة « من قبل هذا الاسف والغم والخشوع الخلاصي *

ثامنًا ولكن مهما كانت صلواته المرافقة بالدموع متصلة . فمع ذلك يظهر لنا من تاليفهِ انه كان منعكفًا باهتمام على قراة الكتاب المقدس * لانه يقول: « ان المطالعة في الكتب « المقدسة هي مفيدة جدًا جدًا لان تنير عقولنا . ولان تجعل قلوبنا ولر واحنا متحدة مع الله « على ان تلك الكتب انما هي اقوال الروح القدس . وهي التي تكون لمن يتلوها بعبادة « واحترام كالسراج المنير وكالقايد الامين فلتكن اذًا حياتك ياهذا مطابقة لحال القداسة « التي دعاك الله اليها . واجتهد بان تضع بالعمل ذاك الشيء الذي تقراه في الكتاب الالهي « لانه ماذا ينفعك ان تقرا كثيرًا من دون ان تمارس بالفعل ما تكون تلوته » * ثم ان هذا البار كان يضيف الى قراءة الكتاب المقدس المطالعة في تاليفات الابا القديسين الذين كان يكرمهم جميعا بعبادة خصوصية ويعتبرهم بمنزلة معلميهِ ومرشديه في قواعد الايمان وفي الاداب والسيرة الروحية . ومن تلك التاليفات كان يقتطف الاقوال اللازمة لمقاومة الارتقات التي كانت في زمانه منسربةً في كل مكان * ولاجل هذه الغاية كان يقرا كتب الارانقة ايضا . ولكن ما صنع ذلك الا بعد ان تحقق بذاته انه معضد من الروح القدس وامين على نفسه من ضررها ففي هذا الباب يورد قايلاً: « انه حينما تجادلنا الارانقة بحسب « روحهم الضال الخبيث بقصد ان يثبتوا غلطهم . فيلزمنا ان نكتفي بان نبين لهم ضلالهم « مرةً واحدةً او مرتين واما حينما يكون البعض منهم راغبًا بالحقيقة ان يرتشد ليعرف « صدق الايمان الصحيح . فوقتيذٍ يجب علينا ان لانمل من ان نقدم له كل نوع من « الارشادات المفيدة والتعاليم المقدسة * ولكن لاينبغي لنا ان نتقدم لمباشرة شي من ذلك « الا في الوقت الذي فيهِ نعرف بعقولنا ونشعر بقلوبنا باننا حاصلون على المعرفة الكافية « فيما يخص حقايق اسرار الايمان *

تاسعًا واما فضيلة الانضاع التي كان متصفا بها هذا الجليل في الابرار فكانت تسمو على علومه . ومن قبل هذه الفضيلة التي هي اساس جميع الفضايل كان يجتهد بان يعيش مهملاً ومنسيًا من كل احدٍ في ذلك القفر مع ان المواهب التي زينه الله بها بانعامه السامية ثم العلوم الاكتسابية التي برع بها باضافتها الى حسن صفاته الطبيعية المعتبرة . فهذه كلها لكانت جعلته من اول اشخاص العالم الجليلين . لولا هربه في الوحدة * وهكذا ولين كان يعلم هو نفسه كما يوجد مدونا في اقواله : « ان من يمكنه ان يفيد القريب نجاحًا وتقدما في « الفضايل بواسطة ارشاداته . ولا يصنع ذلك نحوه بحب شخي باقوال الحيوة التي قبلها « من مواهب الله لاجل هذه الغاية وهي لكي يشرك بها الاخرين موزعًا اياها عليهم . فهذا « سيكون مدانًا نظير دينونة الذي يخفي الوزنة التي كان يلتزم بان يتاجر بها لتربح الاثمار « كما يعلمنا الانجيل المقدس » * فمع ذلك فضيلة تواضعه العميق كانت تظهر له من جهة اولى انه لم يكن كافيا لان يعلم اخر ويرشده . ومن جهة اخرى كانت فطنته تريه ان الله لم يدعه لهذه الوظيفة * اذ انه عوضًا عن ان يظهره للعالم قد اخفاه في كهف جبل في القفر * غير ان هذا البار لم يستطع ان يخفي ذاته بهذا المقدار . على ان كثيرين من السواح كانوا يذهبون اليه ويستمدون منه المشورات والارشادات فيما كان يُغبى عليهم كنهه ويرتابون به . وكانوا يقتبلون منه الايضاحات والتنبيهات الخلاصية * وعلى هذه الصورة ابتدأ رويدًا رويدًا ان يشيع صيت تقوياته وسمو قداسته . حتى اتصل الى امكنة مختلفة . وطفق انام كثيرون ياتونه من اصقاعٍ بعيدة ليرتشدوا منه فيما به كانوا يعيشون في العالم بسيرة مسيحية كاملة *

عاشرًا فاذاعة هذه السمعة الجليلة عن القديس قد جذبت احد السواح المدعو موسى الى ان ياتي ويقطن بالقرب من مكانه . لانه كان يشعر باطنا بغرامٍ شديد لان يقتفي اثره ولان يختار لذاته ابا روحيا رجلاً هكذا مملوًا من روح الله * ولهذا قد توسل اليه حتى بواسطة بعض السواح الاخرين ايضًا في ان يقبله تلميذًا له . كي يرتشد منه بالسلوك في طريق الكمال * فهذا البار بعد تضرعات متكررة . قد راى ذاته ملتزما بان يقهر ارادته وبان يقبل موسى المومى اليه في رفقته * فاتفق بعد ذلك ان القديس في شهر اب امر تلميذه موسى بان يذهب الى مكانٍ اشار اليه عنه . ويأتيه منه بتراب وقصرين كان يلزمه

لاصلاح قطعة الارض الصغيرة التي كان يزرع فيها الحشايش * فموسى من دون توقف اسرع الى المكان نفسه وجعل يحفر الارض ليملأ منه الزنبيل ويأتي به * ولكن شدة حرارة الشمس ساعة نصف النهار قد اوصلته الى حالٍ لم يعد يمكنه بها مداومة العمل . فمن ثم تنحى الى جانب صخرةٍ كبيرة وانطرح في ظلها . فنام من دون ان يشعر بان تلك الصخرة كانت قريبة جدًا من السقوط * ففي هذا الوقت كان القديس في قلايته مصليًا كعادته ومتاملاً في الاشيا السماوية . واذا به قد أُخذ من نومٍ لذيذ . ورأى في الحلم رجلاً شيخًا مهابًا موبخًا اياه بقوله له : « كيف يمكنك يا يوحنا ان تنام ههنا براحةٍ هاديًا . في الوقت « الذي فيه موسى حاصلٌ على خطر فقد الحيوة المبين » * فحالاً القديس نهض من رقاده ولعدم معرفته اي خطرٍ كان ملما بتلميذه موسى . اخذ يتوسل لله بحرارةٍ في خلاصه منه الى ان رجع اليه مساء سالما * فالبار سأله ان كان حدث له في بحر النهار عارضٌ ما * فاجابه موسى قايلاً : « اي نعم انني حصلت في خطر ان اموت مهروسًا من صخرةٍ كبيرة . التي « كنت رقدت تحت مركزها . ولكن حينما سمعت صوتك ذاته يناديني . قد نهضت « مسرعًا من ذلك المكان مملوًا من الرعدة والخوف . وفي الحال شاهدت تلك الصخرة « سقطت من مكانها بنوعٍ مهيل فوق المحل الذي كنت انا راقدًا فيه » * فالقديس لاجل تواضعه لم يورد لموسى شيًا عن الرويا التي شاهدها . بل انه اخذ يرد الشكر لله باطنًا على هذه النعمة *

حادي عشر ولكن الباري تعالى قد منح هذا الجليل في الابرار الاستطاعة ليس فقط على انقاذ تلميذه من خطر الموت الجسدي . بل ايضًا على خلاص كثيرين من الموت الابدي فالذي يوكد ذلك فيما بين الحوادث الاخر هو ما تم باحد السواح المدعو اسحاق الذي كان محاربًا بشدةٍ من شيطان الزنا . بنوع انه كان ينقصه شي قليل لان يقطع رجاه * فهذا يومًا ما حضر باسراعٍ لدى القديس يوحنا . وشرع يشرح له بالفاظٍ بالكاد تسمع منه مستويًا من شدة البكا والشهيق حال الحرب القوية والخطرة المعارك هو بها من عدوه الجهني * فحينيذٍ القديس اذ لاحظ امانة اسحاق وتواضعه . قال له : « هلمَّ بنا يا اخي « لكي نصلي جملةً في هذا الشان . من حيث ان الله الكلي الرافة والصلاح لا يمكن ان « يرفض تضرعاتنا لديه » * وبالحقيقة انهما قبل ان يفرغا من الصلوة . قد استجاب الباري

تعالى توسلاتها * لان اسحاق الذي كان في تلك الحال ساجدًا امام العزة الالهية براس منكس الي الارض . قد شعر على الفور بتغيير باطن . وهدأ روعه بغتةً . وحصل على راحةٍ وسكينةٍ كاملة . حتى انه هو نفسه اضحى متحيرًا ومنذهلاً من هذا الحادث * ولم يعد يعلم ان يصنع شيا سوى تقدمة الشكر للمراحم الالهية على كونها ارتضت بان تقبل صلوة البار يوحنا من اجله ومنحته هذه النعمة العظيمة * فابليس المحال لبغضه البار من قبل انقاذه اسحاق على هذه الصورة . قد حرك ضده السواح القريبين لان يقولوا عنه انه رجل مكلام غير محب الصمت وما اشبه ذلك * فالقديس لتواضعه لم يرد ان يحرك ساكنًا . بل لرفع كل سببٍ من الوسط امتنع عن قبول الاتين اليه وحفظ الصمت الكلي والوحدة التامة مدة نحو سنة * ولكان استمر مدة باقي حيانه كلها على هذه الحال . لولا ان السواح انفسهم ينتبهون على غلطهم الذي كان صادرًا عن الحسد * وهكذا اتوا اليه جميعًا برفقة اخرين والتمسوا منه الغفران عن ذنبهم . وتوسلوا اليه بحرارةٍ في ان يرجع الى ما كان عليهِ قبلاً مرتضيا بتقدمة الارشادات الخلاصية لكل من كان يلتجي اليه * فالقديس الذي من عادته الا يرفض طلبة اي كان قد قبل توسلهم . واخذ يباشر عنايته بالمقبلين اليه كالسابق *

ثاني عشر فبعد ان استمر القديس يوحنا مدة اربعين سنةً في ذلك القفر . سالكًا بالتصرفات المقدم شرحها . قد اراد الله ان يخرجه من هناك ليجعله ابًا عامًا لجميع رهبان جبل سينا وسواحه * الذين جميعًا كمن فمٍ واحدٍ باتفاق الراي قد اختاروه ريسًا عليهم والزموه بقبول هذه الوظيفة ضد ارادته * فالقديس البابا غريغوريوس الكبير قد بلغه ذلك ربما من قبل رسالةٍ بعثها اليه البار المذكور نفسه . ومن ثم هذا الحبر القديس حرر رسالةً للقديس يوحنا بالفاظٍ توضح عظم الاعتبار الذي به كان يكرم القداسة الموجودة فيه . حتى انه كان يتوسل اليه بحرارةٍ في ان يصلي من اجله . مبرهنًا له ان السواح والرهبان العايشين في الوحدة يلتزمون بان يصلوا من اجل اوليك الذين هم نظير هذا الحبر مشتغلين بالاهتمامات فيما بين ضوضا العالم * ثم ان القديس يوحنا عند ما شاهد ذاته مختارًا من العناية الالهية لارشاد الاخرين وتدابيرهم الروحية . قد الزم ذاته بقبول ما التمسه منه كثيرون اي بان يحرر في تاليف خصوصي كل ما يلايم السلوك في الكمال الانجيلي * ومن ثم قد الف كتابه الشهير المدعو : سلم الفضايل . كما انه حرر كتابًا اخر

صغير الحجم وسماه: الرسالة الى الراعي * فهذا الراعي كان هو الطوباوي يوحنا ريس دير رايثو . الذي كان القديس يوحنا كليماكوس عنون كتاب سلم الفضايل باسمه وارسله اليه . لانه هو اخص من كان ترجاه في تاليفه * فكتاب سلم الفضايل المذكور يحوى ضمنه ثلثين درجة مشتملة على وصايا جليلة وارشادات خلاصيـة يصعد بواسطتها الى قمة الكمال الذي نهايته البلوغ الى الفردوس السماوي *

ثالث عشر واماكم من الزمان عاش القديس يوحنا بعد تاليفه الكتاب المومى اليـه فهذا غير معروف بتدقيق . بل ان الشي المؤكد هو انه لم يعش بعد ذلك الا قليلاً * غير انه قبل ان يرقد بالرب قد تنزل عن وظيفة رياسته العامة . ورجع الى انفراده السابق المحبوب منه الذي منذ زمن هكذا مستطيل كان اختاره لذاته قرينةً . مفضلاً اياه على كل شي ومن هنا يبان كم كان روح هذا القديس بعيدًا عن رغبة التراس والتامر على الغير . ومن حيث انه كان اعتاد على مداومة الاتحاد مع الله بالصلوات في الخلوة . فلم يكن يقدر ان يجد هذه التعزية فيما بين طياشة الاعمال المرتبطة ضرورةً بوظيفة ريسٍ يخصـه الاهتمام بعددٍ ليس بقليل من المرءوسين * وما عدا ان اثقال هذه الدعوة كانت تشتت افكاره عن الاتحاد الباطن معه تعالى . فكانت ايضا غير موافقةٍ تواضعه العميق الذي يكره التراس والرفعة * ولكن حينما تنزل عن هذه الوظيفة اقام خليفةً له بموجب طلب الرهبان انفسهم اخاه الانبا جاورجيوس السايح . الذي هو ايضا كان من طورسينا . وهو رجل جليل الصفات سامي في الفضايل ومزين من الله بموهبة روح النبوة * فحينما كان فيما بعد القديس يوحنا قريبا من ساعة الموت حضر اليه اخوه المذكور . وعند مشاهدته اياه قال نحوه هكذا : « ايهذا النوع يا اخي تهملني معرضا عني وتاركا اياي فاقد الاسعاف والمعونة . فانا توسلت الى الرب بان يدعوني اليه قبلك . لاني من دونك لااستطيع ان ادبر هذه الجمعية المقدسة * ولكن لاجل سو حظي التزم بان اشاهدك في اليوم الحاضر مبارحا هذا العالم قبلي » * اما القديس يوحنا فاجابه بالا يغتم من هذه المفارقة موعدًا اياه بانه اذا وجد منةً لدى الله في الحيوة الاتية فلا يغفل عن ان يستمد له من الجود الالهي انه قبل تمام السنة يدعوه تعالى اليه . وهكذا يجتمعان معا في الملكوت السماوي * فهذا الوعد قد بلغ مفعوله . لانه بعد نياح القديس يوحنا بعشرة ايام فقط قد انتقل من

هذه الحيوة اخوه الانبا جاورجيوس * الذي اختبر في ذاته عظم الاستحقاق والقبول الحاصل عليهما شقيقه الطوباوي امام الله . وترك لنا بهذا النموذج ان نعرف كم هو امرٌ مفيد للمسيحي ان يحصل على صديقٍ ومحامٍ من مصافات اوليك الطوباويين المتملكين في السما مع العزة الالهية * فيظن بالصواب من كثيرين ان القديس يوحنا كليما كوس حينما بارح هذا المنفى العالمي وانتقل الى الوطن الحقيقي السعيد كان له من العمر ثمانون سنة . وبالتالي ان نياحه حدث نحو سنة ٦٠٥ للمسيح *

فنظرًا الى صفات هذا القديس المملو من الفضايل السامية التي بلغ بها الى قمة الكمال . فهذه ولين كانت كلها نموذجا حيا للقداسة وكلٌ منها بمفرده يصور لدينا ما من شانه ان يحرّضنا على الاقتداء بها وعلى اتباع اثر خطواته الموصلة الى الكمال الانجيلي . كما يلاحظ ذلك بسهولةٍ كل من يتلو سيرة حياته بتانٍ وامعان . فمع هذا يمكننا ان نعتبر بنوعٍ خاص صفة مثابرتهِ على الصلوات . الامر الذي بواسطته قد حاز من الله المواهب الغنية والنعم العظيمة * ولذلك كان هو نفسه يسمي الصلوات « ينبوع الفضايل والمجرى الذى به تتصل الينا الانعام السموية وانها هي كنز المسيحيين * وكما ان سمو اقتدار الملك الارضي واتساع سلطانه انما يقوم بغني خزاينه وبوفور عدد عساكره وعظمتها فهكذا قوة الانسان المسيحي وسلطته انما تقوم بغني صلواته المتواترة وبحرارتها » * فلنتعلم اذًا ما هو الدواء الذى نشفى به من جميع امراضنا وشقاواتنا . ولنستعمله فعليا مستندين ومتوطدين على وعد سيدنا يسوع المسيح بان كل ما نساله بالصلوة ننالهُ . وان مهما طلبناه نجده . ولذلك حينما تكون صلواتنا ممارسةً بالنوع الواجب . وطلباتنا موافقةً ومفيدة لخلاصنا الابدى *

* اليوم الحادى والثلثون *

* وفيه تذكار ابينا البار ايباتيوس العجايبي اسقف غانغرون او كانكرة *

اولاً ان الشي الذى يمكننا ان نورده عن القديس الجليل ايباتيوس نظرًا الى اخص اعمال حياته ونظرًا الى نوع وفاته هو ما ياتي ذكره باختصار . فاولاً ان هذا القديس كان اسقفا لمدينة غانغرون من اقليم بافلاغونيا . كما يتفق على ذلك الاورولوجيون اليوناني والمينولوجيون الباسيلي والسنكسار الروماني . وبالتالي ان تسميته في الاورلوجيون

العربي استف انكرة هو غلط محض * فاني نعم ان مدينة غانغرون قد سميت في بعض الكتب العربية كانكرة او كانكرية . ولكن قط ما دُعيت انكرة التي هي مدينة اخرى مختلفة عن هذه كاينة في اقليم غلاطية . وليس في اقليم بافلاغونيا الكاينة فيه مدينة غانغرون او كانكرة . ثانيا ان هذا الجليل في الرعاة قد دبر ابرشية غانغرون وساس شعبها في مبادي الجيل الرابع . وقد حضر سنة ٣٢٥ في المجمع المسكوني النيقاوي الاول . فكان هو احد ابايهِ المعظمين الشديد الغيرة في المحاماة عن الوهية كلمة الله سيدنا يسوع المسيح وعن مساواته تعالي لابيهِ في الجوهر . مقاومًا ضلال الارانقة الاريوسيين الذين كانوا ينكرون هذه القضية الدينية . ثالثا ان الله قد شرف عبده هذا الامين بموهبة صنيع العجايب التي فعلها في اوقات كثيرة وبانواع عديدة . حتي انه لقب بالعجايبي * واحدى الايات التي صنعها هي انه اذ دخل يومًا ما من البرّ الى الاهرا الملوكية تنين عظيم مخيف جدًا قد ارسل الملك الى القديس طالبًا منه ان يمضى الى الاهراء ويقتل هذا التنين الذي هربت الناس جميعًا من امامه * فالراعي البار قد ذهب الى هناك . وبعد ان تمم صلاته قال للخدام ان يجمعوا احطابًا غزيرة في ساحة المدينة * واذ تموا ذلك . قد وضع العصا التي كانت بيده في فم التنين واقاده بها كمجموم الى فوق الاحطاب ثم اوقد النار فاحترق التنين بايدًا فالملك تذكارًا لهذه الاعجوبة . قد امر بتصويرها فوق حايط الاهراء كما تم الامر *

ثانيًا رابعًا واما كيفية انتقال هذا القديس الى الحيوة الابدية فكانت على هذه الصورة . وهي انه لما انتهى السينودوس العام المقدس النيقاوي الاول وسافر القديس من نيقية راجعا الى ابرشيته * فلما بلغ اليها سالما * وذلك لان حزب الارانقة النوفاتسيانيين كانوا كمنوا له في الطريق . وعند ما وصل اليهم . قد وثبوا عليه نظير كلاب كلبة ورجموه بالحجارة التي بها كملت وفاته شهيدًا لعلة محاماته عن الايمان الكاثوليكي مناضلاً عن الوهية الكلمة الازلي وقد شرف الله عبده هذا الامين بعجايب كثيرة صنعها بعد نياحه ايضًا . والكنيسة اللاتينية تصنع تذكاره المقدس في اليوم الرابع عشر من شهر تشرين الثاني بصفة شهيد في روسا الكهنة *

فنحن يمكننا ان نمثل عصا هذا القديس التي بها جذب التنين من الاهراء الملوكية الى

ساحة المدينة حيث حرقه بالمواقيد النارية بعود الصليب المقدس. ونشبه الوحش المذكور بالتنين الجهنمي . فاذاً كل مرةٍ يثب علينا سطانايل عدو خلاصنا الذي يجول حولنا كالاسد الزائر . مجتهداً في ان يفترس انفسنا لا اجسادنا وذلك بهجسه في عقولنا الافكار الردية ضد فضيلة ما من الفضايل كي يسقطنا في الخطية * فعلينا بهذا السلاح التقوي الغالب . اي بان نرسم ذواتنا باشارة الصليب الالهية مستدعين الثالوث الاقدس لمعونتنا وحينيذٍ نحن من دون ريب ننتصر على عدونا الجهنمي . ونبدد اشراكه وهواجسه . ناجين من مضرته * فهذا الدواء الروحي الفعال قد اختبر القديسون في ذواتهم مفعوله العظيم بل يومياً يختبر المومنون حقيقة ذلك . لاسيما حين تبادر التجارب عليهم بالافكار المخطرة او حينما تشتعل فيهم نار الغيظ والغضب * فلنروضنَّ ذواتنا بالاعتياد على استعمال هذا السلاح القوي ضد اعدا خلاصنا مفتخرين به من دون استحيا . لانه ولين كان ذكر الصليب عند الهالكين جهالةً الاَّ انه عندنا نحن المتخلصين قوة الله (قرنتية اولى ص ١ ع ١٨) * ولكن قوة هذا السلاح توجد اشد ومفعوله اعظم في اوليك الذين يصلبون العالم في ذواتهم ويصلبون انفسهم عن العالم باماتة الاميال المنحرفة *

* شهر نيسان *
* اليوم الاول *

* وفيه تذكار امنا البارة القديسة مريم المصرية *

اولاً انه لكان قاطنا في احد اديرة اقليم فلسطين انسان بار اسمه زوسيموس . الذي لاجل انه منذ نعومة اظفاره كان ارتشد حسنا في سيرة حميدة لحسن التربية المسيحية الصالحة التي حصل عليها . فقد ترك العالم وتمسك بالعيشة النسكية . التي لاتقانه بها الفضايل بدرجات سامية اضحى رجلا متلالیا بلمعيع الصفات الجليلة وشايع الصيت جداً * لانه كان مثابراً على الصيامات والتقشفات واماتة الحواس بانواع صارمة في الغاية . مواظبا على التاملات والصلوات وقهر الذات . غير مكتفٍ باتباع رسوم من سلفه في العيشة

الرهبانية . حافظا فرايضها بكل تدقيق . بل كان يزيد على ذلك انواعا اخر مخترعة منه لكي يجعل بافضل اسلوب و باكمل نوع جسمه خاضعا لروحه منكبا على المطالعة والهذيذ المتصل في الكتاب المقدس . واضعا بالعمل تلك الفضايل التى كان يتعلمها في تلاوته اياه . منعكفا على هذا السلوك الى ان بلغ السنة الثالثة والخمسين من عمره *

ثانيا غير ان هذا البار قد تجرب حينيذٍ من عدو خلاصه الذي حسد فضايله السامية بتجربة صادرة عن روح الكبريا . اذ اخذ يفتكر في ذاته قايلاً : « اترى يوجد سايح ما في العالم يستطيع ان يعلمني شيا ما جديداً . او يرشدني الى طريقة تلاحظ صرامة العيشة التي « انا سالك بها حتي الان مما لا اعرفه ولا اكون تعلمته » * فحينما كانت هذه الافكار تتردد في عقله كانه بلغ الى قمة الكمال . قد كشف الله نوع هذا التفكر الى احد الرهبان ولذلك حضر اليه قايلاً له : « اي نعم انك يا زوسيموس قد وصلت حتى الان الى انك انتصرت « في محاربتك الروحية . ولكن هل يوجد انسان في الارض يُدعي كاملاً * فاعلم اذاً انه « توجد طُرق اخر كثيرة للبلوغ الي الخلاص الابدي غير تلك التى انت سلكتها الحد يومك « هذا * ولكي تتضح لك حقيقة كلامي هوذا انا ارشدك بان تخرج من امكنة نسكك وتذهب « الي الدير الكاين بجذاء نهر الاردن *

ثالثا فالبار زوسيموس من دون ابطاء قد انطلق من مكان نسكه الى الدير المذكور حيث اقتبله ريس الدير . مسايلاً اياه عن سبب حضوره اليه * فاجابه زوسيموس بقوله : « انني اتيت الي ههنا لكى اتعلم ما يفيدني بناء روحيًا . لاني سمعت مديحًا عظيما عن سكان « هذا الدير » * فاجابه الريس قايلاً : « ان الله يا اخى الذي هو وحده يشفي بقدرته المطلقة « امراض النفس . فليتنازل الى ان يرشدنا واياك بنعمته الى حفظ وصاياه * لانه لا يوجد « احد فيما بين البشر يمكنه بذاته ان يصير اخر ان يتقدم في الفضيلة . بل ينبغي ان كل « احد يسهر على ذاته بكل احتراس . وان يباشر مع مساعدة نعمة الله تلك الاشيا الملايمة له « فيما بهِ يمكنه ان يسير دايمًا نحو الكمال * ولكن مع ذلك من حيث ان روح الحب قد « ساقك الينا . فلا مانع عن اقامتك عندنا . بل ان الراعي الصالح الذي يدعو كلاً من « خرافه باسمايها هو تعالي فليرعنا ويقتنا بواسطة مواهب روحه القدوس * فالبار زوسيموس قد شكر فضل هذا الاب الريس . وهكذا بقي في ذاك الدير كاحد رهبانه *

رابعاً ثم انه في مدة وجيزة من اقامته هناك ومشاهدته تصرفات الرهبان ومقابلته اياها مع سيرته التي كان عايشاً بها . قد عرف ذاته كم كان بعيداً عما ظنه بنفسه كانه بلغ الى قمة الكمال * على ان تلك الجمعية كانت طغمة مليكية احرى من انها كانت انسانية . وكان موضوع اعمالهم الوحيد ان يرضوا الله متجردين من المقتني حتى من الاشيا الاعتيادية عايشين بالوحدة والانفراد مطلقاً . مصرفين اوقاتهم بالصلوات والتاملات وبعمل اليد مثابرين على التقشفات الصارمة . وعلى الصيامات الشاقة . وعلى اماتة الحواس بالكلية طول ايام السنة بسيرة لايمكن ان يوجد اشد صرامةً منها واما في زمن الصيام الكبير فكانوا يخرجون من الدير ويسوحون في البراري التي هي داخل نهر الاردن مكرمين بروح العبادة الحارة شخص مخلصنا . ومقتفين اثر صيامه الاربعيني الذي كان صنعه في تلك البراري *

خامساً فاذاً حينما جاءت ايام الصيام الكبير قد خرج الانبا زوسيموس جملةً مع اوليك الرهبان واجتازوا الاردن . وهكذا هو اخذ صحبته زوادةً جزئيةً لقوته * ثم انفرد يطوف في القفر . ومن حيث انه كان يشوق جداً الى ان يجد في تلك البرارى احداً من السواح القاطنين بالوحدة كل ايامهم . فهذا الشوق كان يجعله ان يبتعد يوما فيوما عن الاردن . داخلاً في باطن ذاك القفر الواسع * فبعد عشرين يوماً من سياحته اذ كان في احد الاوقات ممارساً صلواته . قد راى عن بعد هيئة انسان يمشي وشكاً فالبار في الابتدا اشتمله خوفٌ ظانّاً بذاك الشبح انه خيال شيطاني . ومن ثم رسم ذاتهُ باشارة الصليب المقدس * ولكن لما زال عنه هذا الوهم . وتاكد جيداً ان ذاك الخيال هو انسان حقيقي من السواح طفق يجري في اثره راكضاً * وحينما لم تعد فيما بينهما الا مسافة قليلة بل كان يمكن سماع الصوت شرع البار يصرخ هاتفاً : « لماذا تهرب مني يارجل الله . انا الانسان الشبح الخاطي « فمهما انت تكون انا استحلفك بالاله الذي من اجلهِ انت تقطن هذا القفر بان ترتضي في « ان تستمعني صاغياً وبان تمنحني بركتك » * فحينيذٍ ذاك الشخص الهارب قد لبث محتجبا عن منظر الانبا زوسيموس وراء صخرةٍ كانت تفصل وقوع النظر من الواحد الى الاخر . وهكذا كان الخطاب منهُ قايلاً : « ايها الانبا زوسيموس اطرح رداك نحو هذه الخاطية « البايسة لكي تستتر هي بهِ . ان انت اردت ان تهبها بركتك وتسمع منها ما تكلمك بهِ * فالقديس الشيخ عند ما سمعها تدعوه باسمه الخصوصي . قد استوعب انذهالاً . وطرح

رداءهُ حالاً ثم رجع الى الورا * ووقتيذٍ هي قد اتشحت بذاك الرداء . وخرجت من وراء الصخرة . واتت نحو البار الذي من دون ان يعلم من كانت هي اسرع مملوًا من الاحترام والوقار . وانطرح على قدميها ملتمسا منها البركة ، * اما هي فابت عن ذلك . بل جثت على الارض امام رجليه قايلةً لهُ : انه يخصك انت ان تباركني . لانك مزين بالوسم الكهنوتي . ومنذ سنين عديدة انت تخدم مذبح الرب المقدس داخلاً في معرفة اسرار يسوع المسيح . ومتعمقا بها بواسطة الانوار والنعم التي يمنحكها الله ، * فالبار قد ازدادت فيه الاشواق لان يعرف من كانت هي . وما هو سبب وجودها في تلك البراري . وكم من الزمن لها هناك . ولذلك التمس منها ان تخبره عن احوالها * اما هي فبعدان صنعت صلوةً وجيزة اخذت تحدثه قايلةً هكذا *

سادسًا ان المدينة التي انا مولودة فيها هي مدينة مصر . وانما انا امراة * فحينما كان لي من العمر اثنتا عشرة سنة ذهبت ضد ارادة والديَّ اللذين كانا في قيد الحيوة الى مدينة الاسكندرية . وهناك قد ابتت ذاتي الى افتعال القبايح التي لايمكنني ان اتصورها بفكري من دون ان يعتريني الخزي والخجل اذ سلكت في الفساد الذي اعتراني عايشةً في الطاثة مدة سبع عشرة سنةً كاملة متمرغةً في حماة الشهوات الدنسة المتقدة نيرانها داخلي . من غير ان اشبع بكفاية من افتعالها * فاخيرًا اذ رايت يوما ما عددًا وافرًا من الناس ذاهبين الى المينا وصاعدين الى احد المراكب . قد سالت عن المكان الذي كانوا ماضين اليهِ . وقيل لي انهم كانوا مسافرين حسب العادة السنوية الى مدينة اورشليم كي يشتركوا باحتفال عيد رفع الصليب المقدس . فحينيذٍ انا استفهمت مسايلةً ان كانوا يقبلوني صحبتهم . وهم اجابوني اي نعم يقبلوني ان كنت انا اني نظير البقية الاجرة المتوجبة لصاحب المركب * فانا قلت للمتوكل على الاستيفا انه لم يكن يوجد عندي شي اقدمه اجرةً سوى ذاتي المباحة للدنس * فعلى هذه الصورة قبلوني . وصعدت الي المركب معهم وهوذا انا الان ارتجف عند تاملي ما صنعته في مسافة السفر وما املات به المركب من الاثام الشنيعة والافعال القبيحة * ولا اعلم كيف ان البحر احتمل فوقه تلك الدناسات الفظيعة التي انا صنعتها من دون ان عمقه الاقصى يفتح فاه ويكردسني حيةً في الجحيم . انا الشقية التي اسقطت في اشراكي الانفس الثمينة وامتها بالخطايا * ثم لما بلغنا الي

اورشليم فانا استمريت هناك عايشةً بالاثام التي كنت افتعلها في الاسكندرية * سابعًا وهكذا لما بلغ يوم عيد رفع الصليب المقدس وكانت الشعوب تتقاطر الى الكنيسة قد اسرعت انا ايضا صحبتهم لكي ادخلها معهم * حيث لبثت برهةً من الزمن واقفةً في الساحة التي امام الكنيسة * ولما دنت الساعة المختصة ببداية الاحتفال تقدمت كي ادخل قبل الاخرين . ولكني كنت ارى ذاتي ممنوعةً محذوفةً الى الوراء . فمع ذلك قد زاحمت واغتصبت نفسي حتى بلغت الى باب الكنيسة * غير اني حينما اثرت الدخول اليها . قد شعرت بان يدًا غير منظورة كانت تصدني عن الاجتياز * فقد امتحنت الامر ثلث مرات هاجمةً بكل قوتي . ولكن بخزيٍ عظيم لي قد منعت من تلك اليد الخفية في الثلث المرات عن ان اقدر ان اضع قدمي داخل باب الكنيسة * فانا وقتيذٍ قد رجعت الى ذاتي وعرفت ان خطاياي المملوة طمائةً هي التي جعلتني مطرودةً عن ان اشاهد العود المقدس الخلاصي الذي عليه صنع فداءنا يسوع المسيح مخلصنا ☉ فلهذا شرعت ابكي بشهيق . مذرفة الدموع الحارة . وقارعة صدري . متنهدةً بندامةٍ من صميم قلبي * ولكن فيما انا في هذي الحال المرثي لها . رفعت عيني فشاهدت امامي ايقونة والدة الاله الكلية القداسة * واذ حدقت بها نظري . قد دنوت منها وشرعت اتوسل اليها قايلةً : ايتها البتول القديسة التي حبلتِ في احشايكِ بالاله القادر على كل شيٍ متجسدًا انني اعلم جيدًا انكِ لحبكِ الشديد لفضيلة العفة الطاهرة قد كرهتِ بكل حقٍ وعدلٍ ان تنظري الى امراة دنسة اثيمة متمرغة في حمأة الطمائة نظيري * ولكن لواه ايتها الام الكلية الرافة ملجا الخطاة المويسين اشفقي عليَّ . لاني بمقدار ما انا عظيمة الشقاوة والاثام فبالاكثر من ذلك لي الحق في ان ارجوكِ بثقةٍ . مومليةً ان انال شفاعاتكِ * فاي نعم انني اعرف ذاتي لست مستحقةً نوال الغفران . غير اني اعرف ايضا ان خطاياي مهما كانت شنيعةً وكثيرة لايمكن ان تكون فايقة على عظمة محبة ابنكِ يسوع المسيح الغير المتناهية * فاذًا لاتعدميني مشاهدة العود المثلث القداسة الذي عليه قد وفى تعالى عن خطايانا . وانا اعدكِ بان اتوب توبةً صادقةً . وبان اصرف جميع ايام حياتي الباقية بالبكا عما صنعته من المآثم لحد هذا اليوم . وبعد ان احظى بالنظر الى العود المقدس . فانا حالا اخرج من العالم وامضي الى المكان الذي ترشديني انتِ اليه ايتها العذرا المثلثة القداسة

« يارجاى وسندى » *

ثامناً « فانا بعد ان انهيت هذه الكلمات . قد تشجعت بالرجا وانتقلت من المكان « الذي انا كنت فيه مصلية ثم مزجت ذاتي فيما بين الداخلين الى الكنيسة * واذ لم اعد « اشعر بمانع يصدني . قد دخلتها وبلغت من غير عايق الى المكان الذى كان يُسجد فيه « لعود الصليب المجيد . الذى فوقهُ عُلق مخلص العالم * حيث سجدت لهُ مع الاخرين * « وهناك جددت المواعيد التي كنت عزمت عليها . موعدةً بها الله امام ايقونة والدة الاله « الكلية القداسة * ثم لبثت حصةً من الزمان منحنيةً براسى الى الارض . مغرقةً بدموعي « الحارة رخام الكنيسة . طالبةً من رحمة الله الشفوق الهِ الصبر والتعزيـة غفران « خطاياى * واخيراً خرجت من الكنيسة ورجعت امام ايقونة البتول الطوباوية . حيث « كنت اولاً . وجثوت امامها مملوةً من الرجا والثقة قايلة نحوها : انكِ لقد عرفتني « ياوالدة الاله الكلية الحنو والرحمة كم هو عظم الجودة والرافة التى صنعتيها معي بعدم « رفضكِ نضرعاتي انا الاثيمة الرجسة . واِن لم اكن انا مستحقة ذلك اصلاً فالان قد « حان لي ان اضع بالعمل بواسطة معونتكِ ما وعدتكِ به * فاذاً ارسلني حيثما يرضيكِ . « وكوني قايدتي ومرشدتي في سبيل الخلاص . واهديني الى الحق . واظهري لي الطريق « المودية الى التوبة * فعما كنت انا الفظ بهذه الكلمات الاخيرة . قد سمعت صوتاً يقول لى « هكذا : انكِ اذا عبرتِ الاردن تجدين راحةً طوباوية * فعند ما انا فهمت ذلك ما تاخرت « اصلاً . ولا عدت افتكر فيما يازمني عمله بل نهضت مسرعةً واستمديت معونة البتول « الفايق طهرها . وخرجت من ساحة المدينة وشكًا * ففي الطريق قد صادفني احد الرجال « ماشيةً باسراعٍ . واذ تقدم اليَّ اعطاني ثلثة دراهم من الفضة . فابتعت لذاتي بها ثلثة « ارغفة من الخبز . وبهذه الزوادة قد بارحت مدينة اورشليم راكضةً وباكيةً معًا *

تاسعًا « فلما بلغت الى شاطي الاردن من ناحية المغرب دخلت كنيسة القديس يوحنا « المعمدان . حيث سجدت لله . ثم مضيت الى حافة النهر فغسلت يدي ووجهي ورجعت « الى الكنيسة صانعةً المتوجب عليَّ * ثم اقتبلت جسد الرب يسوع المسيح المحيي الانفس . « وبعد ذلك اكلت نصف الرغيف الواحد من الثلث الخبزات . وشربت من ماء النهر « ورقدت تلك الليلة على الارض العارية * ولما اشرق ضيا النهار قد عبرت الاردن

ودخلت الى هذي الوحدة الطوباوية وكان لي وقتيذٍ من العمر تسع وعشرون سنة والان لي في هذه القفار سايحة سبعٍ واربعون سنةً من دون ان ارى احدًا بالكلية ومن بعد ان نفذ من عندي الخبز السابق ذكره قد عشت دايمًا من اكل البقول والحشايش وشلوشها ثم انهُ يلزمني ان اعترف بانهُ في مدة السبع عشرة سنةً الاولى من دخولي الى ههنا . قد احتملت تجارب جهادية شديدة جدًا الان الشيطان كان يحرضني على الرجوع الى العالم . وعلى السلوك من جديد في سيرتي السابقة القبيحة مهيجًا في تصوراتي الوقًا من الافكار الردية ومملئًا عقلي من الهواجس الباطلة الدنسة التي كانت ترافقها نهضات الامي الجسدية بشدةٍ محاربةً اياي بقوة اغتصابية * ولكن من دون ان تغلب عزمي او تنتصر عليَّ اصلاً . لاني حينما كنت اُجرَّب بذلك لم اكن اتغافل عن ان انطرح على الارض مغرقةً اياها بدموعي الحارة . قارعةً صدري شديدًا . مستغيثةً بالعون الالهي . وطالبةً الاسعاف السموي بعجيج وبصراخاتٍ وشهيق احرى مما بصلواتٍ مادية * وكنت استحضر دايمًا امام عينيَّ المواعيد التي قدمتها لله ولوالدته المجيدة في ان اني عن خطاياي الماضية بصنيع توبةٍ شاقة . وكنت اتجه نحو هذه السيدة الكلية القداسة مستغيثةً بها . وهكذا كنت اشعر في ذاتي من قبل نعمة الله بحرارة التوبة وبالتقوية وبالتعزية * وكانت التجارب تبتدي بان تهدأ عني قليلاً فقليلاً . الى ان تزول ۞ فانا اعلم جيدًا عدل الله المقسط . ولا اتوق بحرارةٍ الى شي من الاشيا الا الى ان اني عن ماتشي لهذا العدل الالهي باعمال التوبة * ثم ان كلام الله الذي يحوي ضمنهُ كل شي . فهذا يقويني ويكسي عراي * من حيث ان الانسان لا يحيى بالخبز فقط لانه حيثما تنقص الكسوة عن اوليك الذين تعرَّوا من الميل الى الخطية . انما يجدون عوضها المغاير وكهوف الجبال سترةً ومأوى ، *

عاشرًا فالانبا زوسيموس عند ما سمعها تستشهد معاني اقوال الكتاب المقدس في سياق كلامها . سالها ان كانت في زمانها قرَّات فيه * اما البارة فقد اجابته : كلاَّ . ولكن الله قد ارشدني . لان كلامه تعالى هو حق حي فعال . وقد حل في قلبي فعلمني ، فحينيذٍ الشيخ القديس جثا على ركبتيه وعج صارخًا : فلتكن مباركًا ايها الرب الاله لاجل انك اوضحت لي في هذا اليوم ما هي النعم والمواهب التي انت توعب منها خايفيك . فكم هو حقٌ صادقٌ انك انت يارب لا تهمل من يطلبك ملتجيا اليك ، *

حادي عشر اما القديسة فالتمست من البار ان ينهض عن الارض قايلةً له: «اني اتضرع اليك يا ابتِ بان تهبني نعمتين: فالاولى هي انك لاتكلم بشيء مما سمعته مني طالما انا في الحيوة. والثانية هي انك في السنة الاتية لاتخرج من الدير في الصيام الكبير قبل ان يبلغ نهار خميس الاسرار العظيم. الذي فيه بعد الاحتفال الالهي تاخذ معك جسد الرب يسوع المسيح وتأتني بهِ لكي احصل على هذا الحظ السعيد بان اغتذي بهِ. لاني من بعد ان تناولتهُ في كنيسة القديس يوحنا المعمدان قبل ان اجتاز الاردن. ما عدت حصلت على اقتبالهِ مرةً اخرى * فاذًا حينما تخرج من الدير بهذا السر الخلاصي انتظرني عند شط الاردن. وانا آتي الى هناك لاقتبل منك ذاك الغذا الالهي الذي هو قوت انفسنا * قالت هذا ثم اخذت البركة من الانبا زوسيموس. وفارقتهُ مسرعةً وفي برهة وجيزة غابت عن نظرهِ *

ثاني عشر فالبار قد رجع بعد نهاية ايام سياحتهِ الى ديرهِ. وهكذا في السنة الثانية قد لبث في الدير الى نهار خميس الاسرار * ثم اخذ القربان الاقدس صحبتهُ وخرج جائيًا نحو القفر * وحالما بلغ الى ناحية الاردن راى القديسة مقبلةً اليه ماشيةً على الماء حتى دنت منه في ناحية الاردن الاخرى * واذ سجدت امام السر الملك القداسة. قد صنعت صلاتها. ثم تناولتهُ من يد البار * وفي غضون ذلك رفعت مقلتيها نحو السما قايلةً: اطلق الان عبدتك بسلامٍ ايها السيد حسب كلمتك الالهية. فان عينيَّ قد ابصرتا مخلصي * وبعد هذا التفتت الى الانبا زوسيموس قايلةً له: اغفر لي ايها الاب عما انا اتعبتك بهِ. وهبني نعمةً اخرى وهي ان تحضر بعد سنةٍ منذ هذا اليوم الى المكان الذي انا خاطبتك فيهِ المرة الاولى. وهناك سترائي بالنوع الذي يريدهُ الله * فاجابها الشيخ البار بقولهِ: فليرتضِ الله بان يمنحني الاستطاعة على اتمام مطلوبكِ. لكي احظى بمشاهدتكِ جديدًا * ثم ان البار قدم لهذه القديسة بعض اشيا من المأكول الذي اصحبهُ معهُ. ولكنها ما ارتضت بان تتناول منه شيًا سوى ثلث حبات من العدس المسلوق قد اخذتها فوضعتها في فمها مع قولها: نعمة الروح القدس تكفي لان تحفظ النفس في نقاوتها. واذ قالت هذا. ودّعت الانبا زوسيموس طالبةً منهُ ان يذكرها في صلواتهِ. وهكذا اجتازت الاردن ماشيةً على الماء نظير ما عبرتهُ قبل التناول *

ثالث عشر فالبار زوسيموس قد رجع من هناك . مملوًا تعزيةً وانذهالاً معًا . ولكن قد تاسف كثيرًا لاجل انهُ ما سال البارة عن اسمها الخصوصي * فلما انتهت السنة واقبل زمن الصيام الكبير . قد خرج من الدير مع باقي الرهبان الى السياحة حسب العادة وسار ماضيًا الى المكان الذي كان فيهِ شاهد القديسة المرة الاولى * غير انهُ حال بلوغهِ الى هناك . حصل على الانذهال الكلي . اذ راى القديسة متكيةً على الارض براس متجهٍ نحو المشرق ويدين مكتوفتين على صدرها شكل صليب متوفيةً بالرب فاقدة النسمة * ثم حينما كان متحيرًا من هذا المنظر متفرسًا في جسمها قد راى بجانبها مكتوبةً على الارض بعض كلمات وهي هذه : « ايها الاب زوسيموس ادفن جسم مريم الشقية بردّك التراب علي التراب » * فالبار بعد ان اذرف دموعًا غزيرة على الارض بجذاء جسم القديسة . اخذ يفتكر في الطريقة الممكنة لديهِ في دفنها . لانهُ لم تكن موجودة صحبتهُ آلة ما يستعين بها على حفر الارض * ففيما هو مفكر في هذا . واذ باسدٍ قد اقبل نحوه . وشرع يحفر الارض بمخالبهِ الى ان صنع حفرةً كافية * وحينئذٍ الشيخ البار قد وضع في تلك الحفرة جسم القديسة الكريم وردَّ عليهِ التراب . مملوًا تحيرًا من عظايم الله مع قديسهِ وهكذا رجع الى الدير مسبحًا الله ومرتلاً اقوال المجد والمديح لعزتهِ الضابطة الكل * وعند ما اجتمع باخوتهِ الرهبان حدثهم بهذه الخبرية كلها . الامر الذي اوعبهم انذهالاً . واعادهم توطيدًا في المراحم الالهية وحرارةً اوفر في السيرة الروحية *

رابع عشر ثم بعد ان عاش القديس زوسيموس باقي ايام حياتهِ مثابرًا على الاعمال السامية في الفضايل والكمال الانجيلي . قد رقد بالرب في السنة المايتين من عمره وارتقى الى الحظوة بالله الذي خدمهُ بامانةٍ مقتبلاً مجازاة برهِ * اما نظرًا الى زمن وفاة القديسة مريم المصرية فهو نحو سنة اربعماية واحدى وعشرين للمسيح * ومن حيث انها عاشت اثنتي عشرة سنة في بيت والديها . وسبع عشرة سنة في الخطايا . وثماني واربعين سنة في القفر . فيكون مولدها في مصر حدث نحو سنة ٣٤٤ . وتكون رقدت بالرب في السنة السابعة والسبعين من عمرها * والكنيسة اللاتينية تصنع تذكار نياحها نهار غدا اي في ٢ نيسان واما السنة التي رقد فيها بالرب القديس زوسيموس فغير معروفة بتاكيد . بل يكمل تذكارهُ في الكنيسة اللاتينية في اليوم الرابع من شهر نيسان الحاضر *

ففيما بين النموذجات التي يليق بنا ان نستثمر منها لذواتنا الافادة الروحية من تلاوتنا السيرة المدوّنة انفًا . يمكننا ان نلاحظ ما حدث للانبا زوسيموس كيف اننا الى اية درجة من النجاح الروحي نحن نبلغ يلزمنا ان نفتكر باننا بعد لم نصل الى الكمال * على ان الانبا المصطفى يريد منا الا نقف ملتفتين الى ما وراينا متاملين فيما صنعناه . بل يروم ان نتقدم دائمًا الى ما قدام . مفتكرين فيما هو باقٍ علينا ان نعلمهُ * فهذا الارشاد الخلاصي قد حصل عليه القديس زوسيموس ايضًا من السما . وينبغي لنا ان نستفيد منه لكي نسير بالتقدم في طريق الفضيلة ان كنا نرغب ان نفوز بنهاية سعيدة * والا فاذا وقفنا في الطريق من دون ان ننمو . او قلما يكون نرتاح باشتياق كلي الى النمو الروحي فينقص فينا الجوع والعطش الى البر . اللذان بموجب التعليم الانجيلي هما علامة المختارين للمجد * ثم فلنتخذ افادةً من نموذجات القديسة مريم المصرية ان نلتجي بثقةٍ الى والدة الاله الكلية القداسة . ذ انها هي ام الرحمة وملجاء الخطاة الذين يستغيثون بها بعزم ثابت على الرجوع الى الرب من كل قلوبهم . وعلى الابتعاد عن الخطية واسبابها . وعلى مباشرة افعال التوبة كما فعلت هذه الخاطية التايبة واذا ما صلينا لدى شفيعتنا ام الاله بالفاظ القديسة المذكورة فلنضع بالعمل ما نقصده بقلوبنا . وحينيذٍ لا نرتابنّ اصلاً في اننا بواسطة شفاعات الملكة ام الرحمة ننال من الجود الالهي النعم الغنية في هذا الدهر وفي العتيد ايضا الى الابد *

* اليوم الثاني *

* وفيه تذكار ابينا البار تيطس العجايبي *

اولاً ان جميع ما يمكننا ان نورده عن القديس تيطس العجايبي تبعًا للابا مولفي المجموع البولانديستي تحت اليوم الحاضر فهو اولاً انهُ لايوجد تحقيق كلي اكيد لانظرًا الى زمن مولد هذا البار ومدة سني حياته والسنة التي رقد فيها بالرب ولا نظرا الى المكان الذي عاش فيه حافظا القانون الرهباني . ولكن يُظن بالصواب ويظهر ما مدح به في القانون المرتب لمديحهِ في الفرض الكنايسي القديم انهُ قد وجد في جيل الكنيسة الثامن او على الكثير في الجيل التاسع . اي في الازمنة التي فيها كانت الارائقة المحاربة تكريم الايقونات المقدسة معضدةً من الذراع الملوكي كما انهُ ليس من دون اساس يبان ان هذا البار كان ارشيمندريتًا او ريسا لاحد الاديرة في القسطنطينية او بالقرب منها . لان اسمهُ قد ذكر مرات كثيرة

في حوادث تلك الاضطهادات * فكان معاصرًا للقديس ثاودوروس وغيره من الانسام الشايعي الصيت في الجليلين المقدم ذكرهما . ثانيًا انه كان لهذا القديس تيطس اخ شقيق اسمه نيقولاوس ستوديتا وهو اي البارتيطس قد اجتذبهُ الى ان يهل العالم ويتمسك بالسيرة الرهبانية . ثالثًا نظرًا الى اخص ما يلاحظ سيرة حيوة هذا القديس العجايبي فهو الاتي ذكره بعد قطع النظر عن الحوادث الخصوصية المنسوبة اليه . ولكن غير موكدة تاكيدًا كليًا *

ثانيًا فالبار تيطس منذ حداثتهِ كان قلبهُ مضطرمًا بحرارة الحب لله حبًا شديدًا ولذلك لكي يخدمهُ تعالى بافضل نوع . قد اهمل العالم ورفض كل شي من الموجودات . ودخل في احد الاديرة مترهبًا . حيث تقدم ناميًا في الفضايل لاسيما فضيلة التواضع ثم الدعة والحلم ولكنهُ بنوع خاص فاق على الجميع في فضيلة الطاعة * فاذ اضحى مراءةً خالية من الصدا للكمال الانجيلي . وشاع صيت تقويمانهِ . قد أُنتخب رييسًا لرهبان جمعيتهِ . وهكذا في زمان رياستهِ قد تصرف بالحب والرافة والشفقة والفطنة مع جميع الذين تحت تدبيره بنوع فقد به من يماثله * اما فضيلة العفة والطهارة فقد تلالات فيه باسلوب فريد كانهُ ملاك لا انسان . اذ انهُ منذ نعومة اظفارهِ قد عرف ان يحفظ اناءهُ بقداسةٍ بريةٍ من كل زلةٍ تضاد النقاوة روحًا وجسمًا *

ثالثًا فالباري عزَّ وجلَّ قد سر بان يشرف استحقاقات عبدهِ هذا الملاك الارضي والانسان السماوي بايهابهِ اياه سلطان افتعال العجايب العظيمة والجرايح اللامعة بكاثر وبانواع مختلفة . حتى انه كنى عمومًا بصانع العجايب * وقد استسار على هذه الصورة الى ان رقد بالرب الكريم لديه موت ابراره تاركًا لرهبانهِ نموذجات فضايله قانونًا حريزًا . لاسيما حفظه الفرايض الرهبانية والرسوم القانونية حفظًا مدققًا في الغاية ومحاماته عن الحقايق الدينية خاصةً عن تكريم الايقونات المقدسة ومقاومته الارائقة محاربيها * لانه من حيث ان حياته كانت في ازمنة هولاء الارائقة كما اشرنا انفًا . فلا ريب في انه يكون اشترك مع باقي روسا الرهبنات المستقيمي الايمان بالاضطهادات والمحاماة عن الحق *

فلاحظ ايها القاري الحبيب كيف كُتب عن القديس المذكور انه منذ نعومة اظفاره قد عرف ان يحفظ اناءه بقداسةٍ بريةٍ من كل زلة تضاد الطهارة روحًا وجسمًا واذ ذاك فلا عجب من انه تقدم بهذا المقدار في الفضايل الاخر . وحاز من الله موهبة صنيع الايات

لان فضيلة العفة تجعل الانسان شبيها بالمليكة . وتصيره متحداً بالله اشد اتحاداً كهيكلٍ له تعالى للسكنى فيه * و بالعكس الانسان الدنس يطرد من قلبه الروح القدس . وتخمد فيه حرارة الحب لله بايدةً . ويضحى قلقا متعربسا وبعيداً عن محبة الاعمال الصالحة وافعال العبادة . اسيراً للالام الحواس . منقاداً الى حماة اللذة كالحيوانات العديمة النطق * فلنهربنَّ اذاً بافكارنا واحاديثنا وحركاتنا واعمالنا من كل ما يمكنه ان يثلم فينا فضيلة العفاف . معتبرينها ككنزٍ لاتوازيه قيمة الكنوز كلها . لكي نستحق الطوبى المعدة للنقية قلوبهم . فانهم يعاينون الله مشتركين في سعادته الابدية *

* اليوم الثالث *

* وفيه تذكار ابينا البار نيكيطا *

اولاً ان القديس نيكيطا قد ولد في اواسط الجيل السابع في مدينة قيسارية التي في اقليم البنتية . ومن حيث ان والدته قد توفيت في اليوم الثامن من ميلاده . فابوه فيلاراتوس قد سلم ابنه هذا الى عمته . واهمل العالم معتنقا السيرة الرهبانية التي نجح فيها نجاحاً كليًا . من دون ان يهمل عنايته بحسن تربيته ولده نيكيطا * الذي درس العلوم الاعتيادية بعيشةٍ صالحة محبا للتعب الخدمي . ومن ثم والده قد سلمه للمتراس على كنيسة وطنه ليخدم الرب في بيته المقدس * حيث مارس هناك وظيفة قندلفت ناميا يوما فيوما بالحكمة والفضيلة وحسن العبادة . مبتعداً على الاطلاق عن الاعمال الصبيانية . مزينا بالرصانة والاحتشام . منكبا على قراة الكتب المقدسة . ممتنعا عن المتنزهات . محبا استماع كلام الله . صابراً مثالاً حيا لكل ناظريه بتدينٍ حسن *

ثانيًا ثم بعد ذلك قد عزم هذا الشاب البار على ترك العالم والتمسك بسيرة النسك ومن حيث انه كان يوجد بالقرب من مدينة قيسارية المذكورة رجل شيخ سايح اسمه استفانوس فنيكيطا قد ذهب اليه وتتلمذ له منفرداً عن الناس . مقتبسا من معلمه رسوم العيشة النسكية . وممارسا اياها بالعمل مدةً من الزمان . فيها قد اختبره جيدًا ذاك الشيخ المكرم * الذي حينما راه ناجحا جداً وعاد كافيا للتمسك بالقانون الرهباني . قد ارشده مشيراً عليه بالدخول في احد الاديرة القانونية فنيكيطا قد اطاع مرشده . وانطلق فدخل في الدير المسمى مادينسيوس الذي كان منذ بعض سنوات اسسه القديس نيكيفوروس

تحت رياسته العامة عليهِ . ولكن لم يكن فيهِ وقتيذٍ سوى انفار قلية من الرهبان *

ثالثًا فـالريس اقتبل نيكيطا في ذاك الدير مسروراً به مضيفا اياه الى عدد رهبانه حيث ابتدا هذا الراهب الجديد بان يضع بالعمل تلك الفضايل التي كان اسسها في ذاته . مثابراً على الاصوام والصلوات والاماتات وقهر الذات . حريصا على حفظ الوصايا كلها بتدقيق . متقنا واجبات الطاعة كمن لا ارادة له بالكلية . محبا للخلوة والابتعاد عن اهل العالم بهذا المقدار حتى انه في مدة حياته كلها ما ذهب قط لمشاهدة وطنه مع انه لم يكن بعيداً عنه مسافة شاسعة جداً * وكان قلبه عديم الغش . وتصرفاته برية من العيب . قنوعا غاية القناعة . مكتفيا بالاشيا التي لا بد منها مطلقا . مواظبا على التفكر في الموت ممتنعا حتى عن الاشيا الجايزة وديعا خاليا من الغيظ غافراً لمن ساء اليه شديد الاحتراس على حفظ واجبات الطهارة بنوع نقاوة ملیكية محبا للصمت متواضعا في الغاية حتى كان يعتبر الجميع افضل منه . مطيعا ليس لروسايه فقط بل لمن لا سلطان لهم عليه بوجه من الوجوه ايضا . بعيدا عن ادنى خيال مختص بالمجد الباطل . مهتما بنوع خاص في ممارسة الصلوات العقلية واللفظية . متقدا بنيران الحب لله وللقريب . بعيدا عن اقل اهتمام يلاحظ جسمه . غير متفلسف في الاوامر الرهبانية التي كانت ترسم عليه . بل متمما اياها بتسليم تـام وبطاعة عمياء كانها مفروضة عليه من الله نفسه *

رابعًا فريسه البار نيكيفوروس اذ اختبر فيه فضايل هكذا سامية في مدة سبع سنين من دخوله في ديره . قد اعتمد على رسامته كاهنا * ولهذا بامر الطاعة اخذ الى القسطنطينية وصيره ان يقتبل هذه الدرجة المقدسة نحو سنة ٧٨٥ من يد القديس طاراسيوس البطريرك القسطنطيني . وبعد ذلك الزمه ضد ارادته بان يقتبل الرياسة على ذلك الدير الذي لما تسلم هو اي البار نيكيطا تدبيره . فلاجل اشاعة صيت فضايله قد جاء الي الدير في زمن وجيز عدد وافر من الذين تركوا العالم وتتلمذوا لهذا الريس الجديد . معتنقين القانون الرهباني حتى صاروا نحو مية راهب . الامر الذي اوجب في تيقظه باوفر اهتمام في سياستهم الروحية ان يسلم تدبير امور الدير الزمنية الي احد رهبان الجمعية وهو الشماس الانجيلي اثناسيوس * وهكذا بعنايتهما المشتركة قد احالا ذاك الدير الي فردوس مخصب بالقداسة . اذ ان القديس لم يكن يكتفي بان يجمع مرات كثيرة

نهارًا رهبانه موزعًا عليهم كلام الله . مرشدًا اياهم بحكمة الى واجبات الكمال الانجيلي . واعظًا معزيًا مشجعًا مقنعًا مدبرًا بل ايضا كان في الليل يقتبل في قلايته واحدًا فواحدًا منهم سامعًا كشف ضمايرهم . مقدمًا لهم الادوية والعلاجات الروحية للانتصار على التجارب ولاتقان الفضايل وللنمو الروحي . بنوع ان كلاً منهم كان يخرج من عنده مملوًا تعزية وتدربًا وافادة *

خامسًا اما صرامة عيشته في التقشفات باقتياته بالخبز والماء لاغير قد اتصلت الى انتحال جسمه جدًا . وبمقدار ما كان شديد البيوسة ضد ذاته . فباكثر من ذلك كان سموحًا عطوفًا حليمًا في تصرفاته مع الغير . بنوع ان التطويبات الثمان المعطاة من مخلصنا يسوع المسيح (متى ص ٥) لاشخاص كثيرين قد وُجد هذا البار مستحقًا لها في شخصه الفردي * اذ انه كان مسكينا بالروح . محزونا بالاماتة العمومية . وديعا جايعا عطشان للبر . رحوما نقيا قلبه صانعا للسلام مطرودًا من اجل البر . كما ياتي القول في محله عن الاضطهاد الذي احتمله من اجل قضية تكريم الايقونات المقدسة * فلسمو فضايله اذًا قد انعطف الله الى ان منحه موهبة صنيع العجايب باخراج الشياطين من المعترين من هذه الارواح النجسة ومن شفا الامراض وغير ذلك * حيث انه فيما بين الاشيا الاخر قد منح النطق لفتى اخرس . وانقذ احد الرهبان من الجنون الذي اعتراه . واحد المبتديين من الشيطان الذي كان يعذبه خفيا *

سادسًا ثم ان الاتعاب قد تزايدت على هذا البار حينما رقد بالرب الشماس اثناسيوس الذي كان مساعدًا له كثيراً في حمل اثقال مهمات الدير الزمنية . وبابلغ من ذلك تضاعفت عليه المهمات عند ما انتقل الى السعادة الابدية القديس نيكيفوروس رييسهم العام وموسسهم * حيث اكمل احتفالات دفنه اي القديس نيكيطا ورسم بان يكرم على الدوام بتذكار سنوي في اليوم الرابع من شهر ايار الذي فيه تنيح * وحينيذٍ جميع الرهبان طلبوا منه بالتوسلات ان يقبل على ذاته تسمية ارشيمندريت عام او رييس مطلق على الجميع . كما كان القديس نيكيفوروس * غير انه قد رفض ذلك بكل قوته . بل بالتوسلات كان يريد ان يقنعهم بان يختاروا اخر غيره لهذه الوظيفة * الا ان ثباتهم على طلبهم المذكور قد انتصر على ممانعته كلها . وهكذا ضد ارادته وميله قد اخذوه الى

القسطنطينية . متوسلين الي البطريرك القديس نيكيفوروس الذي كان وقتيذٍ جالسا في تلك الكاتدرا بان يلزمه مكرسا اياه بالصفة الموصى اليها . كما تم الامر بفرح الجميع الأه * وعلى هذه الصورة قد رجعوا كافةً الى دير ماديتسيوس . حاملاً علي ذاته تدبير تلك الجمعية الرهبانية كلها بالغيرة والاهتمام والنجاح في كل شي *

سابعًا فلما جلس في التخت الملوكي سنة ٨١٤ لاون الارمني . ثم جدد الاضطهاد على الكاثوليكيين المحامين عن تحديد المجمع النيقاوي الثاني المسكوني السابع في تكريم الايقونات المقدسة . وارسل الى المنفى فيما بين الاساقفة والرعاة الاخرين القديس نيكيفوروس البطريرك القسطنطيني . واقام دخيلاً بدلاً منه علي تلك الكاتدرا الرجل المرائي ثاوضوطوس . قد امتد هذا الملك المحارب الايقونات الي اضطهاد روسا الرهبنات . الذين استدعاهم باوامره الى المدينة المتملكة . وفيما بينهم احضر القديس نيكيطا * حيث استعمل نحوهم في الاول التمليقات والخداعات والمواعيد ليجذبهم الى رفض التحديد المسكوني والى رذل تكريم الايقونات . ولكن اذ راهم ثابتين على مقاومته قد طرحهم في السجون المتفرقة وهكذا البار نيكيطا قد حبس في سجن مملو من الكابة والاضامة . محتملاً الافترا والشدايد والشتايم والاهانات خاصة من رجل اسمه نيقولاوس * الذي اذاقه مرابر الموت . ولم يكف عنه الا بعد ان ظهر له في الحلم ابوه المتوفي وتهدده بالانتقام الم يرجع عن تعذيبه ذاك البار * اما الملك لاون الاثيم فاذ راى القديس نيكيطا راسخا في اعتقاده الكاثوليكي بعد كل تلك الامتحانات . فقد ارسله في فصل الشتا الشديد الاضامة منفيا الى قلعة ماسالاون في اقليم اناطوليا . مسلما اياه الي حرسة اشرار قد اغتصبوه علي الجري الكلي حتي انهم في ايام وجيزة اجتازوا به كل تلك المسافة الشاسعة ووضعوه في القلعة المذكورة *

ثامنًا الان الملك بعد مدة وجيزة قد ارسل فاحضره من جديد الي القسطنطينية حيث كان مستحضرا الروسا الاخرين . وحينيذٍ شرع بواسطة اعوانه بالوعيد والتهديدات ثم بالملاطفة والاقتناعات يجتذبهم قلما يكون الي الاشتراك بالاسرار الالهية مع البطريرك الدخيل ثاوضوطوس . الذي كان يعلن لهم انه قابل تحديد المجمع النيقاوي الثاني . وكان يرشق بالحرم كل من لم يكن يكرم الايقونات * فروسا الرهبان من جهةٍ

كانوا يلاحظون ان الاشتراك البسيط مرةً واحدة في الكنيسة مع هذا البطريرك القايل بما تقدم ذكره لا يضر الايمان الكاثوليكي ومن جهةٍ اخرى قد ضجروا مما كانوا تكبدوه وكانوا مقتنعين بالمواعيد الملوكية في انهم بعد ذاك الاشتراك حالاً يطلقون راجعين الى اديرتهم فقد انخدعوا وقبلوا المطلوب . ولكن قصدوا قبلاً ان يحضروا عند البار نيكيطا ويقنعوه بهذا * فلما جاؤا اليه وشرعوا يبرهنون له جواز ذلك الاشتراك . ففي الاول رفض رايهم ولكنه اخيرًا انقاد لهم لتقدمهم عليه في العمر فوافقهم * وهكذا مضوا جميعًا واشتركوا في القداس مع البطريرك ثاوضوطوس . وبعد الاشتراك رجع كلٌّ من اوليك الروسا الى ديره *

تاسعًا غير ان البار نيكيطا قد ندم جدًا على تلك الزلة ملاحظًا كيف انه اشترك مع بطريرك دخيل . وشرع يندب زلته معتمدًا على السفر الى محلٍ بعيد ليمارس عنها التوبة فاذ نزل حوايجه في المركب . منطلقًا الى احدى المدن * الا انه بعد ذلك قال في نفسه : «انه يلزمني ان اصنع التوبة حيث سقطت في الزلة» . ولهذا رجع الى القسطنطينية ثابتًا في اعتقاده بلا خوف * فلما سمع الملك لاون بهذا . قد استدعاه اليه قايلاً له : «لماذا «انت بقيت ههنا بمفردك تابعا ارادتك بعد ان الاخرين رجع كلٌّ منهم الى مكانه . هل «تظن بنفسك انك تقدر ان تهرب من طاعة اوامرنا . فاذًا طِع حكمنا وامضِ الى ديرك «والا فانا اصيرك ان تتعذب بما لا تقدر ان تحتمله» * فاجابه القديس بقوله : «انا ايها «الملك بالحقيقة لا اذهب الى ديري بامرك . ولا اخالف واجبات ايماني الذي انا دايمًا «ثبتٌ عليهِ نظير ما احتمل اباي من اجله الحبوس والمخاطرة في الحيوة محامين عنه لانه هو «حق ومناضلين عن الكنيسة . ونحن انما نفتخر بنوالنا المجد الالهي عن ذلك * لانك انت «تعلم جيدًا ايها الملك اني انما قد صنعت انا ذاك الاشتراك الغير الواجب لا خوفًا من «الموت ولا حبًا بالحيوة . بل ضدًا لارادتي قد اتبعت الاقدم مني صانعا ارادة اوليك «بما لم يكن ملايما * فاعلم اذًا اني لا اشترك معكم كافة لكني اثبت حافظا التقليدات المسلمة «منذ القديم * فاصنع بي ما تشاه . ولا تومل ان تسمع مني شيا غير هذا» *

عاشرًا فالملك حينما لاحظ ان البار ثابت العزم على حفظ الايمان الكاثوليكي كما كان قبلا قد سلمه الى زخريا مقدام البلاط الملوكي لكي يحفظه عنده الى حينما يبرز عليهِ الحكومة

الاخبرة * فالرجل الجليل زخريا المملو من حسن العبادة قد تصرف مع القديس نيكيطا تصرفاً نقوياً . محترماً اياه بهذا المقدار حتى انه ما كان يحدق به نظره بل كان يوقره ويكرمه بزيادة * فالملك بعد ذلك حكم بان يوخذ هذا البار الى جزيرة صغيرة تسمى القديسة غليكارية لاجل ان جسد هذه القديسة كان في تلك الجزيرة التي هي قريبة من مدينة ايراكليا الكاينة في بلاد تراكيا * فأُخذ القديس نيكيطا الى هناك * وسُلم ليد انتيموس الخصي المقام بوظيفة مناظر من قبل الحكم على الاديرة الكاينة في الجزيرة لاجل اضطهاد الرهبان * وكان هذا الخصي متولعاً في علم الرقوة والسحر . مملواً من الاثم والرداوة . منافقاً قاسياً ظالماً . بنوع ان الشعوب لاجل صفاته هذه الردية كانوا يلقبونه بقيافا * فانتيموس هذا الاثيم حينما سُلم ليده البار نيكيطا اخذ يدرس مجتهداً في ان يخترع له تلك الاشيا الشديدة الاضامة . ومن ثم طرحه في سجن كايب مظلم ضيق وقفل عليه الباب واخذ المفتاح راسماً على رفيق البار وهو الراهب فيلبس بالا يكلمه الا من النافذة الصغيرة التي منها يقدمون للمعترف قليلاً جداً من الخبز * وانما استعمل زيادة القساوة ضد البار لاجل الوعد الذي وعد به بالتقدم الى احدى الوظايف المدنية . ان استطاع على جذب القديس الى طاعة الملك *

حادي عشر فكان القديس ميخاييل اسقف سينادا هو ايضا محبوسا في تلك الجزيرة . فلما بلغه ان زخريا مقدام البلاط الملوكي الذي كان صديقاً له قد أُخذ اسيراً من البربر حينما أُرسل من الملك الى تلك النواحي لاجل قضا اشغال عمومية . فلم يتاخر عن ان يخبر القديس نيكيطا عن ذلك بواسطة الراهب فيلبس . طالبا منه ان يلج بصلواته لدى الله في شان انقاذه * فالبار شرع يصلي صايما طول ذاك النهار والليل المقبل حتى الصباح وحينيذٍ اذ جاء عنده الراهب المذكور قد راه مبتدلاً عن حزنه الى فرح قايلاً لهذا الراهب : «اعلم ان صديقنا زخريا قد أُطلق وقريبا نشاهده» * كما قد تم الامر . لان البربر قد اطلقوه . مصطلحين مع الملك * بل ان اسم البار نيكيطا كان شايعا هناك بالقداسة . حتى ان ثلثة اخوة طبيعيين قد غرق فيهم مركبهم بحراً . فاستغاثوا باسم هذا القديس وحالا خلصوا من الغرق وخرجوا الى الشط . مقدمين الشكر لله ولعبده الامين نيكيطا الصانع العجايب * الذي استمر في ذاك السجن . محتملا الاضامات والشدايد مدة ست

سنوات * لانه اخذ الي هناك سنة ٨١٤ و بقي محبوسا الى سنة ٨٢٠ التي فيها قتل الملك لأون المحارب لله * وجلس خليفةً له الملك ميخائيل الالثغ *

ثاني عشر فهذا الملك اطلق من المنافي والحبوس الاساقفة والرعاة وروسا الرهبان ومثلهم القديس نيكيطا * الذي حينما بلغ الى القسطنطينية حاملاً علامات انتصاره معترفا لم يرد ان يرجع الى ديره * بل انفرد بالقرب من المدينة المتملكة نفسها * عايشا في الوحدة وراحة الضمير * معتنيا في اسعاف المساكين وعمل الخير مع القريب روحيا وجسديا * ثم اهتم في مشترى محل خصوصي خارج المدينة * وهناك استمر منفردًا الى حين نهاية حياته * التي كملت في مثل هذا اليوم الثالث من شهر نيسان نهار الاحد صباحا سنة ٨٢٤ حيث اعترته الحمى وبميتة مقدسة فارق هذه الحيوة منتقلاً الى السعادة الابدية * وقد كمل احتفال دفن جسده المقدس بتقاطر الشعوب من كل ناحية * مكرمينه بحسن عبادة * بحضور السيدين الجليلين فى روسا الكهنة ثاوفيلوس ريس اساقفة افسس ويوسف ريس اساقفة تصالونيكية * فتلاميذه ورهبانه حينما سمعوا خبر نياحه قد ذهبوا الى هناك ونقلوا جسده الى ديرهم ماديتسيوس * ودفنوه في ضريح القديس نيكيفوروس سالفه الكاين في نرتكس الكنيسة وقد شرف الله صفيه هذا المعترف بصنيع عجايب كثيرة ليس فقط في مسافة نقلته من القسطنطينية الى هناك بل ايضا عند ضريحه الذي كان يزوره جميع من يقصده من المرضى والسقما وينالون الشفا *

فسيرة حيوة هذا القديس ولين كانت بالحقيقة نموذجًا فعالاً لكل مسيحي يريد السلوك في طريق الكمال . لان كل احد يجد فيها ما يمكنه مع مساعدة نعمة الله ان يقتفي به اثرهُ فمع ذلك هي بنوع خاص قدوةً لروسا المصافات الرهبانية * الذين يصادفون في حسن تصرفات هذا الريس القانوني البار ما ينعش فيهم الاشواق الي الاقتدا به غيرةً واهتمامًا ونشاطا وامانةً ومساواةً وفطنةً وارشادًا ووعظا ودرايةً نحو مروءوسيهم عمومًا وخصوصًا جهرا وسرا . مكررين التفكر في الغايات التى من اجلها صلبوا العالم في ذواتهم وصلبوا هم عن العالم . متجردين عن محبة الموجودات . متاملين في حقايق الروح الرهباني فاحصين عما تطلبه منهم دعوتهم ونذورهم ووظايفهم . وكيف انهم يلتزمون بان يقيدوا رهبانهم الى الكمال الانجيلي بنموذجات تصرفاتهم الحسنة امامهم احرى مما باوامرهم ومواعظهم . وبان

يبعدوا عنهم الاسباب والاخطار وعلل التجارب والنميمة . وبان يهتموا في تعليمهم بتلك الوسايط الواجبة . وبان يكونوا ساهرين بنوع خصوصي على سيرة المبتدين في اديرتهم ممتحنين حقيقة دعوتهم . مهتمين في ان يوسسهم بالفضايل . مجربين عزمهم ومقاصدهم . شارحين لهم جميع القانون والفرايض والرسوم باجزايها وافرادها ليعلموا جيدا على اي اساس عتيدة ان تكون نذوراتهم وبان يبذلوا حرصهم الكلي بالابتعاد عن ان ينذروهم او يقدموهم الى الدرجات المقدسة قبل الامتحانات الضرورية ليلا يشتركوا بخطايا اجنبية لان التجربة اليومية تعلم بكفاية كم هو الخراب الروحي الذي ينتج من التصرف بخلاف ذلك . اذ انه ليس كل المقبلين نحو الاديرة والطالبين الرهبانية هم كافة مدعوون من الله لهذه العيشة الملايكية ولاكل الناذرين هم مختارون منه تعالى لخدمة مذبحه ولتوزيع الاسرار الالهية بالدرجات المقدسة . خاصة حينما يكون عارين من العلوم الضرورية لهذه الخدمة فاي نعم ان وضع التزامات الروسا المومى اليها بالعمل يقتضي اتعابًا وصبرا وعناية وسهرا . ولكن ان كانوا لايتحركون الى اتمام ذلك من مجرد محبة الله والقريب واملا بالمجازاة عنها باكليل العدل السماوي فقلما يكون يتممونه خوفا من الجواب الصارم العتيد ان يطلبه الله منهم في ديوانه الرهيب عن تغاضيهم وعدم تكميل المتوجب عليهم وعن جميع ما يمكن ان يذنب به مروءوسوهم بسببهم * وبالخلاف اذا ما هم احسنوا اتقان ما تطلبه منهم دعوتهم واقادوا رهبانهم الى الغاية التي من اجلها تركوا العالم فيمكن لكل منهم ان يقول : ها انا والاولاد الذين اعطانيهم الرب *

* اليوم الرابع *

* وفيه تذكار ابوينا البارين يوسف كاتب التسابيح *

* وجاورجيوس الذي من مالاون *

اولاً ان القديس يوسف كاتب التسابيح قد ولد في مدينة سيراكوسا من اقليم صقلية اي جزيرة سيشيليا من ابيه بلوثينوس وامه البارة اغاثى . وذلك في اوايل الجيل التاسع * ومن حيث انه بعد ان حصل على تربية صالحة ونما في العمر والفضيلة كانت العساكر البربرية الاغارانيون استولوا على مدينة سيراكوسا . قد هرب هذا الشاب البار من ارض وطنه الى اقليم بالوبوني . وهناك لكي يخدم الله بافضل نوع قد تمسك بالعيشة الرهبانية تحت قانون

القديس باسيليوس الكبير . محاربًا اعدا خلاصه . مميتًا الامه . قاهرًا ارادته . مثابرًا على التاملات في الكتب الالهية . مستوعبًا معانيها جيدًا . متروضًا في كل نوع من الفضيلة . حتى انه أُعتبر لاجل صفاته الجليلة مستحقًا لخدمة مذبح الرب . ومن ثم رُسم بالدرجات المقدسة كاهنًا *

ثانيًا فكانت الكنيسة الجامعة وقتيذٍ متعوبةً من قبل الارائقة محاربي الايقونات المقدسة المستندين على الذراع الملوكي . فالقديس غريغوريوس الديكابوليطا اذ حضر الى مدينة تصالونيكية قد تعلق قلب القديس يوسف المذكور بمحبته ولذلك حينما رجع الى القسطنطينية قد ذهب معه هذا البار متتلمذا له * ولاجل صفاته الحسنة قد حصل في المدينة المتملكة على اعتبار عظيم . ولهذا قد ارسله القديس غريغوريوس المذكور من القسطنطينية الى رومية لكي يعرض لدى الحبر الاعظم احوال الكنيسة الشرقية ويستمد معونته وعنايته الرعائية * غير انه في مسافة سفره البحري قد اخذ اسيرا من السراكسة فقيدوه بالسلاسل واخذوه الى اقريطش . فطرحوه في سجن مظلم . حيث بقي هناك الى ان انقذه الله منه باعجوبة فايقة الطبيعة بواسطة القديس نيقولاوس العجايبي . ومن حيث ان الاضطهاد وقتيذٍ كان هداء عن الكاثوليكيين . قد رجع هو اي القديس يوسف الى القسطنطينية ولكن حدثت له هناك تجارب خصوصية بتهم باطلة نكابد من جرايها اضامات شديدة بصبر . الى ان ظهرت براءته . وحصل على كرامة واحترام في مصاف الاكليروس . واقيم حافظًا للاواني المقدسة في الكنيسة الكبرى *

ثالثًا فلما فاز بالسلام والراحة . قد تفرغ باكثر اهتمام في الدرس . وبرع جدا في علم البديع * ولهذا طفق يولف قوانين وتسابيح في مديح القديسين والشهدا والابرار بعناية كلية وفصاحة جليلة . حتى اتصل مجموع تلك التسابيح الى ما ينيف عن ثلثماية تسبحة * وهذه قد قُبلت من الكنيسة ووضع استعمالها بالفعل حتى يومنا هذا . ولذلك لقب بكاتب التسابيح * ثم بعد ان عاش هذا البار سنين عديدة بالفضايل والقداسة واذخر لذاته كنوز الاستحقاقات . قد رقد بالرب بميتة مغبوطة سنة ٨٨٣ *

* فيما يخص سيرة القديس جاورجيوس الذي من مالاون *

اولاً ان اعمال حيوة القديس جاورجيوس المذكور التاريخية نظرًا الى مكان مولده

والزمن الذي جاء فيه الى العالم . ثم نظرًا الى حوادثه الخصوصية . فهذه كلها لا يوجد عنها حقايق اكيدة . ولاين كان هذا القديس مكرمًا من الكنيسة الجامعة شرقًا وغربًا * بل ان الاباء مولفي المجموع البولانديستي العظيم بعد فحصهم الكلي لم يقدروا ان يصادفوا ما يقولون عنه سوى الاشيا القليلة الاتي ذكرها . التي اخذوها عن مينولوجيونات وسنكسارات يونانية ولاتينية قديمة جدًا *

ثانيًا فالمكان الذي فيه مارس البار جاورجيوس افعال النسك واجتاز فيه سني حياته بسيرة مملوة من الفضايل والامانات والاعمال المجيدة انما هو جبل مالاون في اقليم لاكونيا في اخر مقاطعة بالابوناسو الكاين فيما بين جزاير جيتارا واقريطش . ولذلك قد اتخذ هذا القديس لقبه من اسم الجبل المذكور * ثم يوجد مدونًا عنه انه اي البار جاورجيوس منذ حصل ابنًا لله بالذخيرة بواسطة حميم اعادة الكون لم يفتر من ان يحفظ الحق الذي قد اكتسبه على ميراث السعادة السموية الابوي بواسطة اعمال البر وافعال الصلاح * ثم لما شب في السن قد اهمل العالم بما فيه متخذًا العناية الالهية وحدها قايدًا اعظم ومرشدًا امينًا الى حين بلوغه قمة الفضايل في هذه الحيوة ووصوله الى الوطن السماوي الذي خلق من اجله *

ثالثًا وقد اقتبل هذا القديس الارتسام بدرجة الشموسية انجيليا وبها خدم الاسرار المقدسة بطهارة وقداسة عظيمتين * وكان بهذا المقدار شديد الصرامة في سيرة النسك والامانات الشاقة . حتي ان علامات ذلك كانت ظاهرة في جسمه * ولاجل تعمقه في الصلوات العقلية والتاوريا قد حصل على اختطافات بالروح . وعلى جليانات الهية مختلفة الانواع وبعد ان حصد اثمار ما زرعه في الارض الجيدة كفلاح سماوي حسب تسميته مستغنيا بكنوز الاستحقاقات . قد رقد بالرب رقودًا مقدسا لايقًا بسيرته المملوة صلاحا . منتقلا الى السعادة الابدية *

فلاحظ ايها القاري العزيز الكلمات المدونة انفًا عن البار جاورجيوس وهي انه منذ حصل ابنًا لله بالذخيرة بواسطة حميم اعادة الكون . لم يفتر من ان يحفظ الحق الذي قد اكتسبه على ميراث السعادة السموية الابوي . اي انه لم يدنس ثوب بر المعمودية * فلنفحص ذواتنا ان كنا نحن بعد ان اكتسبنا هذا الحق مثله بالمعمودية قد خسرناه بخطية ما مهينة

ام لا * اواه يا لخجلنا وخزينا من قبل اعمالنا . فالرسول الالهي يقول نحونا . « يا اخوة اننا « نحن معشر الذين اصطبغنا بيسوع المسيح فبموته قد اصطبغنا . فقد دفنا معه بالمعمودية « للموت حتى انه كما قام المسيح من المرتى بمجد الاب كذلك نحن نسلك في تجديد الحيوة » (رومية ص ٦ ع ٢) * فلنحاكم اذًا انفسنا ان كنا متصرفين بحسب هذا القول الرسولي . اي ان نسلك فى تجديد الحيوة . عالمين ان انساننا العتيق قد صلب مع المسيح حتي لا تخدم الخطية ايضا . لان من قد مات فقد تزكى من الخطية * والاَّ فلنرجع الى الرب ما دام يسمى اليوم . ونصنع خلاصنا بخوفٍ ورعدةٍ . متاملين في انه ان كان الابرار والنساك والقديسون قد استطاعوا مع معونة نعمة الله ان يقووا على كل موانع الخلاص ويحفظوا ناموس الرب بغير عيب . فنحن مثلهم نقدر على كل شى بالمسيح الذي يويدنا . واهبًا ايانا حسب وعده كل ما نطلبه منه في الصلوة مما يساعدنا على امر خلاصنا الابدي *

* اليوم الخامس *

* وفيه تذكار الشهدا كلافديوس ورفقته *

اولاً ان الميناون اليونانى لا يعين في هذا اليوم تذكار القديسين الشهدا كلافديوس ورفقته . بل انما يوجد فيه مرسومًا تذكار القديسين الشهيدين ثاوضولوس واغاثوبودوس * غير انه قد وُجد في المينولوجيونات اليونانية القديمة معينا تحت اليوم الحاضر نفسه تكريم ذكر هولا الشهدا الجليلين وفيها مدونة اسماوهم هكذا اي كلافديوس ديودوروس فيقطر فيكطورينوس . بابيا . نيكيفوروس . سرابيون * وبالتالي ان الميناون العربي بتعيينه تذكارهم في هذا اليوم لا غلط فيه . بل ان ذلك هو موسس على السنكسارات اليونانية المومى اليها الجزيلة القدمية *

ثانيًا اما نظرًا الى اعمال استشهاد هولا القديسين السبعة والظروف المقترنة بها . اي مكان مولدهم والزمان الذي عاشوا فيه . والمحل الذي فيه سفكوا دماهم من اجل الايمان بالمسيح . والسنة التي فيها اكملوا جهادهم . والنوع الذي به استشهدوا فهذه كلها هي مفقودة من الوجود . الامر الذي حدث لكثيرين من الشهدا والقديسين الذين تكرمهم الكنيسة الجامعة بتقليد متصل في كل اينٍ وآن باعياد وتذكارات خصوصية باسمايهم * من دون ان يوجد عنهم في التاريخ الكنايسي علم عن اعمال استشهادهم او سير حياتهم . كما هو حادث

هولا السبعة الشهدا ✻

ثالثًا ثم ان الشي الذي يحقق قولنا المذكور اي فقد ان اعمال جهاد هولا القديسين هو ما يذكره الابا مولفوا المجمع البولانديستي الجليل تحت اليوم الحاضر. اذ انهم بعد تعيينهم اسما السبعة الشهدا المذكورين. يوضحون انهم بعد عناية كلية وفحص جهيد لم يستطيعوا بنوع من الانواع ان يجدوا عند احدٍ او في مكتبةٍ ما شرحًا خصوصيًا عن شي مختص بهم ✻ فلنكرمهم اذًا بحسن عبادةٍ وتدينٍ مع الكنيسة الجامعة صحبة اوليك القديسين العديم ان يحصى عددهم العظيم. الذين ختموا بسفك دمايهم حقايق ايماننا الارثودكسي المقدس وفازوا باكاليل المجد الغير الفاسدة وهم الان شفعاونا في البلاط الملوكي السماوي ✻ حيث نرجو باستحقاقات دم فادينا الالهي ان نراهم هناك. ونشترك بسعادتهم الى الابد. بعد ان نكون فارقنا هذه الحيوة في حال نعمة الله ✻

فهولا السبعة الشهدا مع مصافات شركايهم باهراق دمايهم من اجل المسيح هم اوليك الذين اخبرنا عنهم القديس يوحنا الانجيلي في العدد التاسع من الاصحاح السابع من سفر الرويا بقوله: «ومن بعد هذا رايت جمعًا كبيرًا لا يقدر احد ان يحصى عددهم من كل امةٍ «ومن كل سبطٍ وكل شعبٍ وكل لسانٍ وقوفًا امام الكرسي وقدام الخروف عليهم لباس «ابيض وبايديهم سعف النخل. وهم يصرخون بصوت عظيم قايلين الخلاص لالهنا الجالس «على الكرسي والخروف» ✻ فان كان هولا نالوا اكاليل العدل لاجل سفك دمايهم عن «الايمان فاكليل العدل عينه هو معد لنا نحن ايضًا من اجل الاعمال الصالحة التي نمارسها «في حال نعمة الله. وهكذا نشترك معهم في المجد ✻

✻ اليوم السادس ✻

✻ وفيه تذكار الجليل في القديسين افتيشيوس ريس اساقفة القسطنطينية ✻

اولًا ان القديس افتيشيوس قد ولد في العالم سنة ٥١٢ للمسيح في بلدةٍ من اقليم فريجيا من ابيهِ الكسندروس الذي كان متقدمًا فيما بين قواد العساكر الملوكية تحت رياسة القايد العام باليساريوس الشايع الصيت. وبالتالي من حيث ان مهمات وظيفة الكسندروس لم تكن تعطيه اباحةً للاقامة الدايمة في بيته وللاهتمام الواجب في حسن تربية ابنه المذكور. فقد سلمه لعناية حميه افتيشيوس اى جد الفتى ابى والدته ✻ الذى ابذل كل

جهده في حسن تربيته بالصلاح والقداسة . موسسًا فيهِ عشق الفضايل وخوف الله * ففيما بين افعال العبادة الاخر التى كان هذا الجد الفضيل يعلمها لابن ابنته منذ نعومة اظفاره . هي انه كان يذهب بهِ مراتٍ كثيرة الى الكنيسة التي فيها اقتبل الفتى سر المعمودية المقدس . وعند ركوعهما كليهما امام الحوض الطاهر . كان يقول الجد للصبي : « تذكر يا ابني النعمة التي انت نلتها من الله في هذا الحوض . وهي البنوة له تعالى بالذخيرة « ثم افتكر بالمواعيد التي انت بواسطة اشبينك قد وعدت الله وكنيسته بان ترفض « الشيطان وكل اعماله مع سابر اباطيل العالم وشهواته والام الجسد واميالهِ . وكيف انك « حصلت على الوعد الالهي بان تنال الميراث السماوي ان انت حفظت وصايا الله » * ثم بعد هذا الخطاب كان يصير افتيشيوس الحدث ان يجدد تلك المواعيد مشجعا اياه . وموطدًا فيه المحبة لله فوق كل شي مع احتقار الاشيا الزمنية مهما كانت في ذاتها . لكي يسلك مستقيما فيما من شانه ان يبلغه الى السعادة الحقيقية في السما قايلاً له : « ان هذه الغاية « الوحيدة التي من اجلها انت وُجدت في العالم . وهذه ينبغي ان تكون موضوع اشواقك « الوحيد في ايام حياتك كلها » * ثم اكي يكون هذا الجد امينا على افتيشيوس من خطر فساد سيرته . قد اتخذ على ذاته ان يعلمه هو نفسه العلوم البشرية . بل لكي يعطيه تفسيحا واجبا لسنه الحدث . كان يجمع عنده في البيت بعض الفتيان الحسني الاخلاق قرناء سنه ويهبهم الحرية اللايقة للتنزه . وذلك خوفا من ان الفتى افتيشيوس يوجد في خطر فقد البراءة اذا تركه ان يخالط الاحداث المفسودن كما يتفق لكثيرين . لان شابا واحدًا ردى السيرة يكفي لاعوجاج عدد وافر من الشبان الذين من سنه ولفساد انفسهم *

ثانيًا فاذ بلغ افتيشيوس الحدث الى السنة الثانية عشرة من عمره . قد ارسله جده الى القسطنطينية ليدرس هناك باقي العلوم عند علما شهيرين مختبرين * حيث درس الشاب عندهم علم الفلسفة . بواسطة تاليفات اوليك الفلاسفة المملوة كتبهم من علم الاداب واماتة الالام الردية * فبعد ان تمهر افتيشيوس في العلوم البشرية الاخر . قد باشر درس الكتب الالهية والعلوم الكنايسية . الامر الذى قد نجح فيه جدًا جدًا حتى انه صار من عدد علما دهره العظما * والابلغ من ذلك هو انه قد استسار في تلك المدينة المتملكة سيرةً مملوة من التقشفات . مثابرًا على ان يتقدم في الفضايل وينمو في حسن العبادة وقهر

الذات . محبًا للانفراد . حريصًا على حفظ نفسه من اية زلةٍ كانت * ومن ثم قد وُجد مستحقًا لان يحصى في طغمة الاكليروس القسطنطيني . حيث اقتبل الرسامة شماسًا انجيليًا وبعد ذلك اذ بلغ الى السنة الثلاثين من عمره . قد ارتقى الى درجة الكهنوت المقدسة * ففي تلك الازمنة كان موجودًا في المدينة المذكورة اسقف اماسيا راس اقليم هيلانوبولي * فهذا قد اهتم في ان البار افتيشيوس يرتسم اسقفا على مدينة لازيكوس . ولين لم تكن هذه العناية تبلغ مفعولها . من حيث انه قبل ان يقتبل هذا المنتخب الرسامة الاسقفية قد اقيم على تلك المدينة اسقف اخر ليس من دون بلةٍ *

ثالثًا اما القديس افتيشيوس فحينما كان الانام المتقدمون لاعتبارهم حسن صفاته الجليلة يجتهدون في ارتفاعه الى الوظايف العلياء . كان بالضد يهتم في ان يخفي ذاته عن اعين البشر . وفي ان يكون منسيًّ في الوحدة والصمت والسكينة . معتنيًا في امر خلاصه الابدي ولهذي الغاية خرج من القسطنطينية وذهب الى دير رهبان مدينة اماسيا . حيث لبث مواظبًا على حفظ الرسوم الاشد صرامةً في السيرة الروحية * فاسقف اماسيا الموكدة لديه عظمة استحقاقات هذا البار . قد اقامه ريسا عاما على جميع الرهبان الموجودين في ابرشيته الامر الذي صدرت عنه فوايد كلية للاديرة والرهبان كافةً من قبل غيرة هذا الاب العام وتعاليمه وارشاداته ليس باقل من نموذجات سيرته المملوة فضايل سامية . حتى انهم ازهروا جميعا بالقداسة وحفظ صرامة القانون الرهباني بكل تدقيق . فلما التيم المجمع المسكوني الخامس القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣ . ولم يقدر اسقف اماسيا لبعض موانع خصوصية ان يذهب بشخصه الى المجمع المذكور . قد ارسل نايبا عنه البار افتيشيوس * الذي اذ مضى الى هناك مترددًا مع الاساقفة امام الملك يوستنيانوس قبل انعقاد السينودوس قد تلالأت لدى الجميع صفاته وعلومه وبراعته وحكمته وفطنته بهذا المقدار . حتى انه حالما توفى وقتيذٍ القديس مينا راعي المدينة . قد اعتمد الملك مع الاكليروس والشعب القسطنطيني واقاموا هذا البار افتيشيوس خليفةً للمتوفي * حيث ارتسم بالدرجة الاسقفية . وارتقى الى تلك الكاتدرا الجليلة *

رابعًا فقد اشرق ضيا هذا السراج من فوق تلك المنارة بافادةٍ كلية لاهل بيت الرب وقد اهتم القديس قبل كل شي في ان ينقي الحقل الانجيلي من زوان الارتقات التي كانت

انسربت فيما بين البعض من رعيته رويداً رويداً * وكان يمارس توزيع كلمة الله بذاته في الخطب المتواصلة والمواعظ الجليلة . مجتهداً في تقويم سلوك الجميع من الاكليروس والشعب باستيصال العوايد الردية وحفظ التهذيب القانوني والاداب . معتنياً في كل ما كانت تحتاج اليه الرعية من الامور الروحية والزمنية ايضاً * وبنوع خاص كان يهتم في سد عوز الارامل والايتام . الامر الذي منذ ازمنة الرسل حفظ من اوليك الرعاة الاولين فبعد ان دبر هذا البطريرك الجليل خرافه الناطقة مدة اثنتي عشرة سنة بهدوء وسعادة . حدث ما اقلق الكنايس الشرقية من قبل ما حركه العدو الجهنمي من الراي الضال الذى تمسك به اوليك الذين كانوا يعلمون ان جسد سيدنا يسوع المسيح من حينما اتحد باقنومه الالهي حصل عادم الفساد والالام والموت . وان ما يعلمه الانجيل المقدس عن تالمه وصلبه وموته كان خيالاً وليس على الحقيقة . وبالتالي اذ كان يظن هولاء ان يكرموا ناسوت فادينا بصفة كونه عديم التالم صيروا بنتيجة واضحة ان تجسده تعالى يضحى غير مفيد لخلاص الجنس البشرى ◎ فالملك يوستنيانوس بعد ان كان في السنين الاولى من تملكه كلي الغيرة على حفظ نقاوة الايمان الكاثوليكي قد اهمل ذاته اخيراً لان ينخدع من المتمسكين بالضلال المذكور ولان يعتنقه هو نفسه * فالراعي الغيور القديس افتيشيوس شرع يقاوم حالاً هذا الراي المفسود الغاش الذى يويد ارتقة اوطيخا المحرومة من المجمع المسكوني الرابع الخلكيدوني . بل هو فرعٌ منها . ولم يغفل عن ان ينصح الملك المذكور شفاهاً وخطاً ببراهين سديدة ليجذبه من الغلط الى صحة الايمان * ولكن هذا الملك المتكبر عوضاً عن ان يستفيد من هذه النصايح والارشادات الخلاصية . قد اقام ذاته معلماً للايمان حيث انه الف منشوراً يتضمن الراى الضال المشروح اعلاه . وقدمه للبطريرك القديس لكي يثبته بامضايه تبعاً لما كان فعل البعض من الاساقفة المحبي الجاه والكرامات ورضا خواطر العظما والمفضلين ذلك على محبة الاستقامة والحق * ومن حيث ان القديس افتيشيوس رفض بشجاعة قبول هذا الطلب الجسور المضاد الايمان . وطفق يجاهر باشد غيرة عن الاراء المستقيمة . راذلاً هذه البدعة الاراتيكية . ففي ٢٢ من شهر كانون الثاني سنة ٥٦٥ قد طُرد من القسطنطينية وأُرسل الى المنفى . وأُقيم دخيلاً على الكرسى البطريركي رجل يُدعى يوحنا المدارسى *

خامساً فالمكان الاول الذي نفي اليهِ القديس افتيشيوس كان الجزيرة المقفرة المدعوة : الاميرة : وبعد ذلك ارسل الى ديره السابق في مدينة اماسيا * فهذا القديس كما اقتبل بصبرٍ هذه الاهانات والافتراء والظلم الذي عومل به من الملك الضال . كذلك نظراً الى محبته الانفراد والوحدة شكر الله على خلاصه من ضوضا العالم ليهتم بافضل نوع في تقديس نفسه * ولكن غمومه كانت عظيمة لسبب الاضرار الروحية التي حصلت لرعيته من قبل هذه الحوادث وقد ثابر على مباشرة افعال الامانات والتقشفات بحفظ القانون الرهباني بتدقيق كلي * ولم يتغافل عن تاليف رسايل ومقالات في المحاماة عن الايمان الكاثوليكي وفي رذل الاراء الضالة . وفي تفنيد مقالات الارانقة التي اشهروها في تاييد ضلالهم * ثم في الوقت الذي فيه كان البشر ذووا الالام الردية يجتهدون في ان يعدموا هذا القديس صيته الحسن فالباري تعالى قد جعله اكثر اشتهاراً واعظم اعتباراً . لاجل ايهابه اياه موهبة صنيع العجايب التي فعلها بواسطته بعددٍ وافر في مدة زمن نفيه في مدينة اماسيا * وهذه العجايب هي محررة باسهابٍ وتدقيق من افسطاسيوس كاتب سيرة هذا القديس اذ انه اي افسطاسيوس كان رفيقاً له في منفاه وخادماً اياه وبالتالي ان ما كتبه عن العجايب المومى اليها كان شاهده بعينيهِ وكانه لمسه بيديه * فالقديس افتيشيوس قد استمر في ذلك المنفى مدةً تنيف عن اثنتي عشرة سنةً . ولكن حينما مات يوحنا المدارسي البطريرك الدخيل في الكرسي القسطنطيني . وكان وقتيذٍ متولياً على التخت الملوكي خليفةً للملك يوستنيانوس يوستينوس الثاني مع شريكهِ تيباريوس . فحالا قد دعي هذا القديس من المنفى وحضر الى المدينة المتملكة * التي دخلها في ٢ تشرين الاول سنة ٥٧٧ باحتفالٍ عظيم وافراحٍ عامة فايقة الوصف . وهكذا في السنين القليلة التي عاشها بعد رجوعه الى كرسيه قد دبر رعيته المحبوبة منه بغيرة متقدة وبعنايةٍ وافرة وبحبٍ شديد مع اتضاعٍ عميق . لاسيما نحو اوليك الذين كانوا اشتركوا في امر عزله الظالم عن كرسيه وفي ارساله الى المنفى * الذين اظهر نحوهم علامات حبٍ خصوصي كحسب عادة من يريد ان يحيي بموجب التعليم الانجيلي تابعاً اثر خطوات يسوع المسيح الذي اوصى بمحبة الاعدا انفسهم وبان يكافوا خيراً عوض الشر وقد اثبت تعالى نفسه هذه الوصية بنموذج اعماله المنيرة التي اعطاناها تمثالا حيا *

سادسا ولكن فيما كان هذا الراعي القديس مهتما في تنقية كنيسته وتطهير شعبه من

الغلطات الضالة التي كان زرعها الارانقة والاشخاص المبتدعون المحبوا التجديدات المضرة محاميًا عن صحة الايمان الكاثوليكي . ومبرهنًا عن فساد الاراء الردية بالصوت الحي وبا تاليفات الجليلة . قد سمح الباري تعالى . ربما لكي يعطي سببا اعظم لهذا البطريرك لازدياد تواضعه او لكي يعرّفه بابلغ نوع مقدار ضعف العقل البشري . بانه هواي افتيشيوس نفسه سقط فى غلطٍ يخص بعض صفات اجسادنا بعد القيامة المجيدة . مدعيًا او قلما يكون مشيرًا بما استعمله من الاقوال الى ان الاجساد بعد القيامة العامة للمجد تعود غير محسوسة ولا ملموسة بل تكون الطف من الهوا * فوقتيذٍ كان موجودًا في القسطنطينية القديس غريغوريوس الكبير (الذي فيما بعد ارتقى الى البابوية) نايبًا عامًا عن الحبر الاعظم بيلاجيوس الثاني . فهذا عند سماعه الغلط المذكور قاومه بغيرةٍ وشجاعةٍ وقد جادل القديس افتيشيوس عنه بجمعيةٍ انعقدت امام الملك ليباريوس ببراهين قوية بنوع انه اي القديس افتيشيوس قد اعترف بغلطه بكل اتضاع ورذله مطلقًا واحرق بالنار الكتاب الذي كان اورد فيه هذه الغلطة * ومن ثم حينما حصل هذا البطريرك الجليل بعد مدةٍ طريحًا على الفراش بمرضه الاخير . كان يمسك بيده ذراعه امام الحاضرين ويقول لهم هكذا: «انني اعتقد باننا جميعًا سنقوم في اليوم الاخير من الموت باجسادنا ولحماننا هذه بعينها» . كما يشهد بذلك القديس غريغوريوس المذكور نفسه * ثم ان هذا الراعي كان منذ مدةٍ سلفت يشتهي ان يحل من رباطات الجسد . وان ينتهي زمن غربته من وادي البكا في الدهر الحاضر . هاتفًا مع الرسول الالهي: «انني ارغب ان أُحل من هذا الجسد لاكون مع المسيح» . . وصارخا مع المرتل: «كما يشتاق الايل الى ينابيع المياه كذلك تتوق نفسي اليك يا الله . عطشت نفسي الى الله الحي القوي . متى اجي وانظر الى وجه الله» * فالباري عزَّ وجلَّ قد انعطف الى اجابة مرغوب عبده الامين هذا . لانه في يوم عيد الفصح المجيد الواقع تلك السنة في ٢٩ اذار . بعد ان احتفل هذا القديس صباحًا بالخدمة الالهية الحبروية . وناول من يده سر القربان الاقدس لعددٍ عظيم من رعيته . قد استحوذت عليه بغتةً حمى محرقة قوية . ولكنه مع ذلك اراد ان يحضر الى الكنيسة ليكمل احتفال صلوة الغروب بعد نصف النهار * وغب نهايتها انطرح على فراشه . وابتدأ المرض ان يتزايد عليه الي حد اليوم الثامن الذى هو السادس من شهر

نيسان سنة ٥٨٢ التي هي السبعون من عمره . قد رقد بالرب بسلام . مستودعا نفسه في يدى الله . منتقلاً من هذا المنفى العالمي الي السعادة الابدية . ومتمتعاً به تعالى *

فلنستفد من نموذجات هذا البطريرك القديس . لاسيما من تلك العادة الحميدة التي تعلمها من جده بان يجدد امام حوض المعمودية المقدس النذورات المبرزه على اسمه حين اعتماده . الامر الذى قد حفظ به منذ حداثته ثوب البر غير مدنس . ولنعلم ذلك للذين تحت سلطاننا منذ نعومة اظفارهم * فالمواعيد التي كلٌ منا بواسطة اشبينه وعد بها الله وكنيسته وقت اصطباغه المسماة من الابا القديسين بنذورات فهذه نلتزم بحفظها من دون تفسيح . اى بان نرفض الشيطان وجميع اعماله التي هي الخطايا بوجه العموم . وبان نحتقر المجد العالمي مع سايرا باطيل هذا الدهر . وبان نوافق المسيح حافظين شريعة انجيله ووصاياه المقدسة * فتبعاً لهذه النذورات بالمعمودية حصلنا من الله على مغفرة الخطيئة الاصلية وعلى الانعتاق من عبودية الشيطان . وصرنا بنين لله بالوضع . ووارثين الملك السماوى . وهذا جميعه باستحقاقات فادينا يسوع المسيح * ولكن ترى كم وكم من المسيحيين يتناسون هذه النذورات عايشين مسيحيين بالاسم فقط . واما بالاعمال فليسوا باقل من الامم الغير المومنين * فلنرفض ساطانايل وجميع اعماله فعليا . كما يقول القديس اغوسطينوس نحو رعيته هكذا : « ارفضوا الشيطان ليس بالالفاظ فقط بل بالافعال ايضاً . ولا باللسان فقط لكن في جميع اعمال حياتكم ايضاً » * فاذا تممنا نذوراتنا برذل اعدا خلاصنا الشيطان والعالم والجسد . فحينيذٍ يمكننا ان نفوز باثمار ايماننا وبغاية دعوتنا المسيحية السعيدة * فلا نتشبهنَّ اذاً بالكثيرين الذين لايفتكرون بان يحفظوا واجبات هذه المواعيد . بل فلنتذكر قوله تعالي بان المدعوين كثيرون واما المختارون فقليلون * فيكفينا ان نتبع الذين هم نظير القديس افتيشيوس . ولو كانوا قليلين . وهكذا نخلّص انفسنا ونحصل على تمام الغاية التي خلقنا من اجلها . متملكين مع الله الي الابد *

* اليوم السابع *

* وفيه تذكار ابينا البار جرجس استف ميليتيني *

اولاً ان ابانا الجليل في الابرار القديس جاورجيوس استف ميليتيني كان من رجال الجيل الثامن الابرار المجاهدين عن الايمان المستقيم وقد ولد في مدينة ميليتينى عينها التي

فيما بعد صار اسقفا عليها . ولبن لم تكن معروفة بتاكيد السنة التي ولد فيها * بل ان الشي الاكيد هو ان هذا البار كان من عيلة شريفة جدًا ومن والدين كلي الغنى والشرف والبرارة . ومن ثم حصل على تربية جليلة تليق بسمو مقام اقربايه وتماثل فضايلهم المسيحية ومن حيث انه منذ حداثته ويمكننا ان نقول قد رضع مع اللبن خوف الله ومحبة الفضيلة فتاصل فيه من الإقماط حسن الاداب ومعرفة زوال الثروة والمجد الزمنيين * وبمقدار ما كان ينمو في العمر كان يحتقرهما بابلغ نوع لاجل محبة المسيح . ولهذا اذ بلغ الى السن الكافي لترك العالم واباطيله وللتمسك بالعيشة الرهبانية . قد اهمل كل شي . ومضى الى احد الاديرة في تلك الجهات . ودخل اليها تابعا سيرة النسك بموجب القانون المختص برهبان ذلك الدير . مثابرًا على التاصل في الفضايل كافةً . لاسيما فضيلة الرحمة نحو الفقرا والمساكين الذين لحال مقدرته على اسعافهم من ثروته كان طلق اليد نحوهم بسخاء كلي *

ثانيًا فهذه الصفات الجيدة الطبيعية والاكتسابية باقترانها مع الفضايل الانجيلية التي اتصف بها هذا البار قد اهلته لان ينتخب الى الدرجات المقدسة وان يرتسم اسقفًا على مدينة ميليتيني بصوت جميع الاكليروس والمتقدمين * وحينيذٍ اذ تسلم زمام تدبير هذه الابرشية قد تلالأت اخلاقه الحسنة وغيرته المتقدة وساير فضايله باعظم نوع . خاصةً سخاه نحو البايسين والايتام والارامل * لانه ظهر حسب المقال النبوي الداودي عن الرجل البار: « النهار كله يرحم ويقرض » (مزمور ٣٦) * ولهذا قد افاد رعيته افادةً عظيمة بنموذجات سيرته الفاضلة . ليس باقل مما افادها باقواله ومواعظه وارشاداته وتعاليمه ونصايحه وتنبيهاته *

ثالثًا ثم ان غيرته على حفظ الايمان المستقيم والمحاماة عن حقايقه قد اعتلنت باوفر ايضاح . حينما ظهرت في ايامه ارتقة محاربي الايقونات المقدسة * لان هذا الراعي الصالح قد علّم بافعاله اكثر مما باقواله وجوب تكريم هذه العناصر المادية . ليس لاجل ذاتها بل عبادةً واحترامًا لعنصرها الاصلي . الذي تمثّله لدينا وتستحضره بازاء اعيننا * فهذا الاسقف البار كان يحترم الايقونات الطاهرة ويكرمها ويزيحها بحسن عبادة . وبذلك مع اقواله النفيسة وبراهينه الوطيدة كان يبدد طغيان الارتقة محاربيها . ويوصل في الاكليروس

والشعب حسن توقيرها * وهذا وذاك قد جعله مستحقاً للموهبة العظيمة بشفاعة القديسين الذين كان يحامي عن ايقوناتهم . وهي ان الله قد منحه ان يصنع العجايب الكثيرة والمختلفة الانواع . الامر الذي صير اسمه شايعا في الاصقاع * وبعد ان خدم رعيته سنين عديدة بهذه النجاحات . وسبق فاخبر عن ساعة موته ويومه وشهره وساير ظروفه . قد رقد بالرب محققا تكميل تخبيره السابق بالتمام . وارتقت نفسه الطاهرة الى القناطر العلوية لتملك مع المسيح في سعادته الابدية الالهية . متمتعة بكنز الاستحقاقات التي اذخرها لذاته بافعاله المقدسة *

فحقاً انه لعظيم هو مفعول النموذج الصالح في المتقدمين من الروسا وارباب العايلات وفي كل من يوجد تحت تدبيره من يلتزم بارشادهم * على انه حينما يفعل هولا بذواتهم ما يعلمونه للغير تكون ثمرة اقوالهم غنية جداً ۞ فهذه الحقيقة اذ كان القديس المذكور مقتنعاً بها . كان يمارس بالعمل ما يرشد اليه الغير لا سيما في قضية تخص الايمان والديانة التي هي تكريم الايقونات المقدسة . وبهذا اقتداء براعي الرعاة الحقيقي الذي يخبرنا عنه الانجيليون بانه كان يعمل ويعلم * فليستفد من ذلك كل من يخصه الاهتمام بالغير . لان بدونه تكون اقواله وارشاداته عديمة الافادة حتى لا نقول انها مضرة *

* اليوم الثامن *

* وفيه تذكار الرسل ايروديون واغافوس وروفوس ورفقتهم *

اولاً ان القديسين ايروديون واغافوس وروفوس هم من اوليك الرجال المدعوين رسوليين . لان منهم من كان من عدد السبعين تلميذاً الذين اختارهم مخلصنا يسوع المسيح نفسه للانذار بالانجيل صحبة رسله القديسين الاثني عشر . ومنهم من كانوا من عدد تلاميذ الاناء المصطفى رسول الامم الالهي وتلاميذ باقي الرسل * وبالتالي ان هولا الرجال المعظمين قد طافوا في العالم كارزين منذرين مبشرين معلمين مرشدين موسسين الايمان بالمسيح . راسمين كهنة واساقفة لشعوب الامكنة التي بشروا فيها بالانجيل . محتملين الاضطهادات والمقاومات من الولاة والكفرة . واخيراً مثبتين بسفك دمايهم تلك الحقايق الانجيلية التي انذروا بها *

ثانياً ولكن بمقدار ما كانت اعمالهم عظيمة . ولهم في الكنيسة الجامعة المقام الاول من

بعد الرسل القديسين . وتكرّمهم الكنيسة المقدسة بحسن تدينٍ وباحترامٍ تقوي لانهم موسسوها الاولون . فامرٌ يوجب الغم هو عدم اتصال حقايق اخبارهم الخصوصية الينا نظرًا الى امكنة رسالة كل واحدٍ منهم . ثم نظرًا الي الاعمال الشخصية والحوادث الفردية التي المَّت بهم . واخيرًا نظرًا الى الازمنة والامكنة التي فيها انهوا حياتهم الرسولية * ولكن هذه وتلك عتيدة ان تشهر لدى العالم اجمع وتعرف من الملايكة والبشر في ذلك الموقف العام في يوم الدينونة الاخيرة . ليكافوا عنها بالمجد والشرف في السعادة الطوباوية *

ثالثًا غير انه يوجد لدينا في الكتاب المقدس ذكرٌ خصوصي للثلثة القديسين الرسولين ايروديون واغافوس وروفوس بالنوع الاتي ايراده . فالاول منهم يذكره الرسول الالهي في العدد الحادي عشر من الاصحاح السادس عشر من رسالته الى الرومانيين قايلاً : « قبلوا ايروديون نسيبي » . فمن ههنا ينتج واضحا . اولاً ان القديس كان في مدينة رومية سنة ٥٨ التي فيها كتب الاناء المصطفى رسالته الى الرومانيين . ثانيًا انه اى القديس ايروديون كان نسيبا للقديس بولس بقرابةٍ خصوصية *

رابعًا واما القديس اغافوس فهو من انبيا العهد الجديد . ويذكره القديس لوقا الانجيلي في العدد السابع والعشرين وما يتلوه من الاصحاح الحادي عشر من سفر الابركسيس قايلاً : « وفي تلك الايام نزل انبيا من اورشليم الي انطاكية . فقام واحد منهم « اسمه اغافوس فانبا هم بالروح انه سيكون جوع عظيم في كل المسكونة . وهو الذي صار « في ايام كلوديوس قيصر » * ثم يكرر ذكره في العدد الحادي عشر من الاصحاح الحادى والعشرين هكذا : « ثم نزل من بلد اليهودية رجلٌ نبي اسمه اغافوس . وجاء الينا واخذ « منطقة بولس وشد بها رجليه ويديه وقال : هذه الاقوال يقولها الروح القدس . « الرجل الذى هذه المنطقة منطقته هكذا يشده ويقيده اليهود باورشليم ويدفعونه الى « ايدى الامم » * اما الكنيسة اللاتينية فتصنع تذكار هذا النبي القديس والرسول اغافوس في ١٤ شهر اشباط *

خامسًا واخيرًا يذكر القديس روفوس من رسول الامم في العدد الثالث عشر من الاصحاح السادس عشر من رسالته الى الرومانيين بهذه الالفاظ : « سلموا على روفوس « المصطفى بالرب وعلى امه اياه » * فاى نعتٍ اعظم كان يمكن للقديس الرسول بولس

ان ينعت به القديس روفوس بافضل من ان يسميه: المصطفي بالرب * فهذا كافٍ لان يبين من الجهة الواحدة كم كان الرسول الالهي يعتبر هذا القديس . ومن الجهة الاخرى كم هو استحقاقه لدى الله الذى اصطفاه الي الخدمة الانجيلية . وبالتالي املاه من النعم السامية لاتقان واجبات هذه الدعوة * ثم ان الكنيسة اللاتينية تكمل تذكار هذا القديس روفوس في اليوم الحادى والعشرين من شهر تشرين الثاني *

فكلٌ منا يستطيع بل يجب عليه ان يقول ما اجاب به الرسول الالهي بولس لاوليك المومنين الذين كانوا مجتمعين في قيسارية في منزل القديس فيلبس الشماس . الذين لما سمعوا ما تنبا بهِ على هذا الرسول القديس اغافوس قد تضرعوا اليهِ بالاَّ يصعد الي اورشليم * اما القديس بولس فاجابهم قايلاً: «ماذا تعملون اذ تبكون وتفتتون قلبي . «فانني انا مستعدٌ لا للرباط والتقييد فقط بل للموت ايضاً باورشليم من اجل اسم الرب «يسوع» * فاذاً يجب ان يكون هذا جواب كلٍ من المسيحيين لمن يضع بازايهِ الموانع والصعوبات التى يمكن ان تصادفه في تكميل واجبات دعوته المسيحية . او بالحرى ان يجاوب ذاته بذاته بذلك حينما يصوّر لديهِ حب الذات وروح الانعطافات الطبيعية والصعوبات ليصداه عن التقدم في النمو الروحي وفي الفضايل الانجيلية . اى انه بشجاعة رجولية يظهر استعداده وثبات عزمه * على انه بالمسيح يظفر بجميع الموانع وينتصر على كل الصعوبات ليدرك الغاية التى خلق من اجلها . وهي ان يعرف الله ويحبه ويعبده ويحفظ وصاياه ليرث ملكوته *

* اليوم التاسع *

* وفيه تذكار الشاهد افبسيشيوس *

اولاً ان القديس المعظم في الشهدا افبسيشيوس هو من مدينة قيسارية الكبادوك . فلما مات قسطانسوس الملك سنة ٣٦١ . قد خلفه في التخت الافغوسطي يوليانوس الغاصي وهذا قد جحد الايمان بالمسيح . واشهر ذاته عدوًا للديانة المسيحية ولكل المتمسكين بها . ورد الى الوجود الديانة الوثنية الكاذبة . وفتح معابد الاصنام التى كانت أُغلقت في زمن قسطنطين الكبير . وعمر المهدومة منها * بل اعلن ذاته بمنزلة حبر اعظم لكهنة الاوثان . وطفق يمارس بخباثة كل اجتهاده وحيله في اضطهاد المسيحيين ليصيرهم ان

يجحدوا نظيره امانتهم الحقيقية ويتمسكوا بضلال عبادة الاصنام ❋

ثانيًا فالقديس افبسيشيوس قد انقذت فيه نار الغيرة المضطرمة على مجد الايمان بالمسيح ولم يعد يحتمل ان يشاهد هذا الانقلاب العظيم . ولا ان يستمع تجديف الكفرة وافتراهم على الاسم المسيحي . لاسيما حينما شيد يوليانوس في مدينة قيسارية معبد الصنم المدعو السعد فهذا القديس قد استعمل عنايته بشجاعة فريدة في هدم المعبد المذكور الي الارض بوسايط بلغ بها مقصوده الى الغاية ❋

ثالثًا فلما لم يختفِ انه هو اي القديس افبسيشيوس قد صنع ذلك قد قُبض عليه وعذب بانحاء شتى لينجي نفسه منها بواسطة نكرانه الايمان بالمسيح * الا انه اذ لبث يعترف به تعالى بثباتٍ غير مغلوب . فمن ثم اميت تحت العذابات . وهكذا فاز باكليل المجد الغير الفاسد من يد يسوع الناصري الذي كان يوليانوس العاصي يحاربه على الارض طول مدة السنتين وينيف التى بها تملك في التخت الرومانى ❋

فترى من يمكنه ان يقرا خبرية ما صنعه الملك يوليانوس العاصى . ولا يندهل ويخاف معًا من احكام الله الغامضة . وكيف ان الانسان حينما يفقد النعمة الالهية ويحصل في العمي العقلي . يتهور ساقطا من هوتة الى هوتة . ويضحى اكثر شرًا من الشيطان عينه فامرٌ واضحٌ هو ان يوليانوس العاصي الذي تربى في الديانة المسيحية وصار شماسا اناغنسطيًا . لم يكن في بدء ضلاله سوى شاب يحب الفحص عن كل شى بافراطٍ . ولذلك تعلق في درس علم السحر . وبالتالى لم يتصل الى نكران الله ورفض الديانة المسيحية والتمسك بالضلال الوثني الا رويدًا رويدًا * فلنخف اذًا من فقدان النعمة الالهية اشد الخوف . ولا نتهاون في الخطايا الاولى لئلا يأول مآلنا بالتتابع الى صلابة القلب في الاثم التي تكون نهايتها الهلاك الابدي ❋

❋ اليوم العاشر ❋

❋ وفيه تذكار الشاهد تارنتيوس ورفقته ❋

اولاً ان القديس الشاهد تارنتيوس وارفاقه الشهدا القديسين الذين يوضح عنهم المينولوجيون الباسيلي انهم كانوا اربعين في العدد . قد سفكوا دماهم من اجل الايمان بالمسيح في بلاد افريقية نحو سنة ٢٥٠ في زمن الاضطهاد المصنوع ضد المسيحيين من الملك داكيوس قيصر

واما اعمال استشهادهم فهي الاتي ايرادها باختصار *

ثانيًا فقد قبض على هولا القديسين تارنتيوس وبومبايوس واغريكانوس ورفقتهم السبعة والثلثين شهيدًا في بلاد افريقية بموجب اوامر فورتونيانوس الوالى المقام بهذه الوظيفة من الملك داكيوس قيصر. الذي اضرم نيران الاضطهاد الكلية خباثته والشديدة رداوته والبربرية قساوته ضد الاسم المسيحي والمتمسكين بالديانة الحقيقية * ثم احضروا امام الوالى المذكور واذ اعترفوا بالمسيح قد وضعهم تحت العذابات القاسية * فاولاً قد صير الجلادين ان تضربهم وتجلدهم جلدًا شديدًا. ثانيًا ان تذيقهم عذاب الزيار والدواليب الكلي الاوجاع والالام ثالثًا ان تعذبهم بانواع اخر مختلفة وبامتحانات خبيثة شيطانية * غير انه لما شاهدهم المغتصب بعد عذابات هذه شدة قساوتها لبثوا ثابتين على الاعتراف بالمسيح بشجاعة رجولية وبعزم فاقد ان يُغلب. فحينيذٍ حكم عليهم جميعًا بالموت بقطع روسهم * وقد وُضعت هذه الحكومة النفاقية بالعمل وقطعت هامات الشهدا الاربعين الكريمة. فنالوا تاجات الظفر واكاليل الغلبة من ملك الملوك السماوي الذي سفكوا دماهم من اجل الايمان به تعالى *

ثالثًا ثم انه امكن للمومنين ان يحصلوا على اجساد هولاء الشهدا. وان يدفنوها بكرامةٍ حيث كان سكان بلاد افريقية يقدمون لها احتراما وعبادةً نقويةً عظيمةً * وقد استمرت هناك الى مبادي الجيل الخامس. وبعد ذلك نقلت باحتفال الى مدينة القسطنطينية بموجب اوامر الملك ثاوضوسيوس الصغير ووضعت في الكنيسة التي خُصصت بها * وطفق الشعب القسطنطيني يكرمها بحسن تدينٍ كما تستحق *

* اليوم الحادي عشر *

* وفيه تذكار الشهيد في الكهنة انتيبا اسقف برغامة *

اولاً ان القديس الجليل والمجيد في الاساقفة الشهدا انتيبا اسقف برغامة في الاسيا قد جاء ذكره في العدد الثاني عشر وما يتلوه من الاصحاح الثاني من سفر الابوكاليبسى الالهي بهذه الالفاظ وهي: «اكتب الى ملاك كنيسة برغاموس ان هذا ما يقوله صاحب السيف ذي الحدين انى اعرف حيث هو مسكنك حيث هو كرسى الشيطان وانت متمسك باسمى ولم تجحد امانتى. وفي تلك الايام انتيبا شهيدي الامين المقتول عندكم حيث هو

«مسكن الشيطان». ولكن لي عليك قلايل ان لك هناك قوما يتمسكون بتعليم بلعام «الذي كان يعلم بالاق ان يلقي الشكوك امام بني اسرايل. ان ياكلوا ويزنوا. هكذا عندك «انت ايضا قوم متمسكون بتعليم النيقولاويين. فتب انت ايضا. والا فانا اتي اليك عاجلاً واقاتلهم بسيف فمي ✻

ثانيا فاذًا القديس انتيبا هو نفس انتيبا الذي دعاه الحق بالذات في النص المقدم ذكره «شهيدي الامين المقتول عندكم حيث هو كرسي الشيطان» ✻ فاما مختصر حيوة هذا القديس واستشهاده فهو انه اي القديس انتيبا كان معاصرًا للرسل القديسين ومتتلمذًا لهم. لا سيما للقديس يوحنا الانجيلي ✻ ولاجل غيرته على مجد الديانة المسيحية ولسمو فضايله وحسن صفاته الجليلة قد رُسم اسقفا على مدينة برغامة في الاسيا الصغرى. وكان وقتيذٍ تقدم في السن ✻ واذ كان في هذه المدينة معبد شهير للاوثان. وكانت الشياطين تتكلم بواسطة التماثيل والاصنام الموجودة فيه. ولذلك دعي المكان المذكور «كرسي الشيطان». فهولا الارواح الشريرة اذ شاهدوا نمو الايمان بالمسيح بواسطة كرازة القديس انتيبا. ووُجدوا مضطرين على الهرب من امامه. قد ظهروا يوما ما للوثنيين واوضحوا لهم انهم طالما يوجد انتيبا في تلك المدينة لايقدرون على الاقامة هناك ✻

ثالثا فالشعب الوثني من ثم نهضوا ضد القديس في زمن ولاية الملك دوميتسيانوس قيصر. وقبضوا عليه واتوا به الى حاكم المدينة ✻ الذي حالاً امره بان ينكر المسيح وبان يقدم الضحية للاوثان ✻ فهذا الراعي الجليل قد رفض قبول الشيين معا. وطفق يبرهن عن حقايق الديانة المسيحية وعن فساد المذهب الوثني وطغيانه ورجاسته ✻ فالوالي قال له ان الاعتقاد الذي كانوا متمسكين به كان قديم الايام. واما الديانة المسيحية فكانت مستجدة فالقديس اذ ضحك من هذا البرهان الفاسد. موردًا لهم ان تصرفات قايين القاتول كانت كلية القدمية منذ انشا العالم. فهل لاجل قدميتها كان يجوز للانسان ان يقتل اخاه. وثبت هكذا مجاهدًا عن الايمان بالمسيح ✻ فلهذا حكم عليه الوالي بالموت على هذه الصورة. وهي انهم وضعوه ضمن ثور من نحاس. واوقدوا النار من كل جهاته فانهى القديس بذلك حياته المقدسة شاهدًا امينا ليسوع المسيح. الذي كلله بتاج الغلبة والظفر في سعادته الابدية ✻

فكلٌ منا يسخر مستهزيا بالبرهان الذي اورده الوالي للقديس عن قدمية العبادة الوثنية زاعما ان يويدها بذلك * ولكن ترى لايوجد في ازمننا مسيحيون يريدون ان يستروا قباحة عوايدهم الردية وشناعة تصرفاتهم الاثيمة برداء هذا البرهان المضحك . وهو ان كثيرين من المسيحيين الاخرين سالكون هكذا نظيرهم منذ ازمنة مديدة * اما يعتذر البعض من التجار في ان كثيرين غيرهم يزغلون البضايع . ويخادعون في العهود . ويبيعون الردي بسعر الجيد . ويختلسون في الاوزان والمكيال . اما يدعي المراؤون في ان كثيرين مثلهم يعطون فضتهم بالربا . وان هذه هي عادة سالكة بالعمل * اما يعتذر الدنسون في ان غيرهم كثيرين مواظبون على العشرة المشككة والاجتماعات القاينية * اما يدعي السكيرون في ان الاخرين مثلهم يراقبون مجالس السكر * فيالها من اعتذارات مضحكة فاسدة باطلة لايمكن ان تقنع ولا المدعين بها انفسهم * فليرهب مثل هولا من الغضب الالهي ومن دينونة الله العادلة . وليرجعوا اليه تعالى بالتوبة الصادقة حالاً . والاَّ فياتي اليهم عز وجل عاجلاً ويقتلهم بسيف فمه . ويلقيهم في الدركات الجهنمية *

* اليوم الثاني عشر *

* وفيه تذكار ابينا البار باسيليوس المعترف اسقف بارية *

اولاً ان القديس باسيليوس المعترف هو من رجال الجيل الثامن المعظمين والشايعي الذكر في المناضلة عن الحقيقة الدينية المختصة بتكريم الايقونات المقدسة . التي حاربها الارائقة الضالون . مستندين على الذراع العالمي ومعضدين من المحامي الاول بل المبتدع الاثيم الملك لاون الايصوري الذي اتبعهُ في ضلاله بعض الملوك خلفايه * فنظرًا الى مكان موند هذا القديس المعترف باسيليوس فلئن لم يكن محققا لدينا بتاكيد . فمع ذلك يظن بالصواب انه كان من مدينة بارية عينها التي فيما بعد ارتقى الى الدرجة الاسقفية عليها *

ثانيا فهذا البار من صغر سنه قد تعلق قلبه بمحبة الله حبا شديدًا . ولكي يرضيهُ تعالى في اعماله قد اجتهد بحرارةٍ واعتناء . وبنشاطٍ في ان لا يهمل ولا فضيلة واحدة من الفضايل الالهية والادبية المبلغة الى قمة الكمال الانجيلي الا ويباشرها بالعمل . حتى تاصلت فيه جيدًا اذ وطد ذاته بها بواسطة تكرار الافعال الملايمة لها . وبالرياضة المتداومة على امتلاكها

حسنا . ثم في مقاومة الالام والرذايل المضاده لها . وفي اماتة حواسه بواسطة النسك والعيشة القشفة جداً وما اشبه ذلك . حتى انه اضحى نموذجا حيا وتمثالاً فعالاً وقدوةً لكل من كان يشاهده او يعاشره ويختبر فيه مجموع الفضايل ❋

ثالثا فهذه الصفات الجليلة قد صيرت من يخصهم الانتخاب في مدينة بارية ان يختاروه راعيا لكنيستهم . ومن ثم الترم بقبول الارتسام في الدرجات المقدسة . وأُقيم اسقفا على هذه المدينة التي تسلم سياسة شعبها ❋ وحينيذٍ اذ وضع السراج على المنارة . قد اضاءت انواره لجميع من هم في بيت الرب . واخذ يعلم ويرشد ويكرز وينصح وينبه ويقنع متمما في ذاتهِ ونحو الخراف الناطقة التي أُستودعت لعنايته كل ما تطلبه واجبات الراعي الصالح المنوَّه عنها في الانجيل الطاهر وفي الرسايل المقدسة ❋ ولهذا كان هو سنداً للضعفا . ومعلما للجهال ومشجعا للخطاة في رجوعهم الى التوبة . وتعزيةً للحزانى وابا للايتام والارامل . وطبيبا للمرضى بالروح . وبالاجمال كلاً للكل ليربح الكل ❋

رابعا غير ان الارائقة محاربي الايقونات المقدسة لم يتركوه ان يقطن فيما بين رعيته ازمنةً مستطيلةً . لانهم اذ اعرضوا عليه سنداً على اوامر اصحاب الولاية الزمنية صورة امانةٍ توافق ضلالهم وتضاد الايمان المستقيم بملاشاة تكريم الايقونات الطاهرة . طالبين منه ان يضع فيها امضاه بخط يده كما فعل البعض المجذوبون من التمنع في الحاه والكرامات الذين احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله . فحينيذٍ هذا القديس ليس فقط لم يرتضِ بان يحرر اسمهُ في تلك الصورة . بل ايضا طفق يجاهر بالحقيقة الدينية . ويحامي عن العبادة الحسنة الواجبة تقدمتها لايقونات السيد المسيح ووالدته الكلية الطهر والقديسين والشهدا مع توقير ذخاير خلان الله واصفيايهِ المقدسة . ولهذا قد باشر ضده اوليك المغتصبون المنافقون انواع الاضطهادات القاسية والطرد عن رعيتهِ . واهانوه بافتراء كلي . واذاقوه خبرة الاضامات المرة بانواعٍ كثيرة ۞ واذ فُلت اخيراً من ايديهم بقي هاربا من مكانٍ الى مكان . ولكن هذه الاشيا كلها لم تكن ترخي عزمهُ او تضعف شجاعتهُ عن ان يعلم في كل اينٍ وُجد فيه حقايق هذه القضية الارثودكسية في شان العبادة الواجبة والتكريم المحق للايقونات المقدسة حسب روح الديانة والتقليد الرسولي واقوال الابا القديسين ❋ وكان ينفر كارها من اية مشاركةٍ كانت مع اوليك الارائقة . ولم يكن يرتضي حتى ولا بالاجتماع معهم ❋

وقد استمر على هذه الحال سنين عديدة كبوق يرعد ضد اعدا الحق . وكمعزفةٍ تنشد صدق الامانة المستقيم رايها * وهكذا رقد بالرب مملوًا من الاستحقاقات . ومعترفًا بالديانة الكاثوليكية . وارتقت نفسه البارة الى المجد الابدي لتاخذ مكافاة جهاداته واتعابه واعماله الصالحة المجيدة *

فهذا الراعي الجليل ومثلهُ كثيرون من الابرار انما اكتسبوا لذواتهم الطوبى بتصرفاتهم المستقيمة منذ حداثتهم في حفظ ناموس الرب . وبتعلق قلوبهم بحبهِ تعالى وبالهذيذ باقوالهِ الالهية . وبالفحص عن تلك الاشيا المرضية لهُ ليضعوها بالعمل حسبما يقول النبي والملك معظما اياهم هكذا : «طوباهم الذين بلا عيب في الطريق السالكون في ناموس الرب . طوباهم الذين يفحصون عن شهاداتهِ ومن كل قلوبهم يطلبونه» (مزمور ع ١١٨) فمن يوثر ان يكتسب لذاتهِ هذه الطوبى يلزمه اولاً ان يسلك بلا عيبٍ في جميع تصرفاتهِ ثانيا ان يكون سلوكه بحسب ناموس الرب وشريعته الالهية . ثالثا ان يفحص عن شهاداتهِ تعالى ليعرف ما الذي يلتزم به نظرًا الى واجبات دعوتهِ الخصوصية . رابعا ان يطلب الله من كل قلبه مضطرما بالحب الشديد نحوه عزَّ وجلَّ * فمن يصنع ذلك يمكنه الفوز مع مختاري الله بالطوبى والسعادة المعدة منه جلت عدالته في السما للذين يحبونه *

* اليوم الثالث عشر *

* وفيه تذكار ابينا الجليل في القديسين مرتينوس بابا رومية *

اولاً ان القديس مرتينوس الحبر الروماني قد ولد في مدينة طودي في اواخر الجيل السادس من والدين شريفين وغنيين . اللذين قد ربياهُ بنوعٍ يلايم مقام عيلتهما الجليلة تربيةً صالحةً جدًا * وقد نجح بالعلوم والاداب نجاحا عظيما لاسيما في قسمي الفلسفة والفصاحة . ولكان من ثم تقدم في الوظايف المدنية المعتبرة . لولا يكون الله اختاره الى ما هو افضل ليجعلهُ اصطوانةً لكنيسته الجامعة ومحاميا غير مغلوب عن الامانة الارثوذكسية * ولهذا قد الهمهُ تعالى ان يمارس درس العلوم اللاهوتية والقوانين الكنايسية . وان يظالع باجتهادٍ ومداومةٍ في الكتاب المقدس * ثم اذ حضر بعد ذلك الى مدينة رومية واُختبرت فضايلهُ وطهارتهُ وعلومهُ واستحقاقاتهُ قد اُحصى في طغمة الاكليروس الروماني ورُسم بالدرجات الصغار . واقتبل درجة الشموسية ثم الكهنوت . وعقيب مدة وجيزة من

ذلك قد أُرسل الى مدينة القسطنطينية نايبًا رسوليًا *

ثانيًا فلما فرغ الكرسي البطرسي بموت البابا ثاودوروس . قد أُنتخب القديس مرتينوس باتفاقٍ عام وبسرور جميع الاكليروس والشعب خليفةً للمتوفي . واقيم حبرًا اعظم في ٧ تموز سنة ٦٤٩ * فبعد ان تسلم تدبير السدة الرسولية والكنيسة الجامعة . مظهرًا غيرتهُ في قيام مجد الله وخير الانفس . قد حدث بعض امور اقلقت سكينة روح هذا الراعي لاجل البلبلة التي سببتها للكنايس * على انه منذ سنواتٍ سلفت كانت ابرشيات المشرق مضطربةً من قبل ارتقة المونوتاليتيين . اي تابعي الارادة الواحدة والفعل الواحد في طبيعتي السيد المسيح الالهية والانسانية ضد ما علمهُ ويعلمهُ الايمان الكاثوليكي بانه توجد فيه تعالى ارادتان وفعلان اي ارادة الهية وارادة انسانية ثم فعل الهي وفعل انساني * فالارتقة المذكورة وجدت معضدةً من البطاركة الاسكندريين والقسطنطينيين ومن اساقفة كثيرين من المشرق ثم من الملك قسطانته الضابط وقتيذٍ صولجان الملك . الذي قد صنع بمساعي بولس بطريرك القسطنطينية صورة امانة موافقة للارتقة المونوتاليتية . ودعيت : حد امانة قسطانته : مريدًا هذا الافغوسطوس ان تمضى هذه الصورة بخطوط ايدي ليس اساقفة المشرق فقط بل اساقفة المغرب ايضًا حتى البابا مرتينوس عينه * وقد ابذل كل عنايته الملوكية واجتهاده القيصري في اتمام ذلك بواسطة الاغتصابات والخداعات والرشوات والتهديدات . غير ان الخوف من البشر ما امكنه ان يستولي على قلب القديس مرتينوس . ولا ان يوخره عن ان يقاوم هذه الارتقة ويحامي عن الاعتقاد الارثودكسي بحرارةٍ وغيرةٍ متقدتين * ولذلك قد اعتنى بالتيام مجمع من ماية وخمسين اسقفًا في مدينة رومية . وفيه رذل قانونيا وباحتفالٍ الارتقة المونوتاليتية . وحرمها باشتهارٍ مع تابعيها والمتمسكين بها والمحامين عنها . كما انه رذل حد امانة قسطانته ايضًا المقدم ذكره * وبعد نهاية هذا السينودوس قد انفذ القديس البابا المذكور رسالةً عامةً جليلةً الى جميع اساقفة المسكونة مع صورة اعمال مجمعهِ هذا الروماني *

ثالثًا فالملك قسطانته عند ما بلغهُ ذلك جميعه قد احتمى غضبًا وامتلا رجزًا . وابرز امرًا ملوكيًا الي اوليمبيديوس النايب الافغوسطي في ان يمضى الى مدينة رومية ويقبض على الحبر الاعظم مرتينوس ويضعهُ في السجن . او بالحري يعدمه الحيوة ان كان يرى ذاته

امينًا من عساكر بلاد ايطاليا في ان لاتنهض ضده * فاذ وصل اوليبيديوس الى رومية وشاهد ان الاكليروس والشعب كانوا بقلبٍ واحد متحدين مع راعيهم القديس . وانه غير ممكن ان يطابقوا على انثلام الايمان . فلهذا اغرى حامل سلاحه في انه ليلة عيد الميلاد الشريف . حينما يكون هذا الحبر البار محتفلاً ليلاً بتكميل الخدمة الالهية في كنيسة والدة الاله المدعوة الكبرى . يتقدم بحجة ان يتناول من يده القربان الاقدس فيضربهُ بسكين ويقتلهُ مميتًا * ولكن العناية الالهية قد حفظت حيوة هذا القديس بنوع عجيب . وهو انه حينما تقدم حامل السلاح ليتمم امر سيده اوليمبيديوس وقت التناول . فبغتةً قد فقد بصره ولم يعد ينظر احدًا . وهكذا لم يبلغ الامر مفعوله * فاوليمبيديوس قد اعتراه من هذا القبيل خوفٌ شديد . وحالاً خرج من من رومية ومضى الى جزيرة سيشيليا . حيث بعد وصولهِ اليها بمدة ايامٍ قد مات *

رابعًا غير انه ليس لاجل ذلك عدل الملك قسطانته عن اضطهاد القديس مرتينوس بل اعطى الامر الى ثاودوروس كاليبا خليفة اوليمبيديوس في الوظيفة بان يحضر الى رومية ويقبض على الحبر المذكور تحت حجة ذنوبٍ مدنية قد اخترعها عليه . ويرسلهُ مقيدًا الي القسطنطينية * ولكي يبلغ امره هذا مفعوله باكثر سهولة . قد وجه من قبله صحبة ثاودوروس الوكيل الملوكي رجلاً مملوًا من الخباثة والمثاقب الرفيعة من خدامهِ الخصوصيين المدعو هو ايضا ثاودوروس بالوربوس * فقد حضر المذكوران الي رومية مصحوبين بعساكر وافرة . وبعد ان استعملا انواعًا عديدة من الحيل والخداعات والاغتصابات ايضًا قبضا على القديس مرتينوس * الذي اذ اراد الشعب الروماني المتعلق بحبه الشديد ان يحامي عنه بقوة الاسلحة ليخلصه من هولا المنافقين . فهو منعهم عن ذلك منعًا مطلقًا * وهكذا اقتداء براعي الرعاة الذي هو نايبهُ تعالى على الارض . قد سلم ذاته مختارًا بايدي اعدايهِ كخروفٍ وديع * فكثيرون من الاكليروس الروماني قدموا ذواتهم لمرافقة راعيهم في هذا السفر . ولكن لم يحصلوا علي السماح بذلك . بل أُعطى الاذن لهذا القديس بانه يقدر ان ياخذ صحبته ستة اشخاص فقط بمنزلة خدام مع شخص واحد بصفة كاتم اسراره * وعلى هذه الصورة أُخذ القديس في شهر حزيران سنة ٦٥٣ من رومية الى جزيرة سيشيليا ومنها الي الجزاير الاخر الواحدة بعد الاخرى . حيث استمر في هذا السفر مدة ثلثة اشهر باضامةٍ

كلية وعومل بقساوة بربرية حتى بلغ الى جزيرة ناسوس . وهناك وُضع تحت الترسيم في بيتٍ خصوصي مدة سنة كاملة ❋

خامساً بعد ذلك نقل من الجزيرة المذكورة باهانةٍ واضامة وافرتين الى القسطنطنية وحال وصوله اليها طُرح في سجنٍ مظلمٍ . مع انه كان في حال يُرثى لها من قبل امراضه الخصوصية المتكاثرة * وقد عومل في السجن معاملات قاسية خارجة عن الروح الانساني مدة ثلاثة وتسعين يوماً وهو في تلك الحال * فاخيراً قد أُحضر في ديوان المشيرين الملوكيين محمولاً في الكرسي لانه لم يكن يستطيع على المشي . وهناك اقيم عليه الفحص كمذنب اي انه خاتل على المملكة متفقاً مع اعدا الملك . فقد انتصب في هذا الديوان كثيرون من العساكر ومن رعاع الشعب يشهدون عليه بهذه الذنوب . اما القديس فحينما راى ذلك . قال لريس الديوان هكذا : « اهذا هو نوع فحصك وقضاوتك . وهولاء الذين يشهدون عليَّ » * ولكن لم يرد عليه احد جواباً . بل بعد ان سمعت شهادة اوليك المملوين رشوة لاجل شهادة الزور . قد امرهم ريس الديوان بان يبرزوا القسم بوضع ايديهم فوق الاناجيل المقدسة على حقيقة ما شهدوا به . فالقديس حينئذٍ قال له : « انني اتوسل اليك باسم الهنا « في ان لاتلزمهم في ابراز هذا القسم . بل اتركهم ان يقولوا مهما ارادوا من دون ان يحلفوا يميناً « ما . وانت اصنع ما ترغبه . لانه اية ضرورة تحوج لان يهلكوا انفسهم بهذا القسم الكاذب » * ثم لما اخذ القديس يحامي عن نفسه ضد بعض تلك الذنوب المتهوم بها . وابتدا ان يتكلم عن حد امانة قسطانته . فريس الديوان قاطع عليه الكلام صارخاً : « انك لم توجد ههنا « كي تتكلم عن اشيا تخص الايمان . بل لكي تفحص عن ذنوب مضادة المملكة . فنحن جميعا مسيحيون ارثودكسيون » * فاجابه الراعي البار قايلاً : « فليرتضِ الله بان تكونوا حقا كما تقول « ولكني في يوم الدينونة الرهيب ساقدم عليكم شهادة بضد هذه القضية » ❋

سادساً فبعد ذلك أُخرج القديس من الديوان الملوكي المذكور الى الساحة التي امام البلاط القيصري . حيث كان الملك يشاهده من احد الشبابيك العالية . وكانت الشعوب تتقاطر ملتيمة هناك لتنظر ماذا كان مزمعا ان ياول اليه الامر * فخدام الشريعة نزعوا من عنق هذا الحبر الاموفوزين . وعروه من ثيابه غير تاركين عليه من الملابس سوى الرداء التحتي الذي شقوه نصفين من فوق الى اسفل . وجذبوا القديس كمجرمٍ في الازقة والشوارع

باهانة كلية ومزلة باهظة . واخذوه الى دار الولاية * ولكن مع ان هذا البار قد حصل من ثم كالمناهزى الموت لاسيما من قبل امراضه . فمع ذلك كان يتكبد هذه الانواع من القساوة البربرية بوجهٍ باشٍ . حتى ان كثيرين من اصحاب الوظايف ومن الجنود انفسهم حينما شاهدوا هذه الحال قد اقشعرت اجسادهم ولم يستطيعوا ان يحدقوا فيها نظرهم * ثم طرح القديس في السجن العام صحبة اناسٍ كانوا محبوسين على قتلٍ . غير انه بعد هنيهة جاء خدام الشريعة ونقلوه من هناك الى سجن اشد شناعةً . وعاملوه في مسافة الطريق بالضرب وبتهشيم الجسم . حتى انَّ درج مدخل السجن عاد مصبوغا بدمهِ *

سابعًا ففي اليوم المقبل مضى الملك قسطانته ليزور البطريرك بولس في داره من اجل انه كان هو ايضًا مريضًا بخطر الموت . واخبره بجميع ما عامل به البابا مرتينوس في اليوم البارح فالبطريرك عند ما سمع من الملك هذا الشرح التفت بوجهه الى الحايط . وهتف قايلا: ’الويل لى انا الشقي ان هذا جميعه سيكون لازدياد هلاكى‘ * واذ سأله الملك لماذا تتكلم هكذا . اجاب وقال له: ’اما هو امر يستحق الندب والحزن ان يعامل حبرٌ اعظم بهذه المعاملات‘ * ثم اخذ يتوسل الي الملك ويستحلفهُ بان يكتفي بما حصل من الاهانات والشدايد لهذا الحبر لحد ذاك الوقت . ولكن الملك لم يصغَ سمعا لشي من هذا * بل فى اثناء ذلك قد فحص القديس جديدًا وهو في السجن . واجوبته قد تدونت من الكتبة في السجل * ولكانت كافية لبرارتهِ . لو وُجد في القضاة من يريد ان يتبع الحق * غير انه كان ينبغي ان ينتهي الامر بوفاة القديس بين ايدي الضالين . على انه بعد ان بقي هذا الحبر البار في ذلك السجن مدة اربعة اشهر قد نفي الي جزيرة كرسوناز وفي قاطع البنطس اوسينوس حيث وصل الى هناك في ١٥ ايار سنة ٦٥٥ * وقد استمر مدة اربعة اشهر أُخر فيما بين ايدي البرابرة الوثنيين . متروكًا ومهملاً من الجميع حتي من اكليروسه الروماني نفسه . خوفًا من غضب الملك قسطانته ۞ وعلى هذه الصورة اضحى فاقد المعونة من كل ناحية . محتملاً الجوع والعطش والعرى مع كل نوعٍ من الاوجاع والالام الى ان ارتضى الله بان يكلل اتعابه الرسولية وغيرته على الايمان المستقيم . داعيا اياه الى الراحة الابدية . الامر الذي تم في السنة المذكورة عينها * حيث فارق هذه الحيوة وانتقل الى السعادة الخالدة . وكان شرَّفه الباري تعالى قبل نياحه بموهبة صنيع العجايب . التي

فيما بينها شهيرٌ هو ردُّهُ النظر لانسانٍ اعمى كما يورد ذلك القديس اورونانوس اسقف رونانوس المعاصر له. مخبرًا عن هذه الاعجوبة في كتابتهِ سيرة القديس المجيوس. وهكذا كرم ضريحه بعد دفنهِ فيه بجرايح عديدة وشهيرة. وتحتفل الكنيسة اللاتينية بتذكار نياحه المجيد في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الثاني *

ثامنًا فهذا القديس كان كتب بعض رسالات من مكان منفاه. واحداها هي باسم الاكليروس الرومانى. واخرى مرسلة الى احد اصدقايه في القسطنطينية. حيث شرح بها ما كان احتمله قبلاً وما تكبدهُ وقتيذٍ من اجل الايمان * ففيما بين الاشيا الاخر التي يوردها في رسالتهِ لصديقهِ يقول هكذا: «انني امجد الرب الذي يرسل الينا الشدايد بتلك «الحال الواجبة وبميزانٍ عادل. ففي هذه البلاد الفقر هو كلي. والاشيا جميعها نادرة «الوجود غالية الاثمان * فالخبز يسمى ولكن لا يشاهد. وان كان لا يرسل لنا اسعاف «ومعونة من ناحية ايطاليا او البنطس فالمعيشة هي هنا غير ممكنة لانه لا يوجد شي بالكلية «فالروح هو مستعد. ولكن الجسد هو ضعيف» * واما في رسالته الى الاكليروس الروماني. فبعد ان يوضح لهم حال الفقر والعوز اللذين كان حاصلاً عليهما يقول هكذا: «فنحن عايشون فيما بين شعبٍ وثني وعادم الشفقة الطبيعية عينها الموجودة عند البربر. «ومع المراكب التي بلغت الى ههنا ما وصلنا شى من المعونة والاسعاف * فقد اشتملني التعجب «كيف ان الجميع اضحوا عديمي الحس والاشفاق نحو شخصي. وقد نسوني بهذا المقدار «حتى انهم ما عادوا يفتكرون ولا بان يسالوا ان كنت بعد في هذه الدنيا ام لا * اترى ان «الخوف قد استحوذ على جميع البشر لهذا الحد بنوع انهم منعوا من قبله عن ان يسعفوني بشي «ما ولو كان قليلاً * فانا مع هذا وذاك اداوم التوسل لله في ان يحفظهم كافةً ثابتين وغير «متقلقلين في الايمان الكاثوليكي * واما نظرًا الى هذا الجسد الفاسد الشقي. فالرب الاله «هو يهتم به حسبما يشا. لان الرب قريب هو * فبماذا افتكر. والحال انني متكل على رحمتهِ بانه لا يتاخر عن ان يصنع نهايةً لاياي. وهو يجعلني دايما ان افعل مشيتهُ *

فنموذج هذا الحبر الاعظم القديس باحتمالهِ بصبرٍ تام الاضطهادات والظلم والافترا. ليس من عبدة الاوثان والكفرة بل مما كانوا يعترفون باسم يسوع المسيح. ثم تكبدهُ ما اصابهُ من الترك والاهمال منسيا معوزًا حتى من القوت والكسوة. وذلك ليس من اعدايهِ

ومبغضيهِ بل من اصدقايهِ ومعارفهِ وابنايهِ انفسهم . فهذا يصيرنا ان نقتدي بشجاعتهِ حينما نعامل ظلما ونضطهد من الاخوة الكذبة . او تحدث لنا مصيبة ما لاسيما عند ما نهمل من اوليك الذين يلتزمون اما من قبل القرابة والنسابة او من قبل الصداقة ومعرفة الجميل عن الخبر المصنوع منا معهم بان يسعفونا ويفتقدونا في اوقات الشدة الملة بنا . كما أُهمل القديس مرتينوس شهيد الحق * فلهذا ينبغي لنا ان نرفع اعيننا الى فوق قايلين ما قال هذا الحبر : « ان الله انما يرسل لنا الشدايد بحالٍ واجبةٍ وبميزانٍ عادلٍ لكل احدٍ كي يطهره ويقدسه » * فاي نعم امرٌ حقيقي هو « ان الروح مستعد والجسد ضعيف » . ولكننا بثقتنا بالله وبانكالنا عليه نظير هذا القديس يمكننا ان نقول : « ان الرب قريب هو فيهتم بنا ويجعلنا دايمًا ان نفعل مشيتهُ » . وان نتم مسيرنا حتى نبلغ الى النهاية السعيدة التي بلغ اليها القديس مرتينوس متمتعًا باجر ما احتمله بصبرٍ وبتسليم الارادة لله * الذي ايده على الشجاعة والغيرة والحماة عن حقايق الايمان وحفظ وديعته غير منثلمة . والان يملك مع المسيح في سعادتهِ الى الابد *

* اليوم الرابع عشر *

* وفيه تذكار القديسين الرسل ارسطرخوس وبودي وطروفيموس *

اولاً ان هولاء الثلثة القديسين والرجال الرسوليين تلاميذ الاناء المصطفى رسول الامم الالهي ارسطرخوس وبودي وطروفيموس هم من جملة اوليك القديسين الذين لم تتصل الينا اعمال حياتهم الخصوصية بنوع اكيد . لانه كما ابنَّا في امكنة اخر ان اعمال هولاء الرجال الرسوليين الخصوصية بل باكثر من ذلك اعمال البعض من الرسل القديسين الاثني عشر انفسهم لم يوصلها الى ايامنا هذه التاريخ الكنايسي المدقق . الامر الذي ندبه مفسروا الكتاب المقدس لاسيما القديس يوحنا فم الذهب *

ثانيًا فنظرًا الى القديس ارسطرخوس الذي تصنع تذكاره المجيد الكنيسة اللاتينية في اليوم الرابع من شهر اب . فهذا ليس فقط كان تلميذًا خاصًا للقديس بولس الرسول . بل كان ايضًا رفيقًا له على الدوام في جميع اسفاره . وبالتالي قد اشترك معه في كل المصاعب والمعاطب والمخاطر والاضطهادات والمقاومات والجوع والعطش والعرى وساير الاتعاب الرسولية الاخر التي كانت كاستشهاد متصل * وحينما كان هذا الرسول الالهي

مسجونًا في مدينة رومية . كان القديس ارسطرخوس مسجونًا معه . لانه في رسالته الى اهل كولوصايس قد كتب لهم هكذا : « يقريكم السلام ارسطرخوس الاسير معي » (كولوصايس ص ٤ ع ١٠) * ثم بعد ذلك قد رسم الاناء المصطفي هذا القديس ارسطرخوس اسقفًا على تصالونيكية . وغب ان احتمل عذابات شديدة في معركة الحرب التي بها كان الملك نيرون قيصر يضطهد المسيحيين . قد فاز اخيرًا باكليل الشهادة بسفك دمه من اجل حقايق الايمان التي علمها وكرز بها *

ثالثًا ونظرًا الى القديس بودي تلميذ هذا الرسول الالهي فيذكره في العدد الحادي والعشرين من الاصحاح الرابع من رسالته الثانية الى القديس الرسول تيموتاوس قايلاً : « يسلم عليك افولوس وبودي الخ » * ومن حيث انه كتب هذه الرسالة في الايام الاخيرة من حياته الرسولية لما كان محبوسًا في رومية بامر نيرون فاذًا بودي كان نحو سنة ٦٦ مقيمًا في مدينة رومية * فالبعض قد ظنوا بالصواب ان القديس بودي هو الذي كان مقدام ديوان المشيخة الرومانية . ويذكر عنه السنكسار الروماني في اليوم التاسع عشر من شهر ايار الذي فيه تصنع تذكاره الكنيسة اللاتينية انه بعد ان اعتنق الايمان بالمسيح واصطبغ من ايدي الرسل . قد حفظ ثوب برّ المعمودية غير مدنس في كل الزمن الذي عاش فيه الى ان توّج ثوب البرّ هذا باكليل الاستشهاد الذي نال له بسفك دمه من اجل الايمان *

رابعًا اخيرًا واما نظرًا الى القديس طروفيموس فيذكره معلمه الاناء المصطفى في العدد العشرين من الاصحاح الرابع من رسالته الثانية الى تلميذه تيموتاوس بقوله : « واما طروفيموس فخلفته مريضا في ميليطن » * فهذا القديس اي طروفيموس قد ارتسم اسقفا من يد معلمه الرسول الالهي نفسه على مدينة ارلس في مملكة فرنسا . وكان هو اول من كرز بالانجيل في هذه المدينة . ومن ينبوع هذه الكرازة كما يقول القديس زوسيموس الحبر الروماني قد استقى سكان مملكة فرنسا كلها مياه التعاليم الانجيلية الصافية وامنوا بالمسيح والكنيسة اللاتينية تكرم تذكاره المجيد في اليوم التاسع والعشرين من شهر كانون الاول *

فهولاء التلاميذ القديسون لذاك الرسول المختار من الله قد بشروا الامم بالمسيح بالنوع الذي كتبه معلمهم نفسه القديس بولس الى تلميذه تيموتاوس بقوله : « احتمل انت الشقا كجندي

«نجيب ليسوع المسيح فليس احد ممن يتجند ينشبك بامور العالم حتى يرضي من دوّنه في «الجندية * وان يجاهد احد فان يكلل اذا لم يجاهد بمفترض الجهاد» (تيموتاوس ثانية ص ٢ ع ٤) * فهكذا قد جاهد هولا الرسل . وكذلك علمونا نحن الذين مثلهم قد تجندنا ليسوع المسيح * فلا ننشبك اذًا بامور العالم . بل فلنسعَ في ان نرضي من دوّننا في الجندية * لانه لا يمكننا ان نفوز بالاكليل . ان لم نجاهد بمفترض الجهاد * فالمعركة هي مهياة امامنا على الدوام . لان اعدانا العالم والشيطان والجسد مستعدون كل حين لمحاربتنا فلا نطرحنَّ الاسلحة في الارض . ولا يرتخينَّ عزمنا . بل فلنتدرع باسلحة العدل . ونجاهد تحت راية الصليب . ولا نرتابنَّ اصلاً باننا سنفوز بالغلبة نظير اصفيا الله كافةً . ليس بقوتنا الذاتية بل بتاءييد نعمة المسيح التي بها نقدر على كل شي ونبلغ الى الحيوة الابدية *

* اليوم الخامس عشر *

* وفيه تذكار الشاهد كريسكاندوس *

اولاً ان القديس الشهيد كريسكاندوس قد ولد في مدينة ميرا من اقليم ليكيا في زمن مجهول . ولكنه يبان انه عاش قبل ان يتملك قسطنطين الكبير * فهذا الرجل الجليل قد تربي حسنًا في الديانة المسيحية . وبمقدار ما كان يتقدم في السن فباكثر من ذلك كان ينمو في الفضايل والمحبة الخالصة لله . حتى انه حصل مكرمًا محترمًا نظرًا الى صفاته الجليلة ليس باقل مما كان مكرمًا لاجل شيخوخته *

ثانيًا فهذا اذ اتفق له يومًا ما ان يشاهد جمعًا غفيرًا من اهل البلد الوثنيين منهمكين جدًا في تقدمة الضحايا والعبادة النفاقية للالهة الكذبة . لم يعد يستطيع ان يمسك ذاته لاجل حبه لله وللقريب عن ان يحضر في وسطهم كارزًا بجراءة بالحقايق الدينية . مبرهنًا عن فساد عبادة الاوثان وكذبها فاضحًا ضلالها * وشرع يتوسل اليهم في ان يرفضوها ويتمسكوا بالايمان الحقيقي بالمسيح . ليمكنهم بذلك ان يخلصوا انفسهم ويجدوا الحيوة الخالدة *

ثالثًا فلما بلغ ذلك لوالي المدينة . قد ارسل فقبض عليه واحضره امامه مسايلاً اياه عن اسمه وعن مكان مولده . اما القديس فلم يجب عن هذا بشي اخر الاَّ بانه مسيحي * فالوالي اخذ ينصحه ويحرضه على ان يقدم الضحية لالهة المملكة قلما يكون ظاهرًا في الوقت نفسه

الذي فيه يمكنه ان يحفظ في قلبه عبادته لربه * غير ان الشهيد قد رفض هذه المشورة الاثيمة . معترفًا جهارًا بالمسيح بصوت عظيم رافضًا عبادة الاوثان . مزدريًا ومستهزيًا بها * فمن ثم وُضع تحت العذابات . فاولاً قد علقته الجنود على صليب ومزقوا جلد جسده بالامشاط الحديدية حتى اضحى جسمه جرحًا واحدًا . ثانيًا قد حرقوا خاصرتيه بمشاهيب نارية . ثم انزلوه من الخشبة وشرعوا يغتصبونه على تقدمة الضحية للاصنام . ولكن لبث الشهيد ثابتًا فيما بين هذه العذابات القاسية على الاعتراف بالمسيح وعلى رفض العبادة الوثنية . ثالثًا اخذوه وزجوه في اتون النار المتوقد . وبذلك انهى جهاده وفاز باكليل المجد . مفارقًا هذه الحيوة ومتراقيًا الى السعادة الابدية . حاملاً بيرق الانتصار وراية الغلبة التي حصل عليها في زمن شيخوخته لحبه الشديد مخلصه الالهي . الذي كافى صلاح سيرة هذا البار وفضايله بهذه النهاية السعيدة *

ففضيلة الحب لله والقريب التي تحرك من قبلها القديس الشاهد كريسكاندوس في نصحه اوليك الوثنيين وتوسله اليهم في ترك ضلالهم والتمسك بالايمان الحقيقي جعلته اهلاً لان ينال منه تعالى نعمةً وموهبةً بها زين شيخوخته ونهاية حياته باكليل الاستشهاد . الذي كان يمنحه عزَّ وجلَّ بمنزلة مكافاة عن الفضايل السامية التي كان يتلالا بها ابراره ومحبوه فليت كلاً من المسيحيين حينما يستعمل النصح الاخوي يباشره بروح هذا الحب الذي كان متقدًا في قلب الشهيد . وبالنوع ذاته الذي تصرف به . اي بالتضرع والتوسل للقريب في ان يترك ما ينصحه على تركه * فكثيرون من القديسين قد اكتسبوا عددًا وافرًا من الخطاة الى التوبة الحقيقية باستعمالهم نحوهم هذا النوع من التضرع * فلنقتفِ نحن ايضًا ذلك في نصحنا القريب . مظهرين لديهِ بتضرعنا اليه كم هو عظم حبنا اياه . وعلى نوع ما نجعله ان يخجل منا ويصغى الى كلماتنا . وبذلك نربح نفسه للحيوة الدايمة *

* اليوم السادس عشر *

* وفيه تذكار القديسات الشهيدات اغابى وشيونيا واربنى *

اولاً ان انتصارات هولاء القديسات الشهيدات الثلاث العظيمة والشهيرة تظهر لدينا كم هو مقدار استطاعة الانعام الالهية وعظم وفورها الممنوحة للطبيعة الانسانية من سيدنا يسوع المسيح بواسطة سر تجسده . وهذا يتضح بابلغ نوع من قبل ان هذه المحاربة بمعركات

جهادية لم تكن من رجال اقويا بل ممن هنّ متصفات بالضعف الانوثي . اللواتي بقوة هذه الانعام الفايقة الطبيعة ظفرنَ بالغلبة والانتصار نظير القديسات المذكورات وغيرهنّ الجزيلات العدد والشهيرات الاسم في العالم * فهولا الشهيدات اغابي وشيونيا وايرينى هنّ مولودات في مدينة ثصالونكية . حيث كنّ مستسيرات بعيشةٍ مقدسة . مزينات بالفضايل السامية حسب روح الديانة المسيحية * فحينما ان الملك مكسميانوس قيصر اشهر ضد المسيحيين الاضطهاد القاسي . لم يستحوذ عليهنّ الخوف من ذلك لاجل تقتهنّ العظيمة بالله . الذي لكيلا يجربنه تعالى . قد اتبعنَ في الاول التعليم الانجلي في انه ينبغي في حدوث الاضطهادات الايطوح الانسان ذاته تعمداً في الخطر * ومن ثم تركنَ وطنهنّ وموجوداتهنّ واهاليهنّ . وانفردنَ في احد الجبال العالية ۞ وهناك فيما هنّ يتوجعنَ من اجل الشدايد الحاصلة عليها الكنيسة . ويتوسلنَ لدى المراحم الالهية بحرارةٍ في ان تهبهنّ القوة والشجاعة والثبات في الايمان كنّ يلتمسنا ذلك من اجل المسيحيين الاخرين ايضاً الموجودين فيما بين الاخطار والمعتنين بالحبوس والعذابات من اجل الايمان * غير ان وجودهنّ في ذلك الانفراد لم يحفظهنّ من ان يقعنَ في ايدى الكفرة . بل ان الله اراد ان يظهر فيهنّ عظم اقتدار انعامه * لانه قد قبض عليهنّ واحضرنَ الى المدينة . ومثلنَ امام والبها دولجانسيوس *

ثانياً ثم احضر لدى هذا المغتصب برفقتهنّ ثلاث شهيدات اخريات . وهن كاسيا وفيلبا وافتيشيسيا مع رجل يدعي اغاثون * فالمسجل الديواني قرا الشكاوة المحررة ضدهنّ بانهنّ لم يردنَ ان ياكلنَ من لحوم الذبايح المقدمة لالهة المملكة . امّا الوالي فقال نحوهنّ جميعاً : « اى جنون اعظم من هذا تحوينَ في عقولكنّ بعدم ارادتكنّ ان تطعنَ اوامر « ملوكنا الكلي العبادة . ثم وجه خطابه نحو اغاثون وحده قايلا له : « لماذا لم تذهب انت « صحبة الاخرين الذين يحضرون في تقدمة القرابين للالهة لتشترك معهم بهذه الذبايح « المعتاد صنيعها ممن يخدمون الالهة » * فاجابه اغاثون : « ان ذلك لم افعله من كوني « مسيحياً انا » * فقال له الوالي : « فاذاً انت بعد مصرٌ على رايك » * فاجابه : « اى نعم اني « من دون ريب ثابت على عزمي » * فالتفت المغتصب نحو القديسات قايلاً : « وانتنِ « يا اغابي ماذا تقولين » * فاجابته اغابي قايلة : انا مومنة بالاله الحي . ولا اريد ان افقد اثمار

« ايماني هذا ولا مجازاة الاعمال الصالحة التي فعلتها » * فسال دولجانسيوس شيونيا قايلاً : « وانتِ يا شيونيا اي شي تتكلمين » * فاجابته القديسة انني اعتقد بالايمان المسيحي عينه . ولهذا لايمكنني ان اطيع الاوامر التي انت تقول عنها » * واذ طلب من الشاهدة ايرينى ان تخضع لتلك المراسيم . وهي رفضت ذلك موردة سبب عدم طاعتها بقولها : « لانني اخاف « الله » * قد سال حينيذٍ الوالى القديسة كاسيا قايلاً : « وانتِ يا كاسيا ماذا تفتكرين ان « تصنعي » * فاجابته : « انني اريد ان اخلص نفسي » * فقال لها المغتصب : « كيف يكون « ذلك . ألا تريدين ان تشتركي بذبايحنا » * فاجابته : « لا : لانه لايمكنني ان اشترك بها » * وهكذا قالت الشهيدة فيلبا : « انه لا يوجد عندي جواب غير هذا » * فسالها دولجانسيوس : « وما هو هذا الجواب » * فقالت له : « اي انني اقبل الموت احري من ان اغتذي من « لحوم مقدمة منكم ذبايح للاوثان » * ومن حيث ان القديسة افتيشيسيا قد اجابت نظير ذلك . فسالها الوالى ان كانت مزوجة ام لا * فاجابته : « ان رجلي قد مات » * فقال لها : « أمن زمان مستطيل قد مات » * فاجابته : « منذ نحو سبعة اشهر » * فاعطف كلامه نحوها بقوله : « وممن انتِ اذاً احبلى » * فاجابته من الرجل الذي اعطانيه الله » * فاردف قوله بقوله : « حسناً اجبتِ . ولكنني ارجوكِ بان ترتضى بان تغيري عزمكِ عن هذا « الجنون المتمسكة انتِ به وبان تعتنقى الراي الصايب الموافق حسن المعقول * فماذا « تقولين . لتخضعين لاوامر الملوك » فاجابته القديسة افتيشيسيا : « لا : انني لا اريد ان اخضع « لها . اذ انني مسيحية انا وعبدة للاله القادر على كل شي » * فحينيذٍ الوالى اعطى الامر بان تحفظ افتيشيسيا في السجن الى ان تكون ولدت *

ثالثاً ثم بعد ذلك قال الوالى للقديسة اغابي : « افتكري جيداً ان كنتِ تريدين ان « تطيعي مراسيم قيصر كما نحن نطيعها » * فاجابته : « انه لا يليق بي ان اكون متعبدة للشيطان « ومن ثم مهما امكنك ان تتكلم به معي فغير ممكن ان اعدل عما انا فيه او ان اغير ايماني « لان عزمي هو ثابت وفاقد التقلب » * فسال القديسة شيونيا قايلاً : « وانتِ كيف تقولين ياشيونيا » * فاجابته : انني افتكر جيداً بانك لاتستطيع ان تجعلنا ان نغير اعتقادنا » فقال لها دولجانسيوس : « اخبريني هل يوجد في بيتكِ بطريق الصدفة شي ما من « التاليفات المصنفة من جماعتكم المنافقين » * فقالت له الشهيدة لا : انه ما عاد يوجد

عندنا شي من ذلك . لان الملوك المتولين في هذه الازمنة قد اخذوا ما كان عندنا من الكتابات ، * فاردف الوالي قوله بقوله لها : ولكن ترى من هو الذي هجس في قلبكِ هذا الجنون الذي انا اراكِ مصرة عليه ، * فاجابته الشهيدة : انه هو الله القادر على كل شي ويسوع المسيح ابنه الوحيد الذي هو ايضا سيدنا والهنا ، * فقال دولجانسيوس نحوهنَّ هكذا : انه لامر لا ريب فيه بانكنَّ تلتزمنَ بان تطعنَ نظيرنا الاوامر الملوكية . ولكن من حيث انني انتظر تكنَّ متمهلاً زمنا ليس بوجيز . بعد ان نصحتكنَّ ونبهتكنَّ ثم اوضحت لكنَّ فحوى مراسيم ملوكنا . وانتنَّ استمررتنَّ مصراتٍ في العصاوة . فعاد يلزم ان تتكبدنَ القصاصات المستحقة عنادكنَّ وعدم طاعتكنَّ ، * قال هذا وقرأ الحكومة المبرزة منه بهذه الالفاظ : من حيث ان اغابي وشيونيا من قبل روحٍ معاند ومتكبر قد اظهرتا المقاومة ضد اوامر الملوك الالهية . ولم تريدا ان ترفضا ديانة المسيحيين الباطلة المكروهة فانا امر بانهما تحرقان بالنار وهما بالحيوة ، . واما اغاثون وكاسيا وفيلبّا وايريني فاريد ان يوخذنَ ويطرحنَ في السجن الى حينما نبرز في شانهنَّ اوامر جديدة ، * فهذه الحكومة قد وضعت بالعمل حالاً وهكذا قد نالت الشهيدتان اغابي وشيونيا اكليل المجد . والكنيسة اللاتينية تصنع تذكارهما في ٣ ادار *

رابعًا فبعد ان طرحت القديستان اغابي وشيونيا في النار المضطرمة التي افنت جسديهما الطاهرين بالكلية . قد أُحضرت الشاهدة ايريني امام المغتصب الذي قال لها . ان افعالكِ اوضحت جنونكِ لانكِ لحد الان تجاسرتِ على ان تحفظي عندكِ كتب شيعتكِ النفاقية والكتابات المختصة بها . التي لهذا الوقت تتمسكين بما انتِ عليه مظهرةً حالكِ من دون ان تزول عنكِ . الشجاعة بمشاهدتكِ العذابات التي تكبدتها اختاكِ حتى ولا الخوف من الموت امكنه ان ينتصر عليكِ . ولهذا يلزم ان تعاقبي انتِ ايضًا * ومع ذلك فانا اصفح لكِ عن ذنوبكِ ان كنتِ تعترفين بالهتنا . وترتضين بان تقدمي لها القرابين فاذا تقولين . اتطيعين وتخضعين ام لا ، * فاجابته القديسة ايريني قايلة : لا : فاني بنعمة الله القادر على كل شي الذي صنع السماوات والارض والبحر وكل الاشيا التي فيها . لايمكن ان اصنع شيا ما انت تقول . اذ ان النار الابدية هي معدة لاوليك الذين ينكرون يسوع المسيح كلمة الله ، * فقال لها الوالي ترى من هو الذي اقنعكِ

«بان تحفظي لحد الان هذه الكتب والاوراق» * فأجيب من القديسة ايريني: «انه هو الله القادر على كل شي الذي امرنا بان نحبه حتى الموت. ولهذا لم يمكننا ان نتجاسر على مخالفته. بل احتسبنا انه احب لدينا وحكمنا بالصواب بان نحرق بالاحرى ونحن احيا. وان نحتمل جميع ما يأتي علينا من العذابات من ان نسلم هذه الكتب الالهية * فسالها المغتصب قايلاً: «من هو الذي كان يعلم بان هذه الاشيا كانت محفوظة في البيت الذي «كنت تسكنين فيه» * فاجابته القديسة ايريني: «انه لم يكن احد يعلم بذلك سوى الله «الذي ينظر كل شي. لاننا اذ كنا نعلم ذواتنا اننا موجودات فيما بين شعب عدو فلم نظهر «سرنا لاحد ليلا يشتكي علينا بهذا الامر» * فقال لها دولجانسيوس. «انه حينما أُشهر امر «ملوكنا المرة الاولى في العام الماضي اين كنتِ مختفية» * فاجابته الشهيدة. «في المكان «الذي اراده الله اي في الجبل الذي فيه كنا تحت الفضا خاضعات لانفعالات الطقوس» فسالها الوالي: «ومن هو الذي كان يعولكنَّ» * فقالت له ايريني. «انه هو الله الذي «يعول كل من فيه نسمة الحيوة» فسالها المغتصب جديداً بقوله. «وحينما رجعتنَّ من «الجبل هل انكنَّ قراتنَّ هذه الكتب امام احدٍ ما» * فاجابته الشهيدة. «لابل ان هذه «الكتب كانت محفوظةً في بيوتنا. ولم نكن نتجاسر على ان نظهرها لاحد. ولذلك كنا «شديدات الغم من قبيل اننا لم نحصل على فرصةٍ ان نقرأ فيها متاملات نهاراً وليلاً في «معانيها. كما كنا نصنع قبلاً لحد اشتهار الاوامر الملوكية التي الزمتنا بان نخفيها *

خامساً فحينيذٍ قال دولجانسيوس للقديسة ايريني. «ان اختيكِ قد احتملنا العقاب «الذي حكمنا بانهما تموتان فيه. واما انتِ فلين كنتِ سقطتِ في العقاب نفسه وكان يجب «ان تموتي مثلهما من قبيل ان تهربي الى الجبل. وذلك لاجل اخفايكِ هذه الكتب. فمع «ذلك لااريد ان اميتكِ هكذا بسرعةٍ. بل احكم بانكِ تعرين من اثوابكِ مطلقا. «وتوضعين في مكان الدنس المشاع. حيث تعطى لكِ كل يوم خبزةٌ واحدة. من دون «ان تسمح لكِ الجنود بالخروج منه» ○ فهذا الحكم الاثيم قد وُضع بالعمل. اذ ان القديسة ايريني اخذت الى موخر الزنا المشاع. ونُزعت عنها اثوابها وتُركت عاريةً بالكلية * غير ان الله الحافظ قديسيه لم يسمح بان هذه الشهيدة الطاهرة تتدنس من احدٍ مطلقاً. لانه لم يستطع احدٌ ان يدنو منها بفعل يضاد العفة *

سادساً ثم بعد ذلك بزمن ليس بمستطيل امر دولجانسيوس باحضار القديسة ايريني امامه . ولما مثلت لديه سالها ان كانت بقية مصرةً على رايها وثابتةً في عزمها ام تغيرت عن جسارتها الاولى * فاجابته الشهيدة قايلةً . انه ليس هو جسارةً الشي الذي انا ثابتةً عليه بل هو عبادة صادقة نحو الله * فاذ سمع منها الوالي هذا الجواب قد ابرز ضدها حكومة الموث بهذه الكلمات وهي . من حيث ان ايريني لم تشا ان تطيع الاوامر الملوكية ولا ان تضحي للالهة . بل ما زالت لحد الان مصرةً على التمسك بديانة المسيحيين . فمن ثم نامر بانها نظير اختيها الاخريتين تحرق بالنار وهي حية * فعلى هذه الصورة اخذت القديسة الى المكان الذى فيه اتون النار . وعند وصولها الى هناك تقدمت من تلقا نفسها مرتلةً التسابيح والمزامير . وطرحت ذاتها ضمن اللهيب . وهكذا اكملت ذبيحتها بافناء جسمها بالنار المتوقدة * وقد تم ذلك في شهر نيسان سنة ٣٠٤ . اما الكنيسة اللاتينية فتحتفل بتذكارها المجيد في اليوم الخامس منه اى من شهر نيسان الحاضر *

فاحدى هولاء القديسات قد اجابت المغتصب الذى كان يحرضها على ان تترك الله وراء ظهرها بطاعتها لاوامر الملوك النفاقية قايلةً له . انني اريد ان اخلص نفسي * كما تقدم القول * فلنجاوب نحن ايضا بهذا الجواب العالم والشيطان والجسد حينما يجربنا احد هولا الاعدا بان نخالف شريعة الله . متذكرين بانه اذا خسرنا انفسنا فنكون خسرنا كل شى * على انه تعالى يقول . ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم باسره وخسر نفسه . او ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه * (متى ص ١٦ ع ٢٦) * ولهذا القديسات المتقدم ذكرهنَّ لم يعنيهنَّ تهديد المغتصب باعظم العقابات . بل ان الغم الوحيد الذى شملهنَّ كان فقدهنَّ الحرية في ان يطالعنَ فى الكتاب المقدس * فاى خزى وخجل يكون لاوليك المسيحيين الذين يبذلون اهتمامهم في ان يطالعوا في الكتب الاخر الغير المفيدة او المضرة لانفسهم . مهملين حتي لا نقول محتقرين القراة في الكتاب الالهي وفي الكتب الروحية * فلنجتهد اذاً في الا ندع يوما واحداً يمضى من دون ان نقوّت انفسنا بهذا القوت السماوى المغذى ايانا لنصل الى الحيوة الابدية *

* اليوم السابع عشر *

* وفيه تذكار الشهيد في الكهنة سمعان الذي من فارس *

* والبار اكاكيوس اسقف ميليتيني *

اولاً ان التاريخ الكنايسي يوضح لنا بان الايمان بالمسيح قد انتشر في مملكة فارس اي في بلاد العجم بكرازة الرسل القديسين انفسهم الذين في كل الارض خرج منطقهم وفي اقطار المسكونة انبث كلامهم (مزمور ١٨ ع ٤) * اذ انهم قد اكملوا بالفعل ما حتم به عليهم سيدنا يسوع المسيح بقوله «انطلقوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها (مرقص ص ١٦ ع ١٥)» ومن ثم قد وجد في بلاد العجم عددٌ عظيم من المسيحيين تحت ولاية ملكها سابور اي في اواسط الجيل الرابع. فالسحرا الفارسيون الذين كانوا هم انفسهم كهنة المذهب العجمي الكاذب قد امتلاوا حسدًا وبغضةً ورجزًا عند مشاهدتهم الديانة المسيحية ناميةً يوما فيوما في مملكة فارس * ولذلك امتحنوا الامر بانواع كثيرة في ابادتها او قلما يكون في صد نموها. ولكن من دون ان يقدروا ان يفوزوا بمقصدهم الاثيم فاخيرًا قد اتحد هولا السحرا المنجمون مع اليهود القاطنين فيما بينهم. الذين لم يكونوا اقل منهم بغضةً وعداوةً قتالةً للمسيحيين واجتهدوا معا بحيل كثيرة من تلك الخبانة اليهودية حتى انهم اجتذبوا سابور الملك الى اشهار الاضطهاد القاسي ضد كلٍ من المتمسكين بالشريعة الانجيلية في البلاد الواسعة الخاضعة له *

ثانيًا فالقديس سمعان الفارسي كان وقتيذٍ راعيًا خصوصيًا وريسًا لاساقفة سالاوكيا وكتاسيفونتة وما يحوط بهما. ولانه كان رجلاً مملوًا من القداسة والبراءة والغيرة الشديدة على نمو الايمان بالمسيح. حاصلاً على جميع صفات الراعي الصالح. فكان اعدا الايمان المقدم ذكرهم يعتبرونه بمنزلة اسطوانةٍ عظيمةٍ وركنٍ وطيد للديانة المسيحية في بلاد فارس * وبالتالي ان بغضتهم ضده كانت اشد رداوةً واوفر رجزًا. ولذلك احتالوا في ابادته من الوجود لظنهم بانه يسهل لديهم بعد ذلك ان يلاشوا الاسم المسيحي من بلادهم * فقد اجتهدوا اذًا في انهم صوّروه لدى عينيّ سابور الملك عدوًا مضرًا لمملكته بخداعاتٍ ومرايات. وبانه كان صديقًا للافغوسطوس الروماني. مرسلاً اليه الاخبار المدققة عن حوادث بلاد فارس * فسابور قد صدّق هذه التهمة الكاذبة. ومن دون

فحص اعتد القديس سمعان مذنبا خاينا في حق مملكة العجم * ولذلك اعتمد على عقابه الشديد وعلى ابادة المسيحيين من بلاده . مبتديا بان يضطهدهم . اولاً في انه فرض عليهم ان يدفعوا لجهة خزنته الملوكية مبالغ عظيمة من المال فايقة ان تحتمل . وكانت تنتهي بفقرهم الكلي جميعاً . وقد اقام على استيلا هذه الاموال منهم اوليك الاشد قساوةً والاكثر رداوةً وبغضاً لهم فيما بين اصحاب الوظايف ۞ غير ان المسيحيين الذين كانوا يعتبرون تلك الاضرار الزمنية المسببة لهم من اجل يسوع المسيح ربحاً عظيماً . قد دفعوا اموالهم بكل سهولةٍ . الامر الذي اضرم في قلوب اعدايهم نيران البغضة والحسد بابلغ نوع * ومن ثم اجتهدوا في انهم اجتذبوا الملك سابور الى انه ابرز اوامر صارمة في قطع روس جميع كهنة الشعب المسيحي مع ساير خدام الانجيل الذين في مملكته ان كانوا لا يعتنقون ديانة الفارسيين . وحكم بهدم كنايس المسيحيين كافةً . وفي ان يقبض على القديس سمعان بسبب انه كان راس جميع المتمسكين بالايمان بالمسيح وبان يوتي به الى ديوانه مقيداً *

ثالثاً فتبعاً لهذا الحتم الملوكي قد أُفيد القديس سمعان مثقلاً بالسلاسل الى حضرة الملك ومثل في ديوانه . الا انه لم يصنع هذا الراعي بوقوفه امام سابور مقيداً ما كان قبلاً يصنعه حسب العادة السالكة في تلك البلاد كل مرةٍ حضر بازايه اي بالانحناء له الى الارض * فالملك اذ شاهد من القديس عدم تكميل هذه العادة قد انغم . ولم يتاخر عن ان يساله ما هو السبب في امتناعه عن ذلك * فالقديس اجابه قايلاً : انني حينما مثلت امامك مراتٍ اخر سابقاً بوقوفي في ديوانك لم اكن مقيداً بالسلاسل مغتصباً لكي اخون الاله الحقيقي . ولهذا انا لم ارفض ان اقدم لعظمة مقامك الكرامة المعتادة . واما في هذا اليوم فلا يمكنني ان اصنع ذلك . لاجل انني اتٍ لكي اجاهد عن حسن العبادة وعن تعليمنا واعتقادنا * فسابور قد ازداد رجزاً من هذا الجواب . وحتم على القديس بان يسجد للشمس . موعداً اياه بانه اذا خضع لامره فيغنيه بمواهب سامية ويشرفه بكراماتٍ سنية . في الوقت عينه الذي فيه تهدده بانه اذا لم يطعه فيميته لامحالة ويبيد من الوجود المسيحيين كافةً الذين من شيعته * فالقديس سمعان اذ احتقر على حدٍ سوى مواعيد الملك وتوعداته * قد اجابه بانه لا يمكن مطلقاً ان يسجد للشمس ولا ان يخون ديانته بوجهٍ من الوجوه * فحينيذٍ سابور امر بان يطرحوا هذا الاسقف في السجن مملاً بان اضامات الحبس

تجعله ان يغير عزمه ❋

رابعًا فبينما كان خدام الشريعة مارّين بالقديس مقيدًا ليضعوه في السجن . قد صادفه اوسطازاده الخصي الشيخ مربي الملك سابور وريس اهل داره الملوكية . فاسرع نحوه منحنيًا له ركوعًا على الارض في الطريق المجتاز فيها ❋ غير ان الراعي الجليل لم يعبأ بهذه الكرامة اصلاً . بل وبخه بصرامةٍ . محولاً وجهه عن مقابلته عابرًا . وذلك لاجل ان اوسطازاده كان خان ديانته المسيحية بدناءةٍ وسجد للشمس ❋ فهذا التوبيخ الرعاعي قد اثر في قلب الخصي بشدةٍ ومرارةٍ . حتى انه حالاً خلع عنه ثوبه الابيض . وتردى بالسواد . ورجع الى مكان مقره بالقرب من باب الدار الملوكية . باكيًا بكاءً مرًا . نادبًا تعاسته . قايلاً هكذا : "الويل لي ترى ماذا عدت انتظر من ذاك الاله الذي انا نكرته . ان كان سمعان الذي "هو صديقي الخاص القديم قد عاملني بجفاوةٍ موبخا اياى . محولاً وجهه عني من دون ان "يرتضى بمكالمتي ❋

خامسًا فقد بلغ الملك خبر حزن مربيهِ اوسطازاده الشديد . ولذلك ارسل فدعاه اليه ولما مثُل بين يديهِ وراه متردیًا بالسواد . قد ساله عن سبب حزنه . وهل انه حلّ باحد من عيلته مصابٌ ما رديٌ ❋ فاجابه الخصي قايلاً . "لا . انه لم يحصل في منزلي هذا "الارضى الذى اقطن فيه شى من الشر . ولكن واحسرتاه فليت الله اراد ان تحل بي "المصايب والشدايد جميعها . ولا هذه المحنة العظيمة التي احاقت بي . وهي علة حزني "المر التي من دونها لكان محتملاً لديَّ كل ما يمكن حدوثه من النوايب . فانا ابكي ولين "كنت حيا في الوقت الذى لكان يلزمني منذ زمن مديد ان لااوجد في الحيوة بل فيما بين "الاموات . ففمي وحزني هما عظيمان كل مرةٍ انظر الى الشمس التي قد سجدت لها في الظاهر "فقط لكيلا اغيظك ○ ولهذا انا استحق الموت لعلةٍ مضعفة وهي لاني خنت يسوع المسيح "وخدمتك بالغش ❋ قال هذا ثم حلف قاسمًا بخالق السما والارض بانه ما عاد منذ ذاك الوقت يخفي ايمانه ونيته بل يعلنها لدى الجميع ❋ فلما سمع الملك هذه الاقوال استشاط غيظا . واستوعب رجزًا . وحلف بان يبيد المسيحيين كافةً من الوجود . لظنه بانهم هم انفسهم الذين صيروا اوسطازاده ان يصنع ذلك ❋ غير انه مع هذا جميعه فشفقةً على مربيهِ هذا الشيخ شرع يبذل جهده معه تارةً بالعذوبة والتمليق وتارةً بالصرامة والتهديد

ليجتذبه الى رايه . الا ان اوسطازاده كان يجيبه بانه لم يفقد بعد عقله بالكلية ليمكنه ان يقدم للخليقة تلك العبادة المحقة للخالق وحده * فعند ما تحقق سابور ان هذا الشيخ لايمكن ان يغير عزمه . فحينيذٍ حكم عليه بالموت بقطع راسه *

سادساً فالجلاد اخذه ومضى به الى مكان القتل . ولكن قبل ان يمد يده ليضربه بالسيف قد توسل اليه الشهيد في ان يتمهل عليه بعد دقايق . مشيراً الي انه كان يريد ان يخبر الملك عن قضية مهمة * واذ نال من الجلاد التوقف قد دعا اليه واحداً من الخصيان الذين كان يثق في امانته وقال له ان يمضي الى الملك ويقول له عن لسانه هذه الكلمات وهي . « انني لست محتاجاً لشهادة احدٍ مهما كان لكي اوكد لديك حقايق الحب الذي تصرفت بهِ نحوك منذ حداثتي خادماً اياك بهِ بعد ان كنت قبلك خدمت بهِ والدك . وهذا هو معروفٌ منك وانت نفسك تشهد بهِ لذاتك * فالشي الوحيد الذي التمسه منك مكافاةً عن هذا الحب والامانة هو ان الذين لايعرفون سبب قتلي فليعلموا جليًا بانني ما عوقبت بالموت قصاصاً عن خيانةٍ ما صدرت مني في حق المملكة او عن ذنب ما من الذنوب * فلكي يصير اذاً معروفاً لدى الجميع السبب الحقيقي الذي من اجله انا احتمل الموت قتلاً . فانت اعلن بواسطة احد المنادين المعينين لهذه الوظيفة بان اوسطازاده انما قُطعت هامته لاجل كونه مسيحيًا . ولانه لم يرتضِ بان ينكر الهه . وليس لاجل انه اذنب في خدمته للملك » * فالخصي قد مضى الى سابور وقال له هذا الكلام تماماً . والملك قد تنازل لطلبة اوسطازاده هذه وتممها فعلاً . لامحبةً فيه بل لكي يخيف المسيحيين عند تحقيقهم ان سابور لم يشفق ولا على مربيهِ الشيخ الملتزم له بمعرفة الجميل * فاعمال استشهاد هذا القديس توضح السبب الذى من اجله التمس من الملك الاشهار المذكور . وهو انه اذ كان يعلم الشهيد ان سقطته في سجوده الظاهر للشمس قد ارخت عزايم كثيرين من المسيحيين عن حرارة الايمان . فاراد ان تشهر توبته عن ذلك . مومِلاً ان يقتدى الاخرون بنموذج ندامته . وبهذا يصلح الشك الذى سببه *

سابعاً فلما سمع القديس سمعان وهو في السجن خبر استشهاد اوسطازاده . قد فرح مسروراً وقدم لله الشكر على نعمته التى وهبها لذاك الشيخ . وفي اليوم الثاني الذي كان نهار الجمعة المختص بتذكار الآم مخلصنا قد حصل هو اي القديس سمعان على الحظ السعيد

بان يسفك دمه من اجل الايمان * الا ان الملك قبل ان يحكم عليه بالموت قد امتحنه جديداً لعله يقدر ان يجتذبه لمأثوراته . ولكن اذ تحقق ثبات عزمه وان اضامة السجن عوضاً عن ان تضعف شجاعته قد انمتها وجعلتها اشد غيرةً واثبت عزماً . فحينئذٍ امر بقطع هامته * ولكن قبل ان توضع هذه الحكومة بالعمل قد قطعت روس ماية شخص من المسيحيين بازاء القديس . الذى كان يشجعهم ويعزيهم برجا قيامة الحيوة الابدية . مبرهناً لهم من اقوال الكتاب المقدس بان العذابات والموت المحتمل منهم من اجل الايمان هو يقودهم الي الملك السماوي في حيوة عديمة النهاية . وان الموت الحقيقي انما هو التباعد عن الله ورفض خدمته بامانةٍ . وان اعظم الاعمال الصالحة هو اقتبال الموت من اجل حبه تعالي وليلا يهان بخطية ما * فبعد ان الجلادين قطعوا روس الماية شهيداً . فحينئذٍ جزّوا هامة القديس سمعان ايضا جملةً مع القديسين عبداكالا وحنانيا الكاهنين المتقدمين في السن اللذين كانا من كهنة كنيسة القديس سمعان عينه . وهكذا جميعا فازوا باكلة المجد الغير الفاسدة في ذلك اليوم العظيم المقدس . الذى بمثله كان سفك دمه فادينا على عود الصليب من اجل خلاصنا *

ثامناً فكان حاضراً في هذا المشهد بوسيكوس ريس عمال الملك سابور . فهذا حينما راى الكاهن حنانيا بركوعه امام الجلاد ليقتبل ضرب عنقه بالسيف مرتجفاً . صرخ نحوه قايلاً هكذا : « اغلق عينيك ايها الاب برهة من الزمن . وكن شجيعا فاقد الخوف . لانك سريعاً تشاهد نور يسوع المسيح » * فهذه الكلمات صيرت ان يُعرف بوسيكوس انه كان مسيحيا . ومن ثم قبض عليه حالاً واقيد الى ديوان الملك * واذ مثُل امامه قد اظهر له بجراءة كم كانت مظالمه ثقيلة وقساوته شديدة ضد المسيحيين الابرار . معترفا بانه هو ايضا متمسك بديانتهم تابعا للمسيح * فلما سمع منه الملك هذه الاشيا . قد امتلا رجزاً وامانه ميتةً فريدة وجديدة في انواع العذابات والقساوة . وهي انه صير الجلاد ان يفتح للقديس في عنقه ثقباً واسعاً . ويخرج لسانه من ذاك الثقب الى خارج رقبته . وتركه هكذا الى ان مات * ثم احضر ابنة الشهيد التي كانت بتولاً ناذرة باعذريتها لله . وامانها شهيدة مع والدها * وقد تم استشهاد هولا القديسين كافةً نحو سنة ٣٤٤ . والكنيسة اللاتينية تصنع تذكارهم جميعا في ٢١ نيسان . وتشير في سنكسارها الرومانى الى ان الماية شهيداً الذين قتلوا امام القديس

سمعان كانوا اساقفة وكهنة وشمامسة اي اكليريكيين كافةً ✻

فنموذج هولا الشهدا المجيد الذين نعم كانوا من طوايف البربر الانهم وجدوا مملوين من كل فضيلةٍ وغيرة من اجل الايمان . يعلمنا كيف يجب ان نتصف بالشجاعة باحتقارنا جميع الموجودات الزمنية وما تملكه ايدينا حتي حياتنا نفسها من اجل حبنا ليسوع المسيح ومن اجل حفظنا كنز نعمته الفايق كل ثمنٍ ✻ فالمادة تشوقف كما قال القديس بوسيكوس الى الكاهن حنانيا مشجعًا على ان نغلق اعيننا برهةٍ من الزمان عن محبة الاشيا الارضية ✻ اذ ان زمن حياتنا مهما كان طويلاً هو بالنسبة الى الابدية برهة وكلا شي لكي نشاهد نور يسوع المسيح سرمدًا بفتح اعيننا في السعادة المغبوطة . حيث نتمتع بالنظر الى الله الذى هو خيرنا الوحيد وغايتنا القصوى وركن سعادتنا الابدية ✻ ثم ان الصرامة التى استعملها القديس سمعان في توبيخه اوسطازاده تفيدنا لنعرف كم هو حقيقى ما يقوله الروح القدس في سفر الامثال (ص ٢٧ ع ٦) بتفضيل المحب الحقيقى الذي يجرح على الملق الذى يمدح ✻ ولذلك يقول القديس اغوسطينوس في هذا الشان ان المحبة لها اشواك تجرح ولكن لافادة القريب . نظير الجرايحي الذى يستعمل القطع المعذب العليل لشفايه . فهكذا الانسان المحب يستغنم الفرصة الملايمة لشفا صديقه ولو بالفاظٍ مرة متي كانت مفيدةً له لحياته الابدية ✻

✻ فيما يخص سيرة حيوة القديس البار اكاكيوس اسقف ميليتيني ✻

اولاً انه فيما بين القديسين المعظمين الذين حصلت عليهم الكنيسة الجامعة من مدينة ميليتينى التى هي في اقليم ارمينية الصغرى يوجد اسقفها هذا القديس اكاكيوس . الذى ولين لم يترك لنا عنه التاريخ الكنايسى خبريةً مدققةً نظرًا الى اعماله الخصوصية قبل ارتقايه الى درجة رياسة الكهنوت راعيا للابرشية المذكورة . فمع ذلك قد حفظ لنا التاريخ اعمال اعترافه المجيد بالمسيح في ديوان قنصل الاقليم مركيانوس . وذلك في زمان الاضطهاد المصنوع ضد المسيحيين من الملك داكيوس قيصر نحو سنة ٢٥٠ للمسيح ✻ فالسوالات والاجوبة الذي حدثت فيما بين القديس اكاكيوس وبين القنصل مركيانوس في اعمال الاعتراف المذكور هى الاتي ايرادها ✻

ثانيًا على ان مركيانوس القنصل قد حتم بان يمثل امامه اكاكيوس المسيحي . الذي قد سمع عنه انه كان نظير الترس والملجا للديانة المسيحية في ابرشية مدينة انطاكية ✻ واذ

أُحضر القديس في ديوانه قال له مركيانوس: «انك انت ايها الانسان الذي تعيش تحت «حكم الشريعة الرومانية يلزمك ان تحب ملوكنا» * فاجابه اكاكيوس قايلاً: «ترى من «هو محبوب بابلغ نوع وممن يُحب الملك باعظم مما يحبه المسيحيون. لانهم قبل كل شي «يتوسلون لله دايمًا من اجله لكي يحفظ ويوهب حيوة مديدة في هذا العالم ليدبر الشعوب «ويسوسهم بسطوة سلطانه. وان يعطيه زمانًا سلاميًا هاديًا * ثم بعد ذلك يتضرعون «من اجل خلاص جنوده وعساكره وحفظهم. وايضا من اجل نجاح المملكة وتأييدها «مع العالم اجمع» * فقال له مركيانوس: «وانا ايضا امدح هذه التصرفات. ولكن لكي «يعلم الملك باكثر ايضاح حسن طويتك ويتاكد احترامك اياه قدم له معنا الضحية» * فاجابه اكاكيوس: «انا اطلب الى الهي الذي هو حقٌ وعظيم من احل خلاص الملك. غير «انه لا يلزم ان الملك يغتصبنا على تقدمة الضحية المذكورة. كما اننا نحن لا نقدر ان نتمم «ذلك. لانه ترى من يستطيع ان يقرب الذبيحة او يقدم النذور لانسان ما *

ثالثا فهنا قال له مركيانوس: «اجبني اذًا لاي اله انت تقدم تضرعاتك. لكي نقرب له «نحن ايضا نذورنا وضحايانا» * فاجابه القديس: «انني اشتهي من كل قلبي انك تعقل «وتعرف ما هو الشي المفيد وتعرف الاله الحقيقي» * فقال له مركيانوس: «قل لي ما هو «اسم هذا الاله» * فاجابه المعترف: «انه هو اله ابراهيم. اله اسحاق. اله يعقوب» * فساله مركيانوس قايلاً: «اهذه هي اسما الاله» * فاجابه اكاكيوس: «انه ليست هذه هي اسما الاله «بل انما ذاك الاله الذي تكلم معهم فهو الاله الحقيقي وهو الذي نحن نلتزم بان نخافه» * فساله ايضا مركيانوس مستفهما: «ومن هو هذا الاله» * فاجابه القديس قايلاً: «انه هو «ادوناي العليُّ الذي يجلس على السيرافيم والكاروبيم» فقال له مركيانوس: «اي شي «هم هولا السيرافيم» * فاجابه اكاكيوس: «ان هولا هم خدام الاله العلي ومتقدمون في بلاط «سدته السماوية» *

رابعا فهنا تفوه مركيانوس نحو القديس قايلاً: «ترى اي فلسفة كاذبة واى جدال «مغالطي قد خدعك بهذا. فاذًا اترك جانبا الاشيا الروحية الغير المنظورة واعترف «بالاحرى معتقدًا بالالهة التي تشاهدها بعينيك» * فالقديس اجابه هكذا: «من هم «اوليك الالهة الذين تامرني بان اقدم لهم الضحية» * فرد عليه الجواب مركيانوس قايلاً:

ضح لابلوس حافظنا الذى يطرد الطاعون والجوع . وبه ومنه يحفظ العالم جميعه ويثبت فقال له اكاكيوس : انت تحكم عليّ بان اقرب الذبيحة لذاك الذى في وقت ما كان عبداً خادماً لناطونوس . وكان راعيا يحرس قطعان الغير ويخدمها . او هل انني اقدم الضحية لاسكولابيوس المحروق بالصاعقة او للزهرة الفاسقة او لباقي الاشخاص المرذولين الرجسين . فاذا اتراني اسجد واعبد هولا الاشخاص الذين احسب رذالة ان اقتدي بسيرتهم . اوليك الذين انا اورد عيوبهم واكره ذكرهم واحتقر تصرفاتهم * التي اذا فعل نظيرهم الان احد من الشعوب لايمكنه ان يهرب من عقاب شريعتك * وانت من ثم تسجد لهولا وتكرم اعمالاً هذه صفتها التي انت تعاقب من اجلها الاخرين *

خامسا فقال له مركيانوس : ان عادة المسيحيين هي انهم يشتمون الهتنا ويقذفونها بالفاظ اهانات واحتقارات مختلفة الانواع . ولهذا فاني امرك بان تاتي صحبتي الى معبد جونونه وجيوفه (اي المشتري) لكي نشترك معاً بوليمة مرضية . وبذلك نقدم للالهة الاشيا التي هم يستحقونها * فاجابه القديس قايلاً : كيف يمكنني ان اقدم ذبيحة ههنا لذاك الذي يعرف جيداً انه مات في اقريطش ودفن هناك . أفلعله قد قام من الموت ، فقال له مركيانوس : انه يلزمك ان تختار احد هذين الشيين اي اما انك تقدم الضحية او انك تموت قتلاً * فاجابه الشهيد : انه بالحقيقة هكذا يفعل السابون وقطاع الطريق في دالماتسيا . الذين هم ماهرون في رذيلة الخطف * حيث انهم اذ يحصلون مسلطين على امكنة خفية في الطرقات لكي يضروا المسافرين كافة . فاي من يبلغ الي هناك من دون ان يمكنه ان يهرب الى وراء او الى قدام يغتصب منهم على ان يختار احد هذين الشيين . اي اما ان يترك لهم المال والموجود الذي معه او ان يمات منهم مقتولاً * ولهذا في المكان المومى اليه لايوجد من يسال عن الحق او من يراعيه . بل انما يقوى على الغير من يملك اعظم قوة واغتصاباً * فعلى هذه الصورة هي الحكومة التي بها تامرني اما بان اتم فعلاً اثيماً غير جايز او ان أمات ظلماً . فانا لااخاف شيأ ولا ارهب من شي * فالحق العام والشريعة الطبيعية يعاقبان الفاسق والزاني والخاطف والسارق ومضاجع الذكور والقاتل والمضر الناس * فان كان ثبت عليّ اني فعلت شيأ من هذه الذنوب . فانا نفسي احكم على ذاتي بالعقاب . قبل ان تبرز انت عليّ الحكومة بذلك * غير اني الان

اوجد مشجوبًا بحكومة الموت لاجل اني اعبد الهًا حقيقيًا . فاذًا انا بهذا النوع مدان ومشجوب ليس من قبل الشريعة وبقوتها بل من قبل ارادة القاضي الخصوصية وبقوة ماربه * ولهذا يصرخ النبي المرتل على الدوام هاتفًا : ليس من يطلب الله . كلهم قد زاغوا جميعًا وانتخوا وليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد * ولاجل هذا اقول لك انك لا تستطيع ان تبرر نفسك في القضا عليك . لانه مكتوب : انكم كما تدينون تدانون . وبالكيل الذي تكيلون يكال لكم . وفي موضع اخر يقال : انك نظير ما تحاكم تحاكم وكما تفعل مع الغير كذلك يفعل معك *

سادسًا فالفنصل بعد استماعه هذا جميعه قال للقديس هكذا : انه لم يفوض لي ان اقضي فاحصا ولا ان ادين كقاضٍ . بل انني انما أُمرت بان اغتصب والزم * ولهذا فان انت احتقرت الامر . فاعلم جيدًا انك تعاقب من كل جدٍ ، * فاجابه البار قايلاً : وانا ايضا قد أُمرت بالانكر الهي اصلاً . فان كنت انت انما تخدم انسانا فاسدًا زايلاً الذي عتيد ان يعدم الحيوة ومن دون ابطاء يباين هذا العالم . وانت نفسك تعلم انه حالاً يعود ما كلاً للدود . فكم باعظم من ذلك التزم انا بان اطيع الها قادرًا على كل شي الذي بقوته خلقت جميع البرايا التي في العالم . وهو الذي قال من ينكرني قدام الناس فانكره انا امام ابي الذي في السموات حينما اتي بالمجد والقوة لكي ادين الاحيا والاموات ، فقال له مركيانوس : هوذا انك قد اعترفت بغتةً بالشي الذي انا كنت اشتهي ان اعرفه اى الضلال الحاصل لك والغلط الموجود في شريعة اعتقادك * فاذًا بموجب قولك يتضح ان الله له ولدٌ ، * فاجابه القديس : اى نعم انه بالحقيقة له ابنٌ ، * فساله الوالي : ومن هو اذًا ابن الله ، * فاجابه اكاكيوس : انه هو كلمة الحيوة والنعمة ، * فقال له مركيانوس : اهذا هو اسمه ، * فاجابه القديس قايلاً : انت لم تسالني ما هو اسمه . بل طلبت مني ان تعرف قوة الابن وسلطته ، * فهنا قال له الوالي : فاذًا قل لي ما هو اسمه ، اجابه القديس : ان اسمه هو يسوع المسيح ، فساله المغتصب قايلاً : ومن اية امراة قد ولد الله هذا الابن ، * اجابه المعترف : ان الله قد ولد ابنه ليس على سبيل التناسل البشرى بواسطة اتحاد الرجل مع الامراة . بل ان الله الذي ابدع ادم الاب الاول بقوة يمينه من لاشي * فلا ينبغي ان تفكر به انت او تحسبه امرًا ممكنا ولايقا بسمو عظمة العزة

الالهية ان تقترب الى فتاة من جنس البشر المايت او تقترن بها بالزواج * فالله قد ركّب اعضا الاب الاول وجسمه من الطين . وحالما تم ابداع جسده الانساني كاملاً قد اوهبه النفس الناطقة . فهكذا هو ابن الله كلمة الحق . اي انه صدر من قلب الاب باطنا . ولهذا هو مكتوب : فاض قلبي كلمة صالحة ، *

سابعاً قال له مركيانوس : « فالله اذاً هو جوهرٌ جسميٌ مركبٌ » * اجابه اكاكيوس : « ان الله وحده يعرف الحقيقة . واما نحن فلا نعتقد به صورةً خصوصية منظورة . بل انما نكرم فيه قوته ونعبد سلطته » * فهنا قال له القنصل : « فان كان الله لا جسم له . فاذاً هو عديم القلب ايضاً . لان الجسم الحساس لا يمكنه ان يكون من غير اعضا » * اجابه القديس قايلاً : « ان الحكمة والتعقل لا يصدران من هذه الاعضا . بل ان الحكمة هي موهوبة لنا من الله . فاذا يصنع اذاً الجسم نحو التعقل » * قال له مركيانوس : « تامل حسنا الناس الكاطافريكانيين الذين كانوا ذوي ديانةٍ قديمة . وقد اعتنقوا طقوس مذهبي . مهملين ما كانوا عليه قبلاً وهم الان معنا يقدمون النذور للالهة * ولهذا انت هكذا كن سريع الطاعة لما امرتك به . فاجمع كل المسيحيين الذين هم من الديانة الكاثوليكية وانت واياهم اتبع ديانة ملكنا . وليات معك جميع الشعب المخضع لتدبيرك وارادتك » * اجابه الراعي القديس قايلاً : « ان جميع شعبي الذي انت تشير اليه فهولا ليس هم تحت ارادتي ومتعلقين بمشيتي . بل انهم انما يطيعون شريعة الله . وهم متعلقون باوامره تعالى * ولهذا انما يستمعون صوتي ويطيعوني اذا اختبروا في اقوالي اشيا عادلة جايزة . واما اذا امتحنوا الخلاف بانه توجد في اوامري اشيا مضرة مرذولة . فحينيذٍ يرفضونها محتقرين » * قال له مركيانوس : « اعطني اسامي جميع هولا » * فاجابه المعترف : « ان اسماوهم هي مدونة في السجل السماوي ومكتوبة في الدفتر الالهي . فكيف اذاً تستطيع الاعين المايتة ان تنظر ذاك الشي الذي هو قوة الله الغير المايتة والعديمة ان تشاهد قد دونته » *

ثامناً فقال له الوالي : « اين هم اوليك السحرا رفقاوك في الغش والخداع او معلموا هذه الصنعة المضلة » * اجابه اكاكيوس . « اننا نحن قد أُهلنا من الله الموصف بهذه الاشيا كلها ونستحقها ايضا . غير اننا نرفض ونبعد من بيننا راذلين صنعة السحر » * فقال له مركيانوس . انكم انتم بالحقيقة سحرا . لانكم تريدون ان تدخلوا في الشعوب ديانة لا اعلم

ماذا اسميها ، * فاجابه القديس : « اننا نحن نبيد تلك الالهة التي تعملونها انتم بايديكم
ونسحقها . اما انتم فتصنعون هذه الالهة بقوة ايديكم وتعملونها من المواد . وبعد ذلك
انتم انفسكم تخافونها وتعبدونها * وعلى هذه الصورة لكنتم عدمتم وجود هذه الالهة في
معابدكم لو انه لا توجد الصناع التي تحتها او تسبكها . او لو انه اذا وجدت الصناع
لا يحصلون على حجارة ومواد منها يركبون هذه الالهة * اما نحن فانما نخاف من ذاك الذي
ليس نحن صنعناه وعملته ايدينا . بل انما نحن صنعنا منه وأُبدعنا بقوته . وهو الذي خلقنا
كرب . واحيانا كاب . وخلصنا من الموت الابدي كمنقذ عظيم ، * فقال له القنصل :
اعطني الاسما كما قلت لك . حتى لا تكون انت وحدك ساقطا في العقوبات ، * اجابه
الاسقف قايلاً : فانا موجود الان في ديوانك بشخصي وانت تسال عن الاسما لعلك
تومل ان تنتصر على كثيرين انت الذي انا وحدي قد غلبتك * فان كانت الاسما بهذا
المقدار مشتهاة منك معرفتها فانا اسمي اكاكيوس * واما ان اردت ان تعرف اسمي الخصوصي
فهو اغاثوس انجلوس اي المبشر الصالح . وشركاي هم بيسيوس اسقف التروبانيين .
ومينادروس الكاهن . فاصنع الان ما يرضيك ، * فقال له مركيانوس انك ستطرح
في السجن الى ان يعلم الملك اعمالك وبموجب اوامره يبرز الحكم عليك . بماذا يجب ان
يصنع بك ، ۞ قال هذا وامر في اليوم عينه الذي كان التاسع والعشرين من شهر ادار
بان يوضع القديس في السجن . وهكذا ارسل الى الملك داكيوس قيصر صورة السوالات
والاجوبة المقدم ذكرها مع خبرية هذه الاعمال *

تاسعاً فالملك عند ما وصلته الرسالة وقراها . اخذ يضحك من ذلك * ثم رد الجواب
الى القنصل مركيانوس مع مرسوم ملوكي به اقامه والياً على اقليم بامفيليا . وامره بان يطلق
اكاكيوس تاركاً اياه في كرامته كي يفعل ما يريده بحرية * فمن ثم رجع الاسقف القديس الى
خدمته الرعائية . التي بها ساس شعبه ودبر خرافه الناطقة بقداسة الى ان رقد بالرب
بسلام مملوءاً من الاستحقاقات التي الان يتمتع بها مع راعي الرعاة العظيم في ملكه السرمدي *

فيالها من الفاظ ملهج بها من الروح القدس بفم هذا الاسقف المعترف . الذي به
وبامثاله قد كمل وعد الله ويكمل على الدوام . بانه اذا قدم احد المسيحيين امام الولاة من
اجل اسم الرب يسوع . فلا يهتم اولاً بما يجب ان يتكلم به لان روح القدس في تلك الساعة

يعلمه ما ينبغي ان يقوله . اذ ليس هو المتكلم بل روح ابيه السماوى يتكلم فيه * فلنعتصم اذاً بالرجا الوطيد في صدق مواعيد الله . ولا نخف من شي الاَّ من ان نغيظه تعالى * ولنتذكر البرهان الذى اورده القديس اكاكيوس لمركيانوس القنصل . وهو ان كان الملك الارضي المايت الذى هو ماكل الدود يخدم من الولاة وتطاع اوامره حتى الظالمة ايضا . فكم باعظم من ذلك يلتزم كلٌ منا بان يطيع الها قادراً على كل شى . الذى بقوته وبكلمته خلقت جميع البرايا * فاى شى يمكن ان نجده مستصعبا في اوامر من خلقنا كربٍ . واحبنا كابٍ . وخلصنا من الموت الابدى كمنقذٍ عظيم * فلنطعه اذاً عزَّ وجلَّ ولنحمل على كواهلنا نيره العذب وحمله الخفيف . حافظين وصاياه كي ندخل الى الحيوة الابدية الموعود منه بها للذين يحفظون شريعته المقدسة *

* اليوم الثامن عشر *

* وفيه تذكار ابينا الباريوحنا تلميذ القديس غريغوريوس البانياسى *

اولاً ان الذي يلاحظ سيرة حيوة القديس الباريوحنا تليذ القديس غريغوريوس البانياسي او بالاحري الديكابوليطا اى الذي هو من العشر المدن انما هو الاتي ايراده . فنظراً الى مكان مولده هو مجهول . واما نظراً الى الزمن الذي عاش فيه فليس هو كذلك بل انه يعرف من حال تتلمذه للقديس غريغوريوس المذكور . وبالتالى هو من ابرار الجيل التاسع . ولكنه مولود في اواخر الجيل الثامن في الزمن الذي فيه كان الاراتقة محاربوا الايقونات المقدسة يمزقون جسم الكنيسة الشرقية باضطهادات بربرية ضد الكاثوليكيين *

ثانياً فالبار يوحنا المذكور كان منذ نعومة اظفاره تملك قلبه الحب الشديد ليسوع المسيح . الامر الذي لايتفق مع محبة العالم * ومن ثم حينما صار شابا قد وضع بالعمل نتيجة تكرهه من الاشيا الزمنية وبغضه اباطيل العالم * فترك كل شى ومضى متلمذاً للقديس غريغوريوس الديكابوليطا في سيرة النسك بعيشةٍ طاهرة . وشرع مع معلمه هذا الجليل يحارب اعدا خلاصه بنشاطٍ . مميتاً اهواءه مضمراً حواسه مقمعا اميال مضنكا جسمه مثابراً على الصلوات الحارة والتاملات المتصلة في الاشيا السموية . مروضا ذاته في كل نوع من الفضايل . ناجحا بها يوما فيوما . مجتهداً على الدوام في اتمام واجبات دعوته . متراقيا كعلى سلمٍ روحية الى قمة الكمال الانجيلى . منتقلاً من قوةٍ الى قوة . حافظا بالتدقيق

رسوم الطاعة في كل شيء حتى انه اضحى شايع الصيت في حسن المناقب . الامر الذي كان يملا قلب معلمه القديس فرحا ويمجد الله عما انعم به على هذا التلميذ النجيب ❋

ثالثا فبعد ان استمر على هذه الحال مدة من السنين قد فقد معلمه الصالح الذي انتقل من هذه الحيوة . ولذلك قد انفرد سايحا في قفار مجهولة متغربا عن كل احدٍ تبعا لنموذج مخلصنا الذي لم يكن له اين يسند اليه راسه . ممارسا في تلك القفار البعيدة كل نوع من التقشفات والاصوام والامانات . محاربا عدوه الجهنمي الذي لم يكن يغفل عن معاركته بتجارب متلونة الاشكال * ولكنه كان يخرج من ميدان الحرب دايما منتصرًا على هذا العدو الفائد الاستطاعة على مضرته . اذ ان البار يوحنا حصل بكليته ملاكا ارضيا وانسانا سماويا ❋

رابعا فقد اصرف هذا القديس ازمنة ليست بوجيزة في نوع تلك السياحة . ولكنه اخيرًا ليس من دون الهام الهي قد باين القفر وسافر الى الاراضي المقدسة . وحضر الى السيق الموسس من القديس البار خاريطون الملقب بالسيق العتيق . وهناك لم يكف مجتهدًا بصرامةٍ في حفظ واجبات النسك والطاعة والاعمال الصالحة * الا انه اخيرًا ذهب خارجا عن سيق القديس خاريطون ورقد بالرب نحو سنة ٨٥٠ . منتقلا من هذه الحيوة المملوة من الشقا الى السما التي هي ارض الودعا ومقر الابرار . حيث يتمتع الان بتلك السعادة التي لم ترَها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلبِ بشرى . التي اعدها الله للذين يحبونه ❋

فهذا البار وامثاله من اصفيا الله هم بالحقيقة الفلاسفة المحقون . الذين عرفوا ان يميزوا في ذواتهم الخير الاعظم مما سواه . واجتهدوا في ان يجدوا الوسايط المبلغة اياهم بامنٍ الى امتلاك هذا الخير المحض . متاملين حسنا الفرق الكلي الكاين فيما بين الجسد والروح . وفيما بين الزمنيات والابديات وفيما بين الحاصرات والمنتظرات ولهذا تهاونوا بهذه واعتبروا تلك . وباعوا كل ما كانوا يقتنوه حتى انهم اشتروا الحقل الذي عرفوا انه يوجد فيه الكنز العظيم مخبوءًا * فترى ان هذه الفلسفة الحقيقية التي حصل عليها هولا الابرار هي عسرة المفهومية . ولا تكتسب الا بدرسٍ عظيم وبسنين عديدة كما يلزم ذلك من يدرس العلوم البشرية . كلا بل انها فلسفة يمكن اكتسابها من كل احد بكل سهولةٍ . وهي مغروسة فينا

طبيعيا . اي ان نعرف الخير الاعظم ونسعي نحوه في ايـة دعـوة وجدنا . فلماذا اذًا نرى القليلين يتبعون هـذه الفلسفة بالنسبة للاكثرين الذين يسلكون بالانقلاب جاعلين الواسطة غاية والغاية كانها واسطة . فليس ذلك الا لجهلهم الاختياري وعدم تفكرهم فى عواقبهم الاربع التي لا بد منها ❋

❋ اليوم التاسع عشر ❋

❋ وفيه تذكار الشهيد في الكهنة بفنوتيوس والبار يوحنا قس السيق العتيق ❋

اولًا ان القديس بفنوتيوس قد ولد في مدينة مصر بعد نصف الجيل الثالث . ومنذ حداثته قد وجد مملوًا من البركات السموية والنعم الالهية الغير الاعتيادية * واذ تامل جيدًا في حسن نموذجات اوليك الذين كانوا ابتداءوا فى براري مصر وتيبايس ان يقتفوا سيرة العيشة المنفردة عن العالم . لم يتاخر عن ان يقتفى اثرهم باعطايه العالم ظهرًا واتجاهه نحو الوطن الحقيقي السعيد بلدة الاحيا . قايلا في ذاته هكذا : « انه اذ كانت السما تستحق « ان تفضل على الارض . وان الفردوس السماوي هـو وطنى الحقيقي واما الارض فهي « منفاى . فلماذا اذًا لا اسعي منعطفا بكلية ارادتي نحو ذاك . واهرب بكل نشاط من « هذا » * ثم ليلا تحدث للبار المذكور بعض موانع من اقربايه اذا قطن مع السواح القريبين من وطنه في مصر . قد راي ملايما ان يبتعد عنهم * ولهذا مضي الى الدير المدعو بيسبار . في اخر حدود الاقليم المصرى الاعلى في تيبايس الخارجة . وكان حينيذٍ يدبر سكان ذاك الدير ورهبانه القديس انطونيوس الكبير الذي لاشاعة سمو فضايله وقداسته في الافاق كان جذب اليه عددًا وافرًا من الرجال الذين هجروا العالم ليتخذوه معلما لهم في السيرة الروحية وقايدًا امينا في طريق الملكوت * ومن ثم حينما بلغ بفنوتيوس الى هناك . وكشف للقديس انطونيوس ضميره . واخبره بارادته في الابتعاد عن العالم والعيشة في الوحدة . فالقديس وطده في عزمه هذا واقتبله فيما بين تلاميذه ❋

ثانيا فقد اكتسب بفنوتيوس تحت ارشاد معلم النسك العظيم انطونيوس في مدة وجيزة من الزمان درجات سامية من الكمال بنوع يعجب منه . لا سيما في اضماره الامه كلها وفي اماتته حواسه باجمعها بواسطة التقشفات الصارمة وقهر الذات حتى انه اخضع الجسد للروح اخضاعا تاما . وحصل على هذه الصورة متاصلًا في الفضايل هادى العقل . غايصًا

في الثاوريا بالتاملات المتصلة والصلوة الحارة . صاغيا للهواجس الالهية والالهامات المقدسة سامعا صوت الله الباطن * ومن حيث ان الحكمة الالهية لايمكن ان تستقر في نفسٍ اسيرة للاثم ولا تسكن في جسدٍ خاضع للخطية . فهذه حينما وجدت نفس بفنوتيوس وجسمه معتوقين من التعبد للالام الممقوتة . قد انارتهما بضيايها الساطع البهاء . وتنازلت الى ان تختاره مسكنًا حيًا لها * وبهذا بعد ان قطن مدةً من السنين ليست بمستطيلة في دير بيسبار ليس فقط لم يعد في مصاف المبتدين بل أُعتبر من الجميع كاحد الاباء معلمي السيرة الروحية . من حيث ان كثيرين من الاشخاص المتقدمين كانوا يلتجيون اليه لاتخاذ مشوراته وارشاداته في طريق الكمال والقداسة الاكثر سموًا *

ثالثا فالقديس انطونيوس عينه مرات كثيرة اعطى الشهادة المشتهرة عن عظم فضايل البار بفنوتيوس خاصةً عن فطنته الفريدة ومحبته المتقدة * فيومًا ما اتفق للنساك ان يشتكوا على احد السواح بذنبٍ كان هو ينكر مطلقًا ارتكابه . واوليك يكررون شكايتهم عليه بهِ من غير ملل . فلما تامل ذلك البار بفنوتيوس قال هكذا : « انني قد رايت على شط النهر رجلاً مغروسًا في الوحل . ثم نظرت واذا بكثرةٍ من الرجال قد جاءوا لمعونتهِ ومدوا ايديهم لانتشاله من الغبيط * غير انه عوضا عن انهم يخرجونه منهُ خارجا . قد طمسوه فيه حتى عنقه » * وبهذه الالفاظ قد اراد البار ان يوضح للمشتكين انه لايجب ان يوبخ بصرامةٍ غير مفيدة ذاك المذنب الذي لايعترف بخطيته . لان تعنيفا وتشكيا هذه صفتهما لانفيد المزلّ الناكر سقوطه في الذنب . بل تجدد فيهِ زلات جديدة وخطايا عديدة بالنكران والكذب والاصرار على الاثم * ومن وجه اخر انهُ ضرب من الاباطيل هو اغتصاب الغير ضد ارادته على ان يعترف بذاتهِ انهُ خاطي . لاسيما اذا كان من يغتصبهُ على ذلك ليس لهُ عليه سلطان ان يلزمه بالاعتراف بهِ * فلما سمع القديس انطونيوس ما اجاب بهِ البار بفنوتيوس بالنوع المقدم ذكره . قد التفت اليهم قايلاً : « هوذا الرجل الذي يعرف ان يحكم بموجب الحق على الاشيا . ويستطيع ان يتفهم تعمق الافكار » *

رابعًا غير ان الباري تعالى لم يشا ان تكون الحكمة التي افاضها على عبده بفنوتيوس مختصةً ومفيدةً لشخصه الخصوصي وحده . ولا ان تكون مخبوة في الفيافي والقفار . بل انما املاه منها كي يرعى جزًا من قطيع خرافه الناطقة ويسوسه ويدبره بها . ثم لينير كنيسته

الجامعة بتعاليمه ونموذجاته وغيرته * ولذلك قد أُختير اسقفا لاحدى مدن اقليم تبايس الاعلى . الامر الذي لسمو تواضع هذا البار قد اقلقه وصيره ان يمانع بكل مكنته * الا انه بعد ان تحقق من قبل الصلوات التي قدمها لله ومن قبل ارادة روسايه حقيقة مشية الله في ذلك . قدم عنقه لحمل نير انجيل المسيح . واقتبل الارتسام بالدرجات المقدسة . واهمل القفر ومضى الى ابرشيته متكلاً على مجرد العون الالهي *

خامساً فحينما وُضع السراج على منارة الكنيسة . قد اشرق نورهُ لجميع السكان في بيت الرب . وظهرت لدى البشر فضايل هذا الراعي السامية التي كان مارسها تحت ارشاد القديس انطونيوس * ولذلك اضحى لدى رعيته بمنزلة قانون حي وتمثال للكمال ومراءة صقيلة يشاهد فيها كل احدٍ ما كان ينبغي ان يتبع به اثر خطوات راعيه الصالح * فقد شرع القديس يقيد الشعب الذي أُوتمن عليه الى مراتع الخلاص . ويحرضه على استيصال الرذايل والتمسك بالفضايل . ساهراً على تصرفاتهم اجمعين . معتنيا بوضع المراسيم الانجيلية والتهذيبات الكنايسية من رعيته بالعمل . وبالاجمال قد صير الشعب قديسين مستحقين اسماً وفعلاً تسمية مسيحيين * ولكن لم تكن اتعاب هذا القديس متوقفةً على اتمام واجبات درجته ووظيفته الرعايية فقط المقترن معها ضرورةً حمل اثقال السياسة والخدم الالهية والاحتفالات المقدسة والاعتنا بالمحتاجين وبالكرز والارشاد والتعليم . بل أُضيف الى ذلك ما حدث له ايضاً ولرعيته من مفاعيل الاضطهاد الذي صنعه ضد المسيحيين الملكان ديوكلاتسيانوس ومكسيميانوس القيصران * حيث انه قُبض عليه بموجب اوامرهما واحتمل من اجل اعترافه بالايمان بالمسيح العذابات المختلفة الاشكال . لاسيما اذ حكم عليه بقلع عينه اليمنى . وبقطع مفاصل ركبته اليسرى . وبربطهِ بالسلاسل . وباخذهِ الى امكنة حفر المعادن ومقالع الرخام . من دون ان يعدم الحيوة الزمنية بل ليكون في هذه الحال من العذابات والاغتصابات والاتعاب الفايقة الوصف كمن يموت في كل ساعةٍ . واضحت مدة حياته على هذه الصورة كانها استشهاد متصل ومتعدد * ولذلك بكل صواب يدعوه المينولوجيون شهيداً في الكهنة . ولين لم يكن يموت في حال العذابات * ولكن أترى هذا القديس تشكى من حال تركه القفار وحريتها ووجوده في ذلك الاسر البربري . او ندم على ارتضايه بقبول الدرجة الاسقفية * كلا . من حيث انه كان يعلم حسناً ان هذه كانت

ارادة الله . ومن ثم قد صبر محتملاً بكل فرح تلك المعاملات الشديدة القساوة التي كان يتكبدها من اجل الايمان بالمسيح *

سادساً فلما حصل فيما بعد الهدو للكنيسة الجامعة . وتمتعت بالسلام من قبل موت القياصرة مضطهديها وتوطيد قسطنطين الكبير في تخت الملك . وهكذا أُطلق القديس بفنوتيوس مع المعترفين الاخرين من الاسر وحفر المعادن ورجعوا الى محلاتهم . قد ذهب هذا الراعي الجليل الى رعيته . مارساً نحوها سلطان السياسة بغيرةٍ متقدة بنوع فايق على استطاعة قواه التي كانت ناهزت العدم من شدة ما احتمله من العذابات والاضامات * ولم تكن غيرته اقل حرارةً في محاماته عن الايمان المستقيم ضد الارنقة الاريوسية التي انتشرت في تلك الازمنة . بل حينما التيم المجمع المسكوني الاول في نيقية سنة ٣٢٥ . ومضى اليه هذا القديس وكان هو احد ابايه المعظمين جداً . فهناك تلالات صفات غيرته وعلو فضايله وسمو قداسته بابلغ نوع * وقد حصل هذا الاب الجليل على اعتبار فريد في عيني الملك قسطنطين حتى انه كان يدعوه مرات كثيرة اليه في بلاطه الافغوسطي ويتفاوضان معاً على وضع التدابير الملايمة لراحة الكنيسة الجامعة ولتأييد الايمان القويم ولاستيصال الارنقة الاريوسية * ولم يكن هذا الملك الحسن العبادة يفارق من ديوانه القديس المذكور الا بعد ان يقبّل عينه اليمنى المقلوعة من اجل اعترافه بالايمان بالمسيح . وبذلك كان يعلم عظما بلاطه وساير شعوب مملكته بكم من الاعتبار والوقار كان يجب عليهم ان يحترموا عبيد المسيح وخدامهُ الامنا *

سابعاً ثم ان هذا القديس كان هو احد ابا السينودوس العام المقدس المذكور الذين رتبوا صورة قانون الايمان . بل كان هو اخص الذين رسموا قوانين التهذيب الكنايسي في هذا المجمع لاجل حفظ وديعة الايمان الغير المنثلمة وللسلوك حسب روح الشريعة الانجيلية وبحسن النظام * واذ انحل ذاك الاجتماع العام ورجع كلٌ من الابا الى ابرشيته . فالقديس بفنوتيوس عاد الى كرسيهِ حافظا رباط الوحدة باشد استيثاق مع بقية الاساقفة الكاثوليكيين . محاميا على الدوام عن استقامة الايمان ضد حزب الارانقة الى حين وفاته * التي ولين لم تكن موكدةً لدينا السنة التي فيها حدثت . فمع ذلك يوجد لنا اساس وطيد للظن بان هذا المعظم في روسا الكهنة قد عاش مدةً من السنين مستطيلة ورقد بالرب

في سن شيخوخة كلية . وهكذا انتقل الى الحيوة الابدية لياخذ مكافاة ما فعله من الصلاح وما احتمله من الاتعاب والانصاب والاضطهادات . وبقي ذكره محترمًا مكرمًا في الكنيسة الجامعة كافةً * الا ان الكنيسة اللاتينية لا تصنع تذكاره في اليوم الحاضر . بل تحتفل به في اليوم الحادي عشر من شهر ايلول *

فالموضوع الذي اجتذب القديس بفنوتيوس لان يهجر العالم وينفرد في القفر ليهتم بتقديس نفسه لم يكن سوى تفكره بانه لا يوجد لنا وطن حقيقي ثابت على الارض . بل انما نحن متغربون في العالم ومجتازون الطريق الى الابدية . وان مسكننا الحقيقي هو في السموات فليكن اذًا هذا التفكر فينا علةً لان ننظر الى الموجودات الزمنية بعدم اعتبار . ولان نحتقرها ونعتد ذواتنا كغربا وعابري طريق في هذه الحيوة . حسبما يحرضنا على ذلك القديس بطرس الرسول (جامعة اولى ص ٢ ع ١١) * ولان نبعد قلوبنا عن ان تتعلق بشي من تلك الموضوعات التي يمكنها ان تضر انفسنا . او تمنعنا او تعيق سهولة مسيرنا نحو الوطن الطوباوي المعد لنا في السموات . فرسول الامم الانا المصطفى يعلمنا قايلاً . ان الوقت منذ الان قد انكمش ليكون الذين لهم نساء كمن ليس لهم نساء . والذين يبكون كانهم لا يبكون . والذين يفرحون كانهم لم يسروا . والذين يبتاعون كانهم لم يملكوا . والذين يستعملون هذا العالم كانهم لم يستعملوه . لان شكل هذا العالم سيعبر ويجوز ، (قرنثية اولى ص ٧ ع ٢٩ الخ) * اي انه يلزمنا كما يفسر هذا النص الرسولي القديس اغوسطينوس الا ندع قلوبنا ان تتعلق بشي من هذه الموجودات . وان نستخدمها استخدامًا بسيطا ليس بحسبما تدربنا الى ذلك الامنا الغير المرتبة وبموجب عوايد اهل العالم الشهوانيين . بل بمقدار ما تلزمنا لذلك الضرورة والاحتياج فقط . بنوع الا تعيقنا هذه الاشيا بتةً عن السلوك في طريق الخلاص الابدي *

* سيرة البار يوحنا قس السيق العتيق *

اولًا ان الذي امكن للابا الجليليين مولفي المجموع البولانديستي ان يتركوه لنا مدونًا في المجلد الثاني على شهر نيسان من مجموعهم المذكور عن القديس الجليل البار يوحنا قس السيق العتيق هو الاشيا الاتي ذكرها وهي . اولًا ان السبب الذي من اجله دُعي السيق القريب من مدينة اورشليم الذي فيهِ نسك القس البار المذكور ملقبًا . بالسيق العتيق . فانما هو

لاجل كونه السيق الاول . اي المكان الذي فيهِ عاش النساك عيشةً رهبانية قبل عبرهم في بلاد فلسطين . وكان القديس خاريطون هو اول من عمّر في هذا السيق ادبرة وذلك في زمن الملك قسطنطين الكبير *

ثانيًا انه فيما بين ابا البرية الابرار المعظمين الذين ظهروا من هذا السيق باعمال فاضلة شايعة الذكر كان القديس يوحنا القس الذي يوجب فينا الاسف عليهِ عدم اتصال اخبار سيرة حياته التاريخية الينا ليس باقل مما اوجب ذلك على الابا البولانديستيين . ومن ثم لم يجدوا عنه ما يخبرون بهِ عن اعماله الخصوصية سوى ما اتخذوه عن المدايح التي وجدوها مسطرة في شان تكريم تذكاره في المينولوجيونات والسنكسارات القديمة تقريظا لفضايله السامية . كما انهم قد استنتجوا من ذلك بالصواب انه اى الباريوحنا كان عايشًا في السيق السابق ذكره في جبل الكنيسة الثامن *

ثالثا انه ولين لم يكن يعرف مكان مولده فمع ذلك يتضح من المدايح المشار اليها انه كان مولودًا من عيلة متقدمة جدًا في رتبة الشرف وفي سعة الغنى . وانه اذ كان انقد في قلبه حب الله الشديد منذ الاقاط . فحالما بلغ الى سن الشبوبية اهمل تنعمات دار والديه والملابس الثمينة والاملاك والثروة الكلية والخدام وبالاجمال كل شي . وتغرب عن وطنه ذاهبًا الى زيارة الاماكن المقدسة في اورشليم كفقير . مقتديا بفادينا الذى اذ كان هو الغنى بالذات قد ظهر على الارض فقيرًا وولد غريبًا في مغارة بيت لحم في مذود البهايم *

رابعًا ثم بعد ان زار هذا القديس امكنة المدينة المقدسة قد خرج منها . وانفرد في العيشة الرهبانية في السيق مترديًا بالاسكيم الملكي . حيث واظب مجتهدًا على التاصل في الفضايل التي كان ينمو فيها يومًا فيومًا . حتى بلغ الى قمة الكمال الانجيلي وظهر نموذجًا حيًا وقانونًا وقدوةً للاقتدا بهِ وللانذهال من سمو اعماله الصالحة * ولذلك اضحى اسمه شايعًا بالبر والقداسة فيما بين ابا جيله * وبعد ان اذخر لنفسه كنوز الاستحقاقات رقد بالرب . منتقلاً الى تلك الغبطة السماوية . متمتعًا بمشاهدة الله الذي احبه هكذا منذ نعومة اظفاره . ومن اجل حبه تعالى قد ترك كل شي وحمل الصليب على عاتقه واتبع مخلص العالم *

فربما يبان لمحبي تنعمات العالم حماقةً التعرى من الغنى والكرامات ورفاهية المعيشة مطلقًا والتمسك بسيرة الفقر والاماتات وحمل الصليب كل يوم . ولكن انهم لفي ضلال

مبين وعليهم يصدق القول الرسولي ٠ ان ذكر الصليب عند الهالكين جهالة ٠ * فاذا تامل هولا اولاً ان ما فعله البار يوحنا وامثاله باهالم الاشيا الزمنية الباطلة . قد وجدوا في هذه الحيوة عينها السكينة والهدو وراحة الضمير التي هي وليمة دايمة . ثانيًا انهم لحكما حقيقيين وكتجار ماهرين قد باعوا اباطيل هذا الدهر بكنوز الخزاين السماوية التي الان يتنعمون بها سعيدين الى الابد . ثالثًا انه اعتياديًا لايمكن التمتع بخيرات هذا العالم ههنا وبالخيرات السماوية هناك . فاذا تاملوا جيدًا هذه الاشيا فبلا شك حينيذٍ يعرفون جهلهم ويستفيدون من نموذجات هولا الابرار . فلما يكون الايدعوا قلوبهم ان تتعلق بمحبة خيرات الارض الفاسدة . هذا اذا لم يقتدوا بمثلهم برفضها مطلقًا ليسعوا بايمن طريق نحو خلاصهم الابدي *

* اليوم العشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار ثاودوروس المشعري *

اولاً انه ولاين كان مجهولاً الزمان الذى عاش فيه القديس ثاودوروس الشعري . فمع ذلك امرٌ موكدٌ هو انه ولد في المدينة المتملكة القسطنطنية من عيلةٍ غنية جدًا . وقد حصل على تربية صالحة تليق بمقام اقربايه وبحسن عبادتهم لله * ومن حيث انه كان انغرس في قلب ثاودوروس منذ حداثته عشق الفضيلة وحب العيشة النسكية . فلما ترجل قد اهمل سعة الغني مع اقربايه وكل شي . ومضى الى احد الاديرة في تلك الجهة وتمسك بالقانون الرهبانى *

ثانيًا فسيرة النسك وصرامة التقشفات وشدة الضنك التي مارسها باماتة حواسه واعضا جسمه كانت بهذا المقدار غير اعتيادية وشاقة . حتي انه كان يخال لمن يشاهده ان ينظر الى انسانٍ ميت جاف وليس بحي * لانه ما عدا كثرة الصيامات وقهر الذات وباقي الاشيا المضنكة . كان في شدة البرد والجليد لايلبس شيًا اخر سوى قميص منسوج من شعر * ولذلك لُقب يونانيا تريخيناس اى الجزيل الشعر او الشعري . كما ان الدير نفسه الذي كان قاطنًا فيهِ قد اتخذ لقبه منه ودعى الي الان تريخيناس . وكان على الدوام يمشى حافيًا مكشوف الراس *

ثالثًا فالباري تعالى الذى سر بتصرفات عبده البار هذه المصنوعة منه لمجد اسمهِ عزّ

وجل . قد منحه قوة عظيمة ضد مقدرة الشيطان وجنوده . ووهبه الاستطاعة على صنيع العجايب الكثيرة بانواع مختلفة . ليس في باقي سني حياتهِ فقط التي عاشها على الصورة المقدم ذكرها . التي كانت تظهر بكليتها فايقة على مقدار الضعف البشري . بل بعد ان رقد بالرب ايضا قد حصل سريع الاغاثة لجميع الملتجيين اليهِ ولكل الطالبين من الله بشفاعاتهِ النعم المحتاجين اليها بما صنعهُ ويصنعه هذا البار القديس من العجايب بواسطة ذخاير جسمه الطاهر * الذى عرف هو في حياتهِ ان يميت الامه واميالهِ وانعطافاتهِ . ويكرسها لله بكليتها و يجعلهُ خاضعا للروح التي هي الان مالكة مع المسيح الى الابد *

فيبان مما تقدم ذكره لدى البعض انهُ لمن الممتنع ان يقدر انسان ما ان يستسير بعيشة تشابه عيشة القديس ثاودوروس المذكور . ويبقى في الحيوة * ولكن امرٌ حقيقي هو ما تقدم ايراده عنه ومثله عن قديسين اخرين كثيرين . وانما استطاعوا على ان يعيشوا هكذا اولاً بتاييد العون الالهي و بقوة نعمة الله الذى بهِ تعالى نقدر على كل شى كقول الانا المصطفي رسول الامم . ثانيًا بواسطة عزمهم الثابت وارادتهم الفعالة في ان يصنعوا ذلك متكلين بثقةٍ على الذراع الضابط الكل . ثالثًا باستخدامهم الوسايط المويدة اياهم عليهِ بحسب قوانين الفطنة وبموجب ارشادات معلميهم الروحيين . رابعاً انما اكتسبوا بلوغهم الى قمة الكمال رويدًا رويدًا . اى يوميا كانوا ينمون في الفضيلة . وخامساً قد جعلوا فضيلة التواضع اساسا في اعمالهم . فامكنهم ان يشيدوا فوقها البنا العظيم من دون تزعزع * فاذا ما تاملنا ذلك نحن البشر نظيرهم فيمكننا بواسطة هذه الخمسة الاشيا ان نسير في طريق الخلاص بكل نجاح وتاييد .*

* اليوم الحادى والعشرون *

* وفيه تذكار الشهيد في الكهنة ايانواريوس ورفقته ثم الشهيد في الكهنة *

* ثاودوروس الذى من برجى *

اولاً ان القديس الشهيد فى الكهنة ايانواريوس كان اسقفا لمدينة بانافانتوس من مملكة نابولى . وقد قبض عليهِ من اجل الايمان بالمسيح فى زمن الاضطهاد المصنوع من ديوكلاتسيانوس قيصر ضد المسيحيين في مبادى الجيل الرابع . واحضر الى ديوان القضاة صحبة شماسه الانجيلي فاسطوس وداسيداريوس المرتل جملةً مع صوزيوس شماس كنيسة

ميزانوس وبروكلوس شماس بوتسوولس * ثم اوتيشسيوس واكوزيوس * وبعد ان امتحنوا بعذابات مختلفة فلثباتهم في الايمان طرحوا في السجن مغللين بالسلاسل * ثم قد اخرجوا من الحبس وقطعت هاماتهم المكرمة . والكنيسة اللاتينية تحتفل بتذكار هذا الشهيد في روسا الكهنة في ١٩ ايلول *

ثانيا فجسم القديس ايانواريوس مع هامته الشريفة قد نقلا الى مدينة نابولي . ودفنا بكرامة وبحسن تدين في الكنيسة حيث هما الي الان في كنيسة الكاتدرا المشيدة على اسمه مع وعاء من بلور حاوٍ القليل من دم هذا الشهيد . وكل مرة يوضع الوعا المذكور تحت ختمه بالقرب من هامة القديس فيشاهد الدم الجامد ضمن الوعا ليس فقط متحركا سايلا . بل ايضا فايرًا مغليا كانهُ في تلك الدقيقة خارج من عنق الشهيد حين قطع راسه * وهذا العجب الباهر يكمل سنويا في عيد القديس الشهيد . ثم في كل مرةٍ تحصل مدينة نابولي في ضيقة شديدة . بها يلتجي سكانها الى شفاعة حافظها القديس لينالوا النعمة التي يلتمسونها من الله بواسطته . ويصنعون هذا الاحتفال بوضع وعاء الدم بالقرب من هامة الشهيد *

ثالثا فحقيقة هذه العجايب العديدة الكلية الثبات قد امتحنت ليس من الاحبار الرومانيين والروسا الكنايسيين فقط . بل اعترف وبعترف بحقيقتها الارانقة الضالون انفسهم * الذين منهم من يعانون سفرًا خصوصيًا الى مدينة نابولي في ازمنة عيد هذا القديس ليشاهدوا هذه الاعجوبة ويمجدوا الله الذى هو عجيبٌ في قديسيه . ويريد ان يكرموا من بعنه الجامعة ومن جميع المومنين التكرمة المحقة لهم بحسب كونهم خلانه واصفياه * فشعب مدينة نابولي لهم تعبد عظيم واحترام جسيم نحو هذا القديس محامي مدينتهم ويسمونه القديس جانارو الذى هو لفظة ايطالية تعني نفس ما تعنيه لفظة يانواريوس اللاتينية والمقولة يونانيًا بالتسمية عينها . والتي هي اسمٌ خاص بشهر كانون الثاني لاتينيًا ويونانيًا حسبما يدعى الشهر المذكور ايطاليانيًا جانارو *

فالبعض من المسيحيين الجهلة يظنون ويتفاوضون ايضًا بان العجايب التي كان الله يصنعها بواسطة قديسيه في اجيال الكنيسة الاولى لم يعد عزَّ وجلَّ يصنعها في ازمتنا هذه . والحال ان العملية تحقق خلاف زعمهم ورايهم . ليس فقط نظرًا الى الاعجوبة المتعددة المار ذكرها بل بابلغ من ذلك من قبيل ان الاحبار الرومانيين لا يبرزون حكمًا قانونيًا

في وضع اسم احد القديسين في السنكسار تحت اسم طوباوي او قديس ليُكرَّم من المومنين بهذه الصفة . وتوضع ايقونته في الكنايس . ويذكر في صلوات الفروض الا بعد ان يثبت اثباتًا حقيقيًا راهنًا لدى المجمع المقدس المدعو مجمع الطقوس بعد فحصٍ عميق وامتحانات وبراهين واثباتات اكيدة خالية من ادنى خيال واشتباه بان الله صنع بواسطة ذاك الطوباوي او القديس بعد وفاته قلما يكون اعجوبتين * ومن له وقوفٌ نظيرنا على عظم الفحص وصرامة التدقيق اللذين يباشران من المجمع المقدس المذكور فيلتزم بان يعترف بان حكمه لا يعطي الا بنوعٍ حقيقي وثابت على صدق تلك العجايب وتاكيدها * والحال انه لا تمضي سنةٌ واحدة من دون ان يعطي هذا المجمع احكامًا هذه صفتها مثبتة بسلطان الحبر الاعظم . فاذًا في هذه الازمنة عينها يصنع الله العجايب بواسطة قديسيهِ واصفيايه * فاي نعم انه في الاجيال الاولى كان عزَّ وجلَّ يصنع ذلك باوفر عددٍ لاجل انتشار الايمان بالمسيح في كل العالم . ولكن لم يمسك تعالى سلطانه المطلق عن ان يفعل الان ايضًا تكريمًا لقديسيهِ وافادةً لومنيه الجرايح والايات الموكدة صفة حال كون كنيسته الجامعة وحدها مقدسةً . وضمنها فقط توجد القداسة والقديسون الذين يصنعون العجايب بقوة مستمدة منه جلت قدوسيته *

* سيرة الشهيد ثاودوروس الذي من برجي *

اولًا ان الميناون اليوناني يسمي هذا الشهيد ديودوروس وليس ثاودوروس خلافًا لجميع السنكسارات التي تدعوه بالاسم الثاني لا بالاول . ولكن الاسمان هما شي واحد في معناهما . لان ديودوروس الذي هو اسم لاتيني يفسر ما يعنيه ثاودوروس الذي هو اسم يوناني اي موهبة الله * ثم ان الميناون اليوناني ومثله العربي تبعًا له يصفان هذا القديس بصفة اسقف . اذ يسميانه شهيدًا في الكهنة حسبما تعطى هذه الصفة لجميع الاساقفة الذين سفكوا دماهم من اجل الايمان بالمسيح . والحال ان اعمال جهاد القديس المذكور الاتي ايرادها لا تشير اصلاً الى انه كان اسقفا لكن جنديا * والذي يحقق ذلك هو ما سطره الابا مولفو المجموع البولانديستي الجليل في الوجه ٨٤١ من المجلد الثاني على شهر نيسان بهذي العبارة قايلين : انه لغلط هو تصوير القديس الشهيد ثاودوروس الذي من برجي بصورة اسقفٍ متردٍ بالاثواب الحبروية . رافعا يده اليمنى مباركا بها وضابطا في يده الشمال

كتب الاناجيل المقدسة كما صوره هكذا البعض من المصورين . والحال ان هذا الشهيد ما كان اسقفا . فاذًا من هنا يبان انه تبعا للنوع الذي شوهد به مصورًا القديس المذكور قد درج اسمه في الميناون بصفة شهيد في الكهنة *

ثانيا فهذا القديس ثاودوروس هو مولود في مدينة برجي من اقليم بمفيليا في مبادي جيل الكنيسة الثاني . واذ شب في العمر قد اُكتتب جنديا فيما بين العساكر الرومانيين تحت ولاية الملك انطونينوس قيصر . في الطغمة التي كانت تسمى طيرونون * وكان هذا الجندي ذا قامةٍ مرتفعةٍ وصورة جميلة . ولكن الجمال الحقيقي هو الذي كانت نفسه متصفةً به من قبل ايمانه المسيحي وفضايله الانجيلية التي كان متلاليا بها * فيوما قد اُستدعي هذا الجندي النجيب ممن كان له عليه السلطان المدني . وطلب منه باغتصاب ان يقدم الضحية للاوثان نظير الاخرين * اما هو فابى عن ذلك . ورفض معا الخدمة الجندية قايلاً : « انني منذ اقتبلت حميم اعادة الكون اي سر المعمودية فقد تجندت للملك « السموات يسوع المسيح محاربا تحت رايته الالهية . ولهذا ما عدت اريد بعد الان ان اخدم ملكا ارضيا *

ثالثا فهذه الكلمات قد بلغت الى اذني الوالي . ولذلك ارسل فقبض على القديس واحضره امامه . وصيره ان يضرب بشدةٍ ويجلد بقساوةٍ * ولانه ثبت معترفا بالمسيح . قد حكم عليه الوالي بالموت محروقا بالنار . فالجنود اخذوه وزجوه في اتون النار المتوقدة * الا ان الله قد حفظه ضمن الاتون حيا . فخرج منه خلوًا من مضرةٍ . الامر الذى ابهت الجنود * وهكذا اثنان منهم كانا يسميان سقراط وديونيسيوس قد آمنا بالمسيح عند مشاهدتهما هذه الاعجوبة . وشرعا يعترفان به تعالى علانيةً * اما الوالي المصر على ضلاله فقد حكم عليهما وعلى فيلبا والدة الشاهد ثاودوروس نفسها بالموت بقطع الراس * على ان القديسة المذكورة كانت قبل مدة جاءت عند ابنها ثاودوروس لتشاهده . فالحكومة المذكورة قد وُضعت بالعمل . وبها فاز هولا الثلثة الاشخاص باكليل الشهادة سابقين القديس ثاودوروس * الذى بعد ان امتحنه الوالي بعذابات كلية ومتفننة الانواع قد صلبه اخيرًا على خشبة . وبذلك صار مشابها لمخلص العالم . وهكذا مات فايزًا باكليل الظفر *

فلاريب في انه يجب على كل من المسيحيين ان يقول ما قاله هذا الشهيد المجيد: «انني منذ اقتبلت حميم اعادة الكون فقد تجندت لملك السماوات» * واذ ذاك فلا يليق بهِ ان يخدم الامه الردية متعبداً للخطية . بل نظير جندي شجاع يحارب اعداه العالم والشيطان والجسد لكي يكتسب اكليل الظفر من ملكه السماوي *

* اليوم الثاني والعشرون *

* وفيه تذكار ابينا البار ثاودوروس السيقي *

اولاً ان القديس البار ثاودوروس السيقي او بالاحرى السيكيوطا . كما هو لقبه اليوناني نسبةً الى بلدة مولده المدعوة سيكيوس القريبة من مدينة اناسطاسيوبولي من اقليم غلاطية . كان ابنا لامراةٍ من النسا الزانيات . مولوداً في اواسط جيل الكنيسة السادس * غير ان الباري تعالى قد عوّض عليه عن شايبة مولده هذه بالنعم الغزيرة جداً التي اغناه بها . ومنح والدته ايضا موهبة التوبة الصادقة التي رجعت اليه تعالى بها من كل قلبها * واحد اثمار توبتها كان انها احسنت تربية ابنها ثاودوروس المذكور في خوف الله . موسسةً فيه منذ نعومة اظفاره التعاليم الانجيلية المقدسة التي استسار بموجبها . موطداً في قلبه الحب الشديد نحوه عز وجل مع انعطافٍ بحسن عبادةٍ في خدمته تقدست اسماوه . حتى ان لذته الوحيدة كانت منذ بلغ السنة الثامنة من عمره الانعكاف على الصلوات والقراة الروحية واستماع الارشادات الخلاصية * التي لاجل حصوله عليها باوفر سهولة . كان يواظب التردد الي الكنيسة فى الاوقات التي بها كان الاحداث الاخرون رفقاوه في الدرس يلتهون في اللعب والتنزه المسموح لهم به من معلميهم *

ثانياً فهذه الموضوعات الخلاصية قد اثمرت فيه كرهاً وافراً من العالم وموجوداته . واشواقاً كلية نحو السيرة النسكية * ومن ثم اذ بلغ الى السن الذي فيهِ امكنهُ مباينة العالم . فحالاً ولين كان بعد شابا غض الجسم . قد انفرد في الوحدة مباشراً من الصيامات والاماتات والتقشفات وقهر الذات واضمار الحواس ما لم يكن اقل صرامةً من سيرة اعظم النساك . لاسيما في المدة السنوية التي كانت تمر من عيد الميلاد الى احد الشعانين . التي بها كان انفراده عن الناس اكثر بعداً واصوامه ونسكياته اشد صرامةً * حيث كان يصرف الزمن المذكور حابساً ذاته في مغارةٍ * ولم يكن يستعمل من المواكيل سوى الاثمار

والحبوب في يومي السبت والاحد لاغير . مجتازاً في كل سبةٍ خمسة ايام من دون ان يتناول شيا من القوت * وكان اخص موضوعات تاملاته عظم الحب الشديد الذي اظهره مخلصنا يسوع المسيح بملاشانه ذاته لهذا الحد من الاتضاع . حتي انه اتخذ صورة عبدٍ واحتمل بالناسوت الالام والموت على عود الصليب من اجل خلاصه * فهذه التاملات كانت تملأ قلبه من عواطف الحب والشكر والمعروف نحوه تعالى . وتشغل افكاره وحواسه بهذا المقدار حتي انه كان يتناسى لوازم قيام حياته والاشيا الاكثر ضرورةً لها . وتجعله الا يهتم في شي اخر الا في ان يتبع نموذج حيوة مخلصه بالالام والصبر *

ثالثاً فثاوضوسيوس اسقف اناسطاسيوبولي لاختباره سمو فضايل ثاودوروس وصفاته الجليلة . قد احصاه فيما بين اكليروسه ورسمه كاهنا . ولين لم يكن له وقتيذٍ من العمر سوى ثمان عشرة سنةً فقط . متاملاً بالصواب في انه اذ كانت فضايل هذا الشاب هي سامية وغير اعتيادية وفايقة جداً على سنه . فلم تكن القوانين الكنايسية المعينة السن الواجب لقبول درجة الكهنوت ملزمةً اياه بحفظها ◎ فثاودوروس لكي يمكنه ان يستشهر من هذه الدرجة ثمرةً اكثر افادةً . قد انفرد بعد ذلك في الوحدة البعيدة عن كل احدٍ مطلقا مواظبا على الصلوات الحارة نهاراً وليلاً . منعكفا على المطالعة في الكتب الالهية وعلى التاملات في سيرة حيوة مخلصنا يسوع المسيح والامه وموته * فلم تعرف بتاكيد مدة اقامته في هذه الوحدة كم كانت من الزمان . بل الامر الموكد هو انه مضى من هناك الى اورشليم . حيث زار الاماكن المقدسة كلها بعبادة متقدة اضرمت في قلبه شدة حرارة الحب بابلغ نوع نحو اتباع اثر خطوات مخلصنا * ثم ذهب الى ادبرة الرهبان واكثر السياحة بعداً في براري بلاد فلسطين . حيث كان يتامل سلوك اوليك الابرار . ويرسم في ذاته جميع ما كان يراه فيهم من سمو الفضايل وحسن المناقب ورسوم السيرة الروحية والكمال الانجيلي بالعيشة الاشد صرامةً * وبعد ذلك دخل في دير كوزابا بالقرب من الاردن . ولبس الثوب الرهبانى من يد ريس ذاك الدير بنية الاقامة هناك مدةً ما من الزمان كرياضةٍ ملايمة لنفسه . بوضعه بالعمل ما كان شاهده في الاخرين من عمد النساك والرهبان *

رابعاً فلما رجع بعد ذلك الى بلدته سيكيوس قد صنع له في البرّ قلايةً صغيرة وانفرد فيها ناسكا . ممارسا من الامانات والنقشفات وافعال التوبة الاشد صرامة * وكان يبكي

بمرارة على خطاياه السابقة ولين كانت خفيفة . ويشعر بتوجع وندامة شديدة جدًا من اجلها * فهذه وتلك قد حركت الجود الالهي لان يزينها بموهبة صنيع العجايب التي منحها لعبده الامين . الامر الذي باضافته لاشاعة ذكر فضايله السامية في تلك النواحي قد صير جميع الشعوب ان تبادر اليه في احتياجاتها . مكرمة اياه تكرمة قديس عظيم كما كان هو بالحقيقة . وكثيرون منهم اخذوا يتوسلون اليه في ان يقبلهم تلاميذ له في سيرة النسك * واذ التزم بقبول تضرعاتهم قد اجتهد بعمار دير بالقرب منه واقتبلهم فيه . وهناك لاتباعهم نموذجات هذا القديس واثر فضايله وارشاداته ورسومه قد حصلوا على نجاح عظيم في السيرة الرهبانية والكمال الانجيلي *

خامسًا فالحب الشديد الذي كان في قلب هذا البار نحو تذكر الام مخلصنا المقدسة وموته لاجلنا قد اجتذبه ضد ميله الخصوصي في محبة الوحدة والانفراد . الى ان يذهب مرة ثانية لزيارة الاماكن المقدسة في اورشليم * ولهذا قد مضى الي هناك . مجددًا فيه عواطف حب متقدة بتاملاته خاصة في تلك المحلات سمو المراحم الالهية ومحبته تعالى للبشر التي اظهرها بواسطة سر التجسد العجيب * الا ان البار لم يمكث هناك سوى مدة قصيرة من الزمان . وذلك لاجل ان عرف شذاء فضايله قد عبق نشره في تلك النواحي واجتذب الجميع الى اكرامه . الامر الذي لم يكن موافقا لروح التواضع العميق المتاصل فيه . فلهذا رجع من ذون تاخير الي ديره . عازما على ان لا يعود يخرج منه الى مكان اخر *

سادسًا وقد زين الله عبده الامين ثاودوروس ما عدا انعام صنيع العجايب بموهبة الروح النبوي ايضا * فالملك ليباريوس اذ كان ارسل الكونته ماوريسيوس نايبا عنه بالجيوش العظيمة لمحاربة سلطان العجم . فهذا الرجل الشريف بعد انتصاره على اعدا المملكة المومى اليهم . قد مرَّ في رجوعه من على غلاطية * ولسماعه هناك من الناس المدايح عن فضايل القديس المذكور . مضى اليه ليزوره * وحينما شاهده . قد انطرح على قدميه متوسلاً اليه في ان يطلب الى الله من اجله في ان يكون بلوغه الى مواجهة الملك سعيدًا * فالبار بعد ان تضرع الى الرب من اجله بصلوة وجيزة . قال له هذه الكلمات : « انك ان « كنت يا ابني تحسن تاملاتك في القديس الشهيد جاورجيوس . سترى ذانك من دون « ابطاء مرتقيا الى التخت الافغوسطي ملكا ولهذا اتوسل اليك في ان تعتني حينيذٍ بالفقرا

والمساكين * فهذه النبوة قد كملت بالتمام. وحالما ارتقى ماوريسيوس الى كرسي الملك حرر رسالة القديس المذكور متضرعا اليه في الايهله من الذكر في صلواته وبان يطلب منه كل شي يريده ويبتغيه * فالبار اذ كان وقتيذٍ ريسا على عدد غزير من الرهبان. قد التمس من الملك هذا الشي الوحيد وهو ان يسعفه بجانب من القمح ليوزعه على الفقرا والمحتاجين. فالملك ماوريسيوس قد عيّن ان يرسل اليه في كل سنةٍ ستماية كيلاً قمحا * سابعا ففي هذا الغضون قد توفى اسقف مدينة انسطاسيوبولي. وحينيذٍ قد اتفق صوت الاكليروس والشعب على انهم ارسلوا من قبلهم وكلاء الى مطران انكرة ميتربوليت الاقليم في ان يرسم عليهم راعيا خليفةً للمتوفي البار ثاودوروس * فالمطران المذكور قد ارتضى بكل طيبة خاطرٍ في هذا الانتخاب. واثبته مامرًا بان يحضروا اليهِ الانبا المذكور. الذي قد أُخذ ضد ارادته ومن دون مبالاةٍ من ممانعته الى انكرة وأُلزم بقبول الارتسام بالدرجة الاسقفية راعيًا لابرشية انسطاسيوبولي وبعد ان ابتدا بممارسة سلطان رعايته في تلك الابرشية. قد باركها الله اكرامًا لصفيه البار * الذي اضحى لخرافه الناطقة نموذجًا حيًا للفضايل وقدوةً للكمال الانجيلي. قد اقتفى بها اثره شعبه بالقداسة وخوف الرب * ومع ذلك جميعه كان القديس على الدوام قلقا من ثقل النير الذي وُضع على عنقهِ خوفًا من انه لا يقوم بواجباته حسنًا. ولم يكن يعلم كيف يمكنه ان يهمل رياضاتهِ الروحية التي عاش فيها لحد ذاك الوقت ليتفرغ لاتمام اثقال دعوته الرعائية * ولكان منذ المبادي تنزل عن درجته لو انه اتبع ارادته الذاتية. ولكن مع ذلك تم التزامات السياسة الاسقفية مدة عشر سنوات بمديحٍ سامٍ وافادةٍ عظمى وبراهين جليلة على غيرته المتقدة وصبره العجيب *

ثامنًا فكان هذا الاسقف البار آجر اراضي الكنيسة الى رجلٍ يدعى ثاوضوسيوس من دون ان يختبر قبلا صفاته الفظة الغليظة وتعلقه بمحبة المال ورذيلة البخل. فالفلاحون والاكارون قد تشكوا كثيرًا للقديس من تصرفات ثاوضوسيوس الظالمة نحوهم. ولهذا دعاه اليه منبهًا اياه على حفظ واجبات العدل. موصيا اياه على حسن السلوك * الاَّ ان المذكور عوضا عن قبول التنبيه والتوصية. قد اظهر اوفر رداوةً وظلما ضد الموبى اليهم الذين لشدة غيظهم وقهرهم منه قد اجتمعوا معًا متعصبين واعتمدوا على قتله في ذلك

اليوم عينه . الامر الذي لما بلغ خبره للراعي البار حصل علي غم شديد . واخذ يتوسل للمراحم الالهية في شان هداوة غضبهم وملاشاة تعصبهم * فبعد ان اجتاز ذاك اليوم كله في الصلوات وهطل الدموع امام الله على هذه النية . قد حضر اليه ثاوضوسيوس سالمًا * الا انه حينما سمع من الاسقف القديس الفاظ عزله عن وظيفته ورفع الاجار عنه . قد امتلا رجزًا . ولبط برجله الكرسي الذي كان البار جالسا عليه فرماه الى الارض * فالقديس نهض على قدميه بكل صبر ودعة من دون ان يظهر ادني غيظ . ملتجيا لله وملتمسا منه ان يعرفه ارادته في ان كان لا يفتاظ من تنزله عن الابرشية ورجوعه الى مكان انفراده * فبعد ان تحقق بقدر ما استطاع مشية الله في ذلك . جمع الاكليروس والشعب في الكنيسة وخاطبهم قايلاً : «هكذا انكم لتعلمون يا اخوتي كيف انكم وضعتم على عنقي هذا الحمل ضد ارادتي . فالان نحن في السنة الحادية عشر وانا ثقيل عليكم وانتم ثقلا عليّ . ومن ثم ارجوكم بان ترولكم راعيا غيري لاني لا اريد بعد ان اكون عليكم اسقفا . بل انا راجع الى قلايتي القديمة لكي اخدم الله في النسك والوحدة باقي ايام حياتي » * قال هذا وخرج ذاهبًا عند بولس مظران انكره كي يهتم في اقامة اسقف عوضه على انسطاسيوبولي ○ واذ لم يقبل ذلك بولس بعد توسلات كثيرة . قد اضطر القديس الي ان يعرض امره الى كيرياكوس البطريرك القسطنطيني . الذي وسّط سلطانه واعفى القديس ثاودوروس من خدمة ابرشية انسطاسيوبولي *

تاسعاً فطي هذه الصورة اذًا قد رجع البار الي ديره . مقدما لله الشكر الواجب على انه منحه العودة الي هدو العيشة الرهبانية ولذة سلامها * فاي نعم انه بعد ذلك التزم مرتين بمباينة ديره ورهبانه وذهابه الى القسطنطينية لكي يبارك الملك مع عيلته . وهناك صنع الله بواسطته عجايب عديدة . الا انه من دون ابطا كان يرجع الي محل انفراده حيث اخذ اخيرًا في ان يستعد يوما فيوما الى الانتقال من هذه الحيوة . وكان كل يوم يموت عن ذاته كيلا يحيي الا الله * الذي بعد ان املاه من النعم والمواهب والاستحقاقات في هذا العالم . قد دعاه اليه بميتة كريمة لديه . وقد كملت في مثل هذا اليوم عينه اي في ٢٢ نيسان سنة ٦١٣ للمسيح *

فالينبوع الاول الذي ارتشف منه القديس ثادوروس مياه القداسة السامية التي

بلغ اليها . كانت تاملاته المتصلة في الام سيدنا يسوع المسيح الصادرة عن حبه عزّ وجلّ الغير المتناهية . الذي اجتذبه الى ان يواضع ذاته حتى الموت اي موت الصليب لاجل خلاصنا * فهذه التاملات كانت تنعش في قلبه عواطف الحب والشكر ومعرفة الجميل . ثم تحرضه على اتباعه تعالى واقتفا اثر خطواته * فهذا الموضوع يجب ان يكون الاخص على كل مسيحي ان يتامله ويهذ فيه . كما يحرضنا الرسول الالهي بقوله : « فلننظر الى يسوع « ريس الامانة ومكملها الذي احتمل الصلب اذ كان موضوعا امامه السرور واهانة « الخزي . فانظروا الان الى ذلك الذي احتمل من الخطاة في نفسه مضادة مثل « هذه » (عبرانيين ص ١٢ ع ٢ و ٣) * علي انه ولين كانت التاملات في موضوعات اخر روحية وممارسة الاعمال الصالحة مفيدةٌ . فمع ذلك هذا الموضوع هو الاقدس والاخص لحسن اتباع قايدنا ومرشدنا وفادينا في طريق الخلاص الابدي *

* اليوم الثالث والعشرون *

* وفيه عيد القديس المجيد والشاهد العظيم جاورجيوس اللابس الظفر *

اولاً انه كلي القدمية في الكنيسة الجامعة التكريم بحسن تدين والعبادة التقوية المحترم بها القديس العظيم في الشهدا جاورجيوس اللابس الظفر ليس من الكنيسة اليونانية فقط بل من الكنيسة اللاتينية ايضا . ولذلك قد وجدت مشيدةً في العالم منذ اجيال البيعة الاولى معابد عظيمة لله على اسم هذا القديس وتكريمًا له * واحدي هذه الكنايس الجليلة هي قديمة جدًا جدًا في مدينة رومية ملقبةً باينفا لابروس . وهكذا العجايب التي صنعها الله بواسطة هذا المجيد في الشهدا هي شهيرة في العالم وغير محصاة في كثرتها وانواعها ضمن اجيال الكنيسة باتصال * والقديس غريغوريوس الطورونازه اورد في تاليفاته كثرةً منها قد حدثت في زمن حياته ضمن جيل الكنيسة الرابع عينه . الذى في مباديه حدث استشهاد هذا اللابس الظفر *

ثانيًا اما نظرًا الى اعمال جهاد القديس جاورجيوس الحقيقية الاصلية فهذه قد التحق بها في الازمنة المتاخرة غيار في بعض ظروفها . ومن ثم فالاعمال التي تنمقت من اناس خصوصيين متاخرين تحت اسم استشهاد هذا القديس واندرجت في مجموع الميتافراسته وغيره من الكتبة الغير المدققين . فهذه الاضافات والزخرفات الحديثة لا تستحق اعتبارًا

حسبما كتب عن ذلك الكردينال بالارمينوس * بل ان المجمع الروماني الذى عقده الحبر الاعظم البابا جلاسيوس وفيه فحص فحصا مدققا اعمال كثيرين من الشهدا واوضح انها محررة من اناس مجهولى الاسم . قد برهن بان اعمال استشهاد القديس كيريكوس ويوليطه وجاورجيوس التي كانت وقتيذٍ دارجة فيما بين الايدى قد وجدت مكتوبة من اناسٍ غير مستقيمي الايمان . كما يورد الكردينال السابق ذكره *

ثالثًا ففيما بين الاشيا التي أُضيفت الي سيرة جهاد هذا المعظم في الشهدا توجد تلك الخبرية الموردة بانواع مختلفة عن قتله احد التنانين المخيفة واستنقاذه من ذاك التنين ابنةً ملوكية . الامر الذى يبان ان بعض المزخرفين اعمال استشهاده في الاجيال المتاخرة قد اضافوه اليها لاجل ملاحظتهم ان ايقونات هذا القديس حتى القديمة ايضا توجد مصورةً بان الشهيد راكب علي جواد وطاعن بالرمح تنينا مريع الصورة او ضاربه بالسيف * ثم توجد امام القديس امراة فتاة ذات ملابس ملوكية فايزة بواسطته بالخلاص من ذاك التنين . وبالتالى لتفسيرهم نوع هذي الصورة تفسيرًا حرفيا قد اضافوا الي سيرة حياته انه حقا حارب ذاك التنين وقتله * والحال ان العادة بتصوير هذا القديس على النوع المذكور قد أُخذت منذ القديم بدايتها بمعنى استعاري رمزي يشير اما الى ان الشهيد هو محامٍ خصوصي الى احدي الممالك او المقاطعات الممثلة بتلك الفتاة الشريفة . منقذًا سكانها من عدوٍ مغتصب مرموز عنه بذاك التنين كما فسر ذلك بعض الكتبة الكنايسيين . واما بالاحري الى ما اراه انا اكثر صوابا باتفاق رايٍ مع الكردينال بالارمينوس وغيره من الانام المعتبرين . وهوان المعنى المقصود ممن ابتدا بتصوير ايقونة هذا الشهيد على الاسلوب المذكور هو بكليته وحي سرى مبنيٍ منه على الالفاظ المدونة في بداية الاصحاح الثاني عشر من سفر الابوكاليبسي . حيث تمثل الامانة المسيحية او بالحرى الكنيسة الجامعة بتلك الامراة الشريفة . واما لوسيفوروس اركون الظلام فيمثل هناك بتنين مخيف قاصد محاربة تلك الفتاة الجليلة والبادة من كانت هي عتيدة ان تلده * فاذًا انما اجتهد المصور الاول لايقونة القديس بالنوع المذكور (وعنه اخذ المصورون الاخرون) في ان يشير الى ان هذا العظيم في الشهدا قد حامى بجهاده المجيد عن امانة المسيح وعن كنيسته الجامعة الممثلة بتلك الامراة الشريفة . وحارب التنين الجهنمي الثاير ضدها بالاضطهادات الشديدة

التي بها استخدم الملوك الوثنيين * وهكذا القديس بسنك دمه عن هذه الامانة عينها فيما بين عذاب استشهاد كلي المجد . قد طعن التنين الجهنمي برمح الصليب وانتصر عليه بسيف الايمان في الوقت الذي فيه قد غلب اقتدار ديوكلاتسيانوس قيصر عينه المحارب الكنيسة نظير تنين كلي الشراسة . وعلى هذه الصورة قد ايد الامانة والكنيسة معا بموته الشهادي * بل ان المصورين قد اعتادوا ان يصوروا ايقونة القديس الشهيد ثاودوروس القايد ايضاً بنوع يشابه جوهرياً ايقونة القديس جاورجيوس . لا لان الشاهد ثاودوروس ايضا قد حارب احد التنانين وقتله . بل لاجل المعاني المقدم شرحها . وانما قصد المصورون ان يميزوا هذين الشاهدين عن باقي الشهدا بهذا التمييز . مع ان الشهدا الاخرين هم ايضاً حاموا عن الامانة والكنيسة بسفك دمايهم ضد وثبات التنين الجهنمي . فذلك هو لسببين اولها لاجل ان القديسين جاورجيوس وثاودوروس كانا متصفين بصفة الخدمة الجندية فيما بين قواد الجيوش الرومانية . وبالتالي لاق تخصيصهما بصورة ركوب الخيل والتدجج بالاسلحة . الامر المقتضيه حال وظيفتهما المذكورة والمشير الى تجندهما في الوقت نفسه لملك القوات رب الجيوش . ثانيهما لان جهادهما عن الايمان والشجاعة التي بها احتملا انواع العذابات قد امتازت فضلاً ومجداً عن اعمال جهاد كثيرين من الشهدا الاخرين *

رابعاً واما البراهين التي تويد عدم حقيقة خبرية التنين الطبيعي المضافة الى سيرة حيوة القديس جاورجيوس فهي اولاً لانه ليس دايما وفي كل الامكنة قد وُجدت في ايقونة هذا الشهيد صورة التنين . بل انه قد تصوّر من البعض في ايقونات قديمة وحديثة (ولين كانت مرات قليلة) واقفا على قدميه بدون جواد وتنين . واحيانا راكبا على جواد لكن خلواً من تنين يحاربهُ . ثانيا لان اعمال استشهاده القديمة التي كانت مدونة في سنكسارات كنايس مملكات عديدة وبظروف مشكلة الانواع قبل الجيل الثاني عشر قد وُجدت بالاكثر خالية من خبرية التنين . التي انما تظاهرت مدونةً في تلك الاعمال الدارجة بعد الجيل الثاني عشر * وبالتالي هي مضافة الى الاعمال القديمة وليست اصلية . ثالثا لان الذين كتبوا خبرية التنين هذه لم تتفق اقوالهم احدها مع الاخر على الظروف المكانية وملحقاتها . اذ ان البعض منهم كتبوا ان ظهور التنين وقتله قد حدثا في بلاد ليبيا عند البحيرة القريبة من مدينة سيلانا . وغيرهم زعموا ان ذلك تم في بلاد الكبادوك . واخرين

اخبروا بان هذا كمل بالقرب من مدينة بيروت . فلا شك في ان اختلافهم المومى اليه هو دليل على عدم الحقيقة . رابعا لان المدايح والتقريظات التي بها يُمدح هذا المعظم في الشهدا يوم عيده المجيد في الفروض لايحوى شيًا مختصًا بالخبرية المذكورة لاسيما في طروباريته وقنداقه . مع انه اعتياديا يذكر في طروبارية كلٍ من القديسين او في قنداقه اخص الاشيا التي يكون القديس تلالا بها . خامسا لان المصورين قد اعتادوا ان يصوروا القديسين غالبا في تلك الحال التي بها يكونون فارقوا هذه الحيوة . والحال انه لا القديس جاورجيوس ولا القديس ثاودوروس قد انتقلا الى الحيوة الابدية حين قتلهما تينا ما . فاذًا تصويرهما بالنوع المذكور يشير حقا الى المعنى الروحي سريا السابق شرحه . الذي به حين موتهما فيما بين العذابات قد ايدا الامانة والكنيسة وانتصرا بنوع جليل على التنين الجهنمي * فاذا فهم ذلك جميعه ناتي الان الى ايراد سيرة حيوة القديس جاورجيوس اللابس الظفر . اخذين خبرية اعمال جهاده عن الدرج اليوناني القديم جدًا المحفوظ في مدينة البندقية والمطابق للدرجين العتيقين الموجودين في مكتبة القديس بطرس الفاتيكانية وفي مكتبة مدينة فيورنسا كما ياتي الشرح *

خامسًا فقد اعتبر المعظم في الشهدا جاورجيوس من كثيرين من الكتبة الكنايسيين الجليلين انه كان هو اول الشهدا الذين سفكوا دماهم في الاضطهاد الوحشي الذي اثاره ضد المسيحيين الملك ديوكلاتسيانوس قيصر . وذلك يبان ليس فقط من خبرية اعمال استشهاده الاتي ايرادها في العدد التابع وما يليه . بل ايضا من كون هولا الكتبة الشهيرين قد خصصوا بالقديس جاورجيوس نفسه تلك العبارة الراهنة الموردة من اوسابيوس القيصري ابي المورخين بقوله : « انه حالما أُشهر في مدينة نيكوميدية وعُلق على الحيطان المرسوم « الملوكي ضد الكنايس . كان هناك رجل جليل الحسب جدًا متقدم في رتبة الشرف ومتميز « عن الاخرين بعلامات شرف الوظايف المدنية التي كان مزينًا بها . فهذا اذ تحرك « باطنًا من قبل غيرة الهية . وانجذب من حرارة حبه لامانة يسوع المسيح المقدسة . قد جاء « الى المكان الاكثر اشتهارًا والاوفر شعبا في المدينة حيث كان المرسوم الملوكي المذكور « معلقا * ثم تقدم مشتهرًا امام الجميع . واقتلع المرسوم من الحايط باحتقار . وهناك في المحل عينه قد مزقه بيديه بغيظٍ جزيل قايلاً : « ان هذا المرسوم هو ذو نفاق اثيم وظلم كلي *

« وكان موجودًا حينيذٍ في مدينة نيكوميدية اثنان من الملوك القياصرة احدهما الاكبر سنًا « كان ديوكلاتسيانوس وهو الاول فيما بين ملوك ذاك الزمن . واما ثانيهما المعدود وقتيذٍ « رابعًا في اوليك الملوك فهو غلاريوس مكسيميانوس قيصر * فاذًا كما ان الرجل المسيحي « المذكور انفا كان هو الاول بتصييره ذاته شايع الصيت بعمله المملو شجاعةً حسبما تقدم « الشرح . فهكذا كان هو الاول في احتماله تلك العذابات القاسية التي استحقها عند « اوليك الكفرة لاجل جراءته الشريفة * ولكن هذا الشهيد قد حفظ فيما بين العذابات « كلها التي احتملها الى اخر نفس هدوًا تامًا . واظهر ابتهاجًا قلبيًا كلي التعجب » (انتهى كلام اوسابيوس) * فلناتينَّ الان الى ايراد اعمال حيوة هذا المعظم في الشهدا *

سادسا فالقديس جاورجيوس قد ولد نحو سنة ٢٨٠ للمسيح في احدى مدن اقليم الكبادوك من عيلة متقدمة في رتبة الشرف . وحصل على تربية مسيحية جليلة بها تاصلت به الفضايل منذ حداثته * ولكن قبل بلوغه الى السنة الرابعة عشرة من عمره قد تيتم من ابيه غاراتيوس الذي مات من اجل الايمان بالمسيح * ومن حيث ان والدة الفتى جاورجيوس كانت مولودة في مدينة ديوسبولي من اقليم فلسطين . وكان لها في ارض وطنها المذكورة املاك غنية جدًا مورثة لها عن اقربايها . فحينيذٍ اخذت ابنها جاورجيوس وانطلقت بهِ من الكبادوك الى ديوسبولي مكان مولدها * فالشاب جاورجيوس لاجل شرف اصله وعيلته ثم لاجل صفاته الطبيعية والاكتسابية الحميدة خاصةً لبهاء طلعته وحسن قامته . قد اقيم بوظيفة قايد جيش * ولان صيت شجاعته والغلبات التي اكتسبها في الحروب على اعدا المملكة قد بلغت الى اذنيّ الملك ديوكلاتسيانوس . فهذا القيصر قد رقاه الى مرتبة شرف الوزارة كمشير في ديوانه الملوكي من دون ان يعرف كونه مسيحيًا *

سابعًا اما والدته فقد توفيت اذ كان له وقتيذٍ من العمر عشرون سنة لا غير . ولهذا قد اخذ جانبا من امواله والبعض من العبيد الذين له وانطلق الى مدينة نيكوميدية حيث كان حينيذٍ الملك مع اكابر دولته مومأ نقدمه في الوظايف العلياء . فبعد وصوله الى هذه المدينة قد اظهر هناك ما قد صيره اعظم قبولاً في اعين عظما الدهر وغيرهم * الا انه عند ما عرف التدابير المباشرة في ذاك الوقت لابراز الاوامر الملوكية ضد المسيحيين . فهو استعد لمعركة الجهاد عن الايمان . ومن ثم وزع امواله على الفقرا والمحتاجين . ومن

العتق والحرية لعبيده الذين كانوا برفقته . واعطى التدابير والاوامر التي حسنت لديهِ للعبيد الغايبين . وهكذا دخل الى الجمعية الملوكية في اليوم الثالث من التيامها . وشرع يخاطب اربابها بشجاعةٍ فريدة قايلاً : « الى متى انت ايها الملك وانتم ياروسا المشيخة « والرومانيين الذين اعتدتم على ابراز شرايع رومانية جديدة بها تظهرون غضبكم ضد « المسيحيين . وتضطهدون الابرار . وتغتصبون اوليك الذين عرفوا الايمان الحقيقي . « وتهرونهم على اتباع الديانة التي انتم انفسكم تعرفون انها ليست بحقيقية . لان هذه الاصنام « ما هي الهة . فلا تريدوا ان تخدعوا ذواتكم بالضلال . اذ ان المسيح وحده هو الاله وهو « وحده ربٌ في مجد الاب . وبه كانت الاشيا كلها . وبروحه القدوس تدبر الموجودات « جميعها وتحفظ * فاذًا اما انكم تعترفون بهذه الديانة الحقيقة او قلما يكون لا تقلقوا بحماقةٍ « اوليك المتمسكين بها » *

ثامنا فعند ما سمع اهل الديوان هذا الخطاب مستوعبين منه انذهالاً . قد التفتوا نحو الملك ديوكلاتسيانوس الجالس هناك ليسمعوا ماذا كان عتيدًا ان يجاوب * اما الملك الذي امتلا رجزًا من الكلام المذكور . فضبط في الاول غيظه واشار الى القنصل ماغنانتيوس احد احبايهِ الاخصا بان يرد الجواب عنه * فاغنانتيوس حينيذٍ دعا جاورجيوس الي الاقتراب منه . وقال له : « ترى من هو الذي علمك الجراة في ان تتكلم « هكذا » * فاجابه القديس : « ان الحق علمني ذلك » * فاردف القنصل كلامه بقوله : « وما هو الحق » * قال له القديس : « انه هو المسيح الذي انتم تضطهدونه » * فاجابه ماغنانتيوس مسايلاً : « فهل اذًا انت ايضا مسيحي » * اما الشهيد فحالاً اجاب قايلاً : انى « انا عبدٌ للمسيح . ومن حيث اني متكل عليهِ قد حضرت فيما بينكم كي اشهد بالحق » * فعند ما سمع ذلك ارباب الديوان مع الشعب الحاضر . بدا وا يدمدمون بهدر المفاوضات التي كلٌ منهم كان يتفوه بها بنوعٍ حسبما يحدث اعتياديا في جمعيات كذا * فديوكلاتسيانوس وقتيذٍ نبه على الجميع بالصمت بواسطة المنادي . ثم احدق نظره بالقديس مخاطبا اياه بقوله : « انني اذ كنت فيما مضي اعتبرت شرف اصلك واحتسبتك « كافيا في العمر للوظايف السامية قد رفعتك الى اعلى المراتب . والان ولين كنت انت تستخدم في ضررك حرية التكلم . فمع ذلك لاجل اني احب فطنتك وشجاعتك فانا اقدم

« لك المشورات كاب * محرضا اياك علي ان لا تهمل نجاحات الجندية . ولا تجعل زهرة عمرك « مخضعةً للعذابات . بل انك بواسطة تقدمتك الضحية الالهة يمكنك ان تومل مني مكافاة « تقواك بافضل نوع » * اما القديس فاجاب الملك قايلاً : « فليرتضِ الله بانك انت « نفسك ايها الملك بالاحرى اذ تعرف الاله الحقيقي بواسطتي تقدم له تعالى ضحية التسبيح « المرغوبة منه . وهو عزَّ وجلَّ يهبك حينيذٍ ملكا غير فانٍ اشرف من هذا لان مملكتك « الحاضرة اذ هي خاضعة للفساد زايلة فبسرعةٍ تتلاشى . ولهذا ان جميع الاشيا الناتجة عن « الملك الارضي اذ هي تحت رق الاضمحلال لا يمكنها ان تفيد ممتلكها شيا * اما انا فلا « شي من هذه كلها يقدر ان يغلب تقواي نحو الله . وهكذا ولا نوع ما من انواع العذابات « يستطيع ان يسلب عن قلبي خوفه سبحانه او يمكنه ان يرعني هلعا من الموت » * اما الملك فلاستوعابه رجزًا شديدًا من كلام القديس هذا . لم يعد يحتمل اطالة الجواب . بل امر حالاً الجنود الواقفين امامه بان يطردوه من المحفل بضرب الحراب التي بايديهم . مقيدين اياه الى السجن كما تم * غير ان الحراب لم تضر الشهيد بتةً . لانها حين ضُرب بها قد انطوت كانها من رصاص . الامر الذي من اجله شرع القديس يسبح الله . الا ان الجنود اذ وضعوه في الحبس . قد مدوه على الارض ووثقوا رجليه بالخشبة . ثم وضعوا فوق صدره بلاطةً كبيرة . حيث بقي على هذي الصورة مثابرًا على تقدمة الشكر لله بصبر عجيب الى صباح اليوم الثاني * الذي فيه احضرته خدام الشريعة من جديد للفحص امام الملك وهذا عند ما شاهده مضنوكًا مما كان احتمله قال له : « اهل انك ندمت ياجاورجيوس « ام انك ما زلت مصرًا على الضلال » * فاجابه القديس برصانةٍ قايلاً : « اتظن ايها « الملك اني صرت ندلاً بهذا المقدار حتى ان عذابا صبيانيًا قليلاً مثل الذي حصل لي « يمكنه ان يقودني الى ان اكفر بالهي واجحد عبادته . والحال انك انت نفسك عتيد ان « تمل من تعذيبك اياي احرى من ان املَّ انا من احتمالي اياه » * فقال له ديوكلاتسيانوس « انني ساذيقك عذاباتٍ صبيانية كذا تفقدك الحيوة عاجلاً » * ثم حالاً امر بان يوتي « بدولاب كبير مغروسة في دايرته سكاكين حادة . وبان يربط عليه الشهيد وتمزق به « لحمانه » * فقد اوتي بالدولاب المومى اليهِ . ووضعت تحت الواح دفّ مكتسية باشواك من حديد مغروسة فيها بانواع مختلفة معوجة ومستوية ۞ ثم ان الجند مدوا القديس على

كخروف وديع . محزوماً بجبال رفيعة جداً وباوتار مشدودة شداً عنيفاً حتى انها غاصت في لحمانه . وهكذا ركبوا الدولاب فوقه واداروه بقوة وبذلك كانت السكاكين تمزق جسد القديس * الذي احتمل تناثر لحمانه بشجاعة غريبة . صابراً على هذا العذاب البربري الكلي الاوجاع . من دون ان يتنهد او يعطي علامة تشكٍ منها . بل كان يشكر الله مستغيثاً بمعونته . ثم هجع كمستريح على فراش ناعم *

تاسعاً اما الملك فاذ ظن ان جاورجيوس الشجاع قد مات . شرع يسبح الالهة متفوهاً بالاستهزا ضد الشهيد بقوله : « اين هو الهك ياجاورجيوس . ولماذا لم ينقذك من هذا العذاب الصبياني كرعمك » * قال هذا وامر بانحلال جسم القديس من تلك الالواح ثم نهض حالاً منطلقاً الى معبد الصنم ابلوس ليقدم له ذبيحة الشكر . غير انه قد ظهرت في ذلك الوقت سحابة مظلمة مع رعود قوية جداً . وسمع منها صوت عظيم صارخاً : « لا تخف ياجاورجيوس لاني انا معك » * وبعد هذا قد راق الجو صاحيا افضل مما كان قبلاً وهوذا بانسان متردٍ بحلةٍ بيضا منبعثة من وجهه انوار ساطعة قد شوهد من جميع الحضار بالقرب من الدولاب المطروح القديس تحته * ثم مد يديه معانقا للشهيد وقايلاً نحوه : « السلام لك » * اما الجنود والحضار فلم يجسر احد منهم ان يدنو من الشاهد ليحله من الدولاب كامر الملك . الا بعد ان زالت الرويا وغاب ذاك الشخص المهاب وحينيذٍ شاهدوا القديس محلولاً من الرباطات صحيحاً معافى . مترنماً بتقدمة الشكر لله . الامر الذي املاهم كافة من الانذهال والبهتة * فلما اسرعت الجنود الى الملك الذي كان لم يزل في معبد ابلوس ليخبروه بما حدث . قد لحقهم القديس ومثل امام ديوكلاتسيانوس الذي لم يرد ان يصدق لا الذي اخبره به الجند . ولا بان الشاهد الحاضر بازايه كان هو شخص جاورجيوس . بل احتسبه رجلاً شبيهاً به . او انه كان تمثالاً مصنعاً * الا ان هذا الظن والشك قد زالا من الجميع معاعند ما تحققوا ان ذاك الانسان هو حقا جاورجيوس المتكلم عن ذاته انه هو هو عينه . اذ فحصوه وعرفوه . وهكذا أُبكموا مبهوتين * ثم ان اثنين من ارباب البروطوريون اسم احدهما اناطوليوس وثانيهما بروطولاون اللذين كانا قبلا ارتشدا بمبادي الايمان المسيحي . فهذان عند مشاهدتهما العجب المذكور . قد استوعبا ايماناً حياً وصرخا هاتفين : « ان اله المسيحيين هو وحده الاله الحقيقي » * غير ان الملك قد امر

بانهما يوخذان حالا الى خارج المدينة . وبان تقطع هاماتهما من دون فحص كما تم * ولذلك الكثيرون الاخرون الذين امنوا بالمسيح من قبل هذه الاعجوبة قد كتموا ايمانهم في قلوبهم خلوا من اعلانه ظاهرا . الا الملكة الكسندرا التى اذ عرفت الحق قد اعتقدت بالمسيح باطنا . واعلنت ذلك ظاهرا . ولكن القنصل الملوكي قد اخذها حالا الي البلاط القيصري قبل ان يلحظ شيا من ذلك الملك رجلها *

عاشرا اما هواى ديوكلاتسيانوس فاذ احتمل قهرا عن ارادته تلك الحوادث من غير ان يستطيع بطريقة شرعية ان يعمل بالخلاف ضد حقيقة عرفت من الجميع . فهو حينئذ امر بان يوخذ الشاهد جاورجيوس ويطرح في حوض مملو من الكلس الحى مغرقا فيه ليحترق متلاشيا تحت حراسة الجند لكيلا يجد معونة من احد . وبان يبقى جسمه ضمن الحوض مطمورا مدة ثلثة ايام تحت الرديم * فقد ربط القديس مقادا الى حوض الكلس وكان هو بصوت عال يبتهل لله قايلا : « ياحافظ الخزاني ومعين المضطهدين ورجا « المويسين . انت يا الهي وسيدى استجب توسلات عبدك وانظر الىّ راحما . يارب نجنى « من كمين العدو واعطني ان احفظ الاعتراف باسمك الى النهاية خلوا من تغيير . « ولا تهملني يا سيدي بسبب خطاياى لكيلا تقول اعداى وقتا ما اين هو الهه . فاظهر « يارت قوتك واعلن اسمك ظاهرا فيّ انا عبدك البطال . ارسل لمعونتي ملاكك « الحافظ اياي انا الغير المستحق . انت الذى حفظت في بابل فتياك القديسين سالمين « معافين باحالتك لهيب النار الى نداء . لانك انت هو المبارك والمسبح الى ابد الدهور « امين » قال هذا عند وصوله الى حوض الكلس . ثم رسم ذاته باشارة الصليب المقدس مسبحا لله بابتهاج . وهكذا طرح ذاته في الحوض الفاير غليانا * واما خدام الشريعة فبعد ان تمموا كل ما كان الملك رسمه . قد رجعوا الى امكنتهم *

حادى عشر فلما مضى الزمان الى اليوم الثالث . دعا الملك اوليك الخدام وقال لهم : « انا اريد ان لا يبقي شى من فضلات جسد جاورجيوس التعيس الذى زجيتموه في حوض « الكلس لاجل عناده ورداوته . ليلا يحصل تابعوه على البعض من اعضايه . وبتكرمتهم « اياه بواسطتها بعبادة يسببون الضرر لانفسهم ماخوذين من روح افتخارهم المملو « حماقة * فاذهبوا اذا وافحصوا . وان رايتم باقيا من جسد هذا المنكود الحظ شيا من

فضلات اعضايه . فاخرجوها وابيدوها » * فالاجناد عند سماعهم المرسوم الملوكي اسرعوا حالا . وقد تبعهم جمع غفير من الشعب لينظروا الغاية * ولكن عندما وصلوا الي حوض الكلس وكشفوا عنه الرديم قد وجدوا القديس حيا مترديا بحلةٍ منيرة بهية كاحد اهل العرس * وحينئذٍ هو رفع يديه الى السما . مقدما لله الشكر على جميع النعم التي نالها من جوده الالهي . ثم خرج من الحوض خلوًا من ان يشاهد في جسده اثر بالكلية لا ثلام ما * اما الشعب الملتيم لهذا المشهد فامتلاوا كلهم انذهالاً . وسرعوا كمن فمٍ واحدٍ يمدحون اله جاورجيوس . ويقولون عنه انه عظيمٌ هو * ثم ان الخبر قد بلغ الى سامعي الملك قبل ان تعود اليه الجنود ولذلك ارسل يدعو الشهيد بالحضور امامه * واذ مثُل القديس بازايه قال له : « اخبرنا ياجاورجيوس من اي قبيل انت حاصل على هذي المفاعيل . وباية صنعة « انت تمارسها . لاني الاحظ انك لكي تبيّن قوة صنعة السحر . فانت تظهر ان مذهب « المصلوب هو الذي يصنع ذلك حتى تجذب بكل هذه الزعبرات الناس الى الانذهال . « وهكذا تصير ذاتك عظيمًا . وتحتال في ان تجعل الهك مهما كان هو في ذاته كانه اعظم « الالهة » * اما القديس فاجابه عن ذلك قايلاً : « اني لكنت انا ايها الملك اظن بالصواب « انكم لم تعودوا تقدرون ان تفتحوا افواهكم باحتقار اخر ضد ذاك الاله القادر على كل شي . « وهو الذي يخلص جميع الواثقين به من شدايد هذه صفتها * ولكن من حيث انكم سقطتم « في حفرةٍ بهذا المقدار عظيمة من الضلال . الذي يجذبكم اليه الشيطان حتى انكم « لا تعتقدون ولا بالعجايب التي انتم تشاهدونها باعينكم . بل اتصلتم الى ان تلقبوها بزعبراتٍ « فانا بالحقيقة اندب عماوتكم . واعتدكم تعساء . ولهذا احتسبكم غير مستحقين جوابًا اخر *

ثاني عشر فلما سمع ديوكلاتسيانوس هذا الكلام اجاب بقوله : « نحن الان نعرف ان « كنت انت تقدر ان تصنع امامنا عجايب مثل هذه . وتستطيع ان تعتبرنا غير مستحقين « منك جوابا . بل ستحصل ضد ارادتك على من يعرف ان يعالجك » * قال هذا وامر بان يوتي بحذاء من حديد مع مسامير محماة بالنار . ثم صير الجنود بحضرته ان يلبّسوا الشهيد ذاك الحذاء ويسمروه برجليه بتلك المسامير * واذ تموا الامر وطفقوا يضربون القديس بالعصي ليمشي . جعل الملك يستهزي به قايلاً : « يا لك من ساعٍ سريع الجري ياجاورجيوس « واما الشهيد ففيما بين هذي العذابات كان يتهلل مخاطبًا ذاته بقوله : « اجرِ مسرعًا

ياجاورجيوس لكي تدرك لانك اذ تجري هكذا لاتخيب من املك ، * ثم رفع عينيه الى السما مستغيثا بالله وقايلاً : اطلع يارب من سمايك . وانظر الي تعبي . واسمع تنهد عبدك المقيد . لان اعداي قد كثروا وبغضا ظلما ابغضوني لاجل اسمك . ولكن انت يارب اشفني فانه قد اضطربت عظامي . وهبني الصبر الى المنتهى لكيلا يقول عدوي قد قويت عليه ، * فهذه الابتهالات كان القديس يكررها طالما كانت الجنود تسوقه . حتى اوصلوه الى السجن باضامة كلية مسببة له من قبل المسامير المحماة المجنة في رجليه * واذ طرحوه في الحبس . قد اجتاز تلك الليلة مع يومها الماضي مقدماً لله الشكر *

ثالث عشر ففي اليوم الثاني من وضعه في الحبس قد أُخرج منه . وأُحضر امام ديوكلاتسيانوس الجالس وقتيذٍ مع اكابر دولته في ايوانه الكاين في ساحة المدينة لمشاهدة الملاعب المشاعة * غير انه استوعب انذهالاً عند مشاهدته القديس ماشياً باستقامة كانه لم يوجد في رجليه شي من الوجع من قبل الحذاء الحديد المسمّر بهما . ومن ثم اخذ يخاطبه هكذا بقوله : ما هذا ياجاورجيوس . العل الحذاء المسمر في رجليك قد وُجد لديك نعمةً ونعيماً ، * فاجابه الشهيد : اي نعم . ان الامر هو كذلك ايها الملك ، * فاردف ديوكلاتسيانوس كلامه بقوله : دع عنك العصاوة . وطع باحتشام اوامرنا . ثم اترك جانباً صنعة السحر وايت فقدم الضحية للالهة المنعمين * والا فبعد ان تكون انت تكبدت عذابات اخر كثيرة ستعدم حياتك هذه العذبة ، * فاجابه الشهيد قايلاً : اواه كم انكم تعلنون ذواتكم حمقاء انتم الذين تسمون عجايب قدرة الهي افعالاً سحرية . وتماثلون معوناته تعالي بافعال صنعة التنجيم . ثم تفتخرون خلواً من استحيا بتلك الاشيا المضحكة التي بها تعبدون الشياطين ، * اما الملك فلم يعد يدع القديس ان يمتد بالكلام . بل لاحتمايه غيظا قطع خطابه بامره للخدام بان يضربوا فمه قايلاً له : هكذا تعلم انه لايجب ان تهان الملوك بكلمات كذا افترائية ، * ثم رسم بان يجلدوه باعصاب البقر جلداً هذا حد قساوته . حتى ان لحمانه ودمه تعود مجبولةً مع تراب الارض تحته * ولكن اذ احتمل القديس هذا العذاب الشديد بصبر عجيب حتي من دون ان تكمد بشاشة وجهه . فالملك مملوّا من الانذهال قال : انني بالحقيقة ارثاي بان هذه الجلادة والافعال ليست صادرة عن الفضيلة والشجاعة بل بالاحرى عن صنعة السحر ، * فحينيذٍ قال له القنصل ماغناتيوس : انه يوجد ههنا

ايها الملك رجل ماهر في صنعة السحر اسمه اثناسيوس . . فاذا انت امرت باحضاره امامك . فانا لا ارتاب في ان جاورجيوس يغلب منه عاجلاً ويطيع مراسيمك ، *

رابع عشر فالملك امر حالاً باحضار اثناسيوس الساحر . الذي اذ مثل لديه قال له : ان كل الاشيا التي صنعها جاورجيوس الانسان الشرير هي معروفة عند هولا الحاضرين كافةً . ويخصك انت ان تعرف كيف استطاع ان يعملها * فاذًا يلزمك اما ان تلاشي منه قوة السحر وتجعله ان يصير وديعا اديبا مطيعا لنا . واما انك بادوية السحر عينها تبيده من الوجود . مميتا اياه بواسطة الافعال السحرية نفسها * لاني ولين كنت منذ الابتدا انا اعتمدت على قتله . فمع ذلك قد سمحت بابقايه في الحيوة حتي الان ، * فاثناسيوس قد وعد الملك بان يصنع هذا جميعه في اليوم المقبل . ومن ثم امر ديوكلاتسيانوس باخذ الشهيد الى الحبس . وقام من مجلسه منصرفا الي قصره * وهكذا اقيد القديس الى السجن من جديد . وهناك شرع يستغيث بالله قايلاً : يارب عجّب رحمتك فيّ . وقوّم خطواتي للاعتراف بك . وتمم مسعاي في امانتك لكي يكون اسمك مسبحا في كل شي ، *

خامس عشر اما الملك ففي اليوم الثاني بعد ان جلس في مكان مرتفع في المجلس المشاع . امر باحضار اثناسيوس الذي مثل لديه متصفًا بالرصانة والهيبة كانه مملو حكمةً * واذ اراه بعض ادوية مدبرة في اوعية من فخار . اشار اليه بانه كان مزمعا بها ان يعالج عقل جاورجيوس * ثم قال له : امر ايها الملك باحضاره ليشعر بمفاعيل ادويتي هذه بقوة الالهة لانك ان اردت ان يعود هذا الانسان طايعا لكل شي انت ترسمه عليه . فصبره ان يشرب هذه السقوة . (مظهرًا لديه وعاء صغيرًا محتويا عليها) * واما ان شيت بالاحرى ان تشاهد امام ديوانك كيفية الميتة المرة التي بها يعدم الحيوة اجعله ان يشرب هذه السقوة الاخرى (مشيرًا اليه عن وعاء ثانٍ حاوٍ الاشيا السمية) * فالملك امر حالاً بان يوتي امامه بالشهيد . واذ احضر لديه قال له : ان صنايعك السحرية ياجاورجيوس الان من دون ابطاء اما انها تتلاشى من قوتها واما ان ينتهي زمانها ، * قال هذا وامر بان يسقى الشهيد بالاغتصاب ذاك العلاج المهيا * فالقديس اخذ بيده الوعا . وشرب كل ما فيه من دون خشية . ولكن لم يظهر فيه تغيير ما كما كان يظن . بل لبث مسرورًا بملاشاة حيلة الشيطان * اما الملك فلاستوعابه رجزًا وكيدًا . امر بان يسقى القديس عنفًا

المشروب الثاني السمي ليموت به * الا ان الشهيد من دون ان احد يغتصبه تناول الوعا وشرب جميع ما فيه . واستمر كالاول بقوة الله ونعمته سالما معافى * فحينيذٍ ديوكلاتسيانوس مع اكابر دولته وكل الحضار جملةً مع اثناسيوس الساحر قد حصلوا مبهوتين من التحير . ثم بعد ذلك قال الملك للقديس : الى متى انت بافعالك تقودنا الى التعجب . وحتي متي انت لاتعترف لدينا بالحق . اي كيف استطعت ان تستهزي بالعذابات التي انت اختبرتها في ذاتك . وباي نوع نجوت من فعل الادوية التي سُقيتها . فاذًا اخبرنا بذلك جميعه ونحن نستمعك بحلمٍ * فالقديس وقتيذٍ اجابه قايلاً : لاينبغي لك ايها الملك ان تظن باننا نحن نحفظ ذواتنا بوسايط طبيعية . بل انما نفعل هذا بواسطة استغاثتنا بالمسيح وبقوته . ولاجل ثقتنا به لانعتبر العذابات بشي . وذلك تبعا لاسرار ارشاداته تعالى * فهنا ساله ديوكلاتسيانوس بقوله : وماهي ارشادات مسيحك هذه * فاجابه الشهيد : ان المسيح اذ سبق وعرف اهتماماتكم بصنيع الاشيا الاشد رداوةً ضد اصفيايه وخلانه . قد ارشدهم بالايخافوا من اوليك الذين يقتلون الجسد . وبالا يهتموا في الاشيا الباطلة بقوله لهم : ان شعرةً واحدة من روسكم لاتسقط . بل تشربون السم القاتل فلا يضركم ۞ ثم اسمع اخيرًا ايها الملك ان الوعد الذي وعدنا به عزَّ وجلَّ هو قوله بالاختصار : ان من يومن بي يعمل الاعمال عينها التي انا اعملها فساله الملك : وماهي الاعمال التي انتم تقولون انها اعماله * فاجابه القديس : انها هي تفتيح اعين العميان . اشفا البرص . تقويم العرج . وفتح اذان الصم . واخراج الشياطين . واقامة الموتى وامثال ذلك * فحينيذٍ التفت ديوكلاتسيانوس نحو اثناسيوس الساحر مسايلاً بقوله : ماذا تقول انت عن هذه الاشيا * فاجابه اثناسيوس : اني اندهل من كيف ان هذا اذ يدحض وداعتك بالاكاذيب ويقنع ذاته بان يخدع سطونك * لاننا نحن كل يوم نقتبل من الالهة الفاقدة الموت احسانات كثيرة . ومن قبل صلاحهم نتمتع بخيرات وافرة . ومع هذا نحن لم نشاهد قط في هذه الازمنة احدًا من الاموات قام حيا * واما هذا فاذ يتكل على انسان مايت . ويتعبد للمصلوب كانه اله . ويشهد عنه بجسارةٍ بانه يصنع العجايب . فاذًا من حيث انه يعترف بحضورنا جميعًا بان الهه قد فعل امورًا هذه صفتها . وبان الذين يرجونه متكلين عليه يختبرون في ذواتهم حقايق مواعيده . وهم انفسهم يصنعون كل ما فعله . فليقم هذا امامنا واحدًا

من الموتى . وعند ذلك نحن ايضاً نكرم الهه معترفين بانه قادر على كل شي * فهوذا الان
« يوجد في الناحية التي قدامنا صندوق قبرٍ يوجد ضمنه ميت معروف مني قد دفن هناك
« منذ برهةٍ . فان كان جاورجيوس يقيمه من الموت يحصل بالحقيقة على الغلبة ضدنا »
فالملك بعد ان تامل مشورة اثناسيوس هذه قد ارتضى بها *

سادس عشر فلم يكن قبر الميت المومى اليه بعيداً من المجلس المشاع اكثر من ستين
خطوة مقابل الديوان الملوكي المقام هناك . ومن ثم قد طلب القنصل ماغنانتيوس من
الملك ان يحل جاورجيوس من القيود . ثم قال له : « اظهر انت الان اعمال الهك العجيبة
« واكتسبنا كلنا الى الايمان به » * اما الشهيد فاجابه قايلاً : « ايها القنصل عزيزي ان الله
« الذي خلق الاشيا كلها من العدم ليس هو فاقد المقدره عن ان يقيم بواسطتي هذا الميت .
« الا انكم انتم المخدوعين من قبل اضاليلكم لا تقدرون ان تفهموا الحق . ولكن مع هذا جميعه
« ان الله يصنع بواسطتي لاجل هذا الشعب الحاضر الشي الذي انتم تريدون امتحانه . لكيلا
« تقدروا ان تنسبوا هذا الفعل ايضا لصنعة السحر . في الوقت عينه الذي فيه قد اعترف
« امامكم جميعاً الساحر الذي انتم انفسكم احضرتموه بانه لا يمكن ان يقام انسان من الموت لا
« بواسطة افعال السحر ولا بقوة الهٍ ما من الهتكم . فاذاً انا استغيث بالهي امام اعينكم ويسمع اذانكم
« كافةً انتم الحاضرين ههنا جميعا » * قال هذا وجثا على ركبتيهِ متوسلاً لله بدموع . ثم نهض
وهتف بصوتٍ عظيم متضرعا لديهِ تعالى بقوله : « ايها الاله الازلي اله الرحمة ورب القوات
« كلها القادر على كل شى انت الذي لا تخيب رجا المتكلين عليك . استجب لي في هذي
« الساعة يا يسوع المسيح ربي انا عبدك الشقي . انت الذي استجبت رسلك في كل مكان
« وبجميع العجايب . ثم اعطِ هذا الجيل الشرير الاية التي طلبوها . واقم الميت الموضوع في
« القبر لكي يخزى الذين لا يعبدونك . ولكي يتلالا مجدك مع ابيك والروح القدس *
« فانا اتضرع اليك يا رب بان تظهر لهولا الواقفين ههنا انك انت وحدك اله كلي السمو
« سيد الارض كلها . وان يعرفوا انك ربٌ مقتدر . وان الاشيا كافةً هي منضعة لامرك .
« وان مجدك هو دايم الى الابد امين » * فحينما انتهى القديس الى كلمة امين . قد سمع صوتٌ
عظيم املأ الجميع ارتعاداً وخوفاً . ثم انفتح القبر حيث كان الميت موضوعاً وانقلب الحجر
الذي كان فوقه . وهكذا نهض منه الميت حيا * فعند مشاهدة الشعوب هذا المعجز العظيم

حدث فيما بينهم رجٌ وضجة . وكثيرون منهم طفقوا يعظمون المسيح الهنا . ويسجدونه كالهٍ اعظم * واما الملك واكابر دولته فاي نعم انهم استوعبوا انذهالاً وبهتة . الا انهم لاجل اصرارهم على عدم الايمان رجعوا يقولون للشهيد انه ساحر بل اكبر السحرا وريس عليهم وبذلك اخذوا يخدعون ارواح الحضار * ولكن اذ تحققوا ان ذاك المايت حقاً قام من الموت ذاتياً لاخيالياً . وسمعوه يعترف بالمسيح جائياً نحو القديس جاورجيوس مومناً بالله نظيره . فلم يعودوا يعلمون ماذا يقولون او يفعلون بل أُبكمت افواههم *

سابع عشر اما اثناسيوس الساحر فحينئذٍ اسرع نحو الشهيد منطرحا على قدميه ثم اعلن بصوت فصيح قايلا: «ان المسيح هو اله قادر على كل شيء» * قال هذا وشرع يتوسل الى القديس في ان يطلب من اجله الي الله بان يغفر له كل ما هو اذنب به جاهلا * واما ديوكلاتسيانوس فبعد برهةٍ قد امر الجميع بالصمت واخذ يتكلم هكذا: «انظرتم الخداع والحيل ايها الناس . وهل تاملتم خباثة هذين الساحرين الغاشين . على ان اثناسيوس هذا الشرير . اذ قد اسعف بطرايق سرية جاورجيوس الذي هو نظيره نابع صنعة السحر عينها . لم يعطه المشروب المسموم الذى كان وعد به بل سقاه بالحري من تلك الاشيا نفسها التي لها قوة الرقوة والمختصة بالزعبرة لكي يخدعنا . ولذلك لم تحصل منها لجاورجيوس مضرةٌ بتةً . لكنها انعشت فيه روح الجسارة والادعا بان يقيم احد الموتي . الذي اذ كان تظاهر بانه مات تبعا لاتفاقٍ اثيم سابق . قد امكنه ان يقيم ذاته ناهضا تكميلاً لخباثتهم» قال هذا وحتم حالاً بان يقتل اثناسيوس بضرب البلطة هو وذاك الناهض من الموت المعترف بالمسيح . وبمانا من دون ان يقام عليهما فحص ديواني . فهذه الحكومة الظالمة قد وضعت حالاً بالعمل * ثم امر الملك بان يوخذ جاورجيوس فيطرح في السجن الي ان تصير المعاطاة الاخيرة بخصوصه بعد نهاية الاشغال الديوانية . وهكذا ديوكلاتسيانسيوس قام من مجلسه راجعا الي قصره * اما الشهيد فقد اخذ مقاداً الى الحبس مكبلاً بالسلاسل . مملوا من الفرح والابتهاج . مقدما لله الشكر بقوله: «المجد لك ايها الرب . انت الذي لا تخيب المتكلين عليك . فانا اشكرك لانك صرت لي معينا في كل شي . اذ انك يوميا تصنع معي احساناتٍ عظيمة منعماً بها على حقارتي . فانت يا الهي اجعلني اهلا لان انظر مجدك سريعا لكي يخزى الشيطان بالكلية خزيا ناما» *

ثامن عشر فبعد ان وُضع القديس في السجن . شرع اوليك الذين امنوا بالمسيح من قبل مشاهدتهم تلك العجايب يترددون اليه تبعا للفضة التي اعطوها للجند الحراس رشوةً * واما الشهيد فكان يقبلهم بحبٍ ويخاطبهم بافادةٍ . مشفيًا باسم يسوع المسيح بواسطة رسمه اشارة الصليب المقدس اوليك المحتاجين منهم الى برءٍ * وكان فيما بين هولاء رجل اسمه غليكاريوس . فهذا لاجل ان القديس احيي له احد عجوله الحراثة من الموت . شرع يهتف في المدينة صارخًا : ‹ عظيم هو اله المسيحيين › * الا ان الجند قبضوا عليه واحضروه امام ديوكلاتسيانوس الذي حكم من دون فحص اخر بان يقاد غليكاريوس الى خارج المدينة وتقطع هامته كاتم * اذ جذب هذا الشاهد متهللا ومتوسلا لله بان يقبله مصطبغا بدمه بدلاً من ماء المعمودية . وهكذا فاز باكليل الشهادة * ثم في غضون ذلك جاء اناس من المتقدمين واخبروا الملك بان جاورجيوس كان يشغب الشعوب بصيت اعماله . ولهذا كثيرون من قبل اسحاره قد اهملوا الهة المملكة وامنوا بالمسيح * ومن ثم قدموا رايهم للملك بان يحضره الى الفحص الاخير . فان ظهرت منه الطاعة يطلق . وان ثبت على حاله يمات لكي ينتهي هذا السجس * فديوكلاتسيانوس قد اذعن لمشورتهم . وامر بواسطة ماغناتيوس بان يقام له ديوان مشاع بازاء معبد الصنم ابلوس لينهى هناك الفحص عن جاورجيوس بحضر الجميع *

تاسع عشر اما القديس فاذ كان في تلك الليلة بعد صلواته قد اشتمله نومٌ ففي الحلم قد راى الرب يسوع منهضا اياه ومعانقا . ثم وضع على راسه اكليلاً قايلاً له : ‹ لاتخف بل كن هادي الفكر . لانك قد استحقيت ان تملك معي . فاذًا لاتناخر اصلاً لكن اذ تاتي سريعًا فانت تشاهد الملك المعد لك › * فلما استيقظ الشهيد من رقاده مقدمًا لله الشكر بافضل نوع . قد استدعى اليه حافظ السجن . ثم توسل لديه قايلاً : ‹ اني اطلب منك يا اخي هذا الشي فقط . وهو ان تسمح لعبدي الواقف خارجا بالدخول اليَّ . لان لي كلامًا اقوله له › * فالحارس اذ استجاب الطلبة . قد ادخل العبد الذي كان منتظرًا * وهذا حالما دخل وشاهد سيده القديس مغللاً بالسلاسل انطرح في الارض باكيًا * الا ان الشهيد اقامه بيده معزيًا اياه . واوضح له مخبرًا بالرويا التي نظرها قايلاً له : ‹ ان الرب ياولدي قد دعاني اليه سريعًا . فاذًا حينما انا افارق هذه الحيوة . اهتم انت باخذ

جسدي هذا الشقي كما انا اعتمدت منذ مفارقتي وطني * ثم اذهب مسرعاً به تحت حراسة
الرب الى حيثما كنا نسكن في بلاد فلسطين . وهناك انت ضع بالعمل جميع ما كنت
انا رسمته . وكن ثابتاً في خوف الله من دون ان تعدل عن الايمان به » * فالعبد وعد بان
يتم كل شي بمعونة الله . وحينئذٍ القديس عانقه مقبلاً . اذ كان ذاك يذرف من عينيه
تيارات من الدموع . وهكذا اصرفه من عنده *

العشرون واما ديوكلاتسيانوس فقد مضى في الصباح الى الديوان المهيا له . وهناك
امر باحضار الشهيد امامهُ * واذ مثل لديه قد ضبط ذاتهُ عن الغيظ وشرع يخاطبهُ
بوداعةٍ قايلاً . « اما يظهر لك انني متصف نحوك بالحلم والانسانية والدعة والحب
« ياجاورجيوس . لانهُ تشهد عليَّ الالهة كلها بانهُ يصعب عندي فقدان شبوبيتك نظراً
« الى جمال خلقتك ثم نظراً الى فطنتك الذكية وشجاعتك الراسخة . وانا بالحقيقة اريد ان
« تسكن معي وتتمتع بخيراتي . ان كنت ترجع الى الصواب . فاذاً قل لنا ما هو رايك عما
اوضحناه لك » * فالقديس اجابهُ قايلاً . « انهُ من اجل قولك ايها الملك انك تظهر نحونا
« انعطافا هكذا عذبا . لم يكن لايقا ان تستعمل ضدنا مفاعيل غضبٍ شديد بهذا المقدار كما
« صنعت * فالملك اذ استمع هذه الكلمات برضاً . اردف كلامه بقوله انك لو كنت تريد ان
« تطيعني بحبٍ كابٍ لك لكنت انا اكافي جميع العذابات التي انت احتملتها مكافاةً
« جليلة بمراتب شريفة * فاجابهُ القديس . انك ان اردت ان ندخل مرةً اخرى الى المعبد
« لكي نشاهد الالهة التي انت تعبدها . فلا باس من ذلك » * اما الملك فحالما سمع هذه
الكلمات قد امتلأ سروراً ونهض مامراً اكابر الدولة والشعب بالدخول معهُ الى المعبد . معظما
الهتهُ لزعمهِ انهم صنعوا التغيير في قلب جاورجيوس منتصرين على عزمهِ السابق * فلما
دخلوا المعبد جميعاً وصار التنبيه بالصمت وتهيأت المحرقة . كان الحضار كلهم يتفرسون
في وجه الشهيد . ظانين انه كان مزمعاً ان يقدم الضحية * غير ان القديس تقدم امام
الصنم ابلوس . ومد يده نحوه صارخاً . « ترى اية ذبيحة تريد ان تقبل مني كانك اله » *
قال هذا ورسم ذاته باشارة الصليب المقدس . اما الشيطان الساكن في ذاك الصنم فقد
صرخ هاتفاً . « كلا . انا لست الهاً لانا ولا ايا كان من الاصنام امثالي . لكن الاله هو واحد
« فقط . وهو الذي انت تنذر به * اما نحن فمنذ استحالتنا من مليكة خدام الله الى شياطين

«عصاة . فانما نغش البشر من قبل حسدنا اياهم» * فاجابه القديس قايلاً: «فاذاً كيف «يمكنكم ان تستمروا ههنا بجسارة مع اني حاضر في هذا المكان انا العابد للاله الحقيقي» * فلما قال هذا قد سُمعت من افواه الاصنام كلها اصوات ندبٍ وعويلٍ . وحالاً قد تساقطت اشخاصها في الارض متطحنة» * فحينيذٍ كهنة الاصنام قد هيجوا كثيرين من الشعب الحاضر الى الرجز الكلبي . فوثبوا على الشهيد وربطوه بالقيود . ثم صرخوا نحو الملك قايلين: «ارفع هذا من الحيوة قبل ان لا تعود محتملة منا حياتنا بمشاهدتنا هذه الحوادث» * اما الملكة الكسندرا التي كانت موجودة وقتيذٍ في قصرها . فلما بلغها من قبل ضوضا الشعوب خبر ما صنعهُ القديس لم تعد تقدر ان تخفي ايمانها المسيحي . بل خرجت مسرعةً الى خارجٍ * وعند ما شاهدت عن بعدٍ لابس الظفر جاورجيوس مقاداً من الناس . ولم تستطع من كثرة الجمع ان تدنو منه صرخت هاتفةً: «يا اله جاورجيوس «اعنّي لانك انت وحدك الاله القادر على كل شي» * .

الحادي والعشرون فلما هدأ رهج الشعب امر ديوكلاتسيانوس باحضار الشهيد امامهُ واذ مثُل لديهِ فهو قال له برجزٍ شديد: «أهذه هي افعال الشكر التي تقدمها لي لاجل «حنوي نحوك ياكلي الدناسة . وهل ان هي عادة فيك ان تقدم الضحية للالهة بهذا النوع» فاجابه القديس قايلاً: «اي نعم انى هكذا انا اعتدت ان اضحي للاصنام ايها الملك المستوعب «حماقةً . وعلى هذه الصورة انا تعلمت ان اكرم الهتك . فاذاً استحِ منذ الان فصاعداً من «اعترافك بان خلاصك هو من الهةٍ كذا لا يقدرون ان يعيشوا حتى ولا ذواتهم . بل «لا يستطيعون ان يلبثوا قياماً بحضرة عبيد المسيح * فمعا كان الشهيد يتكلم بهذا . واذا «بالملكة الكسندرا قد جاءت في الوسط . وشرعت تقول كلماتها السابق ذكرها اي: «يا اله جاورجيوس اعنّي . لانك انت وحدك الاله القادر على كل شي» * ثم طفقت «تنحني على قدمي الشهيد . وتحتقر حماقة الملك لاعنةً الاصنام وراذلةً من يعبدها * اما «الملك فقال لها مغضباً: «ترى ماذا حل بكِ يا الكسندرا حتى انكِ من دون استحياء «اهملتِ الالهة واتحدتِ مع هذا الانسان الساحر الخداع» ○ واما هي فلاحتقارها كلام «الملك لم تحتسبه مستحقاً جواباً ما . فاذاً حينيذٍ ديوكلاتسيانوس لامتلايهِ من الرجز ما عاد يريد فحصاً اخر . بعد ان شاهد ذاته خايباً من الامل في ان القديس يقدم الذبيحة

« للاصنام التي اسقطها متطحنة » وقد اشتد غضبهُ بالاكثر لحال انقلاب الملكة عن « معتقدها . فمن ثم ابرز حالاً الحكومة بالموت على الشهيد وعلى الملكة الكسندرا معاً قايلاً : « انا آمر حاتماً بان تقطع هامة جاورجيوس الاثيم المسمي ذاته جليليا الذي تفوَّه ضد الالهة « وضدي بالفاظ اهانة عظيمة . ثم بواسطة صنعتهِ السحرية قد اهبط تماثيل الالهة * « وكذلك فليقطع راس الملكة الكسندرا التي انفسدت من قبل اسحارهِ . وهي نظيرهُ قد « لعنت الالهة انفسهم » *

الثاني والعشرون فحينيذٍ خدام الشريعة المفوض اليهم وضع هذه الحكومة بالعمل . قد هجموا على القديس جاورجيوس مقيدينهُ . واخذوه خارج المدينة . ومثله صنعوا بالملكة الكسندرا * التي في مسافة الطريق اذ كانت تحرك شفتيها مصليةً بابتهاجٍ ومكررةً رفع عينيها الى السما . قد طلبت من المقيدين اياها ان يسمحوا لها بان تجلس في محلٍ كانت بلغت اليه لتاخذ قليلاً من الراحة . الامر الذي سمح لها به ۞ فجلست على الارض ثم احنت راسها فوق ركبتيها واسلمت روحها بيد الله . فايزةً باكليل الشهادة * ولذلك يوجد اسمها في السنكسارات اليونانية تحت هذا اليوم عينهِ جملةً مع القديس جاورجيوس الذي عند ما شاهد رقادها على هذه الصورة شهيدةً قدم الشكر لله بابتهاجٍ على نعمة كذا عظيمة . ثم داوم مسيره مع خدام الشريعة بشجاعةٍ لكي ينهي ايضاً جهاده * ولما بلغ الى المكان المعين لقتله . رفع صوته مصلياً هكذا : « فليكن مباركاً يا الهي وسيدي لانك « ما سمحت بان أُسحق باسنان طالبي نفسي . ولا احتملت ان تشمت بي اعدائي . بل « خلصت نفسي مثل العصفور من الفخ * فاستمعني يارب واعني انا عبدك في ساعتي هذه « الاخيرة . وخلص نفسي من العدو الاعظم الروح الشرير ومن مليكتهِ . ولا تحسب ذنباً « على اوليك بجميع ما صنعوه ضدي . بل اعطهم الغفران والحب من قبلك حتى يحصل « لهم ايضاً نصيب في ملكك مع مختاريك . ثم اقبل روحي مع اوليك الذين ارضوك منذ « الدهر . واسمح لي عن كل ما صدر مني بمعرفة او بغير معرفة . واذكر يارب اوليك « الذين يستغيثون باسمك العظيم لانك مبارك الى ابد الابدين امين » * قال هذا ومد عنقه للسياف . الذي قطع هامته المغبوطة في مثل هذا اليوم الذي هو الثالث والعشرون من شهر نيسان سنة ٣٠٣ *

الثالث والعشرون فعيد هذا المعظم في الشهدا قد ابذلوا عنايتهم في اتمام ما كان سيدهم القديس اوصاهم به باخذهم جسده الطاهر وذهابهم به الى بلاد فلسطين حيث دفنوه في مكان سكناه . وهناك قد شرف الله ضريحهُ بعجايب فايقة كثيرة العدد * وقد استمر هناك الى زمن الملك قسطنطين الكبير * وحينيذٍ المومنون قد شيدوا في مدينة لدّ كنيسة جليلة ونقلوا اليها اعضا هذا القديس اللابس الظفر ووضعوها في الهيكل . وصار الاحتفال بتكريس تلك الكنيسة والهيكل في اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني * وقد حفظ تذكار هذا اليوم دايما حتى الان بفروض كنايسية . وقد اضحت الكنيسة المذكورة شايعة الصيت في العالم لاجل كثرة العجايب التي صنعها الله هناك بشفاعة شهيده هذا العظيم * ثم فيما بعد قد توزعت اعضاه في امكنة كثيرة من العالم الى الكنايس الجزيلة العدد التي تشيدت على اسمهِ . وهي شهيرة في المسكونة عند جميع الطوايف والقبايل *

فهكذا يكرم الله الذين يكرمونه . اما نحن ففي الوقت الذي فيه يجب علينا ان نقدم الشكر للعزة الالهية على مواهبهِ العظيمة التي منحناها بجودهِ خاصةً على موهبة الايمان الذي اثبت حقايقهُ عدد غير ممكن احصاوه من الشهدا بسفك دمايهم فيما بين عذابات هكذا شديدة المراس . كما لاحظنا في سيرة اعمال هذا المعظم في الشهدا جاورجيوس . ففيهِ عينهِ يلزمنا ان نستفيد من نموذج حبهم الشديد لله واحتقارهم مراتب الشرف ومواعيد الملوك وملذات هذي الحيوة وزهرة الشبوبية والثروة مع ساير الموجودات . لكيلا يغيظوا الله بفعلٍ ما يتضمن اهانتهُ بمخالفة واجبات دعوتهم المسيحية * بل قد احتقروا كل ما في هذا العالم . كما فعل القديس المذكور . الذي اعتد الاشيا الارضية كالقصرين ليربح المسيح * فهذا يصيرنا ان نكتسب الافادة لانفسنا بان ننعش فينا فضيلة الايمان ونوطد في ذواتنا موضوعات الرجا . ونحرك في قلوبنا حرارة المحبة لله فوق كل شي . ونحارب اعدا خلاصنا بشجاعةٍ رجولية . متكلين على نعمة الله التي بواسطتها ومعها نغلب التنين الجهنمي عنصر الشرور طاعنين اياه بسيف الروح * اذ نلقيهِ مجندلاً تحت ارجلنا . وهكذا نخلص انفسنا المفتداة بالدم الكريم والمعرسة لله كبتولةٍ لامعاب فيها ولا دنس معدة للاشتراك معه تعالى في ملكهِ السرمدي *

* اليوم الرابع والعشرون *

* وفيه تذكار القديس الشاهد سابا الجندي ثم القديسة البارة *

* اليصابات العجايبية *

اولاً ان الشي الذي يمكننا ايراده باختصار وتوكيد عن الشاهد القديس سابا الجندي هو اولاً ان هذا الرجل الجليل كان في الخدمة الجندية فيما بين عساكر الرومانيين ليس جندياً بسيطاً بل قايداً لعددٍ خصوصي من العساكر . ثانياً ان استشهاده قد حدث في مدينة رومية عينها في زمن تملك اوريليانوس قيصر نحو سنة ٢٧١ للمسيح . ثالثاً واما نوع جهادهِ الذي به سفك دمهُ من اجل الايمان بالمسيح فقد تم على الصورة الاتي شرحها *

ثانياً فقد شكي على هذا القديس في رومية للديوان الملوكي بانه كان يزور المسيحيين المطروحين في السجون ويشجعهم معزياً . ومن ثم قبض عليه وأُحضر امام القضاة * واذ سيل عن ايمانه وهو اعترف بالمسيح بشجاعةٍ تليق بجندي خاص ليسوع ملك الملوك معترفاً به تعالى في ذلك الديوان القيصري * قد حكم عليه بان يشوى على مُصبَّع الحديد فوق جمرات النار المتقدة * ولكن اذ احتمل هذا العذاب بجلادةٍ وثبات ولم يمت بهِ قد وضع بعد ذلك في خلقين مملوة من الزفت المغلي بشدةٍ * غير انه ولا هذا العذاب المميت امكنهُ ان يعدمهُ الحيوة الزمنية . او يسبب له ادنى مضرة جسدية * فلما شاهد عبدة الاوثان الحاضرون في هذا المشهد عجبا هكذا مفعولاً ممن هو خالق العناصر المطلق والقادر على حجز قوتها الطبيعية . قد آمن منهم بالمسيح سبعون رجلاً *

ثالثاً فالمتقدم في ديوان القضا اذ راى هولا يعترفون بالمسيح علانيةً . قد امر بوضعهم تحت العذابات . ومن حيث انهم لبثوا يجاهرون بالامانة بعزمٍ رجولي ثابت . قد حكم عليهم جميعاً بقطع روسهم . وعندما وضعت هذه الحكومة بالعمل . قد فازوا كلهم باكلة المجد الغير الفاسدة * واما القديس سابا المجاهد فقد طرح في نهر طافر فاختنق . وهكذا لحق مصاف السبعين شهيداً متطايراً الى القناطر العلوية كقايدهم الشجاع الحامل بيرق الانتصار والظفر . ماثلاً امام العرش الملوكي الالهي لياخذ مكافاة جهاده الاشتراك في ملك المسيح الى الابد *

* سيرة القديسة اليصابات البارة العجايبية *

اولاً ان المينولوجيون الباسيلي المدونة فيهِ سيرة حيوة القديسة البارة اليصابات بالاختصار الاتي شرحه . لا يذكر شيئاً لا عن وطن هذه البارة ولا عن الزمن الذي وجدت فيه * ولكن هذا الامر لا ينقص شيئاً من استحقاقات القديسة المذكورة التي تكرمها الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً بحسن عبادةٍ وتلقبها بالعجايبية . وبالتالي انها هي شايعة الذكر ليس فقط لاجل كثرة الجرايح والايات التي صنعها الله بواسطتها . بل ايضاً لاجل سمو فضايلها ونوع سيرتها الغير الاعتيادية في طريق الكمال الانجيلي *

ثانيا فهذه البارة منذ نعومة اظفارها قد انعطفت الى حب الفضيلة . واجتهدت في ان تضع بالعمل جميع ما تكلم به الابا القديسون عن سيرة الكمال المسيحي * ولذلك لم تكن تتغافل عن ممارسة تلك الاشيا التي كانت توطدها في العبادة الحقيقية لله . مثابرةٍ بكل جدٍ على التاصل في الفضايل . منتقلةً بها من قوةٍ الى قوة بالنمو الروحي اليومي نحو قمة الكمال * فمحبتها للفقرا والمساكين كانت شديدة جداً . حتى انها كانت تحضر عند الارامل والايتام والبايسين والمعوزين . وتقدم لهم بذاتها القوت الضروري وتخدمهم في احتياجاتهم * اما صياماتها فكانت بهذا المقدار متكاثرةً وشاقةً وغريبةً على القوة الانسانية لاسيما على الجنس الانوثي . حتى انها مراتٍ كثيرة قد صنعت الصيام الاربعيني بقوةٍ الهية نظير موسى وايليا من دون ان تتناول قوتا * ولم تكن تستعمل الخبز في اقتياتها بل الحشايش المسلوقة والغير المطبوخة ايضا واحيانا من دون زيتٍ * واما ملبوسها فلم يكن سوى خلقٍ واحد نظير القميص الطويل مترديةً بهِ صيفا وشتاء حتى في حين شدة البرد القاسي لان قلبها كان على الدوام ملتهبا بنيران محبة الروح القدس . وقط ما استعملت الغسل الجسدي اى لم تستحم طول مدة حياتها *

ثالثا فهذه الفضايل السامية والصفات الجليلة قد حركت البارى تعالى لان يمنح امتهُ البارة موهبة صنيع العجايب بسخاء . لانها بقوته عزَّ وجلَّ كانت تشفي كل نوعٍ من الامراض العضلة لكلٍ من الذين كانوا يلتجيئون اليها رجالاً ونساء احداثا واطفالاً . مع اشيا اخر عجيبة وعظيمة كانت تصنع مما هي فايقة الطبيعة . حتى انها بكل وجوبٍ لقبت بالعجايبية وكانت تاملاتها في الحقايق الالهية متصلةً بنوع انها استمرت مدة ثلث سنواتٍ كاملاتٍ

ساهية متاملة غايصة في الثاوريا في الله وفي الاشيا السموية بعيني العقل فقط . من غير ان ترفع لحظها او ان تحدق بطرفها بعيني الجسد الى السما . بل دايما كانت مطرقة بنظرها الى الارض بروح الانضاع * فبهذه الاعمال الصالحة وبامثالها قد اجتازت جميع ايام حياتها الى ان دعاها الله اليه ليتوجها في السما باكليل العدل المعد منه للذين يجاهدون حسب السنة . فمن ثم فارقت هذه الحيوة راقدة بالرب الذي كريم هو لديهِ موت ابراره . وانطلقت لتتمتع بكنز استحقاقات اعمالها في السعادة الابدية متشفعة في مكرميها *

فامرٌ واضحٌ هو انه بمقدار ما تفضل النفس على الجسد وتعلو قواها الروحية التي هي العقل والذكر والارادة على الحواس الجسمية الحيوانية فباكثر من ذلك تفضل الصلوة العقلية بتامل الحقايق الالهية والاشيا السموية على الصلوة اللفظية . ولهذا اذ عرفت القديسة البارة اليصابات المقدم ذكرها هذه الحقيقة قد مارستها على الدوام . حتى انها ليثبت كما ذكر عنها مدة ثلث سنوات متصلة غايصة في هذه الثاوريا * على ان مخلصنا في خطابهِ مع السامرية قد علمنا قايلاً : «اذ الساجدون الحقون يسجدون للاب بالروح والحق . لان الاب انما يريد مثل هولا الساجدين لهِ * لان الله روحٌ هو والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغي ان يسجدوا له» (يوحنا ص ٤ ع ٢٣) * والرسول الالهي يقول : «فما هو اذاً الافضل هو ان اصلي بالروح واصلي بالعقل ايضا . اترنم بالروح واترنم بالعقل» (قرنثية اولى ص ١٤ ع ١٥) * فان كان ذلك كذلك . فلماذا اذاً ترى الاكثرين من المسيحيين يكتفون بالصلوات اللفظية غير ملتفتين بتة الى الصلوة العقلية . أترى ان ممارسة هذه هي شي اصعب من استعمال تلك . والحال ان الصلوة اللفظية ايضا تقتضي ضرورة رفع العقل لله * او هل ان الصلوة العقلية تستلزم درسا عميقا ومعرفة سامية ليقدر الانسان ان يمارسها . والحال ان كل احد يستطيع بسهولة ان يجمع افكاره ويستحضر الله امام عينيه ويتامل برهة من الزمان في موضوع ما مهما شاء من القضايا الدينية او من الاسرار الالهية او من الحقايق السماوية او من المواد الروحية كالفضايل للتمسك بها وكالرذايل للهرب منها * فاذاً لا عذر لك ياهذا عن استعمال الصلوة العقلية ولو برهة وجيزة في كل يوم . عالما ان القديسين والابرار قد اكتسبوا بهذه الواسطة درجات سامية من الكمال . فاذاً اهمال ذلك هو عين اهمال واسطة كلية الافادة للبلوغ الى الخلاص الابدي

* اليوم الخامس والعشرون *

* وفيه تذكار القديس مرقص الرسول الانجيلي *

اولاً انه ولين لم تكن توجد لدينا في التواريخ البيعية المدققة اعمالٌ كثيرة تلاحظ القديس مرقص الانجيلي . فمع ذلك توجد عندنا مبادي الديانة الراهنة التي توجب قينا ان نكرم هذا البشير الجليل بعبادةٍ خصوصية . عارفين انه هو احد اوليك الرجال المعظمين الذين اختارتهم العناية الالهية . واملاتهم من مواهب الروح القدس . ليس لينذروا ويعلموا ويكرزوا فقط في العالم بموجب شريعة النعمة . بل ليحرروا ايضا في كتاب الانجيل الالهي هذا التعليم والشريعة التي استودعها يسوع المسيح في كنيسته المقدسة فهذا القديس كان من الشعب اليهودي . ويظن بالصواب انه مولود في مدينة كيرانا من اقليم بانطابولي . كما ان الراي المستند على تقليدٍ متصل هو انه اي القديس مرقص لم يعتنق الايمان بالمسيح الا بعد قيامته تعالى من بين الاموات . ولذلك بواسطة القديس بطرس الرسول الذي اتخذه خاصته . ولهذا يدعوه في رسالته الاولى الجامعة ولده الحبيب * ومن ثم كثيرون من الابا القديسين سموه كاتب القديس بطرس وتلميذه الملازم اياه * وحينما مضى هامة الرسل الي مدينة رومية . كان القديس مرقص صحبته * وفي زمن اقامته هناك قد كتب انجيله . اذ كان المومنين قد التمسوا منه ان يحرر في كتابٍ يحفظونه عندهم جميع ما كان معلمه القديس بطرس انذرهم به بالكلام * وبهذا بعد ان وقف الرسول بطرس على تاليف تلميذه المذكور . قد سلمه للشعوب كي يستسيروا بموجبه *

ثانيًا فهذا الانجيلي البشير والتلميذ الطاهر كتب انجيله باللغة اليونانية . التي وقتئذٍ كانت لغةً عامة في كل المشرق وسالكة بالعمل في مدينة رومية عينها . حتى ان النسا انفسهنَّ كنَّ يتكلمنَ بها بنوعٍ دارج * ثم من تلاوتنا هذا الانجيل يتضح لنا عظم تواضع القديسين بطرس ومرقص معًا . من كونه يوجد مصرحًا فيه باوفر تدقيق وباكثر ايضاح من الثلثة الاناجيل الاخر سقوط راس الرسل بطرس بنكران معلمه الالهي . كما انه يوجد فيه بابلغ اختصار واقل تدقيق ما يخص شرف هذه الصخرة التي عليها بنى السيد المسيح كنيسته * فليت جميع الكتبة الكنايسيين يقتفون هذا النموذج بتدقيق . متناسين ذواتهم في تاليفاتهم . ومهتمين في ايراد الحقايق مجردةً من كل زخرفة الالفاظ بل بحسبما هي عليه

ملاحظين فيها مجد الله وخبر الانفس فقط *

ثالثاً ثم ان القديس بطرس ارسل القديس مرقص الى الاقليم المصرى سنة ٤٩ كي ينذر اوليك الشعوب بموجب الانجيل الذى حرره هو . لانهُ رأيٌ عام هو انه قبل هذا البشير لم يكن احد ذهب ليكرز بالايمان في تلك البلاد الواسعة لشعوب هكذا عديدة ومتمسكة منذ اجيال في خرافات عبادة الاوثان وتحفظاتها الباطلة * فبعد ان جال هذا الانجيلي المجيد في بلدان ومقاطعات كثيرة من تلك الاقاليم . ذهب في السنة السابعة من تملك نيرون قيصر الى مدينة الاسكندرية . حيث رد من سكانها عن الضلال الى الايمان بالمسيح عدداً وافراً بواسطة نعمة الله والعجايب الباهرة التي صنعها المرافقة من نموذجاته الصالحة وسيرته المملوة من الفضايل والامانات والتقشفات الصارمة ۞ فهذا العدد العظيم من الشعوب بعد رفضهم ضلالاتهم الوثنية وبجايج عيشتهم السابقة الرخية الدنسة . قد تمسكوا بالتعليم الانجيلي حافظينه بكل تدقيق . حتي ان الاسكندرية اضحت اورشليم ثانية نظير ما حصلت تلك بعد حلول الروح القدس في الغرفة الصهيونية *

رابعاً فاتعاب هذا القديس الرسولية قد كللها الله بتاج الاستشهاد الذي به هذا الانجيلي العظيم سفك دمه من اجل الايمان بالمسيح الذي انذر به . والكنيسة الجامعة قد كرمته دايماً بصفة شهيد كما تدعوه السنكسارات القديمة شرقاً وغرباً ليس باقل من المورخين الاكثرين تدقيقاً الذين فهموا ذلك بذواتهم من مومني الاسكندرية المحفوظ عندهم ذلك بتقليدٍ متصل * واما كيفية استشهاده فوجدت مسطرة من الكتبة القدما علي هذا النوع . وهو ان هذا القديس بعد ان استمر مدةً من الزمن مختفياً من قبل رجز عبدة الاوثان الذين كانوا يفتشون عليه ليقتلوه لسبب مشاهدتهم ما حصل لديانتهم من الدثار ولالهتهم من الاهانة بواسطة انذاره . فهولا حينما كانوا يحتفلون بعيدٍ شهير لالهم سرايده قد تفرقوا في كل ناحية يطلبون القديس مرقس الى ان وجدوه في مكان اختفايه مكملا الذبيحة الالهية * حيث ربطوه من عنقه بحبلٍ ضخم . وسحبوه في الطرق والشوارع طول النهار حتي ان الاراضى انصبغت بدمايه وتمزقت لحمانه وتناثرت ههنا وهنا من دون ان يفه القديس بشي اخر الا بالشكر لله الذى اهله لان يحتمل من اجل اسمه نوع هذا الاستشهاد * واذ طرحوه اخيراً في هذه الحال المرثي لها في السجن تلك الليلة . ففي

صباحها اخرجوه صانعين به نوع القساوة ذاتها بسحبهم اياه مربوطا من فوق الصخور وفي الازقة المحجرة * فعلى هذه الصورة اسلم روحه البارة بيدي الله في مثل هذا اليوم الذي هو الخامس والعشرون من شهر نيسان سنة ٦٨ * فالكفرة لم يكتفوا بموته على هذه الصورة البربرية . بل حرقوا جسده بالنار * التي اذ لم تفنِ اعضاه كلها . فالمومنون بعنايةٍ كلية جمعوا ما فضل منها ودفنوها بالقرب من الاسكندرية . وقد اضحى قبره مجيدًا ومكرمًا من المسيحيين بعبادةٍ كلية حتى انهم كانوا ياتون من امكنة بعيدة لزيارته * ومن جملتهم نقرا في تاريخ الجيل الرابع عن الكاهن القديس فيلور وموس انه سافر من اقليم غلاطية وكبادوكيا الى الاسكندرية ليزور هذا القبر الجليل . الذي تشيدت فيما بعد عنده كنيسة مفخمة مع دير عظيم ثبتا لحد الجيل الثامن شايعي الذكر *

خامسًا فالكرسي الاسكندري الذي في الاجيال الاولى كان هو المتقدم على جميع كراسي العالم من بعد الكرسي الروماني قد دُعي دايمًا كرسي القديس مرقص الانجيلي . وقد حفظ في كنيسة الاسكندرية لحد الجيل السادس اوموفوريون القديس المذكور نفسه او وشاحه الكنايسي . كما يتضح من التاريخ الاكثر تدقيقًا * وجميع البطاركة الذين جلسوا في هذه السدة الاسكندرية بعد القديس مرقص . كان يلتزم كل منهم بعد انتخابه خليفةً لهذا القديس بان يضع في عنقه الاوموفوريون المذكور قبلاً . ثم ياخذ تملك وظيفته الرعائية * واما الذي خلف القديس مرقص في هذا الكرسي حالاً بعد استشهاده فكان تلميذه القديس انيانوس الرجل الجليل الذي كان قلبه نظير قلب الله يعرف جميع مشياته ويتممها *

فالباري تعالى قد اراد ان تحرر في سجل كتابه الالهي سقطات البعض من مختاريه القديسين نظير خطية داود النبي بالفسق والقتل . وخطية القديس بطرس بجحوده المسيح ولين فعل ذلك بالفم لا بالقلب . وخطايا اخرين غيرهما لكي يظهر عزَّ وجلَّ في الاجيال كلها اولاً حنوه ورافته الغير المتناهية نحو الخطاة الذين يرجعون اليه من كل قلوبهم متممًا مواعيده الامينة في انه لا يرذل القلب المتخشع المتواضع بل انه يمنح الصفح والغفران للتايبين عما اذنبوه بمخالفة ناموسه الالهي . ثانيًا لكي يتخذ الخطاة من ذلك نموذج التوبة التي صنعها اوليك الانام بعد سقطاتهم . وهكذا من يتشبه بهم بالخطية فيتشبه ايضًا بهم بالتوبة التي هي ضرورية للجميع من دون استثناء * على ان من لم يخطي فلا يحتاج الى

التوبة . ولكن ترى من هو ذاك الذي يعيش في هذا العالم بعد سن التمييز ويمكنه ان يدعى بعدم الزلل * فالرسول الحبيب يوحنا الانجيلي يقول: «فان نحن قلنا ان لا خطية لنا فانما نضل انفسنا والحق ليس هو فينا * وان نحن اعترفنا بخطايانا فهو تعالى امين وعادل لان يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من جميع اثامنا» (يوحنا اولى ص ١ ع ٨) * فاذاً من حيث اننا جميعاً نحتاج الى صنيع التوبة * فلنثق بالمراحم الالهية . ولنقتفِ اثر الذين سقطوا ونهضوا حالاً مثابرين على اعمال التوبة التي هي الدفة الوحيدة لنجاتنا من الغرق الجهنمي ومن دونها لا يمكننا نوال الحبوة الابدية *

* اليوم السادس والعشرون *

* وفيه تذكار الشهيد في الكهنة باسيلبوس استف اماسيا *

اولاً انه ولين كانت العناية الالهية وهبت الكنيسة الجامعة الراحة من اضطهادات الملوك القياصرة الوثنيين وذلك بواسطة ايابها نعمة الايمان بالمسيح للملك قسطنطين الكبير الذي رفض ضلال عبادة الاصنام واعتنق الديانة المسيحية واضحى محامياً عن الكنيسة الجامعة مجتهداً في ابادة الاوثان وفي هدم مذابحها ودثار معابدها . فمع ذلك قد تكبدت في زمانه الكنايس الشرقية اضطهاداً قاسياً بربرياً من قبل رداوة ليكينيوس قيصر * الذي كرهاً من اعمال قسطنطين الكبير التقوية وكيداً فيه . قد استعمل ضد المسيحيين الذين كانوا تحت ولايته في المشرق انواع اغتصاباتٍ وعذاباتٍ واضرار فايقة الوصف منذ سنة ٣١٩ الى سنة ٣٢٣ *

ثانياً على ان هذا الملك المنافق اذ اشهر الاضطهاد المذكور . فقبل كل شي وجه مفاعيل غضبه ضد اوليك المسيحيين الذين كانوا مقامين في وظايف مختلفة فيما بين اكابر دولته * فقد نزع عن البعض من هولا وظايفهم . وارسل البعض الى المنافي . واستولى على ارزاق الاخرين منهم وعلى املاكهم معربا اياهم من كل موجودٍ . ووضع غيرهم في رتبة العبيد والاسراء . وكثيرون قد اضطروا لان يعيشوا من التسوّل والصدقة * ثم بعد هذا قد اتبع ليكينيوس اثر القياصرة الاولين بايقاده نار الاضطهاد ضد الاساقفة وخدام الانجيل . لانه كان يظن بانه متى ضرب الرعاة فتتبدد خراف الرعية بكل سهولةٍ * ولهذا فالاساقفة الاسمى في القداسة والاعظم في التعاليم الالهية والفضايل الجليلة والعوايد الصالحة والخصال

الحميدة قد عوملوا منه بظلم وبقساوة وافتراء كانهم لصوص قتلة وتكبدوا باوامره الشريرة وباحكامه النفاقية كل نوع من العذابات الاشد صرامة والاعظم شناعة *

ثالثاً فكان احد هولا الاساقفة الشهدا الاكثر اشتهاراً واعتباراً القديس باسيليوس اسقف اماسيا راس مدن اقليم البنطس . الذي تم استشهاده على النوع الاتي ذكره * ففيما بين الجواري اللواتي كنّ في خدمة الملكة امراة ليكينيوس . كانت توجد جارية تدعى غلافيرا * التي اذ تحققت ارادة هذا الملك الاثيمة في اعتماده على فساد نقها ومضاجعتها . فلكي تنجي ذاتها من هذا الدنس الفسقي قد اتبعت مشورة سيدتها الملكة وهربت من مدينة نيكوميدية التي كان ليكينيوس يجعل اقامته الاعتيادية فيها * وانطلقت سراً اخذة صحبتها مبلغ عظيم من المال . جايلة من مكان الى اخر حتى وصلت الى مدينة اماسيا . حيث قبلها القديس باسيليوس راعي هذه المدينة كمسيحية *

رابعاً فلما فحص الملك المذكور عن غلافيرا وعرف اين كانت . ابرز امراً بالقبض عليها وعلى الاسقف القديس باسيليوس وباحضارها الى نيكوميدية * فغلافيرا قد استطاعت ان تجد الفرصة الملايمة لهربها من ايدي خدام الشريعة . الذين قبضوا على القديس باسيليوس وقيدوه بالسلاسل وذهبوا به الى مدينة نيكوميدية * فاذ مثل امام ليكينيوس . فهذا المغتصب قد وبخه بجفاوة . الا ان القديس بغيرة متقدة وبشجاعة غير مغلوبة قد اظهر له ضلاله وماثمه ونفاقاته وقبايحه وافتراه على الاسم المسيحي * فالملك قد اصدر عليه حكومة الموت بقطع الراس . وهذه الحكومة الظالمة بلغت مفعولها حالاً . فقطع السياف هامة الراعي القديس وطرح جثته وهامته في البحر الواحدة مفترقة عن الاخرى غير انه بنوع فايق الطبيعة قد اتحد الجسد مرافقاً للراس يطوفان على الماء سايرين . الى ان حصل البيديفوروس على رويا سماوية منها عرف مقرهما بواسطة ملاك . فاخذهما ودفنهما في اماسيا بكل احترام ووقار *

فالرسول الالهي يقول في العدد الثاني والثلاثين وما يتلوه من الاصحاح العاشر من رسالته الى العبرانيين هكذا : « يا اخوة كرروا تذكر الايام السالفة . التي لما استناضتم فيها صابرتم جهاد الام كثيرة . فمن جهة حصلتم مشهورين بتعييرات وغموم . ومن جهة صرتم شركا الذين تصرفوا هكذا . لانكم رثيتم لقيودي واقتبلتم اختلاس موجوداتكم بفرح

« عالمين ان لكم في السموات ملكًا افضل من تلك وباقيًا » * فهذه الالفاظ بمقدار ما تطابق حوادث الاضطهاد المنوه عنه الذي به احتمل المومنون اختلاس موجوداتهم بفرح من اجل اسم المسيح . فباكثر من ذلك هي ذات تعزيـة للمصابين بالشدايد والاضطهادات والخسايروالاضرار في ان لهم عوضها ملكا افضل منها في السموات باقيا * ومن ثم يتبع الرسول الالهي كلامه السابق بقوله : « فلا تطرحوا دالتكم التي لها عطية الجزاء عظيمة لان بكم حاجة الى الصبر . حتى اذا عملتم مشية الله تحتضنون الموعد » * فلنفرح اذًا في حلول المصايب او قلما يكون فلنقبلها بالصبر وبتسليم الارادة لله نظير ابنا خاضعين لمراسيم ابيهم . لكي نحتضن الموعد في الاخدار السماوية *

* اليوم السابع والعشرون *

* وفيه تذكار الشهيد في الكهنة سمعان اخي الرب *

اولاً ان القديس المجيد سمعان هو من ذرية ملوك يهوذا وابنٌ لكلاوبا الذي يُظن بالصواب بانهُ كان اخًا للقديس يوسف خطيب والدة الاله وابنًا لمريم زوجـة كلاوبا المدعوة لهذا السبب اخت سيدتنا مريم البتول عينها . وبالتالى هو نسيبٌ لمخلصنا يسوع المسيح بقرابةٍ جسدية نظرًا لناسوتهِ الالهي * فحسب اصطلاح اليهود الذين يسمون الاقربا الدمويين لاسيما اولاد الاعمام واولاد الخالات اخوةً . فالقديس سمعان مع اخويه الطبيعيين القديسين يعقوب المدعو الصغير ثم يهوذا المسمى ايضًا تداوس اللذين هما من عدد الرسل الاثني عشر . قد حصلوا بموجب الاصطلاح اليهودي المومي اليه على هذه التسمية اى اخوة المسيح * ولذلك فالانجيليون انفسهم على هذا النوع دعوا هولا القديسين اخوة للرب يسوع * فليس من دون اساس كلي يعتقد بان القديس سمعان كان من اول تلاميذ مخلصنا السبعين . وكان دايمًا برفقته تعالى في ثلث سنين الانذار من حيث ان اباه كلاوبا وامه مريم كانا من الملازمين خدمة فادينا والتابعين اياه في كل مكان * ومن الواضح انه اى القديس سمعان كان موجودًا صحبة الرسل الاثنى عشر وتلاميذ الرب في العلية الصهيونية في اليوم الخمسيني . الذى فيه حسب سابق وعد مخلصنا قد انحدر الروح القدس عليهم شبه السنة نارية . وامتلاوا جميعهم من هذا الروح الالهي نفسه ومن مواهبهِ المقدسة كما يوضح سفر الابركسيس *

ثانيًا واما ماذا كانت اعمال القديس سمعان الخصوصية نظرًا الي حقايقها وظروفها . فهذه هي غير معروفة بتدقيق بل اننا نعلم بما جاء عنه في التاريخ الكنايسي انه حينما تفرقت الرسل القديسون مع تلاميذ الرب في كل العالم ليكرزوا بالانجيل . فالقديس سمعان بقي في اليهودية ليرشد المقبلين الي الايمان بالمسيح من اليهود انفسهم بالشريعة الانجيلية . ويجتهد باكتساب الاخرين الي الامانة * ثم ليساعد اخاه القديس يعقوب بالخدمة الرعائية التي بها اقيم اسقفًا خصوصيًا لمدينة اورشليم . وامرٌ محقق هو انه كان هذا القديس اى سمعان موجودًا في المدينة المذكورة حينما قتل اليهود اخاه الرسول يعقوب في السنة الثالثة والعشرين من بعد قيامة فادينا من بين الاموات * ولذلك قد وبخ اليهود بشجاعةٍ عظيمة مبرهنًا لهم شناعة اثمهم وتفاقم غباوتهم وعظم قساوتهم بقتلهم رجلا هكذا بارًا صالحًا قديسًا صديقًا *

ثالثًا فاية قداسةٍ سامية كان متصفًا بها القديس سمعان واية استحقاقات وصفات جليلة كان مزينًا بها . فهذه تظهر بكفاية من ان الرسل القديسين وتلاميذ الرب ومتقدمي الشعب المومن حينما التيموا لينتخبوا راعيًا خصوصيًا لكنيسة اورشليم . التي كانت وقتيذٍ بمنزلة امٍ لساير الكنايس . حيث منها انتشأت الديانة المسيحية . فلم يروا احدًا ذا استحقاق اعظم وصفات اكمل من القديس سمعان . ومن ثم بصوتٍ واحدٍ وباتفاق تام قد اقاموه اسقفًا لتلك الكاتدرا خليفةً لاخيه الشهيد القديس يعقوب * فبعد ان تسلم هذا الراعي الرسولى سياسة الكنيسة المذكورة بمدة وجيزة اي نحو سنة ٦٦ للمسيح التي فيها نال اكليل الشهادة القديسان الرسولان بطرس وبولس . ففيها ابتدا ان يحدث في اورشليم الخراب والدثار السابق الانذار عنه من النبي دانيال وغيره واخيرًا من فادينا يسوع المسيح * على ان كثيرين من الشعب اليهودى الذين ارادوا ان يطرحوا من اعناقهم نير الطاعة للملك فاسباسيانوس قيصر . قد صنعوا تحزبات وارتباطات ونهضوا غفلةً فقتلوا جميع العساكر الرومانيين الذين كانوا محافظين مدينة اورشليم في ثلثة امكنة من ابراجها الامر الذي اوجب في كاستيوس قايد العساكر الرومانية العام ان يحضر بالجيوش ويحاصر اورشليم مدةً ليست بوجيزة * غير انه التزم بعد ذلك ليس من دون خسارةٍ وافرة بان يرفع الحصار عن المدينة . الاان هذا الامر لم يفد العبرانيين لان ينجوا من الويل والوعيد

بالانتقام الالهي من تلك المدينة قاتلة الانبيا وراجمة المرسلين اليها . بل احاق بهم ذلك حسبما استحقت اعمالهم الاثيمة ❋

رابعاً فالملك فاسباسيانوس قد عين من جديد بسلطان مطلق كاستيوس قايد العساكر العام بان يرجع بقوة عظيمة من الجيوش لمحاربة اورشليم . غير انهُ قبل رجوعهِ ضد هذه المدينة . قد عرف المسيحيون بواسطة اعلانٍ الهي أُوحي به لمتقدميهم في انه قد جاء الزمان الذي بموجب امر مخلصنا السابق كان يلزمهم ان يهربوا من اورشليم الى الجبال ليفوزوا بالنجاة من الانتقام الذي كان مزمعاً ان يحل بها * فلهذا قد التيهوا معًا صحبة راعيهم القديس سمعان وخرجوا كافةً من اورشليم المنكودة الحظ . واجتازوا الاردن . والتجاوا قاطنين في مدينة كانت تسمى بالاَّ . حيث مكثوا يعيشون تحت ارشاد اسقفهم القديس متحدين باشد ارتباط بوثاقات المحبة الكاملة . من دون ان يشتملهم الحزن من قبل ابتعادهم عن وطنهم الارضي لاجل ان اشواقهم الوحيدة كانت متجهةً نحو ذلك الوطن الطوباوي في اورشليم الحقيقية التي هي حرة وهي امنا كلنا في السماوات ❋

خامساً فبعد ان جاءت العساكر الرومانية مع قايدهم المذكور ضد اورشليم . وكذلك تيطس قيصر ابن الملك فاسباسيانوس واكملوا الوعيد الالهي بهدم المدينة والاسوار وبخراب هيكل الرب . وباخذ اليهود الذين بقوا في الحيوة بعد الذين ماتوا من الجوع والفنا والسيف اسارى الى رومية وغيرها . وهذا قد تم سنة ٧٠ للمسيح . فحينيذٍ القديس سمعان مع ابناء رعيتهِ قد رجعوا مجتازين الاردن الى اورشليم المهدومة . وسكنوا هناك بقدر ما امكنهم ان يصلحوا الامكنة الملايمة لذلك * وبهذا النوع يمكن ان يقال انهم اقاموا اورشليم جديدةً وقديسةً ليست كالاولى بقداسة سيرتهم . وطهارة تصرفاتهم . وتقاوة عوايدهم الصالحة . وعبادتهم الحقيقية لله بالروح والحق * وعلى هذه الصورة قد تاسست مملكة المسيح الروحية فوق خراب اورشليم كرسي ملوك يهوذا وتخت مملكة داود . ثم تشيدت ديانتهُ تعالى الحقيقية فوق اثارات دثار الديانة اليهودية التي كانت ظلاً ورمزًا لها . وهكذا زال الفي والظل والرمز والتمثال وتوطدت الحقيقة ❋

سادساً الا ان القديس سمعان بمقدار ما كان من الجهة الاولى متعزيًا ومسرور القلب عند مشاهدتهِ النمو الروحي في رعيتهِ ومفاعيل عناية الله في انتشار الايمان بالمسيح وتاييده

فباكثر من ذلك من الجهة الاخرى كان حريصاً ومجتهداً في ان ضلال الارتقات التي ابتدات ان تنتشي من الكارينتيانيين والابيونيين والنيقولاويين وغيرهم لايمتد الى خرافهِ الاورشليميين * ولذلك كان بغيرةٍ متقدة يسهر على هذا الامر ويقاوم هذه الاضاليل . باذلاً جهدهُ في ان يحفظ التعليم الالهي الذي كان تسلمهُ من المسيح نفسهِ وسلمهُ لتلك الرعية في نقاوتهِ وقداستهِ من دون انثلام . وبنوع خاص وُجد هذا الراعي ملتزما بان يستعمل غيرتهُ في مقاومة رجل مسيحي كاذب يدعى طابوتوس . الذي كان اقبل الى الايمان من الديانة اليهودية . ولكنه اذ اجتهد بان يحصل على شرف الدرجة الاسقفية ولم ينل ذلك قد اعلن ذاتهُ عاصياً على السلطة الكنايسية . واخترع ضد الايمان غلطاتٍ اراتيكية * وهذه كانت الاضرار الاولى التي ابتدأت ان تسببها لكنيسة المسيح شهوة محبي الرفعة الكنايسية الغير المروضة ورغبة اختلاس الكراسي الاسقفية باي نوعٍ كان *

سابعاً ثم ان الباري تعالى قد حفظ صفيهُ سمعان الجزيل القداسة مدةً مستطيلة من من الزمان في الحيوة لاجل افادة المومنين الاورشليميين . الذين كانوا بمقدار مشاهدتهم هذا القديس واستماعهم صوته الرعائي وتعاليمهُ الانجيلية فباكثر من ذلك كانوا يزدادون نمواً روحياً وتاصلاً في الايمان ونجاحاً في الفضايل وتعمقاً في حقايق التعاليم الالهية * ولهذا قد نجاه عزَّ وجلَّ من خطر الموت الذي كان الم به من قبل اوامر الملكين فاسباسيانوس ودوميتسيانوس . التي بموجبها كان يفحص عن الذين كانوا بقوا في الحيوة من ذرية الملك داود . ليقتلوا كيلا يعود لليهود سببٌ لاظهار عصاوةٍ ما ضد السلطة القيصرية * ولكن حينما جاء فيما بعد الزمن الذي فيه اراد الله ان يكلل استحقاقات عبده البار العظيمة في السما اذ كان بلغ من العمر الى السنة المايةِ والعشرين . فقد سمح تعالى في زمن الملك ترايانوس قيصر الذى هو ايضاً ابرز اوامر ملوكية في ان يصير الفحص المدقق ان كان بقي في الحيوة احد من نسل داود الملك . فقد وُجد البعض من اليهود الذين كشفوا لدى اتيكوس والي بلاد فلسطين ان القديس سمعان كان من ذرية داود * فهذا الوالي قد امر بان يقبض عليه بحسبما هو من نسل ملوك يهوذا . ثم بحسب كونهِ مسيحياً بل معلم المسيحيين ورييسهم * واذ أُحضر الى ديوانهِ قد وضعهُ تحت العذابات الشديدة المختلفة الانواع في مدةٍ من الايام . الا ان القديس قد احتمل ذلك بصبرٍ عجيب وبشجاعةٍ غريبة .

حتى ان الوالي نفسهُ مع كل الذين شاهدوا هذه الحال قد امتلاوا انذهالاً . ولم يمكنهم ان يدركوا كيف ان رجلاً ابن ماية وعشرين سنة يستطيع ان يتكبد انواع عذابات هكذا شديدة ومستطيلة بصبرٍ تام من دون ان يفقد الحيوة * فاخيراً قد حكم الوالي عليه بالموت مصلوباً . وهذه الحكومة قد كملت بالفعل بتعزيةٍ لاتوصف للقديس ان يشاهد ذاته ممثلاً بمعلمهِ ومخلصهِ والههِ . مكملاً خدمته الكهنوتية بتقدمته ذاته قرباناً على عود الصليب وكان استشهاده بهذا النوع سنة ١٠٧ للمسيح . والكنيسة اللاتينية تصنع تذكاره المجيد في اليوم الثامن عشر من شهر اشباط * ثم انه في سنة انتقال هذا القديس الى الحيوة الابدية قد انتهى (حسب راي الكتبة الكنايسين العام) الزمان المدعو : الرسول : اي الحاوي اوليك الاشخاص الذين شاهدوا المسيح على الارض وسمعوا من فمهِ تعالى كلمة الحيوة * وقد سمح الله بان الاشخاص الذين كشفوا للوالي انيكوس حقيقة تسلسل القديس سمعان من ذرية داود قد سقطوا هم انفسهم في الفخ . اذ وُجد من اوضح لهذا الوالي حقيقة اصلهم من نسل داود . ولاجل هذه العلة فقط وليس لاجل الايمان بالمسيح قد أُميتوا نظير القديس من دون ان يحصلوا نظيره على المجد الابدي *

فلم تكن افادة القديس سمعان شيا قرابتهُ الجسدية للمسيح . كما انها لم تفد الانسبا الاخرين الذين لم يومنوا به تعالى . لو لم يكن هذا البار صير ذاته نسيباً حقيقياً له عزَّ وجلَّ بالروح . اي باتباع تعاليمهِ ونموذجاتهِ الالهية وبحفظ شريعتهِ الانجيلية بالتدقيق * فهكذا نحن لايفيدنا شيا شرف تسميتنا مسيحيين وسمو مرتبتنا بالتبني لله بالوضع ان كنا لانضع بالعمل ما تطلبهُ منا واجبات الديانة المسيحية والسلوك بموجب الوصايا الانجيلية حايدين عن الشر . وصانعين الخير . وطالبين السلام . وساعين في ابتغايهِ الى ان ندركه في الحيوة الابدية *

* اليوم الثامن والعشرون *

* وفيه تذكار القديسين التسعة الذين من كيزيكو والبارمانونس *

اولاً انه بموجب الاورولوجيون اليوناني والمينولوجيون الباسيلي يوجد تذكار هولا القديسين الشهدا التسعة معينا في نهار غدا اي في تسعة وعشرين نيسان لا في اليوم الحاضر المعيّن فيه بموجبها تذكار الرسل والشهدا . الذين بحسب الميناون العربي يكمل تذكارهم

نهار غدا * واما اعمال استشهاد هولا التسعة القديسين في مدينة كيزيكو فنوردها باختصار على الصورة الاتى ذكرها ❋

ثانيًا فالقديسون الشهدا روفوس وانتيبطروس وافتيشيوس وارتاماس وماغنوس وثاوضوطوس وسافاسيوس وفيليمون وثاوغنيس كانوا من اقاليم وبلاد مختلفة * وقد وُجدوا معًا في مدينة كيزيكو منذرين بالمسيح . في الوقت الذي فيه كانت مضطرمة نيران الاضطهاد ضد المسيحيين * فمن ثم التيمت جموعٌ من الوثنيين . وقبضوا على هولا القديسين واحضروهم امام الوالي © الذي بعد ان فحصهم ووجدهم ثابتين على الاعتراف بالمسيح . قد صيرهم ان يُضربوا بشدةٍ . ويُعذبوا بقساوةٍ . ويُطرحوا في السجن ❋

ثالثًا ثم بعد ذلك اخرجهم من الحبس . وامرهم بان ينكروا يسوع المسيح . ويقدموا الضحية للاوثان * ولكن هولا الابطال الشجعان في جندية ملك المجد ليس فقط رفضوا قبول هذا الامر النفاقي . بل ايضا طفقوا يجاهرون بالعقايد الدينية . ويزدرون بطغيان العبادة الوثنية وبفساد ضلالها . مستهزئين بخرافاتها . محتقرين الوالي الضال . غير مبالين بتهديداتهِ . فلهذا قد ابرز المغتصب عليهم حكومة الموت بقطع روسهم . فاذ جز السياف هاماتهم المكرمة . قد فازوا باكلة المجد من اليمين الضابطة الكل . مكافاةً عن اعمالهم الرسولية وعن سفك دمايهم من اجل حبهِ تعالى شهادةً على حقيقة الايمان المسيحي وقد دُفنت اجسادهم في مدينة كيزيكو . حيث شرف الله ضرايحهم بعجايب كثيرة قد صنعها تعالى بواسطتهم . لازدياد مجد الديانة ولتكريم اعضايهم المتقدسة في الارض . حينما كانت انفسهم ما لكةً وقتيذٍ والان والى الابد مع المسيح في السعادة السرمدية ❋

❋ مختصر سيرة البار مانونس ❋

اولًا ان المجموع البولانديستي في الوجه ٥٧٨ من المجلد الثالث على شهر نيسان يخبرنا عن القديس مامنوس المسمي هكذا يونانيًا ولاتينيًا في جميع المينولوجيونات وليس مانونس كما يسميه غلطا الميناون العربي . بانه بمقدار ما ان ذكره شايعٌ مكرمٌ في الكنيسة الجامعة التي لقبته بصانع العجايب لاجل كثرة الجرايح والايات التي صنعها الله بواسطتهِ . فهكذا هو امرٌ يوجب الاسف ان التاريخ الكنايسي لم يحفظ الى هذه الاحقاب الاخيرة لااسم مكان مولدهِ . ولا ذكر محل نسكهِ وسياحتهِ . ولا الجيل الذي عاش فيه . بل ان جميع ما تبقى

لنا عن سيرة حياتهِ . فهو الشي المدون عن ذلك في المينولوجيون الباسيلي بالنوع الاتي ايراده

ثانيًا فهذا البار مامنوس اذ سمع يومًا ما الانجيل مقروًا بان من لا يترك اباهُ وامهُ واخوتهُ واخواتهِ والبيوت والحقول لا يقدر ان يكون لمخلص العالم تليذًا . فحالاً قد تورَّع متخشعًا . واهمل العالم بما فيه . وترهب مروضًا ذاته في الفضايل كافةً مثابرًا على افعال الصلاح بجملتها . حتى انهُ اضحى اناءً منتخبًا وهيكلاً حيًا للروح القدس ۞ واذ اخضع جسمهُ بكليتهِ للروح بواسطة اماتة حواسهِ الشافة وظهر كملكٍ مسلطا على ذاتهِ والامهِ جميعها . قد اختير ريسًا عامًا لجمعية الرهبان الذي كان عايشا فيما بينهم بحسب قانونهم ❋

ثالثا فقد استسار هذا البار ايام حياته كلها كملاكٍ سماوي احرى مما انه كان انسانا ارضيا . ولذلك قد منحهُ الله موهبة صنيع العجايب . حيث انه كان يشفي الامراض العضالة التي كانت تعجز الاطبا عن شفايها . ويصنع افعالاً فايقة الطبيعة بانواع عديدة ❋ التي من جملتها هي ما يورده الابا مولفوا المجموع البولانديستي في الوجه المذكور اعلاه . ان ركَّاب مركبٍ حينما داهمهم الغرق المبيد في لجة البحر واستغاثوا بصلوات هذا البار . الذي كان وقتيذٍ اسمهُ شايعا في صنيع العجايب . فحالاً ظهر لهم القديس نفسهُ . وزجر عنهم الريح والبحر . فصار هدوٌ عظيم . وهكذا بلغوا الى المينا سالمين ❋ ثم بعد ان امتلأ هذا البار من السنين والاستحقاقات . وافى باتعابهِ واعراقه صير قطعان الله الرهبان الذين كانوا تحت تدبيره قد رقد بالرب رقود القديسين الابرار الذين كريمٌ هو موتهم لدى الرب ❋

فنحن اذًا لم نتخذ معنى الكلمات الانجيلية المتقدم ذكرها حرفيا كما اتخذه القديس مامنوس وغيره كثيرون بتركهم حقيقةً الاب والام والاخوة والبيوت والحقول وبالانفراد في العيشة الرهبانية النسكية الفقرية مطلقا . فقلما يكون يلزمنا ان نتخذها بالمعنى الروحي . اي ان لا ندع قلوبنا ان تتعلق بمحبةٍ غير مرتبة نحو شي من الاشيا الزمنية مهما كانت عزيزة لدينا . حتي ولو احتجنا من اجل حفظ ناموس الله وواجبات حبنا اياه تعالى فوق كل شى ان نترك اباءنا وامهاتنا واخوتنا وبيوتنا واملاكنا لكيلا نغيظهُ عزَّ وجلَّ بخطية ما مميتة . اذا كانت هذه الموضوعات تسوقنا اليها او تسببها لنا . فالقديسون الذين تمموا هذا القول الالهي حرفيا . قد فعلوا افضل . ولكن اذ لم يكن الجميع مدعوين لسيرة النسك خارجا عن العالم . فيلزم اوليك الذين يعيشون ضمنهُ ان يستسيروا بالنوع الذي يشرحهُ الرسول

الالهي بقوله: «ان الوقت منذ الان قد انكف . ليكون الذين لهم نساء كمن ليس لهم «نساء . والذين يبكون كانهم لا يبكون . والذين يفرحون كانهم لم يسروا . والذين «يبتاعون كانهم لم يملكوا . والذين يستعملون هذا العالم كانهم لم يستعملوه» (قرنتية اولى ص ٧ ع ٢٩) * فمن يعيش اذاً بهذا النوع يمكنه ان يكون تلميذاً للمسيح في هذا العالم ووارثاً ملكوته في العالم الاتي *

* اليوم التاسع والعشرون *

* وفيه تذكار الرسل القديسين ياصن ورفقته والشهدا ضاضا ورفقته *

اولاً في السنكسار اليوناني في ٢٨ نيسان اي نهار امس يعين اسمي القديسين الرسولين ياصن وسوسيبطرس فقط . وبالتالى انهما رسولان وليس جمع رسل . فنظراً الى القديس ياصن او بالحري ياصونوس فهو احد تلاميذ الرب . حسبما يدعوه السنكسار الروماني في اليوم الثاني عشر من تموز الذي فيه الكنيسة اللاتينية تصنع تذكاره * اما الاصحاح السابع عشر من سفر الابركسيس فبعد ان يوضح كيف ان القديسين بولس وسيلا انذرا بالمسيح في مدينة تصالونيكية . فاليهود الذين لم يذعنوا لهما قد حسدوهما وتناولوا قوماً من السوقة رجالاً اشراراً واجتمعوا جميعاً . واهاجوا المدينة . ثم وقفوا بمنزلة ياصونوس الذي كان قاطناً وقتيذٍ في تصالونيكية . لان اصله ومولده كانا من هذه المدينة وفيها اقتبل الايمان بالمسيح سنة ٥٢ حينما ذهب الى هناك القديس بولس منذراً بالانجيل واذ تلمذ لهذا الرسول خاصةً . فانزله في بيته مع القديس سيلا . ولهذا قد حضر اوليك اليهود الضالون الى منزل ياصونوس . طالبين الرسولين ليحضروهما الى الجمع * فاذ لم يجدوهما سحبوا ياصونوس وقوماً من الاخوة الى روسا المدينة وهتفوا ان اللذين قد افتنا المسكونة قد حضرا ههنا واضافهما ياصونوس . وهولا كلهم يعلمون ما يضاد قيصر قايلين ان يسوع ملك اخر . فاهاجوا الجمع وروسا المدينة اذ سمعوا هذه الاقوال . فاخذوا ضمينا من ياصونوس ومن الباقين واطلقوهم *

ثانياً وكان القديس ياصونوس نحو سنة ٥٧ صحبة القديس بولس الرسول في بلاد اخائيا وقرنتية . لانه اذ حرر رسالته الى الرومانيين من هناك . فبلغ الرومانيين السلام عن لسان القديس ياصونوس بقولهِ: «يقريكم السلام تيموناوس مساعدي ولوكيوس

و ياصونوس وسوسيبطرس انسباي : (رومية ص ١٦ ع ٢١) * فمن هنا يبان انه كانت توجد قرابة ما فيما بين رسول الامم الالهي وبين القديسين ياصونوس وسوسيبطرس * فالقديس يوحنا فم الذهب في تكلمه عن هذين القديسين يعتبر حسنا انهما . ولين كانا مرتبطين مع الاناء المصطفي معلمها بوثاقات قرابة اللحم والدم كما هو واضح من كلماته المقدم ذكرها في رسالته الى الرومانيين فمع ذلك لم يكن قط حرر اسميهما واعلن قرابته لهما لو انهما لم يكونا مرتبطين معه بالاحرى بوثاقات الايمان بالمسيح وبشدة الحب نحوه تعالى وبحرارة الغيرة على خلاص الانفس وبالانذار ببشارة الشريعة الانجيلية *

ثالثا فاما نظرا الى باقي اعمال القديس ياصونوس الرسولية وساير تصرفاته الاخر مع كيفية نهاية حياته . فهذه ولين كان التاريخ الكنايسي فضلا عن الكتاب المقدس لم يحفظ لنا عنها ايرادا واضحا . فمع ذلك لا شك بانها كانت اعمالا سامية مقدسة تليق باوليك الرجال الرسوليين وبمن كان تلميذا للاناء المصطفى . مشاركا اياه في الاتعاب والاضطهادات التي احتملها من اجل كرازة الانجيل * ويظن بالصواب انه اى القديس ياصونوس قد انهى حياته شهيدا . مثبتا باهراق دمه الحقايق التي تعلمها وانذر بها *

رابعا واما القديس سوسيبطرس فهذا كان مولودا في مدينة بيريا . ومن المحتمل جدا انه اعتنق الايمان بالمسيح سنة ٥٢ عينها . حينما مضى الرسول الالهي الى هذه المدينة كارزا بالانجيل * وكان دخوله في هذه الامانة باقتناع وثبات هذا حدهما . حتي انه شرع ينذر الاخرين بها . وصار مبشرا في الاصقاع . رفيقا لمعلمه ونسيبه رسول الامم . ولو انه عرف بالتجربة ان المنذرين بهذه الديانة الجديدة لم ينلهم من اهل العالم الا الاضطهادات والشتايم والقيود والحبوس والضرب ومخاطر فقد الحيوة الزمنية نفسها * فهذه كلها قد اعتبرها القديس المذكور فوايد عظيمة . بل كنزا يذخره لذاته في الحيوة العتيدة . اخذا من اجلها اكليل العدل الموعد به من فادينا يسوع المسيح للذين يجاهدون حسب السنة *

خامسا ثم لما اعتمد القديس بولس على مباينة بلاد اليونانيين راجعا الى اليهودية . معتزما ان يمر باسيا . فالقديس سوسيبطرس (جملة مع القديسين اريسطرخوس وساكوندوس اللذين كانا من تصالونيكية) قد رافق معلمه المذكور الى مدينة فيلبي في

مكدونية . ثم الى طرواذا ومنها ذهب معه الى بلاد اليهودية * ومن حيث انه معروف لدينا من الكتاب الالهي عينه كم قد احتمل رسول الامم في اسفاره هذه وامثالها من المشقات والمقاومات والافترا والاهانات والحبوس والرجم ومعاطب الطرقات والجوع والعرى والغرق والاحضار في دواوين الولات وما اشبه ذلك . فهذه ايضا كانت من دون ريب تلتحق برفقايه وتلاميذه ايضا الذين كانوا يجولون صحبته ويشتركون بما اصابه * وبالتالي ان القديس سوسيبطرس قد تكبد تلك الاشيا عينها . ولم تكن غيرته في الانذار بالمسيح جزئية اذ كان رفيقا لمعلمه الذي كان متقدا بهذا المقدار بنيران الحب نحو الله والغيرة على البشارة بشريعته تعالى الانجيلية *

سادسا فبهذه الاعمال الرسولية قد تصرف القديس سوسيبطرس باقي ايام حياته . حاملا نظير معلمه في جسمه وسوم جراحات الرب يسوع . مفتخرا بصليبه . مجاهدا من اجله . محتملا بفرح ما كان يلم به من قبل وظيفته الانجيلية الى ان انهى حياته شهيدا بالدم كما يعتقد بالصواب . ولين لم تكن اتصلت الينا معرفة ظروف الزمان والمكان التي تم فيها ذلك ۞ ثم ان الكنيسة اللاتينية تصنع تذكاره المجيد في ٢٥ حزيران *

فحسنا يقول القديس يوحنا فم الذهب في شان احتمال المكاره من اجل الايمان بالمسيح هكذا : « ان التالم هو عمل الايمان وثمرته . فاذا نحن ايضا ان تكن عندنا امانة حية « فنحتمل برضا كل ما يمكن ان يلم بنا * واذا لم نرد ان نحتمل شيا فهذا دليل على اننا لم « نومن كما يجب * انرى ان المكافاة التي وعدنا الله بها عن احتمالنا التالم لم تكن بهذا « المقدار عظيمة . حتى اننا نختار بالاحرى ان نتكبد من اجلها الف ميتة لو امكن لكي « نحصل عليها ونتمتع بها * فقد وُعدنا بملك السموات وبعدم الموت . وبسعادة ابدية . « فاي شي اذا يمكن ان يظهر لدينا كثيرا ان نحتمله لكي ننال خيرا هكذا عظيما » *

* اعمال استشهاد القديس ضاضا ورفقته *

اولا ان القديس ضاضا مع رفيقيه القديسين مكسيموس وكونيتيليانوس كانوا مولودين في مدينة دوروسطولوس ومتربين ضمن الديانة المسيحية التي تمسكوا بها حسنا . وقد وُجدوا في زمن ولاية مكسيميانوس قيصر في مبادي الجيل الرابع جملة في مدينة مكدونية * فالقديس مكسيموس كان مكرسا اناغنوسطا في البيعة وممارسا وظيفة مفسر ماهر للكتاب

المقدس . واما ضاضا وكونيثيليانوس القديسان فكانا متتلمذين له يستمعان منه برغبة كلية مع الاخرين شرح كلمة الله وتفسير اسرار الديانة ❋

ثانيًا فاعدا الايمان قد قرّفوا هولا الثلثة المسيحيين الافاضل لدى قنصل الاقليم طاركونيوس الذي كان وقتيذٍ واليا هناك من قبل مكسيميانوس قيصر تقريفات باطلة بغضة في ديانتهم الحسنة كمعلمين للمسيحيين . فهذا القنصل قد ارسل فقبض عليهم واحضرهم بازايه . وسالهم حسب عادة الدواوين الحكمية سوالات مختلفة * اما القديسون فاعترفوا امامه بدون خشية بل بشجاعة غير مغلوبة بالايمان بالمسيح . محتقرين على حدٍ سوى المواعيد والتوعدات . الامر الذي صير الوالي وقتيذٍ ان يكتفي بطرحهم في السجن ظنًا منه بانه يمكن ان ترتخي بهِ عزايمهم ❋

ثالثًا غير انه لما اخرجهم فيما بعد من الحبس وامرهم بتقدمة الضحايا لالهة المملكة وهم رفضوا ذلك علانيةً ولبثوا ثابتين على الاعتراف بالمسيح . فحينيذٍ قد صير الجلادين ان يسحبوهم على الارض مربوطين باطرافهم من اربع جهاتٍ . وان يضربوهم بقساوةٍ شديدة جلدًا عنيفًا الى الموت * واذ استمروا على اعترافهم بالايمان فيما بين هذه العذابات قد حكم عليهم بالموت بقطع الراس * فالجلادون جزوا هاماتهم المكرمة . وبهذا انتهى جهادهم المجيد وفازوا باكلة الظفر من اليمين الضابطة الكل في السما * واما اعضا اجسادهم التي دُفنت هناك من المومنين فقد نُقلت فيما بعد الى القسطنطينية وحُفظت فيها بكل احترامٍ ووقار . واما الكنيسة اللاتينية فتكمل تذكارهم المقدس في اليوم الثالث عشر من شهر نيسان الحاضر ❋

❋ اليوم الثلثون ❋

❋ وفيه تذكار القديس يعقوب الرسول اخي يوحنا الثاولوغوس ❋

اولاً ان القديس يعقوب الرسول اخا يوحنا هو المدعو يعقوب الكبير ليتميز عن القديس يعقوب الصغير سنًا المدعو اخا الرب . وهو اول اساقفة اورشليم الذي حررنا سيرته تحت اليوم التاسع من شهر تشرين الاول * فهذا الرسول يعقوب الكبير مع اخيهِ الاصغر منه سنًا القديس الرسول يوحنا الحبيب كانا مباشرين صنعة صيد السمك في بحيرة طبرية المدعوة ايضًا جينيصاريت او بحر الجليل حينما دعاهما يسوع المسيح لاتباعه

وهما من دون توقف قد تركا اباهما وكل شي وتبعاه * فبعد مدة اشهر قليلة من دعوتهما قد ادخل تعالي القديس يعقوب في عدد رسله الاثني عشر . كما انه عزّ وجلّ قد وضع لهذين الاخوين يعقوب ويوحنا اسمًا بونارجس اي ابني الرعد . وذلك دلالةً على غيرتهما الحارة التي اظهراها فيما بعد نحو مجد مخلصنا وخير الانفس *

ثانيًا فاحدى علامات غيرتهما قد ظهرت حينما كان معلمهما الالهي مع الرسل الاخرين ذاهبًا الي اورشليم ومرّ من على مدن السامرة واثر ان يبيت في قرية منها ولم يقبلوه . فهذان الرسولان احتدا بالغيرة . وطلبا الى مخلصنا ان ياذن لهما بان يجدرا نارًا من السما فيحرقا ذلك المكان والسكان فيه نظير ما كان ايليا النبي فعل مع اعداء الله * اما مخلصنا فاجابهما بانهما لم يكونا يعرفا باي روح كانا يريدان ان يفعلا ذلك كما يفسر القديس اغوسطينوس بان غيرتهما لم تكن نقية مجردة من الالام بل متحدة مع الحدة والغضب . ولهذا اعطف قوله تعالى لهما ان ابن الانسان لم ياتِ ليهلك نفوس الناس بل ليخلصها . مشيرًا بذلك لتلاميذه وللجميع بان روح انجيله وشريعته الجديدة ليس هو روح الصرامة والانتقام من الخطاة بل روح الحب والدعة والاتضاع لاكتساب الخطاة الي التوبة *

ثالثًا ثم ان هذا القديس مع اخيه قد خُصّا منه تعالي بعلامات حبٍ سامٍ . وغالبا قد ذكر في الانجيل المقدس جملةً . فهكذا قد اختارهما وحدهما عز وجل مع القديس بطرس لان يشاهدا تجليه على طور ثابور . وهما وحدهما خُصّا من فادينا ان يكونا مع القديس بطرس شاهدين على الاعجوبة التي بها اقام ابنة يايروس ريس اليهود . كما انه صنع نظير ذلك باخذهِ اياهما صحبة هامة رسله الي الجسمانية قبل الالام بساعات قليلة حيث قدم صلاته لابيه السماوي في بستان الزيتون *

رابعًا ولكن مع هذا وذاك فلم يكن هذان الرسولان ناجيين من الضعف البشري الذي كان مشتملاً على باقي الرسل ايضا قبل ان يقتبلوا جميعا الروح القدس الذي وعدهم فادينا بارساله اليهم . ومن ثم ليس فقط اشتركا مع الرسل في المراطنة عمن كان يظن فيهم انه الاكبر اي المتقدم . بل ايضا ارادا ان يحصلا منه تعالى على المرتبة الاولي في ملكه . ولذلك حركا والدتهما صالومي لان تلتمس منه ان ابنيها يحصلان على الوعد منه بان يجلس احدهما عن يمينه وثانيهما من عن يساره في مجده * فمخلصنا بعد ان استمع طلبة

صالومي هذه . التفت نحو يعقوب ويوحنا وقال لهما : « أتستطيعان ان تشربا الكاس التي انا اشربها وتصطبغا الصبغة التي انا اصطبغها » مشيرًا تعالى بالكاس والصبغة عن الامه التي كان عتيدًا ان يحتملها وعن موته على خشبة الصليب . ومريدًا ان يفهم استعدادهما ان كانا ثابتي العزم على ان يقتفيا اثر نموذجاته * فالرسولان قد اجاباه اي نعم انهما يستطيعان ذلك . فحينئذٍ قال لهما انه ولئن كانا يقدران على ان يفعلا نظيره . فمع هذا ان الرتبة الاولى في ملكه انما أُعدت لاوليك الذين اختارهم اليها الاب الازلي . وكأنه يقول نحوهما جلت عنايته ان نوال التقدم في ملكه لا يتوقف على ملاحظات بشرية او مراعاة خواطر . بل ان الذين يسعون مع نعمته الالهية ويستسيرون كجنود نجبا مجاهدين حسب السنة . فاوليك ينالون تمام ما أُعد من ابيه السماوي لهم من المكافاة . وانهما اذا ما استسارا بهذا النوع محتملين من اجل حبه الانعاب والمشقات والاضطهادات والالام . فيحصلان على التقدم في مراتب الاستحقاقات الواجبة للظافرين في الحروب الروحية *

خامسًا وبالحقيقة ان القديس الرسول يعقوب بعد ان اقتبل مع الرسل الاخرين في يوم العنصرة في غرفة صهيون ملء الروح القدس . اضحى من عدد الاشد غيرةً والاوفر نشاطا في الانذار ببشارة الانجيل المقدس . ليس في بلاد اليهودية فقط بل في الاقاليم الاكثر بعدًا ايضًا . حتى في مملكة اسبانيا كما يرتاي كثيرون * وبالتالي ان الانعاب والانصاب والجهادات والاضطهادات التي تكبدها في ذلك كانت عظيمة حتى انه حصل على الحظ السعيد في ان يكون اول من قدم حياته وسفك دمه من الرسل القديسين من اجل الايمان بالمسيح بعد صعوده تعالى الى السما بنحو اثني عشرة سنة * وكيفية استشهاده هي مسجلة في سفر اعمال الرسل على هذا النوع . وهو ان هيرودس اغريبا اذ كان يرغب ان يكتسب محبة اليهود نحوه لاسيما الكهنة والكتبة والفريسيين الاعدا الالدا ليسوع المسيح ولشريعة نجيله المنذر بها من رسله . قد قبض على القديس يعقوب وطرحه في السجن . ثم حكم عليه بقطع الراس . وهذه الحكومة قد كملت فعلاً *

سادسًا فالقديس اكليمنضوس الاسكندري الذي كان عايشا في اواخر الجيل الثاني يضيف الى ذلك بقوله « ان احد اليهود الذين سعوا بمسك القديس يعقوب وبحبسه وباحضاره امام هيرودس . فهذا عند مشاهدته الشجاعة التي بها اعترف هذا الرسول

بالايمان بالمسيح امام اوليك الضالين وسمع باذنيه البراهين التي قدمها في ذلك الديوان فهذه وتلك قد صيرتاه ان يوضح ذاته انه آمن بالمسيح * ولهذا قد حكم عليه هو ايضا بقطع الراس وأُخذ صحبة القديس يعقوب الى مكان القتل * ففيما كانوا سايرين بهما في الطريق طلب هذا المومن من القديس ان يغفر له ما اذنبه في حقه باشتراكه مع اليهود بالسعي في قتله . وبان يمنحه قبلة السلام * فالرسول في المبادي قد توقف عن اتمام ذلك . لانظرًا الى الغفران بل نظرًا الي معانقة اخوية لمن لم يكن بعد اصطبغ وتقدس في المعمودية * ولكن الباري تعالى قد اوضح له باطنا ان من يسفك دمه من اجله فذاك يحسب مصطبغا بدمه . الامر الذي يسد نقص اصطباغه بالما والروح * فحينيذٍ هذا الرسول قد عانق ذاك الشهيد وقبله قايلاً له : السلام لك * ولهذا اعتادت الكنيسة الجامعة ان تستعمل هذه القبلة وهذه الكلمات في الخدمة الرهبية قبل تناول سر الافخاريستيا ثم ان الجلادين قطعوا راس القديس يعقوب وراس ذلك الشهيد . وهكذا نالا معًا اكليل المجد الغير الفاسد . اما الكنيسة اللاتينية فتحتفل بعيد القديس يعقوب الرسول في اليوم الخامس والعشرين من شهر تموز *

فليحتسب كلٌ منا ان كلمات يسوع المسيح المقولة منه لرسوليه يعقوب ويوحنا : « أتستطيعان ان تشربا الكاس التي انا اشربها وتصطبغان الصبغة التي انا اصطبغها » انها متجهة نحوه تعالى * حيث انه عزَّ وجلَّ يعلمنا بذلك حقيقتين عظيمتين اولها هي ان التجارب والمصايب والشدايد والاضطهادات من اي نوعٍ كانت تاتينا ومن اي كانت مسببة لنا فهي انما تكون مرسلةً لنا من قبل الله الاب الذي ارسل لخلصنا كاس الالام عينها . وانه انما يقصد بذلك خيرنا كي يشركنا باستحقاقات الام ابنهِ الوحيد وبمجده السماوي الذي دخل اليه بعد ان تالم . ثانيتهما هي انه من ثم يلزمنا ان نتبع اثر خطوات فادينا ونموذجاته باحتمال ذلك جميعه بالصبر وبتسليم الارادة لله * وهذه هي شريعة عامة على المختارين كافةً من دون تفسيح لاحدٍ منها . لانه ان كان ينبغي ان المسيح راس خلاصنا يتالم اولاً ثم يدخل الى مجده الخاص به بحسبما هو ابن الله ومساوٍ الاب في الجوهر وان كان باحزانٍ والام كثيرة يجب علينا ان ندخل الى ملك الله . فاذًا لامناص لنا من احتمال ما يفتقدنا الله به من الاحزان والمرايز . وكل ما لا يطابق مرغوباتنا البشرية لنستطيع

ان نشترك بجوده الي الابد امين ❋

انتهى المجلد الثاني طبعة ثانية من التاليف الملقب بكنز العباد الثمين في اخبار القديسين بنفقة كيربوس اغابيوس مطران بيروت وجبيل وما يليهما الكلي الشرف والقداسة وكان انجاز منه في غاية شهر تشرين الثاني سنة ١٨٦٨

❋ ويليه المجلد الثالث ❋

❋ فهرسة ❋

المجلد الثاني من التاليف الملقب بكنز العباد الثمين في اخبار القديسين وهي بموجب ايام المشاهرة عينها حاوية اسما القديسين المدونة في الاربعة الاشهر الثانية من السنة وهي كانون الثاني واشباط وادار ونيسان ❋ .

❋ شهر كانون الثاني ❋

اليوم الاول ختانة مخلصنا يسوع بالجسد والجليل في القديسين باسيليوس الكبير

اليوم الثاني القديس سلفستروس بابا رومية

اليوم الثالث القديس ملاخيا النبي والشاهد غورديوس

اليوم الرابع ذكرٌ جامعٌ للسبعين رسولاً والبار ناوكتيسطوس

اليوم الخامس الشهيدان ثاوبمبطوس وثاونا والبارة سنكليتيكي

اليوم السادس عيد الظهور الالهي

اليوم السابع ذكرٌ جامعٌ للقديس يوحنا الصابغ

اليوم الثامن البارة دومنيكه والبار جرجس الخوزبي واميليانوس المعترف

اليوم التاسع الشاهد بوليفكطوس

اليوم العاشر القديس غريغوريوس اسقف نيصص والقديس دوماتسيانوس اسقف ملطيه والقديس مركيانوس القس اقنوم الكنيسة العظمى

الحادي عشر القديس ثاوضوسيوس رئيس الديارة

الثاني عشر الشاهدة طاتيانى

الثالث عشر الشهيدان ارميلوس وسطراطونيكس

الرابع عشر الابرار المقتولون في طورسينا وارايثوا

الخامس عشر البار بولس التيبائي والبار يوحنا الكوخى

السادس عشر تكريم سلسلة القديس بطرس هامة الرسل

السابع عشر القديس انطونيوس الكبير

الثامن عشر القديس اثاناسيوس الكبير البطريرك الاسكندري والقديس كيرللس البطريرك الاسكندري

التاسع عشر القديس البار مكاريوس المصري
العشرون القديس المتوشح بالله افتيميوس الكبير
الحادي والعشرون القديس مكسيموس المعترف والشهيد ناوفيطوس
الثاني والعشرون القديس تيموتاوس الرسول والشهيد في الابرار انسطاسيوس الفارسي
الثالث والعشرون القديس اكليمنضوس اسقف انكره والشاهد اغاثنجلوس
الرابع والعشرون البارة القديسة كساني
الخامس والعشرون الجليل في القديسين غريغوريوس النزينزي
السادس والعشرون البار كسافوندس ورفقته
السابع والعشرون نقل جسم الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب
الثامن والعشرون القديس افرام السرياني
التاسع والعشرون نقل جسم القديس اغناتيوس المتوشح بالله
الثلثون القديسون الثلثة اقمار شمس العدل باسيليوس الكبير وغريغوريوس
الثاولوغوس ويوحنا الذهبي فمه والشهيد في الكهنة ايبوليطس
الحادي والثلثون القديسان كيروس ويوحنا الماقتان الفضة

شهر اشباط

اليوم الاول تريفن الشاهد
اليوم الثاني عيد دخول سيدنا يسوع المسيح الى الهيكل
اليوم الثالث القديس سمعان الشيخ قابل الاله
اليوم الرابع القديس ايسيدروس الفرمي
اليوم الخامس القديسة الشاهدة اغاثي
اليوم السادس القديس فوكولوس اسقف زمرنى والقديس ايليان الحمصي
اليوم السابع القديس برثانيوس اسقف لمبساكن والقديس البار لوقا
اليوم الثامن المعظم في الشهدا ثاودوروس قايد الجيش والقديس زخريا النبي
اليوم التاسع الشهيد نيكيفوروس
اليوم العاشر الشاهد خارالمبوس

الحادي عشر الشهيد في الكهنة فلاسيوس
الثاني عشر الجليل في القديسين ملاتيوس الانطاكي
الثالث عشر البار مرتينيانوس
الرابع عشر القديس افكسنتيوس
الخامس عشر القديس الرسول اونيسيموس
السادس عشر الشاهد بمفيلوس ورفقته الشهدا
السابع عشر المعظم في الشهدا القديس ثاودوروس المشرقي
الثامن عشر القديس لاونديوس اي لاون الكبير بابا رومية
التاسع عشر القديس ارشيبوس الرسول
العشرون القديس لاونديوس اسقف قطانى
الحادي والعشرون القديس البار تيموناوس والقديس افسطاسيوس الانطاكي
الثانى والعشرون وجود اعضا الشهدا القديسين المكرمة التي صودفت في اماكن افجانيوس
الثالث والعشرون الشهيد في الكهنة بوليكربوس اسقف زمرنى
الرابع والعشرون وجود اول وثانٍ لهامة القديس يوحنا السابق
الخامس والعشرون القديس طاراسيوس البطريرك القسطنطيني
السادس والعشرون البار بروفيريوس ريس اساقفة غزه
السابع والعشرون البار بروكوبيوس البانياسى المعترف
الثامن والعشرون البار باسيليوس المعترف
التاسع والعشرون البار كاسيانوس

شهر ادار

اليوم الاول الشاهدة البارة افضوكيه
اليوم الثانى الشهيد في الكهنة ثاوضوطس اسقف كرينس
اليوم الثالث الشاهد افطروبيوس والذين معه اي فاسيليكوس وكلاونيكوس
اليوم الرابع البار جراسيموس الذي من الاردن
اليوم الخامس القديس قونون الشاهد

اليوم السادس الشهدا الاثنان والاربعون الذين من عموريه
اليوم السابع القديسون الشهدا في الكهنة اساقفة شرصونه باسيلاوس وقابيطونس وافرام
وافجانيوس واثاريوس ورفقتهم
اليوم الثامن البار ثاوفيلكطوس المعترف اسقف نيكوميدية
اليوم التاسع الاربعون شهيداً في سبسطية
اليوم العاشر الشاهد قظراطوس ورفقته
الحادي عشر القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم
الثاني عشر البار ثاوفانوس المعترف السغريانى
الثالث عشر نقل جسم البطريرك القسطنطيني القديس نيكيفوروس
الرابع عشر البار بناديكتوس اي القديس مبارك والقديس الكسندروس الشاهد
الخامس عشر القديس الشهيد اغابيوس والستة الشهدا الذين معه
السادس عشر الشاهد صافينوس
السابع عشر القديس الكسيوس رجل الله
الثامن عشر القديس كيرللس ريس اساقفة اورشليم
التاسع عشر الشاهد خريصانتوس والشاهد ضاريه
العشرون القديسون الابرار المقتولون في دير القديس سابا
الحادي والعشرون القديس يعقوب الاسقف المعترف
الثاني والعشرون الشهيد في الكهنة القديس باسيليوس قس كيسة انكره
الثالث والعشرون الشهيد البار القديس نيكونوس وتلاميذه الشهدا المايتان
الرابع والعشرون القديس البار زخريا
الخامس والعشرون عيد بشارة والدة الاله بالحبل الالهي
السادس والعشرون تكريم زعيم الملايكة جبرائيل
السابع والعشرون القديسة البارة مطرونه النصالونيكية
الثامن والعشرون القديس البار ايلاريون الجديد
التاسع والعشرون القديس الشهيد كيرللس الشماس والقديس البار مرقص

الثلاثون القديس يوحنا السلمي
الحادي والثلاثون القديس البار ايباتيوس العجايبي اسقف انكره

* شهر نيسان *

اليوم الاول القديسة مريم المصرية
اليوم الثاني القديس البار طيطس العجايبي
اليوم الثالث القديس البار نيكيطا
اليوم الرابع القديس البار يوسف كاتب التسابيح والقديس البار جرجس الذى فى بلاون
اليوم الخامس الشاهد كلاوديوس ورفقته
اليوم السادس الجليل في القديسين افتيشيوس ريس اساقفة القسطنطينية
اليوم السابع القديس البار جرجس اسقف ميليتيني
اليوم الثامن القديسون الرسل ايرودیوس واغافوس وروفس ورفقتهم
اليوم التاسع الشاهد افبسيشيوس
اليوم العاشر الشاهد تارانتيوس ورفقته
الحادي عشر الشهيد في الكهنة انتيبا اسقف برغاما
الثاني عشر القديس باسيليوس المعترف اسقف باريه
الثالث عشر القديس الجليل في روسا البيعة الجامعة مرتينوس بابا رومية
الرابع عشر القديسون الرسل ارسطراخس وبودى وطروفيموس
الخامس عشر الشاهد كريسكاندوس
السادس عشر القديسات الثلاث الشهيدات اغاني وايريني وشونيا
السابع عشر القديس الشهيد سمعان الفارسى والقديس البار المعترف اكاكيوس اسقف ميليتيني
الثامن عشر البار يوحنا تلميذ القديس غريغوريوس البانياسي
التاسع عشر الشهيد في الكهنة بفنوتيوس والبار يوحنا قس السيق العتيق
العشرون البار ثاودوروس الشعرى

الحادي والعشرون الشهيد في الكهنة اوناريوس ورفقته والشهيد ثاودوروس الذي من برجى

الثاني والعشرون القديس البار ثاودوروس السيقي او بالحري السيكيوطا

الثالث والعشرون عيد المعظم في الشهدا جاورجيوس اللابس الظفر

الرابع والعشرون الشاهد سابا الجندى والبارة اليصابات العجايبية

الخامس والعشرون القديس مرقص الانجيلي

السادس والعشرون الشهيد في الكهنة باسيليوس اسقف اماسيا

السابع والعشرون الشهيد في الكهنة سمعان اخو الرب بالجسد

الثامن والعشرون التسعة الشهدا الذين في كيزيكو والبار مانونس او بالحري مامنوس

التاسع والعشرون القديس الرسول ياصون ورفقته الرسل وضاضا وارفاقه الشهدا

الثلاثون القديس يعقوب الكبير الرسول اخو يوحنا الانجيلي

* ولله المنة والفضل *

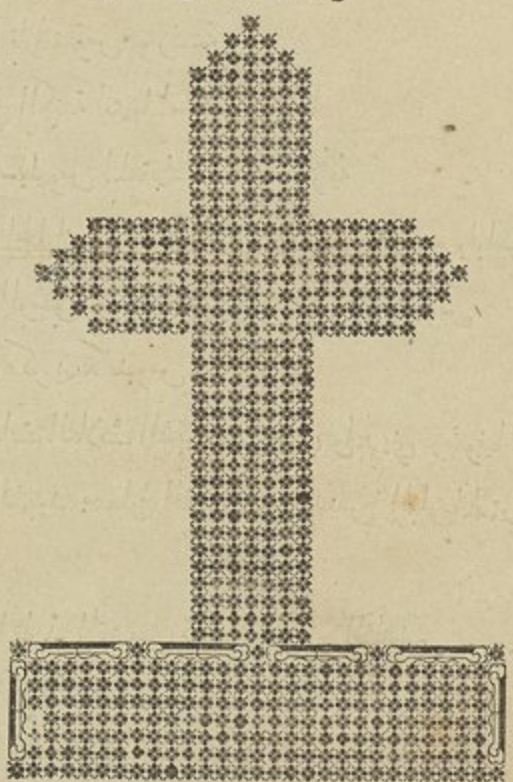

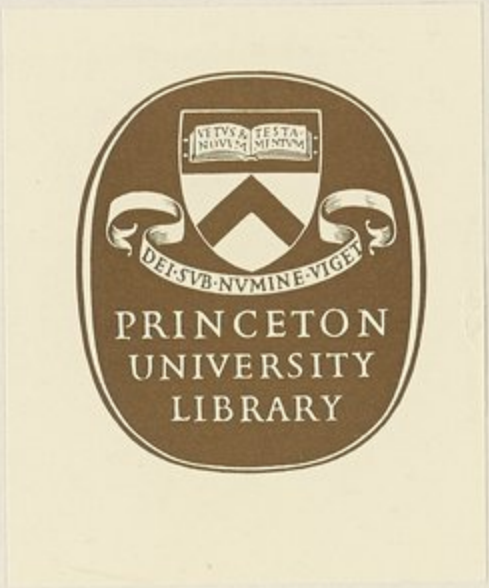
VETVS
TESTA
NOVVM
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 063577132